التنزيل والتأويل
(٤)

القرآن .. وانتحال المبطلين

رواية حول الشبهات المثارة حول القرآن الكريم والرد عليها

أ.د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو المقدمة الضرورة الرابعة لهذه السلسلة، ويتناول القسم الثاني من أقسام المنحرفين عن القرآن الكريم، وهو القسم الذي سماه رسول الله ﷺ [انتحال المبطلين]

ومن خلال تحليل ذلك التعبير النبوي المقدس، رأينا أن المقصود منه تلك الجهات التي تريد نشر الباطل، وتشويه الحق، لا بالمواجهة المباشرة، وإنما بالانتحال، وأصناف الحيل.

وقد رأينا من خلال استقرائنا للواقع أن ذلك الانتحال قد تم من طرف أربع جهات، أولها وأسبقها من يطلق عليهم لقب [الحشوية]، وهم أولئك الرواة والمدلسين الذين امتلأت بهم كتب الحديث والتفسير، والذين كان لهم دور كبير في نشر الخرافة والدجل والشعوذة وتشويه الحقائق والقيم القرآنية.

وأما الجهة الثانية؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [الكشفية]، وهم أولئك الذين اعتبروا الكشف والإلهام المجرد أداة من أدوات تأويل القرآن الكريم وتفسيره وفهمه، من غير مراعاة لأي ضابط أو قانون.

وأما الجهة الثالثة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المشككين]، ونقصد بهم كل من حاول أن يشكك في القرآن الكريم، ابتداء من السابقين من المعاصرين لرسول الله ﷺ إلى المبشرين والمستشرقين والحداثيين وغيرهم.

وأما الجهة الرابعة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المبدلين]، ونقصد بهم كل الذين حاولوا أن ينحرفوا بالقرآن الكريم عن معانيه الظاهرة الواضحة التي فهمها المتقدمون والمتأخرون إلى معاني بديلة، متأثرين في ذلك بموجة الحداثة الغربية ومناهجها المختلفة، ولذلك تعاملوا مع القرآن الكريم، مثلما تعامل حداثيو الغرب مع الكتاب المقدس، من غير أن يراعوا الفوارق بين الكتابين.

التنزيل والتأويل

(٤)

القرآن.. وانتحال المبطلين

رواية حول الشبهات المثارة على القرآن الكريم والرد عليها

أ، د، نور الدين أبو لحية

com،aboulahia،www

الطبعة الأولى

١٤٤٣ . ٢٠٢١

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة الكتاب

هذا الكتاب هو المقدمة الضرورة الرابعة لهذه السلسلة، ويتناول القسم الثاني من أقسام المنحرفين عن القرآن الكريم، وهو القسم الذي سماه رسول الله ﷺ [انتحال المبطلين]

ومن خلال تحليل ذلك التعبير النبوي المقدس، رأينا أن المقصود منه تلك الجهات التي تريد نشر الباطل، وتشويه الحق، لا بالمواجهة المباشرة، وإنما بالانتحال، وأصناف الحيل.

وقد رأينا من خلال استقرائنا للواقع أن ذلك الانتحال قد تم من طرف أربع جهات، أولها وأسبقها من يطلق عليهم لقب [الحشوية]، وهم أولئك الرواة والمدلسين الذين امتلأت بهم كتب الحديث والتفسير، والذين كان لهم دور كبير في نشر الخرافة والدجل والشعوذة وتشويه الحقائق والقيم القرآنية.. وقد رأينا تأثرهم خصوصا باليهود، وعلى رأسهم كعب الأحبار الذي تتلمذ عليه وعلى تلاميذه الكثير من الذين حشوا الدين بتلك الأباطيل.

وأما الجهة الثانية؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [الكشفية]، وهم أولئك الذين اعتبروا الكشف والإلهام المجرد أداة من أدوات تأويل القرآن الكريم وتفسيره وفهمه، من غير مراعاة لأي ضابط أو قانون.

ولذلك أدخلوا في تأويل القرآن الكريم من حيث لا يشعرون الكثير من الخرافات والأباطيل التي حاولت إلغاء قدسيته، وتحريف معانيه.. وقد رأينا تأثرهم أيضا ببعض الفلسفات والديانات القديمة، والتي لا سند لها من العقل أو من النقل.

وقد اخترنا تلقيبهم بهذا، بدل تلقيبهم بأهل العرفان، لنميز أهل العرفان الصحيح،

والذين يهتمون بالسلوك والتربية والمعاني النبيلة والأذواق السامية، عن أولئك الذين يهتمون بالكشف عن أسرار الكون من غير أي برهان ولا دليل سوى تلك الكشوف والإلهامات التي يدعونها، والتي لا تملك العصمة الكافية لاعتبارها أدوات للمعرفة الحقيقية المقدسة.

وأما الجهة الثالثة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المشككين]، ونقصد بهم كل من حاول أن يشكك في القرآن الكريم، ابتداء من السابقين من المعاصرين لرسول الله ﷺ إلى المبشرين والمستشرقين والحداثيين وغيرهم.. والذين استعملوا سلاح التشكيك، وسيلة لإلغاء قداسة القرآن الكريم، وذلك عبر بث شبه وإشكالات يكررونها بصيغ مختلفة.

وأما الجهة الرابعة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المبدلين]، ونقصد بهم كل الذين حاولوا أن ينحرفوا بالقرآن الكريم عن معانيه الظاهرة الواضحة التي فهمها المتقدمون والمتأخرون إلى معاني بديلة، متأثرين في ذلك بموجة الحداثة الغربية ومناهجها المختلفة، ولذلك تعاملوا مع القرآن الكريم، مثلما تعامل حداثيو الغرب مع الكتاب المقدس، من غير أن يراعوا الفوارق بين الكتابين.

وقد قسمنا فصول الكتاب إلى أربعة أقسام، كل قسم يضم صنفا من أصناف المبطلين، وقد راعينا فيه ما راعيناه في كل أجزاء هذه السلسلة، وأول ذلك تبسيط القضايا المطروحة قدر الإمكان، بحيث يفهمها الجميع، وبسهولة ويسر، ومن غير إخلال بالمعاني المطروحة، وقد كان للحوار والجانب الروائي دور كبير في ذلك.

بالإضافة إلى محاولة استيعاب كل ما يرتبط بتلك الجهات التي ذكرناها، إما بالتعريف بها، أو بالمنابع التي تستقي منها، أو بالشبهات والإشكالات التي تطرحها، أو بالردود العلمية عليها.

ومن الأمثلة على ذلك أننا في الفصل الثالث المرتبط بالمشككين، تحدثنا عن المدارس الاستشراقية، وإشكالاتها المختلفة، مع الرد العلمي عليها، ومن الجهات المتعددة، بحيث يشكل ذلك مادة كافية لكل من يريد أن يطلع على موقف المستشرقين من القرآن الكريم، وشبههم نحوه، وكيفية الرد عليها.

ومثل ذلك فعلنا في الفصل الخاص بالمبدلين، والذي تحدثنا فيه عن الحداثيين والقرآنيين، حيث عرفنا بهم، وبالمنابع التي يستمدون منها، والمناهج التي يعتمدونها، والأفكار التي يطرحونها، مع الرد العلمي عليها.

وهكذا فعلنا في سائر الفصول، مع العلم أن تفاصيل الردود في بعض المسائل أو الكثير منها تركناه لمحله في سائر أجزاء السلسلة، لأن غرض هذا الجزء هو التعرف على الباطل الذي حاول أن يقتحم حصن القرآن الكريم وقداسته، وليس الرد المفصل الذي يحتاج إلى المقدمات الكثيرة.

أما الجانب الروائي من الكتاب؛ فهو يحكي رحلة المؤلف مع أستاذه الجديد [معلم الحقائق] إلى مدينة قرآنية جميلة، تنعم بكل البركات والخيرات بفضل تمسكها بالقرآن الكريم، لكن المبطلين أرادوا أن ينحرفوا بها عنه، ولذلك أرسلوا لها أولئك الأصناف الأربعة من الحشوية والكشفية والمشككين والمبدلين.

لكن الله تعالى قيض لها من الحكماء من يحاوروا أولئك الأصناف، ويناقشوهم في شبهاتهم وإشكالاتهم إلى أن استطاعوا أن يهدوهم سواء السبيل، وهو ما حمى المدينة من كل تلك الأباطيل، ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨]

البداية

بعد أن طلب مني معلم القرآن أن أهيء نفسي للرحلة الخاصة بتعلم ما يتعلق بـ [القرآن.. وانتحال المبطلين] رحت أبحث في الأسفار القديمة والحديثة عن المبطلين المضللين الذين أبى عليهم كبرهم واستعلاؤهم التسليم لكلمات الله المقدسة، والإذعان لها، والاستفادة مما فيها من حقائق ينادي كل شيء بصدقها.

أولئك الذين لم يكتفوا بكلمات ربهم؛ وإنما راحوا يعقدون حلفهم مع كل شياطين الإنس والجن، ليشوهوا تلك الأنوار المقدسة التي ملأ الله بها حياة عباده، ليوهموهم أنها ليست سوى دياجير وظلمات، لأن أعينهم كأعين الخفافيش لا تطيق العيش إلا في الظلمات.

وبعد أن رأيت كثرتهم وكثرة الشبهات والأباطيل التي يقذفونها، أصابني ضيق شديد؛ لأني خشيت على نفسي ـ أنا العبد البسيط الضعيف ـ أن يتسرب إلي من أوهامهم وتضليلاتهم وتشكيكاتهم ما يفسد علي ديني، وهو أغلى ما أملك، بل كل ما أملك.

وقد تذكرت حينها أقوال مشايخ التقوى والورع، والذين نصحوا كل ضعيف بالابتعاد عن مواضع الفتنة والشبه، حتى لا تتسرب إلى قلبه وعقله وروحه ولطائفه؛ فتفسد عليه صبغة الله الصافية التي صبغه بها، وفطرته الجميلة النقية التي جبله عليها.

وقد اشتد ذلك الخاطر على نفسي إلى درجة أني قررت، أو تجرأت أن أرفع يدي إلى السماء، ثم أقول: يا رب.. أنا عبدك الضعيف؛ فجنب عقلي ما يشوشه، وجنب نفسي ما يكدرها، وجنب قلبي كل الأهواء التي تحول بينه وبين رؤية الحقائق الصافية الجميلة، كما هي بصفائها وجمالها.. فأنا لا أريد علما يحولني إلى جاهل، ولا عقلا يحولني إلى ضال.

بعد أن قلت ذلك الدعاء، توهمت أو زينت لي نفسي أن معلم القرآن سيحضر

شخصيا، ليخبرني عن إلغاء تلك الرحلة المقررة، والدخول مباشرة إلى عالم الحقائق والقيم القرآنية من دون الولوج على تلك السراديب والمستنقعات.

لكن الأمر لم يكن كذلك.. فما هي إلا لحظات بعد انتهائي من الدعاء، حتى شعت أنوار في البيت، وفي منتصف الليل.. فخرجت أنظر إلى مصدرها، وإذا بي أرى شخصا لا يختلف عن سائر المعلمين، قال لي: لقد استجاب الله دعاءك.. وها أنذا بين يديك، أرسلني معلم القرآن إليك.. لأسير بك حيث يزداد تمسكك بكتاب ربك، وبالحقائق العظيمة التي جاء بها.

لم أملك إلا أن أسجد لله تعالى شاكرا، لكني ما إن قمت من سجودي، حتى قال لي: خذ قلمك وقراطيسك ودواتك، لنسير إلى تلك الرحلة التي طلب منك معلم القرآن أن تهيء نفسك لها.

قلت ـ من حيث لا أشعر ـ: لكن.. ألم تُلغَ تلك الرحلة؟.. لقد توهمت أن الله استجاب دعائي عندما طلبت منه أن يجنبني الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

قال: أجل.. لقد استجاب الله دعاءك لا على ما ترغب، بل على ما تقتضيه تربيتك وإصلاحك.. فالله رب العالمين، وهو أكرم من أن يستجيب لعباده فيما قد يضر بتربيتهم وصلاحهم.

قلت: لكن كيف ذلك؟

قال: ألم تطلب في دعائك صفاء الروح، وسلامة القلب والعقل.. وأن يظل تمسكك بالحق قائما ثابتتا لا تزعزعه الأعاصير؟

قلت: أجل.. ولكن هذه الرحلة قد تتسبب فيما أخشاه على نفسي من الفتنة، وعلى قلبي من الكدر، وعلى عقلي من التشويش.

قال: بل ستكون سببا فيما طلبته.. فالحق الذي تخشى عليه الأعاصير وهم وليس حقا.. والحق الذي لا يثبت في وجه كل باطل سراب لا يطفئ ظمأك.. ألم تسمع قوله تعالى في وصف الكلمة الطيبة التي تصف الحقائق المقدسة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥]؟

قلت: بلى.. وقد سمعت معها قوله تعالى في وصف الأباطيل المدنسة: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]

قال: فاسمع معها قوله تعالى بعدها في وصف عباده الصادقين المخلصين: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].. فالله تعالى وعد عباده الصادقين بالثبات في وجه كل الفتن والأعاصير، ما داموا قد سلموا كل شؤونهم له.. وقد أخبر أن الضلال مصير الظالمين المستعلين المستكبرين لا العبيد المتواضعين.

قلت: لكني أخشى ألا أكون أهلا لذلك التثبيت.. فالله تعالى لا يعطي عباده إلا بحسب استعداداتهم.

قال: ستكتشف ذلك بنفسك، وحينها، سترى كيف تعالجها، فالتشخيص نصف العلاج، وأن تكتشف خطأك في هذه الدنيا؛ فتصححه، خير من أن تذهب به إلى تلك الدار، ولات ساعة مندم.

قلت: وعيت هذا.. لكني لم أدرك كيف يكون الضلال الذي تريد مني أن أرحل إليه سببا للهداية.. وهل يمكن للغواية أن تكون طريقا للهداية؟

قال: لاشك أنك من قوم يرددون كثيرا (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه

إلا المرضى)

قلت: صحيح.. وهو ليس مجرد مثل أو حكمة.. بل هو واقع؛ فالإنسان السليم المعافى لا يشعر بنعمة العافية والصحة إلا بعد أن يقع في المرض.

قال: لكنه قد لا يمرض، ومع ذلك يشعر بنعمة الصحة.

قلت: أجل.. وخاصة إن زار المرضى، ورأى آلامهم، حينها يشعر بنعمة الله عليه بالعافية.

قال: وهذا ما سنفعله.. فعندما ترى المرضى الذين تدنست أرواحهم بوحي الشياطين، ستعرف قيمة تسليمك وإذعانك لوحي ربك.

قلت: بورك فيك.. لقد ذكرتني برحلتي مع معلمي إلى النبي المعصوم.. فقد قال لي كلاما شبيها بهذا.. وبالفعل؛ فعندما سمعت كل شبهات المغرضين عن رسول الله ﷺ، وسمعت ردود الحكيم عليها، ازاد تعلقي برسول الله ﷺ أضعافا مضاعفة على ما كان عليه.

قال: وهكذا في هذه الرحلة، فسيزداد حبك لكتاب ربك، وعشقك له.. وسيصحبك فيها سبعة من الحكماء، وليس حكيما واحدا.

قلت: سبعة.. لقد ذكرتني بالحكماء السبعة الذين استطاعوا أن يجتثوا داء الطائفية من أصولها.. أولئك الذين دلني معلم السلام عليهم.. والذين ذكرتهم في كتاب [الطائفيون والحكماء السبعة].. لكني لم أتشرف بلقياهم، وقد ظللت متحسرا على ذلك.

قال: فستلقاهم في هذه الرحلة؛ فهم سيرافقونك فيها.. وفي كل محل من المحال التي تذهب إليها..

استبشرت كثيرا بذكر هؤلاء الذين عرفتهم في شبابي الباكر، وقلت: وأنت.. أي معلم تكون؛ فأنت لم تعرفني عن نفسك بعد؟

قال: أنا نقطة تحت الباء.

قلت: كلكم كذلك.. فمن أنت من بينهم؟

قال: أنا معلم الحقائق التي لم تتدنس بالأهواء.. وقد اكتسبت هذا بتلمذتي الخالصة على القرآن الكريم؛ فلا يمكن للحقائق أن تتقدس من دونه.

قلت: لقد كان كل المعلمين في رحلاتي السابقة، يخبرونني عن مسار رحلتي، لأكون على بينة من أمري.

قال: ستسير في هذه الرحلة إلى مدينة تمتلئ بالصفاء والنور والسلام، وهي تمثل القرآن الكريم أحسن تمثيل.. لكن شياطين الإنس والجن، راحوا يستعملون كل الوسائل لتحويلها عن صفائها وطهارتها.. ومن جملتها نشر الأباطيل والشبه حول القرآن الكريم؛ لأنهم يعلمون أن كل ما في تلك المدينة من بركات، سببها تمسكهم به، وإخلاصهم له.

قلت: فأنت تريد مني في رحلتي هذه أن أشارك الحكماء في مواجهتهم لتلك الأباطيل؟

قال: لا.. دورك محصور في دواتك وقلمك وقراطيسك.. فتلك الشبه التي غزت تلك المدينة غزت غيرها.. ونحن نريد من الحكمة التي ستُبث في تلك المدينة أن تنتشر إلى غيرها عبر تسجيلك لكل ما يحصل، وبدقة، كما عهدنا منك.

قلت: وعيت هذا.. فمن هم المبطلون الذين يريد الحكماء أن يقضوا على انتحالاتهم؟

قال: هم أربعة أصناف، تجتمع عندهم كل أصناف الأباطيل والمبطلين.

قلت: فما أولها؟

قال: الحشوية والمدلسون والوضاعون والكذابون.. أولئك الذين راحوا يدسون في تفسير الوحي المقدس كل ما أملت عليهم شياطينهم من الوحي المدنس.. فتمكنوا من

تحريف المعاني بعد أن استعصى عليهم تحريف الألفاظ، وتشبهوا في ذلك بما أخبر الله تعالى به عن الأمم السابقة حين قال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]

قلت: فما الثاني؟

قال: الكشفية والغنوصيون الذين استعملوا الكشف والإلهام وسيلة لمزاحمة النبوة، بل ومعارضتها، وحولوا كتاب ربهم الذي يسره للذاكرين المتدبرين إلى ألغاز وطلاسم غامضة لا يفهمها إلا من يمر على أوكارهم، ويستمع لما يوحي شياطين الإنس والجن إليهم.

قلت: فما الثالث؟

قال: المشككون.. أولئك الذين أصغوا لأصحاب القلوب المريضة من الشرق والغرب، والقديم والحديث؛ فامتلأت نفوسهم بالشكوك والأوهام التي منعتهم من تقديس كلمات ربهم ا لمقدسة، أو الإذعان لها، ولذلك حرموا من الاستفادة منها؛ ففضل الله يأبى أن يتنزل على من يرفضه أو يرتاب فيه.

قلت: فما الرابع؟

قال: المبدلون والمغيرون الذين اغتروا بعقولهم ودنياهم؛ فتوهموا أنهم فهموا من القرآن الكريم ما لم يفهمه غيرهم.. ولذلك بدل أن يرتقوا به إلى سموات الحقيقة والجمال، راحوا ينزلون به إلى نفوسهم المدنسة بالأهواء والضلال.. ويدخل فيهم ومعهم أولئك الذين راحوا يزكون أنفسهم بكونهم قرآنيين؛ فلذلك ادعوا أنهم في غنى عن كل بيان حتى لو كان بيان رسول الله ﷺ أو ورثته الصادقين المخلصين.



بعد أن سمعت تلك الكلمات الطيبة من معلمي الجديد، وجدت نفسي في مدينة جميلة، بل في غاية النظام والجمال؛ فقد كانت الروائح الطيبة تملأ نسيمها العليل.. وكانت معه أصوات عذبة للقرآن الكريم، وفي كل المحال التي مررت بها.. أما أهلها؛ فلا يمكن أن أصف ما كانوا عليه من صحة وعافية وقوة.. وفوق ذلك ما يعلو أساريرهم من سلام وطمأنينة وأنوار.. وفوق ذلك ما يطبع علاقاتهم من رحمة ولطف ولين.

فسألت معلمي عن المدينة، وسرها، ومحلها، فقال: هذه مدينة الصادقين مع كلام ربهم.. لقد تنزلت عليهم البركات من كل الجهات.. بسبب ذلك التمسك الصادق.

قلت: لقد ذكرتني بقوله تعالى عن أهل الكتاب من قبلنا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]

قال: هي في كل الكتب؛ فعدالة الله ولطفه بعباده يأبيان أن يميزا أمة عن أمة.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]؟

قلت: بلى.. وقد سمعت معها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]

قال: وقد قال بعدها: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١] ليبين أنه لا يمكن التمسك بالكتاب، ولا التحقق بمعانيه، ولا الارتفاع إلى قيمه قبل الإيمان بكونه حقا من عند الله.. فالحقيقة قبل التحقق.

قلت: أجل.. وقد أخبر بعدها عن الوارثين لكتاب الله، وبين المواقف منهم؛ فقال:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، ثم ذكر المصير الذي يصيرون إليه، فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٣ ـ ٣٥]

قال: فهذه الآيات الكريمة تصف هذه المدينة، وتصف أهلها الصادقين الذين أبت لهم هممهم العالية أن يكونوا من الظالمين أو المقتصدين.. بل راحت تطلب السبق والقرب.. وقد آتاها الله ما طلبت.

قلت: ولكن يا معلمي.. ما علاقة هذه المدينة بالمبطلين وانتحالاتهم الكاذبة؟

قال: بعد أن سمع المبطلون بهذه المدينة، اجتمعوا بقضهم وقضيضهم ليتآمروا عليها؛ فيفسدوا عليها صفاءها وجمالها وبركاتها.. وقد استغلوا في ذلك طيبة أهلها، وإكرامهم لكل ضيف، وسماعهم لكل حديث بحسن نية.

قلت: لقد ذكرتني بقوله تعالى في وصف رسول الله ﷺ: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهَّ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].. فقد كان رسول الله ﷺ يصدق المؤمنين، ويحكم على ظواهرهم، حتى اتهم بكونه أذنا يسمع لكل حديث، ويمر عليه نفاق المنافقين، وكيد الكائدين.

قال: لقد كان لأهل هذه المدينة بعض هذه الصفات.. فهم يحسنون الظن بكل أحد.. ولذلك أرسلنا معلم القرآن لننقذ المدينة من كيدهم ومكرهم؛ فهم ـ مع صدقهم وإخلاصهم ـ ليسوا مؤيدين ولا مسددين بالوحي الذي كان يسدد ويؤيد به رسول الله ﷺ؛

فيعرف المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب.

قلت: ألهذا أرسل الحكماء لتنبيههم؟

قال: أجل.. فقد آتى الله الحكماء من العلم ما يميزون به بين الحق والباطل.. وهم ورثة النبوة في ذلك.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]

قال: فقد آتى الله هؤلاء الحكماء الحكمة بسبب تلاوتهم الحقة للقرآن الكريم، وإدمانهم عليها، وكثرة تدبرهم لما يتلونه.

قلت: فهلا سرت بي إليهم.. فقد شوقتني إلى رؤيتهم بعد أن عرفت دورهم الكبير في منع الحرب بين الطائفتين الكبيرتين من المسلمين[١].

قال: نحن سائران إليهم.. أو هم سائرون إلينا.. وسنلتقي في المحل الذي شاء الله أن نلتقي فيه.

---

(١) نشير إلى ما ذكرناه في كتاب [الطائفيون والحكماء السبعة]

أولا ـ القرآن.. والحشوية

بعد أن قطعنا مسافات طويلة في تلك المدينة، ونحن لا نشم إلا الروائح الطيبة، ولا نسمع إلا الأصوات العذبة، ولا نشاهد إلا الطيبين المتواضعين الذين يصدق عليهم ما وصف الله به عباده الصالحين من المخبتين وعباد الرحمن والمتبتلين وغيرهم.. إذا بي أرى حلقة كبيرة يجتمع فيها بعض سكان المدينة مع مجموعة من المشايخ، وقد تعجبت عندما شممت رائحة كريهة تنبعث منهم، فتوقفت، وقلت للمعلم: ما الذي حصل؟.. أرى أن البركات قد توقفت هنا.

قال: أجل.. ففي هذه الحلقة ينشر هؤلاء المشايخ سمومهم التي ورثوها من الفئة الباغية، وأصحاب الملك العضوض، لتحريف معاني القرآن الكريم بعد أن عجزوا عن تحريف ألفاظه.. وقد انتقوا لذلك بعض من شموا منهم روائح ضعف الإيمان؛ فراحوا يغرونهم بالأموال، ليحولوهم إلى أدوات ينخرون بها وحدة المدينة وقوتها وجمالها.

قلت: ويل لهذه المدينة إذن من هؤلاء، ومما يعد لها.. فستتحول روائحها الطيبة إلى هذه الروائح الكريهة التي تتقزز منها النفس.

قال: لا تخف.. فبسبب كثرة ما في المدينة من الصادقين والمخلصين والصالحين، أرسل الله لهم من الحكماء من ينقذهم.

قلت: لقد ذكرتني بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام، فقد أخبر الله عن العلة التي ذهبا بسببها إلى ذلك الجدار الذي يريد أن ينقض لإصلاحه، فقال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]

قال: أجل.. فبركات الصالحين، لا تقتصر عليهم، ولا على أهليهم، بل تشمل كل

من يحيط بهم؛ فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

قلت: فسيخلصهم الحكماء من هؤلاء الدجالين الحشوية المدلسين في النهاية إذن؟

قال: أجل.. وسترى كيف سيخلصونهم بعدها من كل المبطلين وأباطيلهم.. لا تنس أن تكتب كل ما يذكرونه حتى تعم حكمتهم سائر المدن.

١ ـ تعظيم المدنس:

ما إن قال معلمي هذا، حتى سمعت أحد الشيوخ الجالسين في الحلقة يقول بغضب شديد: كيف تسمعون لمن يشكك في ذلك الحبر الكبير، والإمام العظيم من أئمة الإسلام.. كعب الأحبار.. ذلك الذي شهد له بالعلم السلف والخلف، ابتداء من كبار الصحابة والتابعين؟

قال آخر: فهل أنتم أفضل من أولئك الصحابة والتابعين الذين رووا عن كعب الأحبار، أو تتلمذوا على يديه، من أمثال (أبي هريرة وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري وروح بن زنباع وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وأنس بن مالك وأبي الدرداء)[١]

قال آخر: ألم تعلموا المكانة العظيمة التي توفرت له في المدينة النبوية، حيث استطاع أن يربي مجموعة من التلاميذ الكبار، كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وغيرهم كثير[٢].. ولم يكتف بذلك، بل سعى بكل جهده لرفع مكانتهم، ومساعدتهم في نشر العلم بين المسلمين، فقد قال عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنت أفقه العرب.. ودعا الناس لسؤاله، ولما أجابهم، قال: (صدق الرجل.. عالم والله)[٣].. ومدح أبا هريرة

(١) ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٣ وتهذيب التهذيب ٨ / ٤٣٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ١٠٤.

(٣) تاريخ الطبري ١ / ٤٠٢.

فقال: (ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة)[1]

قال آخر: وقد استطاع فوق ذلك أن ينشر علمه وتفسيره للقرآن الكريم، ويكشف كل المشكلات المرتبطة بالعقيدة في الله وأنبيائه من خلال الروايات الكثيرة التي تلقتها الأمة بالقبول عنه، أو عن تلاميذه وزملائه من أمثال وهب بن منبه، وابن جريج، وابن إسحاق، والسدي الكبير وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، ومجاهد.. وغيرهم كثير.

قال آخر: وقبل ذلك كله.. ألم يعلموا ما قاله ابن كثير في بيان علاقته الجيدة مع الخليفة الثاني عمر، فقد قال: (فإن كعب الأحبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب بأشياء من علوم أهل الكتاب، فيستمع له عمر تأليفا له وتعجبا مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر، فاستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأحبار لهذا المعنى، ولما جاء من الإذن في التحديث عن بني إسرائيل)[2]

قال آخر: بل ورد من الروايات ما يدل على كونه كان مستشاره الديني الخاص، فقد قال ابن تيمية عنه: (لما دخل عمر بن الخطاب البيت المقدس، وأراد أن يبني مصلى للمسلمين، قال لكعب؟ أين أبنيه؟ قال ابنه خلف الصخرة، قال: خالطتك يهودية يا ابن اليهودية ؛ بل أبنيه أمامها ـ وذلك لأن اليهود تعظم تلك الصخرة ـ ولهذا كان عبد الله بن عمر إذا دخل بيت المقدس صلى في قبليه ولم يذهب إلى الصخرة، وكانوا يكذبون ما ينقله كعب: أن الله قال لها: أنت عرشي الأدنى ويقولون: من وسع كرسيه السموات والأرض كيف تكون الصخرة عرشه الأدنى؟)[3]

قال آخر: ومن تلك الروايات ما روي أن عمر قال لكعب: أنشدك الله يا كعب

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٦، الإصابة ٤ / ٢٠٦.

(٢) البداية والنهاية (١/ ٣٤ ـ ٣٥)

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥٣)

أتجدني خليفة أم ملكا؟ قال: بل خليفة فاستحلفه، فقال كعب: (خليفة والله من خير الخلفاء وزمانك خير زمان)[١]

قال آخر: ومثل ذلك تلك الروايات التي تذكر علاقته مع عائشة، وكيف كانت تستشيره، فقد روي عن عبد الله بن الحارث قال: كنت عند عائشة وعندها كعب الحبر، فذكر إسرافيل، فقالت عائشة: يا كعب أخبرني عن إسرافيل، فقال كعب: عندكم العلم، فقالت: أجل فأخبرني، قال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء، وجناح قد تسربل به، وجناح على كاهله، والعرش على كاهله، والقلم على أذنه، فإذا نزل الوحي كتب القلم، ثم درست الملائكة، وملك الصور جاث على إحدى ركبتيه، وقد نصبت الأخرى، فالتقم الصور، محني ظهره شاخص بصره إلى إسرافيل، وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحه أن ينفخ في الصور، فقالت عائشة: (هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول)[٢]

قال آخر: وهكذا رووا عن عبد الله بن الزبير أنه قال: (ما أصبت فى سلطانى شيئاً إلا قد أخبرنى به كعب قبل أن يقع).. ورووا عن معاوية قوله: (ألا إنَّ أبا الدرداء أحد الحكماء، ألا إنَّ عمرو بن العاص أحد الحكماء، ألا إنَّ كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده علم كالثمار وإن كنا المفرطين)[٣]

قال آخر: وكيف لا تكون له كل تلك المناقب والمكارم والفضل، وهو الذي جمع بين الحسنيين، بين كتاب محمد ﷺ، وكتاب موسى عليه السلام، وقد ورد في الحديث في فضائل عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه قال: (رأيت فيما يرى النائم لكأن في إحدى أصبعي سمنا وفي الأخرى عسلا فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (تقرأ

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن، ص ٢٤١.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٣٣١)

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، (٥/ ٦٥٠)

الكتابين التوراة والفرقان، فكان يقرؤهما)[1]

قال آخر: وكل هذا يدل على أن كمال المؤمن ليس في أخذه من القرآن الكريم، واقتصاره عليه فقط.. بل الكمال في أن يأكل السمن مع العسل.. وينهل من القرآن ومن كتب أهل الكتاب.

قال آخر: وكيف لا يكون الكمال في ذلك.. ورسول الله ﷺ نفسه ـ كما يذكرنا شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من مشايخ السلف ـ كان يستفيد من اليهود، ويفرح لما يلقونه له من العلم بالله، وقد ورد في الحديث الذي ورد في صحيح البخاري أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: (يا محمد إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧])[2]

قال آخر: لقد فرح شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية وسلفه وخلفه بهذا الحديث فرحا عظيما حتى اعتبروه أصلا من أصول الدين، بل اعتبروه من الأحاديث الدالة على صفات الله عز وجل وكمالاته، وقد بنى عليه اعتبار الإصبع صفة من صفات الله تعالى، فقد قال في كتابه [بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية]: (وندين الله عز وجل بأنه يقلب القلوب، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، وأنه عز وجل يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع)[3]

قال آخر: بل إنه ـ بحذقه وذكائه وحضور بديهته وعلمه العظيم ـ استطاع أن يكتشف

---

(١) أحمد ٢/ ٢٢٢ (٧٠٦٧)

(٢) رواه البخاري (٩/ ١٤٨)(٧٤١٤) ومسلم (٤/ ٢١٤٧)

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ١١٢)

من خلاله كون النبي ﷺ كان يستمع لأحاديث اليهود، ويصدقها، ثم يأتيهم بالآيات التي تدل على ما قالوا، لقد قال: (وكان اليهود إذا ذكروا بين يديه أحاديث في ذلك يقرأ من القرآن ما يصدقها كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن يهودياً قال للنبي ﷺ: (إن الله يوم القيامة يمسك السموات على إصبع..)[1]

قال آخر: وقد قال ذلك في مواضع كثيرة، ولذلك هو يقبل أحاديث كعب الأحبار وغيره من اليهود، لأن مرجعهم فيما يذكرونه هي التوراة الصحيحة، ومن الأمثلة على ذلك قوله في كتابه دقائق التفسير: (وعمر بن الخطاب لما رأى بيد كعب الأحبار نسخة من التوراة قال: يا كعب إن كنت تعلم أن هذه هي التوراة التي أنزلها الله على موسى بن عمران فاقرأها، فعلق الأمر على ما يمتنع العلم به، ولم يجزم عمر بأن ألفاظ تلك مبدلة لما لم يتأمل كل ما فيها، والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي ﷺ فيهما ما أنزله الله عز وجل، والجزم بتبديل ذلك في جميع النسخ التي في العالم متعذر، ولا حاجة بنا إلى ذكره، ولا علم لنا بذلك، ولا يمكن أحدا من أهل الكتاب أن يدعي أن كل نسخة في العالم بجميع الألسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد، فإن هذا مما لا يمكن أحدا من البشر أن يعرفه باختياره)[2]

قال آخر: وهذا ليس موقفا خاصا بابن تيمية، فقد قال العلامة ابن العثيمين في تفسير سبب ضحك رسول الله ﷺ: (سبب ضحك رسول الله ﷺ هو سروره حيث جاء في القرآن ما يصدق ما وجد هذا الحبر في كتابه، لأنه لا شك أنه إذا جاء ما يصدق القرآن، فإن الرسول ﷺ سوف يسر به، وإن كان الرسول ﷺ يعلم علم اليقين أن القرآن من عند الله لكن تضافر

---

(١) درء التعارض ٧/ ٩٦

(٢) دقائق التفسير (٢/ ٥٨)

البينات مما يقوي الشيء)[1]

قام بعض الجالسين، وقال: لكن مع كل ما ذكرتموه عن كعب الأحبار، وفضله، ومكانته في الدين إلا أني قرأت أن من الصحابة أنفسهم من يتهمه بالكذب، والقاعدة التي نعرفها في التعامل مع هؤلاء هو أن من عرف الكذب عنه، ولو مرة واحدة يطرد من قائمة الرواة الموثوقين.

قال أحد الحشوية: كل ذلك مدسوس وكذب؛ فكعب الأحبار وغيره، من العلماء العدول الثقاة، كانوا مقربين جدا من الصحابة، بل من كبارهم، ولسنا أحرص على الدين من الصحابة.

قال آخر: لقد كتب بعض أصحابنا من الملتزمين بسنة رسول الله ﷺ والمنافحين عنها رسالة في الدفاع عنه سماها [كعب الأحبار المفترى عليه][2]، وقد قال في مقدمتها: (فهذا بحث أدفع فيه بعض الافتراءات على كعب الأحبار، التي ذكرها أبورية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)، وقلده بعد ذلك كثيرون، وهو في الأساس أخذ عن محمد رشيد رضا وبعض المستشرقين، وهؤلاء إنما أرادوا الطعن في السنة، وذلك لأن جمعاً من الصحابة رووا عن كعب الأحبار واحترموه، فأراد هؤلاء إظهار الصحابة في صورة السذج الذين خدعهم كعب)، ثم نقل النصوص الكثيرة عن أئمة السلف التي تمجده، وتجعله قطبا من أقطاب الدين، خاصة في تفسير القصص القرآني.

قال أحد الجالسين: فما تقولون في مقولة معاوية عنه، والتي تتهمه بالكذب، وهي قوله: (إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا ـ مع

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ٣٦٣.

(٢) هو لعبد بن فهد الخليفي.

ذلك ـ لنبلو عليه الكذب)[1]

قال أحد الحشوية: مع أن هذه المقولة صحيحة إلا أن المحققين من علمائنا استطاعوا أن يبينوا معناها، وأن المراد ليس الكذب المعروف.. فقد قال ابن حجر: (وقوله (عليه الكذب) أي: يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به، قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور: (بدل من قبله فوقع في الكذب)، قال: والمراد بالمحدثين في قوله: (إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب) أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم، فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها، قال: ولعلهم كانوا مثل كعب، إلا أن كعبا كان أشد منهم بصيرة، وأعرف بما يتوقاه)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قال ابن حبان في كتاب الثقات: (أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذابا، وقال غيره: الضمير في قوله: (لنبلو عليه) للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه)[3]

قال آخر: ومثل ذلك قال ابن الجوزي: (المعنى: أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار)[4]

٢ ـ إقصاء المقدس:

ما إن انتهى حديث الحشوية إلى ذلك الموضع، ورأوا جمهور الحاضرين قد خضعوا لهم؛ فلم يبدوا أي اعتراض، قال كبيرهم: إن لم يكن لديكم أي شبهة أخرى.. فسنعود لحديثنا الذي بدأنا به، وهو أن كعب الأحبار وتلاميذه هم الوحيدون الذين حلوا كل

(١) صحيح البخاري (١٣/ ٣٤٥)، رقم (٧٣٦١)

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٤٦)

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٤٦)

(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٤٦)

المعضلات، وأجابوا عن كل المشكلات، فلا يمكن لأحد أن يفهم القرآن الكريم من دون المرور عليهم، والتلمذة على أيديهم.

قال آخر: وبما أننا لا نستطيع في هذا المجلس أن نذكر لكم تفاصيل ذلك.. فلذلك ندع لكم أن تسألونا عن أي إشكال في أي آية من القرآن الكريم لنذكر لكم كيف وجدوا حلولا لها.

ما إن قال ذلك، حتى رأيت سبعة من الفتيان الذين تلوح على ملامحهم أنوار الحكمة والإيمان، كما تلوح عليهم أنوار الشجاعة والجرأة والصدع بقول الحق، يقومون في المجلس، ثم يخاطب أحدهم الحضور قائلين: هل تعرفون هؤلاء الذين تجلسون إليهم؟

قال آخر: إنهم أولئك الحشوية المدلسين المدنسين للدين، أولئك الذين أرسلتهم الشياطين إلى الأمة ليحجبوها عن كتاب ربها وتدبره وتعظيمه.

قال آخر: ويحجبوها عن نبيها ﷺ وهدايته ورحمته.

قال آخر: ويحجبوها عن ورثته الطاهرين الصادقين المخلصين.

قال آخر: ويحجبوها عن كل صادق مخلص من هذه الأمة ابتداء من الصحابة المنتجبين.

قال آخر: وكل ذلك ليحل بدلهم المنحرفون المحرفون.

قال آخر: لقد أقصوا كل هؤلاء، لأنهم يعلمون أن مؤامراتهم في تحريف الدين لا يمكن أن تتم في وجود هذه المصادر المقدسة.

أ. إقصاء النبوة:

قال أحد الحشوية: كيف تتهموننا زورا وبهتانا بأننا نقوم بإقصاء القرآن، وها أنت ترانا نرتل نفس آياته.. بل ندعو هؤلاء الحضور ليسمعوا معنا تفسيره.

قال أحد الحكماء: فهل سمعتم وصايا النبوة في التحذير من خلط الإسلام بغيره من الأديان..

قال آخر: وهل رأيتم كيف غضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا، حين أتاه عمر بكتاب من كتب اليهود، فقال له رسول الله ﷺ: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب!؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)(1)

قال آخر: فهذا الحديث العظيم يخبر أن دين الله أبيض نقي صاف ليس فيه أي دنس أو شبهة تمنع العقل السليم من التسليم له.. لكن هذا الأبيض يمكنه أن يتحول إلى أسود إذا ما اختلط بغيره.. فهو لشدة بياضه وجماله أسرع الأشياء إلى التلوث إذا لم يحافظ عليه.

قال أحد الحشوية: لكن رسول الله ﷺ الذي قال ذلك، هو نفسه الذي قال: (لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن، فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه.. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)(2).. فهل تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببضع؟

قال آخر: ألا ترون من العجيب أن ينهى رسول الله ﷺ عن كتابة حديثه، وفي نفس الوقت يجيز الحديث عن بني إسرائيل، وهو الذي غضب تلك الغضبة الشديدة، وأخبر أن دينه أبيض نقي، وأن خلطهم له بغيره من الأديان سيشوهه، ويدنسه، بل يحوله إلى دين بشري، بدلا أن يكون دينا إلهيا.

قال آخر: الفهم الصحيح للحديث عن (بني إسرائيل بلا حرج)، هو ما ذكره الإمام الصادق عندما سأله بعضهم قائلا: حديث يرويه الناس أنّ رسول الله ﷺ قال: (حدّثوا عن

---

(1) أحمد: 3/ 387 ح (15195)

(2) البخاري (6/ 496) والترمذي (7/ 431)

بني إسرائيل ولا حرج؟) قال: (نعم) قيل: فنحدّث بما سمعنا عن بني إسرائيل ولا حرج علينا؟ قال: (أما سمعت ما قال: كفى بالمرء كذبا أن يحدّث بكلّ ما سمع) قيل: كيف هذا؟ قال: (ما كان في الكتاب أنّه كان في بني إسرائيل فحدّث أنّه كان في هذه الأمّة ولا حرج)[1]

قال آخر: وبذلك فإن هذا الحديث، وبهذا الفهم الراقي، يجتمع مع ذلك التحذير الذي حذر منه رسول الله ﷺ ؛ ففيما ورد في القرآن الكريم عن بني إسرائيل وقصصهم ما يغني عن غيرها.. والتعامل معها بعد ذلك بالاعتبار والتدبر، لا بالبحث فيما لا يغني ولا يجدي.

قال آخر: وهكذا حصل مع الكثير من الأحاديث؛ فسلفكم من الحشوية المدلسين الذين تدعون لهم إما يسيئون فهمها، أو يكذبون في روايتهم لها.. ولذلك دسوا باسم رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي تشوه الدين وتحرفه، مستغلين تلك القوانين التي وضعها المحدثون، والتي تكتفي بالثقة في الرواة، دون محاكمة الأحاديث إلى ما أمرنا الله تعالى بالمحاكمة إليه.

قال آخر: ومن الأمثلة على تلك الروايات التي تسللت إلى السنة النبوية، فشوهتها أعظم تشويه، ذلك الحديث الذي يعارض قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويعارض معه الحقائق العلمية في الفلك والجيولوجيا وعلوم الحياة وغيرها من العلوم، وهو ما روي عن أبي هريرة، أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في

---

(١) قصص الأنبياء ص ١٨٧.

آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل)[1]

قال آخر: هذا الحديث مجرد مثال على تلك الأحاديث التي اختلط فيها المقدس بالمدنس، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، وقد روى ابن كثير عن عروة بن الزبير بن العوام، قال: قال لى أبي الزبير: أدننى من هذا اليمانى (يعني أبا هريرة) فإنه يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ قال: فأدنيته منه فجعل أبو هريرة يحدث، وجعل الزبير يقول صدق كذب صدق كذب، قال: قلت يا أبة ما قولك صدق كذب، قال: يا بني أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا أشك، ولكن منها ما يضعه على مواضعه ومنها ما وضعه على غير مواضعه)[2]

قال آخر: ومثله ما حدث به ابن كثير عن مسلم صاحب الصحيح بسنده عن بكير بن الأشج، قال: قال لنا بشر بن سعيد: (اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا تجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ، ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم فأسمع بعض ما كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب وحديث كعب عن رسول الله ﷺ)[3]

قال آخر: وهكذا أصبح لأي شخص يتزين أمام المحدثين أو علماء الجرح والتعديل بزينة التقوى والصلاح أن يروي أي حديث لرسول الله ﷺ، ثم يقبل ذلك الحديث من دون مناقشة، بل يتهم راده، بكل صنوف التهم.. لا حرصا على النبوة، وإنما حرصا على قداسة الرواة.

قال آخر: بل إن الأمر وصل بهم إلى حد القول بتخطئة رسول الله ﷺ حرصا على

---

(١) مسلم (٢٧٨٩)

(٢) البداية والنهاية ج٨ ص١٠٩.

(٣) البداية والنهاية ج٨ ص١٠٩.

صدق الرواة.. ومن الأمثلة على ذلك ما رواه محمد بن سيرين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (فقدت أمة من بني إسرائيل، لم يدر ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لا تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته؟)، قال أبو هريرة: حدثت بهذا الحديث كعبا، فقال: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، فقال لي ذلك مرارا، فقلت: أتقرأ التوراة!؟)[1].. فمع أن هذا الحديث يتعارض معارضة تامة مع قوله ﷺ: (إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك)[2].. والأصل في هذه الحال، أي عند التعارض بين الأخبار، قبول أحدهما ورفض الآخر؛ إلا أنهم التمسوا حلا لدرء التعارض أدى بهم إلى أن المخطئ في الحديث ليس أبا هريرة، وإنما رسول الله ﷺ نفسه.. ذلك أنهم كما يذكرون: اجتهد في ذلك، ولم يقل عن علم أو وحي.

قال آخر: لقد عبر عن هذا المعنى ابن حجر بقوله: (وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير فقال: (إن الله لم يجعل للمسخ نسلاً ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك)، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ: (لا أراها إلا الفأر)، وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي)[3]

قال آخر: وهذا التعليل الحشوي المشوه لرسول الله ﷺ عجيب جدا، لأنه يتناقض مع كل تلك القيم التي دعا إليها لقرآن الكريم، وأولها تناقضه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].. ويتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].. ويتناقض مع كل تلك الأحاديث الصحيحة المتواترة، التي تبين أن رسول الله ﷺ لا يقول

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٤)

(٢) فتح الباري ٣٥٣/ ٦.

(٣) فتح الباري: ٦/ ٣٥٣.

إلا حقا، ومنها قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو، قال: قلت: يا رسول الله، إنى أسمع منك أشياء أفأكتبها؟ قال: نعم، قلت: فى الغضب والرضا؟ قال: (نعم، فإنى لا أقول فيهما إلا حقا)[1]

ب. إقصاء القرآن:

قال أحد الحضور: قد نقبل هذا منكم.. لكن لم ذكرتم أن هؤلاء يقومون بإقصاء القرآن، وها أنتم ترونهم يرتلون نفس آياته.. بل دعونا لنسمع منهم تفسيره.

قال أحد الحكماء: تحريف القرآن وكلمات الله ليست قاصرة على تغيير ألفاظها، بل الأخطر منها تغيير معانيها، لتصبح ألفاظها بعد ذلك كسوة لكل أنواع الدنس.

قال آخر: لقد قال الإمام الجواد محذرا من ذلك: (وكل أمة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه وولاهم عدوهم حين تولوه، وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية)[2]

قال آخر: وهكذا حذر رسول الله ﷺ وكل أئمة الهدى من التلاعب بالمعاني القرآنية وتأويلها وتفسيرها بما يخرجها عن مضامينها المقصودة.

قال آخر: وقد وقع ذلك في هذه الأمة على يد أولئك الحشوية الذين وضعوا الأحاديث والروايات الكثيرة المزاحمة للقرآن الكريم، وبدل أن يحاكموها إليه، حاكموه إليها.

قال آخر: أجل.. فمع أن الله تعالى وضع لنا معيارا مقدسا نتحاكم إليه في كل شيء،

---

(1) الدارمي (٤٩٠) وأبو داود (٣٦٤٦)، وابن خزيمة (٢٢٨٠)، وغيرهم.

(2) الكافي: ٨/ ٥٣/ ١٦.

وهو ما عبر عنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]؛ والذي من مستلزماته الرجوع إلى القرآن الكريم لمحاكمة أي رواية أو حديث أو رأي أو اجتهاد في أي قضية عقدية أو سلوكية.. بل كل ما يتعلق بجميع قضايا الحياة.. إلا أن الذين قاموا بهذا الإقصاء رفضوا هذا الاحتكام، لأنه يحطم كل مشروع الدين البشري الذي أسسته الفئة الباغية في مقابل الدين الإلهي الذي يقوم على مركزية القرآن الكريم ومرجعيته الكبرى في كل شيء.

قال آخر: ولهذا فإنهم إن وردهم أي حديث ووجدوا فيه مخالفة صريحة للقرآن الكريم، فإنهم لا يستغربون من ذلك، ولا يتهمون رواة الحديث، ولا يقولون باستحالة التعارض بين القرآن الكريم والسنة المطهرة.. وإنما يلجؤون إلى أنواع من التوفيق المتكلف، والذي ينتهي باعتبار الحديث هو الحاكم، أما ما ذكر في القرآن فهو مجرد إرشاد أو نصح أو كلام عام لا يستفاد منه أي معنى تنفيذي.

قال آخر: ولهذا اشتدوا في إنكار ما ورد في الدعوة إلى عرض الأحاديث على القرآن الكريم، كقوله ﷺ: (إن الحديث سيفشو عني، فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني)[1].. وقوله: (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله)[2].. وقوله: (إذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه، فصدقوا به قلته أو لم أقله فإني أقول ما تعرفونه ولا تنكرونه، وإذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به، فإني لا أقول ما تنكرونه، وأقول ما تعرفونه)[3].. وقوله: (إني والله لا يمسك الناس علي بشيء إلا أني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ولا

---

(١) البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (١/ ٩) وابن المقرئ في معجمه، (٣/ ٢٣٩)

(٢) البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (١/ ١١٦)

(٣) الطحاوي في (شرح مشكل الآثار)، (١٥/ ٣٤٧)، والدار قطني في سننه، (٤/ ٢٠٨)

أحرم إلا ما حرم الله في كتابه)[1].. وغيرها من الأحاديث الكثيرة الواردة في مصادر المدارس الإسلامية المختلفة[2].

قام أحد الحشوية، وقال: كل هذه الأحاديث التي أوردتها مكذوبة، وقد وضعها الطاعنون في السنة، ليجعلوها وسيلة لإنكارها.. ألم تسمع ما قال شيخنا الكبير العلامة ابن بطة، بعد عرض تلك الأحاديث: (قال ابن الساجي: قال أبي رحمه الله: هذا حديث موضوع عن النبي ﷺ قال: وبلغني عن علي بن المديني، أنه قال: ليس لهذا الحديث أصل، والزنادقة وضعت هذا الحديث)[3].. ثم علق على ذلك بقوله: (وصدق ابن الساجي، وابن المديني رحمهما الله، لأن هذا الحديث كتاب الله يخالفه، ويكذب قائله وواضعه، والحديث الصحيح، والسنة الماضية عن رسول الله ﷺ ترده قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، والذي أمرنا الله عز وجل أن نسمع ونطيع، ولا نضرب لمقالته ﷺ المقاييس، ولا نلتمس لها المخارج، ولا نعارضها بالكتاب، ولا بغيره، ولكن نتلقاها بالإيمان والتصديق والتسليم إذا صحت بذلك الرواية)[4]

قال آخر: وهكذا قال العلامة ابن عبد البر: (وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم فقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله عز وجل وجدناه مخالفا لكتاب الله ؛ لأنا لم نجد في كتاب الله ألا نقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته

---

(١) الشافعي في مسنده، (١/ ١٢٩)، رقم (١١٦)، والبيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (٣/ ٣٦٠)

(٢) ذكرت تلك الأحاديث بتفصيل في كتاب: منابع الهداية الصافية، ص ١٣، فما بعدها.

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦٦)

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦٦)

ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال)[١]

قال آخر: وبناء على هذا، وقف علماؤنا الربانيون موقفا متشددا من كل داعية للرجوع إلى القرآن للتحاكم إليه عند التنازع في تصحيح الأحاديث، وقد صبوا جام غضبهم على الشيعة في هذا، واعتبارهم هم السبب في هذه الفتنة الخبيثة، كما قال شيخنا الكبير العلامة الجامي عند حديثه عن هذه المسألة: (لقد حاول هؤلاء الزنادقة والروافض إزالة السنن من الوجود والقضاء عليها ـ لو استطاعوا ـ أو أن يجعلوا وجودها وجوداً شكلياً فاقداً للقيمة، إلا أنهم لم ينالوا خيراً، ولم يستطيعوا أن ينالوا من السنة شيئاً، فانقلبوا خاسرين ومهزومين، مثلهم كمثل الذي يحاول قلع جبل أحد مثلاً فأخذ يحوم حوله وفي سفحه لينقل من أحجاره حجراً حجراً ظناً من أنه يمكنه بصنيعه هذا قلع الجبل وإزالته من مكانه، أو كالذي يغترف من البحر اغترافاً بيده أو بدلوه محاولاً بذلك أن ينفد البحر أو ينقص)[٢]

قال أحد الحكماء: هل تعرفون أيها الحضور الكرام العواقب الخطيرة التي انجرت وراء هذه المقولات والأحكام التي عُزل بها القرآن الكريم؟

قال آخر: لقد وصل بهم الأمر بعد أن قاموا بإقصاء التحاكم إلى القرآن الكريم إلى حد معارضة آياته بالروايات الواردة عن الصحابة والتابعين.. حتى لو ضعف سندها.. والأمثلة على ما رووه من روايات في نسخ القرآن الكريم كثيرة جدا، وتنسخ أجمل القيم والمعاني القرآنية.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكروه من تعطيل قيم العفو والمصافحة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾

(١) جامع بيان العلم وفضله (٤/ ١٧)

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ص٣١.

[البقرة:١٠٩]، فقد قال الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلى عنها: (أصل العفو الترك والمحو والصفح الإعراض والتجاوز نسخ بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٢٩]، وأمر الله القتل والسبي لبني قريظة، والجلاء والنفي لبني النضير، قال المحققون: إن مثل هذا لا يسمى منسوخا، لأن الله جعل العفو والصفح مؤقتا بغاية، وهو إتيان أمره بالقتال، ولو كان غير مؤقت بغاية لجاز أن يكون منسوخا)[١]

قال آخر: ومثل ذلك قولهم في قوله تعالى:﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُون﴾ [البقرة:١٣٩]، فقد اعتبروها أيضا منسوخة، نسختها آية السيف[٢].. فما حاجة المسلمين إلى محاجة خصومهم ومجادلتهم وحوارهم بعد أن أن أمدهم الله بقوة السيف؟ فكفى بالسيف شافيا، وكفى بالسيف محاورا.

قال آخر: ومثل ذلك قولهم في قوله تعالى:﴿وقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِين﴾ [البقرة:١٩٠]، فهي مثل أخواتها منسوخة آية السيف، وقد قال النيسابوري فيها: (قوله ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾، هذا كان في الابتداء، عندما كان الإسلام ضعيفا)[٣]

قال آخر: ومثل ذلك قولهم في قوله تعالى:﴿أولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٣]، فقد ذكروا أن هذا (كان في بدء الإسلام، ثم صار الوعظ والإعراض منسوخاً بآية السيف)[٤]

قال آخر: ومثل ذلك قولهم في قوله تعالى:﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ

---

(١) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (ص ٥٤)

(٢) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص٤٤ ـ ٤٥.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ١٣٥.

المُحْسِنِين﴾ [المائدة:١٣]، فقد ذكروا أن سلفهم ذكر أنها (نزلت في اليهود، ثم نسخ العفو والصفح بآية السيف)[١]

قال آخر: ومثل ذلك قولهم في قوله تعالى:﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين﴾ [النحل:١٢٥]، فقد نصوا على أنها منسوخة نسختها آية السيف[٢].. فما حاجة المسلمين للحكمة والموعظة وقد من الله عليهم بنعمة القوة والعزة والتسلط.

قال آخر: وهكذا نسخوا كل القيم القرآنية بآية السيف.. ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا لغيرها من الآيات يخصوص عمومها، ويقيدون مطلقها بالاجتهاد المجرد، أو بما يروونه من الروايات، ومن الأمثلة على ذلك إقصاؤهم للآية الكريمة التي تضع قانون التعامل مع المخالف في الدين أيا كان كتابيا أو غير كتابي، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]؛ فالآية الكريمة تدعو إلى البر والقسط بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان المختلفة، بل حتى مع الملحدين منهم، لأن القيد فيها مرتبط بالمحاربة، ولا علاقة له بالدين، وهي بذلك تقسم الناس إلى معتدين ومسالمين، كما تقسمهم آيات أخرى إلى مستضعفين ومستكبرين، لكن المفسرين ـ وباسم علم أسباب النزول ـ عطلوا الآية الكريمة تعطيلا تاما، حيث أنهم جعلوها خاصة بقوم مخصوصين في زمان مخصوص، وأن علاقتنا بها لا تتعدى الترتيل.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول مجاهد في تفسيره لها: (الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا).. وقال عبد الله بن الزبير، (عنى بها من غير أهل مكة من لم يهاجر).. وقد روى

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص ١٥٠.

(٢) قلائد المرجان، ص ٢١٠.

عنه الطبري وغيره في سبب نزول الآية قوله: (نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها قتيلة ابنة عبد العزى، فأتتها بهدايا وصناب وأقط وسمن، فقالت: لا أقبل لك هدية، ولا تدخلي علي حتى يأذن رسول الله ﷺ فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ، فأنزل الله الآية[1].. ومنها قول بأنه عني بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين، ولم يخرجوهم من ديارهم؛ ونسخ الله ذلك بعد بالأمر بقتالهم، وهو قول ابن زيد، فقد قال: (هذا قد نسخ، نسخه القتال، أمروا أن يرجعوا إليهم بالسيوف، ويجاهدوهم بها، يضربونهم، وضرب الله لهم أجل أربعة أشهر، إما المذابحة، وإما الإسلام)[2]

قال آخر: وبناء على هذا فقد عطلت هذه الآية الكريمة تعطيلا تاما.. وعطل بنفس السبب قوله تعالى في شأن رقة النصارى مقارنة باليهود: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢]، فقد ذكروا عن سلفهم أن هذا ليس عاما بكل النصارى، بل خاص بالنجاشي ووفده الذين أسلموا لما قدموا على النبي ﷺ وهم اثنان وثلاثون أو أربعون أو سبعون أو ثمانون رجلا، وليس المراد كل النصارى لأنهم في عداوتهم كاليهود[3] .

قال آخر: وهكذا عطلت هذه الآيات الكريمة بسلاح أسباب النزول، كما عطل غيرها بسلاح الناسخ والمنسوخ.

قال آخر: ولهذا تحول القرآن الكريم إلى أضعف المصادر.. فيمكن لأي رواية أو حديث أن يعطل آياته.. كإجازتهم تعطيل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

---

(١) انظر هذه الروايات في تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٢)

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٣)

(٣) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (ص ١٠٠)

الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، والتي تجيز الوصية للوالدين والأقربين وهم من الورثة، بحديث يرفعونه إلى رسول الله ﷺ هو (إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث)[1]

قال آخر: وهم يصرحون بذلك، ويعتبرون السنة أقوى من القرآن الكريم، بل حاكمة عليه، وقد عقد الزركشي في ذلك فصلا بعنوان [مسألة حاجة الكتاب إلى السنة]، فقال: (قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب، وقال أبو عمر: يريد أنها تقضي عليه، وتبين المراد منه.. وقال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب)[2]

قال آخر: وبعد كل هذا الإقصاء للقرآن الكريم من دوره في قبول الأحاديث ورفضها، مرروا الكثير من الروايات والأحاديث المدسوسة المدلسة المكذوبة، بحجة أن رواتها ثقاة، ولسنا ندري من أين لهم الثقة المطلقة بذلك، مع أن الله تعالى قال لرسول الله ﷺ في شأن المنافقين: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]؛ فإن كان رسول الله ﷺ يخفى عليه ـ بحسب الآية الكريمة ـ بعض المنافقين، فكيف لا يخفى على ابن معين أو ابن أبي حاتم أو البخاري بعض الرواة الذين تسللوا لكتب الحديث، ليجعلوها وسيلة لتحريف الدين وتشويه قيمه.

ج. إقصاء الورثة:

قال أحد الحضور: قد نقبل هذا منكم.. لكن لم ذكرتم أن هؤلاء يقومون بإقصاء الورثة.. فمن الورثة؟.. وكيف تم إقصاؤهم؟

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجة (٢٧١٣)

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ١١)

قال أحد الحكماء: الورثة هم أولئك الذين أُمرنا بالتسليم لهم، وأخذ الدين عنهم، أولئك الذين قال الله تعالى في شأنهم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]

قال آخر: الورثة هم أولئك الذين حددهم رسول الله ﷺ بدقة، بل عينهم بأعيانهم وأسمائهم وصفاتهم وكل ما يتعلق بهم.. لكن البغي الذي مارسته الأمم السابقة في حق ورثتها مارسته هذه الأمة؛ فبغت عليهم، وحسدتهم، وأعرضت عنهم، ثم أحلت بدلهم كعب الأحبار وأمثاله من اليهود وتلاميذ اليهود.

قال آخر: الورثة هم أولئك الذين وردت الأحاديث الصحيحة المتواترة، وفي كل المصادر الإسلامية بالوصية بهم، والدعوة إلى التمسك بحبلهم، ومنها قوله ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[1].. وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس، إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما: كتاب الله، وأهل بيتي عترتي)[2]

قال آخر: وسيد أولئك الورثة ذلك الذي قال رسول الله ﷺ في حقه: (أنا مدينة العلم، وعلى بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب)[3]

قال آخر: بل ورد في تفسير قوله تعالى:﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٢] أن النبي ﷺ قال له عند نزولها: (سألت الله أن يجعلها أُذنك يا عليّ).. وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ، فقد كان الإمام علي يقول: (فما نسيت شيئاً بعد ذلك وما كان لي

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٨٨)، والفسوي في (المعرفة والتاريخ)(١/ ٥٣٦)

(٢) رواه الحاكم (٤٥٧٧)، والشجري في (ترتيب الأمالي)(٧١٢)

(٣) الترمذى (٥/ ٦٣٧، رقم ٣٧٢٣)، والحاكم (٣/ ١٣٨، رقم ٤٦٣٩)، وغيرهما.

أن أنسى)[1]

قال آخر: لكن الأمة فرطت في هذه الوصايا، وبدل أن يأخذ الناس دينهم منه ومن أبنائه وأحفاده الذين أوصى بهم رسول الله ﷺ.. راحوا يأخذونه عن كعب الأحبار وغيره من اليهود الذين أسلموا، أو الصحابة الذين تتلمذوا عليهم، في نفس الوقت الذي يعرضون عن ذلك الذي أخبر رسول الله ﷺ أنه مفتاح باب العلم والحكمة.

قال آخر: ألم تسمعوا أيها الحضور الكرام للإمام علي، هو يقول متأسفا: (هاه إن ههنا لعلما جما ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة، بل أصيب لَقِنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا، ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه أو منقادا لحملة الحق لا بصيرة في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة، ألا لا ذا ولا ذلك، أو منهوما باللذة سلس القيادة للشهوة، أو مغرما بالجمع شيء شبها بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه)[2]

قال آخر: ألم تسمعوا إلى ما حدث أبو الطفيل عنه، فقال: (شهدت عليا يخطب وهو يقول: (سلوني؛ فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله؛ فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم: أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟)[3]

قال آخر: ألم تسمعوا قوله محذرا من إقصاء الورثة والإقبال على المدلسين المدنسين: (لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه، إذا لخرجتم إلى الصّعدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها، ولهمّت كلّ امرئ منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها.. ولكنّكم نسيتم ما ذكّرتم، وأمنتم ما حذّرتم، فتاه

---

(١) انظر: تفاسير: الطبري، والسيوطي، والرازي، وابن كثير، والقرطبي، والشوكاني، وغيرهم عند تفسيرهم للآية.

(٢) نهج البلاغة (٤/ ٣٦)

(٣) الإصابة: ج ٢ ص ٥٠٩.

عنكم رأيكم، وتشتّت عليكم أمركم، ولوددت أنّ اللهّ فرّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم: قوم واللهّ ميامين الرّأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، متاريك للبغي، مضوا قدما على الطّريقة، وأوجفوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدّائمة، والكرامة الباردة)[1]

قال آخر: لقد استطاعت الفئة الباغية التي تحكمت في الأمور أن تحول دون وصول علم هؤلاء الورثة إلى جمهور الأمة، والحيلة التي احتالوها لذلك بسيطة، وهي أن كل من يتحدث عن هؤلاء الذين أوصى بهم رسول الله ﷺ يعتبر شيعيا، وكل شيعي مبتدع، وما دام كذلك، فإنه لا تحل الرواية عنه.

قال آخر: في نفس الوقت الذي لم يقصوا فيه أولئك اليهود الذين تتلمذوا على أيديهم، لسبب بسيط، وهو علاقتهم الطيبة مع تلك السلطات الحاكمة، وكأن دين الله يحدده الحكام، لا رسول الله ﷺ.

د. إقصاء الصادقين:

قال أحد الحضور: قد نقبل هذا منكم.. لكن لم ذكرتم أن هؤلاء يقومون بإقصاء السابقين الصادقين.. فمن هم هؤلاء؟.. وكيف تم إقصاؤهم؟

قال أحد الحكماء: لقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك الإقصاء، فقال مخاطبا الأنصار: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[2]

قال آخر: وقد حدث بعضهم عن وقوع ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فذكر أن أبا أيوب أتى معاوية فذكر حاجة له، فجفاه ولم يرفع به رأسا، فقال أبو أيوب: أما ان رسول

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٦)

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والبيهقي والترمذي والنسائي، سبل الهدى والرشاد (١٠/ ١١٥)

الله ﷺ قد خبرنا أنه ستصيبنا بعده أثرة قال: فبم أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الحوض، قال: فاصبروا إذا، فغضب أبو أيوب، وحلف أن لا يكلمه أبدا[1].

قال آخر: وقد روي أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري فقال: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار فما منعكم أن تلقوني؟ قال: لم تكن لنا دواب، قال معاوية: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله ﷺ قال لنا إنا لنرى بعده أثرة، قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه، قال: (فاصبروا حتى تلقوه!)[2]

قال آخر: فهذه الأحاديث لا تشير فقط إلى الأثرة المادية التي مارسها معاوية، وإنما إلى ما هو أخطر من ذلك، وهو توفير المنابر ومجالس العلم لليهود وتلاميذهم في نفس الوقت الذي أُبعد فيه خيرة المهاجرين والأنصار .

قال آخر: ولهذا؛ فإنا لو جمعنا الروايات والأحاديث الواردة عن جميع الصحابة الذين حضروا بدرا في تفسير القرآن الكريم، لم نجدها تعادل جزءا بسيطا من الروايات التي يروونها عن كعب الأحبار، وتلاميذه الذين تتلمذوا على يديه.

قال آخر: ولهذا؛ فإن الذي يدعون إلى العودة إلى السلف في تفسير القرآن الكريم لا يقصدون أولئك الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]

قال آخر: ولا يقصدون أولئك البسطاء المستضعفين الذين شهد الله تعالى على صدقهم، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]

قال آخر: ولا أولئك الذين وصفهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ

---

(١) رواه الحاكم، سبل الهدى والرشاد (١٠/ ١١٥)

(٢) مصنف عبد الرزاق (ج ١١ / ص ٦٠)

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]

قال آخر: وإنما يقصدون أولئك اليهود، أو الذين تتلمذوا عليهم من الصحابة الصغار، أو من الصحابة الذين أسلموا متأخرين، أو من الطلقاء الذين شغلوا أول حياتهم بحرب رسول الله ﷺ، وشغلوا آخر حياتهم بحرب ورثته وتشويه دينه.

قام بعض الحشوية، وقال: لكن الصحابة الذين تذكرهم هم أنفسهم من أثنى على كعب الأحبار، وقربه، واعتبره من أوعية العلم.

قال أحد الحكماء: أنتم تنتقون من الصحابة من تشاؤون.. ولو تحاكمتم إلى القرآن الكريم لعرفتم أن الصحابة المنتجبين أولئك الذين امتثلوا وصايا نبيهم ﷺ في عدم خلط الإسلام بأي دين من الأديان.

قال آخر: وهؤلاء كان موقفهم متشددا من كعب وأمثاله من الذين دسوا في الدين ما ليس منه.. لقد روي عن ابن مسعود أنه جاءه رجل، فقال له: من أين جئت؟، قال: من الشام، قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبا، فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك، قال: فصدقته أو كذبته؟ قال: ما صدقته ولا كذبته، قال ابن مسعود: (لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه، براحلتك ورحلها.. وكذب كعب!.. إن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].. ثم قال: (ما تنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه)، وقال: (كذب كعب.. ما ترك يهوديته)[١]

---

(١) الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٤٤)، قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٦٢): (وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود)، وانظر: تفسير القرطبي، (١٤/ ٣٥٧)

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن حذيفة بن اليمان أعلم الناس بالمنافقين، فقد روى قتادة قال: بلغ حذيفة أن كعبا يقول: (إن السماء تدور على قطب كالرحى)، فقال حذيفة: (كذب كعب! إن الله يقول: ﴿إِنَّ اللهَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١][١]

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن ابن عباس، فقد روي عنه قوله: (يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب!؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب؛ فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم!؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم)[٢]

٣ ـ تحريف المقدس:

ما إن انتهى الحكماء من أقوالهم تلك، حتى رأيت الظلمة بدأت تنقشع من وجوه الحاضرين، ليحل بدلها نور الإيمان، وحينها قال أحد الحكماء: لا بأس.. دعونا نستمع لهؤلاء المشايخ الذين يريدون أن يفسروا القرآن لكم بحسب ما ورثوه عن أسلافهم.. لنحاكمهم للقرآن الكريم نفسه.

أ ـ نماذج وشواهد:

قال أحد الحشوية متوجها للحضور: ها هم أخيرا يسلمون لنا، ويعرفون أنه لا يمكن أن يُفهم القرآن الكريم أو تعرف تفاصيل أخباره من دوننا.. ولذلك نقول لكم: سلونا ما شئتم من الأسئلة.. فستجدون عند سلفنا الأجوبة التي لا يمكن معرفتها من دونهم.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، (٥/ ٦٥٠)

(٢) صحيح البخاري ٣: ٢٣٧.

قال آخر: وسترون كيف يتعمق فهمكم للقرآن الكريم، فليس من عرف التفاصيل كمن اكتفى بالعموميات التي يستوي فيها جميع الناس.

من قصة نوح:

قال أحد الحضور، متوجها لبعض الشيوخ: هيا حدثنا عن سفينة نوح عليه السلام، تلك التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]، وقوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]، وقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]

قال أحد الحشوية: بورك فيك وفي سؤالك الوجيه، والذي يدل على كونك من الذين يتلون القرآن الكريم حق تلاوته، ويتدبرونه حق تدبيره.. والحمد لله ورد في مصادرنا الإجابة على كل تلك الأسئلة، وبتفصيل.

قال آخر: فمما ورد في ذلك من الأحاديث ما روي أن الحواريين قالوا لعيسى بن مريم عليهما السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا بها، فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب، فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه، ثم قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: هذا كعب حام بن نوح! قال: فضرب الكثيب بعصاه، فقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى: هكذا هلكت؟ قال: لا، مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت، قال: حدثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحوش، وطبقة فيها الأنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثرت أرواث

الدواب، أوحى الله تعالى إلى نوح، أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الأرواث، فلما وقع الفأر تجوز بالسفينة يقرضها وحبالها، وذلك أن الفأر توالدت في السفينة، فأوحى الله تعالى إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد، فضرب فخرجت من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر، قال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة فوق عليها، فدعا عليه بالخوف؛ فلذلك لا يألف البيوت، ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها، فعلم أن البلاد قد غرقت.. فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان، فمن ثم تألف البيوت، فقالوا: يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال: كيف يتبعكم من لا رزق له!؟ قال: فقال له عبد بإذن الله فعاد ترابا[١] .

قال آخر: وروي أنه كان في سفينة نوح ثمانون إنسانا، أحدهم جرهم[٢].

قال آخر: وروي أن نوحا حمل معه جسد آدم جعله معترضا بين الرجال والنساء، وقصد نوح جميع الدواب من البهائم والوحوش والطيور وغيرها ليحملها[٣].

قال آخر: وروي أن أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب، الذرة، وآخر ما حمل الحمار، فلما دخل الحمار ودخل صدره، تعلق إبليس بذنبه، فلم تستقل رجلاه، فجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع، حتى قال نوح: ويحك ادخل، ولو كان الشيطان معك، كلمة زلت على لسانه، فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل، ودخل الشيطان معه، فقال له نوح: ما أدخلك علي يا عدو الله؟ (فقال: ألم تقل: ادخل ولو كان الشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله)(١)، قال: مالك بد من أن تحملني معك.. وكان فيما

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٥/ ٣١١، وفي تاريخ الرسل والملوك ١/ ١٨٤.

(٢) الطبري في تفسيره ١٥/ ٣٢٦، وفي تاريخ الرسل والملوك ١/ ١٨٧، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٠٣٠.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٤/ ١٧٧، لباب التأويل للخازن ٣/ ٣٠٣.

يزعمون في ظهر الفلك[1].

قال آخر: وروي أن الحية والعقرب أتيا نوحا، فقالتا: احملنا، فقال نوح: إنكما سبب الضر والبلايا والأوجاع لا أحملكما، قالتا: احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك، فمن قرأ حين خاف مضرتهما ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٩ ـ ٨١] ما ضرتاه[2].

قال آخر: وروي أن نوحا لما أمر أن يصنع الفلك قال: يا رب، وأين الخشب؟ قال: اغرس الشجر، فغرس الساج عشرين سنة، وكف عن الدعاء، وكفوا عن الاستهزاء، فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها، وجففها، فقال: يا رب، كيف أتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاثة صور؛ رأسه كرأس الديك، وجؤجؤه كجؤجؤ الطير، وذنبه كذنب الديك، واجعلها مطبقة، واجعل لها أبوابا في جنبها، وشدها بدسر ـ يعني: مسامير الحديد ـ، وبعث الله جبريل، فعلمه صنعة السفينة، فكانوا يمرون به ويسخرون منه، ويقولون: ألا ترون إلى هذا المجنون، يتخذ بيتا يسير به على الماء، وأين الماء!؟ ويضحكون، وذلك قوله: ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾، فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها، وستين ذراعا في الأرض، وعرضها ثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثون، وأمر أن يطليها بالقار، ولم يكن في الأرض قار، ففجر الله له عين القار حيث تنحت السفينة تغلي غليانا حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب وأطبقها، فحمل فيها السباع والدواب، فألقى الله على الأسد الحمى، وشغله بنفسه عن الدواب، وجعل الوحش والطير في الباب الثاني، ثم أطبق عليها، وجعل ولد آدم أربعين رجلا وأربعين امرأة في الباب الأعلى، ثم أطبق عليهم، وجعل الدرة معه في

---

(١) الطبري في تفسيره ١٥/ ٣١٤، وفي تاريخ الرسل والملوك ١/ ١٨٤.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٤/ ١٧٧، لباب التأويل للخازن ٣/ ٣٠٤.

الباب الأعلى؛ لضعفها ألا تطأها الدواب[1].

قال آخر: وروي أن نوحا اتخذ السفينة في سنتين، وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد[2].

قال أحد الحضور: لكن هذا الذي ذكرته يتناقض مع ما ذكرتموه في روايات سابقة؛ فبأي رواية نصدق، أبهذه الرواية أم بالرواية السابقة؟

قال أحد الحشوية بغضب: صدق بالجميع.. فما الضرر في أن تكون السفينة بتلك الأبعاد التي تراها أنت متناقضة.. بينما هي في الحقيقة ليست متناقضة.. التناقض في عقلك وليس في الرويات.

قال آخر: دعنا من هذا.. ولنواصل وصف تلك السفينة العجيبة.. لقد ذكر رواتنا الكبار الثقاة العدول أن الله تعالى أمر نوحا عليه السلام أن يطليها بالقار، وهو الدهان الأسود الذي يطلى به الخشب والإبل وهو ما يعرف بالزفت أو شيء من هذا المعنى، أمر أن يطليها بالقار، ولم يكن في الأرض قار؛ ففجر الله له عين القار حيث تنحت السفينة تغلي غليانا حتى طلاها؛ فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب، وأطبقها وحمل فيها السباع والدواب؛ فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب، وجعل الوحش والطير في الباب الثاني، ثم أطبق عليهما[3].

من قصة إبراهيم:

---

(١) ابن عساكر ٦٢/ ٢٤٨.

(٢) ابن عساكر ٦٢/ ٢٤٨.

(٣) ابن عساكر ٦٢/ ٢٤٨.

بعد أن انتهوا من إيراد كل تلك الروايات العجيبة الغريبة المملوءة بالخرافات، قال أحد الحشوية: هل رأيتم العجائب الواردة في هذا الأحاديث العظيمة.. وهل يمكنكم من دونها أن تعرفوا تلك الأسرار العظيمة المتعلقة بعلم الحيوان، والتي عجز العلم الحديث عن الوصول إليها، فلذلك راح يتبنى معلومات خاطئة بدلها؟.. وهل يمكنكم أن تعرفوا تلك المعارف التي تعينكم على تصور السفينة من دونها؟.. أليس ذلك وحده ما يجعلكم تفهمون القرآن الكريم حق فهمه، وتتدبرونه حق تدبره؟

قال أحد الحضور: فأخبرونا عما ورد في الكتب التي أشدتم بها عن تفسير قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فمن المقصود في الآية الكريمة، هل هو إسماعيل أم إسحق عليهما السلام؟

قال أحد الحشوية: لاشك أنه إسحق عليه السلام.. وقد قال شيخنا ابن جرير الطبري في ذلك: (وكان فيما ذكر أن إبراهيم عليه السلام نذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولدا أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحا، فلما بلغ إسحاق مع أبيه السعي أري إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال)[1]

قال آخر: ثم ذكر من الروايات التي تدل على هذا رواية عن السدي، يقول فيها: (قال جبرائيل لسارة: أبشري بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فضربت جبهتها عجبا.. قالت سارة لجبريل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عودا يابسا، فلواه بين أصابعه، فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هو لله إذن ذبيح، فلما كبر إسحاق أتي إبراهيم في النوم، فقيل

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٧٤)

له: أوف بنذرك الذي نذرت، إن الله رزقك غلاما من سارة أن تذبحه، فقال لإسحاق: انطلق نقرب قربانا إلى الله، وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ ﴿قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فقال له إسحاق: يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء، فتراه سارة فتحزن، وأسرع مر السكين على حلقي؛ ليكون أهون للموت علي، فإذا أتيت سارة فاقرأ عليها مني السلام، فأقبل عليه إبراهيم يقبله وقد ربطه وهو يبكي وإسحاق يبكي، حتى استنقع الدموع تحت خد إسحاق، ثم إنه جر السكين على حلقه، فلم تحك السكين، وضرب الله صفيحة من النحاس على حلق إسحاق، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه، وحز من قفاه، فذلك قوله (فلما أسلما)يقول: سلما لله الأمر (وتله للجبين)فنودي يا إبراهيم (قد صدقت الرؤيا)بالحق فالتفت فإذا بكبش، فأخذه وخلى عن ابنه، فأكب على ابنه يقبله، وهو يقول: اليوم يا بني وهبت لي؛ فلذلك يقول الله: (وفديناه بذبح عظيم)فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر، فجزعت سارة وقالت: يا إبراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني!)[1]

قال آخر: وروى عن عبد الله بن عمير قال: (قال موسى: يا رب يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فبم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئا قط إلا اختارني عليه، وإن إسحاق جاد لي بالذبح، وهو بغير ذلك أجود، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن)[2]

قال آخر: وروى عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفي، أخبره أن كعبا

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٧٥)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٠)

قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا، فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت سارة: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه! قالت سارة: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه! قال الشيطان: بلى والله! قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قالت سارة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك، فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكن غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني! قال: بلى؛ قال: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنه، قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديا بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه، قال: لم أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك؛ قال: الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن؛ قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم، قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بني، فإن الله قد أعفاك؛ وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها؛ قال، قال إسحاق: اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي، أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا، فأدخله الجنة [1].

قال آخر: وروى عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار أن الذي أمر إبراهيم بذبحه من

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٨١)

ابنيه إسحاق، وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذي كان فيه، قال الله لإسحاق: إني قد أعطيتك بصبرك لأمري دعوة أعطيك فيها ما سألت، فسلني، قال: رب أسألك أن لا تعذب عبدا من عبادك لقيك وهو يؤمن بك، فكانت تلك مسألته التي سأل[1].

قال آخر: وقد حكى الطبري وغيره هذا القول عن أعلام السلف كابن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، بالإضافة لأكثر من عشرة من سادات التابعين[2] .

قال آخر: وبعد أن حكى الأقوال المختلفة في هذا عقب عليها مرجحا بقوله: (وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧] فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] فإذ كان المفدي بالذبح من ابنيه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن، وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له، فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٨٢)

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٧٩)

ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفدي هو المبشر به)[1]

قال آخر: وقد فند كل الأدلة التي استدل بها القائلون بأن المفدى هو إسماعيل عليه السلام، فقال: (وأما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم، فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد ولد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوه إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك، وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى الكعبة، وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه)[2]

من قصة يوسف:

بعد أن انتهوا من إيراد كل تلك الروايات المخالفة لدلالة القرآن الكريم الواضحة في كون الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، قال أحد الحضور: فأخبرونا عما ورد في الكتب التي أشدتم بها عن أسماء الكواكب الواردة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٨٦)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٦)

قال أحد الحشوية: بوركت في هذا السؤال، والجواب عنه وحده كاف للدلالة على أن كل ما ذكره هؤلاء المثرثرون ليس سوى جعجعة بلا طحين.. فلن تجدوا أسماء هذه الكواكب إلا في تفاسيرنا المعتمدة، تلك التي أثنى عليها شيخ الإسلام، واعتبرها الكتب الوحيدة المفسرة للقرآن الكريم بعيدا عن البدع والمبتدعة.

قال آخر: وبخصوص سؤالكم المهم والوجيه، والدال على اهتمامكم بالمعارف القرآنية، فقد روى أئمتنا العظام أن بستانيا يهوديا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام ساجدة له، ما أسماؤها؟ فسكت النبي ﷺ فلم يجبه بشيء؛ فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها، فبعث رسول الله ﷺ إلى البستاني اليهودي فقال: (هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها)، قال: نعم: قال: (حرثان، والطارق والذيال وذو الكفتان، وقابس، ودنان، وهودان، والفيلق، والمصبح، والضروح، والفريخ، والضياء، والنور، رآها في آفق السماء ساجدة له فلما قص يوسف على يعقوب قال: هذا أمر مشتت يجمعه الله من بعد) فقال اليهودي: إي والله، إنها لأسماؤها[1].

قال أحد الحضور: فما قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا

---

(١) الحديث سعيد بن منصور في سننه ٥/ ٣٧٧، والبيهقي في دلائل النبوة٦/ ٢٧٧، ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٤٥. والحديث ضعفه البزار والعقيلي، بل قال ابن حبان: لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ، وقال أبو زرعة: هذا حديث منكر ليس بشيء، وقال ابن الجوزي: موضوع، وتفرد به الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي، وهو ضعيف باتفاق، وتركه البخاري وجماعة، واتهمه بعضهم، توفي سنة (١٨٠ هـ) انظر: تهذيب الكمال للمزي ٢/ ٤٢٧، تقريب التهذيب لابن حجر (١٤٥٤)، انظر: هامش تفسير الثعلبي (١٤/ ٤٩١)

لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاؤُا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ٧ـ١٧]

قال أحد الحشوية: في هذه الآيات عجائب كثيرة، لا يمكن معرفتها من دون علمائنا الربانيين الذين ذكرناهم لكم.. ومن تلك العجائب أن يعقوب أرسل يوسف معهم، فأخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة، وجعل أخوه يضربه، فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيما، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح ويقول: يا ابتاه! يا يعقوب! لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء.. فلما كادوا أن يقتلوه، قال لهم يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقا لا تقتلوه؛ فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه، فجعلوا يدلونه في البئر؛ فيتعلق بشفير البئر؛ فربطوا يديه ونزعوا قميصه؛ فقال: يا إخوتاه! ردوا علي القميص أتوارى به في الجب، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك، قال: إني لم أر شيئا، فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه؛ إرادة أن يموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة فيها فقام عليها، فلما ألقوه في الجب جعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه، فقام يهوذا فمنعهم، وقال: قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه، وكان يهوذا يأتيه بالطعام(١).

قال آخر: وروي أن الله تعالى أمر الصخرة حتى ارتفعت من أسفل البئر فوقع يوسف عليها وهو عريان، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقي في النار جرد من

---

(١) الطبري ١٥/ ٥٧٤ بتمامه، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢١١٠.

ثيابه وقذف في النار عريانا، فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات إسحاق ورثه يعقوب، فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه، وكان لا يفارقه، فلما ألقي في البئر عريانا جاءه جبريل ـ وكان عليه ذلك التعويذ ـ فأخرج القميص منه، فألبسه إياه(١).

قال أحد الحضور: فأخبرونا عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]

قال أحد الحضور: لقد رويت في ذلك روايات عديدة تبدو متعارضة، لكنا نصدق بها جميعا، فعقولنا أقل من تفهم الدين.. ومن تلك الروايات ما روي عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي أن المبلغ كان: عشرين درهما، فاقتسموها درهمين درهمين(٢).. ومنها ما قال مجاهد، وهو أنها اثنان وعشرون درهما(٣).. وقال عكرمة: أربعون درهما(٤).

من قصة موسى:

قال أحد الحضور: فأخبرونا عما ورد في الكتب التي أشدتم بها عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٧ ـ ١٨]

قال أحد الحشوية: بورك فيك، وفي سؤالك الوجيه.. وقد ذكر علماؤنا لتلك العصا عجائب وأخبارا كثيرة.. ومنها أن موسى عليه السلام كان يحمل على عصاه زاده وسقاه، فجعلت تماشيه وتحدثه، وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وكان يرد بها غنمه، وتقيه الهوام بإذن الله، وإذا ظهر له عدو

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ١٩٠ عن كعب.

(٢) الطبري ١٦/ ١٣، وابن أبي شيبة وابن المنذر والحاكم كما في الدر المنثور للسيوطي ٤/ ١٨.

(٣) الطبري ١٦/ ١٤.

(٤) ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢١١٦.

حاربت وناضلت عنه، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي، وكان يظهر على شعبتيها كالشمعتين بالليل تضيء له ويهتدي بها، وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض فتغصنت غصن تلك الشجرة وأورقت ورقها وأثمرت ثمرها فهذه المآرب[1].

قال أحد الحضور: فما معنى قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ٢٠]

قال أحد الحشوية: روي عن أئمتنا الكبار في تفسيرها أنها صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس، وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانا وهو أكبر ما يكون من الحيات[2].

قال آخر: وروي أنه لما قيل لموسى عليه السلام: ألقها يا موسى، ألقاها، فإذا هي حية تسعى، ولم تكن قبل ذلك حية، فمرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعتها، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، فولى مدبرا، فنودي أن يا موسى خذها، فلم يأخذها، ثم نودي الثانية: أن خذها ولا تخف، فلم يأخذها، فقيل له في الثالثة: إنك من الآمنين، فأخذها[3] .

قال أحد الحضور: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٢ ـ ١٣٥]

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٦٩، مختصرا، مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٢٧ بمعناه، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ١٨٧ مختصرا، لباب التأويل للخازن ٣/ ٢٦٦، مختصرا. قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٩/ ٣٢٠: ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية.

(٢) معالم التنزيل ٥/ ٢٦٩.

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٢٩٥)

قال أحد الحشوية[1]: بورك فيك، وفي سؤالك الوجيه، وقد روي عن أئمتنا الكبار في تفسيرها أنه لما آمنت السحرة، رجع فرعون عدو الله مغلوبا معلولا، ثم أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر، فتابع الله عز وجل عليهم بالآيات، وأخذهم بالسنين، ونقص من الثمرات، فلما عالج موسى عليه السلام منهم بالآيات الأربع: العصا واليد والسنين ونقص من الثمار، دعا فقال: يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض، وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة، ولقومي عظة ولمن بعدهم من الأمم الباقية آية وعبرة، فبعث الله عز وجل عليهم الطوفان، وهو الماء أرسل الله تعالى عليهم السماء حتى كادوا أن يهلكوا، وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض، فامتلأت بيوت القبط ماء، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، من جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، وفاض الماء على وجه أرضهم وركد، لا يقدرون على أن يحرثوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا، ودام عليهم ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت، فقالوا لموسى عليه السلام: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، وعادوا بشر ما بحضرتهم، فأنبت الله تعالى لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأعشبت بلادهم وأخصبت، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، وما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا، وما يسرنا أنا لم نمطر.

قال آخر[2]: فأقاموا شهرا في عافية، فبعث الله تعالى عليهم الجراد، فأكلت عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر وأنواع الزهر، حتى إن كانت لتأكل الأبواب، وسقوف البيت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد، حتى تقع دورهم، وابتلي

---

(١) تفسير الثعلبي (١٢/ ٤٨٣)

(٢) تفسير الثعلبي (١٢/ ٤٨٤)

الجراد بالجوع فجعلت لا تشبع، غير أنه لايدخل بيوت بني إسرائيل، ولا يصيبهم من ذلك شيء، فعجوا وضجوا، وقالوا: ياموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام، فكشف الله تعالى عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، وروي أن موسى عليه السلام برز إلى الفضاء، فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت، حتى كأن لم يكن قط، وكان قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، وما نحن بتاركي ديننا، ولا نرسل معك بني إسرائيل، ولم يفوا بما عهدوا، وعادوا إلى أعمالهم السوء.

قال آخر[1]: فأقاموا شهرا في عافية، ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل، وأمر موسى عليه السلام أن يمشي إلى كثيب أعفر، بقرية من قرى مصر، تدعى عين الشمس فمشى موسى عليه السلام إلى ذلك الكثيب وكان أهيل عظيما، فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا، فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم، فأكله ولحس الأرض كلها، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه، وكان يأكل أحدهم الطعام، فيمتلئ قملا، حتى إن أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص، فيزلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء، يرفع فوقها الطعام، فإذا صعد إليه ليأكله، وجده ملآن قملا.. وكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا، فلا يرد منها ثلاثة أقفزة، فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل، وأخذت أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحوا جبهم، ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم، ومنعتهم النوم والقرار، فلم يستطيعوا له حيلة، فصرخوا وصاحوا إلى موسى عليه السلام إنا نتوب ولا نعود، فادع لنا ربك فيكشف عنا هذا البلاء، فدعا موسى عليه السلام فرفع

(١) تفسير الثعلبي (١٢/ ٤٨٥)

الله تعالى القمل عنهم بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم، وقالوا: ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم، يجعل الرمل دواب، وعزة فرعون لا نصدقه أبدا ولا نتبعه.

قال آخر[1]: فدعا موسى عليه السلام عليهم بعدما أقاموا شهرا في عافية، فأرسل الله عليهم الضفادع، فدخلت عليهم دورهم، وامتلأت منها بيوتهم وأطعمتهم وأفنيتهم وأنديتهم، فلا يكشف أحد ثوبا ولا إناء ولا طعاما ولا شرابا إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكانت تثب في قدورهم تفسد عليهم طعامهم، وتطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع، فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاما، حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر، ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجينا إلا تسدحت فيه، ولا يطبخ قدرا إلا أمتلأت ضفادع، فلقوا منها أذى شديدا.. وروي أن الضفادع كانت برية، فلما أرسلها الله تعالى على آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تقذف أنفسها في القدور، وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء.. فلما رأو ذلك بكوا وشكوا إلى موسى عليه السلام، وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعود، فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه فكشف الله تعالى عنهم الضفادع، بعدما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت، فأقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد، وعادوا لكفرهم وتكذيبهم.

قال آخر[2]: فدعا عليهم موسى عليه السلام، فأرسل الله تعالى عليهم الدم، فسال النيل عليهم دما، وصارت مياههم دما كلها، فما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوا دما عبيطا أحمر، فشكوا إلى فرعون، وقالوا: إنا قد ابتلينا بهذا الدم، وليس لنا شراب، فقال: إنه

---

(١) تفسير الثعلبي (١٢/ ٤٨٧)

(٢) تفسير الثعلبي (١٢/ ٤٨٨)

قد سحركم، فقالوا: من أين سحرنا؟ ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا دما عبيطا أحمر، فكان فرعون يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد، القبطي والآخر الإسرائيلي، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دما، وكان القبطي والإسرائيلي يستقيان من ماء واحد، فيخرج ماء هذا القبطي دما، ويخرج للإسرائلي ماء عذبا، فيقومان إلى الجر فيه الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دما، حتى إن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل، حين جهدهم العطش فتقول: اسقيني من مائك، فتغرف لها من جرتها، أو تصب لها من قربتها، فيعود في الإناء دما، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مجيه في في، فتأخذ في فيها ماء، فإذا مجته في فيها صار دما، قالوا: والنيل على ذلك يسقي الزروع، فإذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا، وإن فرعون اعتراه العطش، حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحا أجاجا، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم، ولا يشربون إلا الدم، فأتوا موسى عليه السلام وقالوا: ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم؛ فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل.

ب ـ ردود وإجابات:

بعد أن ذكر الحشوية هذا وغيره مما سبق أن ذكرت أمثلة عنه في الرحلة السابقة عند بيان [القرآن وعقبات التأويل] التفت أحد الحشوية إلى الحكماء، وقال: بعد أن سمعتم كل هذه العلوم العظيمة، نتحداكم أمام هذه الجمع المبارك أن تأتوا بمثلها من غير هذه المصادر التي تنتقدونها، بل تتهمونها، بل تحتقرونها.. بل نتحداكم أن تأتوا بأقصر قصة منها.

قال أحد الحكماء: إن عجزنا عن جوابكم إلى ما طلبتم لا يعني أننا مبطلون، بل قد يعني أننا محقون.. فعدم إجابتك للص الذي يتحداك في أن تتقن اللصوصية كإتقانه لها، أو

القاتل الذي يتحداك بأن تقتل مثله وبدم بارد، لا يعني أنك فشلت.. بل يعني أنك انتصرت.. لأنك وقفت في صف الحق، ولم تقف في صف الجريمة والباطل.

قال أحد الحشوية: هل وصل بكم الأمر إلى مقارنتنا بهؤلاء المجرمين؟

قال الحكيم: معاذ الله أن نقرنكم بهم؛ فهم مع جرائمهم الشديدة، أقل جرما منكم.. فجرائمهم ترتبط بحياة الناس الدنيوية المادية التي سرعان ما تنقضي، وجرائمكم ترتبط بالدين، وبالدار الآخرة، والحياة الأبدية.

قال أحد الحضور: نرجو أن توضحوا لنا أدلتكم على ذلك، حتى لا ننزل بكم الأحكام الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]

قال أحد الحكماء: معاذ الله أن نكون مدعين في ذلك.. فجرائم هؤلاء في حقكم وحق الدين أكثر من أن يحصى خطرها، وأدناها أربعة جرائم: الكذب والتزوير.. والتساهل والتمييع.. والفضول والتكلف.. والغفلة والتناقض.

الكذب والتزوير:

قال أحد الحضور: فحدثنا عن أدلتكم على الجريمة الأولى.. جريمة الكذب والتزوير.

قال الحكيم: لاشك أنكم تعلمون أن الكذب والتزوير يشتدان ويعظمان كلما عظمت الجهة التي يتوجهان إليها.

قال أحد الحضور: صحيح.. ولهذا اعتبر الله تعالى في آيات عديدة الكذب على الله والافتراء على دينه أعظم أنواع الظلم، ذلك أنه يشبه من يضع السموم في الأدوية، فيصبح ملاذ الشفاء سبب الموت، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].. ثم بين أن الكذب الذي أدمنوا عليه في الدنيا، يبقى معهم في الآخرة، وأنهم يلجؤون إلى ما كانوا يلجؤون إليه في الدنيا من الاحتيال على تشويه الحقائق بالقسم ونحوه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢ ـ ٢٤]

قال آخر: وقبل هذه الآيات الكريمة أشار الله تعالى إلى أن تكذيب هؤلاء للحقائق ليس ناشئا عن ضعف أدلتها، وإنما لما أدمنت عليه نفوسهم من الكذب؛ فصاروا يتصورون كل الخلق مثلهم، حتى أنبياء الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠]

قال آخر: وفي آية أخرى ذكر الله تعالى أن الذين يفترون على الله الكذب، قد يتفاقم وضعهم، إلى أن يدعو تنزل وحي الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ثم بين عاقبة هؤلاء لينفر النفوس منها، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].. وهي تبين أن المنبع الذي نبع منه هذا النوع من الكذب هو الكبرياء، ذلك أن المستكبر لا يستطيع أن يسلم لغيره، ولهذا يلجأ إلى الكذب والافتراء ليشكل دينا على مقاسه ومزاجه.

قال الحكيم: ولهذا؛ فإن الكاذب على الله من أخطر المجرمين، لأنه لا يقتل أجساد الناس، وإنما يقتل أرواحهم، ويسمم منابع الهداية التي أنزلها الله عليهم، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]

قال أحد الحشوية: لكن كيف تطبقون علينا كل تلك الآيات التي وصف الله بها الكفرة المضللين؛ فأين نحن منهم، وأين هم منا؟

قال الحكيم: ألم تسمعوا قوله ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذارع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم)، فقلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن هما)[1]

قالوا: بلى.. فما علاقتها بهذا؟

قال الحكيم: كما أن أولئك قاموا بتحريف كتبهم وتبديل ألفاظها لتتناسب مع أمزجتهم؛ فقد قام أسلافكم الذين تدعون لهم أيضا بنفس الشيء؛ فقد راحوا يمارسون الكذب من خلال تصديقهم للكذبة؛ فتصديق الكاذب، ونشر كذبه كذب محقق.. بل إن ناشر الكذب أكثر جرما من الكاذب نفسه.

قالوا: كيف ذلك؟

قال الحكيم: أنتم تعلمون أن الله تعالى أخبر عن كذب اليهود، وتزويرهم لكتبهم، فهل تشكون في ذلك؟

قال أحد الحضور: وكيف نشك في ذلك، وقد قال تعالى عنهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]، وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ

---

(١) البخاري (٤٣٥٦) ومسلم (٢٦٦٩)

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]

الأسانيد:

قال أحد الحكماء: وأنتم تعلمون أن أكثر تلك الروايات التي أوردتموها إما أنها نقلت عن كعب الأحبار وغيره من اليهود، أو من تلاميذهم الذي تتملذوا على أيديهم.. وهم في ذلك بين أمرين: إما أن يكونوا قد نقلوها من كتبهم التي أخبر الله تعالى عن تحريفها وتزويرها، وإما أن يكونوا قد اخترعوها من عند أنفسهم.

قال آخر: وفي كلا الحالتين هم كذبة ومزورون، لأن الذي ينقل من كتاب في كذب وتزوير، ولا يبين ذلك، مشارك في جريمة الكذب والتزوير.

قال أحد الحشوية: ولكن من تلك الروايات التي أوردناها ما روي عن ابن عباس ذلك الذي دعا رسول الله ﷺ بأن يعلم تأويل القرآن.. فهل تعتبرون ابن عباس كاذبا ومدلسا.

قال آخر: ألم تعلموا أن كل جهابذة التفسير والحديث رووا أحاديثه، وزينوا بها تفاسيرهم؛ فهل أنتم أكثر ورعا وحرصا على الدين منهم؟

قال آخر: ألم تطلعوا على تفسيره العظيم المسمى [تنوير المقياس من تفسير ابن عباس]، ذاك الذي جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعي، صاحب القاموس المحيط؟

قال الحكيم: وكيف لا نطلع عليه، وعلى ما في غيره من الروايات، وهل يمكن لأحد أن يرد أمرا دون أن يبذل كل جهده في البحث عنه؟

قال آخر: لقد وجدنا من خلال اطلاعنا على الكتاب المذكور أن جميع ما روي عن

ابن عباس فيه يدور على محمد بن مروان السدى الصغير، عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس.. وقد قال الذهبي في ترجمته للسدي: (محمد بن مروان السدي الكوفي، وهو السدي الصغير، يروي عن هشام بن عروة والأعمش، تركوه، واتهمه بعضهم بالكذب، وهو صاحب الكلبي)[1]

قال آخر: وأما الكلبي، فهو محمد بن السائب الكلبي، أبو النضر الكوفي المفسر، وهو وضاع مشهور.. قال سفيان: قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب.. وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في تفسير الكلبى ؟ قال: لا.. وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به)[2].. ومثل ذلك قال ابن معين: (بالعراق كتاب ينبغي أن يدفن: تفسير الكلبي عن أبى صالح)[3]

قال آخر[4]: وهكذا لو تتبعنا أكثر الطرق التي رويت عن ابن عباس في التفسير لوجدنا صدق ما روي عن الشافعي بشأنه، فقد قال: (لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث)

قال أحد الحشوية: نحن نعرف ذلك أيضا.. ولهذا نحن ننتقي أجود الطرق إليه، وأكثرها وثاقة؟

قال الحكيم: فما هي أجودها عندكم؟

قال الحشوي[5]: طريق ابن إسحاق صاحب السير، عن محمد بن أبى محمد مولى آل

---

(١) ميزان الاعتدال (٤ / ٣٢)

(٢) ميزان الاعتدال (٣ / ٥٥٧ ـ ٥٥٩)

(٣) ميزان الاعتدال (١ / ٦٤٥)

(٤) التفسير والمفسرون، الذهبي: ١ / ٦١.

(٥) التفسير والمفسرون، الذهبي: ١ / ٦٠.

زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهى طريق جيدة وإسنادها حسن وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيراً، وأخرج الطبرانى منها فى معجمه الكبير.

قال الحكيم: ما دمتم تعتبرون هذه الطريق أفضل الطرق عندكم.. فأخبروني عن موقفكم من مالك بن أنس، وهل تقبلونه حكما بيننا؟

قال الحشوي: طبعا؛ فالإمام مالك من كبار أئمة السلف، وقد أشاد به به كل علمائنا الربانيين ابتداء من ابن تيمية، والذي اعتبره من كبار مراجع السنة، والذين يرجع إليهم عند الخلاف؛ ومما قاله عنه: (لا ريب عند أحد أن مالكا أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأيا؛ فإنه لم يكن في عصره ولا بعده أقوم بذلك منه كان له من المكانة عند أهل الإسلام الخاص منهم والعام ما لا يخفى على من له بالعلم أدنى إلمام..ولهذا قال الشافعي: ما تحت أديم السماء كتاب أكثر صوابا بعد كتاب الله من موطأ مالك، وهو كما قال الشافعي)[1]

قال الحكيم: لقد ذكر ابن حبان موقف مالك منه، وسببه، فقال: (.. لما صنف مالك الموطأ قال ابن إسحاق: ائتوني به فأنا بيطاره، فنقل إلى مالك فقال: هذا دجال من الدجاجلة، يروي عن اليهود، وكان بينهم ما يكون بين الناس حتى عزم محمد بن إسحاق على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ فأعطاه مالك عند الوداع خمسين دينارا ونصف ثمرته تلك السنة، ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ عن أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وبني قريظة، والنضير، ما أشبهها من الغزوات عن أسلافهم، وكان ابن إسحاق يتتبع هذا عنهم ليعلم من غير أن يحتج بهم، وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق فاضل يحسن ما

(١) مجموع الفتاوى، (٢٠/ ٣٢٠)

يروي ويدري ما يحدث)[1].. وهذا يدل على أن مالكا ـ على حسب هذه الرواية ـ من الذين يشككون في تلك القصص التي رواها ابن إسحق عن اليهود، ذلك أنه كان ينقل عنهم، من غير أن يكون لهم ـ كما يذكر مالك ـ الإتقان والصدق والفضل.

قال الحشوي: وما أدرانا بصدق ما أورده ابن حبان عنه.. فقد يكون من المتوهمين المخطئين في حقه.

قال الحكيم: لم يكن اتهامه قاصرا على ما ذكره ابن حبان من اتهام مالك له بالكذب والأخذ عن اليهود، وإنما ذكره غيره أيضا، فهم يتفقون جميعا على موقف مالك المتشدد من كل روايات ابن إسحق، فقد حدث ابن إدريس قال: (قلت لمالك بن أنس وذكر المغازي فقلت: قال ابن إسحاق: أنا بيطارها، فقال: قال لك: أنا بيطارها؟ نحن نفيناه عن المدينة)[2].. وقال أبو جعفر العقيلي: (حدثني أسلم بن سهل، حدثني محمد بن عمرو بن عون، حدثنا محمد بن يحيى بن سعيد القطان قال: قال أبي: سمعت مالكا يقول: يا أهل العراق من يغت ـ أي يفسد ـ عليكم بعد محمد بن إسحاق)[3].. وقال محمد بن الحسين القطان: (أنبأنا دعلج بن أحمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي الأبار قال: نبأنا إبراهيم بن زياد سبلان قال: نبأنا حسين بن عروة قال: سمعت مالك بن أنس يقول: محمد بن إسحاق كذاب)[4]

قال آخر: ولم يكن ذلك موقف مالك لوحده، بل شاركه فيه غيره من كبار العلماء والمحدثين المتقدمين، ومنهم هشام بن عروة؛ فقد روى الرازي عن يحيى بن سعيد القطان قال: (قال هشام بن عروة: هو كان يدخل على امرأتي؟ ـ يعني محمد بن إسحاق ـ كالمنكر)،

(١) الثقات، ٧/ ٣٨١ ـ ٣٨٣.

(٢) الجرح والتعديل ٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥١، تاريخ بغداد ١/ ٢٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٥٣.

(٤) تاريخ بغداد ١/ ٢٢٣.

وقال في رواية أخرى قال: (أهو كان يصل إليها؟ وقال الرازي: قال عمر بن حبيب: قلت لهشام بن عروة: حدثنا محمد بن إسحاق قال: ذاك كذاب)[1]

قال آخر: ومنهم يحيى القطان، فقد روى الغلاس عنه قال: (كنا عند وهب بن جرير، فانصرفنا من عنده فمررنا بيحيى القطان فقال: أين كنتم؟ فقلنا: كنا عند وهب بن جرير ـ يعني نقرأ عليه كتاب المغازي عن أبيه، عن ابن إسحاق ـ فقال: (تنصرفون من عنده بكذب كثير)، وقال عنه: (ما تركت حديثه إلا لله، أشهد أنه كذاب)[2].. وقال ـ يذكر مصادره على كذبه: (قال لي وهيب بن خالد: إنه كذاب، قلت لوهيب: ما يدريك؟ قال: قال لي مالك: أشهد أنه كذاب، قلت لمالك: ما يدريك؟ قال: قال لي هشام بن عروة: أشهد أنه كذاب، قلت لهشام: ما يدريك؟ قال: حدث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، ودخلت علي وهي ابنة تسع سنين، وما رآها حتى لقيت الله)[3]

قال آخر: وهكذا قال عنه كبار علماء الجرح والتعديل، والذين ذكروا مدى صلته باليهود، فقد قال ابن المديني: (ثقة، لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب)

قال الحشوي: لكن هناك الكثير ممن لم يتهمه بالكذب.. فلم تقبلون من اتهمه بالكذب، وترفضون غيرهم من الذين وثقوه.

قال آخر: لقد بحثنا في غير هؤلاء الذين اتهموه بالكذب؛ فوجدناهم يتهمونه بأخي الكذب، وهو التدليس، وهو لا يقل عن الكذب، ولعل الإجماع قائم على ذلك، فقد قال الرازي: (قال الأثرم لأبي عبد الله: ما تقول في محمد بن إسحاق؟ قال: هو كثير التدليس جدا، فكان أحسن حديثه عندي ما قال: أخبرني وسمعت)[4].. وقال أبو داود: (سمعت

---

(1) الجرح والتعديل ٧/ ١٩٣، تاريخ بغداد ١/ ٢٢٢.

(2) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٩ ـ ٥٢.

(3) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٩ ـ ٥٢.

(4) الجرح والتعديل ٧/ ١٩٤، عيون الأثر ١/ ١٢.

أحمد بن حنبل ذكره فقال: كان رجلا يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه)[1].. وقال ابن حبان: (وإنما أتى لأنه كان يدلس على الضعفاء فوقع المناكير في روايته من قبل أولئك، فأما إذا بين السماع فيما يرويه فيما يرويه فهو ثبت، يحتج بروايته)[2]

قال آخر: ولهذا ذكره ابن حجر في الطبقة الرابعة من طبقات المدلسين، وهم (من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع؛ لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل)[3].. وقال عنه الذهبي: (إنه أول من دون العلم بالمدينة قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحراً عَجَّاجاً، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي)[4]، وذكر أنه أهل الجرح والتعديل اعتبروه صدوقا يدلس، وأنه (يروي الغرائب، ويحدِّث عن المجهولين بأحاديث باطلة)

قال آخر: ويظهر ذلك بوضوح لمن طالع سيرته، حيث أنه يعتمد على مجهولين في أسانيده، فيقول مثلا: (حدثني بعض أهل العلم) أو (حدثني بعض أهل مكة) أو (حدثني من لا أتهم)، وإذا ما شك في صحة الرواية عبر عن ذلك بقوله: (فيما يذكرون) أو (فيما يزعمون).. كما أنه يجمع الروايات أحياناً مع بعضها دون تمييز لها، ويقدم لها بذكر الأسانيد مجموعة، ويسوق ملخصها .

قال الحشوي: لكنا نروي أحاديث ابن عباس من طرق أخرى.. ومنها مثلا طريق عبد الملك بن جريج، عن ابن عباس.

قال الحكيم[5]: وهي أيضا تحتاج إلى دقة في البحث، ليُعرف الصحيح منها والسقيم، فإن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع، وإنما روى ما ذُكِرَ فى كل آية من الصحيح والسقيم،

---

(١) عيون الأثر ١/ ١٢، التهذيب ٩/ ٤٣.

(٢) الثقات لابن حبان ٧/ ٣٨٣.

(٣) طبقات المدلسين ص ٢٢ ـ ٧٩.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/ ٥٣.

(٥) التفسير والمفسرون، الذهبي: ١/ ٦٠.

فلم يتميز فى روايته الصحيح من غيره.

قال الحشوي: لا بأس.. فما تقول في طريق الضحاك بن مزاحم الهلالى عن ابن عباس، فقد وَثَّقه نفر كبير من المحدثين؟

قال الحكيم[1]: لكن طريقه إلى ابن عباس منقطعة، لأنه روى عنه ولم يلقه، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة، عن أبى روق، عن الضحَّاك، وهي ضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبى حاتم.. وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفاً، لأن جويبر شديد الضعف متروك، ولم يُخَرِّج ابن جرير ولا ابن أبى حاتم من هذه الطريق شيئاً، إنما خرَّجها ابن مردويه، وأبو الشيخ بن حبان.

قال الحشوي[2]: لا بأس.. فما تقول في طريق مقاتل بن سليمان الأزدى الخراسانى، وهو المفسِّر الذى يُنسب إلى الشافعى أنه قال فيه: (إن الناس عيال عليه فى التفسير).. وله هو الآخر تفسير جميل للقرآن الكريم، ونحن ننقل منه كثيرا.

قال الحكيم: أجل.. وقد قال ابن المبارك عنه: (ما أحسن تفسير مقاتل لو كان ثقة)[3]

قال آخر: ولو رجعنا إلى الكتب المؤرخة للملل والنحل نجد من أقواله العجب العجاب، فقد قال الأشعري ـ والذي يرجع إليه ابن تيمية وغيره كثيرا عند إيراد أقوال أصحاب الفرق المختلفة ـ: (حكي عن أصحاب مقاتل أن الله جسم، وأن له جثةً، وأنه على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم وجوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس وعينين مصمت، وهو مع ذلك لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره)[4]

قال آخر: وقال ابن حبان عنه: (كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي

---

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي: ١/ ٦٠.

(٢) التفسير والمفسرون، الذهبي: ١/ ٦٠.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ١٧٣.

(٤) مقالات الإسلاميين ١٥٢و٢٠٩.

يوافق كتبهم، وكان مشبهاً يشبه الرب بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث)[1]

قال آخر: وقال الذهبي: (ظهر بخراسان الجهم بن صفوان ودعا إلى تعطيل صفات الله عز وجل.. وظهر في خراسان في قبالته مقاتل بن سليمان المفسر وبالغ في إثبات الصفات حتى جسم وقام على هؤلاء علماء التابعين وأئمة السلف وحذروا من بدعهم)[2]

قال الحشوي: لا بأس.. فما تقول فيما رواه تلميذه النجيب عكرمة عنه.. وما ترى في رواياته في تفسير القرآن الكريم، فهي من مصادرنا المعتبرة؟

قال الحكيم: ما أعرفه عنه هو ما روي عن ابن عمر أنه قال لنافع: (لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس).. وذكر عن جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد، قال: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مقيد، فقلت: ما لهذا؟ قال: إنه يكذب على أبي[3].

قال آخر: وليس ذلك فقط، بل كان ـ كما يذكر الكثير من المؤرخين ـ يرى رأي المتشددين من الخوراج، والذين يحكم عليهم أصحابكم بأنهم كلاب أهل النار ـ فقد قال ابن حجر في (مقدمة فتح الباري): (وفد عكرمة على نجدة الحروري فأقام عنده تسعة أشهر ثم رجع إلى ابن عباس فسلم عليه، فقال: قد جاء الخبيث قال: فكان يحدث برأي نجدة، وكان يعني نجدة أول من أحدث رأي الصفرية وقال الجوزجاني قلت لأحمد بن حنبل أكان عكرمة إباضيا فقال: يقال: إنه كان صفرياً، وقال أبو طالب عن أحمد كان يرى رأي الخوارج الصفرية، وقال يحيى بن معين كان ينتحل مذهب الصفرية ولأجل هذا تركه مالك، وقال مصعب الزبيري كان يرى رأي الخوارج)[4]

---

(١) الضعفاء لابن الجوزي ١/ ١٣٦.

(٢) طبقات الحفاظ ١/ ١٥٩.

(٣) انظر: وفيات الأعيان ١: ٣٢٠، وتهذيب التهذيب ٧: ٢٣٨ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥: ٢٢.

(٤) مقدمة فتح الباري ٤٢٥.

قال الحشوي: لا بأس.. فما تقولون فيما رواه محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس؟.. والكلبى مشهور بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه.

قال الحكيم[1]: إن وُجِدَ مَن قال: رضوه فى التفسير، فقد وُجِد مَن قال: أجمعوا على ترك حديثه، وليس بثقة، ولا يُكتب حديثه، واتهمه جماعة بالوضع.. وممن يروي عن الكلبى، محمد بن مروان السدى الصغير، وقد قالوا فيه: إنه يضع الحديث، وذاهب الحديث متروك.

قال آخر: ولهذا قال السيوطى: (إن انضم إلى ذلك ـ أى طريق الكلبى ـ رواية محمد بن مروان السدى الصغير، فهى سلسلة الكذب).. وقال: (الكلبى: اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه فى مرضه: كل شىء حدثتكم عن أبى صالح كذب.. ومع ضعف الكلبى فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفاً، وهو محمد بن مروان السدى الصغير)[2]

التفاسير:

قال الحشوي: لكنا لا ننتقي نحن الروايات.. بل ننقلها من كبار المفسرين الذين شهد لهم أئمتنا بالصدق والوثاقة.

تفسير البغوي:

قال آخر: ومنهم الإمام الحافظ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر، صاحب التصانيف الجليلة كشرح السنة، ومعالم التنزيل، والمصابيح، وغيرها.. ونحن ننقل كثيرا من تفسيره المسمى بـ [معالم التنزيل]، والذي سُئل عنه شيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية، فقيل له: (أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة الزمخشري، أم القرطبي، أم البغوي، أم غير هؤلاء؟)، فقال: (أما

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي: ١/ ٦١.

(٢) الدر المنثور (ج ٦ ص ٤٢٣)

التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة، والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف منه الأحاديث الموضوعة، والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك)[1]

قال الحكيم[2]: اطلعنا عليه ودرسنا رواياته وأسانيدها؛ فقد ذكر في مقدّمة تفسيره أسانيده إلى تفسير كلّ من عبدالله بن عباس، ومجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، ورفيع بن مهران، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم، ومحمد بن السائب الكلبي، والضحاك بن مزاحم الهلالي، ومقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، والسدّي[3].

قال آخر: وقد رأينا أنه اقتصر في تخريج تفسير ابن عباس على ما رواه معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الوالي عن عبدالله بن عباس، مع ما في هذا الطريق من الانقطاع لأنّ ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير.

قال آخر: وهكذا اعتمد في تفسيره على ما روي عن طريق عطية العوفي وعكرمة عن ابن عباس، دون ذكر بقية الطرق التي تزيد على ذلك بكثير.. وقال عند ذكره سند تفسير الكلبي: (وأما تفسير الكلبي، فقد قرأت بمَرو على الشيخ أبي عبدالله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة، قال: ثنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشمهيني، في محرّم سنة خمسين وأربعمائة، قال: ثنا أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف الهرمروزي، ثنا محمد بن علي الأنصاري المفسّر، ثنا علي إسحاق وصالح بن محمد السمرقندي قالا: ثنا محمد بن مروان عن محمد بن السائب

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٦)

(٢) انظر مقالا بعنوان: التفسير الأثري في التراث الإسلامي دراسة مقارنة بين الطبرسي والبغوي، الدكتور مرتضى الايرواني، مجلة نصوص معاصرة، ع٩.

(٣) معالم التنزيل ١/ ٢٨ ـ ٣٠.

الكلبي عن أبي نضر عن أبي صالح، ثنا ذاذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب، عن أبن عباس)[1].. وهذا طريق آخر لتفسير ابن عباس وليس طريقاً لتفسير الكلبي خاصّة.

قال آخر: وهكذا نراه لا يلتزم ذكر السند كاملاً عندما ينقل عمّن لم يذكرهم في صدر كتابه، فهو كثيراً ما ينقل عن بعض الصحابة آراء تفسيرية دون ذكر سنده إليهم، لا في مقدّمة الكتاب، ولا عند ذكر الرأي.

قال آخر: لكن مع ذلك كله صار محترما ومقبولا بسبب كثرة الإسرائيليات التي ذكرها في تفسيره، فمنها ـ مثلا ـ في موضوع دخول إبليس الجنّة وإغواء آدم وحواء ـ على حدّ زعمه ـ ذكر: دخول إبليس الجنّة بواسطة الحيّة.. صفة الحيّة.. محاورته آدم وحواء وبكاءه لخداعهما.. أكلهما من الشجرة والأقوال في كيفية أكل آدم.. هبوط آدم من الجنّة.. تعليم الله آدم صنعة الحديد والزراعة.. جزاء حواء على إغوائها آدم بالأكل.. بدوّ السوءات[2].

قال آخر: بالإضافة إلى الفضول والتكلف الذي ملأ به تفسيره، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الروايات المكذوبة في عدد حَمَلة الكرسي، وعدد وجوه كلّ ملك، ومكان أقدامهم، وصورة كلّ ملك، وما يسأله كلّ ملك من الله تعالى، والمسافة بين حَمَلة العرش وحَمَلة الكرسي.. وهكذا فعل في قصّة طالوت وجالوت وغيرها[3].

تفسير الثعلبي:

قال أحد الحشوية: فما تقولون في تفسير أبي إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب (تفسير الثعلبي) والذي هو في الحقيقة (الكشف والبيان في تفسير القرآن)، والذي قال عنه

(١) معالم التنزيل ١/ ٢٩.

(٢) معالم التنزيل ١/ ٦٤.

(٣) معالم التنزيل ١/ ٢٢٦ ـ ٢٣٥.

الصفدي: (كان أوحد زمانه في علم القرآن)[1].

قال آخر: وقال عنه ياقوت: (المقرئ، المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، ولكمال أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك مما لا يحتاج إلى ذكره لشهرته، وهو صحيح النقل موثوق به)[2]

قال آخر: وقال عنه ابن كثير: (المفسر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وغير ذلك، وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير، وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيشابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به)[3]

قال آخر: وروى عنه السبكي ما يدل على صلاحه وتقواه، فمن أشعاره قوله[4]:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق ... علي فما ينفك أن يتفرجا

ورب فتى سدت عليه وجوهه ... أصاب له في دعوة الله مخرجا

قال آخر: وفوق ذلك؛ فقد أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرا، واعتبره من العلماء بالسنة، واعتبر تفسيره من تفاسيرهم المعتمدة.

قال أحد الحكماء: أجل، هو قال ذلك عنه، لأن الأهم عنده هو تلك العقائد المرتبطة بالتجسيم والتشبيه وتخطئة الأنبياء عليهم السلام، لا صفاء القرآن الكريم وبعده عن كل شبهة وتدليس وتحريف.

قال آخر: ولذلك هو نفسه من قال عنه: (ثم علماء الحديث متفقون على أن الثعلبي

(١) الوافي بالوفيات (٧: ٣٠٧ ترجمة ٣٢٩٩)

(٢) معجم الأدباء (٥: ٣٦/ ٥)

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٤٣)

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٤: ٥٨ ـ ٥٩/ ترجمة ٢٦٧)

وأمثاله يروون الصحيح والضعيف، ومتفقون على أن مجرد روايته لا توجب اتباع ذلك، ولهذا يقولون في الثعلبي وأمثاله: إنه حاطب ليل يروي ما وجد، وسواء كان صحيحاً أو سقيماً، فتفسيره وإن كان غالب الأحاديث التي فيه صحيحة ففيه ما هو كذب موضوع، باتفاق أهل العلم)[1]

قال آخر: وقال عنه: (أما ما نقله من تفسير الثعلبي، فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعة، كالحديث الذي يرويه في أول سورة عن أبي أمامة في فضل تلك السورة، وكأمثال ذلك، ولهذا يقولون: هو كحاطب ليل، وهكذا الواحدي تلميذه، وأمثالهما من المفسرين، ينقلون الصحيح والضعيف)[2]

قال آخر: وقال في وصف الثعلبي نفسه: (والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد عن السلامة، واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة)[3]

قال آخر: بل إنه شهد بهذه الشهادة في كل التفاسير التي زعم أنها تفاسير تمثل السنة، فقد قال: (الثعلبي، والواحدي، وأمثالهما.. وهؤلاء من عادتهم يروون ما رواه غيرهم، وكثير من ذلك لا يعرفون هل هو صحيح أم ضعيف، ويروون من الأحاديث الإسرائيليات ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الأمر، لأن وظيفتهم النقل لما نقل، أو حكاية أقوال الناس، وإن كان كثير من هذا وهذا باطلاً، وربما تكلموا على صحة بعض المنقولات وضعفها، لكن

---

(١) منهاج السنة (٧/ ٩٠)

(٢) منهاج السنة (٧/ ١٢)

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٤)

لا يطردون هذا، ولا يلتزمون)[1]

قال آخر: وبذلك؛ فإن المهم عند ابن تيمية ليس تنقية السنة من كل الأحاديث التي تشوهها، وإنما في تلك العقائد المرتبطة بالتجسيم والتشبيه وتشويه الدين، والتي جعلها معيارا من خلاله يحكم بكون المسلم سنيا أو مبتدعا .

تفسير الطبري:

قال أحد الحشوية: فما تقولون في تفسير جامع البيان للطبري، ذاك الذي شهد له الخطيب البغدادي بأنه (جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في [تارخ الأمم والملوك]، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه [تهذيب الآثار] لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء.. وتفرد بمسائل حفظت عنه.. وسمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي المعروف بالسمسماني يحكي: أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة)[2]

قال آخر: وقال عنه أبو حامد الإسفراييني: (لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا)[3]

قال آخر: وذكر صاحب (لسان الميزان) أن ابن خزيمة استعار تفسير ابن جرير ممن

---

(١) منهاج السنة (٧/ ١٧٧)

(٢) تاريخ بغداد ت بشار (٢/ ٥٤٨)

(٣) سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٢٧٢)

كتبه عن الطبري فردّه بعد سنين ثم قال: (نظرتُ فيه من أوله إلى آخره؛ فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير)[1]

قال آخر: وقال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية: (أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن الْمُتَّهِمِين)[2]

قال أحد الحكماء: وهو مع كل ما ذكرتم كان كسائر الحشوية حاطب ليل، يهمه الجمع أكثر من التحقيق.. وقد حكى الخطيب عنه أنه قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن، قالوا: كم يكون قدره؟ فقال ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك.. فقال: إنا لله، ماتت الهمم [3].

قال آخر: ولذلك كان يهتم بجمع أكبر عدد من الروايات حتى لو كان هو نفسه يعلم كذبها، وكمثال على ذلك أنه كان يعلم عدم أهلية سيف بن عمر[4] للرواية، لكنه مع ذلك روى له.. لأنه لو أزال من كتابه تلك الروايات فسينقص عدد صفحات كتابه، وسينقص معها تقدير المحدثين له.

التساهل والتمييع:

---

(١) لسان الميزان، ت: أبو غدة، (٧/ ٢٥)

(٢) مقدمة في أصول التفسير، (ص ٥١)

(٣) تاريخ بغداد وذيوله (٢/ ١٦١)

(٤) هو سيف بن عمر الأسديّ التميمي وهو مؤرخ كوفي كتب ما كتبه زمن هارون الرشيد، وقد تجاهله أغلب المؤرخين المبكرين؛ كالبلاذري وعمر بن شبة، بالإضافة إلى أن أصحاب الجرح والتعديل ضعفوه واتهموه بالكذب، فقد قال فيه النسائي صاحب السنن (المتوفى ٣٠٣ هـ)، والمعاصر للطبري: (ضعيف متروك الحديث، ليس بثقة، ولا مأمون)(الضعفاء والمتروكين: ١٨٧) لكنّ الطبري استند إليه استناداً واسعاً فيما تعلق بتاريخ الخلافة المبكرة من أبي بكر إلى علي. وعبر نقول الطبري عنه أثرت رواية سيف هذا تأثيراً بالغاً في الكتابة التاريخية.

بعد أن ذكر الحكماء الأدلة الكثيرة على الكذب والتزوير الذي وقع فيه الحشوية نتيجة اهتمامهم بالرواية أكثر من الدراية، وبالجمع أكثر من التحقيق، والذي اكتفيت ببعضه هنا، قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فما الجريمة الثانية؟

قال أحد الحكماء: الجريمة الثانية هي التساهل في الروايات المرتبطة بتفسير القرآن الكريم، مع أن الاحتياط فيها أوجب.. لكنهم لم يبالوا بذلك، بل راحوا يتشددون في الأحاديث التي تصف الجزئيات البسيطة في الوضوء والغسل، مع كون الأمر فيها بسيطا، ويتساهلون في نفس الوقت في تلك الروايات التي تشوه الدين بكل أجزائه.

قال آخر: وقد شهد كبار العلماء على أنفسهم بذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن الإمام أحمد بن حنبل سئل عن موسى بن عُبيدة الربَذَي، وعن محمد بن إسحاق، فقال: (أما محمد بن إسحاق فهو رجل تكتب عنه هذه الأحاديث ـ كأنه يعني المغازي ونحوها ـ وأما موسى بن عبيدة فلم يكن به بأس، ولكنه حدث بأحاديث مناكير عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ فأما إذا جاء الحلال والحرام أردنا قوما هكذا)، وقبض الراوي على أصابع يديه الأربع من كل يد، ولم يضم الإبهام[1].. أي أنهم يتشددون في الروايات المرتبطة بالأحكام، ويتساهلون في غيرها، ولذلك ذكر أنه يمكن الرواية عن ابن إسحق، لكن فيما يتعلق بالسيرة فقط، أما ما عداها، فلا تقبل روايته.

قال آخر: وهكذا قال الحاكم في الأحاديث التي أراد استدراكها على الصحيحين، فقد قال: (وأنا بمشيئة الله أُجري الأخبار التي سقطت على الشيخين في كتاب الدعوات على مذهب أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي في قبولها، فإني سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري، يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، يقول: كان أبي

(١) تاريخ ابن معين برواية الدوري، ابن معين، (٣/ ٦٠)

يحكي، عن عبد الرحمن بن مهدي، يقول: إذا روينا، عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام: شددنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال، وإذا روينا في فضائل الأعمال، والثواب والعقاب، والمباحات والدعوات: تساهلنا في الأسانيد)[1]

قال آخر: وهكذا اتفق جميع المحدثين على التساهل في الرواية فيما عدا الحلال والحرام، ولهذا نرى كتب التفسير والتاريخ والسيرة مملوءة بالأحاديث التي لا سند لها، بل الأحاديث الموضوعة، باعتبارهم لا يلقون كبير بال لها.

قال آخر: وقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه [الكفاية في علم الرواية] الذي يعتبر مصدرا من مصادر علم الحديث الأولى، بابا بعنوان [باب التشدد في أحاديث الأحكام، والتجوز في فضائل الأعمال]، وقد قال في مقدمته: (قد ورد عن غير واحد من السلف أنه لا يجوز حمل الأحاديث المتعلقة بالتحليل والتحريم إلا عمن كان بريئا من التهمة، بعيدا من الظنة، وأما أحاديث الترغيب والمواعظ ونحو ذلك فإنه يجوز كتبها عن سائر المشايخ)[2]، وهم يعتبرون أن التفسير والسيرة والتاريخ ونحوها من أبواب المواعظ والقصص، وهي بذلك أدنى درجة من أحاديث الترغيب والترهيب نفسها.

قال آخر: وقد نقل البغدادي عن سفيان الثوري، وهو من يعتبرونه أمير المؤمنين في الحديث قوله: (لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم، الذين يعرفون الزيادة والنقصان، ولا بأس بما سوى ذلك من المشايخ)[3]

قال آخر: ونقل عن ابن عيينة قوله: (لا تسمعوا من بقية ما كان في سنة، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره)[4]

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٦٦)

(٢) الكفاية في علم الرواية، (ص ١٣٣)

(٣) الكفاية في علم الرواية، ص١٣٤.

(٤) الكفاية في علم الرواية، ص١٣٤.

قال آخر: وبناء على هذا، فإن كل من رووا أحداث التفسير والسيرة ابتداء من العصر الأول كانوا من المتساهلين في روايتها، حيث غلب عليهم التدليس وغيره، حتى لو كانوا ثقاة في مسائل الحلال والحرام، وقد عبر عن ذلك ابن تيميّة في [مقدمة أصول التفسير] بقوله: (ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثرُهُ كالمنقول في المغازي والملاحم؛ ولهذا قال الإمام أحمد: ثلاثةُ أمورٍ ليس لها إسناد: التفسيرُ، والملاحمُ، والمغازي، ويروى: ليس له أصلٌ، أي: إسنادٌ؛ لأن الغالبَ عليها المراسيل، مثل ما يذكره عروة بن الزبير، والشعبي، والزهري، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق، ومَنْ بعدهم، كيحيى بن سعيد الأموي، والوليد بن مسلم، والواقدي ونحوهم في المغازي)[1]

قال آخر: وهذا كله خلاف لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من ضرورة التثبت في الأحاديث والأخبار، بغض النظر عن القضايا المطروحة فيها.. فالكذب كذب سواء كان في التفسير والسيرة، أو في الطهارة والصلاة.

قال آخر: ولهذا استطاع المدلسون والحقدة أن يدخلوا من هذه الأبواب لتشويه الدين، بل وتحريفه، وتحويل القرآن الكريم من كتاب للعلم والحكمة إلى مصدر للدجل والخرافة .

الفضول والتكلف:

بعد أن ذكر الحكماء الأدلة على التمييع والتساهل الذي وقع فيه الحشوية، قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فما الجريمة الثالثة؟

قال أحد الحكماء: الجريمة الثالثة هي الفضول والتكلف والبحث فيما لا يجدي، وهو ما نهى عنه القرآن الكريم، والذي دعانا إلى الاعتبار بالقصص لا بالبحث في تفاصيل

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٤٦)

أحداثها، وقد قال تعالى عند عرضه لقصة أصحاب الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]

قال آخر: وقد علق بعض العلماء على الآية الكريمة بقوله: (ومرّ التاريخ، وبدأ الناس يتناقشون في أمور لا فائدة فيها ولا غنى، بينما كان من المفترض أن يكون نقاشهم في دراسة تجربتهم، وموقفهم، وطبيعة الدرس الذي يمكن استفادته للمستقبل.. وهذا هو ما يفعله التخلّف في حياة الناس، عند ما يتجمدون في مسألة المعرفة على الأمور التافهة التي لا تمثل شيئا في مصلحة الإنسان في ما يتصل بحياته العملية، فيغرقون في الأمور التجريدية، أو في الخلافات اللفظية، أو في القضايا الشكلية، أو في الأعداد التي لا تعني شيئا، أو في الأسماء أو الأنساب التي لا توحي بشيء، وغير ذلك مما لا ينفع من علمه ولا يضرّ من جهله.. وهذا ما يحدثنا القرآن عنه، كمظهر من مظاهر التخلّف التي ينبغي للإنسان أن يبتعد عنها.. ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وسيقولون الكثير مما قد يعلمون منه القليل، ويجهلون منه الكثير، ويريد الله لرسوله، وللمسلمين من خلاله، أن يختصروا المسألة بكلمة حاسمة تنهي الخلاف: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ فلنترك الأمر لله، في ما يعلمه من خفايا الأشياء التي لا نملك أساسا لمعرفتها، ولا نجد أيّة فائدة في البحث عنها ﴿ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ممن استطاعوا التعرّف على مصادر التاريخ الموثوقة من وحي أو غير ذلك)[1]

قال آخر: وقد أشار إلى هذا بعض العلماء فقال: (وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا ـ

(١) تفسير من وحي القران (١٤/ ٢٩٨)

أي بكثرة الكلام ـ فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين، فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض! وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم، كيف كان كلامهم أقل من كلام التابعين، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم.. فليس العلم بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب، يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد. وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارا، ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام، والتوسع في القيل والقال.. وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم)[1]

قال آخر: وأشار آخر إلى هذه الظاهرة في العقل الحشوي، فقال منكرا لها: (وأكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب على إرادتهم كتب الغريب دون المشهور، وسماع المنكر دون المعروف، والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ من روايات المجروحين والضعفاء، حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنبا، والثابت مصدوفا عنه مطرحا، وذلك كله لعدم معرفتهم بأحوال الرواة ومحلهم، ونقصان علمهم بالتمييز، وزهدهم في تعلمه، وهذا خلاف ما كان عليه الأئمة من المحدثين والأعلام من أسلافنا الماضين)[2]

قال آخر: ثم روى عن أحمد قوله: (شر الحديث الغرائب التي لا يعمل بها ولا يعتمد عليها)، وقوله: (تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب،ما أقل الفقه فيهم)[3]

قال آخر: وما ذكره أحمد صحيح ودقيق، ولكن العقل الحشوي لا يقبل من أحمد إلا ما يوافق مزاجه.. لأن كل عقل ممتلئ بالحشو لابد أن يكون عقلا مزاجيا، ذلك أنه لا ينطلق

---

(١) فضل علم السلف على الخلف، ص ٢٦و٢٨و٤٧.

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص ١٤١)

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص ١٤١)

للوصول إلى الحقيقة من البحث العلمي الجاد، وإنما ينطلق من إرضاء غريزته وفضوله.

قال أحد الحضور: لكن مع ما ذكرتموه؛ فإن تلك التفاسير تلبي الكثيرمن الحاجات الفطرية؛ فكل البشر يحبون التفاصيل، ولا نستطيع أن نمنعهم منها.

قال آخر: وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في الاعتذار لهؤلاء، فقد قال: (وصار التفسير على صنفين: تفسير نقلي مسند إلى الآثار من النصارى، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك.. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم؛ فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات.. وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ)(1)

قال الحكيم: لكن ذلك يشبه ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، ثم قوله بعدها: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧].. فقد روي في سبب نزولها أنها نزلت في النضر بن الحارث، وذلك

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٥٥)

أنه كان يخرج تاجرا إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم، فيرويها ويحدّث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن[1].. وهو نفس ما يستعمله هؤلاء حين يشغلون قراء القرآن الكريم بتلك الأساطير المملوءة بالخرافات والتناقضات عن التدبر والاعتبار.

قال أحد الحضور: إن ما ذكرته من الاستدلال بالآية الكريمة جميل.. ونحن نريد منكم أن تفسروا لنا تلك الآيات الكريمة التي فسرها لنا هؤلاء المشايخ بحسب الرؤية التي تذكرها.. لنقارن بعد ذلك بين ما ذكروه، وما ذكرتموه.

قال أحد الحكماء: لا بأس.. ولنبدأ بأول ما سألتموهم عنه، وهو سفينة نوح عليه السلام.. فبدل البحث في طولها وعرضها، والحيوانات التي ركبت فيها، والخرافات المرتبطة بذلك.. يمكن فهم الآيات الكريمة بما يعمق الإيمان، وبما يعلمنا كيف نسير في حياتنا على منهج الأنبياء عليهم السلام.

قال آخر: ومن الأمثلة على التأويلات النافعة التي يمكن أن تؤول بها تلك الآيات الكريمة المرتبطة بنوح عليه السلام وسفينته، ما عبر عنه بعضهم بقوله: (انتهت مهمة نوح في الدعوة، فقد استنفذ كل التجارب والأساليب، فلم يؤمن له إلا نفر من قومه، أما الباقون فقد ازدادوا تمردا وطغيانا، فلم ينفع ترغيب معهم أو ترهيب، بحيث لم يبق أمل في هدايتهم وإيمانهم، وجاء دور العذاب، ولكن الله أراد أن يعلن ذلك لنوح بأسلوب ينعش روحيته ولا يشعر معه بالهزيمة، أو بالتقصير، لقيامه بمهمته كنبيّ خير قيام، وصبره علي ما لا يملك عليه أحد صبرا خلال مسيرة دعوته التي امتدت طويلا، امتداد عمره، دون تأفف أو ضجر،

---

(١) النيسابوري، أسباب النزول، ص ١٩٢.

ولم يسقط أمام كل تحديات الكفار، ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦] من كفر وعصيان، لأنّك قد أقمت عليهم الحجة بمختلف الوسائل، ويسّرت لهم كل سبل الهداية فامتنعوا عن السير فيها، وبذلك فإنهم يتحملون مسئولية أفعالهم كلها)[١]

قال آخر[٢]: وبعدها جاءه الأمر الإلهي بصنع السفية.. ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ أى السفينة ﴿بِأَعْيُنِنا﴾ أى برعايتنا، باعتبار أن عمله كان بنظر الله بحيث لا يستطيع أن يمنعه أحد من ذلك ﴿وَوَحْيِنا﴾ في ما أمره الله، وفي ما علّمه من طريقة الصنع، ومهّد له من تبيان وسائله، ﴿وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالعفو عنهم، انطلاقا من طهارة مشاعرك وطيبة قلبك، فقد صدر الحكم عليهم من الله، وانتهى أمرهم بذلك، لأنهم لا يستحقون الرحمة من الله بعد أن رفضوا رحمته في رسالته وفي شريعته، فحق عليهم العذاب، ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ بطريقة عجيبة معجزة لا يتصورها أحد منهم، ولا تخطر لهم على بال.

قال آخر[٣]: ثم ذكر الله تعالى سخريتهم منه، وهو يصنع السفينة، فقال: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾، أي ويستمر في صناعته بجدّ واجتهاد في الليل والنهار.. لكن عمله ذاك كان محلّ استغراب، لأن المنطقة التي يعيش فيها كانت فلاة لا وجود للماء فيها، أو في المواقع القريبة منها، بما يوحي أن عمله ذاك كان حالة من العبث، أو مظهرا لغياب العقل، لذا كان موضع سخرية قومه.. ﴿وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ بما يحملونه من عقد خبيثة ضدّه، تجعلهم يعملون على إذلاله، وبما يحمله حكمهم على الأشياء من سطحية وتسرع لا ينفذ إلى أعماق الأمور، فلو فكروا بطريقة موضوعيّة، لنظروا إلى تاريخ حياته الذي يكشف لهم عن

---

(١) تفسير من وحي القران (١٢/ ٦٣)

(٢) تفسير من وحي القران (١٢/ ٦٤)

(٣) تفسير من وحي القران (١٢/ ٦٤)

قوّة فكره، وسلامة نظره، ولسألوه عن سرّ عمله الغامض في الظاهر، باعتباره صادرا عن شخص يملك العقل الكامل، والذهنية المتوازنة ليتمكنوا بعد استجماع كل عناصر الموضوع الحكم، ولكنهم ينطلقون من موقع الرغبة في تحطيمه، لا من موقع الرغبة في الفهم الصحيح للأمور.

قال آخر[1]: لكن الله أراد لنوح عليه السلام أن يردّ الأسلوب بمثله، لأن الفكر إنما يكون لمن يحترمون الفكر، والحوار ينشأ مع من يريدون الحوار، أما من يريدون التحطيم والتدمير، عن قصد وتصميم شرّير فلا بد من مواجهتهم بأسلوبهم، لأن ذلك ما تقتضيه الحكمة في مواجهة الموقف بما يتطابق مع مقتضى الحال، وهكذا أراد الله له أن يقول، في ما ألهمه من وحي الحكمة: ﴿قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ﴾، فذلك هو ردّ الفعل على الموقف، ولكنه يختلف في دوافعه عما انطلقتم فيه، فإذا كانت سخريتكم ناشئة عن عقدة، أو عن جهل لطبيعة العمل الذي أقوم به، فإنا نسخر منكم من موقع اطلاعنا على النهاية السيئة التي ستنتهون إليها، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ من دون أن تشعروا، أو تفكروا، أو تواجهوا ذلك بجدّية ومسئوليّة.

قال آخر: وهكذا اكتفى القرآن الكريم بذكر ما ينفعنا ويفيدنا، ويعلمنا كيف نسلم للحق، ونستسلم له، حتى لا ينزل بنا العذاب الذي نزل بالمعاندين؛ فـ (هذه القصة واضحة الدلالة كغيرها من القصص القرآني على أن نزول العذاب ـ عذاب الاستئصال والهلاك ـ كان بسبب العناد والإصرار على الكفر، وملازمة الشرك والوثنية)[2]

قال أحد الحضور: إن ما ذكرتموه جميل جدا.. وهو أنفع لنا من تلك التفاصيل التي ذكرها هؤلاء المشايخ.. فحدثونا عما فسروه لنا من قصة يوسف عليه السلام لنقارن بين ما

---

(١) تفسير من وحي القران (١٢/ ٦٤)

(٢) التفسير المنير (١٨/ ٣٦)

تذكرونه، وما يذكرونه.

قال أحد الحكماء: قصة يوسف عليه السلام مجال رحب للكثير من العلوم والحقائق والقيم النافعة التي يغنينا التدبر فيها عن كل ذلك الفضول والتكلف الذي لا حاجة إليه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في رؤياه.. فهي مجال للبحث في سر الرؤى وحقيقتها ودورها في الحياة.. وقد قال بعض المفسرين عند ذكره لتلك الآيات الكريمة: (إن مسألة الرؤيا في المنام من المسائل التي تستقطب أفكار الأفراد العاديين من الناس والعلماء في الوقت نفسه.. فما هذه الأحلام التي يراها الإنسان في منامه من أحداث سيئة أو حسنة، وميادين موحشة أو مؤنسة، وما يثير السرور أو الغم في نفسه!؟.. أهي مرتبطة بالماضي الذي عشعش في أعماق روح الإنسان وبرز الى الساحة بعد بعض التبديلات والتغييرات؟.. أم هي مرتبطة بالمستقبل الذي تلتقط صوره عدسة الروح برموز خاصة من الحوادث المستقبلية!؟.. أو هي أنواع مختلفة، منها ما يتعلق بالماضي، ومنها ما يتعلق بالمستقبل، ومنها ناتج عن الميول النفسية والرغبات وما الى ذلك!؟)(1).. ثم أجاب على هذه الأسئلة جميعا.

قال آخر: أرأيتم.. هذه التساؤلات هي التي يمكنها أن تفيد في البحث والتحقيق، لنصل إلى المعارف التي تفيدنا في ديننا وحياتنا.. أما أسماء الكواكب، فما فائدتها؟

قال أحد الحضور: وما ضررها؟

قال الحكيم: هي تضر.. لأنها معلومات غير صحيحة، والكذب ضار مطلقا.. بالإضافة إلى أنه لو قرأ تلك الأسماء فلكي فسيجعلها وسيلة للتفكه والسخرية بالدين؛ وقد أمرنا ألا نكون حجابا بين الخلق والإيمان.

---

(1) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (7/ 128)

قال أحد الحضور: ما ذكرتموه جيد جدا.. فما قال هؤلاء الذين ذكرتموهم في تفسير تلك الآيات الكريمة التي تتحدث عن موسى عليه السلام وعصاه؟

قال أحد الحكماء: لقد قال أحدهم في تفسيره للآيات التي تتحدث عن ذلك: (لا شك أن الأنبياء يحتاجون إلى المعجزة لإثبات ارتباطهم بالله، وإلا فإن أي واحد يستطيع أن يدعي النبوة، وبناء على هذا فإن معرفة الأنبياء الحقيقيين من المزيفين لا يتيسر إلا عن طريق المعجزة.. وهذه المعجزة يمكن أن تكون بذاتها دعوة وكتابا سماويا للنبي، ويمكن أن تكون أمورا أخرى من قبيل المعجزات الحسية والجسمية، إضافة إلى أن المعجزة مؤثرة في نفس النبي، فهي تزيد من عزيمته وإيمانه وثباته.. على كل حال، فإن موسى عليه السلام بعد تلقيه أمر النبوة، يجب أن يتلقى دليلها وسندها أيضا)[1]

قال آخر: ثم ذكر نوع المعجزة التي تلقاها موسى عليه السلام، فقال: (تلقى موسى عليه السلام في تلك الليلة المليئة بالذكريات والحوادث معجزتين كبيرتين من الله، ويبين القرآن الكريم هذه الحادثة فيقول: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:١٧].. إن هذا السؤال البسيط المقترن باللطف والمحبة، إضافة إلى أنه بث الطمانينة في نفس موسى عليه السلام الذي كان غارقا حينئذ في دوامة من الاضطراب والهيجان فإنه كان مقدمة لحادثة مهمة.. فأجاب موسى عليه السلام: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه:١٨]، ولما كان راغبا في أن يستمر في حديثه مع محبوبه الذي فتح الباب بوجهه لأول مرة، وربما كان يظن أيضا أن قوله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ غير كاف، فأراد أن يبين آثارها وفوائدها فأضاف: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ [طه:١٨] أي أضرب بها على اغصان الشجر فتتساقط اوراقها لتأكلها الأغنام

قال أحد الحشوية: كل هذه الفوائد للعصا معروفة.. لكن المهم ما قاله بعدها، وهو

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٩/ ٥٣٩)

الذي كان سببا في تلك التفاصيل التي ذكرها السلف، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨][1]

قال الحكيم: ذلك أيضا واضح وبسيط، ولا يحتاج كل ذلك التكلف.. فمن المعلوم ما للعصا لأصحابها من فوائد، وخاصة للبدو والرعاة؛ فهم يستعملونها أحيانا كسلاح للدفاع عن أنفسهم أمام الحيوانات المؤذية والأعداء، وأحيانا يصنعون منها مظلة في الصحراء تقيهم حر الشمس، وأحيانا أخرى يربطون بها وعاء أو دلوا ويسحبون الماء من البئر العميق[2].

قال آخر: أليس هذا أكثر تأثيرا في موسى عليه السلام وغيره، وأكثر دلالة على القدرة.. من أن تكون العصا التي خصت بتلك الآيات عصا خاصة.. فأيهما أكثر إعجازا أن تكون تلك الآيات مرتبطة بأي عصا، أو بعصا معينة محدودة؟

قال أحد الحضور: فما تقولون فيما ذكره هؤلاء المشايخ من أن الذبيح هو إسحق وليس إسماعيل عليهما السلام؟

قال أحد الحكماء: مع أن كليهما نبي من الأنبياء المحترمين إلا أن تدبر القرآن الكريم وحده كاف للدلالة على أن المقصود هو إسماعيل عليه السلام.. ومن أهم الأدلة على ذلك قوله تعالى بعد قصة الذبح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، (وهذه الآية توضح بصورة جيدة، أن الله سبحانه وتعالى بشر إبراهيم بولادة إسحاق بعد قضية الذبح، نتيجة تضحياته، ولهذا فإن قضية الذبح لا تخصه أبدا، إضافة إلى أن الباري عزوجل عندما يبشر أحدا بالنبوة، فذلك يعني بقاء ذلك الشخص حيا، وهذا لا يتناسب مع قضية

---

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٩/ ٥٣٩)

(٢) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٩/ ٥٤٠)

الذبح التي خصت غلاما)[1]

قال آخر: ويدل لذلك من القرآن الكريم أيضا قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، فهذه الآية الكريمة توضح أن إبراهيم عليه السلام كان مطمئنا على بقاء ولده إسحاق، وأن الله سيرزق إسحاق ولدا اسمه يعقوب، وهذا يعني أن الذبح لا يشمله أبدا.. فالذين اعتبروا إسحاق هو الذبيح، يبدو أنهم لم يأخذوا بنظر الإعتبار حقيقة هذه الآيات)[2]

قال آخر: وهكذا ترون كيف أثرت غلبة الرواية والحشو على التدبر البسيط، والذي يمكننا من الوصول إلى الحقيقة من غير أي تكلف.

الغفلة والتناقض:

بعد أن ذكر الحكماء الأدلة على الفضول والتكلف الذي وقع فيه الحشوية، قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فما الجريمة الرابعة؟

قال أحد الحكماء: الجريمة الرابعة هي الغفلة والتناقض.. وذلك ما يمكن لأي عاقل أن يكتشفه.. ولعلكم معشر الحضور قد مررتم ببعض ذلك.

قال أحد الحضور[3]: إن شئتم الصدق.. فقد مررت أثناء دراستي لهذه التفاسير على الكثير من ذلك، لكنني لم أكن أجرؤ على الإفصاح عنها خشية أن أكون من الذين يستعملون عقولهم في فهم الدين.. ومن الأمثلة على ذلك ما قرأته في تفسير قوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فقد قرأت قول السدّي: (كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدّث

---

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (١٤/ ٣٦٩)

(٢) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (١٤/ ٣٦٩)

(٣) انظر مقالا بعنوان: التفسير الأثري في التراث الإسلامي دراسة مقارنة بين الطبرسي والبغوي، الدكتور مرتضى الايرواني، مجلة نصوص معاصرة، ع٩.

الغلمان بما يصنع آباؤهم، ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا، فينطلق الصبي إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون: من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى، فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى يطلبهم فقالوا: ليسوا ها هنا، فقال: فما في هذا البيت؟ قالوا: خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون، ففتحوا عليهم فإذا هم خنازير..)[1].. ولا أدري كيف جُمع الصبيان كلّهم في بيت واحد، ولو قال: حبست كلّ عائلة صبيّها عنه لكان مقبولاً!؟

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن وهب بن منبّه أنه قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].. فقد ذكر خبرا طويلا ورد فيه أن بختنصر اختار من صبيان بني إسرائيل (سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة)[2].. وهذا يعني أن الملوك الذين كانوا معه يزيد عددهم على سبعة عشر ألف ملك، فهل يعقل أن يكون معه هذا العدد من الملوك؟

قال آخر: ومثل ذلك قوله في ذلك الخبر: (ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد، فألقى الله تعالى عليه النوم، فلمّا قام نزع الله منه الروح مائة عام.. فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له: نوشك، فقال: إنّ الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيليا حتى يعود أعمر ما كان، فانتدب الملك بألف قهرمان مع

---

(١) معالم التنزيل ١/ ٢٠٤.

(٢) معالم التنزيل ١/ ٢٤٤.

كلّ قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه..)[1]، فهل يُعقل أن ينتدب الملك ألف قهرمان مع كلّ قهرمان ثلاثمائة ألف عامل، أي ثلاثمائة مليون عامل لبناء بيت المقدس وإعماره!؟ فمن أين جيئ بهؤلاء العمال؟ وأين أسكنوهم ليعملوا؟ وكيف أطعموهم؟ وكيف نسّقوا العمل بينهم؟ وهل يحتاج بناء مدينة إلى مثل هذا العدد من العمّال؟

٤ ـ تشويه المقدس:

بعد أن أجاب الحكماء على كل الإشكالات التي طرحها الحضور قام أحد الحشوية، وقال: ولكن ـ مهما يكن ـ فقد كان لتلك القصص والروايات دورها في توضيح وتفصيل ما ورد في القرآن الكريم، وهو ما يميل إليه أكثر الناس.. بالإضافة إلى أنه لولاها لكانت تفاسير القرآن الكريم مختصرة جدا، وكان التراث الإسلامي الذي نفتخر به محدودا أيضا.

قال أحد الحكماء: إن مثلكم أيها الشيخ الجليل مثل شخص استدعى ضيوفا ليقدم لهم وليمة، وكان لديه طعام طيب يكفيهم.. لكنه لشرهه للكثرة، وحبه للتمدح بها، راح يضيف إليها طعاما كثيرا خبيثا.. فهل تراكم تأكلون ذلك الطعام؟

قال الحشوي: سننتقي منه الطيب ونأكله.

قال الحكيم: فإن عسر عليكم التمييز؟

سكت الحشوي، فقال الحكيم: طبعا لو تجرأتم فأكلتموه؛ فستتسممون بذلك.. وسيكون ذلك الطعام وبالا عليكم لا منفعة لكم.

قال الحشوي: لكن ما علاقة ذلك بما نحن فيه؟

قال الحكيم: هذا ما فعله أسلافكم الذين تقدسونهم، فقد جرهم التساهل مع الكذب في الأخبار إلى التساهل من المتجرئين على الكذب على الله؛ فالمدمن على الكذب، لا

---

(١) معالم التنزيل ١/ ٢٤٥.

يكتفي بالكذب على الخلق والافتراء عليهم، وإنما تطالبه نفسه بالمزيد والمزيد إلى أن يفتري على الله نفسه، مثلما تفعل المخدرات بأصحابها، والذين يحتاجون إلى زيادة الجرعات كل حين، حتى يلبوا الحاجات التي لا تنقطع لإدمانهم.

قال آخر: لقد قال الله تعالى يشير إلى ذلك عند إخباره عن افتراءات اليهود على الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].. وهي تشير إلى أن اليهود ـ مع كثرة الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم ـ إلا أن نفوسهم الأمارة الممتلئة بالكذب وتزوير الحقائق جعلتهم لا يستفيدون منهم، وهو ما يدل على أن الكذب والافتراء هو الحجاب الأعظم بين الإنسان والحقائق.

بعد أن قال الحكماء هذا، دب صمت في ذلك المجلس، وقد رأيت خلاله وجوه الحشوية قد تغيرت، ورأيت عليها بعض الأنوار التي لم أرها من قبل، وبعد لحظات قليلة، قام كبيرهم، وقال: لست أدري ما أقول لكم معشر الحكماء، لكن ما ذكرتموه صحيح جدا.. وأنا الآن بين زملائي الشيوخ، وبين هؤلاء الحضور الكرام أقر وأشهد بأني كنت ضحية لكل تلك الإسرائيليات والخرافات التي دست في الدين.. والتي كنت أحسن الظن بها بسبب ثقتي الزائدة في رواتها، بل قولي بعصمتهم من حيث لا أشعر.. لكني الآن وبعد أن سمعت هذه الكلمات الطيبة، أقر أمامكم بأني كنت أحمل الكثير من العقائد المشوهة، والتي لا تتناسب مع جلال الله وجماله، ولا مع رسل الله عليهم السلام وكمالهم، ولا مع الدين

وقيمه.

قال آخر: ليس هناك أجمل من الحقيقة.. وأنا أشكر كثيرا شيخنا الشجاع الذي استطاع أن يقهر نفسه الأمارة، ويعلن توبته أمامكم.. وأنا بدوري أفعل ذلك.. ومستعد لأن أبين أمامكم كل الأخطاء التي كنا نمارسها من حيث لا نشعر في تخريب الإسلام وتشويهه.

وهكذا نطق جميع الحشوية بذلك، وأمثاله، وبعد أن انتهوا من حديثهم، قال بعض الحكماء: بارك الله فيكم، وفي إيمانكم وتقواكم وورعكم، ونحن نلتمس منكم أن تذكروا للحاضرين ما يحميهم من الشبهات التي قد تعرض لهم أو لأمثالهم في المستقبل؛ فلعل هناك من بيننا من يكتب ما تقولونه لينقله لغير أهل هذه المدينة.

قام كبير الحشوية، وقال: الأباطيل والخرفات التي دسها قومنا من الحشوية في الدين، لا يمكن إحصاؤها في هذا المجلس، ولذلك سنكتفي بذكر ثلاث منها، ترتبط بأصل الدين وعقائده الكبرى.. أما أولاها؛ فيرتبط بالعقيدة في الله.. وأما الثاني؛ فيرتبط بالعقيدة في رسله.. وأما الثالث؛ فيرتبط بالعقيدة في ملائكته.

أ. التجسيم والتشبيه:

قام بعض الحاضرين، وقال: فحدثونا عن التشويه المتعلق بالعقيدة في الله.

قال كبير الحشوية: الأمثلة والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر.. وهي تمتلئ بها تلك الكتب التي نعظمها ونقدسها، بل نقدمها على القرآن الكريم نفسه.. ومنها كتب التفسير وكتب السنة وكتب ذلك الذي كنا لا نسميه إلا بشيخ الإسلام.

كتب التشويه:

قال أحد الحضور: فهلا ذكرت لنا بعضها لنتجنبه ونحذر منه.

قال كبير الحشوية: منها (كتاب السنة) لابن أبي عاصم، ففي هذا الكتاب الكثير من الأخبار المنكرة الغريبة، مثل خلق الله آدم على صورة وجهه، أو على صورة الرحمن، وأن الله تعالى تجلى للجبل منه مثل الخنصر، وأن العرش يئط به من ثقله، وأنه يقعد محمداً ﷺ معه على العرش، وأن المؤمنين يجالسون الله عز وجل في الجنة وغير ذلك.. وقد عقد بابا في هذا الكتاب يذكر فيه أن الله يمكن أن يسمى شخصا أورد فيه هذا الحديث: (لا شخص أغير من الله تعالى، ولا شخص أحب إليه العذر من الله عز وجل، ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدح من الله تعالى، ومن أجل ذلك وعد الجنة)[1]

قال آخر: ومنها (كتاب السنة) المنسوب إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل.. فمما اشتمل عليه هذا الكتاب من التجسيم: وصفُه الله تعالى بالجلوس على العرش، وإثبات صدر له وذراعين، وإثبات الثقل والصورة التي صور عليها آدم، وأنه على كرسي من ذهب تحمله أربعة من الملائكة، وأنه واضع رجليه على الكرسي، وأن الكرسي قد عاد كالنعل في قدميه، وأنه إذا أراد أن يخوف أحداً من عباده أبدى عن بعضه، وأنه قرَّب داودَ عليه السلام حتى مس بعضه وأخذ بقدمه وغير ذلك مما سيكشف عنه البحث.

قال آخر: ومنها (كتاب السنة) لأبي بكر الخلال، والذي قرر فيه قعود النبي ﷺ مع الباري سبحانه على الفضلة التي تفضل من العرش.. وفيه أن الله عز وجل ينادي: يا داود أُدن مني فلا يزال يدنيه حتى يمس بعضه ويقول: كن أمامي فيقول رب ذنبي ذنبي، فيقول الله له كن خلفي خذ بقدمي[2].

قال آخر: ومنها (كتاب التوحيد) لأبي بكر بن خزيمة.. والذي عقد فيه بابا بعنوان

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٣٠)

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢٦٣)

إثبات الأصابع لله عز وجل، وبابا في إثبات القدم، ونحو ذلك.. ومنها ما جاء في أن الكرسي موضع قدميه، وأن العرش يئط به، وأنه تجلى منه مثل طرف الخنصر، وأنه يهبط ثم يرتفع، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأن جنة عدن مسكنه، وأن محمداً ﷺ رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب يحمله أربعة من الملائكة، وغير ذلك.

قال آخر: ومنها كتاب (إبطال التأويلات) لأبي يعلى الفراء، والذي شحنه بأوصاف كثيرة لله يعف اللسان عن قولها، من أمثال[1]: (شاب، أمرد، أجعد، في حلة حمراء، عليه تاج، ونعلان من ذهب، وعلى وجهه فَرَاش من ذهب).. وهو ينص كل حين على أن من لم يؤمن بهذه الصفات العظيمة فهو (زنديق)، (معتزلي)، (جهمي)، (لا تقبل شهادته)، (لا يسلم عليه)، (لا يعاد)، ثم يقول:(وليس في قوله: شاب وأمرد وجعد وقطط وموفور إثبات تشبيه، لأننا نثبت ذلك تسمية كما جاء الخبر لا نعقل معناها، كما أثبتنا ذاتا ونفسا، ولأنه ليس في إثبات الفَرَاش والنعلين والتاج وأخضر أكثر من تقريب المحدث من القديم، وهذا غير ممتنع كما لم يمتنع وصفه بالجلوس على العرش..)[2]

قال آخر: وهو يرجع كثيرا إلى اليهود وتلاميذهم، فينقل عن كعب الأحبار أنه قال:(إن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال: إني واطئ على بعضك، فانتسفت إليه الجبال فتضعضعت الصخرة فشكر الله لها ذلك فوضع عليها قدمه)[3]، ثم يعتبر هذا لإفك حقيقة عقدية، يدلل لها بالرواية التالية:(آخر وطأة وطئها رب العالمين بوَجّ)، ثم يذكر قول كعب الأحبار:(وَجّ مقدس، منه عَرَجَ الرب إلى السماء يوم قضى خلق الأرض)، ويعلق على هذه

---

(1) إبطال التأويلات: ١/ ١٣٣.

(2) إبطال التأويلات: ١/ ١٤٦.

(3) إبطال التأويلات: ١/ ٢٠٢.

الترهات بقوله:(اعلم أنه غير ممتنع على أصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن ذلك على معنى يليق بالذات دون الفعل)[1]

قال أحد الحضور: فهل هناك من خص هذه المعاني بالتأليف؟

قال كبير الحشوية: أجل.. وكثيرون هم.. ومن أمثلتها ما كتب حول إثبات الجهة والمكان لله تعالى، كالكتب المؤلفة حول العرش، مثل (كتاب العرش وماروي فيه) لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة.. وقد ذكر في هذا الكتاب أن أقرب الخلق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل، بينهم وبين ربهم مسيرة خمسمائة عام، وأن السماء منفطرة من ثقل الله، وأن محمداً ﷺ رأى ربه في روضة خضراء وغير ذلك.

قال آخر: ومنها (كتاب إثبات الحد لله عز وجل وبأنه قاعد وجالس على عرشه)، لأبي محمد محمود بن أبي القاسم بن بدران الآنمي الدشتي، والذي ذكر في مقدمته دوافعه لتأليفه، فقال: (فإن سائلاً سألني، وقال: أحب أن تجمع ما جاء في إثبات الحد لله تعالى، ويعني بذالك حدٌ لا يعلمه إلا الله، وأما من زعم أن لله عز وجل حداً يعلمه غيره فهو ضالٌ مضل مبتدع، فأجبت إلى ذلك، وجمعت في كتابي هذا شيئاً يسيراً من مذهب علماء السلف وأئمتهم، وما روي وصح عنهم، وما احتجوا في ذالك من الكتاب والسنة، وما ذكروه في كتبهم وتصانيفهم، منهم: الإمام عبدالله بن المبارك، والإمام أبو عبدالله أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبو عبد الله ابن بطة، وأبو إسماعيل الأنصاري، وأبو القاسم بن منده، وإسماعيل بن الفضل الأصبهاني، والقاضي أبو يعلى بن الفراء، والإمام أبو الحسن ابن الزاغوني، والحافظ أبو العلاء الهمذاني، رضي الله عنهم، وكل واحد منهم له تصانيف كثيرة، وإمام من أئمة الإسلام، وحافظ من الحفاظ، وعالم من

---

(١) إبطال التأويلات (ص ٣٧٩)

العلماء، وفقيه من الفقهاء، وشيخ من المشايخ فكلهم من أصحاب الحديث، يعرفون تفسير القرآن العظيم، والأحاديث عن النبي ﷺ، وتأويلها، واحتجوا في إثبات الحد لله عز وجل بنص الكتاب والسنة، وما قالوا في ذلك بالمقاييس والآراء، ولا بأهواء أنفسهم، وإنما قالوا بدلائل وبراهين من الكتاب والسنة، ولا يكون على وجه الأرض أحدٌ أعلم بالكتاب والسنة من أصحاب الحديث، فمن يخالفهم ولا يقول ما قالوه، ولا يعتقد ما اعتقدوه؛ فهو مبتدع ضال مضل)[1]

قال آخر: ومنها كتاب (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)، للشيخ حمود بن عبدالله بن حمود التويجري، وهو منتشر كثيرا، وقد ذكر مؤلفه دوافع تأليفه، فقال: (ولا يزال القول بمذهب الجهمية مستمرا إلى زماننا.. وقد رأيت ذلك في بعض مؤلفات المعاصرين وتعليقاتهم الخاطئة، وذكر لي عن بعض المنتسبين إلى العلم أنه ألقى ذلك على الطلبة في بعض المعاهد الكبار في مدينة الرياض. ولما ذكر له بعض الطلبة قول أهل السنة أعرض عنه وأصر على قول الجهمية. عافانا الله وسائر المسلمين مما ابتلاه به)[2]، وهو يقصد بالجهمية كل منزهة الأمة، لأنهم جميعا، حتى مع تصحيح الحديث لا يقولون بمقتضاه الظاهر، بل يؤولونه بمختلف صنوف التأويلات.

نماذج وأمثلة:

قال أحد الحضور: بورك فيكم.. فهلا ذكرتم لنا بعض الأمثلة والنماذج عنها.

قال كبير الحشوية: هي كثيرة جدا.. لكنا سنقتصر لكم على سبعة نماذج منها لتتأكدوا مما نقول.

قالوا: فهات النموذج الأول.

---

(١) إثبات الحد لله عز وجل، ص٨.

(٢) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (١/ ٦)

قال الحشوي: هو ما رواه أبو الشيخ الأصفهاني بسنده عن كعب الأحبار أنه قال: (قال الله عز وجل أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على العرش أدبر أمر عبادي، لا يخفى علي شيء من أمر عبادي في سمائي وأرضي، وإن حُجبوا عني فلا يغيب عنهم علمي، وإلي مرجع كل خلقي فأنبئهم بما خفي عليهم من علمي، أغفر لمن شئت منهم بمغفرتي، وأعذب من شئت منهم بعقابي)[١]

قال آخر: انظروا إلى هذه الرواية وما تحمله من كل معاني التجسيم، والتي لاقت قبولا كبيرا من طرف أصحابنا، يحتجون بها، وكأنها قرآن منزل[٢].. إن هذه الرواية تنبه الحس على أن يقدر لله وجوداً جسمياً في أعلى نقطة من الكون.. فوق العرش.

قال آخر: ثم انظروا كيف تأثر أصحابنا بها، حيث قال أحدهم، وهو عثمان الدارمي:(وإنما يعرف فضلُ الربوبية وعِظمُ القدرة بأن الله تعالى من فوق عرشه وبعد مسافة السموات والأرض يعلم ما في الأرض وما تحت الثرى وهو مع كل ذي نجوى، ولذلك قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ولو كان في الأرض كما ادعيتم بجنب كل ذي نجوى ما كان بعجبٍ أن ينبئهم بما عملوا يوم القيامة فلو كنا نحن بتلك المنزلة منهم لنبأنا كل عامل منهم بما عمل)[٣]

قالوا: وعينا هذا.. فهات النموذج الثاني.

قال الحشوي: هو ما رواه الطبري في تفسيره، حيث قال: جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دقّ الله تعالى، أفتسأل عن هذا؟ فقال كعب: دعوه، فإن يك عالما ازداد، وإن يك جاهلا تعلم، سألت أين ربنا، وهو على العرش العظيم متكئ،

---

(١) العظمة ٢/ ٦٢٦.

(٢) العرش للذهبي ٢/ ١٤٨.

(٣) نقض عثمان بن سعيد ٤٤٣.

واضع إحدى رجليه على الأخرى، ومسافة هذه الأرض التي أنت عليها خمسمائة سنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، حتى تمّ سبع أرضين، ثم من الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، والله على العرم متكئ، ثم تفطر السموات.. ثم قال: إقرؤوا إن شئتم: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥])[1]

قال آخر: هل رأيتم أبلغ من هذا التجسيم.. وأبشع من هذه الخرافة.. إننا لو حسبنا هذه المسافة لربما لم نصل إلى نجم من النجوم التي نراها.. لكن كعبا يقول لنا: إننا إذا قطعنا هذه المسافة، فسنصل إلى الله.. تعالى الله عن قوله علوا كبيرا؟.. ولهذا تجدون أصحابنا ينكرون الاكتشافات العلمية، وخاصة الفلكية منها، لأنها تقضي على كل تصوراتهم لربهم وللكون.

قالوا: وعينا هذا.. فهات النموذج الثالث.

قال الحشوي: هي رواية طويلة رواها السيوطي في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) عن كثير من المحدثين، ومما ورد فيها: (فقال عمر بن الخطاب عند ذلك: ألا تسمع يا كعب ما يحدثنا به ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة ما له فكيف بأعلاهم؟ قال: يا أمير المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله كان فوق العرش والماء، فخلق لنفسه دارا بيده، فزينها بما شاء وجعل فيها ما شاء من الثمرات والشراب، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه منذ خلقها جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧][2].. هل رأيتم أبلغ من هذا التجسيم؟.. هل رأيت – سيدي القاضي – أبلغ من هذا التجسيم؟.. ومع ذلك نرى شيخنا شيخ الإسلام

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٠١)

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٨/ ٢٥٩)

ابن تيمية يثني عليه، ويقبله، ويستدل بمروياته، وكأنها آيات منزلة، أو أحاديث من لا ينطق عن الهوى.

قالوا: وعينا هذا.. فهات النموذج الرابع.

قال الحشوي: هو ما ورد في كتاب لأبي الشيخ الأصفهاني، صاحب أكبر كتاب في الخرافة، والذي يطلق عليه كتاب (العظمة)، وهو من الكتاب التي أثنى عليها ابن تيمية، وبين أنها من مصادر السنة، وهي توضح مفهوم عظمة الله عندهم [1].

قال آخر: ومن الأمثلة على ما ورد فيه ما فسر به قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، فقد قال في بعض أحاديثه: (بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى صار بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال رب أرني أنظر إليك)[2]. وهو واضح في الدلالة على المكان، وعلى مفهوم القرب عنده وعند أصحابنا جميعا؛ فالقرب عندهم قرب حسي متعلق بالمسافة، لا بعبادة الله أو محبته والأنس به.

قالوا: وعينا هذا.. فهات النموذج الخامس.

قال الحشوي: هو ما ورد في مصادرنا في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فمن الروايات الواردة في ذلك ما نرويه كذبا وزورا عن ابن مسعود أنه قال: (إن ربكم تبارك وتعالى ليس عنده ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم عنده ثنتي عشرة ساعة، فيعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار واليوم، فيها ثلاث ساعات، فيطلع فيها على ما يكره فيغضب كذلك، فأول من يعلم بغضبه

---

(١) انظر ما ورد في مقدمة المحقق رضاء الله بن محمد المباركفوري ١/ ١٢ و٤٠و٨٣ و٨٥.

(٢) العظمة٢/ ٧١٤ (٣٠١)

الذين يحملون العرش، والملائكة المقربون، وسائر الملائكة، فينفخ جبريل في القرن فلا يبقى شيء إلا يسبحه غير الثقلين، فيسبحونه ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن عز وجل رحمة، فتلك ست ساعات، ثم يؤتى بها في الأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات، فيصوركم في الأرحام كيف يشاء، لا إله إلا هو العزيز الحكيم يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، فتلك تسع ساعات، ثم ينظر في أرزاق الخلق ثلاث ساعات، فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو بكل شيء عليم، فتلك ثنتا عشرة ساعة، ثم قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] هذا من شأنكم وشأن ربكم عز وجل)[١]

قال آخر: هل رأيتم كيف تحول الله في هذه الرواية المزورة إلى حاكم أو امبراطور لا يختلف عن أي حاكم أو امبراطور في الدنيا؟

قالوا: وعينا هذا.. فهات النموذج السادس.

قال الحشوي: هو الروايات الكثيرة التي تدل على أن لله وزنا محددا، وأنه ثقيل، وهو ما يفسرون به ما يطلقون عليه [أطيط العرش[٢]]، ويربطونه بثقل الله عليه، ويعتبرن ذلك من دلائل عظمة الله.. ومن تلك الروايات ما رووه عن عمر أنه قال: (إذا جلس عز وجل على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد)، وقد ذكر في الرواية (فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث لاينكرونها)[٣]

قال آخر: وقد علق البغوي على هذه الرواية بقوله: (هذا حديث أورده أبو داود سليمان بن الأشعث في الرد على الجهمية والمعتزلة.. قال أبو سليمان الخطابي: وقوله: (إنه

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٤٧٧)

(٢) الأطيط: نقيض صوت المحامل والرحال إذا ثقل عليها الركبان، وأط الرحل والنسع يئط أطا وأطيطا: صوت، وكذلك كل شيء أشبه صوت الرحل الجديد. لسان العرب: (١/ ٩٢)

(٣) رواه عبدالله في السنة (رقم٥٨٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٥٢)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٦٧)

ليئط به) معناه: إنه ليعجز جلاله وعظمته حتى يئط به، إذ كان معلوما أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه ولعجزه عن احتماله)[1]

قال آخر: وقد رووا أنه لشدة قرب أهل الجنة من الله تعالى يسمعون صوت الأطيط، فقد رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سلوا الله جنة الفردوس، فإنها صرة الجنة، وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش)[2]

قالوا: وعينا هذا.. فهات النموذج السابع.

قال الحشوي: هو ما يروونه من أنه يمكن بحسابات بسيطة أن نصل إلى مكان الله، يقول فيه:(ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء إلى التي تليها مسيرة خمسمائة عام، كذلك إلى السماء السابعة، والأرضين مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك، ولو حفرتم لصاحبكم فيها لوجدتموه)[3]

قال آخر: ومن تلك الروايات ما يروى عن وهب بن منبه أنه قال: (العرش مسيرة خمسين ألف سنة)[4]

قال آخر: ورووا عن ابن مسعود تحديدا أكثر دقة للمسافة يمكن للفلكيين المعاصرين الاستفادة منه للوصول إلى محل العرش، فقد رووا عنه قوله: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)[5]

---

(١) شَرْحُ السُّنَّةِ (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦)

(٢) ابن بطة في الإبانة: ق (١٩٥/ب)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٣٧١)، والطبراني في المعجم الكبير: ص ٧٩٦٦.

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٥٥٨)

(٤) أورده الذهبي في العلو: ص ٦١، وأورده ابن كثير في البداية: (١/ ١١)

(٥) رواه ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٠٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٠١)

قال آخر: وقد صحح هذه الرواية ابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية)[1]، ومثله الذهبي ـ مع تشدده في التصحيح ـ في (العلو)[2].. وقد قال الشيخ ابن عثيمين عنها: (هذا الحديث موقوف على ابن مسعود، لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها، فيكون لها حكم الرفع، لأن ابن مسعود لم يُعرف بالأخذ من الإسرائيليات)[3]

قال آخر: وقد كنت في فترة إيماني بهذه الخرافات أكذب كل ما يقوله العلم من أن الشمس تبعد عنا حوالي ١٥٠ مليون كم تقريباً، وأن أقرب النجوم إلينا بعد الشمس وهي نجمة ألفا قنطورس تبعد عنا ٤،٢٢ سنة ضوئية، وحيث إنّ السنة الضوئية (المسافة التي يقطعها الضوء في سنة) تساوي ٩،٤٦ مليوم مليون كم.. فهذا يعني أن أقرب النجوم إلينا بعد الشمس تبعد عنا نحو ٤٠ مليون مليون كم، وقد كنت أقول لمن يردد بين يدي هذه المعلومات: إن الأرقام التي تذكرونها تجعل الكون جميعا بعرشه وبفرشه لا يتجاوز المجموعة الشمسية في أحسن الأحوال.. ولذلك فهي مرفوضة؛ فروايات سلفنا أوثق مما جاء به علماؤكم.

ب. تدنيس النبوة:

بعد أن انتهى الحشوية التائبون من ذكر الأدلة على ما في كتبهم من تجسيم وتشبيه، قام بعض الحضور، وقال: وعينا هذا.. فحدثونا عن التشويه الذي تعرضت له النبوة؟

قال كبير الحشوية: أجل.. وربما يكون أعظم خطرا مما ذكرناه؟

قال أحد الحضور: فهل هناك ما هو أخطر من تشويه العقيدة في الله؟

قال الحشوي: نعم إن تشويه العقيدة في الله خطير جدا، وهي تجعل صاحبها وثنيا

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٠٠)

(٢) العلو (ص ٦٤)

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٣/ ٣٧٩)

من حيث لا يشعر، لكن تشويه الأنبياء والرسل وأعلام الهداية خطير أيضا، لأنه يرفع كل القيم النبيلة.. فالأنبياء هم الهداة؛ فإذا استطاع المدلسون تشويههم استطاعوا بعد ذلك أن ينسخوا ويمحوا كل القيم النبيلة التي دعوا إليها.

قال الحضور: فهل حصل هذا؟

قال الحشوي: أجل.. وسأذكر لكم ـ مع زملائي ـ سبعة نماذج عنها.

من قصة يعقوب:

قالوا: فما أولها؟

قال الحشوي: أولها يرتبط بيعقوب عليه السلام؛ فمع أن القرآن الكريم اقتصر عند ذكره له حرصه على إسلام أهله وولده، ووصيته لهم، وحرصه على ابنه يوسف، وتفويضه أمره فيما حصل له لله تعالى إلا أن الروايات التي كنا نرويها عنه مستندين لأولئك الكذبة كانت تنحرف بسيرته انحرافا تاما.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك هذه القصة الطويلة التي سأذكرها لكم، ففي كل حرف منها تشويهات عظيمة، لا بنبي الله يعقوب عليه السلام فقط، وإنما بكل القيم النبيلة التي يقوم عليها الكون.. والرواية ما حدث به السدي، أنه قال: (تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص: والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي ولأقتلنها، فتأخر يعقوب، وخرج عيص قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فخرج فسمي عيصا لأنه عصى، فخرج قبل يعقوب، وسمي يعقوب لأنه خرج آخذا بعقب عيص، وكان يعقوب أكبرهما في البطن، ولكن عيصا خرج قبله.. وكبر الغلامان، فكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فلما كبر إسحاق، وعمي، قال

لعيص: يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي، وكان عيص رجلا أشعر، وكان يعقوب رجلا أجرد، فخرج عيص يطلب الصيد، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب: يا بني، اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوه، والبس جلده وقدمه إلى أبيك، وقل له: أنا ابنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلما جاء قال: يا أبتاه كل، قال: من أنت؟ قال: أنا ابنك عيص، قال: فمسه، فقال: المس مس عيص، والريح ريح يعقوب، قالت أمه: هو ابنك عيص فادع له، قال: قدم طعامك، فقدمه فأكل منه، ثم قال: ادن مني، فدنا منه، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك، وقام يعقوب، وجاء عيص فقال: قد جئتك بالصيد الذي أمرتني به، فقال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب، فغضب عيص وقال: والله لأقتلنه، قال: يا بني قد بقيت لك دعوة، فهلم أدع لك بها، فدعا له فقال: تكون ذريتك عددا كثيرا كالتراب ولا يملكهم أحد غيرهم، وقالت أم يعقوب ليعقوب: الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص، فانطلق إلى خاله، فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار، ولذلك سمي إسرائيل، وهو سري الله)[1]

من قصة يوسف:

قالوا: وعينا هذا.. فما الثاني؟

قال: الثاني يرتبط بيوسف عليه السلام.. وهي الروايات المفسرة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فقد فسر رواتنا تلك الآثار المستمدة من اليهود؛ فجعلوا همها وهمه واحدا.. أي أنه همّ بالمخالطة، وأنّ همّه بها كان كهمّها به، ولولا أنه رأى برهان ربّه لفعل، وقد صانته عن ارتكاب الجريمة ـ بعد الهمّ بها ـ رؤية البرهان، مع أنه كان يمكنهم أن يفسروها على مقتضى اللغة وعلى مقتضى عصمة الأنبياء بسهولة ويسر..

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٣١٩)

ولذلك وجوه كثيرة، وبجميعها نطق العرب.. وأبسطها أن يقدروها (لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها)، لأن ذلك يدل على عدم تحقّق الهم منه لمّا رأى برهان ربّه.

قال آخر: و﴿برهان ربه﴾كما فسره القرآن الكريم هو تلك الحجج اليقينية التي تجلّي الحق ولا تدع ريباً لمرتاب، كما قال تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

قال آخر: وهذا البرهان هنا هو (العلم المكشوف واليقين المشهود الذي يجر النفس الإنسانية إلى طاعة لا تميل معها إلى معصية، وانقياد لا تصاحبه مخالفة.. ذلك أن إحدى أُسس العصمة هو العلم اليقين بنتائج المآثم وعواقب المخالفة علماً لا يغلب، وانكشافاً لا يقهر، وهذا العلم الذي كان يصاحب يوسف هو الذي صدّه عمّا اقترحت عليه امرأة العزيز)[1]

قال آخر: وهذا هو تفسير القائلين بالعصمة المطلقة للهم وللبرهان.. وهو تفسير يتوافق مع القرآن الكريم كما يتوافق مع اللغة العربية.. لكننا للأسف كنا ننكره، لأننا إن قبلناه، فسنرفض تلك الروايات والقصص التي كنا نرتاح لها أكثر من راحتنا للقرآن نفسه.

قال آخر: ومن تلك الروايات ما وري عن السدي أنه قال: قالت له: يا يوسف، ما أحسن شعرك!.. قال: هو أول ما ينتثر من جسدي، قالت: يا يوسف، ما أحسن وجهك!.. قال: هو للتراب يأكله، فلم تزل حتى أطمعته، فهمت به وهم بها، فدخلا البيت، وغلقت الأبواب، وذهب ليحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائما في البيت، قد عض على إصبعه، يقول: (يا يوسف لا تواقعها)، فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا

---

(١) مفاهيم القرآن: ٤ / ٣٨٥ ـ ٣٩٢.

يطاق، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطع أن يدفع عن نفسه، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، فربط سراويله، وذهب ليخرج يشتد، فأدركته، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته، حتى أخرجته منه وسقط، وطرحه يوسف واشتد نحو الباب)[1]

قال آخر: وروى عن ابن إسحاق، قال: (أكبت عليه ـ يعني المرأة ـ تطمعه مرة وتخيفه أخرى، وتدعوه إلى لذة من حاجة الرجال في جمالها وحسنها وملكها، وهو شاب مستقبل يجد من شبق الرجال ما يجد الرجل، حتى رق لها مما يرى من كلفها به، ولم يتخوف منها حتى هم بها وهمت به، حتى خلوا في بعض بيوته)[2]

قال آخر: وبعد أن روى الطبري أمثال هذا الغثاء عن جميع سلفنا الذين وكلنا لهم تفسير القرآن الكريم واستنباط العقائد منه من أمثال مجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم.. طرح هذا الإشكال الخطير، فقال: (فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا، وهو لله نبي؟)[3].. ثم أجاب عليه بقوله: (قيل: إن أهل العلم اختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: كان من ابتلي من الأنبياء بخطيئة، فإنما ابتلاه الله بها، ليكون من الله عز وجل على وجل إذا ذكرها، فيجد في طاعته إشفاقا منها، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته.. وقال آخرون: بل ابتلاهم الله بذلك، ليعرفهم موضع نعمته عليهم، بصفحه عنهم، وتركه عقوبته عليه في الآخرة.. وقال آخرون: بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا)[4]

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٣٣)، ورواه في تاريخه ١: ١٧٣.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٤)

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٣٧)

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨)

قال آخر: ولم يكتف بهذا، بل راح يرمي أقوال المخالفين لهذا بالبدعة، فقد قال بعدما ذكر ما سماها إجابات أهل العلم عن سر ما نسب ليوسف عليه السلام ظلما وبهتانا: (وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأوّلوا القرآن بآرائهم، فإنهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة، فقال بعضهم: معناه: ولقد همت المرأة بيوسف، وهمَّ بها يوسف أن يضربها أو ينالها بمكروه لهمِّها به مما أرادته من المكروه، لولا أنّ يوسف رأى برهان ربه، وكفَّه ذلك عما همّ به من أذاها لا أنها ارتدعت من قِبَل نفسها، قالوا: والشاهد على صحة ذلك قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [يوسف: ٢٤]،قالوا: فالسوء هُو ما كان همَّ به من أذاها، وهو غير الفحشاء.. وقال آخرون منهم: معنى الكلام: ولقد همت به، فتناهى الخبرُ عنها، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف، فقيل: (وهم بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه)، كأنهم وجَّهوا معنى الكلام إلى أنَّ يوسف لم يهمّ بها، وأن الله إنما أخبر أنَّ يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهمَّ بها، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهمَّ بها، كما قيل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣])[١]

قال آخر: ثم رد على هذه الأقوال التنزيهية الجارية على وفق مقتضى اللغة، بل على مقتضى القرآن الكريم، فقال: (قال أبو جعفر: ويفسد هذين القولين: أن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها، لا تقول: (لقد قمت لولا زيد)، وهي تريد: (لولا زيد لقد قمت)، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن، الذين عنهم يؤخذ تأويله)[٢].. ولسنا ندري من أين له هذا المعنى اللغوي، والذي قال به كبار علماء اللغة، وهم أدرى بها، وأكثر تخصصا منه؟

من قصة أيوب:

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨)

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٩)

قالوا: وعينا هذا.. فما الثالث؟

قال الحشوي: الثالث يرتبط بتفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، ومن أمثلتها ما كنا نرويه عن عبد الرحمن بن جبير، قال: (لما ابتلي نبي الله أيوب عليه السلام بماله وولده وجسده، وطرح في مزبلة، جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان على ذلك، وكان يأتي أصحاب الخبز والشوي الذين كانوا يتصدقون عليها، فيقول: اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم، فإنها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها، فالناس يتقذرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك؛ وكان يلقاها إذا خرجت كالمحزون لما لقي أيوب، فيقول: لج صاحبك، فأبى إلا ما أتى، فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضر، ولرجع إليه ماله وولده، فتجيء، فتخبر أيوب، فيقول لها: لقيك عدو الله فلقنك هذا الكلام، ويلك، إنما مثلك كمثل المرأة الزانية إذا جاء صديقها بشيء قبلته وأدخلته، وإن لم يأتها بشيء طردته، وأغلقت بابها عنه! لما أعطانا الله المال والولد آمنا به، وإذا قبض الذي له منا نكفر به، ونبدل فيره! إن أقامني الله من مرضي هذا لأجلدنك مئة، قال: فلذلك قال الله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤])[1]

قال آخر: وخطورة هذه الرواية ليس في صورة البلاء الذي صورت لأيوب عليه السلام فقط، بحيث طرح في المزابل لأجل المرض الذي حل به، وإنما خطورتها في تلك الرعونة والقسوة التي صوروا بها أيوب عليه السلام، وهو يخاطب زوجته التي نصحته أن يدعو الله، فأجابها بذلك الفحش الذي ننزه أنبياء الله عنه.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢١٢)

قال آخر: ومن الروايات التي كنا نرويها في هذا ما روي عن الحسن، قال: (لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا، ما يسأل الله عز وجل أن يكشف ما به.. فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب، فيزعمون أن بعض الناس، لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا! فعند ذلك دعا)[1]

قال آخر: وخطورة هذه الرواية أيضا في تصوير أيوب عليه السلام، وكرامته على الله بسبب عدم دعائه، وهذا يتناقض مع ما ذكر في القرآن الكريم من كثرة دعوات الأنبياء لله تعالى.

قال آخر: ومن الروايات الخطيرة في هذا ما كنا نرويه عن وهب بن منبه أن أيوب عليه السلام لم يقل تلك الكلمة التي ذكرها القرآن الكريم عنه، وإنما قال بدلها: (رب لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرفت به وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما، إلهي أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي، وجعلتني للبلاء عرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلني وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلا نظر إلي فيرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي)[2]

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٣٢٢)

(٢) تفسير البغوي ـ إحياء التراث (٣/ ٣٠٦)

قال آخر: وخطورة هذه الكلمات ليس في مخالفتها للقرآن الكريم فقط، وإنما لتصويرها أن أيوب عليه السلام يتعامل مع ربه بتلك الشدة، بل يتهم رحمته، ويطلب منه أن يدنو منه حتى يخاصم عن نفسه.. ولسنا ندري من يخاصم؟

قال آخر: ومثل ذلك كنا نذكر ـ من خلال روايات سلفنا ـ أن الله تعالى أجابه بخلاف ما ذكره القرآن الكريم: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، وإنما أجابه بنزوله على الغمام وخطابه له، قال وهبه بن منبه: (فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عز وجل يقول: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا ثم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك، وقم مقام جبار يخاصم جبار إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا شبه لي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغه بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد بأطرافها وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا محفوظا في الهواء..)[1] إلى آخر ما ذكره.

قال آخر: والعجيب أن الذي كنا نطلق عليه شيخ الإسلام استدل بهذه القصة على دنو الله من خلقه، فقال: (..وقد جاء أيضاً من حديث وهب بن منبه وغيره من الاسرائيليات قربه من أيوب عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام، ولفظه الذي ساقه البغوى أنه أظله غمام ثم نودى يا أيوب أنا الله، يقول أنا قد دنوت منك أنزل منك قريبا)[2]

قال آخر: ولم نكن تكتف بكل ذلك، بل راحنا نصور أيوب عليه السلام بصورة

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٠٣)

(٢) كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة ٥/ ٤٦٤.

الحريص على الدنيا، المتكالب على متاعها، وقد كنا نروي في ذلك عن رسول الله ﷺ قوله: (بينما أيوب عليه الصلاة والسلام يغتسل عريانا، خر عليه جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، قال: فناداه ربه عز وجل: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك؛ قال: بلى، يارب ولكن لا غنى بي عن بركاتك)[1]

قال آخر: ولسنا ندري ما جدوى أن يصور النبي عريانا، ثم يصور حرصه على الذهب، وكلاهما تصويران يحرص اليهود على وصف الأنبياء بهما.. بالإضافة إلى التناقض الموجود في الحديث؛ فأيوب عليه السلام ـ كما تذكر الرواية ـ وبعد أن سقط عليه جراد الذهب وهو عريان أخذ يحثي بثوبه؟

من قصة داود:

قالوا: وعينا هذا.. فما الثالث؟

قال الحشوي: الثالث يرتبط بالروايات المفسرة لقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢١ـ٢٥]

قال آخر: فمع أن الآيات الواضحة في دلالتها من خلال ظاهر ألفاظها، وهي تنسجم تماما مع تلك الشفافية الروحية التي وصفه الله بها.. خاصة وأن الله تعالى قدم لذلك

---

(١) أحمد ٢/ ٣١٤ (٨١٤٤) والبخاري ١/ ٧٨ (٢٧٨) النسائي ١/ ٢٠٠

بقوله: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧ ـ ١٩]، وهي آيات كريمة تشير إلى تلك الشفافية الروحية لداود عليه السلام، والتي لم يمنعه من أداء وظيفته المرتبطة بالرعية والخلافة عليها، ولذلك بمجرد أن تسور الرجلان عليه المحراب، وأخبره أولهما بالظلم الذي لحق به، سارع فانتصر له، مثلما فعل قبل ذلك أخوه موسى عليه السلام حين سارع لنصرة المستضعف.. وهنا عاتبه الله لأنه لم يستمع للثاني من الخصمين.. ولكونه أوابا وصاحب روحانية عالية، فقد تأثر لذلك العتاب تأثرا شديدا، وهوى ساجدا لله بكل رقة وعبودية وخضوع.

قال آخر: هذه هي الدلالة الظاهرة للقصة كما وردت في القرآن الكريم.. وهو تفسير يتوافق مع القرآن الكريم كما يتوافق مع اللغة العربية.. لكننا لشغفنا بالإسرائيليات لم نلتفت إلى هذه المعاني القرآنية واللغوية.. بل رحنا نفسرها بالروايات والقصص.

قال آخر: ومن الأمثلة عنها ما ذكره الطبري من روايات كثيرة قدم لها بقوله: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، وهذا مثل ضربه الخصم المتسوّرون على داود محرابه له، وذلك أن داود كانت له فيما قيل: تسع وتسعون امرأة، وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قُتل امرأة واحدة؛ فلما قتل نكح فيما ذكر داود امرأته، فقال له أحدهما: (إِنَّ هَذَا أَخِي) يقول: أخي على ديني)[1]

قال آخر: ومن العجب أن الذين ينكرون القول بالمجاز والكناية وغيرها في حق الله تعالى حتى لو أدى ذلك للتجسيم، نراهم هنا يفسرون [النعجة] بالمرأة من باب الكناية..

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٧٧)

وإنما يعني: لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه)[1]

قال آخر: وبعد أن مهد لهذا، أخذ يذكر الروايات عن سلفنا من أهل العلم المعتبرين التي تفسر ذلك، وقد بدأها بما رواه عن ابن عباس أنه قال: (إن داود قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله، قال الله: إني ابتُليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتُليتك بمثل ما ابتُليتهم به، وأعطيتك كما أعطيتهم، قال: نعم، قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك; فكان ما شاء الله أن يكون، وطال ذلك عليه، فكاد أن ينساه; فبينا هو في محرابه، إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها، فطار إلى كوّة المحراب، فذهب ليأخذها، فطارت، فاطلع من الكوّة، فرأى امرأة تغتسل، فنزل نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من المحراب، فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أن زوجها غائب، فكتب إلى أمير تلك السَّرية أن يُؤَمِّره على السرايا ليهلك زوجها، ففعل، فكان يُصاب أصحابه وينجو، وربما نُصروا، وإن الله عزّ وجلّ لما رأى الذي وقع فيه داود، أراد أن يستنقذه; فبينما داود ذات يوم في محرابه، إذ تسوّر عليه الخصمان من قبل وجهه; فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت، وقال: لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يستوّرون عليّ محرابي، قالا له: (لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) ولم يكن لنا بد من أن نأتيك، فاسمع منا; قال أحدهما: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) أنثى (وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) يريد أن يتمم بها مئة، ويتركني ليس لي شيء (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشد مني، فذلك قوله (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ).. إلى قوله (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) ونسي نفسه، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسم

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٧٩)

أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظن أنها فتن (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)أربعين ليلة، حتى نبتت الخُضرة من دموع عينيه، ثم شدّد الله له ملكه)[1]

قال آخر: بل إنه رفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقد روى عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن داود النبي حين نظر إلى المرأة فأهم، قطع على بني إسرائيل، فأوصى صاحب البعث، فقال: إذا حضر العدو، فقرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه)[2]

من قصة سليمان:

قالوا: وعينا هذا.. فما الخامس؟

قال الحشوي: الخامس يرتبط بالروايات المفسرة لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، فقد رووا أنّه كان لسليمان عليه السلام ألف امرأة، ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سرية.. ورفعوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقد رووا عنه أنه قال: (ألف امرأة عند رجل، ومائة امرأة عند رجل أكثر أو تسع نسوة؟)[3]

قال آخر: ومثلها الروايات المفسرة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، ومنها ما رووه عن وهب بن منبه قال: (سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر، يقال لها صيدون، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٨١)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٧)

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ٣٢٩)

اليه سبيل، لمكانه في البحر، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع منه شيء في بر ولا بحر، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها واستفاء ما فيها، وأصاب فيما أصاب ابنة لذلك الملك لم ير مثلها حسنا وجمالا، فاصطفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة، وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه، ووقعت نفسه عليها، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها، ولا يرقأ دمعها، فقال لها، لما رأى ما بها وهو يشق عليه من ذلك ما يرى: ويحك، ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ! قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه، فيحزنني ذلك، قال: فقد ابد لك الله به ملكا هو أعظم من ملكه، وسلطانا هو أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله، قالت: إن ذلك لكذلك، ولكني إذا ذكرته أصابني ما قد ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين، فصوروا صورة أبي في داري التي أنا فيها، أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثلوا لها صوره أبيها في دارها حتى ما تنكر منه شيئا، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه لها فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس، مثل ما كان يكون فيه من هيئة، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له، كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك، لا يعلم سليمان بشيء من ذلك أربعين صباحا..))[1]

قال آخر: هذا هو الجزء الأول فقط من القصة، وهو يظهر سليمان عليه السلام بصورة المتسلط الظالم الجبار، الذي يتسلط على غيره من الملوك، ثم يأسر بناتهم.. ثم يطلب منهن أن

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٩٩)

يتعاملن معه بلطف مع أنه هو الذي قتل والدهن.. وكل هذا كنا نقبله بسهولة.. لأنه لا قيم ثابتة عندنا.. فالولي عندنا ولي لكون الله تولاه فقط، أما الأخلاق فشأن آخر..

قال آخر: وهناك رواية قريبة من هذه الرواية رواها السدي، جاء فيها: (كان لسليمان مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة، وهي آثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولا يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها، فجاءته يوما من الأيام فقالت له: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي فأعطاها خاتمه، ودخل المحرج فخرج الشيطان في صورته، فقال: هاتي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا، وخرج من مكانه تائها، قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما..)[1].. إلى آخر القصة التي كنا نفسر بها الآيات الكريمة.. والتي كنا ندافع عنها ونبرر كل جزء ورد فيها.

من قصة يونس:

قالوا: وعينا هذا.. فما السادس؟

قال الحشوي: السادس يرتبط بالروايات التي كنا نفسر بها قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٤٧ ـ ٥٠]

قال آخر: فمن الروايات التي كنا نرويها في ذلك ما رواه سلفنا عن ابن عباس، قال: (بعثه الله ـ يعني يونس عليه السلام ـ إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه،

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٠٠)

فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه، فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبحها أدلج ورآه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم، وفرقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجوا إلى الله، فاستقالوه، فأقالهم، وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها، حتى مر به مار، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها، وعجوا إلى الله وتابوا إليه، فقبل منهم، وأخر عنهم العذاب، قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا، وعدتهم العذاب في يوم ثم رد عنهم، ومضى على وجهه مغاضبا)[1]

قال آخر: وهذا حديث خطير، فهو يصور يونس عليه السلام بصورة الغاضب من ربه، لأنه لم ينفذ العذاب عليهم.. ويصورونه فوق ذلك بصورة الغليظ القاسي الذي لم يفرح بإيمان قومه، بل يصورونه حزينا لأجل إيمانهم.

قال آخر: ومثله ما روي عن وهب بن منبه، أنه قال: (إن يونس بن متى كان عبدا صالحا، وكان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل، تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل، فقذفها بين يديه، وخرج هاربا منها، يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]: أي لا تلق أمري كما ألقاه)[2]

قال آخر: وقد علق الطبري على هذه الروايات وغيرها بقوله: (وهذا القول، أعني

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٢)

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣)

قول من قال: ذهب عن قومه مغاضبا لربه، أشبه بتأويل الآية، وذلك لدلالة قوله ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] على ذلك، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبي من الأنبياء ربه، واستعظاما له، وهم بقيلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم ما أنكروا، وذلك أن الذين قالوا: ذهب مغاضبا لربه اختلفوا في سبب ذهابه كذلك، فقال بعضهم: إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء، وقال بعض من قال هذا القول: كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك، وقد ذكرنا الرواية بذلك في سوره يونس، فكرهنا إعادته في هذا الموضع، وقال آخرون: بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه، ويدعوهم إليه، فسأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له: الأمر أسرع من ذلك، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها، فقيل له نحو القول الأول، وكان رجلا في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا، وممن ذكر هذا القول عنه: الحسن البصري)[1]

قال آخر: وقد حاول أن يبرر غضبه على ربه، فقال: (وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بها وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضبا لقومه، لأن ذهابه عن قومه مغاضبا لهم، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم، ليبلغهم رسالته، ويحذرهم بأسه، وعقوبته على تركهم الإيمان به، والعمل بطاعتك لا شك أن فيه ما فيه، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣)

الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها)[1]

من قصة موسى:

قالوا: وعينا هذا.. فما السابع؟

قال الحشوي: السابع يرتبط بموسى عليه السلام والذي كنا ننسب له الكثير من التشويهات التي لا تتناسب مع القيم الأخلاقية والروحية للأنبياء عليهم السلام، ومن الأمثلة عنها تلك الروايات، ومنها الرواية التي كنا ننسبها إلى رسول الله ﷺ وهي: (أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله إليه عينه، فقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)[2]

قال آخر: وقد لقي هذا الحديث ـ مع التشويهات العظيمة التي يحملها في حق الأنبياء والملائكة عليهم السلام ـ من أصحابنا المحدثين في القديم والحديث اهتماما كبيرا، حتى أنهم رووا عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه أنهما سئلا عن هذا الحديث في جملة من أحاديث الصفات، فقال أحمد: كل هذا صحيح، وقال إسحاق: (هذا صحيح ولا يدفعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي)[3]

قال آخر: بل إن الحافظ عبد الغني المقدسي جعل الإيمان بما في هذا الحديث من عقائد

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥١٣)

(٢) أحمد (٢/ ٢٦٩) والبخاري (٢/ ١١٣) وفي (٤/ ١٩١) ومسلم (٧/ ٩٩) والنسائي (٤/ ١١٨)

(٣) انظر: الشريعة، أبو بكر الآجري، (٢/ ٩٤) التمهيد، (٧/ ١٤٧، ١٤٨)

أهل السنة، فمن أنكره خرج عنهم مذؤوما مدحورا، فقال: (.. ونؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى ـ عليه السلام ـ فصكه ففقأ عينه، كما صح عن رسول الله ﷺ، ولا ينكره إلا ضال مبتدع أو ضعيف الرأي)(١)

قال آخر: وقد اجتهد أصحابنا في تبرير كل ما ورد في الحديث حرفا حرفا، مما لم يزد موسى عليه السلام إلا تشويها، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن حبان: (كان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها، وكان موسى غيورا، فرأى في داره رجلا لم يعرفه، فشال يده فلطمه، فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصورة التي يتصور بها، لا الصورة التي خلقه الله عليها..، ولـما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه، أو الناظر إلى بيته بغير أمره، أنه لا جناح على فاعله، ولا حرج على مرتكبه، للأخبار الجمة الواردة فيه..، كان جائزا اتفاق الشريعة بشريعة موسى، بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحا له، ولا حرج عليه في فعله، فلما رجع ملك الموت إلى ربه، وأخبره بما كان من موسى فيه، أمره ثانيا بأمر آخر، هو أمر اختبار وابتلاء، فلما علم موسى كليم الله أنه ملك الموت، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله، طابت نفسه بالموت، ولم يستمهل، وقال: الآن، فلو عرف موسى في المرة الأولى أنه ملك الموت، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به)(٢)

قال آخر: بل إن بعض أصحابنا ـ وهو محمد بن أحمد العلوي ـ ألف في ذلك كتابا بعنوان [توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك الموكل بقبض أرواح العباد]، وقد حاول أن يبين فيه أن الملاك الذي

(١) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، ص٥٣٣.

(٢) صحيح ابن حبان (١٤/ ١١٢)

فقأ موسى عليه السلام هو ملاك الموت، وأن عينه فقئت حقيقة، ولولا أن الله ردها عليه لبقي أعور.. يقول في ذلك: (إن ملك الموت جاء في صورة يمكن فقء البشر لعينها، والمعهود في مجيء الملك للبشر هو مجيئه له على صورة البشر، كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وكما أفادته النصوص القرآنية التي ذكر فيها مجيء الملائكة لإبراهيم وللوط وداود، وكذا نصوص الأحاديث التي ذكر فيها مجيء جبريل ـ عليه السلام ـ لنبينا ﷺ، وبه تبين أن فقأ العين هنا هو على ظاهره، وأنه وقع في الصورة البشرية التي جاء ملك الموت عليها، وهو ممكن غير متعذر إلا في الصورة الملكية الأصلية النورانية البعيدة عن ذلك، إذ لم يعهد مجيء الملائكة للبشر فيها، أما رؤية نبينا ﷺ لجبريل على صورته الأصلية في السماء مرة، وبين السماء والأرض أخرى، فهي خارجة عن مجيء الملك الذي عليه مدار الحديث هنا، وبمجموع هذا الذي قررناه يكون قد حل استشكال صك موسى لعين الملك، وحصول فقء عين الملك من أثره)[1]

قال آخر: وقد فسر دوافع موسى عليه السلام لفقء عين ملك الموت، فقال: (وعلى هذا فإن موسى لما رأى رجلا لا يعرفه قد دخل عليه بغتة، وقال ما قال، حمله حب الحياة على الاستعجال بدفعه، ولولا شدة حب الحياة لتأنى وقال: من أنت وما شأنك؟ ونحو ذلك، ووقوع الصكة وتأثيرها كان على ذاك الجسد العارض، ولم ينل الملك بأس، فأما قوله في القصة: (فرد الله عليه عينه)، فحاصله: أن الله تعالى أعاد تمثيل الملك في ذاك الجسد المادي سليما، حتى إذا رآه موسى قد عاد سليما مع قرب الوقت، عرف لأول وهلة خطأه أول مرة)[2]

قال آخر: أما مسألة القصاص بين موسى عليه السلام وملك الموت، وكيف لم يطلب

---

(١) توضيح طرق الرشاد، ص١٩٦ بتصرف.

(٢) الأنوار الكاشفة، ص٢١٥.

الملاك القصاص من موسى عليه السلام، فقد أجابوا عليها بقولهم: (ومن قال: إن الله لم يقتص لملك الموت من موسى، فهذا دليل على جهله، ومن أخبره أن بين الملائكة وبين الآدميين قصاص!؟ ومن قال: إن ملك الموت طلب القصاص من موسى، فلم يقاصصه الله منه، وقد أخبرنا الله تعالى أن موسى قتل نفسا، ولم يقاصص الله منه لقتله!)[1]

قال آخر: ومثل ذلك أجاب على القول بأن العين التي فقأها موسى عليه السلام (إنما هي تمثيل وتخييل، لا حقيقة لها؛ لأن ما تنتقل الملائكة إليه من الصور ليس على الحقائق، وإنما هو تمثيل وتخييل، فالجواب عنه: أن هذا يقتضي أن كل صورة رآها الأنبياء من الملائكة فإنما هي مجرد تمثيل وتخييل لا حقيقة لها، وهذا باطل، فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رأى جبريل على صورته التي خلق عليها سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض)[2]

قال آخر: والعجب أننا كنا نورد أمثال هذه الروايات، وندافع عنها جميعا، في نفس الوقت الذي كنا نروي فيه روايات أخرى تناقضها، ثم نأمر عقول الناس بأن تستسلم لها جميعا من غير كيف.. ومن تلك الروايات ما روي أن رسول الله ﷺ قال: (ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة)[3]

ج. تشويه الملائكة:

بعد أن انتهى الحشوية التائبون من ذكر الأدلة على ما في كتبهم من إساءات وتشويهات وتدنيسات للنبوة، قام بعض الحضور، وقال: وعينا هذا.. فحدثونا عن التشويه الذي تعرض له الملائكة عليهم السلام؟

قال كبير الحشوية: الأمثلة على ذلك كثيرة.. منها ما روي عن أبي هريرة، قال: قال

---

(١) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، ص٥٣٨.

(٢) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، ص٥٣٨.

(٣) رواه البخاري ٨ / ١٥ ومسلم رقم (٢٤٤٤) أحمد (٦/ ٢٧٤)

رسول الله ﷺ: (أتاني ملك برسالة من الله عز وجل، ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء، ورجله الأخرى ثابتة في الأرض لم يرفعها)[1].. وهذا خلاف ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]

قال آخر: ومن الروايات الخطيرة ما روي عن عبد الله بن عمرو، قال: (خلق الله عز وجل الملائكة من نور الصدر والذراعين)[2].. وهذه الرواية الخطيرة ـ بالإضافة لما تحمله من تجسيم ـ تصور الملائكة باعتبارهم جزءا من الله، أو من نور الله، وهم بذلك يقعون فيما ذكره الله تعالى عن المشركين حين قال: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو عن الكيفية التي خلقت بها الملائكة، حيث قال: (خلق الله عز وجل الملائكة من نور، وينفخ في ذلك، ثم يقول: ليكن منكم ألف ألفين، فإن من الملائكة خلقا أصغر من الذباب)[3]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروونه عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (إن في الجنة لنهرا ما يدخله جبريل عليه السلام من دخلة فيخرج فينتفض إلا خلق الله عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكا)[4]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروون عن وهب بن منبه، أنه قال: (إن لله تبارك وتعالى نهرا في الهواء سعة الأرضين كلها سبع مرات، ينزل على ذلك النهر ملك من السماء فيملؤه ويسد ما بين أطرافه، ثم يغتسل منه، فإذا خرج قطرت منه قطرات من نور، فيخلق من كل قطرة

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٢٩)
(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٣٣)
(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٣٤)
(٤) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٣٥)

منها ملك يسبح الله عز وجل بجميع تسبيح الخلائق كلهم)[1]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروون عن الضحاك أنه قال: (إن لله تبارك وتعالى ملكا إذا جهر بصوته صمتت الملائكة كلها تعظيما لذلك الملك، لا يذكرون إلا في أنفسهم، لأنهم لا يفترون عن التسبيح)، قيل له: وما ذلك الملك؟، قال: (ملك له ستون وثلاثمائة رأس، في كل رأس ستون وثلاثمائة لسان، لكل لسان ستون وثلاثمائة لغة)[2]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروون عن الأوزاعي أنه قال: (قال موسى عليه السلام: يا رب، من معك في السماء؟ قال: ملائكتي، قال: وكم هم يا رب؟ قال: اثنا عشر سبطا، قال: وكم عدد كل سبط؟ قال: عدد التراب)[3]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروون عن كعب، أنه قال: (ما من شجرة ولا موضع إبرة إلا وملك موكل بها، يرفع علم ذلك إلى الله تبارك، وإن ملائكة السماء أكثر من عدد التراب، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى منكبه مسيرة خمسمائة عام)[4]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروون عن عبد الله بن الحارث، قال: (ما من شجرة رطبة ولا يابسة إلا موكل بها ملك، يأتي الله عز وجل بعلمها ورطوبتها إذا رطبت، ويبسها إذا يبست كل يوم)، قال الأعمش: وهذا في الكتاب: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩])[5].. ولسنا ندري كيف عرف الأعمش أن هذا في كتاب الله مع أن الله تعالى ذكر في الآية أن كل شيء مكتوب عنده، أما علم الله بالأشياء، فلا يحتاج إلى ملك ولا إلى غيره.

قال آخر: ومثل ذلك ما يروون عن كعب في كيفية خلق الملائكة، وسر كثرتهم، أنه

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٣٦)

(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٠)

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤١)

(٤) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٢)

(٥) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٣)

قال: (لا تقطر عين ملك منهم إلا كانت ملكا يطير من خشية الله عز وجل.. وذلك أنها نطفة خشية، وليست نطفة شهوة، فمن هنالك كثرة الملائكة)[1]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن العلاء بن هارون قوله: (لجبريل عليه السلام في كل يوم اغتماسة في الكوثر، ثم ينتفض، فكل قطرة يخلق منها ملك)[2]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن شهر بن حوشب قوله: (إن لله تبارك وتعالى ملكا يقال له: صدلقن إن بحور الدنيا تسع في نقرة إبهامه)[3]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن مالك قوله: (بلغنا أن في بعض السموات ملائكة، كلما سبح بينهم ملك وقع من تسبيحه ملك قائم يسبح.. وفي بعض السماوات ملك له من العيون عدد الحصى والثرى، وعدد نجوم السماء، ما فيها عين إلا وتحتها لسان وشفتان، يحمد الله عز وجل بلغة لا يفقهها صاحبها.. وإن حملة العرش لهم قرون، بين أطراف قرونهم ورؤوسهم مقدار خمسمائة سنة، والعرش فوق القرون)[4]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن نوف البكالي قوله: (إذا مضى ثلث الليل بعث الله تبارك وتعالى أربعة أفواج من الملائكة، فأخذ فوج منهم بشرقي السماء، وفوج منهم بغربي السماء، وفوج حيث تجيء الجنوب، وفوج منهم حيث تجيء الشمال، فقال هؤلاء: سبحان الله، وقال هؤلاء: الحمد لله، وقال هؤلاء: لا إله إلا الله، وقال هؤلاء: الله أكبر، حتى تصرخ الديوك من السحر)[5]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن كعب الأحبار قوله: (إن لله عز وجل ملكا، يصوغ حلي أهل الجنة من يوم خلق إلى أن تقوم الساعة، لو أن حليا أخرج من حلي أهل الجنة

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٥)

(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٦)

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٦)

(٤) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٧)

(٥) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٤٨)

لذهب بضوء الشمس)[1]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن وهب خبرا طويلا يشكل وحده متنا من المتون التي تتشكل منها عقول أصحابنا، قال فيه: (ثم إن الله عز وجل أراد أن يخلق حملة العرش، فقال: كن، فكون من الملائكة بعدد القطر، والمطر، والشجر، والورق، وكل رطب، ويابس.. ثم قال لهم: أقلوا العرش، فما قدروا على إقلاله، ثم قال: كن، فأمدهم بصف ثان أمثالهم سبعة أضعاف في الشدة والقوة، والنجدة، والشجاعة، والغلظة، والعظمة، ملائكة متراصة أقدامهم، مصطكة مناكبهم، متلازقة أقدامهم، ثم قال لهم: أقلوا العرش، فما قدروا على إقلاله، ثم قال لهم: كن، فأمدهم بصف أمثالهم، سبعة متلازقة أكتافهم، أنصافهم الأعلى من النار، وأنصافهم الأسفل من الثلج، فلا ذلك النار يذيب الثلج بحره، ولا ذلك الثلج يطفئ النار ببرده، ثم قال لهم: أقلوا العرش، فما قدروا على إقلاله، ثم قال: كن، فأمدهم بصف رابع أمثالهم، سبعة أضعاف، ملائكة أنصافهم من البرق الخاطف، وأنصافهم من الرعد القاصف، ثم قال لهم: أقلوا العرش، فما قدروا على إقلاله، فأمدهم بصف خامس: ملائكة أنصافهم من الريح العاصف، وأنصافهم من السحاب العاكف، فلا ذلك العاصف يزيل ذلك العاكف، ولا ذلك العاكف يزيل ذلك العاصف، ثم قال لهم: أقلوا العرش، فما قدروا على إقلاله، ثم أمدهم بصف سادس أمثالهم، أنصافهم من الظلمة، وأنصافهم من النور، فلا ذلك النور يذهب سواد الظلمة، ولا تلك الظلمة تذهب بذلك النور، ثم قال لهم: أقلوا العرش، فما قدروا على إقلاله، ثم قال: كن، فأمدهم بصف سابع أمثالهم، ملائكة أنصافهم من الدر، وأنصافهم من الزمرد، فلا ذلك الدر يذهب شعاع ذلك الزمرد الأخضر، ولا ذلك الزمرد يزيل شعاع ذلك الدر، ثم قال لهم: أقلوا العرش، فما قدروا على

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٥١)

إقلاله، فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، وعلوي على خلقي وعظمتي، لو أمددتكم بأمثالكم، وأضعافكم أبد الآبدين، ودهر الداهرين ما قدرتم على إقلاله إلا بي، فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالوها: فاستقل العرش على رؤوسهم، فعظم عليهم، ومدت أرجلهم تهوي، فأمر الله عز وجل الملك أن يكتب اسمه الأعظم تحت أرجلهم، فاستقل العرش على رؤوسهم، فالله تبارك وتعالى حامل عرشه، لا من حاجة إليهم، ولكن استعبدهم، فإذا أماتهم حمل الله عز وجل عرشه كما كان بديا)[1]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن مكحول عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن في حملة العرش أربعة أملاك: ملك على صورة سيد الصور وهو ابن آدم، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور، قال: فما زال غضبان مذ يوم العجل إلى ساعتي هذه، وملك على صورة سيد الطير وهو النسر)[2]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن شريح بن عبيد، قال: لما صعد النبي ﷺ إلى السماء فأوحى الله عز وجل إلى عبده ما أوحى، قال: (فلما أحس جبريل بدنو الرب تبارك وتعالى خر ساجدا، فلم يزل يسبحه: سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة، ثم قضى الله عز وجل إلى عبده ما قضى، ثم رفع رأسه فرأيته في خلقه الذي خلق عليه، منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت، فخيل إلي أن ما بين عينيه قد سد الأفق، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي، وكنت أحيانا لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال)[3]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن عكرمة بن خالد أن رجلا قال: يا رسول الله، أي

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٥٥)، اختصرت بعض الخبر.

(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٥٦)

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٨٠)

الخلق أكرم على الله؟ قال: (لا أدري).فجاءه جبريل فقال: (يا جبريل، أي الخلق أكرم على الله؟) قال: لا أدري؛ فعرج جبريل ثم هبط فقال: (أكرم الخلق على الله جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت عليهم السلام، فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة تنبت وكل ورقة تسقط، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض كل روح عبد في بر أو بحر، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم)(١)

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أقرب الخلق إلى الله عز وجل جبريل، وميكائيل، وإسرافيل وهم منه مسيرة خمسين ألف سنة، جبريل عن يمينه وميكائيل عن الأخرى وإسرافيل بينهما)(٢)

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن عائشة أن كعبا قال لها: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول في إسرافيل شيئا؟ قالت: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (له أربعة أجنحة، منها جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، واللوح بين عينيه، فإذا أراد الله عز وجل أن يكتب الوحي ينقر بين جبهته)(٣)

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن وهب بن منبه حديثه الطويل في كيفية خلق الكائنات المختلفة، قال: (.. ثم قال: كن فيكون، فكون الصور وهو من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة وله أربع شعب: شعبة تحت العرش، وشعبة في ثراء الثراء، وشعبة في مشرق المشرق، وشعبة في مغرب المغرب، ثم قال للعرش: خذ الصور، فتعلق بالعرش، ثم قال: كن، فكون إسرافيل وهو من أقرب الملائكة إلى الله تبارك وتعالى، فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وفيه ثقب بعدد كل روح مبدوة، وكل نفس منفوسة، لا يخرج روحان من ثقب

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٨١١)

(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٨١٢)

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٨٢٠)

واحد، ولا جسمان يدخلان في ثقب، بل كل ثقب لصغير الصغير الذي لا يعرف، وللخليل الخليل الذي لا يوصف وفي وسط الصور كوة كاستدارة السماء والأرض، وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوة، ثم قال له الرب عز وجل: قد وكلتك بالصور فأنت للنفخة والصيحة، فدخل إسرافيل في مقدم العرش فأدخل رجله اليمنى تحت العرش، وقدم اليسرى ولم يطرف مذ خلقه الله عز وجل ينتظر ما يؤمر به والعرش على كاهله، واللوح يقرع جبهته)[1]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن وهيب بن الورد أنه قال: (بلغني أن أقرب الخلق من الله عز وجل إسرافيل العرش على كاهله.. فإذا نزل الوحي دلي لوح من تحت العرش، قال: فيقرع جبهة إسرافيل فينظر فيه فيدعو جبريل فيرسله، فإذا كان يوم القيامة أتى بإسرافيل، فيقال: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل؛ فيدعى جبريل ترعد فرائصه فيقال: ما صنعت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل. فيؤتى بالرسل ترعد فرائصهم فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس. قال: فهو قوله عز وجل: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦ ـ ٧])[2]

قال آخر: ومثل ذلك يروون عن وهب بن منبه من حديثه الطويل في كيفية خلق الكائنات قوله: (.. ثم يقول الله عز وجل: كن فيكون بحرا تحت الكرسي، وهو البحر المسجور، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ١ ـ ٦] أوله في علم الله تعالى وآخره في إرادة الله تعالى فيه ماء ثخين شبه ماء الرجل تمر الموجة خلف الموجة سبعين عاما لا تلحقها، يمطر

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٨٤٠)

(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٨٤٥)

الله عز وجل منه على الخلق إذا أماتهم)[1]

قال آخر: هذه نماذج عن بعض الروايات التي أوردها شيوخنا حول الملائكة عليهم السلام، ونجد أمثالها في الكثير من كتب العقائد التي نسميها كتب سنة.. وهي كلها تدل على حنين سلفنا إلى الغرائب، والتي تلجئهم إلى الخرافة لا محالة.

قال آخر: ولو أنا اكتفينا بما ورد في القرآن الكريم عن خلق الملائكة، ثم صرفنا جهودنا بعد ذلك بالسير في مناكب الأرض لنعمرها، ونملأها هداية وصلاحا لكففنا عن كل ذلك الغثاء الذي شوهنا به الدين.

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٨٤٩)

ثانيا ـ القرآن.. والكشفية

في اليوم الثاني، وبينما كنت مع معلمي نتجول في أرجاء المدينة، ونحن نحمد الله تعالى على تخليصها من الكيد الحشوي الذي كان مدبرا لها.. إذا بنا نسمع صوتا عاليا لبعض المارة، يقول: من أراد منكم أن يرى حقائق القرآن رأي العين؛ فعليه بالسير معي إلى تلك الخلوات التي يمكنكم من خلالها، وفي أربعين يوما فقط، أن تتحققوا بكل المعارف والعلوم، وتروها رأي العين.. وحينها لن تحتاجوا إلى العلوم الظاهرة، ولا إلى علماء الظاهر الذين يقفون حجابا بينكم وبين الحق.

سألت معلمي عن هؤلاء، فقال: هؤلاء هم المبطلون الذين يخالفون في ظاهرهم الحشوية، لكنهم في حقيقتهم ليسوا سوى تجل من تجلياتهم، ومظهر من مظاهرهم.

قلت: ما تعني؟

قال: الحشوية زاحموا النبوة، وأقصوها بما كانوا يروونه عن اليهود وتلاميذهم، وهؤلاء زاحموا النبوة وأقصوها بما كانوا يتوهمونه من أوهام، ويحلمونه من أحلام، ويدعونه من دعاوى.

قلت: إن كنت تقصد الصوفية يا معلمي.. فما أعرف عنهم إلا اجتهادهم في طاعة الله، وحرصهم على التحقق بالمقامات السنية، والدرجات الرفيعة.. وأكثر حديثهم عن حب الله، ومعرفة الله.. وما عدا ذلك لا أعرف عنهم شيئا.

قال: الشيطان الذي استطاع أن يتسلل لمفسري ظاهر القرآن، فملؤوه بالخرفات والأباطيل، استطاع كذلك أن يتسلل إلى من ذكرت فيوحي لهم بما يشاء من الأباطيل.

قلت: كيف ذلك؟.. ولم أسمعهم يذكرون كعب الأحبار ولا وهب بن منبه.. ولا غيرهما من اليهود وتلاميذهم.

قال: الضلال الذي توعد به الشيطان المؤمنين أعظم من أن يختصر في كعب ووهب.. ألم ترهم يذكرون الكشف والإلهام، ويفسرون بهما القرآن الكريم، ويستدلون بهما على حقائق الدين المقدسة؟

قلت: أجل.. وهم يستندون في ذلك لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين بالإلهام والعلم اللدني، وقد قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وقد عقب على ذلك بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، وهو يشير إلى أن للتزكية والتربية دورا في التحقق بالإلهام الصالح، وهو الذي يشير إليه الصوفية.

وقد أطلق على هؤلاء المفتوح عليهم بفتوح العلم لقب المتوسمين، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، وقد ورد في تفسير هذا قوله ﷺ: (إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم)[1]

وهكذا أشار إلى دوره في تقوية الإيمان، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن من لطف الله تعالى بعباده أن يؤيدهم بما يقوي إيمانهم، بحسب المستوى الذي يؤهلهم لذلك الإمداد، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام وإشهاده تلك المشاهد العظيمة التي تقوي إيمانه، وتطمئن قلبه: ﴿وكذلِكَ نُري إبراهيم مَلكُوتَ السمواتِ والأرضِ ولِيَكُونَ مِنَ الموقنينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]

---

(١) رواه الطبري والقضاعي في مسند الشهاب والطبراني في المعجم الأوسط، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٨): إسناده حسن.

وقد أشار إلى هذا قوله ﷺ مخبرا عن دور الملك الواعظ في قلب الإنسان: (.. وأما لَمَّةُ[1] الملك فإِيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله)[2]، فقد أخبر ﷺ أنه إن وجد المؤمن هذه الخواطر الطيبة، فلينسبها إلى الله، لا إلى نفسه.

وفوق ذلك كله، فقد قال تعالى يبين دور التقوى في تحصيل العلم، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

قال: وفوق ذلك كله، ضرب المثل بالخضر عليه السلام، وهو رجل آتاه الله من العلم اللدني ما رأى به الحقائق، وقد ذكر الله هذا العلم الذي آتاه، فقال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]

قلت: أجل.. فها أنت يا معلمي توافقني في هذا.

قال: وكيف لي أن أخالفك، وهو من أجل المواهب التي وفرها الله تعالى لعباده المتقين.

قلت: ولكنك كنت تعترض على من يعتقدون بهذا، وتذكر أنهم لا يختلفون عن الحشوية إلا في كون مصدر الخرافة عندهم الكشف والإلهام، لا كعب الأحبار ووهب بن منبه.

قال: وأنا على قولي..

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألا ترى أن الوسيلة قد تكون صالحة يمكن استثمارها في الأعمال الصالحة، لكن هناك من يستخدمها في غيرها؟

قلت: بلى.. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في المثل الذي ضربه عن العالم الذي استخدم علمه فيما حوله كلبا يلهث، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ

---

(١) واللمة: الهمة والخطرة تقع في القلب. كما في غريب الحديث.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢١٩)، السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٧)

تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦]

قال: فلذلك لا يمكن الاستدلال بالوسيلة وحدها على صلاح الغاية.

قلت: صحيح.. لكن كيف نطبق ذلك هنا؟

قال: أخبرني عما أعجبك في مصاحبتك للصوفية أو اطلاعك على كتبهم.

قلت[1]: أعجبني ذلك الميراث العظيم الذي تحدثوا فيه عن مراتب التزكية ومعانيها والحقائق المرتبطة بها، مما تؤيده المصادر المقدسة وتدعو إليه.. ومثل ذلك حديثهم عن الأذواق الإيمانية اللذيذة التي يجدها السالكون، مما يرغب في السير إلى الله، ويعطي النماذج الحسنة عنه.. ومثل ذلك حديثهم في المعارف الإلهية التي لا تتناقض مع المصادر المقدسة، بل قد تساهم في فهمها، وتعميق معانيها في النفس.. ومثل ذلك تعظيمهم للنبوة والإمامة والولاية وتبيين دورها في التزكية والترقية، مما يرغب السالكين في التعلق بالصالحين، وتعميق صلتهم بهم.. وغير ذلك من الحقائق والقيم الموروثة عنهم، والتي تعين السالك إلى الله على اجتياز عقبات نفسه والتخلص من مثالبه من خلال استفادته من تجارب السالكين قبله.

قال: كل ما ذكرته جميل لأنه موافق للقرآن الكريم، ويخدم أغراضه ومقاصده ومعانيه.. لكن ألم تر أنهم، وخاصة المتأخرين منهم لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يحاولون وضع عقائد ومعارف جديدة لا توجد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة ولا مما يدل عليه العقل؟

قلت: بلى.. وقد أشار إلى هذه الوجهة التي توجهها هؤلاء ابن خلدون، فقال: (وربّما

(١) معارف النفس الراضية، للمؤلف، (ص ١٦)

قصد بعض المصنّفين ذلك في كشف الموجودات وترتيب حقائقه على طريق أهل المظاهر فأتى بالأغمض فالأغمض بالنّسبة إلى أهل النّظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغانيّ شارح قصيدة ابن الفارض في الدّيباجة الّتي كتبها في صدر ذلك الشّرح، فإنّه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه أنّ الوجود كلّه صادر عن صفة الوحدانيّة الّتي هي مظهر الأحديّة وهما معا صادران عن الذّات الكريمة الّتي هي عين الوحدة لا غير، ويسمّون هذا الصّدور بالتّجلّي، وأوّل مراتب التّجليّات عندهم تجلّي الذّات على نفسه وهو يتضمّن الكمال بإفاضة الإيجاد والظّهور)[1]

قال: فهل ترى في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة ما يدل على صدق ما ذكروه؟

قلت: هم يحاولون أن يتكلفوا لذلك تأويلات كثيرة من الصعب، بل من المستحيل على العقل العادي تصديقها.. ولذلك هم يطلبون لها عقلا خاصا، يكون التسليم عنده أكثر من المناقشة.

قال: فهل هذا هو العقل الذي أمرنا الله باستعماله؟

قلت: لست أدري.. لكني أعلم أن التسليم ركن من أركان الدين والإيمان، بل هو أساس الإسلام، ولولاه لما تقدم إبراهيم عليه السلام لذبح ابنه، مع أن العقل يخالف ذلك.

قال: إن شئت أن تعرف معنى التسليم، فاعلم أولا الفرق بين إبراهيم عليه السلام وبين هؤلاء الذين تتحدث عنهم.

قلت: طبعا.. الفرق واضح؛ فإبراهيم عليه السلام نبي من أنبياء الله، وهو معصوم، ومؤيد بالوحي.. وهم يذكرون عن أنفسهم أنهم ليسوا كذلك.

قال: ما داموا ليسوا معصومين في إلهاماتهم وكشوفهم؛ فإن هذا يعني أن كل ما

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٦١٧)

يذكرونه أو بعضه قد يكون وساوس شيطانية لا إلهامات ربانية؟

قلت: صحيح.. وهم يذكرون ذلك أيضا، وقد عبر بعضهم عن ذلك بقوله: (إن النكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف فلا أقبلها إلا بشاهدى عدل من الكتاب والسنة).. وقال آخر: (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة.. طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ)[1]

قال: وقال آخر: (إِذا عارض كشفُك الصحيح الكتابَ والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إِن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإِلهام)[2]

قلت: هم يرددون ذلك أيضا.

قال: لكنهم يقصرون في تطبيقه.. خشية على مشايخهم الذين يطالبونهم بالتسليم المطلق.

قلت: صدقت في هذا؛ فهم يرددون كل حين: (من قال لشيخه لم لا يفلح أبدا)

١ ـ الكشف والفضول:

ما قلت هذا، حتى وصلت مع معلمي إلى أقصى المدينة، وعلى تلة من تلالها، وجدنا نفرا كثيرا من الناس يحيطون بمجموعة من المشايخ يلبسون لباسا غريبا، ويحملون مسابح كبيرة.

وما إن وصلنا حتى سمعنا رجلا من أهل المدينة يقول: أبشروا يا أهل هذه المدينة القرآنية؛ فقد شاء الله أن يدلكم على أوليائه العارفين به، لتتخلصوا من كل الحجب التي تحول بينكم وبين فهم القرآن الكريم على حقيقته التي نزل عليها، لا على ما يذكره لهم

---

(١) الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص٢٩.

(٢) انظر: إيقاظ الهمم، (٢/ ٣٠٢)

حشوية المفسرين أرباب الظاهر، المحجوبين عن الحقائق.

قال آخر: لقد جاء هؤلاء المشايخ إليكم من بلاد شتى، ليدلوكم على الطريق إلى الله، ويفسروا لكم كل ما غمض عليكم من القرآن الكريم، ويجيبوكم على كل ما استعصى من الشبهات.. فسلوهم قبل أن تفقدوهم.

قام أحد المشايخ، وقال: بورك فيكم.. ونحن ما جئنا هنا إلا تلبية لطلب الحق، لإخراجكم من قيود الظاهر إلى سعة الباطن، لتعرجوا إلى الحق بالحق، لا بتلك الأوهام التي تقيد باطنكم من الرحلة، وبصائركم من الاستبصار.

أ. عجائب المبدأ:

قام بعض الحضور، وقال: نريد في البدء أن تحدثونا عن البدء.. كيف بدأ الله خلق الكون والحياة والإنسان؟

قال آخر: كيف يمكن أين يجيبوك عن ذلك، وقد قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]

قال أحد الشيوخ: تلك الآية لا تقصد الخاصة من العارفين بالله، بل هي مرتبطة بعموم الناس.. أما الخواص؛ فقد أخبروا عن كل التفاصيل المرتبطة بالمبدأ كذكرهم لكل التفاصيل المرتبطة بالمعاد.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كتاب [الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل]، لشيخنا العارف بالله عبد الكريم الجيلي، والذي أخبر فيه أن كل ما فيه مؤسس على الكشف الصحيح، وأنه مأمور بنشره، حيث قال في مقدمة الكتاب: (وكنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح، وأيدت مسائله بالخبر الصحيح، وسميته بـ [الإنسان الكامل، في معرفة الأواخر والأوائل]، لكنني بعد أن شرعت في التأليف، وأخذت في البيان

والتعريف، خطر في الخاطر أن أترك هذا الأمر الخاطر إجلالا لمسائل التحقيق، وإقلالا لما أوتيت من التدقيق، فجمعت همتي على تفريقه، وشرعت في تشتيته وتمزيقه، حتى دثرته فاندثر وفرقته شذر مذر، فأفل شمسه وغاب، وانسدل على وجه جماله برقع الحجاب، وتركته نسيا منسيا، واتخذته شيئا فريا، فصار خبرا بعد أن كان أثرا مسطورا.. فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وإلغازه، ووعدني بعموم الانتفاع، فقلت طوعا للأمر المطاع، وابتدأت في تأليفه، متكلا على الحق في تعريفه، فها أنا ذا أكرع من دنه القديم بكأس الاسم العليم، في قوابل أهل الإيمان والتسليم، خمرة مرضعة من الحي الكريم، مسكرة الموجود والعديم)(١)

قال آخر: ومما قاله حول غيوب المبدأ في الباب المخصص بالتعريف بـ[الملك المسمى بالروح]: (اعلم أن هذا الملك هو المسمى في اصطلاح الصوفية بالحق المخلوق به والحقيقة المحمدية نظر اللهّ تعالى إلى هذا الملك بما نظر به إلى نفسه، فخلقه من نوره وخلق العالم منه، وجعله محل نظره من العالم، ومن أسمائه أمر اللهّ وهو أشرف الموجودات وأعلاها مكانة وأسماها منزلة ليس فوقه ملك، وهو سيد المقرّبين وأفضل المكرّمين، أدار اللهّ عليه رحا الموجودات وجعله قطب فلك المخلوقات، له مع كل شيء خلقه اللهّ تعالى وجه خاص به يلحقه، وفي المرتبة التي أوجده اللهّ تعالى فيها يحفظه)(٢)

قال آخر: ولا يكتفي بهذه التفاصيل، بل إنه يضيف إليها تفاصيل أكثر، فيقول: (له ثمانية صور هم حملة العرش، منه خلق الملائكة جميعها عليها وعنصريها، فنسبة الملائكة إليه نسبة القطرات إلى البحر، ونسبة الثمانية الذين يحملون العرش منه نسبة الثمانية التي قام الوجود الإنساني بها من روح الإنسان، وهي العقل والوهم والفكر والخيال والمصورة

(١) الإنسان الكامل، ص٨.
(٢) الإنسان الكامل، ص ١٥٣.

والحافظة والمدركة والنفس.. ولهذا الملك في العالم الأفقي والعالم الجبروتي والعالم العلى والعالم الملكوتي هيمنة إلهية خلقها اللهّ في هذا الملك وقد ظهر بكماله في الحقيقة المحمدية، ولهذا كان ﷺ أفضل البشر وبه امتنّ اللهّ تعالى عليه وأمده من أجلّ النعم التي أسداها اللهّ تعالى إليه)[1]

قال آخر: وهو يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]

قال آخر: ولا يكتفي شيخنا بكل تلك التفاصيل التي ذكرها، وإنما يضيف إليها تفاصيل أخرى أكثر تعقيدا، وكلها بنات الإلهام والكشف، حيث يقول: (ثم اعلم أنه لما خلق اللهّ هذا الملك مرآة لذاته لا يظهر اللهّ تعالى بذاته إلا في هذا الملك وظهوره في جميع المخلوقات إنما هو بصفاته، فهو قطب العالم الدنيوي والأخروي، وقطب أهل الجنة والنار وأهل الكثيب وأهل الأعراف، اقتضت الحقيقة الإلهية في علم اللهّ سبحانه أن لا يخلق شيئا إلا ولهذا الملك فيه وجه يدور فلك ذلك المخلوق على وجهه فهو قطبه، لا يتعرف ذلك الملك لأحد من خلق اللهّ تعالى إلا إلى الإنسان الكامل، فإذا عرفه الولي علمه أشياء، فإذا تحقق بها صار قطبا يدور عليه رحا الوجود جميعه بحكم النيابة والعارية فاعرفه)[2]

قال آخر: ويزيد على ذلك، فيقول: (فأوّل من يتلقى الأمر من الحق هذا الملك، ثم يوجه إلى غيره من الملائكة، فهم الجند، فإذا أمر بنفوذ أمر في العالم خلق اللهّ منه ملكا لائقا بذلك الأمر فيرسله الروح، فيفعل الملك ما أمره الروح به، وجميع الملائكة المقربين مخلوقون منه مثل إسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل، ومن هو فوقهم كالملك المسمى بالنون،

(١) الإنسان الكامل، ص ١٥٣.

(٢) الإنسان الكامل، ص ١٥٤.

وهو الملك القائم تحت اللوح المحفوظ، كالملك المسمى بالقلم، وسيأتي بيانه في تلو هذا الباب، والملك المسمى بالمدبر وهو الملك القائم تحت الكرسي، والملك المسمى بالمفضل وهو القائم تحت الإمام المبين، وهؤلاء هم العالون الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم، حكمة إلهية، فلو أمروا بالسجود لآدم لعرفهم كل أحد من ذريته، ألا ترى إلى الأملاك لما أمروا بالسجود لآدم كيف ظهروا على كل من بني آدم فتتصور لهم في النوم بالأمثال الإلهية التي يظهر بها الحق للنائم، فتلك الصور جميعها ملائكة للهّ فتنزل بحكم ما يأمرها الملك الموكل بضرب الأمثال فتصوّر بكل صور للنائم، ولهذا يرى النائم أن الجماد يكلمه ولو لم يكن روحا متصوّرا بالصورة الجمادية لم يكن يتكلم)[1]

قال آخر: وبعد تفاصيل أخرى لا تقل تعقيدا يقول: (اعلم أن الروح له أسماء كثيرة على عدد وجوهه، يسمى بالقلم الأعلى، وبروح محمد ﷺ، وبالعقل الأول، وبالروح الإلهي من تسمية الأصل بالفرع، وإلا فليس له في الحضرة إلا اسم واحد وهو الروح، ولهذا خصصناه في عقد الباب عليه، ولو أخذنا في شرح ما حواه هذا الملك من العجائب والغرائب احتجنا إلى كتب ومجلدات كثيرة)

قال آخر: وقد ذكر اجتماعه به، وحديثه معه، فقال: (ولقد اجتمعت به في بعض الحضرات الإلهية فتعرّف إلي وسلّم عليّ فرددت عليه السلام بعد أن كدت أذوب من هيبته وأفنى من حسن بهجته؛ فلما باسطني بالكلام بعد أن حيا ودار بإيناسه كاس الحميا، سألته عن مكانته ومحتده وحضرته ومستنده وعن أصله وفرعه وعن هيئته ونوعه وعن صفته واسمه وعن حليته ورسمه فقال: إن الأمر الذي خطبته والسرّ الذي طلبته عزيز المرام عظيم المقام، لا يصلح إفشاؤه بالتصريح ولا يكاد يفهم بالكناية والتلويح، فقلت له: هلم

---

(١) الإنسان الكامل، ص ١٥٥.

بالتلويح والكناية لعلي أفهمه إذا سبقت لي به العناية، فقال: أنا الولد الذي أبوه ابنه، والخمر الذي كرمه دنه، أنا الفرع الذي أنتج أصله، والسهم الذي قوسه نصله، اجتمعت بالأمهات اللاتي ولدتني وخطبتها لأنكحها فأنكحتني، فلما سرت في ظاهر الأصول عقدت صورة المحصول، فانثنيت في نفسي أدور في حسي وقد حملت أمانات الهيولي وأحكمت الحضرة الموصوفة بالأولى، وجدتني أبا الجميع وأم الكبير والرضيع، هذه الحضرة والأمانة.. وأما المحتد والمكانة فاعلم أني كنت عينا مشهودا كان لي في الغيب حكما موجودا، فلما أردت معرفة ذلك الحكم المحتوم ومشاهدته في جانت الأمر المحكوم، عبدت الله تعالى بذلك الاسم كذا وكذا سنة وأنا عن اليقظة في سنة، فنبهني الحق سبحانه وتعالى وأقسم باسمه وآلى أنه قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها فلما حضرت القسمة وأحرزت ما أعطاني الاسم، أعني باسمه، زكتني الحقيقة المحمدية بلسان الحضرة الرسولية، فقال عليه الصلاة والسلام: (خلق الله آدم على صورته) ولا ريب في هذا ولا كلام، ولم يكن آدم إلا مظهرا من مظاهري أقيم خليفة على ظاهري فعلمت أن الحق جعلني المراد والمقصود من العباد، فإذا بالخطاب الأكرم عن المقام الأعظم: أنت القطب الذي تدور عليه أفلاك الجمال، والشمس الذي تمدّ بضوئها بدر الكمال.. أنت الذي أقمنا له الأنموذج وأحكمنا من أجله الزور فوتج المراد بها يكنى عنه بهند وسلمى أو يلوح بأنها عزّة وأسما، فالكل إلا أنت يا ذا الأوصاف السنية والنعوت الزكية، لا يدهشك الجمال ولا يرعشك الجلال ولا تستبعد استيعاب الكمال، أنت النقطة وهي الدائرة، وأنت اللابس وهي الثياب الفاخرة)[1]

قال آخر: ثم ذكر بعض أسئلته له، وجوابه عنها، فقال: (فقلت: أيها السيد الكبير والعلام الخبير نسألك بالتأييد والعصمة، أخبرني عن درر الحكمة وبحر الرحمة بأن جعلت

---

(١) الإنسان الكامل، ص ١٥٦.

صدفها سوائي وما انعقدت سوى من مائي، ولم وسم طيري باسم غيري وكتم هذا الأمر رأسا فلم يعلم لحديدته بأسا؟ فقال: اعلم أن الحق تعالى أراد أن تتجلى أسماؤه وصفاته لتعرف الخلق ذاته، فأبرزها في المظاهر المتميزة والبواطن المتحيزة وهي الموجودات الذاتية المتجلية في المراتب الإلهية، ولو أطلق الأمر كفاحا وأطلق لهذا العبد سراحا، جهلت الرتب، وفقدت الإضافات والنسب، فإن الإنسان إذا أشهد غيره فقد استوعب خيره وسهل عليه الاتباع وأخذ في ذلك ما استطاع، فلهذا أرسل اللهّ الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام بكتابه المبين وخطابه المتين، يترجم عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى، ليعلم أن ذاته لها التعالي عن الإدراك فلا يعرفها غيرها ولا إشراك، ولهذا أمرنا السيد الأوّاه فقال: (تخلقوا بأخلاق اللهّ) لتبرز أسراره المودعة في الهيا كل الإنسانية، فيظهر بذلك علوّ العزّة الربانية، ويعلم حق المرتبة الرحمانية، ولا سبيل إلى معرفته بحسب حصره)[1]

قال آخر: ونفس الأمر نجده عند ابن عربي، ومن الأمثلة عنها قوله في الفتوحات، وهو يتحدث عن بدء الخلق: (.. فخلق الله الماء بردة جامدة، كالجوهرة في الاستدارة والبياض. وأودع فيها بالقوة ذوات الأجسام وذوات الأعراض، ثم خلق العرش واستوى عليه اسم الرحمن. ونصب الكرسي، وتدلت إليه القدمان؛ فنظر بعين الجلال إلى تلك الجوهرة، فذابت حياء، وتحللت أجزاؤها فسالت ماء، وكان عرشه على ذلك الماء قبل وجود الأرض والسماء. وليس في الوجود، إذ ذاك، إلا حقائق المستوي عليه والمستوي والاستواء. فأرسل النفس، فتموج الماء من زعزعه وأزبد، وصوت بحمد الحمد المحمود الحق، عند ما ضرب بساحل العرش، فاهتز الساق وقال له: أنا أحمد! فخجل الماء، ورجع القهقرى يريد ثبجه، وترك زبده بالساحل الذي أنتجه. فهو مخضة ذلك الماء، الحاوي على

(١) الإنسان الكامل، ص ١٥٧.

أكثر الأشياء. فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد، الأرض، مستديرة النشء، مدحية الطول والعرض، ثم أنشا الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها. ففتق فيه السماوات العلى، وجعله محل الأنوار ومنازل الملأ الأعلى. وقابل بنجومها المزينة لها النيرات، ما زين الأرض من أزهار النبات)[1]

قال آخر: وقال في محل آخر: (وأما أسرار أهل الإلهام المستدلين فلا تتجاوز سدرة المنتهى، فان إليها تنتهي أعمال بنى آدم. ونهاية كل أمر، إلى ما منه بدأ. فان قال لك عارف، ممن لا علم له بهذا الأمر: (إن الكرسي موضع القدمين)، فقل له: (ذلك عالم الخلق والأمر، والتكليف إنما انقسم من السدرة، فإنه قطع أربع مراتب، والسدرة هي المرتبة الخامسة (للوجود). فنزل (الحكم الشرعي) من قلم (عقل كلى)، إلى لوح (نفس كلية)، إلى عرش (طبيعة كلية) إلى كرسى (هيولى، هباء، مادة كلية)، الى سدرة (جسم كلى)[2]

قال آخر: ثم ذكر كيف تنزلت الأحكام الشرعية من هذه المراتب، فقال: (فظهر الواجب من القلم. وظهر المندوب من اللوح، وظهر المحظور من العرش. وظهر المكروه من الكرسي. وظهر المباح من السدرة. والمباح قسم (أي حظ) النفس)

قال آخر: ثم راح يذكر محال صعود الأعمال، فقال: (وإذا ظهرت قسمة الاحكام الشرعية من السدرة، فإذا صعدت الأعمال، التي لا تخلو من أحد هذه الأحكام، لا بد أن تكون نهايتها إلى الموضع الذي منه ظهرت، إذ لا تعرف من كونها منقسمة إلى السدرة. ثم يكون من العقل، الذي هو القلم، نظر إلى الأعمال المفروضة، فيمدها بحسب ما يرى فيها. ويكون من اللوح نظر إلى الأعمال المندوب إليها، فيمدها بحسب ما يرى فيها. ويكون من العرش نظر إلى المحظورات ـ وهو (أي العرش) مستوى الرحمن ـ فلا ينظرها إلا بعين

---

(١) الفتوحات المكية، ج ١، ص ٤٩.

(٢) الإنسان الكامل، ج٤، ص ٣٢٦.

الرحمة، ولهذا يكون مآل أصحابها إلى الرحمة، ويكون من الكرسي نظر إلى الأعمال المكروهة، فينظر إليها بحسب ما يرى فيها. وهو (أي الكرسي) تحت حيطة العرش، والعرش مستوى الرحمن. والكرسي، موضع القدمين. فيسرع العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الأعمال. ولهذا يؤجر تاركها، ولا يؤاخذ فاعلها)(١)

قال آخر: وهكذا يذكر الشيخ أحمد بن المبارك نقلا عن شيخه الدباغ الكثير من الإلهامات المرتبطة بهذا الجانب، وقد خصص لها فصلا بعنوان [ذكر ما سمعنا منه رضي الله عنه في خلق أبينا آدم وتدريج أمره على نبينا وعليه الصلاة والسلام]، ومما جاء فيه قوله: (سمعته رضي الله عنه يقول: إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام جمع تربته في عشرة أيام، وتركها في الماء عشرين يوما، وصوره في أربعين يوما، وتركه عشرين يوما بعد التصوير، حتى انتقل من الطينية إلى الجسمية فمجموع ذلك ثلاثة أشهر، وهي رجب وشعبان ورمضان، ثم رفعه الله إلى الجنة ونفخ فيه من روحه وهو في الجنة وخلقت منه حواء وهو في الجنة فكان خلقها في الجنة، ولما تم لها شهران في الجنة حملت ووضعت حملها بعد النزول إلى الأرض لثلاثة أشهر من حملها، ثم حملت في الأرض بعد ذلك فوضعت حملها لتسعة أشهر فاستمر ذلك إلى اليوم)(٢)

قال آخر: ويذكر أنه سأله بعدها عن التربة التي خلق منها آدم، فقال: (تربة جميع المعادن معدن الذهب ومعدن الفضة ومعدن النحاس وسائر المعادن، فأخذت تربته من كل معدن وجمع ذلك في محل وخلق منه آدم)(٣)

قال آخر: ثم سأله عن الذي جمع ذلك، فقال: (الملائكة ومن شاء الله وأكثرهم حملا

---

(١) الإنسان الكامل، ج٤، ص ٣٢٧.

(٢) الإبريز، ص ٥٩٠.

(٣) الإنسان الكامل، ص ٥٩٠.

سيدنا جبريل عليه السلام لأن الله وعده أن مخلوقا من التراب لا أعز عند الله منه يكون جبريل عشيرا له ومرافقا معه، وينال منه بركة عظيمة، وهو سيد الوجود ﷺ، فكان جبريل يجمع التراب وهو يظن أنه لذلك المخلوق الذي وعد به)(١)

قال آخر: ثم سأله عن مقدار ذلك التراب، فقال: (مقدار ما يعمر من الأرض مقدار ميل أو أقل منه يعني أنهم جمعوا ترابا كثيرا مقدار مساحة ما سبق)(٢)

قال آخر: ثم سأله عن كيفية تحول آدم إلى بشر والأطوار التي مر بها، فلم يكتف بما ذكره القرآن الكريم من الإجمال، وإنما راح يفصل له قائلا ـ عند حديثه عن الماء الذي منه خلق ـ: (المياه المارة على الأرض منها ما يمر على بعضها فلا يأخذ إلا سر ذلك البعض ومنها ما يمر على غالب أجزائها أو كلها، فيأخذ سرها وهذا الماء عين من العيون الخارجة من الأرض الجائية من أرض الشام، فهناك جمعت تربته عليه الصلاة والسلام في كور من الأرض مساحته ما قلناه فيما سبق وبلت تربته بهذا الماء، لأنه يستمد من المياه التي في أطراف الأرض فتراه ماشيا في تخوم الأرض خارقا لأجزائها حتى ينتهي إلى تلك العين، ويأتي إليها من جميع النواحي والعين باقية إلى الان، وفيها من الموافقة للذات ما لا يوجد في غيرها من المياه التي على ظهر الأرض.. فبقي ذلك التراب في الماء المدة السابقة يعني عشرين يوما، وعند ذلك ابتدأ التصوير في آدم عليه الصلاة والسلام وهو في جوف ذلك الطين فبقي التصوير يدخله شيئا فشيئا إلى أن كمل ذلك في أربعين يوما، وهو في جوف الطين لا يرى منه شيء، وبعد ذلك أراد الله تعالى نقله من الطينة إلى جسم بني آدم فظهر في أصابعه شبه القرحة حتى ملأتها ثم انفجرت وجمدت مادتها على الأصبع فرجع أبيض مثل الجمار ثم سرى ذلك فيه عضوا عضوا وجزءا جزءا إلى أن صار كله مثل الجمار في الصفاء والرطوبة

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٥٩٠.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٥٩٠.

أو مثل عجين ناصع أخذ دقيقه من خالص القمح، فصور من ذلك صورة آدم، ثم دخلته الدموية شيئا فشيئا وانفلق عنه الطين وحصل فيه يبس فصارت الريح تهب عليه واليبس يظهر في أجزائه، فتكونت العظام بإذن الله، فلما تكاملت خلقته في عشرين يوما وأراد الله نفخ الروح فيه نقله إلى الجنة ورفعه إليها)[1]

قال آخر: ومثل ذلك سأله عن الجنة التي أدخل إليها، فقال: (الجنة الأولى فلما حل فيها دخلت فيه الروح فدخل فيه العقل والعلم وحصلت له المعرفة بالله عز وجل فأراد أن يقوم فارتعد فسقط ثم أراد أن يقوم فحصل له مثل ذلك أيضا مثل ما يحصل للصبيان من السقوط إذا أرادوا القيام ثم إن الله تعالى أمده بالمشاهدة التي سبق ذكرها في الأسماء وهو واقف على رجل معتمد بركبته الأخرى على الأرض، فلما حصلت تلك المشاهدة قال الله الله لا إله إلا الله محمد رسول الله، فأمده الله تعالى بالقوة فاستقل قائما وجعل يمشي في الجنة ويروح حيث شاء، ثم ألقى الله عليه وجعا في ضلعه فحصل فيه مثل الدمل العظيم حتى خرج منه قدر رأس إنسان، فبقي فيه إلى أن انفجر عن مثل القليب بالتصغير فسقط القليب إلى الأرض فنظر إليه آدم، فإذا هو مصور بصورته فتركه وجعلت روائح الجنة ونفحاتها تمر على ذلك القليب، فنفعه ذلك في سرعة الكبر، فجعل آدم يتعاهده فيجده يسرع في الكبر إسراعا عظيما فجعل يأنس إليه ويجلس معه فألقى الله العقل في ذلك القليب فجعل يتحدث مع آدم)[2]

قال آخر: ثم ذكر كيفية خلق آدم عليه السلام وعلاقتها بتربته، فقال: (لما علم الله سبحانه منه ذلك، وأنه سينزل إلى الأرض رتب له سبحانه أسباب المعاش، ونصب له سبلها قبل أن يهبط من الجنة، وذلك أنه لما صوره من التربة السابقة وقد سبق أنها كثيرة صور له

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٥٩١.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٥٩١.

من تلك التربة كل حيوان يحتاج إليه في أمر معاشه، وكان أصل خلقتها من التربة المذكورة فإن الله تعالى لما رفع آدم ظهرت الحيوانات كلها في ذلك الطين على صورة الدود وخلق من كل نوع عشرة خمسة من الذكور وخمسة من الإناث.. فالسبع والنمر والفهد حتى عد خمسة كلها نوع واحد.. ثم أرسل الله بعد رفعه مطرا عظيما ما سمع بمثله فجاءت السيول من كل مكان وجاءت معها بالأوحال الكثيرة، فزادت على ذلك الطين فحصل نفع عظيم ومدد قوي منها للحيوانات بمنزلة من اتسع عيشه، وجاءه الخصب وكثرت عليه الخيرات، فلما نزل آدم بعد تسعة أشهر وجد الحيوانات تمشي على وجه الأرض وهي تكبر شيئا فشيئا فأنس بها وأعلمه الله أنها سبب معاشه ومعاش ذريته إلى يوم القيامة.. وأنبت الله في الموضع الذي كان فيه رأس آدم من الطين النخيل والأعناب والتين والزيتون، فلما نزل آدم بعد تسعة أشهر وفرغ بطنه طلب ما يأكل فجعل الله الطعم في تلك الأشجار والنخيل، فكان أول رزق رزقه الله من أسباب المعاش وحملت تلك الأشجار في هذه المدة القريبة بإذن الله)[١]

ب. عجائب المعاد:

قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن المبدأ؛ فحدثونا عن الآخرة والمعاد.. فنحن ما أتينا هنا لنعرف عالم الدنيا، وإنما لنعرف عالم الآخرة.

قال آخر: صدقت.. فحدثونا عن جهنم لعل نفوسنا ترعوي وتنزجر وتتأدب.

قال أحد الشيوخ[٢]: مما ذكره بعض شيوخنا الكبار العارفين بالله في هذا.. أن الله تعالى أوجد جهنم بطالع الثور، ولذلك كان خلقها، في الصورة، صورة الجاموس سواء.. ولما خلقها الله تعالى، كان زحل في الثور، وكانت الشمس والأحمر في القوس، وكان سائر الدراري في الجدي.. وخلقها الله تعالى من تجلي قوله: (جعت فلم تطعمني، وظمئت فلم

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٥٩٤.

(٢) الفتوحات المكية، ج٤، ص ٣٧٠

تسقني، ومرضت فلم تعدني، وهذا أعظم نزول نزله الحق إلى عباده في اللطف بهم، فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم.. فلذلك تجبرت على الجبابرة، وقصمت المتكبرين.

قال آخر[1]: وأهل جهنم لا يرون الأشجار والأنهار التي هي قريبة منهم، بل لا يرون إلا ما هو بعيد منهم قدر الأرضين السبع وما بينهن ليزدادوا عذابا على عذابهم، فيرون على بعد المسافة السابقة في نار جهنم ما هو على صورة الأشجار ولها ثمار وأوراق خضر، فيسرعون إليها ليدفعوا العذاب الذي بهم بأكل ثمارها والدنو منها، فيقطعون المسافة السابقة في نحو ثلاث خطوات استعجالا، فيأخذون من ثمارها وأوراقها فيجعلونه في أفواههم.. وكل ما دخل الفم من جهنم والجنة لا يستطيع العبد إخراجه كما يستطيعه في دار الدنيا، فإذا وقع في فمهم ورق أو ثمر كان أشد عليهم من العذاب السابق، فيرجعون القهقرى فيقطعون المسافة السابقة في نحو خطوة ونصف لما بهم من الحريق.. وفي جهنم أودية، وإن المرأة من أهل جهنم تحمل ولدها على ظهرها ذاهبة لنحو الوادي مسيرة المسافة السابقة لشدة العطش النازل بها، وقد بلغت الوادي وكرعت فيه سفها هي وولدها.

قال السائل: إن هذا لعجيب.. فهل يمكن أن يكون هناك أولاد في جهنم.. وما ذنبهم، وهم لم يكلفوا؟

قال الشيخ: كذا سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول في ولدها، ولم أسأله عن الولد هل هو من ولادة جهنم حتى يكون فيها تناسل، أو هو من أولاد الدنيا؛ فإن كان من أولاد الدنيا فـ ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ﴾.. فمن علم منه تعالى أنه لو كبر لكفر بمحمد ﷺ فهو من أهل النار.. وكم صبي يموت صغيرا ويبعث من حملة كتاب الله عز وجل، لأنه تعالى علم أنه لو عاش لقرأ كتاب الله فيبعث من جملة حملته، وكم من صبي يموت وهو صغير

---

(1) الإبريز، ص ٦٥٥.

فيبعث من جملة العلماء الأولياء وغير ذلك لعلمه تعالى بأنه إذا كبر كان من تلك الطائفة.

قال السائل: فحدثنا عن عذاب الجن، وكيف يكون وهم قد خلقوا من النار.

قال الشيخ: إن الجني في جهنم لا يعذب في النار الحامية لأنها طبقه فلا تضره، وإنما يعذب بالزمهرير والبرد، والجن في الدنيا تخاف من البرد خوفا شديدا، فتراهم إذا كانوا في زمن الصيف وفي الهواء يتخوفون من هبوب الريح الباردة، فإذا هبت فروا فرار حمر الوحش، وأما الماء فلا يدخله الجن ولا الشياطين أبدا، فإن قدر على أحد أن يدخله طفيء وذاب كما يذوب أحدنا إذا دخل النار.. وإذا خفي عليك كيف أجسام الجن، فانظر إلى نار مظلمة جدا بكثرة دخانها مثل ما يكون في الفخارين، وصور فيها صورهم التي خلقوا عليها، فإذا جعلت الصورة في ذلك الدخان وألبسته إياها فذلك هو الجني.

قال أحد الحضور: فحدثونا عن البرزخ.. ذلك الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]

قال أحد الشيوخ(١): لقد ذكر بعض شيوخنا المكاشفين في هذا أن البرزخ على صورة محل ضيق من أسفله، ثم ما دام يطلع يتسع، فلما بلغ منتهاه جعلت قبة على رأسه مثل قبة الفنار.. أما في القدر والعظم فإن البرزخ أصله في السماء الدنيا ولم يخرج منها إلى ما يلينا، ثم جعل يتصاعد عاليا حتى خرق السماء الثانية، ثم تصاعد حتى خرق الثالثة، ثم تصاعد حتى خرق الرابعة، ثم تصاعد حتى خرق الخامسة، ثم تصاعد حتى خرق السادسة، ثم تصاعد حتى خرق السابعة، ثم تصاعد إلى ما لا يحصى، وقد جعلت قبته عليه هذا طوله.. وهو البيت المعمور.. والبيت المعمور إنما هو في السماء السابعة، والبرزخ مبدؤه من الأولى إلى ما فوق السابعة إلى ما لا يحصى، فهو في كل سماء.. وإنما اقتصروا على ذكر ما فوق السابعة،

---

(١) الإبريز، ص ٦٢٧.

لأن فيه القبة المذكورة وهي أشرف ما فيه، إذ ليس فيها إلا روح سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ومن أكرمه الله بكرامته كأزواجه الطاهرات وبناته وذريته الذين كانوا في زمانه، وكل من علم بالحق بعده من ذريته إلى يوم القيامة، وفيها أيضا أرواح الخلفاء الأربعة، وفيها أيضا أرواح الشهداء الذي ماتوا بين يدي النبي ﷺ في زمانه، وبذلوا نفوسهم ليحيا ﷺ، ويبقى لهم قوة وجهد لا يوجد في غيرهم إثابة لهم على حسن صنيعهم رضي الله عنهم، وفي القبة أيضا أرواح ورثته ﷺ الكاملين من أولياء الله تعالى، كالغوث والأقطاب رضي الله عنهم أجمعين، فأشرف ما في البرزخ القبة المقصورة، ولذا اقتصر عليها من اقتصر.

ج. عجائب السماء:

قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن المبدأ والمعاد؛ فحدثونا عن الكون، وعن معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢]

قال أحد الشيوخ: لقد ذكر بعض شيوخنا الربانيين العارفين بالله كشوفهم المرتبطة بالآية الكريمة، وفهمها الصحيح، فقال: (اعلم أن اللهّ تعالى قد خلق جميع الأرزاق والأقوات المتنوّعة في أربعة أيام، وجعلها بين السماء والأرض مخزونة في قلب أربعة أفلاك: الفلك الأول فلك الحرارة.. والفلك الثاني فلك اليبوسة.. والفلك الثالث فلك البرودة.. والفلك الرابع فلك الرطوبة.. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يعني بحكم التسوية على قدر السؤال الذاتي، لأن الحقائق تسأل بذاتها ما تقتضيه كلما اقتضت حقيقة من حقائق المخلوقات شيئا نزل لها من تلك الخزائن على قدر سؤالها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١])[١]

قال آخر: وهو يذكر أن الله تعالى جعل ملائكة الإنزال الموكلة بإيصال كل رزق إلى مرزوقه في السبع السموات، ثم جعل في كل سماء ملكا يحكم على من فيها من ملائكة الأرزاق يسمى ملك الحوادث، وجعل لذلك الملك روحانية الكواكب الموجودة في تلك السماء، فلا ينزل من السماء ملك من ملائكة الأرزاق إلا بإذن ذلك الملك المخلوق على روحانية كوكب تلك السماء[٢].

قال آخر: وقد كان كشفه من الوضوح بحيث استطاع أن يطلع على أسماء تلك الكواكب، حيث ذكر أن كوكب سماء الدنيا القمر.. وكوكب السماء الثانية عطارد.. وكوكب السماء الثالثة الزهرة.. وكوكب السماء الرابعة الشمس.. وكوكب السماء الخامسة المريخ.. وكوكب السماء السادسة المشتري.. وكوكب السماء السابعة زحل[٣].

قال أحد الحضور: لقد شوقتنا إلى ما ذكره.. فهلا ذكرت لنا من التفاصيل ما ننفذ به قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]

قال أحد الشيوخ: على الخبير سقطت.. فنحن نحفظ كل ما ذكره بشأنها حرفا

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣١.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٣١.

(٣) الإنسان الكامل، ص ٢٣١.

حرفا.. لقد بدأ شيخنا العارف بالله بذكر عجائب السماء الدنيا، فقال: (وأما السماء الدنيا فإنها أشد بياضا من الفضة، خلقها اللهّ تعالى من حقيقة الروح لتكون نسبتها للأرض نسبة الروح للجسد، وكذلك جعل فلك القمر فيها، لأنه تعالى جعل القمر مظهر اسمه الحيّ، وأدار فلكه في سماء البروج فيه حياة الوجود وعليه مدار الموهوم والمشهود، ثم جعل فلك الكوكب القمري هو المتولي تدبير الأرض، كما أن الروح هي التي تتولى تدبير الجسد، فلو لم يخلق اللهّ تعالى سماء الدنيا من حقيقة الروح لما كانت الحكمة تقتضي وجود الحيوان من الأرض، بل كانت محل الجمادات، ثم أسكن اللهّ تعالى آدم في هذه السماء، لأن آدم روح العالم الدنيوي إذ به نظر اللهّ إلى الموجودات فرحمها، وجعل لها حياة بحياة آدم فيها، فلم يزل العالم الدنيوي حيا ما دام هذا النوع الإنساني فيها، فإذا انتقل منها هلكت الدنيا والتحق بعضها ببعض، كما لو خرجت روح الحيوان من جسده، فيخرب الجسد ويلتحق بعضه ببعض، وزين اللهّ هذه السماء بزينة الكواكب جميعها كما زين الروح بجميع ما حمله الهيكل الإنساني من اللطائف الظاهرة كالحواس الخمس، ومن اللطائف الباطنة كالسبع القوى التي هي العقل والهمة والفهم والوهم والقلب والفكر والخيال، فكما أن كواكب سماء الدنيا رجوم للشياطين، كذلك هذه القوى إذا حكم الإنسان بصحتها انتفت عنها شياطين الخواطر، فحفظ باطنه بهذه القوى كما حفظت بالنجوم الثواقب السماء الدنيا)[1]

قال آخر: وتحدث عن ملائكة هذه السماء، فقال: (وملائكة هذه السماء أرواح بسيطة ما دامت مسبحة للهّ تعالى فيها، فإذا نزلت منها لما يأمرها الملك الموكل بإنزال ملائكة السماء الدنيا تشكلت على هيئة الأمر الذي تنزل لأجله، فتكون روحانية ذلك الشيء الذي وكلت به، فلا تزال تسوقه إلى المحلّ الذي أمرها اللهّ تعالى به؛ فإن كان رزقا ساقته إلى مرزوقه، وإن

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٢.

كان أمرا قضائيا ساقته إلى من قدره اللهّ عليه إما خيرا وإما شرا، ثم تسبح اللهّ تعالى في فلك هذه السماء ولا تنزل أبدا بعدها في أمر، وجعل اللهّ الملك المسمى إسماعيل حاكما على جميع أملاك هذه السماء وهو روحانية القمر، فإذا أمر اللهّ على ذلك بأمر وقضى الملك ذلك الأمر، فإنه يجلسه على كراسي تسمى منصة الصور، فيجلس عليه متشكلا بصورة ما نزل به من الأمر، ولا يعود إلى بساطته أبدا، بل يبقى على ما هو عليه من التشكل والتصوّر الجرمي الجزئي يعبد اللهّ تعالى في الوجود)[1]

قال آخر: وتحدث عن رحلته لهذه السماء، فيقول: (وفي هذا المشهد اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض، أقمت فيه بزبيد بشهر ربيع الأول في سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية، فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات اللهّ وسلامه عليهم أجمعين، والأولياء والملائكة العالين والمقرّبين، وملائكة التسخير، ورأيت روحانية الموجودات جميعها، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد، وتحققت بعلوم إلهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه، وكان في هذا المشهد ما كان؛ فظنّ خيرا ولا تسأل عن الخبر)[2]

قال آخر: وتحدث عن السماء الثانية، فوصفها بقوله: (إنها جوهر شفاف لطيف ولونها أشهب، خلقها اللهّ تعالى من الحقيقة الفكرية، فهي للوجود بمثابة الفكر للإنسان، ولهذا كانت محلا لفلك الكاتب وهو عطارد، جعله اللهّ تعالى مظهرا لاسمه القدير، وخلق سماءه من نور اسمه العليم الخبير، ثم جعل اللهّ الملائكة الممدة لأهل الصنائع جميعها في هذه السماء ووكل بهم ملكا جعله روحانية هذا الكوكب، وهذه السماء أكثر ملائكة من جميع السموات، ومنها ينزل العلم إلى عالم الأكوان، وكانت الجن تأتي إلى صفيح سماء الدنيا فتسمع منها أصوات ملائكة السماء الثانية، لأن الأرواح لا يمنعها البعد عن استماع الكلام،

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٢.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٣٢.

لكن إذا كانت في عالمها، وأما إذا لم تكن في عالمها كان حكمها حكم هذا العالم الذي هي فيه، ولما كانت الجن أرواحا وهي في عالم الأجسام والكثافة ارتقت حتى بلغت نحو العالم الروحي وهو صفيح سماء الدنيا، فسمعت بواسطة ذلك الارتقاء كلام ملائكة السماء الثانية لعدم الفاصل، ولم يمكنها سماع الثالثة لحصول الفاصل.. فهي الآن إذا رقت إلى ذلك المحل نزل بها الشهاب الثاقب فأحرقها، وهو النور المحمدي الكاشف لأهل الحجب الظلمانية عن كثافة محتدهم، فلا يمكنهم الترقي لاحتراق جناح طير الهمة فيرجع خاسرا حاسرا)[١]

قال آخر: ثم تحدث عن رحلته إلى هذه السماء، فقال: (رأيت نوحا عليه السلام في هذه السماء جالسا على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء، فسلمت عليه وتمثلت بين يديه، فردّ علي السلام ورحب بي وقام، فسألته عن سمائه الفكري ومقامه السري فقال: إن هذه السماء عقد جوهر المعارف، فيها تتجلى أبكار العوارف، ملائكة هذه السماء مخلوقة من نور القدرة، لا يتصوّر شيئا في عالم الوجود إلا وملائكتها المتولية لتصوير ذلك المشهود، فهي دقائق التقدير المحكمة لرقائق التصوير، عليها يدور أمر الآيات القاهرة والمعجزات الظاهرة، ومنها تنشأ الكرامات الباهرة، خلق اللّهّ في هذه السماء ملائكة ليس لهم عبادة إلا إرشاد الخلق إلى أنوار الحق، يطيرون بأجنحة القدرة في سماء العبرة، على رؤوسهم تيجان الأنوار مرصعة بغوامض الأسرار، من ركب على ظهر ملك من هذه الأملاك طار بجناحه إلى سبعة الأفلاك، وأنزل الصور الروحانية في القوالب الجسمانية متى شاء وكيف شاء، فإن خاطبها كلمته، وإن سألها أعلمته، جعل اللّهّ دور فلك هذه السماء مسيرة ثلاث عشرة ألف سنة وثلثمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما يقطع كوكبها وهو عطارد في كل ساعة مسيرة خمسمائة سنة وخمس وخمسين سنة ومائة وعشرين

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٤.

يوما، فيقطع جميع فلكه في مضي أربع وعشرين ساعة معتدلة، ويقطع الفلك الكبير في مضي سنة كاملة، وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء اسمه نوحائيل عليه السلام.. ثم رأيت في هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا إذاعتها في أهل هذا الزمان، فتأمل فيما أشرناه وتفكر فيما لغزناه ومن وجودك لا من خارج عنك، فاطلب حلّ ما قد رمزناه)(١)

قال آخر: ثم تحدث عن السماء الثالثة، فوصفها بقوله: (أما السماء الثالثة فلونها أصفر وهي سماء الزهرة، جوهرها شفاف وأهلها المتلوّنون في سائر الأوصاف، خلقت من حقيقة الخيال وجعلت محلا لعالم المثال، جعل اللهّ كوكبها مظهرا لاسمه العليم، وجعل فلكها مجلى قدرة الصانع الحكيم، فملائكتها مخلوقة على كل شكل من الأشكال، فيها من العجائب والغرائب ما لا يخطر بالبال، يسوغ فيها المحال وربما امتنع فيها الجائز الحلال، خلق اللهّ دور فلك هذه السماء مسيرة خمس عشرة ألف سنة وستة وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما، يقطع كوكبها وهو الزهرة في كل ساعة مسيرة ستمائة سنة وإحدى وثلاثين سنة وثمانية عشر يوما وثلث يوم، فيقطع الفلك في مضيّ أربعة وعشرين ساعة، ويقطع جميع منازل الفلك الكبير في مسيرة ثلثمائة يوم وأربعة وعشرين يوما؛ وملائكة هذه السماء تحت حكم الملك المسمى صورائيل وهو روحانية الزهرة، ثم إن ملائكتها محيطون بالعالم يجيبون من دعاهم من بني آدم)(٢)

قال آخر: ثم ذكر رحلته إلى هذه السماء، وما رآه فيها من العجائب، فقال: (رأيت ملائكة هذه السماء مؤتلفة لكن على أنواع مختلفة، فمنهم من وكله اللهّ بالإيحاء إلى النائم إما صريحا وإما بضرب مثل يعقله العالم؛ ومنهم من وكله اللهّ تعالى بتربية الأطفال وتعليمهم

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٥.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٣٦.

المعاني والأقوال؛ ومنهم من وكله اللهّ بتسلية المهموم وتفريح المغموم؛ ومنهم من وكله اللهّ بالناس المستوحشين ومكالمة المتوحدين؛ ومنهم من وكله اللهّ تعالى بإضرام نيران الحبّ للمحبين في سويداء اللبّ، ومنهم من وكله اللهّ بحفظ صورة المحبوب لئلا يغيب عن عاشقه الملهوب؛ ومنهم من وكله اللهّ بإبلاغ الرسائل بين أهل الوسائل.. واجتمعت في هذه السماء بيوسف عليه السلام، فرأيته على سرير من الأسرار كاشفا عن رموز الأنوار عالما بحقيقة ما انعقدت عليه أكلّة الأحبار متحققا بأمر المعاني، مجاوزا عن قيد الماء والأواني، فسلمت عليه تحية وافد إليه فأجاب وحيا ثم رحب بي وبيا، فقلت له: سيدي أسألك عن قولك: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١] أيّ المملكتين تعني وعن تأويل أيّ الأحاديث تكنى، فقال: أردت المملكة الرحمانية المودعة في النكتة الإنسانية، وتأويل الأحاديث: الأمانات الدائرة في الألسنة الحيوانية، فقلت له: يا سيدي أليس هذا المودع في التلويح حللا من البيان والتصريح، فقال: اعلم أن للحق تعالى أمانة في العباد يوصلها المتكلمون بها إلى أهل الرشاد، قلت: كيف يكون للحق أمانة وهو أصل الوجود في الظهور والإبانة؟ فقال: ذاك وصفه، وهذا شأنه، ذاك حكمه وهذه عبارته، الأمانة يجعلها الجاهل في اللسان ويحملها العالم في السرّ والجنان، والكل في حيرة عنه ولم يفز غير العارف بشيء منه)(١)

قال آخر: ثم تحدث عن السماء الرابعة، فوصفها بقوله: (أما السماء الرابعة، فهي الجوهر الأفخر، ذات اللون الأزهر سماء الشمس الأنور، وهو قطب الأفلاك خلق اللهّ تعالى هذه السماء من النور القلبي، وجعل الشمس فيها بمنزلة القلب للموجود، به عمارته ومنه نضارته، منها تلتمس النجوم أنوارها وبها يعلو في المراتب منارها، جعل اللهّ هذا الكوكب

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٦.

الشمسي في هذا الفلك القلبي مظهر الألوهية ومجلى المتنوّعات أوصافه المقدسة النزيهة الزكية فالشمس أصل لسائر المخلوقات العنصرية، كما أن الاسم (اللهّ) لسائر المراتب العلية، نزل إدريس عليه السلام هذا المقام النفيس لعلمه بالحقيقة القلبية، فتميز عن غيره في الرتبة الربية، جعل اللهّ هذه السماء مهبط الأنوار ومعدن الأسرار؛ ثم إن الملك الجليل المسمى إسرافيل هو الحاكم على ملائكة هذه السماء، وهي روحانية الشمس ذات السناء، لا يرفع في الوجود خفض ولا يحدث فيه بسط ولا قبض إلا بتصريف هذا الملك الذي جعله اللهّ محتد هذا الفلك، وهو أعظم الملائكة هيبة وأكبرهم وسعا وأقواهم همة، له من سدرة المنتهى إلى ما تحت الثرى يتصرّف في جميعها ويتمكن من شريفها ووضيعها، منصته عند الكرسي ومحتده هذا الفلك الشمسي، وعالمه السموات والأرض وما فيهما من عقل وحس.. ثم اعلم أن اللهّ تعالى جعل الفلك الشمسي مسيرة سبع عشرة ألف سنة وتسعا وعشرين سنة وستين يوما، فيقطع جميع الفلك في مضيّ أربع وعشرين ساعة معتدلة، ويقطع الفلك الكبير في ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم وثلاث دقائق.. واعلم أن اللهّ تعالى جعل الوجود بأسره مرموزا في قرص الشمس، تبرزه القوى الطبيعية في الوجود شيئا فشيئا بأمر اللهّ تعالى، فالشمس نقطة الأسرار ودائرة الأنوار، أكثر الأنبياء أهل التمكين في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان وداود وإدريس وجرجيس وغيرهم ممن يكثر عدده ويطول أمده، كلهم نازلون في هذا المنزل الجلي، وقاطنون في هذا المقام العليّ، واللهّ يقول الحق وهو يهدي السبيل إلى الصراط السوي)[1]

قال آخر: ثم تحدث عن السماء الخامسة، فوصفها بقوله: (أما السماء الخامسة، فإنها سماء الكوكب المسمى بهرام، وهو مظهر العظمة الإلهية والانتقام، نزل به يحيى عليه السلام

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٧.

لمشاهدته العظمة والجبروت وملاحظته العزة والملكوت، ولهذا لم يهم بزلة، وما منهم إلا من همّ أو جاء بخلة، سماؤه مخلوقة من نور الوهم ولونها أحمر كالدم، وملائكة هذه السماء خلقهم اللهّ تعالى مراثي للكمال ومظاهر للجلال، بهم عبد اللهّ في هذا الوجود، وبهم دان أهل التقليد للحق بالسجود، جعل اللهّ عبادة هذه الملائكة تقريب البعيد وإيجاد الفقيد؛ فمنهم من عبادته تأسيس قواعد الإيمان في القلب والجنان، ومنهم من عبادته طرد الكفار عن عالم الأسرار؛ ومنهم من عبادته شفاء المريض وجبر الكسر المهيص، ومنهم من خلق لقبض الأرواح فيقبض بإذن الحاكم ولا جناح وحاكم هذه السماء الأثيل هو الملك المسمى عزرائيل، وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ، جعل اللهّ تعالى محتد هذا الملك هذه السماء ومنصته عند القلم الأعلى، لا ينزل ملك إلى الأرض للانتقام ولا لقبض الأرواح ولا لنشر انتظام إلا بأمر هذا الملك الذي هو روحانية بهرام.. واعلم أن اللهّ تعالى جعل دور هذه السماء مسيرة تسع عشرة ألف سنة وثمان مائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما، يقطع هذا الكوكب منها في كل ساعة معتدلة مسيرة ثمانمائة سنة وست وعشرين سنة ومائة وأربعين يوما، فيقطع جميع الفلك في مضي أربع وعشرين ساعة، ويقطع الفلك الكبير في مضي خمسمائة وأربعين يوما بالتقريب، وروحانيته هي الممدة لأرباب السيوف والانتقام، وهي الموكلة بنصر من أراد اللهّ نصره من أهل الزمام)[1]

قال آخر: ثم تحدث عن السماء السادسة، فوصفها بقوله: (أما السماء السادسة، فمحتدها من نور الهمة، وهي جوهر شفاف روحاني أزرق اللون، وكوكبها مظهر القيومية ومنظر الديمومية ذو النور الممد المسمى بالمشتري)[2]

قال آخر: ووصف بعض ما رآه في رحلته إلى هذه السماء، فقال: (رأيت موسى عليه

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٨.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٣٨.

السلام متمكنا في هذا المقام، واضعا قدمه على سطح هذه السماء، قابضا بيمينه ساق سدرة المنتهى، سكران من خمر تجلى الربوبية، حيران من عزّة الألوهية، قد انطبعت في مرآة علمه أشكال الأكوان، وتجلت في إنيته ربوبية الملك الديان، يهول منظره الناظر، ويزعج أمره الوارد والصادر، فوقفت متأدبا بين يديه، وسلمت بتحقيق مرتبته عليه، فرفع رأيه من سكرة الأزل ورحب بي ثم أهل، فقلت له: يا سيدي قد أخبر الناطق بالصواب، الصادق في الخطاب، أنه قد برزت لك خلعة لن تراني من ذلك الجناب، وحالتك هذه غير حالة أهل الحجاب، فأخبرني بحقيقة هذا الأمر العجاب؛ فقال: اعلم أنني لما خرجت من مصر أرضي إلى حقيقة فرضي، ونوديت من طور قلبي بلسان ربي من جانب شجرة الأحدية في الوادي المقدس بأنوار الأزلية إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي فلما عبدته كما أمر في الأشياء، وأثنيت عليه بما يستحقه من الصفات والأسماء تجلت أنوار الربوبية لي فأخذني عني، فطلبت البقاء في مقام اللقاء، ومحال أن يثبت المحدث لظهور القديم، فنادى لسان سرّي مترجما عن ذلك الأمر العظيم، فقلت: ربي أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ فأدخل بأنيتي في حضرة القدس عليك، فسمعت الجواب من ذلك الجناب لَنْ تَرانِي ولكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ وهي ذاتك المخلوقة من نوري في الأزل، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ بعد أن أظهر القديم سلطانه فَسَوْفَ تَرانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ وجذبتني حقيقة الأزل وظهر القديم على المحدث جَعَلَهُ دَكًّا فخر موسى لذلك صعقا، فلم يبق في القديم إلا القديم، ولم يتجلّ بالعظمة إلا العظيم، هذا على أن استيفاءه غير ممكن وحصره غير جائز، فلا تدرك ماهيته ولا ترى ولا يعلم كنهه ولا يدري، فلما اطلع ترجمان الأزل على هذا الخطاب أخبركم به من أم الكتاب، فترجم بالحق والصواب، ثم تركته وانصرفت وقد اغترفت من بحره ما اغترفت)[1]

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣٩.

قال آخر: وذكر بعض التفاصيل التي كشفت له عن هذه السماء، فقال: (اعلم أن اللهّ تعالى جعل دور فلك هذه السماء مسيرة اثنتين وعشرين ألف سنة وستا وستين سنة وثمانية أشهر، فيقطع كوكبها وهو المشتري فيها في كل ساعة مسيرة تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما ونصف يوم، فيقطع جميع الفلك في مضيّ أربع وعشرين ساعة، ويقطع جميع الفلك الكبير في مضيّ اثنتي عشرة سنة، يقطع كل سنة برجا من الفلك الكبير، وخلق اللهّ تعالى هذه السماء من نور الهمة، وجعل ميكائيل موكلا بملائكتها، وهم ملائكة الرحمة، جعلهم اللهّ معارج الأنبياء، ومراقي الأولياء، خلقهم اللهّ تعالى لإيصال الرقائق إلى من اقتضتها له الحقائق، دأبهم ربع الوضيع وتسهيل الصعب المنيع، يجولون في الأرض، بسبب رفع أهلها من ظلمة الخفض، فهم أهل البسط بين الملائكة والقبض، وهم الموكلون بإيصال الأرزاق إلى المرزوقين على قدر الوفاق، جعلهم اللهّ تعالى من أهل البسط والحظوة، فهم بين الملائكة مجابو الدعوة، لا يدعون لأحد بشيء ألا أجيب، ولا يمرّون بذي عاهة إلا ويبرأ ويطيب.. ثم إني رأيت ملائكة هذه السماء مخلوقة على سائر أنواع الحيوانات، فمنهم من خلقه اللهّ تعالى على هيئة الطائر وله أجنحة لا تنحصر للحاصر، وعبادة هذا النوع خدمة الأسرار ورفعها من حضيض الظلمة إلى عالم الأنوار، ومنهم من خلقه اللهّ تعالى على هيئة الخيول المسومة، وعبادة هذه الطائفة المكرّمة رفع القلوب من سجن الشهادة إلى فضاء الغيوب؛ ومنهم من خلقه اللهّ تعالى على هيئة النجائب وفي صورة الركائب، خلقه اللهّ تعالى على هيئة البغال والحمير، وعبادة هذا النوع رفع الحقير وجبر الكسير والعبور من القليل إلى الكثير؛ ومنهم من خلقه اللهّ تعالى على صورة الإنسان، وعبادة هؤلاء حفظ قواعد الأديان، ومنهم من خلق على صفة بسائط الجواهر والأعراض، وعبادة هؤلاء إيصال الصحة إلى الأجسام المراض، ومنهم من خلق على أنواع الحبوب والمياه وسائر المأكولات

والمشروبات، وعبادة هؤلاء إيصال الأرزاق إلى مرزوقها من سائر المخلوقات)[1]

قال آخر: وذكر بعض مشاهداته في هذه السماء، فقال: (ثم إني رأيت في هذه السماء ملائكة مخلوقة بحكم الاختلاط مزجا، فالنصف من ماء عقد ثلجا، فلا الماء يفعل في إطفاء النار ولا النار تغير الماء عن ذلك القرار.. واعلم أن ميكائيل عليه السلام هو روحانية كوكب هذه السماء، وهو الحاكم على سائر الملائكة المقيمين في هذا الفلك، جعل الله محتده هذه السماء ومنصته عن يمين سدرة المنتهى، سألته عن البراق المحمدي هل كان مخلوقا من هذا المحتد العلي؟ فقال: لا، لأن محمدا ﷺ لم تتكاثف عليه الستور، فلم ينزل سرّه عن سماء النور، وذلك محتد العقل الأول ومنشأ الروح الأفضل، فبراقه من فلك هذا المقام المكين، وترجمانه جبريل وهو الروح الأمين؛ وأما من سواه من الأنبياء وسائر الكمل من الأولياء، فإن مراكبهم في السفير الأعلى على نجائب هذه السماء فيصعدون عليها من حضيض أرض الطبائع حتى يجاوزوا الفلك السابع، ثم ليس لهم مركب إلا الصفات ولا ترجمان إلا الذات)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن السماء السابعة، فوصفها بقوله: (أما السماء السابعة، فسماء زحل المكرّم، وجوهرها شفاف أسود كالليل المظلم، خلقها الله من نور العقل الأول، وجعلها المنزل الأفضل، فتلوّنت بالسواد إشارة إلى سوادها والبعاد، فلهذا لا يعرف العقل الأول إلا كل عالم أكمل، هذا هو سماء كيوان المحيط بجميع عالم الأكوان، أفضل السموات وأعلى الكائنات، جميع الكواكب الثابتة في موكبه سائرة سيرا خفيا في كوكبه، دورة فلكه مسيرة أربع وعشرين ألف سنة وخمسمائة عام، يقطع كوكبه في كل ساعة معتدلة مسيرة ألف سنة وعشرين سنة وعشرة أشهر، ويقطع الفلك الكبير في مدة ثلاثين سنة، وجميع الكواكب

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٤٠.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٤٠.

الثابتة التي فيها لكل منها سير خفيّ مهين لا يكاد يبين، منها ما يقطع كل برج من الفلك في ثلاثين ألف سنة، ومنها ما يقطع بأكثر وأقل، ولأجل دقتها وكثرتها لا تعرف، وليس لها أسماء عند الحساب، ولكن أهل الكشف يعرفون اسم كل نجم ويخاطبونه باسمه ويسألونه عن سيره، فيجيبهم ويخبرهم بما يقتضيه في فلكه، ثم إن هذه الأسماء أول سماء خلقها اللهّ تعالى محيطة بعالم الأكوان، وخلق السموات التي تحتها بعدها، فهو نور العقل الأول الذي هو أول مخلوقات اللهّ في عالم المحدثات)(١)

قال آخر: وتحدث عن مشاهداته في هذه السماء، فقال: (رأيت إبراهيم عليه السلام قائما في هذه السماء، وله منصة يجلس عليها عن يمين العرش من فوق الكرسي، وهو يتلو آية الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وإِسْحاقَ الآية)(٢)

قال آخر: وتحدث عن ملائكتها، فقال: (اعلم أن ملائكة هذه السماء كلهم مقرّبون، ولكل من المقرّبين منزلة على قدر وظيفته التي أقامه اللهّ فيها، وليس فوقه إلا الفلك الأطلس، وهو الفلك الكبير، سطحه هو الكرسي الأعلى، وبينهما أعني الفلك الأطلس والفلك المكوكب ثلاثة أفلاك وهمية حكمية لا وجود لها إلا في الحكم دون العين. الفلك الأول منها، وهو الفلك الأعلى على فلك الهيولي، الفلك الثاني فلك الهباء. الفلك الثالث فلك العناصر، وهو آخرهم مما يلي الفلك المكوكب. وقال بعض الحكماء: ثم فلك رابع، وهو فلك الطبائع، واعلم أن الفلك الأطلس هو عرصة سدرة المنتهى، وهي تحت الكرسي.. ويسكن سدرة المنتهى الملائكة الكروبيون، رأيتهم على هيئات مختلفة لا يحصى عددهم إلا اللهّ، قد انطبقت أنوار التجليات عليهم حتى لا يكاد أحد منهم يحرك جفن طرفه؛ فمنهم من وقع على وجهه، ومنهم من جثا على ركبتيه وهو الأكمل، ومنهم من سقط

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٤١.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٤١.

على جنبه، ومنهم من جمد في قيامه وهو أقوى، ومنهم من دهش في هويته، ومنهم من خطف في إنيته، ورأيت منهم مائة ملك مقدمين على هؤلاء جميعهم، بأيديهم أعمدة من النور مكتوب على كل عمود اسم من أسماء اللهّ الحسنى، يرهبون بها من دونهم من الكروبيين، ومن بلغ مرتبتهم من أهل اللهّ تعالى، ثم رأيت سبعة من جملة هذه المائة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين، ورأيت واحدا مقدما على جميعهم يسمى عبد اللهّ، وكل هؤلاء عالون ممن لم يؤمروا بالسجود لآدم، ومن فوقهم كذلك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم وأمثالهما أيضا عالون، وبقية ملائكة القرب دونهم، وتحتهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأمثالهم، ورأيت في هذا الفلك من العجائب والغرائب ما لا يسعنا شرحه)[1]

قال آخر: ثم تحدث بثقة عجيبة عن جميع أفلاك الكون، فقال: (اعلم أن جملة الأفلاك التي خلقها اللهّ تعالى في هذا العالم ثمانية عشر فلكا، الفلك الأول: العرش المحيط. الفلك الثاني: الكرسي. الفلك الثالث: الأطلس، وهو فلك سدرة المنتهى. الفلك الرابع: الهيولي. الفلك الخامس: الهباء، الفلك السادس: العناصر. الفلك السابع: الطبائع. الفلك الثامن: المكوكب، وهو فلك زحل ويسمى فلك الأفلاك. الفلك التاسع: فلك المشتري. الفلك العاشر: فلك المريخ. الفلك الحادي عشر: فلك الشمس. الفلك الثاني عشر: فلك الزهرة. الفلك الثالث عشر: فلك عطارد. والفلك الرابع عشر: فلك القمر. الفلك الخامس عشر: فلك الأثير. وهو فلك النار الفلك السادس عشر: فلك الهواء. الفلك السابع عشر: فلك الماء. الفلك الثامن عشر: فلك التراب. والبحر المحيط الذي فيه البهموت، وهو حوت يحمل الأرض على منكبيه، ثم فلك الهواء، ثم فلك النار، ثم فلك القمر، ويرجع صاعدا

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٤٢.

كما هبط)[1]

د. عجائب الأرض:

قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن عجائب السماء؛ فحدثونا عن عجائب الأرض.. أخبرونا عن معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، وعجائب الكشف المرتبطة بها.

قال أحد الشيوخ[2]: لقد تبين لنا من خلال الكشف الذي ذكره العارفون بالله أن للأرض سبع طبقات، مثلها مثل السماء.. أما الطبقة الأولى منها، فأول ما خلقها اللهّ تعالى كانت أشد بياضا من اللبن وأطيب من رائحة المسك، فاغبرت لما مشى آدم عليه السلام عليها بعد أن عصى اللهّ تعالى، وهذه الأرض أرض النفوس، ولهذا كانت يسكنها الحيوانات.. وهذه الأرض من أشرف الأراضي وأرفعها قدرا عند اللهّ تعالى، لأنها محل النبيين والمرسلين والأولياء الصالحين، فلولا ما أخذ الناس من الغفلة عن معرفتها لكنت تراهم يتكلمون بالمغيبات ويتصرّفون في الأمور المعضلات، ويفعلون ما يشاؤن بقدرة صانع البريات.

قال السائل: فهل تعرفون طولها وعرضها ومناخها وتضاريسها؟

قال الشيخ[3]: أجل.. فقد ذكر لنا شيوخنا كل ذلك؛ فقد ذكروا أن دور كرة الأرض مسيرة ألف ومائة عام وستة وستون عاما ومائتا يوم وأربعون يوما.. وقد غمر الماء منها ثلاثة أرباع بحكم الحيطة، فبقي الربع من وسط الأرض إلا ما يلي الجانب الشمالي، وأما الجانب الجنوبي فأجمعه بكليته مغمور تحت الماء من نصف الأرض، ثم ربعه من الجانب

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٤٢.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٣١.

(٣) الإنسان الكامل، ص ٢٣١.

الشمالي تحت الماء، فما بقي إلا الربع وهذا الربع فالخراب منه ثلاثة أرباعه، ولم يبق إلا الربع من الربع، ثم هذا الربع المتبقى لم تكن مدته المسكونة منه إلا مسيرة أربعة وعشرين عاما وباقيها برار وقفار عامرة بالطرق ممكنة الذهاب والإياب.

قال السائل: فهل طاف ذو القرنين كل هذه المسافات؟

قال الشيخ[1]: كلا.. لم يبلغ من الأرض إلا هذا الربع المتبقى، حيث سلك قطره شرقا وغربا، لأن بلاده في المغرب، وكان ملكا بالروم، فأخذ أولا يسلك مما يليه من جنبه حتى بلغ إلى باطن الأرض منه، فوصله إلى مغرب الشمس؛ ثم سلك الجنوبي وهو ما يقابله حتى تحقق بظهور تلك الأشياء، فوصل إلى مشرق الشمس، ثم سلك الجانب الجنوبي وهو الظلمات حتى بلغ يأجوج ومأجوج، وهم في الجانب الجنوبي من الأرض، نسبتهم من الأرض نسبة الخواطر من النفس، لا يعرف عددهم ولا يدرك حصرهم، لم تطلع الشمس على أرضهم أبدا، فلأجل هذا غلب عليهم الضعف حتى أنهم لم يقدروا في هذا الزمان على خراب السد؛ ثم سلك الجانب الشمالي حتى بلغ محلا منه لم تغرب الشمس فيه..

قال السائل: حقا.. كيف هذا.. إن هذا لعجيب.. هل لك أن تصف لنا هذه الأرض؟

قال الشيخ[2]: أجل.. هذه الأرض بيضاء على ما خلقها اللهّ تعالى عليه هي مسكن رجال الغيب، وملكها الخضر عليه السلام، أهل هذه البلاد تكلمهم الملائكة لم يبلغ إليها آدم ولا أحد ممن عصى اللهّ تعالى، فهي باقية على أصل الفطرة، وهي قريبة من أرض بلغار، وبلغار بلدة في العجم لا تجب فيها صلاة العشاء في أيام الشتاء، لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها، فلا يجب عليهم صلاة العشاء، ولا حاجة إلى تبيين عجائب

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٣١.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٣١.

الأرض..)[1]

قال السائل: حدثتنا عن الطبقة الأولى من الأرض وعجائبها، فحدثنا عن الطبقة الثانية.

قال الشيخ[2]: لقد ذكر أولياء الله المكاشفين أن الطبقة الثانية من الأرض لونها كالزمردة الخضراء، وهي تسمى أرض العبادات، يسكنها مؤمنو الجن، ليلهم نهار الأرض الأولى، ونهارهم ليلها، لا يزال أهلها قاطنين فيها حتى تغيب الشمس عن أرض الدنيا، فيخرجون إلى ظاهر الأرض يتعشقون ببني آدم تعشق الحديد بالمغناطيس، ويخافون منهم أشد من خوف الفريسة للآساد.. ودورة كرة هذه الأرض ألفا سنة ومائتا سنة وأربعة أشهر، ولكن ليس فيها خراب، بل الجميع معمور بالسكنى، وأكثر مؤمني الجن يحسدون أهل الإرادات والمخالفات، فأكثر هلاك السالكين من جن هذه الأرض يأخذون الشخص من حيث لا يشعر بهم.

قال السائل: فحدثنا عن الطبقة الثالثة.

قال الشيخ[3]: الطبقة الثالثة من الأرض لونها أصفر كالزعفران، وهي تسمى أرض الطبع، يسكنها مشركو الجن، ليس فيها مؤمن بالله، قد خُلقوا للشرك والكفر يتمثلون بين الناس على صفة بني آدم، لا يعرفهم إلا أولياء الله تعالى، لا يدخلون بلدة فيها رجل من أهل التحقيق إذا كان متمكنا بشعاع أنواره، وأما قبل ذلك فإنهم يدخلون عليه ويحاربهم، فلا يزالون كذلك حتى ينصره الله تعالى عليهم، فلا يقربون بعد هذا من أرضه، ومن توجه إليه احترق بشعاع أنواره، ليس لهؤلاء عمل في الأرض إلا إشغال الخلق عن عبادة الله تعالى

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٤٣.

(٣) الإنسان الكامل، ص ٢٤٤.

بأنواع الغفلة.. ودورة كرة هذه الأرض مسيرة أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وثمانية أشهر، وكلها عامرة بالسكنى ليس فيها خراب، لم يذكر الحق سبحانه وتعالى فيها منذ خلقها إلا مرة واحدة بلغة غير لغة أهلها.

قال السائل: فحدثنا عن الطبقة الرابعة.

قال الشيخ[1]: الطبقة الرابعة من الأرض لونها أحمر كالدم تسمى أرض الشهود، دورة كرة هذه الأرض مسيرة ثمانية آلاف سنة وخمس وستين سنة ومائة وعشرين يوما، كلها عامرة بالسكنى، يسكنها الشياطين، وهم على أنواع كثيرة، يتوالدون من نفس إبليس، فإذا تحصلوا بين يديه جعلهم طوائف، يعلم طائفة منهم القتل ليكونوا أدلة عليه لعبادة اللّه، ثم يعلم طائفة الشرك ويحكمهم في معرفة علوم المشركين ليوطن بنيان الكفر في قلوب أهله، ويعلم طائفة العلم ليجادلوا به العلماء، ويعلم طائفة منهم المكر وطائفة الخداع وطائفة الزنا وطائفة السرقة، حتى لا يترك معصية صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أرصد لها طائفة من حفدته، ثم يأمرهم أن يجلسوا في مواضع معروفة، فيعلموا أهل الخدع والمكر وأمثال ذلك أن يقيموا في دركة الطمع، ويعلموا أهل القتل والطعن وأمثال ذلك أن يقيموا في دركة الرياسة، ويعلموا أهل الشرك أن يقيموا في دركة الشرك، ويعلموا أهل العلم أن يقيموا في دركة المناجاة والعبادات، ويعلموا أهل الزنا والسرقة وأمثال ذلك أن يقيموا في دركة الطبع؛ ثم جعل بأيديهم سلاسل وقيودا يأمرهم أن يجعلوها في أعناق من يحتكم لهم سبع مرات متواترات ليس بينها توبة، ثم يسلمونه بعد ذلك إلى عفاريت الشياطين فينزلون إلى الأرض التي تحتهم، ويجعلون أصول تلك السلاسل فيهم، فلا يمكنه مخالفتهم بعد أن توضع تلك السلاسل في عنقه أبدا.

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٤٤.

قال السائل: فحدثنا عن الطبقة الخامسة.

قال الشيخ[1]: الطبقة الخامسة من الأرض لونها أزرق كالنيلة، واسمها أرض الطغيان، دورة كرتها سبعة عشرة ألف سنة وستمائة سنة وعشر سنين وثمانية أشهر، كلها عامرة بالسكنى، يسكنها عفاريت الجن والشياطين، ليس لهم عمل إلا قيادة أهل المعاصي إلى الكبائر، وهؤلاء كلهم لا يصنعون إلا بالعكس؛ فلو قيل لهم اذهبوا جاؤا، ولو قيل لهم تعالوا ذهبوا، هؤلاء أقوى الشياطين كيدا، فإن من فوقهم من أهل الطبقة الرابعة كيدهم ضعيف يرتدع بأدنى حركة.

قال السائل: فحدثنا عن الطبقة السادسة.

قال الشيخ[2]: الطبقة السادسة من الأرض هي أرض الإلحاد، لونها أسود كالليل المظلم، دورة كرة هذه الأرض مسيرة خمس وثلاثين ألف سنة ومائتي سنة وإحدى وعشرين سنة ومائة وعشرين يوما، كلها عامرة يسكنها المردة ومن لا يتحكم لأحد من عبادة الله تعالى.

قال السائل: فحدثنا عن الطبقة السابعة.

قال الشيخ[3]: الطبقة السابعة من الأرض تسمى أرض الشقاوة، وهي سطح جهنم، خلقت من سفليات الطبيعة يسكنها الحيات والعفاريت وبعض زبانية جهنم، دورة كرة هذه الأرض مسيرة سبعين ألف سنة وأربعمائة سنة واثنتين وأربعين سنة وأربعة أشهر، وحياتها وعقاربها كأمثال الجبال وأعناق البخت، وهي ملحقة بجهنم نعوذ بالله منها، أسكن الله هذه الأشياء في هذه الأرض لتكون أنموذجا في الدنيا لما في جهنم من عذابه، كما

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٤٥.

(٢) الإنسان الكامل، ص ٢٤٥.

(٣) الإنسان الكامل، ص ٢٤٦.

أسكن طائفة مثل سكان الجنة على الفلك المكوكب ليكون أنموذجا في الدنيا لما في الجنة من نعيمه، ونظير ذلك في مخيلة الإنسان، وما في الجانب الأيسر منها من الصور الممثلة هو نسخة هذه الأرض، وما في الجانب الأيمن منها هو نسخة ما في الفلك الأطلس من الحور وأمثاله، كل ذلك لتقوم حجته على خلقه.

قام أحد الحضور، وقال: فحدثنا عما جاد لكم به الكشف في تفسير الآيات القرآنية المرتبطة بالبحار، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، وقوله: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].. وغيرها من الآيات الكريمة.

قال أحد الشيوخ[١]: اعلم ـ يا بني ـ أن البحار السبعة المحيطة أصلها بحران، لأن الحق سبحانه وتعالى لما نظر إلى الدرّة البيضاء التي صارت ماء، فما كان مقابلا في علم اللهّ تعالى لنظر الهيبة والعظمة والكبرياء، فإنه لشدة الهيبة صار طعمه مالحا زعافا، وما كان مقابلا في علم اللهّ تعالى لنظر اللطف والرحمة صار طعمه عذبا.. فلهذا كان الأصل بحرين عذب ومالح، فبرز من العذب جدول إلى جانب المشرق منه واختلط بنبات الأرض فنبتت رائحته فصار بحرا على حدته، ثم خرج منه أي العذاب من جدول مما يلي جانب المغرب، فقرب من البحر المالح المحيط فامتزج طعمه فصار ممتزجا وهو بحر على حدته، وأما البحر المالح فخرجت منه ثلاث جداول: جدول أقام وسط الأرض فبقي على طعمه الأول مالحا

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٤٧.

ولم يتغير فهو بحر على حدته، وجدول ذهب إلى اليمين، وهو الجانب الجنوبي، فغلب عليه طعم الأرض التي امتدّ إليها، فصار حامضا، وهو بحر على حدته، وجدول ذهب إلى الشام، وهو الجانب الشمالي فغلب عليه طعم الأرض التي امتد فيها فصار مرّا زعافا وهو بحر على حدته، وأحاط بجبل قاف والأرض جميعها بما فيها لم يعرف له طعم يختص به ولكنه طيب الرائحة، لا يكاد من شمه أن يبقى على حالته بل يهلك من طيب رائحته، وهذا هو البحر المحيط الذي لا يسمع له غطيط.

قال السائل: فهلا حدثتنا عن تفاصيل أكثر ترتبط بهذه البحار، مما كشفه الله لكم.

قال الشيخ: معاذ الله أن ندعي أنه كشف لنا.. بل هو مما كشف للعارفين الربانيين الكبار.. فقد ذكروا أن البحر العذب طيب المشرب وسهل المركب.. أبيض اللون شفاف الكون، يسرع في منافذه الطفل والمحتلم، ويرتع في موائده الطالب والمغتنم، حيتانه سهلة الانقياد قريبة الاصطياد، خلقت من نور تعظيم الاحترام، الحلال فيه بين من الحرام، وبها ارتبط الحكم الظاهر، وبها أصلح أمر الأول والآخر، كثيرة السفر قليلة الخطر، قل أن تنعطب مراكبها أو يغرق من موجها راكبها.. سكانها أهل الملل المختلفة والنحل المؤتلفة، رؤساؤها المسلمون وحكامها الفقهاء العاملون قد وكل اللهّ ملائكة النعيم بحفظها، وجعلهم أهل بسطها وقبضها، ولها أربعة فروع مشتهرة وأربعون ألف فرع مندثرة، فالفروع المشتهرة الفرات والنيل وسيحون وجيحون، والمندثرة فأكثرها بأرض الهند والتركمان وفي الحبشة منها فرعان، دورة محيط هذه الأبحر مسيرة أربع وعشرين سنة وهي متشعبة في أقطار الأرض ومتفرّعة في طولها والعرض، يتشعب منها فرعان الأول بإرم ذات العماد، والآخر بنعمان، فأما الذي أخذ في العرض وبين من ملابسة الأرض، فهو العامر للديار والأعمال والظاهر بين أيدي السفرة والعمال.. وأما الذي أخذ في طول الالتحاد

وسكن إرم ذات العماد، فهو البحر الممزوج ذو الدرّ الممزوج.

قال آخر: ومن تلك البحار بحر عجيب يسمى البحر النتن، وهو الصعب المسالك القريب المهالك.. لونه أشهب وكونه أغرب، أمواجه بأنواع البر طافحة وأرياحه بأنصاف الفضائل غادية ورائحة، حيتانه كالبغال والجمال تحمل الكلّ وأعباء الأثقال إلى بلد الدرّ الأنفس ولم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، لكنهم صعاب الانقياد لا يصادون إلا بالجد والاجتهاد، لا يعبر مراكبهم الباهرة إلا أهل العزائم القاهرة، تهب رياحها من جانب الشرق الواضح فتسير بأفلاكها إلى ساحل البحر الناجح، أهلها صادقون في الأفعال مؤمنون في الأقوال والأحوال، سكانها العباد والصالحون والزهاد، يستخرج من هذا البحر درّ البقاء ومراجين النقاء، يتحلى بها من تطهر وتزكى وتخلق وتحقق وتجلى، قد وكل اللهّ ملائكة العذاب بحفظ هذا البحر العجاب.. دور محيط هذا البحر مسيرة خمسة آلاف سنة، وقد أخذ سردا في العرض غير ممتد في الأرض وأما البحر الممزوج ذو الدرّ الممزوج، لونه أصفر أمواجه معقودة كالصخر الأحمر، لا يقدر كل على شربه ولا يطيق كل أحد أن يسير فيه سربه، هو بحر ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، صعب المسلك كثير العطب والمهلك، لا يسلم فيه إلا آحاد المؤمنين ولا يحكم أمره إلا أفراد المعتقدين.

قال أحد الحضور: فحدثنا عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]

قال أحد الشيوخ: لما ذهب موسى عليه السلام وفتاه حاملا لغدائه.. وهذا الفتى اسمه يوشع بن نون، وهو أكبر من موسى عليه السلام في السن بسنة شمسية وقصتهما مشهورة، ذكرها بعض شيوخنا العارفين بالله في رسالة سماها [مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب].. وقد ذكر فيه أن الإسكندر سافر ليشرب من هذا الماء اعتمادا على كلام

أفلاطون أن من شرب من ماء الحياة فإنه لا يموت، لأن أفلاطون كان قد بلغ هذا المحل وشرب من هذا البحر فهو باق إلى يومنا هذا في جبل يسمى دراوند، وكان أرسطو تلميذ أفلاطون وهو أستاذ الإسكندر صحب الإسكندر في مسيره إلى مجمع البحرين، فلما وصل إلى أرض الظلمات ساروا وتبعهم نفر من العسكر وأقام الباقون بمدينة تسمى ثبت، وهو حد ما تطلع الشمس عليه، وكان في جملة من صحب الإسكندر من عسكره الخضر عليه السلام، فساروا مدة لا يعلمون عددها ولا يدركون أمدها وهم على ساحل البحر، وكلما نزلوا منزلا شربوا من الماء؛ فلما ملوا من طول السفر أخذوا في الرجوع إلى حيث أقام المعسكر، وقد كانوا مروا بمجمع البحرين على طريقهم من غير أن يشعروا به، فما أقاموا عنده ولا نزلوا به لعدم العلامة، وكان الخضر عليه السلام قد ألهم بأن أخذ طيرا فذبحه وربطه على ساقه، فكان يمشي ورجله في الماء، فلما بلغ هذا المحل انتعش الطير واضطرب عليه، فأقام عنده وشرب من ذلك الماء واغتسل منه وسبح فيه، فكتمه عن الإسكندر وكتم أمره إلى أن خرج؛ فلما نظر أرسطو إلى الخضر عليه السلام علم أنه قد قال من دونهم بذلك، فلزم خدمته إلى أن مات، واستفاد من الخضر هو والإسكندر علوما جمة.

قال السائل: فحدثنا عن الخضر عليه السلام، وسر حياته الممتدة.

قال الشيخ: اعلم أن الخضر عليه السلام خلقه اللهّ تعالى من حقيقة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فهو روح اللهّ، فلهذا عاش إلى يوم القيامة، وقد قال شيخي العارف بالله أنه اجتمع به وسأله، وأنه يروي عنه جميع ما في البحر المحيط.

قال السائل: البحر المحيط.. ما يعني هذا؟

قال الشيخ: البحر المحيط، ما كان منه منفصلا عن جبل (ق) مما يلي الدنيا فهو مالح وهو البحر المذكور، وما كان منه متصلا بالجبل فهو وراء المالح، فإنه البحر الأحمر الطيب

الرائحة، وما كان من وراء جبل (ق) متصلا بالجبل الأسود فإنه البحر الأخضر، وهو مرّ الطعم كالسمّ القاتل، ومن شرب منه قطرة هلك، وفنى لوقته؛ وما كان منه وراء الجبل بحكم الانفصال والحيطة والشمول بجميع الموجودات فهو البحر الأسود الذي لا يعلم له طعم ولا ريح، ولا يبلغه أحد، بل وقع به الإخبار، فعلم وانقطع عن الآثار فكتم، وأما البحر الأحمر الذي نشره كالمسك الأذفر فإنه يعرف بالبحر الأسمى ذي الموج الأنمى.

قال السائل: فهلا حدثتنا عن عجائب هذا البحر.

قال الشيخ: لقد ذكر بعض شيوخنا العارفين بالله ما كشف الله له من هذا البحر، فقال: (رأيت على ساحل هذا البحر رجالا مؤمنين، ليس لهم عبادة إلا تقريب الخلق إلى الحقّ، قد جبلوا على ذلك، فمن عاشرهم أو صاحبهم عرف اللهّ بقدر معاشرتهم، وتقرّب إلى اللهّ بقدر مسايرتهم، وجوههم كالشمس الطالع والبرق اللامع، يستضيء بهم الحائر في تيهات القفار، ويهتدي بهم التائه في غيابات البحار، إذا أرادوا السفر في هذا البحر نصبوا شركا لحيتانه، فإذا اصطادوها ركبوا عليها، لأن مراكب هذا البحر حيتانه، ومكتسبه لؤلؤه ومرجانه، ولكنهم عند أن يستووا على ظهر هذا الحوت ينتعشون بطيب رائحة البحر فيغمى عليهم، فلا يفيقون إلى أنفسهم، ولا يرجعون إلى محسوسهم ما داموا راكبين في هذا البحر، فتسير بهم الحيتان إلى أن يأخذوا حدّها من الساحل، فتقذف بهم في منزل من تلك المنازل، فإذا وصلوا إلى البرّ وخرجوا من ذلك البحر، رجعت إليهم عقولهم، وبان لهم محصولهم، فيظفرون بعجائب وغرائب لا تحصر، أقلّ ما يعبر عنها: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)

قال السائل: فحدثنا عن أمواج هذا البحر.

قال الشيخ[1]: اعلم أن أمواج هذا البحر كل موجة منها تملأ ما بين السماء والأرض ألف ألف مرّة إلى ما لا ينتهي، ولولا أن عالم القدرة يسع هذا البحر لما كان يوجد في الوجود بأسره، وكل اللهّ الملائكة الكروبيين بحفظ هذا البحر، فهم واقفون على شطه، لا يستقرّ بهم قرار في وسطه، وليس في هذا البحر من السكان سوى دوابه والحيتان.

هـ. أصناف الأولياء

قام بعض الحضور، وقال: دعونا من البر والبحر، فهما من شؤون الدنيا، ونحن ما جئنا هنا إلا لنرحل بأرواحنا إلى الله والدار الآخر.. فلذلك حدثونا عن أولياء الله المقربين الذين ورد ذكرهم ووصفهم والإشادة بهم في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهَّ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]؛ فنحن ما اجتمعنا بكم إلا لشوقنا لأن يرزقنا الله ولايته وولاية أوليائه.

قال أحد الشيوخ: على الخبير سقطت؛ فلن تجد علم الولاية إلا عندنا.. فنحن الذين تخصصوا فيه من بين كل طوائف الأمة، ولذلك لا تجد من يتحدث عنها مثل حديثنا.

قال آخر: لقد صرح شيخنا الأكبر بمعرفته بكل أولياء هذه الأمة، بل بغيرها أيضا.. وقد قال يذكر كشفه في ذلك: (أطلعني اللهّ على جميع الأولياء المتقدمين والمتأخرين إلى يوم القيامة وما يمنعني أن أعين للناس الأقطاب والأبدال وغيرهم من أهل زماننا إلا خوف الإنكار عليهم وعدم التصديق لهم، فأكون بذلك سببا في مقتهم على أن اللهّ لم يكلفنا بإظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها)[2]

---

(١) الإنسان الكامل، ص ٢٥٢.

(٢) نقلا عن الكبريت الأحمر، ص ٥٥٥.

قال آخر: وقال في موضع آخر: (إني رأيت من أولياء الله ما لا أحصيهم عددا، نفعنا الله بهم، فما من طبقة من الأقطاب والأئمة والأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء والرجبيين والأفراد إلا وقد رأيت منهم، وعاشرتهم ببلاد المغرب، وببلاد الحجاز والشرق؛ إلا أني لم أر أحدا أعطي النبوة المطلقة، التي لا تشريع لها، إلا إن كان وما عرفته، فهذا لا يبعد)[1]

قال آخر: وتحدث عن لقائه بأهل الورع، فقال: (ما من طبقة ذكرناها من أهل الورع إلا وقد رأينا منهم جماعة، من رجال ونساء، بإشبيلية، وتلمسان، وبمكة، وبمواضع كثيرة، وكانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه، وأما نحن فلا نحتاج مع أحد منهم لبرهان فيما يدعيه، فإن الله قد جعل لكل صنف علامة يعرف بها، فإذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها من حيث لا يشعر، وكم رأينا ممن يدعي ذلك كاذبا، أو صاحب خيال فاسد، فإن علمنا منه أنه يرجع نصحناه، وإن رأيناه عاشقا لحاله محجوبا بخياله الفاسد تركناه)[2]

قال أحد الحضور: هذا جميل جدا؛ فهل اكتفى بهذا الإجمال، أم ذكر تفاصيل معرفته بهم ولقاءاته معهم.

قال أحد الشيوخ: لقد وصفهم بكل تفاصيلهم، وأحيانا كان يذكرهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وبلدانهم.

قال آخر: فمنهم من وصفهم بأنهم يدركون العلوم بالقوة الشمية، وقد ذكر التقاءه ببعضهم، فقال: (رأينا جماعة ممن يدركون العلوم من الروائح بالقوة الشمية، رأيتهم بإشبيلية وبمكة وبالبيت المقدس، وفاوضناهم في ذلك مفاوضة حال، لا مفاوضة نطق، كما أني فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصري، فكنت أسأل وأجاب، ونسأل ونجيب، بمجرد النظر، ليس بيننا كلام معتاد، ولا اصطلاح بالنظر أصلا، لكن كنت إذا

---

(١) الفتوحات المكية ٢/ ٧٦.

(٢) الفتوحات المكية (١/ ٢٧٤)

نظرت إليه علمت جميع ما يريده مني، وإذا نظر إليّ، علم جميع ما نريده منه، فيكون نظره إلي سؤالا وجوابا، ونظري إليه كذلك، فنحصل علوما جمة بيننا من غير كلام)[1]

قال آخر: ومنهم من وصفهم بأنهم (أصحاب عيسى ويونس عليهما السلام)، وقد ذكر التقاءه ببعضهم، فقال: (في زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ويونس يحيون، وهم منقطعون عن الناس، فأما القوم الذين هم من قوم يونس، فرأيت أثر قدم واحد منهم بالساحل، كان صاحبه قد سبقني بقليل، فشبّرت قدمه في الأرض، فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفا وربعا بشبري، وأخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية، وجاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وهي السنة التي كنا فيها، وما يتفق في سنة ست وثمانين مع الإفرنج، فكان كما قال ما غادر حرفا)[2]

قال آخر: ومنهم من وصفهم بـ [أقطاب الركبان]، وذكر التقاءه بهم، فقال: (لقينا من أقطاب الركبان، وهم من يركب نجب الهمم، أو يركب نجب الأعمال، لقيت منهم بجبل أبي قبيس بمكة في يوم واحد ما يزيد على السبعين رجلا)[3]

قال آخر: ومنهم من وصفهم بـ [رجال الهيبة والجلال]، وقال عنهم: (أما رجال الهيبة والجلال، فأربعة في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، اجتمع في هؤلاء الأربعة عبادة العالم كله، شأنهم عجيب وأمرهم غريب، ما لقيت فيمن لقيت مثلهم، لقيتهم بدمشق، فعرفت أنهم هم، وقد كنت رأيتهم ببلاد الأندلس واجتمعوا بي، ولكن لم أكن أعلم أن لهم هذا المقام، بل كانوا عندي من جملة عباد الله، فشكرت الله على أن عرفني بمقامهم،

---

(١) الفتوحات المكية (١/ ٢١٧)

(٢) الفتوحات المكية (١/ ٢٢٣)

(٣) الفتوحات المكية (١/ ٢٠١)

وأطلعني على حالهم)[1]

قال آخر: ومنهم الأقطاب، وقد تحدث عنهم في مواضع كثيرة جدا، منها قوله: (أقطاب هذه الأمة المحمدية على أقسام مختلفة، منهم كل من دار عليه أمر جماعة من الناس، في إقليم أو جهة، كالأبدال في الأقاليم السبعة، لكل إقليم بدل هو قطب ذلك الإقليم، والأوتاد الأربعة، لهم أربع جهات، يحفظها الله بهم، من شرق وغرب وجنوب وشمال، لكل جهة وتد، وكأقطاب القرى، فلا بد في كل قرية من ولي الله تعالى، به يحفظ الله تلك القرية، سواء كانت تلك القرية كافرة أو مؤمنة، فذلك الولي قطبها، وكذا أصحاب المقامات، فلا بد للزهاد من قطب، يكون المدار عليه في الزهد في أهل زمانه، وكذلك في التوكل والمعرفة وسائر المقامات والأحوال، لا بد في كل صنف صنف من أربابها، من قطب يدور عليه ذلك المقام، وهؤلاء غير الاثني عشر قطبا، الذين عليهم مدار الأمة المحمدية، وكذا غير القطب الغوث صاحب الزمان، الذي هو واحد في كل عصر، خليفة الله في أرضه)[2]

قال آخر: وتحدث عن التقائه بقطب المتوكلين في زمانه، فقال: (لقد أطلعني الله على قطب المتوكلين، فرأيت التوكل يدور عليه، كأنه الرحى، حين تدور على قطبها، وهو عبد الله بن الأستاذ الموروري، من مدينة مورور ببلاد الأندلس، كان قطب التوكل في زمانه، عاينته وصحبته بفضل الله، وكشفه لي، ولما اجتمعت به عرّفته بذلك، فتبسم، وشكر الله تعالى)[3]

قال آخر: وقال عمن سماهم [السبعة الأبدال]: (رأيت السبعة الأبدال بمكة، لقيناهم خلف حطيم الحنابلة، وهنالك اجتمعنا بهم، فما رأيت أحسن سمتا منهم، ولا أكثر

---

(١) الفتوحات المكية (٢/ ١٣)

(٢) الفتوحات المكية (٤/ ٧٤)

(٣) الفتوحات المكية (٤/ ٧٦)

شغلا منهم بالله، ما رأيت مثلهم إلا سقيط الرفرف ابن ساقط العرش بقونية، وكان فارسيا، وكنا قد رأينا منهم موسى السدراني بإشبيلية، سنة ست وثمانين وخمسمائة، وصل إلينا بالقصد واجتمع بنا، ومنهم شيخ الجبال محمد بن أشرف الرندي)[1]

قال آخر: وقال عمن سماهم [الأوتاد الأربعة]: (أما الأوتاد الأربعة فإن لكل وتد ركنا من أركان البيت، فالذي على قلب آدم عليه السلام له الركن الشامي، والذي على قلب إبراهيم عليه السلام له الركن العراقي، والذي على قلب عيسى عليه السلام له الركن اليماني، والذي على قلب محمد ﷺ له ركن الحجر الأسود، وهو لنا بحمد الله، وكان الشيخ أبو علي الهواري قد أطلعه الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم، وتحقق صورهم، فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحس والبصر، ربيعا الماديني، وأبصر الآخر وهو رجل فارسي، ولازمنا إلى أن مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة، أخبرني بذلك، وقال لي ما أبصر الرابع، وهو رجل حبشي)[2]

قال آخر: وقال عمن سماه [القطب الغوث]: (أما القطب الغوث صاحب الزمان، الذي هو واحد في كل عصر، خليفة الله في أرضه، فإنه لا يكون في الزمان إلا واحدا، وهو الذي ينفرد به الحق، ويخلو به دون خلقه، فإذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر، لا ينفرد بشخصين في زمان واحد، وهذه الخلوة الإلهية من علم الأسرار التي لا تذاع ولا تفشى، وما ذكرناها وسميناها إلا لتنبيه قلوب الغافلين عنها، بل الجاهلين بها، فإني ما رأيت ذكرها أحد قبلي ولا بلغني، مع علمي بأن خاصة أهل الله بها عالمون، وذلك العبد، عين الله في كل زمان، لا ينظر الحق في زمانه إلا إليه، وهو الحجاب الأعلى والستر الأزهى، والقوام الأبهى، فيحجب الحق ظهوره بطريق الخدمة في نفس الأمر، فيرى مع هذا القرب الإلهي

---

(١) الفتوحات المكية (٢/ ٧)

(٢) الفتوحات المكية (١/ ١٦٠)

خلقا بلا حق، كما يرى العامة بعضهم بعضا، ويشاهد الحق فيه إذا تجلى في صورة حق)[1]

قال آخر: وهو يسمي بعض أقطاب الأزمنة السابقة، فيقول عند تعريفه بـ (الأقطاب)، (وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة.. ولا يكون منهم في الزمان إلا واحد. وهو الغوث أيضا. وهو من المقربين.. وهو سيد الجماعة في زمانه. ومنهم من يكون ظاهر الحكم، ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، والحسن، ومعاوية بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمتوكل، ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة، ولا حكم له في الظاهر: كأحمد بن هارون الرشيد السبتي، وكأبي يزيد البسطامي)[2]

قال آخر: ومن أولياء هذه الأمة ـ كما يذكر شيخنا الأكبر ـ (الأئمة)،وهم ـ كما يذكر ـ (لا يزيدون في كل زمان على اثنين لا ثالث لهما. الواحد (عبد الرب)، والآخر (عبد الملك).. وهما اللذان يخلفان القطب إذا مات.. وهما للقطب بمنزلة الوزيرين، الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت، والآخر مع عالم الملك)[3]

قال آخر: ومنهم ـ كما يذكر ـ (الأوتاد)، (وهم أربعة في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون. رأينا منهم شخصا بمدينة فاس، يقال له: ابن جعدون. كان ينخل الحناء بالأجرة. الواحد منهم يحفظ الله به المشرق، وولايته فيه، والآخر (يحفظ الله به) المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال. والتقسيم من الكعبة. وهؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال)[4]

قال آخر: ومنهم (رجال الماء) وهم ـ كما يذكر ـ (قوم يعبدون اللهَّ في قعور البحار والأنهار، لا يعلم بهم كل أحد. أخبرنى أبو البدر التماشكى البغدادي ـ وكان صدوقا، ثقة،

(١) الفتوحات المكية (٤/ ٧٦)

(٢) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٢٧٥.

(٣) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٢٧٦.

(٤) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٢٧٧.

عارفا بما ينقل، ضابطا حافظا لما ينقل ـ عن الشيخ أبى السعود بن الشبل، إمام وقته في الطريق، قال: كنت بشاطئ دجلة بغداد، فخطر في نفسى: هل لله عباد يعبدونه في الماء؟ قال: فما استتممت الخاطر إلا وإذا بالنهر قد انفلق عن رجل، فسلم على وقال: نعم يا أبا السعود! لله رجال يعبدون الله في الماء، وأنا منهم! أنا رجل تكريت، وقد خرجت منها لأنه بعد كذا وكذا يوما، يقع فيها كذا وكذا ـ يذكر أمرا يحدث فيها. ثم غاب في الماء. فلما انقضت خمسة عشر يوما وقع ذلك الأمر على صورة ما ذكره ذلك الرجل لأبى السعود، وأعلمنى بالأمر ما كان)[1]

قال آخر: ومنهم (النقباء) وهم ـ كما يذكر ـ (اثنا عشر نقيبا في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثنى عشر برجا، كل نقيب عالم بخاصية كل برج، وبما أودع اللهَّ في مقامه من الأسرار والتاثيرات، وما يعطى للنزلاء فيه من الكواكب السيارة والثوابت؛ فإن للثوابت حركات وقطعا في البروج، لا يشعر به في الحس، لأنه لا يظهر ذلك إلا في آلاف من السنين، وأعمار أهل الرصد تقصر عن مشاهدة ذلك، واعلم أن اللهَّ قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها. وأما إبليس فمكشوف عندهم، يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه. وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطاة شخص في الأرض، علم أنها وطاة سعيد أو شقي. مثل العلماء بالآثار والقافة، وبالديار المصرية منهم كثير، يخرجون الأثر في الصخور، وإذا رأوا شخصا يقولون: هذا الشخص هو صاحب ذلك الأثر. ويكون (الأمر) كذلك. وليسوا (هؤلاء) بأولياء اللهَّ. فما ظنك بما يعطيه اللهَّ هؤلاء النقباء من علوم الآثار؟)[2]

قال آخر: ومنهم من سماهم (رجال القوة الإلهية)، وهم ـ كما يذكر ـ (ثمانية رجال..

(١) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٥٧.

(٢) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٢٨٢

آيتهم من كتاب اللهّ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]. لهم من الأسماء الإلهية)(ذو القوة، المتين)، جمعوا ما بين علم ما ينبغي أن تعلم به الذات الواجبة الوجود لنفسها من حيث هي، وبين علم ما ينبغي أن تعلم به من حيث ما هي إله، فقدمها عزيز في المعارف، لا تأخذهم في اللهّ لومة لائم، وقد يسمون رجال القهر، لهم همم فعالة في النفوس، وبهذا يعرفون. كان بمدينة فاس منهم رجل واحد يقال له: أبو عبد اللهّ الدقاق، كان يقول: ما اغتبت أحدا قط، ولا اغتيب بحضرتي أحد قط، ولقيت أنا منهم ببلاد الأندلس، لهم أثر عجيب وكل معنى غريب. وكان بعض شيوخي منهم)[1]

قال آخر: ومنهم من سماهم (رجال القوة واللين)، وهم ـ كما يذكر ـ (خمسة رجال في كل زمان أيضا، لا يزيدون ولا ينقصون، هم على قدم هؤلاء الثمانية في القوة، غير أن فيهم لينا ليس للثمانية، وهم على قدم الرسل في هذا المقام.. فهم، مع قوتهم، لهم لين في بعض المواطن، وأما في العزائم فهم في قوة الثمانية على السواء، ويزيدون عليهم بما ذكرناه مما ليس للثمانية، وقد لقينا منهم رضى اللهّ عنهم وانتفعنا بهم)[2]

قال آخر: ومنهم من سماهم (رجال الحنان والعطف الإلهي)، وهم ـ كما يذكر ـ (خمسة عشر نفسا.. آيتهم من كتاب اللهّ آية الريح السليمانية.. لهم شفقة على عباد اللهّ، مؤمنهم وكافرهم، ينظرون الخلق بعين الوجود والجود، لا بعين الحكم والقضاء، لا يولى اللهّ منهم قط أحدا ولاية ظاهرة: من قضاء أو ملك لأن ذوقهم ومقامهم لا يحتمل القيام بامر الخلق. فهم مع الحق في الرحمة المطلقة.. لقيت منهم جماعة وماشيتهم على هذا القدم، وانتقلت منهم إلى الخمسة التي ذكرناهم آنفا، فان مقام هؤلاء الخمسة بين رجال القوة ورجال الحنان. فجمعت بين الطرفين، فكانت واسطة العقد، وهي الطائفة التي تصلح لهم

---

(١) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣١٣

(٢) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣١٤

ولاية الأحكام في الظاهر. وهاتان الطائفتان لا يكون منهم وال أبدا أمور العباد، ولا يستخلف منهم أحد جملة واحدة)[1]

قال آخر: ومنهم من سماهم (رجال الفتح)، وهم ـ كما يذكر ـ (أربعة وعشرون نفسا في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون.. بهم يفتح اللهّ على قلوب أهل اللهّ ما يفتحه من المعارف والأسرار، وجعلهم اللهّ على عدد الساعات: لكل ساعة رجل منهم. فكل من يفتح عليه في شيء من العلوم والمعارف، في أي ساعة كانت من ليل أو نهار، فهو لرجل تلك الساعة، وهم متفرقون في الأرض، لا يجتمعون أبدا، كل شخص منهم لازم مكانه، لا يبرح أبدا، فمنهم باليمن اثنان، ومنهم ببلاد الشرق أربعة، ومنهم بالمغرب ستة، والباقي بسائر الجهات)[2]

قال آخر: ومنهم من سماهم (رجال التحت الأسفل)، وهم ـ كما يذكر ـ (أحد وعشرون نفسا.. وهم أهل النفس الذي يتلقونه من اللهّ، لا معرفة لهم بالنفس الخارج عنهم، وهم على هذا العدد في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون.. آيتهم من كتاب اللهّ تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] يريد عالم الطبيعة إذ لا أسفل منه، رده إليه ليحيا به، فإن الطبع ميت بالاصالة، فأحياه اللهّ بهذا النفس الرحماني الذي رده إليه، لتكون الحياة سارية في جميع الكون.. وهؤلاء الرجال لا نظر لهم إلا فيما يرد من عند اللهّ مع الأنفاس. فهم أهل حضور مع الدوام)[3]

قال آخر: ومنهم من سماهم (الأولياء الإلهيون الرحمانيون)، وهم ـ كما يذكر ـ (ثلاثة أنفس، في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، يشبهون الأبدال في بعض الأحوال وليسوا

---

(١) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣١٥

(٢) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣١٨

(٣) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٢١

بأبدال.. آيتهم من كتاب اللهَّ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] لهم اعتقاد عجيب في كلام اللهَّ بين الاعتقادين. هم أهل وحى إلهى لا يسمعونه أبدا إلا كسلسلة على صفوان لا غير ذلك، ومثل صلصلة الجرس)[١]

قال آخر: ومنهم من سماه (الولى الذي له الاستطالة على كل شيء)، وهو ـ كما يذكر ـ (رجل واحد، وقد تكون امرأة في كل زمان.. آيته: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨])، له الاستطالة على كل شيء سوى اللهَّ شهم، شجاع، مقدام، كبير الدعوى بحق يقول حقا، ويحكم عدلا، كان صاحب هذا المقام شيخنا عبد القادر الجيلي ببغداد، كانت له الصولة والاستطالة بحق على الخلق، كان كبير الشأن، أخباره مشهورة، لم ألقه، ولكن لقيت صاحب زماننا في هذا المقام، ولكن كان عبد القادر أتم في أمور أخر من هذا الشخص الذي لقيته. وقد درج الآخر، ولا علم لي بمن ولى بعده هذا المقام إلى الآن)[٢]

قال آخر: ومنهم من سماه (الولى المتولد بين الروح والبشر الذي يحفظ اللهَّ به عالم البرزخ)، وهو ـ كما يذكر ـ (رجل واحد، مركب، ممتزج، في كل زمان، لا يوجد غيره في مقامه، وهو يشبه عيسى عليه السلام، متولد بين الروح والبشر، لا يعلم له أب بشرى، كما يحكى عن بلقيس أنها تولدت بين الجن والانس، فهو مركب من جنسين مختلفين، وهو رجل البرزخ، به يحفظ اللهَّ عالم البرزخ دائما؛ فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل، يكون مولده على هذه الصفة. فهو مخلوق من ماء أمه، خلافا لما ذكر عن أهل علم الطبائع: أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد، بل اللهّ ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠])[٣]

قال آخر: ومنهم من سماه (سقيط الرفرف بن ساقط العرش)، وهو ـ كما يذكر ـ

---

(١) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٢٥

(٢) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٢٧

(٣) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٢٨

(رجل واحد، يسمى بمقامه.. رأيته بقونية، آيته من كتاب اللهَّ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]، حاله لا يتعداه، شغله بنفسه وبربه، كبير الشأن، عظيم الحال، رؤيته مؤثرة في حال من يراه، فيه انكسار. هكذا شاهدته: صاحب انكسار وذل. أعجبتنى صفته، له لسان في المعارف، شديد الحياء)(١)

قال آخر: ومنهم من سماهما (رجال الغنى بالله)، وهما ـ كما يذكر ـ (رجلان في كل زمان، من عالم الأنفاس، آيتهم: ﴿إِنَّ اللهَّ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، يحفظ اللهَّ بهم هذا المقام. الواحد منهم أكمل من الآخر، يضاف الواحد منهم إلى نفسه، وهو الأدنى، ويضاف الآخر إلى اللهَّ تعالى، ولهذا المقام هذان الرجلان. وإن كان في العالم أغنياء النفوس، ولكن في غناهم شوب. ولا يخلص (الغنى) في الزمان إلا لرجلين، تكون نهايتهما في بدايتهما، وبدايتهما في نهايتهما. للواحد منهما إمداد عالم الشهادة: فكل غنى في عالم الشهادة فمن هذا الرجل. والآخر منهما له إمداد عالم الملكوت: فكل غنى بالله في عالم الملكوت فمن هذا الرجل، والذي يستمد منه هذان لرجلان روح علوى، متحقق بالحق، غناه اللهَّ، ما هو غناه بالله، فان أضفته إليهما: فرجال الغنى ثلاثة. وإن نظرت إلى بشريتهما: فرجال الغنى اثنان، وقد يكون منهم النساء. فغنى بالنفس، وغنى بالله، وغنى غناه اللهَّ، ولنا جزء عجيب في معرفة هؤلاء الرجال الثلاثة)(٢)

قال آخر: ومنهم من سماه (الولى الذي يتكرر تقلبه في كل نفس)، وهو ـ كما يذكر ـ (شخص واحد يتكرر تقلبه في كل نفس، لا يفتر، بين علمه بربه وبين علمه بذات ربه. ما تكاد تراه في إحدى المنزلتين إلا رأيته في الأخرى، لا ترى في الرجال أعجب منه حالا، وليس في أهل المعرفة بالله أكبر معرفة من صاحب هذا المقام، يخشى اللهَّ ويتقيه، تحققت به

---

(١) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٢٩

(٢) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٣٠

ورأيته وأفادني، آيته من كتاب اللهَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦] لا تزال ترعد فرائصه من خشية اللهَّ.. هكذا شاهدناه)[١]

ومنهم (الرجبيون) وهم ـ كما يذكر ـ (أربعون نفسا في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون.. وهم رجال حالهم القيام بعظمة الله. وهم من الأفراد. وهم أرباب القول الثقيل، من قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:٥]، وسموا رجبيون لأن حال هذا المقام لا يكون لهم إلا في شهر رجب، من أول استهلال هلاله إلى انفصاله، ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم، فلا يجدونه إلى دخول رجب، من السنة الآتية، وقليل من يعرفهم من أهل هذا الطريق، وهم متفرقون في البلاد، ويعرف بعضهم بعضا، منهم من يكون باليمن وبالشام وبديار بكر، لقيت واحدا منهم بدنيسير من ديار بكر، ما رأيت منهم غيره، وكنت بالأشواق إلى رؤيتهم. ومنهم من يبقى عليه، في سائر السنة، أمر ما مما كان يكاشف به في حاله في رجب، ومنهم من لا يبقى عليه شيء من ذلك)[٢]

قال آخر: ومن خواص هؤلاء الرجبيين ـ كما يذكر ـ القدرة على التمييز بين أهل السنة وغيرهم، يقول: (وكان هذا الذي رأيته (في دنيسير) قد أبقى عليه كشف الروافض، من أهل الشيعة، سائر السنة؛ فكان يراهم خنازير؛ فيأتي الرجل المستور، الذي لا يعرف منه هذا المذهب قط ـ وهو في نفسه مؤمن به، يدين به ربه. فإذا مر عليه يراه في صورة خنزير، فيستدعيه ويقول له: (تب إلى الله! فإنك شيعي رافضي)، فيبقى الآخر متعجبا من ذلك. فان تاب وصدق في توبته، رآه إنسانا، وإن قال له بلسانه: تبت! ـ وهو يضمر مذهبه ـ لا يزال يراه خنزيرا، فيقول له: (كذبت في قولك تبت!) وإذا صدق، يقول له: (صدقت) ـ

---

(١) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٣٣١

(٢) الفتوحات المكية، ١١/ ٢٨٦.

فيعرف ذلك الرجل صدقه في كشفه. فيرجع عن مذهبه ذلك الرافضي)[1]

قال آخر: وقد ذكر مثالا واقعيا عن هذا الولي العجيب الذي يشق على سرائر الخلق، ويمتحنهم، فقال: (ولقد جرى لهذا مثل هذا مع رجلين عاقلين، من أهل العدالة من الشافعية، ما عرف منهما قط التشيع، ولم يكونا من بيت التشيع غير أنهما أداهما إليه نظرهما، وكانا متمكنين من عقولهما، فلم يظهرا ذلك وأصرا عليه بينهما وبين الله؛ فكانا يعتقدان السوء في أبى بكر وعمر، ويتغالون في على؛ فلما مرا به ودخلا عليه، أمر باخراجهما من عنده، فإن الله كشف له عن بواطنهما في صورة خنازير، وهي العلامة التي جعل الله له في أهل هذا المذهب، وكانا قد علما من نفوسهما أن أحدا من أهل الأرض ما اطلع على حالهما، وكانا شاهدين عدلين، مشهورين بالسنة، فقالا له في ذلك، فقال: (أراكما خنزيرين، وهي علامة بيني وبين الله فيمن كان مذهبه هذا)، فأضمرا التوبة في نفوسهما، فقال لهما: (إنكما، الساعة، قد رجعتما عن ذلك المذهب فإني أراكما إنسانين) فتعجبا من ذلك، وتابا إلى الله)[2]

قال آخر: ومن أصناف الأولياء ـ كما يذكر شيخنا الأكبر ـ من عبر عنهم بقوله: (من كرامة رسول الله ﷺ أن جعل من أمته وأتباعه رسلا وإن لم يرسلوا؛ فهم من أهل المقام الذي منه يرسلون، وقد كانوا أرسلوا، فاعلم ذلك! ولهذا صلى رسول الله ﷺ ليلة إسرائه بالأنبياء عليهم السلام في السماوات، لتصح له الامامة على الجميع، حسا بجسمانيته وجسمه، فلما انتقل ﷺ بقي الأمر محفوظا بهؤلاء الرسل؛ فثبت الدين قائما بحمد الله، ما انهد منه ركن، إذ كان له حافظ يحفظه وإن ظهر الفساد في العالم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه نكتة فاعرف قدرها فإنك لست تراها في كلام أحد منقول عنه أسرار هذه الطريقة، غير كلامنا، ولو لا ما ألقى عندي في إظهارها ما أظهرتها، لسر يعلمه الله ما أعلمنا به، ولا يعرف

(1) الفتوحات المكية، ج11، ص 286.

(2) الفتوحات المكية، ج11، ص 288.

ما ذكرناه إلا نوابهم خاصة، لا غيرهم من الأولياء)[1]

قال أحد الحضور: فهل ذكر شيوخكم أدوار الأولياء ووظائفهم؟

قال أحد الشيوخ: أجل.. وقد ذكروا ذلك بتفصيل وتوسع، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخنا العارف بالله عبد العزيز الدباغ حول الاجتماعات التي يجريها الأولياء للنظر في شؤون الخلق، وقد سمى المجلس الذي تعقد فيه اجتماعاتهم [ديوان الصالحين]، وهو ديوان مكلف بتدبير كل شيء.

قال آخر: وقد وصف الشيخ بدقة أصحاب هذا الديوان، فقال: (الديوان يكون بغار حراء الذي كان يتحنث فيه النبي ﷺ قبل البعثة.. فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى؛ وأربعة أقطاب عن يمينه، وهم مالكية على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه؛ وثلاثة أقطاب عن يساره، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة؛ والوكيل أمامه ويسمى قاضي الديوان، وهو في هذا الوقت مالكي أيضا من بني خالد القاطنين بناحية البصرة، واسمه سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي؛ ومع الوكيل يتكلم الغوث، ولذلك سمي وكيلا، لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان)[2]

قال آخر: وذكر الشيخ تشكيلة هذه الحكومة، فقال: (والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، والصفوف الستة من وراء الوكيل، وتكون دائرتها من القطب الرابع إلى الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة، فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة، وهذا هو الصف الأول، وخلفه

---

(١) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٢٧٢

(٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، ص٣٥٣.

الثاني على صفته وعلى دائرته، وهكذا الثالث إلى أن يكون السادس آخرها)[1]

قال آخر: وذكر الشيخ أنه يوجد في هذه الحكومة بعض النساء، فقال: (ويحضره النساء، وعددهن قليل، وصفوفهن ثلاثة، وذلك في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصف الأول في فسحة هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة)[2]

قال آخر: وذكر أنه يحضره كذلك بعض الأموات، فقال: (ويحضره بعض الكمل من الأموات، ويكونون في الصفوف مع الأحياء، ويتميزون بثلاثة أمور: أحدها: أن زيهم لا يتبدل بخلاف زي الحي وهيئته، فمرة يحلق شعره، ومرة يجدد ثوبه، وأما الموتى فلا تتبدل حالتهم، فإذا رأيت في الديوان رجلا على زي لا يتبدل فاعلم أنه من الموتى، كأن تراه محلوق الشعر ولا ينبت له شعر، فاعلم أنه على تلك الحالة مات، وإن رأيت الشعر على رأسه على حالة لا يزيد ولا ينقص ولا يحلق فاعلم أيضا أنه ميت، وأنه مات على تلك الحالة.. ثانيها: أنه لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء، لأنهم لا تصرف لهم فيها، وقد انتقلوا إلى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الأحياء، وإنما تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات.. ثالثها: أن ذات الميت لا ظل لها، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلا، وسره أنه يحضر بذات روحه لا بذاته الفانية الترابية، وذات الروح خفيفة لا ثقيلة وشفافة لا كثيفة)[3]

قال آخر: وذكر الشيخ كيفية حضور الموتى لاجتماعات تلك الحكومة الخفية، فقال: (والأموات الحاضرون في الديوان ينزلون إليه من البرزخ يطيرون طيرا بطيران الروح، فإذا قربوا من موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا إلى الأرض ومشوا على أرجلهم إلى أن يصلوا

(1) الإبريز، ص ٣٥٣.

(2) الإبريز، ص ٣٥٣.

(3) الإبريز، ص ٣٥٤.

إلى الديوان، تأدبا مع الأحياء وخوفا منهم)[1]

قال آخر: وذكر الشيخ أن تشكيلة تلك الحكومة تضم أيضا بعض الملائكة والجن، فقال: (وتحضره الملائكة وهم من وراء الصفوف، ويحضره أيضا الجن الكمل وهم الروحانيون وهم من وراء الجميع وهم لا يبلغون صفا كاملا.. وفائدة حضور الملائكة والجن أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها، وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها، فيستعينون بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها)[2]

قال آخر: وذكر الشيخ حضور رسول الله ﷺ لمجالس تلك الحكومة، فقال: (وفي بعض الأحيان يحضره النبي ﷺ، فإذا حضر عليه الصلاة والسلام جلس في موضع الغوث، وجلس الغوث في موضع الوكيل، وتأخر الوكيل للصف. وإذا جاء النبي ﷺ جاءت معه الأنوار التي لا تطاق، وإنما هي أنوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها، وهي أنوار المهابة والجلالة والعظمة، حتى إنا لو فرضنا أربعين رجلا بلغوا في الشجاعة مبلغا لا مزيد عليه ثم فجئوا بهذا الأنوار، فإنهم يصعقون لحينهم، إلا أن الله تعالى يرزق أولياءه القوة على تلقيها، ومع ذلك فالقليل منهم هو الذي يضبط الأمور التي صدرت في ساعة حضوره ﷺ)[3]

قال آخر: وذكر الشيخ تاريخ تلك الحكومة، أو ذلك الديوان، قبل الإسلام، فقال: (إن الديوان أولا كان معمورا بالملائكة، ولما بعث الله النبي ﷺ جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة، فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة، حيث رأينا الولي إذا خرج إلى الدنيا وفتح الله عليه وصار من أهل الديوان، فإنه يجيء إلى موضع

---

(١) الإبريز، ص ٣٥٤.

(٢) الإبريز، ص ٣٥٥.

(٣) الإبريز، ص ٣٥٥.

مخصوص في الصف الأول أو غيره، فيجلس فيه ويصعد الملك الذي كان فيه، فإذا ظهر ولي آخر جاء إلى موضع ويصعد الملك الذي في ذلك الموضع، وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل ولله الحمد، كلما ظهر ولي صعد ملك. وأما الملائكة الذين هم باقون فيه، ويكونون خلف الصفوف الستة كما سبق، فهم ملائكة ذات النبيﷺ الذين كانوا حفاظا لها في الدنيا، ولما كان نور ذاته ﷺ مفرقا في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف)[1]

قال آخر: وذكر الشيخ التوقيت المرتبط باجتماعات الديوان، فقال: (وأما ساعة الديوان فهي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ، وأنها هي ساعة الإستجابة من ثلث الليل الأخير التي وردت بها الأحاديث.. ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند إرادة النوم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧ ـ ١٠٨] إلى آخر السورة، ويطلب من الله تعالى أن يوقظه في الساعة المذكورة، فإنه يفيق فيها)[2]

و. أصناف الملائكة:

قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن أولياء البشر؛ فحدثونا عن الملائكة، الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

قال أحد الشيوخ: على الخبير سقطت؛ فلن تجد المعارف المرتبطة بعالم الملائكة إلا

---

(١) الإبريز، ص ٣٥٦.

(٢) الإبريز، ص ٣٥٥.

عندنا.. ومن الأمثلة عنها ما ذكره شيخنا الأكبر في فتوحاته عنها، ومنها قوله في الباب الذي خصصه لها، والذي بدأه بقوله: (اعلم أن الملائكة ثلاث أصناف: صنف مهيم لما أوجدهم (اللهّ) تجلى لهم في اسمه (الجميل)، فهيمهم وأفناهم عنهم؛ فلا يعرفون نفوسهم، ولا من هاموا فيه، ولا ما هيمهم؛ فهم في الحيرة سكارى، وهم الذين أوجدهم اللهّ من (أينية العماء) الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء، وهم، وجميع الملائكة، أرواح خلقهم اللهّ في هياكل أنوار كسائر الملائكة إلا أن هؤلاء الملائكة ليس لهم من الولاية إلا ولاية الممكنات.. والصنف الثاني: الملائكة المسخرة، ورأسهم (القلم الأعلى) وهو(العقل الأول)، سلطان عالم التدوين والتسطير، وكان وجودهم مع (العالم المهيم)، غير أنه حجبهم اللهّ عن هذا التجلي الذي هيم أصحابهم، لما أراد اللهّ أن يهب هذا الصنف المسخر من رتبة الامامة في العالم، وله ولاية تخصه وتخص ملائكة التسخير.. والصنف الثالث: ملائكة التدبير، وهي الأرواح المدبرة للأجسام كلها: الطبيعية النورية، والهبائية، والفلكية، والعنصرية، وجميع أجسام العالم، ولهؤلاء ولاية أيضا)(١)

قال آخر: وقال في باب آخر عند حديثه عن (انتهاء الدورة الزمانية إلى الميزان): (انتهت الدورة الزمانية إلى الميزان لتكرار الدور؛ فظهر محمد ﷺ وكان له في كل جزء من أجزاء الزمان حكم، اجتمع فيه بظهوره ﷺ، وهذه الأسماء (أسماء البروج الاثنى عشر) أسماء ملائكة خلقهم اللهّ، وهم الاثنا عشر ملكا، وجعل لهم مراتب في الفلك المحيط، وجعل بيد كل ملك ما شاء أن يجعله مما يبرزه، فيمن هو دونهم إلى الأرض، حكمة؛ فكانت روحانية محمد ﷺ تكتسب، عند كل حركة من الزمان، أخلاقا بحسب ما أودع اللهّ في تلك الحركات من الأمور الإلهية؛ فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها،

---

(١) الفتوحات المكية، ج١٤، ص ٥٢٨.

إلى أن ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا بما جعله اللهَّ عليه من الأخلاق المحمودة، فقيل فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فكان ﷺ ذا خلق، ولم يكن ذا تخلق، ولما كانت الأخلاق تختلف أحكامها باختلاف المحال التي ينبغي أن تقابل بها، احتاج صاحب الخلق إلى علم يكون عليه، حتى يصرف في ذلك)(١)

قال آخر: ونقل عنه الشيخ الشعراني في عقائد الأكابر اجتماعه بأنواع من الملائكة، واستفادته من علومهم، قال: (اعلم أن جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة.. وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع، وما منهم ملك إلا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخي من الملائكة فإذا نطق القارىء بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لأنه ثم رقائق ممتدة من ذواتهم إلى أسمائهم فإذا قال القارىء (ألم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارىء ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت إن كان خيرا، ويقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول في (ألمص) ونحوها)

قال آخر: وذكر عددهم، فقال: (وهم أربعة عشر ملكا آخرهم (ن).. وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و(ق) و(ن) ومنازل ظهر فيها اثنان مثل (طس) و(يس) و(حم) وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الإيمان؛ فإن الإيمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد إلى تسع، فقد استوفى هنا غاية البضع.. فمن نظر في هذه الحروف وهذا الباب الذي فتحته له رأى عجائب سخرت له هذه الأرواح الملكية التي هي هذه الحروف أجسامها فتمده بما بيدها من شعب الإيمان وتحفظ عليه إيمانه إلى الممات)(٢)

---

(١) الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٢) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص ١٧٧.

قال آخر: والمعارف التي أفاضها الله على أوليائه لا تختص بذلك، بل إن الله تعالى كشف لهم كيفية خلقهم والكثير من التواريخ المرتبطة بذلك، ومنها ما ذكره شيخنا الأكبر في المبحث الذي خصصه لـ (الأجسام النورية والملائكة الكروبيون)، حيث قال فيه: (إن أول جسم خلقه اللهّ أجسام الأرواح الملكية المهيمة في جلال اللهّ، ومنهم العقل الأول والنفس الكل، وإليها انتهت الأجسام النورية المخلوقة من نور الجلال، وما ثم، من هؤلاء الملائكة، من وجد بواسطة غيره إلا النفس التي دون العقل، وكل ملك خلق بعد هؤلاء، فداخلون تحت حكم الطبيعة، فهم من جنس أفلاكها التي خلقوا منها، وهم عمارها، وكذلك ملائكة العناصر، وآخر صنف من الأملاك، الملائكة المخلوقون من أعمال العباد وأنفاسهم.. فلنذكر ذلك صنفا صنفا في هذا الباب)[1]

قال آخر: وذكر كيفية خلق الملائكة بأنواعهم المختلفة؛ فقال عند الحديث عن أعلاهم درجة: (اعلم أن اللهّ تعالى كان قبل أن يخلق الخلق.. كان في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، وهو أول مظهر إلهي ظهر فيه، سرى فيه النور الذاتي.. فلما انصبغ ذلك العماء بالنور، فتح فيه صور الملائكة المهيمين الذين هم فوق عالم الأجساد الطبيعية، ولا عرش ولا مخلوق تقدمهم؛ فلما أوجدهم تجلى لهم، فصار لهم ذلك التجلي غيبا، كان ذلك الغيب روحا لهم، أي لتلك الصور.. وتجلى لهم في اسمه الجميل، فهاموا في جلال جماله، فهم لا يفيقون.. فلما شاء أن يخلق عالم التدوين والتسطير، عين واحدا من هؤلاء الملائكة الكروبيين، وهو أول ملك ظهر من ملائكة ذلك النور، سماه العقل والقلم، وتجلى له، في مجلى التعليم الوهبي، بما يريد إيجاده من خلقه لا إلى غاية وحد، فقيل (العقل) بذاته علم ما يكون، وما للحق من الأسماء الإلهية الطالبة صدور هذا العالم الخلقي؛ فاشتق من هذا العقل

---

(١) الفتوحات المكية، ج٢، ص ٣٥٠.

موجودا آخر سماه اللوح، وأمر القلم أن يتدلى إليه، ويودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير)(١)

قال آخر: ثم قال: (وجعل (الحق) لهذا القلم ثلاث مائة وستين سنا في قلميته، أي من كونه قلما، و(جعل الحق لهذا القلم)، من كونه عقلا، ثلاث مائة وستين تجليا أو رقيقة، كل سن أو رقيقة تغترف من ثلاث مائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية، فيفصلها (القلم) في اللوح؛ فهذا حصر ما في العالم من العلوم إلى يوم القيامة؛ فعلمها اللوح حين أودعه القلم إياها؛ فكان من ذلك علم الطبيعة، وهو أول علم حصل في هذا اللوح من علوم ما يريد اللهّ خلقه، فكانت الطبيعة دون النفس. وذلك كله في عالم النور الخالص.. ثم أوجد سبحانه الظلمة المحضة، التي هي في مقابلة هذا النور، بمنزلة العدم المطلق، المقابل للوجود المطلق؛ فعند ما أوجدها أفاض عليها النور إفاضة ذاتية بمساعدة الطبيعة، فلأم شعثها ذلك النور؛ فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش، فاستوى عليه الاسم الرحمن بالاسم الظاهر؛ فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق، وخلق من ذلك النور الممتزج، الذي هو مثل ضوء السحر، الملائكة الحافين بالسرير.. وقد بينا خلق العالم في كتاب سميناه (عقلة المستوفز)، وانما نأخذ منه في هذا الباب رؤوس الأشياء)(٢)

قال آخر: ثم تحدث عن (الكرسي وعماره من الملائكة)، فقال: (ثم أوجد (الحق) الكرسي في جوف هذا العرش، وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته. فكل فلك أصل لما خلق فيه من عماره، كالعناصر فيما خلق منها من عمارها. كما خلق (اللهّ) آدم من تراب، وعمر به وببنيه الأرض، وقسم (الحق) في هذا الكرسي الكريم الكلمة إلى خبر وحكم: وهما القدمان اللتان تدلتا له من العرش، كما ورد في الخبر النبوي، ثم خلق تعالى في جوف

(١) الفتوحات المكية، ج٢، ص ٣٥١.

(٢) الفتوحات المكية، ج٢، ص ٣٥١.

الكرسي الأفلاك، فلكا في جوف فلك، وخلق في كل فلك عالما منه يعمرونه، سماهم ملائكة، يعنى رسلا، وزينها (أي الأفلاك) بالكواكب، وأوحى في كل سماء أمرها، إلى أن خلق صور المولدات)[1]

قال آخر: وتحدث عن تفاصيل كثيرة يطول ذكرها، وهو في كل ذلك يذكر التواريخ والمدد الزمنية بدقة عالية، ومن الأمثلة على ذلك قوله عند الحديث عما سماه (الفلك الأطلس): (ولما خلق اللهّ هذا الفلك الأول، دار دورة غير معلومة الانتهاء إلا الله، لأنه ليس فوقه شيء محدود من الأجرام يقطع فيه، فإنه أول الأجرام الشفافة، فتتعدد الحركات وتتميز، ولا كان قد خلق اللهّ في جوفه شيئا، فتتميز الحركات وتنتهي عند من يكون في جوفه، ولو كان (قد خلق اللهّ في جوف هذا الفلك الأول شيئا) لم تتميز (الحركات فيه) أصلا، لأنه أطلس لا كوكب فيه، متشابه الأجزاء؛ فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه، ولا تتعين.. فلو كان فيه جزء مخالف لسائر أجزائه لعدت به حركاته بلا شك، ولكن علم اللهّ قدرها وانتهاءها وكرورها. فحدث عن تلك الحركة اليوم، ولم يكن ثم ليل ولا نهار في هذا اليوم.. ثم استمرت حركات هذا الفلك. فخلق اللهّ ملائكة، خمسة وثلاثين ملكا أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك الستة عشر. فكان الجميع أحدا وخمسين ملكا، من جملة هؤلاء الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. ثم خلق تسع مائة ملك وأربعا وسبعين، وأضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك. وأوحى إليهم، وأمرهم بما يجرى على أيديهم في خلقه.. فهؤلاء من الملائكة، هم الولاة خاصة، وخلق اللهّ ملائكة هم عمار السماوات والأرض لعبادته، فما في السماء والأرض موضع إلا وفيه ملك، ولا يزال الحق يخلق من أنفاس العالم ملائكة ما داموا متنفسين)[2]

---

(١) الفتوحات المكية،ج٢، ص ٣٥٢.

(٢) الفتوحات المكية، ج٢، ص ٢٤٠.

قال آخر: وقال عند حديثه عن (المراتب الأربعة بين الروح والهباء): (وعين اللهّ بين هذا الروح، الموصوف بالصفتين (الصفة العلمية والصفة العملية)، وبين الهباء أربع مراتب، وجعل كل مرتبة منزلا لأربعة أملاك، وجعل هؤلاء الأملاك كالولاة على ما أحدثه دونهم من العالم، من عليين إلى أسفل سافلين، ووهب كل ملك، من هؤلاء الملائكة، علم ما يريد إمضاءه في العالم.. فأول شيء أوجده اللهّ في الأعيان، مما يتعلق به علم هؤلاء الملائكة وتدبيرهم، الجسم الكل، وأول شكل فتح اللهّ في هذا الجسم الشكل الكرى المستدير، إذ كان أفضل الأشكال. ثم نزل سبحانه بالإيجاد والخلق، إلى تمام الصنعة، وجعل جميع ما خلقه مملكة لهؤلاء الملائكة، وولاهم أمورها في الدنيا والآخرة، وعصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به)[1]

قال بعض الحضور: أرى أن مستندكم في التعرف على الملائكة عليهم السلام قاصر على شيخكم الأكبر.. فهل لغيره من الشيوخ نصيب في التعريف بهم؟

قال آخر: أجل.. ولو أن لشيخنا الأكبر الفضل الأكبر في ذلك.. ومنهم شيخنا عبد العزيز الدباغ، فقد ذكر الكثير من العقائد المرتبطة بالملائكة وأعدادهم وعلاقتهم بديوان الصالحين، ومنها ما عبر عنه بقوله: (إن في كل مدينة من المدن عددا كثيرا من الملائكة مثل السبعين ملكا أو أقل أو أكثر، يكونون موجودين عونا لأهل التصرف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي.. وهؤلاء الملائكة الذين يكونون في المدن يكونون على هيئة بني آدم، فمنهم من يلقاك في صورة خواجة، ومنهم من يلقاك في صورة فقير، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير، وهم منغمسون في الناس ولكن الناس لا يشعرون)[2]

قال آخر: وذكر الشيخ ابن المبارك أن شيخه الدباغ سمعه وهو يذكر لبعض من معه

---

(١) الفتوحات المكية، ج٢، ص ٢٣٧.

(٢) الإبريز، ص ٣٥٦.

(أن من أخذ سفرا من سيدي البخاري وذهب به إلى ضريح ولي وفتحه وتوسل برجال سنده وبذلك الولي إلى الله تعالى فإن حاجته تقضى، ولا سيما إن كان هو السفر الأخير)، فقال له الشيخ: (إن في كل مدينة عددا من الملائكة، فإذا رأوا العبد يطلب من الله شيئا، فإن رأوا القدر سبق به سددوه وكانوا معه، فيحضره التوفيق ويزول الشيطان من الطريق، وإن رأوا خلاف ذلك تركوه فحضره الشيطان، وحينئذ فإذا رأوا من أخذ سفرا من سيدي البخاري ذاهبا به إلى ضريح، ورأوا حاجته مقضية، سددوه وألقوا في قلبه الإلحاح والتلهف على طلبته، وذهبوا معه إلى الضريح وهو حامل لجرم السفر وهم حاملون لأسراره، فإذا دعا أمنوا على دعائه فتقضى حاجته، وإن رأوا الحاجة غير مقضية أخذوا أسرار الكتاب وذهب هو بالجرم فقط، ويعرض له الشيطان في الطريق بالوسوسة وتشتيت الفكر حتى لا تبقى له حلاوة في الدعاء)[1]

قال آخر: وذكر أنه سأله عن حضور الأنبياء عليهم السلام للديوان، فقال: (يحضرونه في ليلة واحدة في العام)، فسأله عنها، فقال: (ليلة القدر، فيحضره في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون، ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين وغيرهم، ويحضره سيد الوجود ﷺ، ويحضره معه أزواجه الطاهرات وأكابر صحابته الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين)[2]

قال آخر: وذكر أنه سأله عن سبب ليلة القدر، فأجابه بقوله: (إن العالم قبل خلق النور في جرم الشمس كان مظلما، والملائكة عامرون له أرضا وسماء وفي الكهوف والسهول والجبال والأودية، فلما خلق الله تعالى النور في الشمس وأضاء العالم بها ضجت ملائكة السماء وملائكة الأرض، وخافوا من خراب العالم ومن أمر عظيم ينزل بهم، فنزل ملائكة

---

(١) الإبريز، ص ٣٥٦.

(٢) الإبريز، ص ٣٥٦.

السماء إلى الأرض وجعلوا هم وملائكة الأرض يفرون من الضوء إلى الظل، أي من ضوء النهار إلى ظل الليل، فرارا من الضوء الذي لم يعرفوه إلى الظل الذي يعرفونه، خائفين متضرعين مجتمعين على الإبتهال إلى الله تعالى والتضرع له والخوف منه، يطلبون منه الرضا ويلجأون إليه في أن لا يسخط عليهم، ولم يكن في ظنهم إلا أنه تعالى أراد أن يطوي هذا العالم، فاجتمعوا على التضرع والإبتهال على الصفة السابقة مقدرين في كل لحظة وقوع ما خافوه، فإذا زاد إليهم الضوء فروا عنه إلى الظل، ولم يزالوا على تلك الحالة الضوء ينسخ الظل وهم يفرون إلى أن طافوا الأرض كلها، ورجعوا إلى الموضع الذي بدأوا منه، فلما لم يروا شيئا وقع حصل لهم الأمن ورجعوا إلى مراكزهم في الأرض والسماء، ثم صاروا يجتمعون ليلة من كل عام، فهذا هو سبب ليلة القدر)[1]

ز. عجائب المعراج:

قام بعض الحضور، وقال: لقد ذكرتم من خلال أحاديثكم التقاء الأولياء بالأنبياء عليهم السلام.. فهل حصل ذلك لهم في النوم؟

قال أحد الشيوخ: النوم يشترك فيه الناس جميعا.. وفضل الله أعظم من أن يجعل الأولياء كسائر الناس.. ولذلك فإن لذلك اللقاء أسبابا كثيرة، منها ما اتفق عليه الأولياء جميعا من المعراج الذي يعرجون به كما عرج برسول الله ﷺ.

قال أحد الحضور: فهلا ذكرتم لنا نماذج عن تلك المعارج.

قال الشيخ: هي كثيرة.. لكنا سنكتفي بذكر بعض المشاهد مما ذكره بعض مشايخنا المتأخرين، وهو إسماعيل بن عبدالله السوداني في كتابه الذي خصصه لذلك، وسماه (مشارق شمس الأنوار ومقارب حسها في معنى العلوم والأسرار)، والذي ألفه سنة ١٢٦١هـ؛ فقد

(١) الإبريز، ص ٣٥٨.

ذكر فيه أنه عرج به إلى السماء سماء سماء.

قال آخر: ومن المشاهد التي ذكرها في كتابه عند حديثه عن (المغرب السابع: في عين العروج إلى السماء السادسة): (اعلم أيها الابن البار المبرور والمهدي إلى طريق الملك الغفور أن العبد إذا طرح جميع الأكوان العارضة له في السماء الخامسة في حالة عروجه إلى حضرة الرحمن، فإن الرب الكريم يصلح له السريرة ويحد له عين البصيرة، فيعرج منها إلى السماء السادسة، فيجد البواب فيسلم عليه فيرد عليه السلام، ويرحب به، ويفتح له الباب، فافهم يا بني فإنه يدخل فينظر ما فيها من الغرائب، ويتعجب من تلك العجائب، فإن هذه السماء فيها من الكواكب المشتري، ولونها في غاية السواد، قد يرى وهو جوهر شفاف، من بديع الصنائع على الاستواء من غير اختلاف، ودورها أوسع يزيد على دور سماء المريخ بألفي عام، ومئتي سنة وثلاث سنين وأربعة أشهر، وفيها نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ فنقول بحسب كشفنا، فإن العبد الراقي إلى تلك المراقي إذا وصل إلى هذه السماء يرى نفسه مغيباً في أنوار القدس موشحة بأنوار الهيبة والأنس حوله جملاً من ملائكة الرحمن، ناطقاً بغميض الأسرار والعلوم معهم في حالة عروجه إلى حضرة الملك الديان؛ فيرى ملائكة هذه السماء متنوعة من عدة أصناف، فيهم ملائكة الرحمة الألطاف، يدرون ملائكة هذه السماء في هذه الأرض لرفع الوضيع وزيادة الرفيع، منهم من وكله الله تعالى بإيصال الرزق إلى المرزوق، ووكل غيرهم بما اقتضته الحكمة بين الخالق والمخلوق)[1]

قال آخر: وقد ذكر اجتماعه فيها بالملك الحاكم عليهم وهو روحانية المشتري، فقال: (رأيته جالساً على منبر من نور الحكمة ملتحفاً بثوب أصفر من أنوار الهمة، وهم مطيعون له في سره وجهره وممثلون له في جميع نهيه وأمره لا يفعل منهم أحد شيئا إلا بإذنه ولا يتقدم

---

(١) مشارق شموس الأنوار ص١٢٨.

إلا بأمره لتنفيذ ما وكل به من شأنه، فسألته عن عدة علوم فأجابني برمز مكتوم ففهمته منه بوساطة مظهر اسم الله القيوم، بفهم لا من حيث مطلق المفهوم فوثبت قائماً وسرت منه بفضل الله تعالى عالماً، فاجتمعت من بعده بنبي الله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام؛ فوجدته فانياً في الشهود والمكالمات غالباً في أنوار المشاهدات جالساً على كرسي من أنوار الوقار ولونه أصفر مخلوط عليه خطوط مرموزة جامعة لما حواه من الفخار من حضرة الأسرار متأدباً مع استهلاكه مع شهود مولاه، مناجياً له ومستغرقاً في فناه، تجلي الأنية فيحضره إظهار مظاهر الحق في حقيقة سره، إنني أنا الله، فقد عرفته بعدما عرفني فسلمت عليه ورد علي السلام وقربني وانتصب لي قائماً وأهل بي حيث جئته حافظاً ملازمة أدبي)[1]

قال آخر: وقد ذكر حواره معه، فقال: (سألته سؤال من دخل حضرة الأدب وعرف سر البسط والغضب، فقلت له: يا سيدي بحق من نبأك وزكاك وأورثك هذا المقام وتولاك بأن تجود علي بإجابة مقالي وإفادتي في سؤالي، فإن رسولنا الصادق الكريم بلغنا ما قصه له ربه في الكتاب الحكيم بأنك طلبت رؤية مولاك حيث قلت له: أرني أنظر إليك؛ فأتاك منه الخطاب حيث قال: لن تراني، فما معنى طلبك له ومجيء هذا الخطاب إليك فاستفدنا عدم حصول الرؤية لك في حالة مجيء الخطاب فشتان ما بين حالتك هذه وحالة أهل الحجاب، فكيف هذا السر، وباطن هذا الأمر؟ فقال لي: يا عبدالله إن السر غريب والأمر عجيب، فافهم أرشدك مولاك وأورثك أسرار علومه وتولاك، فإن ربي حين أمرني بعبادته بمطلق العبودية وعرفني سر ظهور أسراره مظاهره في عموم الآنية حين أبصرت نار سر دلالتي ورجوت إتياني لأهلي بشعلة منها كي يصدقوني بها في مقالتي أو أجد عليها هدى من

(١) مشارق شموس الأنوار ص١٢٩.

ضلالتي، فنوديت بعد إتياني بها من جانب طور قلبي بما اقتضت الحكمة من ربي، يا موسى إني أنا ربك الصادر أمري لك، فاخلع نعليك الكائنتين في عضويك بأن لا تشرك بعبادتي أحداً ولا يدخلك ريب فيما آمرك به أبداً إنك بالواد الذي هو فضاء سر الظهور الظاهر من ربك إلى قلبك من جانب الطور المقدس عن حلول الأغيار فيه، المطهر لك حيث اقتضت الحكمة بأنك في هذا الوادي المسمى بطوى توافيه، وأنا اخترتك حيث أمرتك فاستمع لما يوحى من الإيحاء، فلما حققت هذا المقال من حضرة القرب على لسان الحال استعددت إلى تنزله في داخل قلبي وفنيت نفسي في الاستماع لما يوحى إلى من حضرة ربي، جاءني منه الأمر بالاستفراغ لعبادته حيث قال لي: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]؛ فقبلت ذلك وعبدته كما أمرني، فلما صدق الإخلاص مني وحسن في الله ظني أردت بقاء نفسي في مقام لقاه وأيقنت بأن لا إله معبود بحق سواه؛ فقلت: ربي أرني أنظر إليك.. فما طلبت سوى تجلي الذات للذات، وذلك من أسرار الكبريائية من التجليات، فلما علم الله استحالة بقاء القديم في الحادث، وما ثم غيري في هذا المقام محادث، قال لي: لن تراني في الحال بحيث أبقى فيك، لأني قديم وأنت حادث، ولكن انظر إلى الجبل المستقر حولك إذ تنكشف لك حقيقة ذلك، فإن استقر مكانه بعد ظهور سلطاني له فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا، أي فلما ظهر سلطان القديم للجبل ساخ في الأرض حيث نزل وقد حصل لموسى ما حصل من الصعق والوجل، وفي هذا المقام سر لطيف)(١)

قال آخر: وذكر العلوم التي تعملها منه، فقال: (وتعلمت من موسى عليه السلام مائة ألف علم من العلوم التي تجول في الأفكار تعذر النطق بها.. ثم تعلمت منه في هذا

---

(١) مشارق شموس الأنوار ص١٣٠.

المشهد علوماً لم يسعني الوقت أن أفشيها فيه، وما أظن أحداً من الأولياء المتقدمين تكلم على حقيقة هذا المشهد على ما هو عليه أبداً إلى وقتنا هذا، وإن تكلم البعض عليه فذلك في شيء منه فلا يستطيع أحد منهم أن يستوفيه لشدة ما رأيته من عظمة حقيقته ورقة دقيقته)

قال آخر: وذكر اجتماعه بالأولياء الكبار، فقال: (وقد اجتمعت برجال من الأولياء الأكابر حين تقييدي لهذا المحل فوجدته له معرفة تامة في بعض المظاهر من هذا المشهد وقدمه موسوي متحقق بإحدى وخمسين اسماً من أسماء الله الحسنى له تعبير لطيف وبحث ظريف؛ فسألته عن مقامه والذي حازه من علوم هذا المقام، فأخبرني بدقائق من علومه فحققت أن له حظاً وافراً وأخبرني أن لما وصل من هذا المقام إلى هذا المحل وجدنا سيدنا موسى عليه السلام.. وسأله فبحث فيه فاستفاد بوساطته خمسة آلاف علم وفي كل علم أسرار لا تحصى، فلما سألني عن علومي في هذا المشهد وبحثت له في ذروته من دقائق العلوم والأسرار والمظاهر والأنوار غاب عن نفسه غيبة عظيمة حتى خفت عليه من أن يذوب، فلما صحا تعجبت من ثباتي مع شدة التمكين فحمدت على ذلك الملك المعين، فلما حققت زيادتي عليه وتمكني في المشاهد بالذي ظهر مني إليه طلبني اسماً من المخفيات لأجل التبرك فأعطيته ذلك الاسم بأنواره وعلوم حضراته وأسراره فانتفع به)[1]

قال آخر: وقال عن مشاهداته في السماء السابعة: (اجتمعت فيها (أي في السماء السابعة) بجملة من الملائكة فعرفتهم وعرفوني وسألتهم عن علوم لا تحصى، ورأيت فيها كوكباً له توقد من شدة عظمته ولكنه خفي عن أعين الناظرين، لأن معرفته لم تحصل لأحد سوى الكاملين من العارفين أهل الفتح ولم يظفر به إلا أرباب المعارف الراقين ذروة السطح ومن ثم فعلت كيفية حلول زحل في فلكه، وعلم كيفية سيره فيه، وعلم السر الذي وضعه

---

(١) مشارق شموس الأنوار ص١٣١.

الله فيه وغير ذلك.. واجتمعت في هذه السماء بنبي الله سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته جالساً على منبر من نور أحمر متكئ على نمارق من نور أخضر لائحة على وجهه أنوار المعارف والكمال متوجهاً بتاج أسرار النبوة والإجلال بيده قضيب من سر علوم الكنوز معتقلاً سيف فتق طلاسم الرموز مسنداً ظهره إلى البيت المعمور مشاهداً ما هو له من حضرة الغفور، فلما وصلت إليه وسلمت عليه، رد علي السلام وأكرمني بالقيام إكراماً لنبينا أشرف الأنام فعرفني ورحب بي وبشرني ببلوغ مطلبي)[1]

قال آخر: ومن مشاهداته في هذه السماء ما عبر عنه بقوله: (وفي باطن هذا سر لا أطيق ذكره في هذا الكتاب وفي هذا المشهد سر لطيف ومقام طريف ما تكلم عليه أحد الأولياء المتقدمين إلى وقتنا هذا، وإن أردت التكلم على بعض منه في حين تقييدي لهذا المحل اجتمعت بسيدنا إبراهيم عليه السلام فأشار إلى بتركه وبشرني بمقام كبير أبلغه وأنال به في الآخرة مما لا يعطي لغير المقربين من الكاملين المحبوبين فأنعم به أنا ومن معي من أولادي وإخواني وأصحابي المجدين في طريقتي)[2]

قال آخر: وذكر مشاهدته لسدرة المنتهى، فقال: (إن العبد الراقي إلى مقام هذه السدرة يراها عظيمة جداً وبها (نويراً خارقاً) ممتداً فيعلم السر الذي وضعه الله سبحانه وتعالى فيها وعلم السبب الذي ينتهي إليها الصاعد والهابط، ويعلم مقام الملائكة الكروبيين منها ومنازلهم وكيفية حالتهم، فهم على أنواع مضعفة، وحالات مختلفة، فمنهم مدهوش في هويته، ومنهم مستغرق في آنيته، ومنهم واقع على جنبه، ومنهم واقع على وجهه، ومنهم حاث على ركبتيه قد غمروا في أنوار المشاهدات وانفنوا في انطباق تكرر التجليات فلا يستطيع أحد منهم حركة لعدم شعورهم وشدة استغراقهم فيما هم فيه، فهم عالون في

---

(١) مشارق شموس الأنوار ص١٣٥.

(٢) مشارق شموس الأنوار ص١٣٥.

الملائكة فما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام ولا سجدوا له قط)[1]

قال آخر: وقد ذكر اجتماعه بالملك الحاكم عليهم، فقال: (وقد اجتمعت بالملك الحاكم عليهم وهو مقدمهم الذي يأتي منه الأمر، والنهي إليهم وينظره من المتقدمين على غيرهم أعمدة النور لأجل تأديب الدون منهم وغيرهم من الآدميين، فسألته عن السر الذي سرى في ذوات هؤلاء الملائكة حتى لازمتهم تلك الحالة، فأفادني بأحسن مقال، ثم سألته عن دقائق العلوم ومن خفي السر المكتوم فأفادني بحول الله وقوته فيها وفي بعض أمور مما هي من المستور، وقد حزت في هذا المشهد علوماً لم أطق إبداءها ولم أستطع إفشاءها)[2]

قال آخر: ثم ذكر أسرارا أخرى أعجب من الجميع، فقال: (من هنا يرقى العبد إلى فلك الكرسي إلى كرسي جبريل عليه السلام، فمن ذلك يعلم حقيقة كل ستر كان وموجبه وسر حقيقته، فيرى عن ذلك أنهاراً جارية فيغترف من أكبرها وينال الشرب من أشهرها، فيحصل له بذلك التحقق بما يحويه من الأسرار التي لا تحصي والعلوم التي لا تستقصي ثم يرقى إلى الفلك المحيط الذي هو العرش، وهو أول الأفلاك وأعظم السماك، فمن ثم يتضح له مظهر الاسم الرحمن، فهنالك يعلم ما شاء الله تعالى من مناسبة مصاحبة بعض الملائكة والأنبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم، فحينئذ ينظر حملة العرش، ويتعلم من علم السر الذي يحملونه به وكيفية صورهم الباقين بها، وقبل هذا يعرف مظاهر كثيرة، منها ما يتعلق بالأجسام المتغذية، ومنها ما يتعلق بالأرواح، وفي هذا المقام أشياء لا يصح إبداؤها ولا سبيل للتكلم إلى مجاوزة ما فوق ذلك مخافة أن يدعيها أهل الدعاوي المحجوبون الذين لم يصلوا إليها، فالسكوت عنها أولى والتلذذ بمطالعة مشاهدة تجليات صانعها أحلى، والله

---

(١) مشارق شموس الأنوار ص١٤٠.

(٢) مشارق شموس الأنوار ص١٤٠.

على ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل)[1]

٢ ـ الكشف والخطأ:

بعد أن انتهى الشيوخ من الإجابة عن الأسئلة التي وجهها لهم الحضور من أهل المدينة، مما ذكرت بعض الأمثلة عنه هنا، تقدم أحد الحكماء ـ ولم يكن بدا لي إلا حينها ـ وقال: نحن لا ننكر فضل الله تعالى على أوليائه وإلهامه لهم، بل نرى أن كل فضل يحصل لهم أو لغيرهم ليس سوى من الإلهامات والفضل الإلهي على عباده.

قال آخر: وقد أشار إلى هذا قوله ﷺ مخبرا عن دور الملك الواعظ في قلب الإنسان: (وأما لَمَّةُ[2] الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله)[3]، فقد أخبر ﷺ أنه إن وجد المؤمن هذه الخواطر الطيبة، فلينسبها إلى الله، لا إلى نفسه.

أ. الكشف والتلبيس:

قال آخر: لكن هذه الموهبة الإلهية ـ كسائر المواهب ـ قد تكون عرضة للتلبيس الشيطاني؛ مثلما حصل لآدم عليه السلام عندما وهبه الله الجنة؛ فلم ييأس الشيطان، بل ظل يوسوس له إلى أن أخرجه منها.. وهكذا الأمر بالنسبة لهذه الموهبة الإلهية؛ فإن الشيطان الذي توعد الإنسان بالتضليل استغل هذا النوع من المواهب، ليبث في أهله ما شاء من الانحرافات.

قال آخر: وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الأنس وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ

---

(١) مشارق شموس الأنوار ص١٤١.

(٢) واللمة: الهمة والخطرة تقع في القلب. كما في غريب الحديث.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٢١٩)، السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٧)

رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].. فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن الشيطان يمكنه أن يقوم بالإلهام، بل بالكشف، الذي يخلط به الحق بالباطل، وخاصة لأولئك الذين اغتروا، وحسبوا أنهم على شيء.

قال آخر: ولهذا؛ فإنه لتمييز الحق عن الباطل من الإلهامات نحتاج إلى عرضها على المصادر المعصومة، باعتبارها المصادر التي تمثل الحقيقة المطلقة، وما عداها قد يعرض له الانحراف، أو قد يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، ويتوهم أن ما رآه صحيحا، وهو ليس سوى من إفرازات نفسه وثقافته وبيئته.

قال آخر: ولهذا نرى كبار أعلام مشايخكم الذين تتفقون على احترامهم يذكرون ذلك، ويدعون إلى العرض على القرآن والسنة المطهرة، كما قال الجنيد سيد الطائفة: (أن النكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة)[(١)]

قال آخر: ومثل ذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية: (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة.. طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ)[(٢)]

قال آخر: ومثله قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية: (إِذا عارض كشفُك الصحيح الكتابَ والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إِن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإِلهام)[(٣)]

ب. الكشف والانحراف:

قال آخر: ولهذا نجد كبار مشايخكم يذكرون ما يقع بينهم من انحرافات، وقد أشار

---

(١) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص ٤٣٥.

(٢)الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص٢٩.

(٣) إيقاظ الهمم، (٢/ ٣٠٢)

إلى ذلك الشيخ أحمد زروق بقوله في بعض قواعده: (كثر المدعون في هذا الطريق لغربته، وبعد الأفهام عنه لدقته، وكثر الإنكار على أهله لنظافته، وحذر الناصحون من سلوكه لكثرة الغلط فيه.. وصنف الأئمة في الرد على أهله لما أحدث أهل الضلال فيه وانتسبوا منه إليه)[1].. ثم ساق نصا لشيخكم الأكبر يقول فيه: (احذر هذا الطريق، فإن أكثر الخوارج منه، وما هو إلا الطريق الهلك والملك، من حقق علمه وعمله وحاله، نال عز الأبد، ومن فارق التحقيق فيه، هلك وما نفذ، ولذلك أشار بعضهم بقوله: بلغنا إلى حدّ إذ قال هكذا، قال في النار)[2]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عبد الكريم بن هوازن القشيري، فقد قال في مقدمة رسالته: (اعلموا، رحمكم الله، أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة.. لا، بل اندرست الطريقة بالحقيقة: مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوى رباطه، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام. ودانوا بترك الاحترام. وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة، والنسوان، وأصحاب السلطان. ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحروا من رق الأغلال

---

(1) قواعد التصوف، ص ١٢٨.

(2) قواعد التصوف، ص ١٢٨.

وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكامه للبشرية. وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا)[1]

قال آخر: وهكذا وقف قبله أبو نصر السراج الطوسي، ذلك الملقب بطاووس الفقراء، والذي لم يكتف بما ذكره القشيري، وإنما راح يؤلف رسالة كاملة في نقد الصوفية سماها [رسالة في غلطات الصوفية]، ومما جاء في مقدمتها قوله: (واعلم أن في زماننا هذا قد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة، وقد كثر أيضا المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتابا قد زخرفه، وكلاما ألفه، وليس بمستحسَن منهم ذلك؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذه الحِكَم، إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق، والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عزَّ وجلَّ طرفة عين، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل)[2]

قال آخر: ثم راح يفصل أصناف الأخطاء التي وقعوا فيها، والتي انحرفت بهم عن المنهج الأصيل الذي هو السلوك التحققي والتخلقي، فقال: (فطبقة منهم غلطوا في الأصول: من قلة إحكامهم لأصول الشريعة، وضعف دعائمهم في الصدق والإخلاص، وقلة معرفتهم بذلك.. وطبقة ثانية: منهم غلطوا في الفروع، وهي: الآداب، والأخلاق، والمقامات، والأحوال، والأفعال، والأقوال؛ فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول،

---

(١) الرسالة القشيرية (١/ ١٦)

(٢) اللمع، ص١٩.

ومتابعتهم لحظوظ النفوس ومزاج الطبع؛ لأنهم لم يدنوا ممن يُروضهم، ويجرعهم المرارات، ويُوقفهم على المنهج الذي يؤديهم إلى مطلوبهم.. والطبقة الثالثة، كان غلطهم فيما غلطوا فيه: زلة وهفوة، لا علة وجفوة؛ فإذا تبين ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، فسدُّوا الخلل، ولُمّوا الشَّعَث، وتركوا العناد، وأذعنوا للحق، وأقروا بالعجز؛ فعادوا إلى الأحوال الرضية والأفعال السنية والدرجات الرفيعة، فلم تنقص مراتبهم هفوتُهم، ولم تظلم الوقتَ عليهم جفوتُهم، ولم تمتزج بالكدورة صفوتُهم)[1]

قال آخر: ومن انتقاداته لهم مبالغتهم في (السماع والرقص، واتخاذ الدعوات، وطلب الإرفاق، والتكلف للاجتماعات على الطعام، وعند سماع القصائد والتواجد والرقص، ومعرفة صياغة الألحان بالأصوات الطيبة، والنغمات الشجية، والاختراع من الأشعار الغزلية، بما يشبه أحوال القوم، على نحو ما رأوا من بعض الصادقين، أو بلغهم ذلك عن المتحققين)[2]

قال آخر: وهكذا نجد أبا حامد الغزالي، فهو مع ثنائه على الصوفية، وانتسابه إليهم إلا أنه انتقد بعض سلوكاتهم ودعاواهم، وحذر منها تحذيرا شديدا وصل إلى درجة الدعوة إلى إقامة الحد الشرعي على كل من يخلط على المؤمنين عقائدهم الواضحة البينة، فقد قال في الإحياء: (وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية: أحدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة، حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب، والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق. وبما حكى عن

---

(١) اللمع، ص٥١٨ـ ٥١٩.

(٢) اللمع، ص٥٣٠.

أبي يزيد البسطامي أنه قال: سبحاني سبحاني، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم، وأظهروا مثل هذه الدعاوي، فان هذا الكلام يستلذه الطبع، إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم، ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا: هذا إنكار مصدره العلم والجدل، والعلم حجاب، والجدل عمل النفس. وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق. فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة)[1]

قال آخر: وهكذا نجد ملا صدرا محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي الذي انتقد الكثير من السلوكات الصوفية في كتابه الذي خصصه لذلك، وهو بعنوان [كسر أصنام الجاهلية]، وقد قال في مقدمته عند بيان دوافع تأليفه: (لمّا رأيت جماعة كثيرة من النّاس في هذا الزّمان الّذي تفشت فيه ظلمات الجهل والعميان في البلدان، وانتشرت فيه غياهب السّفه والبطلان في أكناف المساكن والعمران مكبّين بتمام الجهد على ملازمة الجهل والهذيان في العقائد والأقوال ومباشرة التعطّل والفساد في الأعمال والأفعال، وكان منشأ سفههم وعبثهم في القول والعمل، هو الأمر الّذي قد عمّت داهيته وعظمت فتنته واشتدّت آفته وانتشرت مصيبته، وغلب على أكثر الطّبائع المئوفة ضرّه، وكثر على الفطر العامّيّة والعقول القاصرة الهيولانيّة شرّه، من حسبانهم دعابة شيطان الخيال نهاية وجدان أرباب الكمال، وظنّهم أنّهم مع إفلاسهم عن العلم والعمل متشبّهون بأرباب التّوحيد وأصحاب التّفريد، وجهلهم بأنّ أهل البصائر والأنظار يعرفون سنن الرّجال من حلية النّاعمات في الحجال،

(١) إحياء علوم الدين: ١/ ٦١.

وعماهم عن انكشاف حقيقة الحال وطريقة أهل الله المستحسنة عند المهيمن المتعال، واتّباعهم واقتدائهم واحدا منهم يدّعي لنفسه ولاية الله وقربه ومنزلته وكونه من الأبدال المقرّبين والأوتاد الواصلين، لمّا سمعوا منه كلمات واهية ومزخرفات شطحيّة، يخيّل له ولهم أنّ فيها شيئا من الكرامات والمكاشفات، ويسمعهم أنّها أخبار إلهيّة وأسرار ربّانيّة؛ فلهذا تركوا تعلّم العلم والعرفان، ورفضوا اكتساب العمل بمقتضى الحديث والقرآن، وعطّلوا ما أعطاهم الله تعالى من المشاعر والمدارك عن أعمالها في سبل الهداية والرّشاد، وحرّموا ما رزقهم الله افتراء عليه لصرفها في غير ما خلق لأجله، بسبب الجهل والفساد)[1]

قال آخر: ثم ذكر الدواهي التي أصيب بها أمثال هؤلاء العوام بسبب تأثرهم بما قال الصوفية من غير فهم ولا تحقيق، فقال: (وهذا كلّه لأنّ نظر عقلهم كان أبدا مقصورا على صور الأشياء وقوالبها الخياليّة، ولم يمتدّ نظرهم إلى أسرارها وحقائقها، ولم يدركوا الموازنة بين عالم الشّهادة وعالم الغيب؛ ففات عنهم ذلك، وتناقضت لديهم الأمثلة الواردة في لسان الشّرائع والنّبوّات، فلاهم أدركوا شيئا من حقائق الإيمان بالله وصفاته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إدراك الخواصّ، ولا هم آمنوا بالغيب إيمان العوام، فأهلكتهم كياستهم البتراء، وأضلّتهم بصيرتهم الحولاء، وتبعهم الآخرون من الحمقى النّاقصين والعمياء الجاهلين، والعجب من أعمى ناقص أوجب له عماه ونقصانه تقليدا للغير، ثمّ لم يقلّد هاديا مرشدا، بل قلّد غاويا هالكا، فضلّ وأضلّ وغوى وأغوى)[2]

قال آخر: ثم ذكر بعض النماذج عن ذلك، فقال: (وربّما يقول بعضهم: الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنّما النّظر إلى القلوب؛ وقلوبنا والهة بحبّ الله واصلة إلى معرفة الله عاكفة في حظائر القدس، وإنّما نخوض في الدّنيا والشّهوات بأبداننا؛ فنحن مع الشّهوات

---

(١) كسر أصنام الجاهلية، ص ٥.

(٢) كسر أصنام الجاهلية، ص ٩.

واللّذّات بالظّواهر والأبدان لا بالبواطن والقلوب، ويزعمون أنّ مباشرة الشهوات ومزاولة المعاصي والخطيئات لا تصدّهم عن طريق اللهّ، لقربهم منه ومنزلتهم لديه، ولا يعلم الأحمق السّفيه الزّنديق أنّ بهذا الكلام المزخرف المنتج لعذاب الحريق يرفع درجة نفسه الخسيسة عن درجة الأنبياء (عليهم الصّلوات والتّسليمات)، إذ كانت صدّهم عن طريق الله خطيئة واحدة، حتّى كانوا يبكون على ما يعدّونه معصية وذنبا، وينوحون عليه سنين متوالية)[1]

ج. الكشف والوساوس:

قال آخر: ولهذا فإننا ـ مع احترامنا لمشايخكم ـ تعجبنا من تلك الأمور الكثيرة التي ذكروها عن عالم الغيب من غير أي برهان عقلي، ولا دليل علمي، ولا نص شرعي.. فمن أين لهم أن يعرفوا كل تلك التفاصيل التي لم ترد، لا في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة، ولم يدل عليها العقل، ولا العلم.

قال آخر: وحتى لو كان بعضها صحيحا، وبعضها مما دخله الوهم، أو تسلل إليه الشيطان؛ فمن أين لنا أن نميز بين المقبول والمردود، وبين ما هو وحي الله وكشفه وإلهامه، وما هو وحي الشيطان أو وسوسة النفس؟

قال آخر: ثم ما فائدة تلك المعارف المفصلة الكثيرة التي لا نستطيع أن نثق في مصدرها ثقة تامة، أليست نوعا من الجهل المركب الذي نهينا عنه؟.. فعلم قليل صحيح، خير من معارف كثيرة لا نستطيع تمييز مقبولها من مردودها.

قال آخر: وأكبر دليل على ذلك الاختلافات التي يقع فيها المكاشفون، وفي القضية الواحدة، وشيخكم الأكبر نفسه يذكر ذلك، وينتقد بعض من سبقه في كشوفاتهم؛ فمن أين

(١) كسر أصنام الجاهلية، ص ٩.

لنا أن لا يأتي من بعده من ينتقده، ويبين خطأ كشفه؟.. وقد وقع ذلك كما تعرفون.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الشيخ أحمد السرهندي، والذي يعتبر من أكبر أعلام الطريقة النقشبندية، بل يعتبر عند الكثير من الصوفية من كبار المجددين؛ فقد ذكر كيف انتقل من التلمذة على ابن عربي إلى نقده، واعتبار كشوفه مجرد كشوف حالية مرتبطة بحالة يمر بها السالك، وليست كشوفا نهائية كاملة صحيحة.

قال آخر: وقد قال ـ متحدثا عن بدايته في ذلك ـ: (إنّ معتقد الفقير من الصّغر كان مشرب أهل التّوحيد يعني توحيد الوجود.. فانكشف التّوحيد الوجوديّ في مدّة يسيرة بعد ممارسة هذه الطّريقة العليّة، وعرض لي غلوّ في هذا الكشف، وظهر شيء وافر من علوم هذا المقام ومعارفه ولم تبق دقيقة من دقائق هذه المرتبة غير منكشفة، ولاحت دقائق علوم الشّيخ محيي الدّين بن عربيّ ومعارفه، وشرّفت بالتّجلّي الذّاتيّ الّذي بيّنه صاحب الفصوص واعتقد أنّه نهاية العروج، وقال في حقّه: (وما بعد هذا إلّا العدم المحض) وحصل لي علوم ذلك التّجلّي ومعارفه الّتي قال الشّيخ محيي الدّين بن عربيّ أنّها مخصوصة بخاتم الولاية بالتّفصيل)[1]

قال آخر: ثم ذكر كيف انتقل من تلك الحال إلى ما هو أكمل منها، فقال: (وامتدّ هذا الحال إلى مدّة مديدة وانجرّ الأمر من الشّهور إلى سنين عديدة، ثمّ برزت عناية الحقّ سبحانه الّتي لا غاية لها من كوّة الغيب وجاءت إلى عرصة الظّهور وانسدل نقاب اللّاكيفيّ واللّاكيفيّة على وجه المطلوب المذكور، وتوجّهت العلوم السّابقة الّتي كانت منبئة عن الإتّحاد ووحدة الوجود نحو الزّوال والفتور، واستترت الإحاطة والسّريان والقرب والمعيّة الذّاتيّات الّتي كانت منكشفة في ذلك المقام المسطور وصار معلوما بيقين أنّ هذه النّسب

---

(١) المكتوبات (السرهندى)، ج١، ص ١٩٤.

المذكورة ليست بثابتة للصّانع جلّ شأنه مع العالم، بل إحاطته وقربه تعالى بحسب العلم كما هو مقرّر عند أهل الحقّ شكر الله سعيهم، وهو تعالى ليس بمتّحد بشيء من الأشياء، وهو تعالى وتقدّس والعالم عالم، وهو تعالى منزّه عن الكيف والكيفيّات والعالم متّسم بميسم الكيف من الفرق إلى القدم، ولا يمكن أن يقال: إنّ المنزّه عن الكيف عين المكيّف بالكيف وأنّ الواجب عين الممكن، ولا يكون القديم عين الحادث، وممتنع العدم عين جائز العدم أصلا؛ فإنّ انقلاب الحقائق محال عقلا وشرعا وصحّة حمل أحدهما على الآخر مفقودة لكونه ممتنعا أصلا ورأسا)[1]

د. الكشف النافع:

قال آخر: بالإضافة إلى هذا كله؛ فإن القرآن الكريم يشير إلى دور الكشف والإلهام ليس إضافة معارف جديدة لم تنص عليها المصادر المقدسة، وإنما تقوية إيمان صاحبها، ليحصل له اليقين والطمأنينة التامة، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

قال آخر: فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن من لطف الله تعالى بعباده أن يؤيدهم بما يقوي إيمانهم، بحسب المستوى الذي يؤهلهم لذلك الإمداد، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام وإشهاده تلك المشاهد العظيمة التي تقوي إيمانه، وتطمئن قلبه: ﴿وكذلِكَ نُري إبراهيم مَلكُوتَ السمواتِ والأرضِ ولِيَكُونَ مِنَ الموقنينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]

قال آخر: وهكذا يصف الله تعالى العارفين المستلهمين من القرآن الكريم بهذا الوصف؛ فيقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ

---

(١) المكتوبات (السرهندى)، ج١، ص ٦١.

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]

قال آخر: وغيرها من الآيات الكريمة التي تصف هذا النوع من الناس، وهي تدل على أن علاقة العارفين بكل شيء تنطلق من هذا المبدأ، وهو الاهتمام باللباب، لا بالقشور والتفاصيل التي لا تغنيهم شيئا.

قال آخر: وهذا هو المعيار المفرق بين الرؤية الإيمانية العرفانية للكون، وبين غيرها من الرؤى، والتي قد تتدخل فيما لا يعنيها فتقع في الخرافة أو الدجل أو الإلحاد أو أي انحراف من الانحرافات.

قال آخر: فالعارف على المنهج القرآني يتأمل في الكون ليجعل منه وسيلة للتزكية والترقية والتحقق بكل المعاني النبيلة، ولا يبحث في التفاصيل التي ليس لديه منها أي برهان أو علم أو حجة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال آخر: ويشير إلى هذا المنهج، ويدل عليه ما ورد في القرآن الكريم من الدعوة للتفكر والتأمل في الكائنات، والعبور منها إلى صانعها وخالقها ومبدعها، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، وقال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧]، وقال: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]

قال آخر: وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ وإخباره عن دور الملك الواعظ في قلب الإنسان: (وأما لَمَّةُ الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله)[1]، فقد أخبر ﷺ أنه إن وجد المؤمن هذه الخواطر الطيبة، فلينسبها إلى الله، لا إلى نفسه.

قال آخر: ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ: (أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مَدْرجتِهِ مَلَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[2]

هـ. الكشف والشريعة:

قال آخر: ولهذا؛ فإن تلك الكشوف التفصيلية الكثيرة ـ بالإضافة إلى كونها غير معصومة ـ قد تكون حجابا دون الغرض من السلوك، وهو الهداية، لا تحصيل تلك المعارف، والتي لا يمكن معرفتها من غير مشكاة النبوة، ولو علم الله حاجة البشر إليها لأنزلها في كتابه.

قال آخر: ولذلك؛ فإنكم لو تأملتم ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الدالة على كمال الدين عقيدة وشريعة، لعلمتم خطورة إضافة أي عقيدة أو شريعة جديدة، لأن ذلك يعارض قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

قال آخر: ومما يدلكم على ذلك أن العترة الطاهرة، وأئمة الهدى ـ مع اتفاق الأمة على صلاحهم وإمامتهم وهداهم ـ إلا أنهم كانوا متواضعين جدا في كل ما يذكرون من أحكام الدين العقدية والتشريعية؛ فهم يذكرون أن كل ما عندهم ليس سوى تلق من رسول الله

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢١٩)، السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٧)

(٢) صحيح مسلم (٨/ ١٢)

ﷺ، لا بالرؤية المباشرة ـ كما يزعم بعض مشايخكم ـ وإنما بالإسناد المعتبر، كما عبر عن ذلك الإمام الصادق بقوله: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عزّوجلّ)[1]، وروي أنه قيل له: (أسمع الحديث فلا أدري منك سماعه أو من أبيك؟)، قال: (ما سمعته مني فاروه عن رسول الله ﷺ)[2]

قال آخر: وقال في ذلك أيضا: (والله لولا أنّ الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا، ما أدخلناكم بيوتنا، ولا أوقفناكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا)[3]

قال آخر: وقيل له: (بأي شيء يفتي الإمام؟)، قال: بالكتاب، قيل: فما لم يكن في الكتاب؟.. قال: بالسنّة، قيل: فما لم يكن في الكتاب والسنّة؟.. قال: (ليس شيءٌ إلا في الكتاب والسنّة)[4]

قال آخر: وقال: (عجبا للناس يقولون: أخذوا علمهم كله عن رسول الله ﷺ فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتد به، ونحن أهله وذريّته، في منازلنا أُنزل الوحي، ومن عندنا خرج إلى الناس العلم أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا!؟.. إنّ هذا محال)[5]

قال آخر: وقبله قال الإمام الباقر: (يا جابر.. لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا، لكنّا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بآثار من رسول الله ﷺ وأصول علم عندنا، نتوارثها كابراً عن

---

(١) بحار الأنوار (٢/ ١٧٩)

(٢) بحار الأنوار: ٢/ ١٦١.

(٣) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٣.

(٤) بحار الأنوار (٢/ ١٧٥)

(٥) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٩.

كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)[1].. وقال: (إنّا على بيّنة من ربنا، بيّنها لنبيّه ﷺ فبيّنها نبيه لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس)[2]

قال آخر: وغيرها من الروايات الكثيرة المتواترة التي تبين أن كل علوم أئمة الهدى التي بثوها للأمة لم تكن سوى وراثة نبوية، أو فهم مرتبط بها، مع كون هؤلاء ـ وبإجماع الأمة ـ من أعلم وأتقى وأصلح هذه الأمة جميعا.

٣. الكشف والتقليد:

بعد أن قال الحكماء هذا، قام بعض الشيوخ، وقال: بورك فيكم، وفي كلماتكم الطيبة، وأنا الآن أشهد أمامكم بأني ـ مع كوني من الذين يدافعون عن الكشف والإلهام الإلهي، واعتباره من مصادر المعرفة ـ إلا أني ـ وفي حياتي جميعا ـ لم أحظ بذلك الكشف ولا الإلهام، وإنما كل معارفي التي قدمتني لدى الناس هي مجرد مطالعات وقراءات من كتب أولئك الشيوخ الذين كنا ننقل أقوالهم، كما ينقل الحشوية أقوال كعب ووهب.

قال آخر: ومثلك أنا.. فقد وجدت أن أتباعي يطلقون علي لقب [العارف بالله]، لا لشيء سوى لحفظي لتلك المقولات وترديدها في كل المحال، وكأن القرآن الكريم والسنة المطهرة قاصرة على تعريف الخلق بربهم، حتى جاء مؤلفو تلك الكتب ليسدوا ذلك النقص.

أ. الكشف والتسليم:

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت مقلدا في كل تلك المعارف التي أذكرها.. ولم يكن لي شيء من الشهود ولا من الكشف ولا من الإلهام.. ولذلك كنت أفر من كل من يطالبني بالدليل بقول بعضهم: (التصديق بعلمنا هذا ولاية، وإذا فاتتك المنّة في نفسك فلا تفتك أن

---

(١) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٣.

تصدّق بها في غيرك)[1].. وقد فاتني أنني بذلك أعارض قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] من حيث لا أشعر.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أردد بين يدي من يناقشني أو يجادلني أو يطالبني بالدليل، قول من نطلق عليه شيخنا الأكبر: (احمدوا اللهَّ يا إخواننا حيث جعلكم اللهَّ ممن قرع سمعه أسرار اللهَّ المخبوءة في خلقه، التي اختص اللهَّ بها من شاء من عباده؛ فكونوا لها قابلين، مؤمنين بها، ولا تحرموا التصديق بها فتحرموا خيرها، قال أبو يزيد البسطامي، وهو أحد النواب لأبى موسى الدبيلي: (يا أبا موسى! إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة، فقل له يدعو لك؛ فإنه مجاب الدعوة)، وسمعت شيخنا أبا عمران، موسى بن عمران الميرتلى، بمنزله بمسجد الرضا بإشبيلية، وهو يقول للخطيب أبى القاسم بن عفير، وقد أنكر أبو القاسم ما يذكر أهل هذه الطريقة: (يا أبا القاسم! لا تفعل فإنك إن فعلت هذا جمعنا بين حرمانين: لا نرى ذلك من نفوسنا، ولا نؤمن به من غيرنا. وما ثم دليل يرده، ولا قادح يقدح فيه شرعا وعقلا). ثم استشهدني على ما ذكره، وكان أبو القاسم يعتقد فينا، فقررت عنده ما قاله بدليل يسلمه من مذهبه، فإنه كان محدثا: فشرح اللهَّ صدره للقبول، وشكرني الشيخ ودعا لي)[2]

ب. الكشف والمطالعة:

قال آخر: وكنت مثلكم أردد لهم قول شيخنا الجيلي، الذي قدم لكتابه [الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل] بقوله: (ثم ألتمس من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أعلمه أني ما وضعت شيئا في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ،

---

(١) الكواكب الدرية (١/ ٥٧٣)

(٢) الفتوحات المكية، ج١١، ص ٢٧٣

أنه إذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مرادي الذي وضعت الكلام لأجله فليتوقف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح الله تعالى عليه بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه)[1]

قال آخر: وكنت مثلكم أخاف أن أنكر أي شيء ورد في تلك الكتب حتى لو خالفت في الظاهر المصادر المعصومة، لأني كنت أخشى أن تحرمني تلك المخالفة من الكشف والإلهام المرتبط بذلك الأمر، كما اتفق على ذلك بعض مشايخنا، وقد قال بعضهم في ذلك: (وفائدة التسليم هنا وترك الإنكار أن لا يحرم الوصول إلى معرفة ذلك، فإن من أنكر شيئا من علمنا هذا حرم الوصول إليه ما دام منكراً، ولا سبيل إلى غير ذلك، بل ويخشى عليه حرمان الوصول إلى ذلك مطلقاً بالإنكار أول وهلة، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم)[2].. ثم أكد على أن تأييد ما يذكره بالكتاب والسنة لا يقتضي ذكر تلك الأدلة ومناقشتها، وإنما يتطلب التسليم واعتبار ذلك التأييد حتى ولو لم يؤيد بأي دليل، فقال: (اعلم أن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده، فقد يكون العلم في نفسه مؤيداً بالكتاب والسنة، ولكن قلة استعدادك منعتك من فهمه فلن تستطيع أن تتناوله له بهمتك من محله فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة، فالطريق في هذا التسليم وعدم العمل به من غير إنكار إلى أن يأخذ الله بيدك إليه)[3]

قال آخر: ومثلكم أنا؛ فقد كنت مغترا بما كان يذكره شيوخنا من عدم حاجتنا إلى الكشف الخاص بنا، ومطالبتنا بالاكتفاء بما كشف لشيوخنا، وقد ذكر هذا شيخنا الجيلي، وصرح به حين دعا إلى مطالعة كتب الشيخ الأكبر وغيره من الصوفية، فقال: (هذا كلامهم

---

(١) الإنسان الكامل، ص٨.

(٢) الإنسان الكامل، ص٨.

(٣) الإنسان الكامل، ص٨.

ـ رضي اللهّ عنهم ـ للتلامذه والإخوان إنما هو لتقريب المسافة البعيدة إليهم وتسهيل الطريق الصعب عليهم، لأن المريد قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة، وذلك لأن السالك إنما ينال ثمرة سلوكه وعلمه، والعلوم التي وصفها الكمل من أهل اللهّ تعالى هي ثمرة سلوكهم وأعمالهم الخالصة، فكم بين ثمرة عمل معلول إلى ثمرة عمل مخلص، بل علومهم من وراء ثمرات الأعمال؛ لأنها بالفيض الإلهي الوارد عليهم على قدر وسع قوابلهم، فكم بين قابلية الكامل من أهل اللهّ وبين قابلية المريد الطالب، فإذا فهم المريد الطالب ما قصده من وضع المسألة في الكتاب وعلمه، استوى هو ومصنفه في معرفة تلك المسألة فنال بها ما نال المصنف، وصارت له ملكا مثل ما كانت للمصنف، وهكذا كل مسألة من مسائل العلوم الموضوعة في الكتب فإن الأخذ لها من المعدن الذي أخذ منه مصنفها)(١)

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد دفعني على تلك المطالعات والتسليم لها، ما كانوا يذكرونه عن التلامذة المسلّمين لكل ما يقولونه، ومنها هذا المثال الذي ذكره شيخنا الجيلي، فقد قال: (ولقد رأيت في زماننا هذا طائفة كثيرة من كل جنس من أجناس العرب والفرس والهند والترك، وغير ذلك من الأجناس كلهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال، ونالوا منها مقاصد الآمال؛ فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه وفضله سلوكا واجتهادا صار من الكمل، ومن وقف بعد علمه كان من العارفين)(٢)

قال آخر: وقد ذكر من النماذج عن ذلك أن بعضهم (كان من تلامذة بعض الشيوخ، ولم يكن له من أعمال الطريق سوى مطالعة كتب الحقيقة حتى بلغ مع هذا العلم ما سبق به كثيرا من السابقين، واسمه أبو بكر بن محمد الحكاك له نظم كثير في علم الحقيقة؛ فمن وقف

---

(١) مراتب الوجود وحقيقة كل موجود (الكهف والرقيم)، ص ٣٩.

(٢) مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، ص ٣٩.

على ديوان شعره وعرف مقداره حظي بطائل)[1]

قال آخر: ولهذا كنا نضيع كل أوقاتنا في مطالعة تلك الكتب، حرصا على أن نصل إلى تلك الدرجات، لأنها ـ كما كان يذكر لنا ـ كتب الفتح الإلهي، وهي التي تميز الخاصة من العامة، وقد قال بعضهم في بعض كتبه: (وإنما أوردت لك هذه الحكايات كلها حتى أفهمك قدر هذا العلم وعلو شأنه، لترغب في تحصيل هذا الفن الشريف بمطالعة هذه الكتب وممارستها ومذاكرتها مع أهلها، حيث كانوا؛ فإن الرجل منهم قد يفيدك ما لا يفيدك الكتب كلها في العمر كله، لأنك تأخذ من الكتاب بفهمك، والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هي عليه أعطاك فهمه فيها، وكم بين فهمك وفهمه)[2]

قال آخر: ولهذا كانوا ينصحوننا بقولهم: (مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله مع التأدب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلها، فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة في كتب الحقائق والعمل بمقتضى علومها؛ فإنك تحصل بذلك إلى مقصودك وتقع به على معرفتك بمعبودك إن شاء الله تعالى)[3]

قال آخر: ولهذا نرى شيخنا الأكبر يذكر في كل كتبه أنه كلف من الله مباشرة بتبليغها، ومن الأمثلة على ذلك قوله: (وأرجو أن أكون ممن يأمره الله في سره فيمتثل مراسمه بلا واسطة، وعندنا من العلم بصفة الصلاح ذوق عظيم، ورثناه من الأنبياء عليهم السلام، ما رأيته لغيرنا)[4]

قال آخر: وقال في محل آخر: (وقد أمرني الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه ﷺ، بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم خطابا عاما، ثم خاطبني على الخصوص

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٤) الفتوحات المكية (١/ ٧٢٢، ٧٢٣)

من غير واسطة، غير مرة بمكة، وبدمشق، فقال لي: انصح عبادي، في مبشرة أريتها، فتعيّن عليّ الأمر أكثر مما تعين على غيري، وكنت أرشد الناس إلى الطريق القويم، فلما رأيت الداخل إلى طريق الله عزيزا، تكاسلت وعزمت أن أشتغل بنفسي، وأترك الخلق وما هم عليه، فرأيت رؤيا بمكة يقول لي فيها الحق: لا أطلب منك عملا إلا أن تنصح عبادي، فانصح عبادي؛ فأصبحت وقعدت للناس أبين لهم الطريق الواضح، والآفات القاطعة لكل صنف عنه، من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فكل قام عليّ وسعى في هلاكي، فنصر الله عليهم، وعصم فضلا منه ورحمة، وتكلمت حينئذ وألفت في حقائق النصح أمورا كلية يعم نفعها، ويأخذ كل قابل قسطه منها، ثم أظهرتها ولم أظهر اسمي عليها، وقلت: إنما المقصود منها انتفاع الناس، سواء عرفوا المتكلم أو لم يعرفوا، فلما انتشر ذلك، نسب الكلام للغزالي رحمه الله، وصار يلعن من بعض الناس بسببها، فلما بلغني ذلك قلت: الآن تعين إظهار اسمي عليها لأكون وقاية لرجل مسلم يظلم بسببي، فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك، فاستقبلتني الناس بسهام أغراضهم، وظنوا فيّ الظنون، وأنا صابر عليهم داع لهم، ناظر إلى مراد الحق سبحانه من ذلك كله، فرأيت الحق سبحانه بعد ذلك في المنام، فقلت: إلهي وسيدي، أمرتني أن أنصح عبادك فامتثلت، ونصحت ورجوت نفعهم بذلك، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم؛ فسمعته سبحانه يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦ - ٦٧] فاسترسلت على الأصل الذي أمرت به، وعلمت أن الله تعالى ينفع بذلك من يشاء ويصرف عن الانتفاع من يشاء)[1]

ج. الكشف والعلم:

---

(١) المرجع السابق، (١/ ٣٣٤، ٦٥٨)

قال آخر: وقد كنا مع ذلك التقليد الذي لا نختلف فيه عن الحشوية، نقول للمخالفين لنا ما قاله بعض شيوخنا: (أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)[1]

قال آخر: وكنا نردد لهم قول شيخنا الأكبر في ذلك: (إذا ثبت أن علم العقل قابل للشبه، وأن علم الأحوال كذلك، تبين لك أن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر، ولا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم، ولهذا اختلفت مقالاتهم، فإن كان العلم قد حصل عن نظر في دليل عقلي، فإن مثل ذلك ليس عندنا بعلم، لتطرق الشبهة على صاحبه وإن وافق العلم، وإنما العلم من لا يقبل صاحبه شبهة، وذلك ليس إلا علم الأذواق، فذلك الذي نقول فيه إنه علم، فإن الأذواق بمنزلة الأدلة لأصحاب النظر في العلوم؛ فالعلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم، وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده، من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن، ومن لا كشف له لا علم له، فكل علم لا يكون عن ذوق ليس بعلم أهل الله.. فإن أهل الله ما علموا الذي علموه إلا ذوقا، ما هو عن فكر ولا عن تدبر)[2]

قال آخر: وكنا نردد لهم ـ زورا وبهتانا ـ قوله: (في الأولياء، ابتداء المكاشفات لهم في عالم الشهادة، وهو ما يدرك بالحس في أول سلوكهم، فإن المريد أول ما يكشف له عن المحسوسات، فيرى رجلا مقبلا أو على حالة ما، وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة، بحيث أن يراه بمكة، أو يرى الكعبة، وهو بأقصى المغرب، وهذا كثير عند المريدين في أول أحوالهم، ذقت ذلك كله، ولله الحمد، ثم ينتقلون عن ذلك ـ إن كانوا من أهل العناية والاختصاص بالوراثة النبوية ـ إلى عالم الغيب الذي يدرك بعين البصيرة، وليس بينه وبينها مسافة ولا بعد ولا قرب مفرط، وحجابه إنما هو الران والقفل والكن، وقد ارتفعت

---

(١) الفتوحات المكية (١/ ٣١)

(٢) الفتوحات المكية (٣/ ٤٥٦.

بالمجاهدات فلاحت أعلام الغيوب، لكن ثمّ أمر تدركه، وهو إن انجلت عين البصيرة فإن ثمّ حجابا آخر إلهيا، وهو أن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على المغيبات في الحضرات الوجودية، ليس يعمها إلا على قدر ما يريد الله تعالى أن يكشف لك منها، مع أنك في غاية الصفاء والجلاء، وذلك هو مقام الوحي، دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له)[1]

د. الكشف والنبوة:

قال آخر: بل كنا نتجرأ فنذكر لهم قوله ـ عند استدلاله بالقرآن الكريم أو غيره ـ عدم حاجته لذلك الاستدلال، لأن علمه حصل لديه من غير حاجته لتلك الأدلة، كما قال عند حديثه عن مصادر الكشف: (إن الله أخذ بأكثر أبصار جنس الإنس والجان عن إدراك النفوس المدبرة الناطقة، التي للمسمى جمادا ونباتا وحيوانا، وكشف لبعض الناس عن ذلك، والدليل السمعي على ما قلناه قول الله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ [البقرة: ٧٤] يعني من الحجارة.. وأما أمثالنا فلا يحتاج إلى خبر في ذلك، فإن الله قد كشفها لنا عينا، وأسمعنا تسبيحها ونطقها لله الحمد على ذلك)[2]

قال آخر: بل إنه يذكر ما هو أعظم من ذلك، حيث قال: (وصاحب الكشف يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف والكلمات، وما يتضمنه من صور ما يصورها الكاتب أو الرسام، وكل ذلك كتاب، فيقول في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة، فإذا جاء الكاتب والرسام، أو الرسام دون الكاتب، أو الكاتب دون الرسام، بحسب ما يذكره صاحب الكشف، فيكتب بذلك المداد ويرسم ما ذكره هذا المكاشف، بحيث لا يزيد على ذلك ولا ينقص)[3]

---

(١) الفتوحات المكية (٣/ ٤٥٦).

(٢) الفتوحات المكية (٣/ ٤٥٦).

(٣) الفتوحات المكية (٣/ ٤٥٦)

قال آخر: بل إنه يذكر عدم حاجة صاحب الكشف للمحدث والفقيه وغيرهما، ذلك أن كشفه يغنيه عن كل العلماء، وقد قال في ذلك: (وأهل الكشف، النبي عندهم موجود، فلا يأخذون الحكم إلا عنه، فإنه لا يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول ﷺ موجودا، ولهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب، إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له)(١)

قال آخر: وقد قال أيضا يشير إلى هذا: (فمن كان من الصالحين ممن كان له حديث مع النبي ﷺ في كشفه، وصحبه في عالم الكشف والشهود وأخذ عنه، حشر معه يوم القيامة، وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف موطن، وعلى أسنى حالة، ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم، ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم ولا يسمى صاحبا ـ ولو رآه في كل منام ـ حتى يراه وهو مستيقظ كشفا، يخاطبه ويأخذ عنه ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها، وإنا أخذنا كثيرا من أحكام محمد ﷺ المقررة في شرعه عند علماء الرسوم، وما كان عندنا علم، فأخذناها من طريق الكشف، وهو عندنا ذوق محقق)(٢)

قال آخر: وهو ـ عند حديثه عن النبوة المرتبطة بالشرائع ـ يذكر أن الولي لا يأخذ فيها علم الشريعة من أهل الظاهر، وإنما يتلقاها عبر الإلهام الذي لا يختلف عن الوحي كثيرا، وقد قال في ذلك: (وأما حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمة، فهو كل شخص أقامه الحق في تجل من تجلياته، وأقام له مظهر محمد ﷺ ومظهر جبريل عليه السلام؛ فأسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الأحكام المشروعة لمظهر محمد ﷺ حتى إذا فرغ من خطابه، وفزع عن قلب هذا الولى، عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة، الظاهرة في هذه الأمة المحمدية؛ فيأخذها هذا الولى كما أخذها المظهر المحمدي،

---

(١) الفتوحات المكية (٣/ ٣٣٥)

(٢) الفتوحات المكية (٢/ ٥٠ ج ١/ ٢٢٤)

للحضور الذي حصل له في هذه الحضرة مما أمر ذلك المظهر المحمدي من التبليغ لهذه الأمة؛ فيرد (الولى) إلى نفسه، وقد وعى ما خاطب الروح به مظهر محمد ﷺ، وعلم صحته علم يقين بل عين يقين؛ فأخذ حكم هذا النبي، وعمل به على بينة من ربه)[1]

قال آخر: وقد ضرب بعض الأمثلة على ذلك، فقال: (فرب حديث ضعيف قد ترك العمل به لضعف طريقه، من أجل وضاع كان في رواته، يكون صحيحا في نفس الأمر، ويكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث، ولم يضعه، وإنما رده المحدث لعدم الثقة بقوله في نقله، وذلك إذا انفرد به ذلك الواضع، أو كان مدار الحديث عليه، وأما إذا شاركه فيه ثقة سمعه معه، قبل ذلك الحديث طريق هذا الثقة، وهذا ولى قد سمعه من الروح يلقيه على حقيقة محمد ﷺ، كما سمع الصحابة في حديث جبريل عليه السلام مع محمد ﷺ في الإسلام والايمان والإحسان، في تصديقه إياه، إذا سمعه (الولى) من الروح الملقى، فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من فم رسول اللهَّ ﷺ، علما لا يشك (الصحابي) فيه، بخلاف التابع، فإنه يقبله على طريق غلبة الظن، لارتفاع التهمة المؤثرة في الصدق.. ورب حديث يكون صحيحا من طريق رواته، يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر، فسأل النبي ﷺ عن هذا الحديث الصحيح، فأنكره وقال له: لم أقله ولا حكمت به. فيعلم (هذا المكاشف) ضعفه، فيترك العمل به عن بينة من ربه، وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه، وهو نفس الأمر ليس كذلك.. وقد يعرف هذا المكاشف من وضع ذلك الحديث، الصحيح طريقه في زعمهم: إما أن يسمى له، أو تقام له صورة الشخص)[2]

قال آخر: وهو يؤكد أنه لا يصل الولي إلى مرتبة نبوة الولاية إلا بعد أن يتلقى الشريعة بهذا الطريق، فيقول: (قد أثبت هذا المقام للأولياء أهل طريقنا، وإتيان غير هذا وهو الفعل

---

(١) الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٢) الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٥٩.

بالهمة، والعلم من غير معلم من المخلوقين غير اللهَّ، وهو علم الخضر؛ فان آتاه اللهَّ العلم بهذه الشريعة التي تعبده بها على لسان رسول اللهَّ ﷺ بارتفاع الوسائط ـ أعنى الفقهاء وعلماء الرسوم ـ كان من العلم اللدني، ولم يكن من أنبياء هذه الأمة. فلا يكون، من يكون من الأولياء وارث نبى إلا على هذه الحالة الخاصة: من مشاهدة الملك عند الإلقاء على حقيقة الرسول)[١]

قال آخر: وبسبب ذلك يصبح هؤلاء الأولياء الأنبياء ـ كما يذكر ـ من أعلم الناس بالشريعة لأنهم تلقوها من المصدر مباشرة، ومن غير تكلف تعلم، يقول: (فهؤلاء هم أنبياء الأولياء.. وهم، في هذه الأمة، مثل الأنبياء في بنى إسرائيل، على مرتبة تعبد هارون بشريعة موسى عليه السلام مع كونه نبيا؛ فان اللهَّ قد شهد بنبوته، وصرح بها في القرآن. فمثل هؤلاء يحفظون الشريعة الصحيحة التي لا شك فيها، على أنفسهم وعلى هذه الأمة ممن اتبعهم؛ فهم أعلم الناس بالشرع)[٢]

قال آخر: وهو يذكر أن هؤلاء الأولياء الأنبياء غير ملزمين بإثبات ما يذكرونه لغيرهم؛ يقول: (غير أن الفقهاء لا يسلمون لهم ذلك؛ وهؤلاء الأولياء لا يلزمهم إقامة الدليل على صدقهم، بل يجب عليهم الكتم لمقامهم، ولا يردون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم، مع علمهم بان ذلك خطا في نفس الأمر؛ فحكمهم حكم المجتهد الذي ليس له أن يحكم في المسالة بغير ما أداه اليه اجتهاده، وأعطاه دليله، وليس له أن يخطئ المخالف له في حكمه، فان الشارع قد قرر ذلك الحكم في حقه. فالأدب يقتضي له أن لا يخطئ ما قرره الشارع حكما. ودليله وكشفه يحكم عليه باتباع حكم ما ظهر له وشاهده)[٣]

---

(١) الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٦٠.

(٢) الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٦٠.

(٣) الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٦١.

قال آخر: ونفس الأمر يذكره بالنسبة لغير الشرائع، فهو ـ مثلا ـ يستدل لكل ما ذكره من مراتب العالم، بأنه أخذها مباشرة من رسول الله ﷺ، يقول في ذلك: (إنا ما أوردنا شيئا مما ذكرناه أو نذكره من جزئيات العالم، إلا واستنادنا فيه إلى خبر نبوي يصححه الكشف، ولو كان ذلك الخبر مما تكلم في طريقه، فنحن لا نعتمد فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب رضي الله عنهم، فو الله ما يعرف الأمور إلا من شهدها ذوقا وعاينها كشفا، ويظن المجادل الذي هو ولي الشيطان، أن ما يجيء به إنما ذلك من نفسه ومن نظره وعلمه، وهو من وحي الشيطان إليه، يعرف ذلك أهل الكشف عينا ويسمعونه بآذانهم كما يسمعون كل صوت)[1]

هـ. الكشف والرجال:

قال آخر: ولهذا صار تقديرنا لكل شيخ من شيوخنا بحسب ما يذكره من علوم وإلهامات لم يسبق إليها، ولهذا حظي ابن عربي عندنا بلقب الشيخ الأكبر، لكونه أتى بما لم يأت به من قبله، كما شهد لنفسه بذلك، فقال: (فإني أرجو من الله أن ينفعني بمن علم مني ما ذكرته في كلامي هذا من العلم بالله، الذي لا تجده فيما تقدم من كتب المؤلفين في هذا الفن، وفيه نكت لست تراها في كلام أحد منقول عن أسرار هذه الطريقة غير كلامنا، ولو لا ما ألقي عندي في إظهارها ما أظهرتها، لسر يعلمه الله ما أعلمنا به، وفيه مسائل لا تجدها محققة على ما ذكرت فيها، لأنني ما رأيت أحدا حقق فيها ما ذكرته، فإن بعض العلوم ما رأيت أحدا نبه عليها قبلي، إلا إن كان وما وصل إليّ، فإنه لا بد لأهل الله المحققين من إدراك هذه العلوم، ولكن قد لا يجريه الله على ألسنتهم، أو يتعذر على بعضهم العبارة عن ذلك، وهذا كله نقطة من كلمة من القرآن العزيز، فما عندنا من الله إلا الفهم فيه من الله، وهو الوحي الإلهي الذي أبقاه الحق علينا)[2]

---

(١) عقله المستوفز، والفتوحات ج ٣/ ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٢) الفتوحات المكية، ٣/ ٥٠٠.

قال آخر: بل إنه يذكر أن أهم كتبه تلقاها مباشرة من رسول الله ﷺ.. وأهمها كتابه (فصوص الحكم)، فقد قال في مقدمته: (رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة، أريتها في العشر الأخير من المحرم من سنة سبع وعشرين وستمائة، بمحروسة دمشق، وبيده صم كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه، واخرج به إلى الناس فينتفعون به؛ فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منا، كما أمرنا.. فحققت الأمنية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب، كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وسألت الله أن يجعلني فيه، وفي جميع أحوالي، من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع ما يرقمه بناني وينطوي عليه جناني، بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي، في الروع النفسي، بالتأييد الإعتصامي، حتى أكون مترجما لا متحكما؛ ليتحقق من يقف عليه من أهل الله، أصحاب القلوب، أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية، التي يدخلها التلبيس، وأرجو أن يكون الحق تعالى، لما سمع دعائي، قد أجاب ندائي؛ فما ألقي إلا ما يلقى الحق إلي؛ ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل الحق به علي، ولست بنبي ولا رسول، ولكني وارث ولآخرتي حارث)[1]

قال آخر: وقد اجتهد علماؤنا في الدفاع على هذا وإثباته، ومن ذلك قول بعضهم في الرد على المنكرين المخالفين: (فنقول: هذا الكلام بهذه العبارة لا يخلو من وجهين: إما أن يكون واقعا صحيحا بدعوانا، أو لا يكون واقعا صحيحا بدعوى الخصم، إن كان واقعا صحيحا مطابقا، فالكتاب (فصوص الحكم) يكون من رسول الله ﷺ ويكون وصل إليه (يعني إلى ابن العربي) منه على الوجه المذكور، من غير خلاف؛ ويكون (فصوص الحكم) عديم المثل والنظير مثل القرآن، كما سبق تقريره، وإن لم يكن (الكلام) واقعا ولا مطابقا

(١) نقلا عن: القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٣١٣

ويكون افتراء على النبيﷺ وعلى نفسه، فحينئذ الكتاب لا بد وأن يكون لأحد: إما للنبي أو له أو لغيرهما؛ فإن كان للنبي، فالمراد حاصل؛ وإن كان له، فهذه فضيلة أخرى ثابتة له مع كل فضيلة، ويكون الغرض من نسبته إلى الرسول ﷺ ترغيب الخلق إليه وتحريضهم لديه، وهذا ليس بمذموم عقلا ولا شرعا، بل هو محمود عقلا وشرعا، لأنه من المرغبات، المرغبة إلى الله تعالى وإلى طريق عباده، وإن كان (الكتاب) لغيره دون الرسول، ونسبه إلى نفسه، فالكتاب في نفس الأمر معتبر شريف؛ غاية ما في الأمر أن يكون هو، في هذه النسبة، معلوما مذموما في العرف والعادة، وهذا غير قادح في فضيلته وفضيلة الكتاب، وحاشا من صدور مثل هذا من مثله، وهذه كلها تقديرات عقلية، وفروض تقديرية من حيث التقاسيم العقلي؛ وإلا في الواقع، فلا وجود لها جل شأنه عن أمثال ذلك)[1]

قال آخر: وقد استدل لذلك بدليل أخطر من هذا، فقال: (ووجه آخر: وهو أن الشيخ ولي من أولياء الله تعالى؛ والولي لله تعالى لا يقول إلا الواقع، لأن صدور الكذب منه مستحيل، أما بيان الأول وهو أن الولي الحقيقي لا يقول إلا الواقع فلأن الولي الحقيقي هو الذي يكون الحق تعالى سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله.. وكل من كان الحق تعالى سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله لا يقول إلا الواقع، المطابقة، الصحيح.. وأما بيان الثاني وهو أن صدور الكذب منه مستحيل فقد ثبت بالدلائل العقلية والبراهين القطعية، أن الإنسان الكامل أفضل من الملك وأشرف منه.. والإنسان الكامل الذي هو وليه وحبيبه وخليفته أولى بذلك.. والشيخ الحاتمي من الأولياء الكبار، فلا يكون كاذبا في قوله أصلا. وهذا هو المراد)[2]

قال آخر: وقد عقد مبحثا لإثبات ولاية ابن عربي، بل بيان أنه من أولياء الله الكبار،

---

(١) القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٣١٥

(٢) القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٣١٧

وقدم له بقوله: (اعلم أن معرفة الأولياء الذين كانوا قبلنا، ما حصلت لنا إلا من أقوالهم وأفعالهم؛ وكذلك معرفة الأنبياء والرسل عليهم السلام حتى معرفة الله تعالى، فإنها ما حصلت لنا إلا بقوله الذي هو الكتاب، وفعله الذي هو العالم. فمعرفة الشيخ الأعظم أيضا، لا تكون إلا بقوله وفعله، ومهما قد ثبت ولايته عند أهله، من أهله، من أهل الذوق والشهود، فيكون وليا بلاخلاف.. واختلاف الخصم فيه لا يدل على خلافه في نفس الأمر، لأن كل ما ثبت عند البعض، لا يلزم أن يثبت عند الكل، لأن القرآن، مع عظمة قدره وجلالة شأنه ومع أنه خبر قاطع نور ساطع، ما ثبتت حقيقته عند الكل، بل عند البعض من المسلمين المحققين.. وإلى الآن أكثر الناس على إنكاره، وأنه سحر وشعر، كالنصارى واليهود والمجوس وأمثالهم، والحاصل أنه لا يعرف الأهل إلا الأهل؛ ولا يعرف الحق إلا الحق.. لكن الخصم حيث ما يعرف هذا المعنى، ولابد له من الدلائل العقلية والشواهد النقلية قولا وفعلا، نريد أن نشرع في إثبات ولايته، في ضمن هذا الوجه بأقواله الدالة عليه، وفي الوجه الثاني بأفعاله الدالة أيضا عليه كذلك، لأن المعرفة كما بيناها)(١)

قال آخر: وبناء على هذا ذكر الكثير من الأدلة على ولاية ابن عربي، وأولها وأعظمها شهادته لنفسه، وقد قال في ذلك: (اعلم أن أقوال ابن عربي كثيرة من التصانيف والكتب المشهورة، المنسوبة إلى حضرة الرسول ﷺ كنسبة القرآن إلى الرسول؛ فإن القرآن وصل إلى النبي ﷺ على يد جبريل، و(الفصوص) وصل إليه (إلى الشيخ ابن العربي) على يد النبي ﷺ، والنبي ﷺ أعظم من جبريل، لكن حيث إنه (كتاب الفصوص) منسوب إلى حضرة الرسالة، ما نعده من كتبه الخاصة، و(الفتوحات) كتاب معتبر، وهو في الأصل بخط الشيخ، كتبه في اثنين وثلاثين مجلدا؛ والآن يكتبونه في أقل من ذلك أو أكثر، وهو كتاب مشتمل على خمس

---

(١) القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٣٢٠

مائة وستين بابا، كل باب منها هو كتاب برأسه؛ مجموع ذلك في الأسرار الإلهية والحقائق الربانية، بحيث ما سبقه أحد من المشايخ والعلماء، المتقدمين منهم والمتأخرين، وهو نزل على قلبه الشريف إجمالا في ليلة واحدة بمكة، شرفها الله تعالى، وصار مأمورا بكتابته على سبيل التفصيل، فكتبه بمدة وبعثه إلى قونية بالروم إلى الشيخ الأعظم الكامل صدر الحق والدين القونوي قدس الله سره كما ذكره في أوله.. وكل من يحصل له الإطلاع على سر ذلك الكتاب، على ما ينبغي، يشهد بولايته من غير شك ولا ريب، وقد ذكر فيه فصولا تدل على ولايته وختميته للولاية)[1]

قال آخر: ومن أعظم الأدلة التي استند إليها في إثبات ولايته وعصمته، ما عبر عنه بقوله: (وقد جرت له قصة غريبة فيه (يعني في الفتوحات) وهي تشهد بولايته أيضا من غير شبهة، لأنه ما يمكن اظهار مثل ذلك إلا من نبي أو ولي أو إمام خليفة، وهي أنه لما فرغ كتابته، وتممه من حيث الكتابة وبعثه إلى الروم، على ما سبق، وبعده توجه إلى الشام مع نسخة الأصل، حصل للقفل الذي كان فيه نكبة، وضرب عليهم طائفة من الحراميين فنهبوهم بأسرهم، وأخذوا منهم جميع ما كان معهم من النقد والجنس، وكان من جملة ذلك ما كان مع الشيخ من الكتب والثياب؛ فلما وصل إلى الشام والحال هذه صعب ذلك على أصحابه عموما ومريديه خصوصا، لأنهم كانوا سمعوا بذكره (يعني بذكر الفتوحات) صاروا منتظرين، فرحين بوجوده؛ فلما رأى الشيخ حالهم على هذه الصورة، قال لهم: لا تغتموا بفقده، فإني أكتب لكم النسخة بعينها من غير زيادة ولا نقصان، فشرع وكتب لهم النسخة من ظهر قلبه، بلا رجوع إلى شيء من الكتب، وفرغ منها.. وبعد أيام حصل لملك تلك البلاد الظفر بهؤلاء الحراميين، وقبضوا عليهم، وأخذوا منهم كل ما أخذوا من القفل،

(١) القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٣٢٤

وردوا كل شيء إلى صاحبه، حتى ما كان للشيخ من الكتب والثياب؛ فقابل أصحابه النسخة المقصودة، التي كانت هي الأصل، بالنسخة المذكورة، فما وجدوا بينهما تفرقة، لا بزيادة ولا بنقصان، إلا بفوت واو العطف عن بعض المواضع؛ فتعجبوا من هذا، وجزموا بأجمعهم على ولايته وخاتميته للولاية أيضا، كما ادعى هو لنفسه في الفتوحات)(١)

قال آخر: ومن الأدلة التي ذكرها على ولايته وعصمته قوله: (فأما قوله الصريح في ذلك، وهو ما ذكر في (الفتوحات) المذكورة في الباب الخامس والستين في معرفة الجنة، من المجلد الأول، بعد كلام طويل: (ولقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع، وأخذتها بشرى من الله تعالى، فإنها مطابقة لحديث نبوي عن رسول الله ﷺ حين ضرب مثله في الأنبياء عليهم السلام فقال: مثلي في الأنبياء كمثل رجل بني حائطا فأكمله إلا لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللبنة، فلا رسول بعدي ولا نبي، فشبه النبوة بالحائط، والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط، وهو تشبيه في غاية الحسن؛ فإن مسمى الحائط المشار إليه، لم يصح ظهوره إلا باللين، فكان ﷺ خاتم النبيين؛ فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسماية؛ أرى فيها، فيما يرى النائم، الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب: لبنة فضة ولبنة ذهب، وقد أكملت بالبناء، وما بقي فيها شيء؛ وأنا أنظر إليها وإلى حسنها؛ فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والركن الشامي، وهو إلى الركن الشامي أقرب فوجدت موضع لبنتين، لبنة فضة ولبنة ذهب، ينقص من الحائط في الصفين، في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة؛ فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين؛ وكمل الحائط، ولم يبق في الكعبة شيء ينقص، وأنا واقف، أنظر وأعلم أني واقف، وأعلم أني عين تينك اللبنتين، لا أشك في ذلك، وأنهما عين ذاتي، واستيقظت، فشكرت الله

---

(١) القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٣٢٤

تعالى، وقلت متأولا: إني في الأتباع، في صنفي، كرسول الله ﷺ في الأنبياء وعسى أن أكون ممن ختم الولاية بي.. وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط، فإنه كان تلك اللبنة؛ فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة، من أهل توزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وما سميت له الرائي من هو؛ فالله أسأل أن يتمها على بكرمه، فإن الإختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل)(١)

قال آخر: ومن أعظم الأدلة على ذلك ما ذكره بعض شيوخنا الكبار أن الشيخ الأكبر وضع كتاب الفتوحات في مكة المكرمة، ثم بسط جميع أوراقه على سقف الكعبة وتركها سنة لتمحي المطالب الباطلة منها إن وجدت بهطول الأمطار فيتشخص الحق منها عن الباطل وبعد سنة من هطول الأمطار المتعاقبة جمع تلك الأوراق المنشورة شاهد أن كلمة واحدة منها لم تمح ولم تغسل(٢).

قال آخر: بل إن الغلو وصل بنا إلى درجة تعظيم صورته الجسدية، وذكر أنه اختص بها وحده مع رسول الله ﷺ وأنه لا يشبههما في ذلك أحد، وقد قال بعضهم في مقدمة فصل خاص بذلك: (و هذا الباب قد اعتنى به جم غفير، وجمع كثير من فرسان أصحابه، وأعيان أحبابه، أذكر منه اليسير، معرفا بالعجز والتقصير)(٣)، ثم قال: (اعلم أيدك الله بتوفيقه، وأراك الحق بتحقيقه أن علماء التاريخ ذكروا أنه الشيخ الإمام، قدوة الأنام، عمدة الأحكام، النور البسيط، البحر المحيط، ذو المواهب الإلهية، والعطايا القدسية، مفتي الطريقين، حجة الفريقين، سلطان العارفين، برهان المحققين، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي، المشهور بابن العربي، أفاض الله علينا

---

(١) القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٣٢٨

(٢) القول المتين فى تشيع الشيخ الأكبر، ج٢، ص ٢١٥

(٣) النور الأبهر فى الدفاع عن الشيخ الأكبر، ص ٢٤.

من بركات أسراره الطاهرة الزاهرة، ما يبلغ بنا صلاح الأحوال، وفلاح الأقوال في الدنيا والآخرة.. لم يكن بالطويل، ولا بالقصير، لين اللحم، بطنه بين الغلطة والرقة، أبيض، مشرب بحمرة وصفرة، معتدل الشعر طويله، ليس بالسبط ولا بالجعد، ولا بالقطط، أسيل الوجه، أعين، معتدل اللثة، ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صافيه، أغلظ منه، وما ورق في اعتداله، طويل البنان، سبط الكف، قليل الكلام والضحك؛ إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء، في نظره قدع، ومشيه ليس بعجلان ولا بطيء)[(١)]

ثم عقب على ذلك بقوله: (وقد أجمع علماء الفراسة على أن هذه الهيئة أحسن الهيئات، وأعدل النشئات، ولم تصح هذه الهيئة إلا لرسول اللهّ ﷺ، وللشيخ محيي الدين رضي اللهّ عنه)[(٢)]

قال آخر: بل إن مشايخنا الفانين فيه يزعمون له ما لا يزعمون للرسل عليهم السلام أنفسهم، فقد روى بعضهم في كراماته، قال: (كان بخرسان شخص يكثر من ثلب الشيخ محيي الدين ويؤذيه ويؤذي من ينتمي إليه بكل طريق خارج فاحش، فأكثر المؤمنون الشكاية منه إلى الشيخ إلى أن قالوا: لا صبر لنا على هذا، إلى أن جاء الأمر إلى الشيخ بانفاذ القدر، فقال لشخص ناولني الخنجر الذي من صفته كيت وكيت ولم يكن يعرفه، وأخذ ورق قد قصت على شكل إنسان فذبحها بالخنجر، وقال: يا جماعة قد ذبحت هذه الساعة ذلك الرجل المتعدي علينا بخرسان، وقد رفعت جسرا من سقفه داره عن الجدار، ووضعت الخنجر تحته لا يرفعه أقل من عشرين رجلاً، وكتبت على الخنجر بدمه: ذبحه محيي الدين بن عربي، فذهب من حضر ذلك من الشاكين فوجدهم في خرسان يقولون: ذبح فلان في

---

(١) النور الأبهر فى الدفاع عن الشيخ الأكبر، ص ٢٤.

(٢) النور الأبهر فى الدفاع عن الشيخ الأكبر، ص ٢٤.

اليوم الفلاني في تلك الساعة بعينها، فأخبروهم بالقصة، فخلص كثير التهمة ورفعوا رأس الجسر كما ذكر، فوجدوا الخنجر والكتاب)[1]

قال آخر: وقد صار هذا الفعل سنة لدينا، بدل سنن النبي ﷺ الداعية للتسامح والسلام، فقد جاء في بعض كتبنا: (إذا صورت من تريد قتله من الفاسقين داخل المخمس وجعلت حرف الطاء موضع الجلوس موضع قلبه، ثم خذ خنجرا من الحديد الخاص نصله ونابه وانقش عليه ستة عشر طاء هندية سطرا واحدا في يوم الثلاثاء ساعة المريخ فإن المطلوب يهلك في وقته وساعته)[2]

قال آخر: والأدهى من ذلك أننا كنا نقبل كل ما يقال من عجائب شيوخنا، ونخشى أن تصب علينا أي داهية إن لم نسلم بذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما كنا نرويه عن بعض شيوخنا أنه (كان كثير التطورات تدخل عليه بعد الأوقات تجده جندياً، ثم تدخل فتجده سبعاً، ثم تدخل فتجده فيلا، ثم تدخل فتجده صبياً، وهكذا ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء، وكان يقبض من الأرض، ويناول الناس الذهب والفضة، وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول: هذا كيماوي سيماوي)[3]

٤. الكشف والإقصاء:

بعد أن ذكر الشيوخ التائبون كل ما كانوا قد وقعوا فيه من انحرافات بسبب تقليدهم لشيوخهم، قام أحدهم، وقال: ليت الأمر اقتصر على الفضول والتكلف الذي وقع فيه المتجرئون على تفسير حقائق الدين بتلك التفاسير، وإنما تعداه إلى أمور أكبر من ذلك كله، وأولها إقصاء النبوة، وإقصاء القرآن الكريم، واستبدالهما بما وجده أسلافنا في تراث

---

(١) جامع كرامات الأولياء، ١/ ١٦٢.

(٢) الكبريت الأحمر، ص ٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى ص ٤٠٣.

وأساطير الأمم الأخرى، مثلما حصل للحشوية تماما.

أ. إقصاء النبوة:

قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فما تريدون بإقصاء النبوة؟

قال أحد الشيوخ: هو التهوين من شأنها، ولذلك اعتبرنا العقائد التي جاء بها رسول الله ﷺ، والواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة عقائد عوام، واعتبرنا ما أدانا إليه الكشف عقائد خواص، وبدل أن نسمي أنفسنا بتسمية الله لنا [مؤمنين] رحنا نتميز عنهم بلقب [العارفين]

قال آخر: بل إن الجرأة وصلت ببعض مشايخنا إلى ادعاء استفادة رسول الله ﷺ والأنبياء معارفهم من مشايخنا، ونستدل لذلك بما قاله شيخنا لأكبر في الفص الشيثي: (فإن الرسالة والنبوة ـ أعني نبوة التشريع ورسالته ـ تنقطعان، والولاية لا تنقطع ابداً؛ فالمرسلون مع كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء؟ وان كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم، وفي تأبير النخل)[1]

قال آخر: انظروا.. فهذا النص واضح جدا في الدلالة على كون شيخنا الأكبر يفضل الرسول على الولي في كونه صاحب تشريع، يجب على الولي اتباعه فيه، لكنه يجعل من الرسول تابعا للولي أو لختم الأولياء في الإنباء عن الحقائق لأنه لا يمكن أن يطل عليها إلا من مشكاته كما يذكر، وبذلك هو تابع له فيها.

---

(١) جواهر النصوص في شرح الفصوص، ج ١، ص ١٥١

قال آخر: وهكذا عند ذكره لطاقات الأولياء؛ فإنه يجعل لهم منها ما ليس لجبريل عليه السلام نفسه، فقد نقل الشعراني في عقيدة الأكابر عنه قوله: (إن في قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره أن يظهر في صورة غيره من البشر، وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل أن يظهر في صورة إسرافيل، ولا عكسه فعلم أن في قوة الإنسان ما ليس في قوة الملك)[1]، وهذا يعارض أو يزاحم ما ورد في القرآن الكريم من التصريحات المنبئة عن قوة الملائكة عليهم السلام، وخصوصا جبريل عليه السلام الذي وصفه بقوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥ ـ ٦]

قال آخر: ومثل ذلك ذكره للمشاهدات الكثيرة التي حظي بها، والتي لم تذكر للأنبياء عليهم السلام أنفسهم، كقوله ـ مثلا ـ عن أصحاب الكهف تعليقا على قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨]: (فإنه ﷺ لا يملأ مع شجاعته وحماسته رعبا إلا من شيء يهوله، فلو لم ير منهم ما هو أهول مما رآه ليلة إسرائه ما امتلأ رعبا، وقد رأيناهم، وما ملئنا رعبا، لأنا ما شهدنا منهم إلا صور أجسامهم، فرأيناهم أمثالنا، فما ينهزم ﷺ إلا من أمر يريد إعدامه لا عن رؤيته أجسامهم، أليسوا أناسيّ مثله؟)[2]

قال آخر: للأسف.. لقد كانت عقولنا مستلبة منا بسبب ذلك التسليم المطلق الذي تصورناه تسليما لله، وهو في حقيقته تسليم للأهواء، وإلا فإننا في ذلك التسليم كنا نخالف مخالفة صريحة ما ورد في القرآن الكريم من تعظيم النبوة، والطاعة المطلقة لها.

قال آخر: ومن ذلك قوله تعالى في الدعوة للتسليم لرسول الله ﷺ وقرن طاعته بطاعة

---

(١) اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر، ص ٣٩٣.

(٢) الفتوحات المكية ٣/ ٥٤٦.

الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] فهذه الآية الكريمة تدعو كل من يدعي محبة الله إلى الاتباع المطلق لرسول الله ﷺ، فكل من ينحرف عنه كاذب أو مقصر في ادعائه.

قال آخر: ولذلك قال تعالى في الآية التي تليها: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، فقد قرن طاعة لله بطاعة الرسول ﷺ.. واعتبر التولي عنهما كفرا.

قال آخر: ودعا في آية أخرى إلى التسليم المطلق لرسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فالله تعالى يقسم في هذه الآية على أن أولئك الذين رغبوا عن التحاكم إلى الرسول، ومن ماثلهم من المنافقين، لا يؤمنون إيمانا حقا إلا إذا كملت لهم ثلاث خصال: أن يحكموا الرسول في القضايا التي يختصمون فيها، ولا يبين لهم فيها وجه الحق.. وألا يجدوا ضيقا وحرجا مما يحكم به، وأن تذعن نفوسهم لقضائه إذعانا تاما دون امتعاض من قبوله والعمل به، لأنه الحق وفيه الخير.. وأن ينقادوا ويسلموا لذلك الحكم، موقنين بصدق الرسول في حكمه، وبعصمته عن الخطأ.

قال آخر: وهكذا ينفي الله تعالى الإيمان عمن لم يذعن الإذعان التام للنبوة، ومن دون أن يختار معها، أو يرى لنفسه رأيا مقابل ما تأتي به، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾ [الأحزاب:٣٦]

قال آخر: وهكذا يعتبر مبدأ الفتن مخالفة النبوة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]

قال آخر: وهكذا يعتبر كل هدي مخالف للنبوة أو مزاحم لها هوى يجب الحذر منه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨]، وقال: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩]

قال آخر: وهكذا نجد أحاديث رسول الله ﷺ تحذر بشدة من كل انحراف عن النبوة، أو اتباع لغيرها، ففي الحديث أن بعض الصحابة جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لى من بنى قريظة، فكتب لى جوامع من التوراة. ألا أعرضها عليك؟ فقال: فتغير وجه رسول الله ﷺ، قال عبد الله: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً. قال: فسرى عن النبي ﷺ، ثم قال: (والذي نفس محمد بيده، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين)[1]

ب. إقصاء القرآن:

قام أحد الحضور، وقال: عرفنا المراد بإقصاء النبوة.. فما تريدون بإقصاء القرآن الكريم؟

قال أحد الشيوخ: لقد رحنا إلى حقائق القرآن الكريم الواضحة البينة السهلة، نعقدها، ونملؤها بالغموض، لنصرف الأذهان عن معانيها المرادة؛ فيصبح القرآن الكريم مجرد كسوة لما نريده، لا لما يريده الله.

---

(١) روه أحمد: ٤/ ٢٦٥.

قال آخر: ولذلك كنا نتكلف في تفسير الآيات بحسب ما يخطر على بالنا غير مراعين لما ورد فيها من معان، ولا مراعين لما دلت عليه اللغة منها.

قال آخر: وبذلك أقصينا الحقائق القرآنية لتبديلنا لها بالمعاني التي نريد، لا بالمعاني التي يريد الله إبلاغها لعباده.

القصص القرآني:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك تلاعبنا بالقصص القرآني الذي جعله الله عبرة وهداية، حيث حولناه عن المقاصد التي قصدها الله تعالى من قصها علينا.

قال آخر: بل رحنا إلى تلك الجواهر الكريمة المتمثلة في الأنبياء والهداة الذين ذكر الله تعالى إيمانهم وتقواهم وصلاحهم وتفانيهم في دعوتهم لربهم، واستعمالهم كل الوسائل لذلك، لنجعل لهم معاني أخرى لا علاقة لها بالمقاصد القرآنية، ولا أثر لها في تحقيق أغراضها.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٩ ـ ٦١]، فقد قال: (نوح ممثل الاسم العليم الذي صدر عن الجمعية الأسمائية ليمارس إمكاناته المخزونة فيه، فنوح مثل آدم، وقوم نوح يمكن تأويلهم على أنهم الكثرة المتفرعة من الوحدة، أو أنهم قوى الحواس باطنة وظاهرة بالإضافة إلى النفس في عروجها وتقلبها، فخطاب نوح خطاب الضمير إلى النفس، أو خطاب النبي إلى الناس.. ورد الملأ أي الأشراف بأنهم يروا نوحا في ضلالة هو موقف العامة من النبي عادة، كما فعلت بنو إسرائيل بأنبيائهم، أو إعراض النفس عن سماع صوت الضمير وبقاؤها في

ضلالها وانغماسها في الشهوات)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، فقد قال: (ناقة الله الجسم الكلي، وهو الهيولى أو عالم العناصر، والمخلوق الذي نفخ فيه من روح اسمه سبحانه الحي.. فالدابة كل ما يرى المكاشف بعد خروجه من شرنقة نفسه وبعد التفكر في خلق السموات والأرض.. وأكل الدابة في أرض الله ما يناله العقل الهيولاني من ملاقط الحواس ظاهرة وباطنة، إذ أنه سبحانه ما خلق عقل الدابة إلا ليعقل عالمه الظاهري هذا، ويستخرج معقولاته منه.. وقوله: ﴿ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾ يعني عدم حشر العقل الهيولاني في حدود تؤذيه، فهذا العقل مسخر بالفطرة لمعرفة الله، وكل سعي إلى معرفة لا تؤدي إلى معرفة الله هو بمثابة مس هذا العقل بسوء، فالكافر المحجوب أضل سبيلا من الأنعام غير العاقلة التي تملأ الأرض)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، فقد قال: (المكيال والميزان يمثلان وجهي وشطري الحق والخلق، فمن جهة فالكون هو حق باعتبار الحق أصلا وأساسا، ومن جهة فالكون خلق باعتبار الخلق ظهور الحق.. وهذا القديم والمحدث، واللانهائي والنهائي، والثابت والمتحول والسرمدي والفاني هو ما شكل بنية الوجود كوجود مطلق رمز إليه بالمكيال)[3]

---

(١) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: ١/ ٢٥٠.

(٢) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: ١/ ٢٥٣.

(٣) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: ١/ ٣٧٣.

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، فقد قال: (أنباء الرسل أنباء الكشوفات الفائضة عن عالم الذات، إذ كل رسول مظهر لهذا العالم، فعالم الذات واحد والمظاهر كثيرة.. والتثبيت تمكين العارف وذلك بأن يرى ويسمع ويقرأ عن الأنبياء والأولياء الذين عاشوا تجربة المعراج العظيم، والمعراج واحد، وكل نبي له فيه مقام معلوم كما ورد في حديث النبي عن المعراج، فما من نبي ولا ولي محقق إلا شرب من العيون التي شرب منها العارفون السابقون، فالمعين واحد، والواحد هو لا إله إلا الله)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]، فقد قال: (الإخوة بقية الأسماء، إذ الأسماء كلها حضرة وجودية جامعة، تتنافس الأسماء فيها ليحتل كل منها المنصب الأسمى، لكن الاسم العليم هو الذي تكون له الصدارة، إذ أن من صفاته سبحانه السبع العلم، وهي صفة تلي في المرتبة الحياة، كما تحدثنا عن الحضرة العلمية التي هي أصل الوجود العياني وأساسه)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]، فقد قال: (قول الأسماء العلمية لبعضها بعضا إن الاسم العليم، وهو ما رمز إليه بمقام يوسف، هو أحب إلى الأب الذي هو الروح الفاعل في الإنسان، فهو لهذا بمثابة الأب.. ولهذا غارت الأسماء من الاسم العليم، إذ لا يساوي في الوجود شيء قيمة العلم وأهل العلم)[3]

---

(١) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: ١/ ٣٧٩.

(٢) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: ١/ ٣٨٠.

(٣) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: ١/ ٣٨٠.

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، فقد قال: (إسماعيل إشارة إلى أسماء إله التوحيد (عيل) الذي عبد في زمن إبراهيم وقبله في بلاد ما بين النهرين وما حولها، ومنها هاجر إبراهيم إلى فلسطين فالحجاز، وهذه الأسماء هي التي مثلها الإنسان الكامل المتعين في بشر كما تعينت الحقيقة المحمدية في شخصية النبي ﷺ لما سويت بشرا ولهذا الوصف نكتة.. ذلك أن الاسم هو مثل السجل المطوي متى فتح نشر ما فيه، وما فيه هو خروج ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل، وعليه فلا يكون الاسم إلا صادقا أولا وصادق الوعد ثانيا، فإذا صور اللهّ الإنسان وهو في بطن أمه في صورة العفة فيكون ذلك الإنسان بعد ذلك عفيفا طوعا أو كرها، وهذه هي حقيقة القضاء والقدر التي قضت بأن يمثل الناس حقائق الأعيان الثابتة من الأسماء الإلهية)[1].. هل رأيتم كيف يتهم الله تعالى بالجبر، وكيف يسيء فهم القضاء والقدر؟

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]، فقد قال: (أهل إسماعيل إشارة إلى حواسه وقواه، فإسماعيل هو مثل القلب الذي استمد قواه من الروح فأمر دماغه وما في دماغه من قوى بأن تعمل كذا وكذا، وما أمر به إسماعيل دماغه الصلاة، أي أن يكون الإنسان جسما وقلبا ذا صلة بربه لا تنحل عراها، وما أمر به أيضا الزكاة، أي أن يحصل المعقولات بعد تجريدها لتقديمها زكاة إلى اللهّ الذي سيجعل هذه المعقولات جواهر تزين تاج الألوهية العظيم، وكون إسماعيل مرضيا يعني أنه من المصطفين بالعناية المسبقة، فإسماعيل هو من السعداء وهو في بطن أمه)[2]

---

(١) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٥٦٦.

(٢) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٥٦٦.

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ ـ ٥٧]، فقد قال: (قيل: إن إدريس هو مثل إلياس الوارد ذكره في الكتاب، والذي يمثل الإنسان الذي تحرر من سجن الناسوت، وعرج بروحه إلى رفيع اللاهوت ليسبح في ذلك الملكوت، فإلياس وإدريس وغيرهما من العارجين من الأنبياء الموحدين يمثلون الإنسان الذي حقق مقام التأله، فصار جسمه هيكلا يحوي اللاهوت العظيم، قال عبد الكريم الجيلي: إذا طمس النور العبدي، وفني الروح الخلقي، أقام الحق سبحانه في الهيكل العبدي، من غير حلول، من ذاته لطيفة غير منفصلة عنه، ولا متصلة بالعبد، عوضا عما يسلبه منه، لأن تجليه على عباده من باب الفضل والجود، وتلك اللطيفة هي المسماة روح القدس، فإذا أقام الحق لطيفة من ذاته عوضا عن العبد، وكان التجلي على تلك اللطيفة، فما تجلى إلا على نفسه، لكنا نسمي تلك اللطيفة الإلهية عبدا باعتبار أنها عوض عن العبد، وإلا فلا عبد ولا رب، إذ بانتفاء المربوب انتفى اسم الرب، فما ثمة إلا اللهّ وحده الواحد الأحد)(١)

الآيات الكونية:

قال آخر: ومثل ذلك كنا في تفسير الآيات التي استعرض الله تعالى فيها نماذج عن قدرته من خلال عرض بعض الأمثلة والنماذج عن مخلوقاته والقوانين التي نظم بها كونه، فبدل البحث فيها بما يقتضيه العلم، أو الاكتفاء منها بالتسليم لله تعالى، أو لما ورد في السنة المطهرة الصحيحة الموافقة للقرآن من تفسيرها، راح المفسرون الذين نعتمد على تفاسيرهم في فهم القرآن الكريم يزجون فيها أوهامهم التي يسمونها إلهاما وكشفا، وهي ليست سوى من تلك العلوم القديمة التي ورثوها من الأمم الأخرى.

---

(١) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٥٦٧.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، فقد قال: (اعلم أيّدك اللهّ أنّه لمّا مضى من عمر العالم الطبيعيّ المقيّد بالزّمان المحصور بالمكان إحدى وسبعون ألف سنة من السّنين المعروفة في الدّنيا وهذه المدّة أحد عشر يوما من أيام غير هذا الاسم ومن أيام (ذي المعارج) يوم وخمسا يوم، وفي هذه الأيّام يقع التّفاضل.. فأصغر الأيّام هي الّتي تعدها (نعدها) حركة الفلك المحيط الّذي يظهر في يومه اللّيل والنّهار، فأقصر يوم عند العرب، وهو هذا، لأكبر فلك، وذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك، إذ كانت حركة ما دونه في اللّيل والنّهار حركة قسريّة له قهر بها ساير الأفلاك الّتي يحيط بها.. ولكلّ فلك حركة طبيعيّة تكون له مع الحركة القسريّة، فكلّ فلك دونه ذو حركتين في وقت واحد: حركة طبيعيّة وحركة قسريّة، ولكلّ حركة طبيعيّة في كلّ فلك يوم مخصوص يعدّ مقداره بالأيّام الحادثة عن الفلك المحيط، المعبّر عنها بقوله: ﴿ممّا تعدّون﴾، وكلّها تقطع في الفلك المحيط، فكلّما قطعته على الكمال، كان يوما لها ويدور الدور، فأصغر الأيّام منها هو ثمانية وعشرون يوما (مما تعدّون)، وهو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط.. ونصب اللهّ هذه الكواكب السّبعة في السّموات، ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط، لتعلم (لنعلم) عدد السّنين والحساب، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].. فكلّ كوكب منها يوم مقدّر يفضل بعضها على بعض، على قدر سرعة حركاتها الطبيعيّة، أو صغر أفلاكها

وكبرها)[1]

قال آخر: ومثل ذلك ما قاله في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، فقد قال في تفسيرها: (﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أي: الجهة السفليّة التي هي العالم العنصريّ جميعا لكونها مبادئ خلقكم وموادّ وجودكم وبقائكم ﴿ثُمَّ اسْتَوى﴾ أي: قصد قصدا مستويا إلى الجهة العلوية، وثم للتفاوت بين الجهتين والإيجادين الإبداعيّ والتكويني لا للتراخي بين الزمانين ليلزم تقدّم خلق الأرض على السماء؛ فعدّلهنّ سبع سموات بحسب ما تراه العامة، إذ الثامن والتاسع هو الكرسيّ والعرش الظاهران.. والحقيقة أنّ الجهة السفليّة هي العالم الجسمانيّ كالبدن وأعضائه لدنوّ رتبته بالنسبة إلى العالم الروحانيّ الذي هو الجهة العلوية المعبر عنها بالسماء.. وثم للتفاوت بين الخلق والأمر، وسواهنّ سبع سموات إشارة إلى مراتب عالم الروحانيات، فالأول: هو عالم الملكوت الأرضية والقوى النفسانية والجنّ.. والثاني: عالم النفس.. والثالث: عالم القلب.. والرابع: عالم العقل.. والخامس: عالم السرّ.. والسادس: عالم الروح.. والسابع: عالم الخفاء الذي هو السرّ الروحيّ غير السرّ القلبيّ)[2]

الأحكام والشرائع:

قال آخر: وهكذا كنا نتلقى منهم التفاسير المرتبطة بالأحكام والشرائع ونحوها، والتي لم يكن يضبطها عندهم أي ضابط، لا من اللغة ولا من أقوال الفقهاء ولا من غيرها؛ فكل ما يخطر على بال أي منهم يذكره، من دون مراعاة لقدسية المعاني القرآنية ودلالاتها الواضحة.

---

(١) تفسير المحيط الأعظم، ج٢، ص ٣٧.

(٢) تفسير ابن عربى (تأويلات عبد الرزاق)، ج١، ص ٢٥.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فقد قال: (الحج والعمرة القصد والسفر إلى الله تعالى، والحصر يكون من قبل العدو، فيكون المعنى الحيلولة بين المرء وقلبه وهو عدوان الحواس، والمداواة تكون بذبح النفس، أي التضحية بها، أي تجاوز الأنا الجزئية إلى الأنا الخالصة، أما إذا اشتكى صاحب الأنا رأسه، أي حال بينه وبين التضحية بأنانيته حائل، فإنه يعوض عن التضحية بالصوم أو الصدقة أو النسك، والثلاثة أسباب لإتمام التضحية بالنفس عن طريق متابعة المعراج إلى سموات المعقولات وصولا إلى كعبة الذات، وصوم ثلاثة أيام في الحج، وسبعة أيام بعده، والمجموع عشرة أيام، هذا الصوم يكون بمثابة صوم حاسة من حواس الجسم التي مجموعها عشرة، الظاهرة والباطنة، وهذه الحواس جسور النفس إلى عالم المحسوسات، فلا غنى عنها، وهي مطية إن صلحت، وبلاء إذا طغت)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فقد قال: (المطلقات إشارة إلى أصحاب النفوس الجزئية من بعد ما بعد بينهم وبين الروح الفاعل، والقرء الحيض،

---

(١) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٣٩.

والإشارة إلى الروح الحيواني المحرك للحواس الظاهرة ومعها الشهوة والغضب.. وعدم كتم ما خلق اللهّ في الرحم إشارة إلى دعوة الحق صاحب الفتح إلى نشر علومه، إذ الرحم هنا رحم الطبيعة، وهي كناية عما يجعل اللهّ في هذه الرحم من علم مطوي قابل للنشر، إذ الطبيعة كلها محل لانتشار العلم الإلهي، ولطيفة كون الخطاب موجها إلى الإناث الأزواج كون القلب محل الانفعال بالنسبة إلى صاحب الفعل وهو الروح، ولهذا فضل سبحانه الرجال على النساء، وجعل لهم عليهن درجة، ومن هذه الرؤية فإن كل مخلوق هو رحم يضع اللهّ فيها أو فيه علومه)(1)

قال آخر: وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهَّ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهَّ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 230]: (الطلاق ثلاثا ترك القلب في عالم المحسوسات، ولطيفة عدم جواز عودة المطلقة ثلاثا إلى زوجها إلا بعد أن تنكح زوجا غيره كون الرحم بحاجة إلى مدد من العالمين الخارجي والباطني، فمن دون مساس العالم الخارجي لا يلقح القلب، كما يلقح الزهر، بأنواع العلوم، ومن دون هذا التلقيح لا يتم تفتح الزهر، وعقده بفعل الروح الداخلي، فالأمر بين فعلين ووسيطين، ومن المستحيل تفتيق معقولات الروح من دون حدوث زواج بين الروح والقلب من جهة، وبين القلب والنفس من جهة أخرى، ومن أجل هذا خلق اللهّ آدم عليه السّلام، وجعل منه حواء النفس، وأهبطهما إلى أرض العناصر ليتم تحقيق ما خلق اللهّ آدم من أجله)(2)

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا

(1) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: 1/ 46.

(2) التفسير الصوفى الفلسفى للقرآن الكريم: 1/ 46.

تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فقد قال: (الوالدات الأسماء الحسنى، أو المعقولات الكليات، أو الأعيان الثابتات.. وهي الحجب التي أسدلها الحق بينه وبين خلقه بقصد التعليم، وإلى ذلك أشارت الآية بإرضاع الوالدات الأولاد، فالعقل يأخذ من الخارج الانطباعات الحسية، ولكن الأعيان الثابتة تثبت هذه الانطباعات في كليات سميت في الفلسفة الأفكار القبلية، وما تميز الإنسان عن الحيوان إلا بحدوث عملية غربلة الانطباعات الحسية وتصنيفها إلى صفات معقولة من قبل القلب.. فالعلة والمعلول وجها قطعة نقود واحدة، وكلا الوجهين مظهر للحق سبحانه)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فقد قال: (تربص الأرامل بأنفسهن ما يحمله القلب من آثار الإشراقات الروحية بعد الاتصال بالروح الكلي الذي هو روح القلب، والتربص ضروري لظهور الحمل بعد التلقيح النفثي، والعارف الواصل بحاجة إلى هذه المدة كي يسفر حمله ويظهر، بعد أن يكون قد عاش تجربة الذوق العظمى التي لا تبقي ولا تذر)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا

---

(١) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٤٧.

(٢) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٤٧.

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، فقد قال: (طلاق النساء بمثابة الانفصال عن الكليات بعد إتمام تجريدها، فالكليات حجاب إذا لم يتجاوزها المؤمن إلى ما بعدها أي الحق، والآية لم تبخس الكليات ما لها من حق على القلب، إذ لو لاها ما وصل القلب إلى أفق الروح، ولا تعرف ولا رأى جماله)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، فقد قال: (المثاني السبع الصفات الإلهية السبع، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، ولما كان النبي ﷺ قد قال: (إن المثاني هي الفاتحة)، وكانت الفاتحة قد قسمت الناس قسمين مهديين وضالين، كانت النتيجة الوصول إلى الحقيقة المحمدية التي هي الإنسان الكامل.. وهو مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته، وأول ما يبدو في مقابلته الحقائق الخلقية، يقابل العرش بقلبه، ويقابل الكرسي بأنيته، ويقابل سدرة المنتهى بمقامه، ويقابل القلم الأعلى بعقله، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه، ويقابل العناصر بطبعه، ويقابل الهيولى بقابليته، ويقابل الهباء بحيز هيكله، ويقابل الفلك الأطلس برأيه، ويقابل الفلك المكوكب بمدركته، ويقابل السماء السابعة بهمته، والسادسة بوهمه، والخامسة بهمه، والرابعة بفهمه والثالثة بخياله، والثانية بفكره، والأولى بحافظته.. ثم يقابل زحل بالقوى اللامسة، والمشتري بالقوى الدافعة، والمريخ بالقوى المحركة، والشمس بالقوى الناظرة، والزهرة بالقوى المتلذذة، وعطارد بالقوى الشامة، والقمر بالقوى السامعة، ثم يقابل فلك النار بحرارته، والماء ببرودته، والهواء برطوبته، والتراب بيبوسته، ثم يقابل الملائكة بخواطره، والجن والشياطين بوسواسه، والبهائم بحيوانيته، ويقابل الأسد بالقوى

(١) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٤٨.

الباطشة، والثعلب بالقوى الماكره، والذئب بالقوى الخادعة، والقرد بالقوى الحاسدة، والفأر بالقوى الحريصة، وقس على ذلك بقية قواه.. ثم إنه يقابل الطير بروحانيته، والنار بالمادة الصفراوية، والماء بالمادة البلغمية، والريح بالمادة الدموية، والتراب بالمادة السوداوية، ثم يقابل السبعة الأبحر بريقه ومخاطه وعرقه ونقاء أذنه ودمعه وبوله والسامع المحيط، وهو المادة الجارية بين الدم والعرق والجلد)[1]

ج. اتباع الأمم:

قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فما تريدون باتباع الأمم؟

قال أحد الشيوخ: مع علمنا بما ورد في القرآن الكريم من التحذير من مخالفة الصراط المستقيم الذي جاء به رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، إلا أننا أبينا إلا أن نترك تلك الصفحة البيضاء النقية، ونستبدلها بما ورثناه من الأمم الأخرى، والتي امتلأت أديانها وفلسفاتها وأفكارها بالتحريفات والأساطير.

قال آخر: وقد شهد بعض شيوخنا بذلك، فقال: (وأما وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من الله كائنا يحل في مخلوقاته، أو الاتحادية بالمعنى المفهوم خطأ، تلك التي تجعل من الكائن الفاني شخصية تتحد بالموجود الدائم الباقي، المنزه عن سائر النسب والإضافات، والأحياز الزمانية والمكانية المحدثة، أو يتحد به شيء منها، فإنها مذهب هندي أو مسيحي، وليس بإسلامي، ولا يعرفه الإسلام، استمده أهل الشذوذ في التصوف الإسلامي من الفلسفة البائدة، وغذوا به مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطونية، وآراء بوذية وفارسية، عن طريق الفارابي وابن سينا، حاله أن المتتبع لحياة الحلاج ومؤلفات السهروردي وابن عربي يرى أنهم

---

(١) التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم: ١/ ٤٣٩.

تأثروا بالمتفلسفة المسلمين الذين أخذوا عن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والأرسطو طاليسية)[1]

قال آخر: وقد ذكر بعض النماذج على ذلك، فقال: (فكان يعلن بعضهم أنه اطلع على الغيب، وأن في مقدوره الإتيان بخوارق العادات، ثم يذهب إلى ما هو أبعد من هذا مثل قولة الحلاج المشهورة: ما في الجبة غير الله، وغيره: أنا الحق، وبمثل هذا وذاك ثار على الحلاج معاصروه، ورموه بالسحر تارة، والجنون أخرى، وعذب عذابا أليما إلى أن مات في أوائل القرن الرابع، والله أعلم بحاله وكان من أمثال الحلاج من بالغوا مبالغة قلت أم كثرت، كشهاب الدين عمر السهروردي المقتول رئيس جماعة الإشراقيين، ومحيي الدين بن عربي الأندلسي، وابن سبعين الصقلي، وهم من رجال القرنين السادس والسابع وتابعهم جماعة من شعراء الفرس أمثال جلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار، وكلهم يرمي إلى أن يقيم التصوف الإسلامي على دعائم فلسفية أو فارسية وهندية أو يونانية)[2]

قال آخر: وقد ذكر آخر كيفية ذلك، فقال: (إذا عدنا إلى تاريخ الاتصالات الأولى نجد أن الثقافة اليونانية كانت هي الثقافة المسيطرة على العقول في الشرق منذ عهد الإسكندر، بالإضافة إلى ثقافات الشرق نفسه، حتى إذا أقبل المسلمون على حضارات غيرهم من الأمم القديمة كان إقبالهم على الثقافة الهللينية بمعونة نساطرة الحيرة وبمعاقبة غسان، والسريان في الشام وغيرها، والصابئة من أتباع زرادشت، واليهود والنصارى، لكن الذي نؤكده أن باب الاتصال المباشر كان الأفلوطينية المحدثة، ولو أن المسلمين حسبوها لأرسطو حين اعتقدوا خطأ أن كتاب الربوبية له، وهو في الواقع لأفلوطين الذي عرفوا من

---

(١) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفي الحسيني، ١/ ٢٩٢.

(٢) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفي الحسيني، ١/ ٢٧٦.

ورائه أفلاطون والثقافة اليونانية القديمة)[1]

قال آخر: وذكر نماذج عن ذلك، فقال: (إذا نظرنا في مذاهب الفيض الأفلوطيني، نجد أن الله والعقل الأول والنفس الكلية والمادة غير المصورة والنفوس الجزئية ـ كل أولئك عبارة عن مراتب الوجود الأفلوطينية ـ وهذا ما نجده في مدرسة ابن عربي في الحقيقة المحمدية أول فيض من الذات الإلهية، ثم بقية الفيوضات في جميع الموجودات، وعند ابن الفارض في وحدة الشهودية وفي مذهبه القطبية والحقيقة المحمدية، وعند الإشراقية السهروردية والشيرازية التي تجعل الله نور الأنوار فياضا بالأنوار القاهرة وهي النفوس والعقول، وبالجواهر الغاسقة الناشئة عن الأنوار، وهي الأجسام، حتى المصطلحات في المثل أو المعاني الأزلية، والحقيقة، وحقيقة الحقائق، والعلة والمعلول، والوحدة والكثرة، وتحقق الذات في الموضوع وشيوع الموضوع في الذات.. كل هذا يعود إلى أصوله الأفلوطينية التي تعود هي الأخرى إلى الغنوص الشرقي والغربي المؤول في الفلسفات اليهودية والمسيحية اللاهوتية)[2]

قال آخر: وذكر نماذج عن ذلك من كلام الفلاسفة، والتي لا تختلف كثيرا عن أقوال مشايخنا، عقب عليها بقوله: (لقد مارس أفلوطين هذه التجربة، وأعطى الاتجاه للفارابي وابن سينا، والحلاج والسهروردي، وابن عربي وابن الفارض، وابن سبعين وبقية الركب المشائي أو الصوفي.. يقول أفلوطين (وقد حدث مرات عدة أن ارتفعت خارج جسدي بحيث دخلت في نفسي، كنت حينئذ أحيا، وأظفر باتحاد مع الإلهي)، وقال: (يجب على أن أدخل في نفسي، ومن هنا أستيقظ، وبهذه اليقظة أتحد بالله)، وقال: (يجب علي أن أحجب

---

(١) الفلسفة الصوفية في الإسلام للدكتور عبد القادر محمود ص ٣١.

(٢) الفلسفة الصوفية في الإسلام للدكتور عبد القادر محمود ص ٣٢.

عن نفسي النور الخارجي لكي أحيا وحدي في النور الباطن)[1]

قال آخر: ومثل ذلك، قال آخر: (وأهم نص في هذا الباب هو كتاب (أثولوجيا أرسطو طاليس) وهو كما نعلم فصول ومقتطفات، منتزعة من التساعات الأفلاطونية، وفيه نظريات الفيض والواحد التي ستلعب دورا خطيرا في التصوف الإسلامي، خصوصا عند السهروردي المقتول وابن عربي، وفيه نظرية (الكلمة) أو اللوغوس.. ولا شك في تأثر الصوفية المسلمين ابتداء من القرن الخامس الهجري بما في (أثولوجيا) من آراء، وإنما الخلاف هنا هو في هل وصل تأثيره إلى التصوف الإسلامي مباشرة، أو عن طريق كتب الإسماعيلية، وكلها حافلة بالتأثر به.. ويتلوه في الأهمية الكتب المنسوبة إلى هرمس.. وشخصية بارزة التأثير عند السهروردي المقتول، وابن عربي.. الأول خصوصا في فكرة الطباع التام، التي تأثر بهل كل الإشراقيين بعد السهروردي، والطباع التام هو (النوس)، ويسمى أيضا الروجانية والطبيعة الكريمة.. ويتصل به ما يرد من علم الصنعة سواء عند الصنوعيين (الكيماويين) وعند الصوفية المسلمين)[2]

قال آخر: وقد أقر بذلك كل الباحثين الموضوعيين في التصوف، ومن ذلك قول بعضهم في تعليقاته على فصوص شيخنا الأكبر عند حديثه عن الفيض: (قد تشير كلمة [الفيض] إلى تأثر ابن عربي بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، ونظام الفيوضات فيها، ولكن على الرغم من استعماله لكثير من مصطلحات هذه الفلسفة وأساليبها لا نزال نجد مذهبه الخاص قائماً بنفسه متميزاً عن هذه الفلسفة في أخص صفاتها.. ويكفي أن نقرر هنا أن مذهب ابن عربي صريح في القول بوحدة الوجود والفلسفة الأفلاطونية الحديثة ليست مذهب وحدة وجود بالمعنى الدقيق، وأن الفيوضات التي يتكلم عنها ابن عربي ليست إلا

---

(١) الفلسفة الصوفية في الإسلام للدكتور عبد القادر محمود ص ٣٣.

(٢) تاريخ التصوف الإسلامي للدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٤١.

تجليات لحقيقة واحدة في صور مختلفة أو بطرق مختلفة، في حين أنها في فلسفة أفلاطون سلسلة من الموجودات يفيض كل منها عن الوجود السابق عليه ويتصل به اتصال المعلول بعلته)(١)

قال آخر: وقال في تعليقه على فص آخر: (يذهب الفلاسفة المسلمون الذين تأثروا بنظرية أفلوطين في الفيوضات إلى أن أول ما فاض عن الواحد هو العقل الأول، ثم توالت الفيوضات بعد ذلك في نظام تنازلي، حتى انتهى الأمر بالعقل الفعال آخر العقول ومبدأ الحياة الناطقة، وكل ما يحتوي عليه فلك ما تحت القمر.. فالعقول البشرية في نظرهم ليست سوى تعينات أو صور للعقل الفعال، تهبط على الأجسام، وتبقى بها زمناً محدوداً، فإذا فارقتها رجعت إلى أصلها واتصلت به.. أما فلاسفة الصوفية فلم يتصوروا المسألة هذا التصوير بالرغم من استعمالهم ألفاظ الفيض والصدور وما إليها، فمذهب ابن عربي على الأقل ـ وهو في مقدمة المذاهب الصوفية الفلسفية في الإسلام ـ يحمل طابع وحدة الوجود التي لا أرى أنها تتفق تماماً مع نظرية الفيوضات الأفلوطينية.. نعم يستعمل كلمة الفيض وما يتصل بها من اصطلاحات، وقد يذكر فيضوات أفلوطين بأسمائها وعلى النحو الذي ذكره هذا الفليسوف، ولكن للفيض عنده معنى مختلف تماماً عن معنى أصحاب الأفلاطونية الحديثة.. فالوجود فائض عن الواحد ـ على مذهبه ـ بمعنى أن الواحد متجلٍ في صور أعيان الممكنات التي لا تتناهى: كان ذلك منذ الأزل وسيبقى كذلك على الدوام.. لم يجد ابن عربي وأصحابه إذن حرجاً ـ كما وجد الفلاسفة المشّاءون من المسلمين ـ في القول بأن الكثرة قد صدرت عن الواحد بالمعنى الذي ذكرناه: أي أن الواحد قد ظهر بصور الأعيان المتكثرة في الوجود الخارجي، ولم يأخذ بالقاعدة التي أخذ بها المشاءون وجعلوها

---

(١) فصوص الحكم، شرح عفيفي (ص ٥)

أساساً لمذهبهم، وهي أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، بل قال إن الواحد قد صدر عنه العقل الأول كما صدر عنه الأرواح المهيمة وأرواح الكاملين من الخلق كالأنبياء والأولياء، بل وروح كل موجود (وليس في الوجود إلا ما له روح) بعبارة أخرى صدر عن الواجد الحق كل شيء، لأنه حقيقة كل شيء والمتجلي في كل شيء)[1]

قال آخر: وقال في محل آخر، يذكر بعض ذلك التأثير: (في هذا الوصف الإجمالي لما يسميه ابن عربي [الكلمة المحمدية]، أو [الحقيقة المحمدية]، عناصر مختلفة مستمدة من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة المسيحية واليهودية، مضافاً إلى ذلك بعض أفكار من مذهب الإسماعيلية الباطنية والقرامطة.. مزج جميع تلك العناصر على طريقته الخاصة، فضيع بذلك معالم الأصول التي أخذ عنها، وخرج على العالم بنظرية في طبيعة الحقيقة المحمدية، لا تقل في خطرها وأهميتها في تاريخ الأديان عن النظريات التي وضعها المسيحيون في طبيعة المسيح، أو النظريات اليهودية أو الرواقية، أو اليونانية التي تأثرت بها النظرية المسيحية.. هذا هو ما يقصده ابن عربي بالكلمة المحمدية، وهي شيء يختلف تمام الاختلاف عن شخصية النبي محمد ﷺ، بل ليس بينهما من الصلة إلا ما بين الحقيقة المحمدية وأي نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل أو ولي من الأولياء.. فالكلمة المحمدية إذن شيء ميتافيزيقي محض خارج حدود الزمان والمكان.. أو قل إن شئت هي الحق ذاته ظاهراً لنفسه في أول تعين من تعينات في صورة العقل الحاوي لكل شيء، المتجلي في كل كائن عاقل)[2]

قال آخر: وقد شهد بهذا حتى أولئك الذين كانوا معنا، لكنهم أبوا إلا التسليم لحقيقة التأثير التي رأوها بأعينهم، وقد كتب بعضهم ـ وقد كان شيخا لمشايخ الطرق الصوفية ـ يقول: (نحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي، فقد وصلت الفلسفة اليونانية

---

(١) فصوص الحكم، شرح عفيفي (ص ١٨٥)

(٢) فصوص الحكم، شرح عفيفي (ص ٣٣١)

عامة، والأفلاطونية المحدثة خاصة، إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل، أو الاختلاط مع رهبان النصارى في الرها وحران، وقد خضع المسلمون لسلطان أرسطو، وإن كانوا قد عرفوا فلسفة أرسطو على أنها فلسفة إشراقية، لأن عبد المسيح بن ناعمة الحمصي حينما ترجم الكتاب المعروف بـ (أثولوجيا أرسطو طاليس) قدمه إلى المسلمين على أنه لأرسطو على حين أنه مقتطفات من تاسوعات أفلوطين.. وليس من شك في أن فلسفة أفلوطين السكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس وعن العالم المحسوس، كان لها أثرها في التصوف الإسلامي فيما نجده من كلام متفلسفي الصوفية عن المعرفة، وكذلك، كان لنظرية أفلوطين السكندري في الفيض وترتيب الموجودات عن الواحد أو الأول أثرها على الصوفية المتفلسفين من أصحاب الوحدة كالسهروردي المقتول، ومحي الدين بن عربي، وابن الفارض، وعبد الخالق بن سبعين، وعبد الكريم الجيلي، ومن نحا نحوهم.. ونلاحظ بعد ذلك أن أولئك المتفلسفة من الصوفية نتيجة اطلاعهم على الفلسفة اليونانية قد اصطنعوا كثيرا من مصطلحات هذه الفلسفة مثل: الكلمة ـ العقل الأول ـ العقل الكلي ـ العلة والمعلول والكلي)[١]

قال آخر: وبعد ما استعرض باحث آخر آراء الأفلاطونية الحديثة، قال: (إن التصوف لم يقتبس، ولم يؤخذ إلا من المنابع الصافية والمصادر الطاهرة، وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة، وتبني الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي نفس الأفكار التي نشرها أفلوطين الأسكندري، المبنية على الفكر الفلسفي والمشاهدة الذاتية، والذي بين أن تزكيه النفس لا يمكن إلا بالتبتل عن العلائق الدنيوية والعالم المادي، ولها مراتب ثلاث: تصفية النفس، وتجلية النفس، وتحلية النفس.. ولا يمكن الوصول إليها إلا بالمراحل الثلاث:

---

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامي، التفتازاني ص ٣٣.

أولا: بالفن والآداب، والمراد منها طلب الحقيقة وجمالها، وأن هذين الشيئين أي اسمان لشيء واحد في الحقيقة.. ثانيا: بالعشق.. ثالثا: بالحكمة.. وأهم الأشياء في فلسفته أن طريق تهذيب النفس وتكميل الروح ليس ببرهاني ولا عقلي، بل هو وجداني وكشفي، كما أن فلسفته في الإلهيات تدور على وحدة الوجود، وهذا عين ما كان يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي وغيره، كما أومن به أنا أيضا)[1]

قال آخر: وقال آخر: (ولأجل ذلك ذهب معظم المستشرقين إلى أن الأفلاطونية الحديثة من أهم مصادر التصوف، وخاصة للتصوف المتأخر من القرون الأولى، ولقد بحث المستشرق الأنجليزي نيكلسون هذا الأمر في مقالاته عن التصوف بمواضع عديدة، فأرجع نشأته إلى عوامل خارجة عن الإسلام عملت عملها ابتداء من القرن الثالث الهجري، وأهم هذه العوامل وأبرزها في نظره هو الأفلاطونية الحديثة المتأخرة التي كانت شائعة في مصر والشام إلى عهد ذي النون المصري ومعروف الكرخي، ولهذا يتخذ من ذي النون المصري محورا لبحثه في هذه المقالة، فيأتي بكثير من الأسانيد التاريخية عن حياة ذي النون ونشأته، ويستدل بها على أن ذا النون كان على علم بالحكمة اليونانية الشائعة في عصره، ويتتبع حركة الثقافة اليونانية المتأخرة وطرق وصولها إلى المسلمين، وينتهي إلى أن التصوف في ناحيته النظرية مأخوذة من الأفلاطونية الحديثة موافقا في ذلك رأي ميركس الذي شرح هذه النظرية في كتابه (التاريخ العام للتصوف ومعالمه) هيد لبرج سنة ١٨٩٣ م)[2]

قال آخر: وقال باحث آخر: (لا حاجة بنا إلى الإطناب في الكلام عن انتشار الثقافة الهلينية بين المسلمين في ذلك العصر، فإن كل من له إلمام بتاريخ العرب الأدبي يعلم كيف

---

(١) تاريخ التصوف، باللغة الأردية، ليوسف سليم جشتي ص ٦٣، نقلا عن: التصوف. المنشأ والمصادر، ص١٢٧.

(٢) مقدمة أبي العلاء العفيفي لطائفة من الدراسات المجموعة باسم في التصوف الإسلامي وتاريخه ص (س)

طغت موجة العلوم اليونانية ـ وقد بلغت ذروتها آنئذ ـ على العراق من مراكز ثلاثة: من الأديرة المسيحية في الشام، ومن مدرسة جنديسابور الفارسية في خوزستان، ومن وثني حران أو الصابئة في الجزيرة، وقد نقل إلى العرب كتب لا حصر لعددها في الفلسفة والطب وسائر العلوم اليونانية الأخرى، وعكف على دراستها المسلمون واتخذوها أساسا قامت عليه اتجاهاتهم الجديدة في البحث، حتى لتكاد العلوم والفلسفة الإسلامية تكون مؤسسة على حكمة اليونان وحدها.. وأبرز شخصية يونانية في الفلسفة الإسلامية هي أرسطو طاليس لا أفلاطون، ولكن العرب استمدوا أول علمهم بفلسفة أرسطو طاليس من شراح الأفلاطونية الحديثة، وكان المذهب الذي غلب عليهم هو مذهب أفلوطين وفور فوريوس وأبرقلس، وليس كتاب (أثولوجيا أرسطو طاليس) الذي نقل إلى العربية حوالي ٨٤٠ م حسب تقدير دتريصي إلا ملخصا لمذهب الأفلاطونية الحديثة، ومعنى هذا أن الأفكار الأفلاطونية الحديثة قد انتشرت بين المسلمين انتشارا واسعا)[١]

قال آخر: وقال مبينا مدى انتشار تلك المذاهب الفلسفية بين المسلمين: (ويكفي القول بأن المسلمين قد وجدوا المذهب الأفلاطوني الحديث أينما حلوا وفي أي مكان اتصلوا فيه بالحضارة اليونانية، وقد كان لمصر والشام دائما الصدارة بين الأمم التي انتشرت فيها الحضارة اليونانية، وهما البلدان اللذان ظهر التصوف فيهما لأول مرة بمعناه الدقيق وتطور كما أسلفنا، والرجل الذي اضطلع بأكبر قسط في تطور هذا النوع من التصوف، هو ذو النون المصري الذي وصف بأنه حكيم كيميائي، أو بأنه ـ بعبارة أخرى ـ أحد أولئك الذين نهلوا من منهل الثقافة اليونانية؛ فإذا أضفنا إلى هذا أن المعاني التي تكلم فيها ذو النون هي ـ في جوهرها ـ المعاني التي نجدها في كتابات يونانية مثل كتابات ديونيسيون.. وليس عندي

(١) التصوف الإسلامي وتاريخه لنكلسون ترجمة عربية ص ١٤.

من شك في أن المذهب الغنوصي بعد ما أصابه من التغيير والتحوير على أيدي مفكري المسيحية واليهودية، وبعد امتزاجه بالنظريات اليونانية كان من المصادر الهامة التي أخذ عنها رجال التصوف الإسلامي، وأن بين التصوف والغنوصية مواضع اتفاق كثيرة هامة، ولا شك عندي أيضا في أن دراسة هذه المسألة دراسة دقيقة وافية لما يأتي بأطيب الثمرات، ولكنني على يقين من أننا إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق، استحال علينا أن نرد أصله إلى عامل هندي أو فارسي، ولزم أن نعتبره وليدا لاتحاد الفكر اليوناني والديانات الشرقية: أو بمعنى أدق وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والديانة المسيحية والمذهب الغنوصي)[1]

قال آخر: وقال باحث متخصص آخر في هذا: (تسربت الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي، وأخذت تزداد باطراد منذ أيام الأذرية القرامطة القدامى، والرازي الطبيب إلى عهد ابن سينا، وكان من نتيجة ذلك أن استحدثت في القرن الرابع الهجري مصطلحات ميتافيزيقة أدق من سابقتها يفهم منها أن الروح والنفوس جواهر غير مادية، وأن ثمة معاني عامة وسلسلة من العلل الثانية وغير ذلك، وأن هذه المصطلحات اختلطت بالإلهيات المنحولة لأرسطو، وبمثل أفلاطون، وفيوضات أفلوطين، وقد كان لهذا كله أثر بالغ في تطور التصوف)[2]

قال آخر: والدليل الأعظم من ذلك كله ما نجده في كتب مشايخنا مما يدل على ارتباطهم بالفلسفة اليونانية وأخذهم عنها، وتأثرهم بها، ومن الأمثلة على ذلك قول شيخنا الجيلي في كتابه (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل): (ولقد اجتمعت بأفلاطون الذي يعدونه أهل الظاهر كافرا، فرأيته وقد ملأ العالم الغيبي نورا وبهجة، ورأيت له مكانة

---

(١) التصوف الإسلامي وتاريخه لنكلسون ترجمة عربية ص ١٥.

(٢) التصوف لماسينيون ص ٣٨، ٣٩.

لم أرها إلا لآحاد من الأولياء، فقلت له: من أنت؟ قال: قطب الزمان وواحد الأوان، ولكم رأينا من عجائب وغرائب مثل هذا ليس من شرطها أن تفشي، وقد رمزنا لك في هذا الباب أسرارا كثيرة ما كان يسعنا أن نتكلم فيها بغير هذا اللسان، فألق القشر من الخطاب وخذ اللب إن كنت من أولي الألباب)[1]

قال آخر: وذكر في محل آخر من كتابه أن أرسطو تلميذ أفلاطون لزم خدمة الخضر واستفاد منه علوما جمة، وكان من تلامذته[2].

قال آخر: ومثل ذلك قال بعض مشايخنا في الأندلس، حيث نراه يلقب أفلاطون كلما يذكره بمعلم الخير، وأرسطو بحكيم متأله، وسقراط وهرمس وغيرهم من أهل الأنوار، وقد حكى عن أرسطو (ويقصد أفلوطين) أنه حصل له الاتحاد بالذات الإلهية، فيقول نقلا عنه قوله: (إني ربما خلوت بنفسي كثيرا، وجعلت بدني جانبا، وصرت كأني مجردا بلا بدن، عري من الملابس الطبيعية، فأكون داخلا في ذاتي، خارجا من سائر الأشياء؛ فأرى في ذاتي من الحسن والسناء، والبهاء والضياء والمحاسن العجيبة، والمناظر الأنيقة، ما أبقى له متعجبا متحيرا باهتا، فأعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف؛ فلما أيقنت بذلك، رقيت بذهني إلى العلة الإلهية المحيطة بالكل، فصرت كأني موضوع متعلق بها؛ فأكون فوق العالم كله، فأراني كأني واقف في ذلك الموقف الشريف المقدس الإلهي فأرى هنالك من النور والبهاء، والبهجة والسناء، وما لا تقدر الألسن على صفته، ولا الأسماع على نعته، ولا الأوهام أن تحيط به، فإذا استغرقني ذلك النور والبهاء، لم أطق على احتماله، ولا الصبر عليه فارتددت عاجزا عن النظر إليه، وهبطت من العقل إلى الفكر والروية، فإذا صرت في عالم الفكر والروية، حجبت الفكرة عني ذلك النور والبهاء، وحالت بيني وبينه الأوهام، فأبقى

---

(١) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ج٢ ص ٥٢.

(٢) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ج٢ ص ١١٧.

متعجبا كيف انحدرت من ذلك الموضع الشاهق العالي الإلهي، وصرت سفلا في موضع الفكر والضيقة، بعد أن قويت نفسي على التخلف عن بدنها، والرجوع إلى ذاتها، والترقي إلى العالم العقلي، ثم العالم الإلهي، مع العقول فوق العوالم كلها، حتى صارت في موضع البهاء والنور والسناء مجتلية الذي هو علة كل نور وبهاء، وسبب كل دواء وبقاء.. ومن العجب أني كنت رأيت نفسي ممتلئة نورا، وهي في البدن كهيئتها، والبدن معها، وهي خارجة عنه، على أني لما أطلت الفكرة، ومحضت الروية، وأجلت الرأي، وصرت كالمتحير المبهوت، تذكرت الفلنطوس، فإنه أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة، والحرص على الصعود إلى ذلك العالم الشريف الأعلى)[1]

قال آخر: ثم علق عليه بقوله: (وبيان هذه السعادة: من تعرض له، فقد تعاطى ما لا يستقل به نفس، ولا تطمع فيه قوة.. وسبيل السعادة عندهم الرياضة، وعلاج الأخلاق، حتى يصير شبيها بالخير المحض وهو المبدأ، وتلطيف السر، وأن يصرف عن النفس شواغل الجسم، ويترقى في معارج المحبة والشوق إلى ذلك الكمال بالفكرة، حتى تحس النفس بانجذابها إلى عالمها، وتفيض عليها عجائبه، وقد أخبر هؤلاء الإلهيون عن أنفسهم عن أنفسهم بما ذكرناه آنفا، من أنهم نزعوا جلابيب الجسمانية في هذا العالم، وترقوا إلى العالم العلوي، فأبصروا من نوره ولذاته أمورا مذهلة، ثم عادوا إلى عالم الحس، ورمزوا ذلك في كتبهم، حسبما نقل سقراط الدنان، ومعلم الخير أفلاطون وإمام المشائين أرسطو)[2]

قال آخر: ونحن مع إيماننا بأن فيما ذكره أولئك الباحثون بعض المبالغات، إلا أننا موقنون أن كل ما لم يدل عليه دليل الشرع، ولا دليل العقل، وكان من الفضول والتحريف ليس سوى قبس من تحريفات الأمم السابقة.

---

(١) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص ٥٥٩.

(٢) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص ٥٦٠.

قال آخر: بالإضافة إلى ما أضيف إليها من الأهواء، مثلما يفعل الكهنة الذين يتلقفون الكلمة؛ فيضيفون إليها كذبة وكذبة، لتتحول بعدها إلى شيء آخر تماما.

قال آخر: وقد أشار الغزالي إلى هذا المعنى عند حديثه عن الفلسفة والمعارضين مطلقا لها، فقال: (إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام إذا كان مدوناً في كتبهم، وممزوجاً بباطلهم، ينبغي أن يهجر ولا يذكر، بل ينكر على كل من يذكره إذ لم يسمعوه أولاً منهم، فسبق إلى عقولهم الضعيفة أنه باطل، لأن قائله مبطل، كالذي يسمع من النصراني قوله: لا إله إلا الله، عيسى رسول الله، فينكره ويقول: هذا كلام النصارى، ولا يتوقف ربما يتأمل أن النصراني كافر باعتبار هذا القول، أو باعتبار إنكاره نبوة محمد ﷺ؛ فإن لم يكن كافراً إلا باعتبار إنكاره، ينبغي أن يخالف في غير ما هو به كافر مما هو حق في نفسه، وإن كان أيضاً حقاً عنده.. وهذه عادة ضعفاء العقول، يعرفون الحق بالرجال، لا الرجال بالحق، والعاقل يقتدي بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله، والعارف العاقل يعرف الحق، ثم ينظر في نفس القول: فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلاً أو محقاً، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من تضاعيف كلام أهل الضلال، عالماً بأن معدن الذهب الرغام، ولا بأس على الصراف إن أدخل يده في كيس القلاب وانتزع الإبريز الخالص من الزيف والبهرج مهما كان واثقاً ببصيرته، ويمنع ـ من ساحل البحر ـ الأخرقُ، دون السباح الحاذق، ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم البارع)[1]

قال آخر: ثم أشار إلى ادعاء الكثير بأنهم أهل لانتزاع الحق من الباطل، مع عدم قدرتهم على ذلك، فقال: (لعمري لما غلب على أكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة

---

(١) المنقذ من الضلال (ص ٣٠)

وكمال العقل، وتمام الآلة في تمييز الحق عن الباطل والهدى عن الضلال وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلال ما أمكن)[1]

قال آخر: وقد ضرب مثالا على ذلك بكتب إخوان الصفا، فقال: (إن من نظر في كتبهم كإخوان الصفا وغيره، فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية، والكلمات الصوفية، ربما استحسنها وقبلها، وحسن اعتقاده فيها، فيسارع إلى قبول باطلهم الممزوج به لحسن ظنه مما رآه استحسنه، وذلك نوع استدراج إلى الباطل.. ولأجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر.. وكما يجب صون من لا يحسن السباحة على مزالق الشطوط، يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب، وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيَّات، يجب صون الأسماع عن مختلط الكلمات، وكما يجب على المعزّم أن لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل، إذا علم أن سيقتدي به ويظن أنه مثله، بل يجب عليه أن يحذّره منه، بأن يحذر هو في نفسه ولا يمسها بين يديه، فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله، وكما أن المعزّم الحاذق إذا أخذ الحية وميز بني الترياق والسم، واستخرج منها الترياق وأبطل السم، فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج إليه)[2]

قال آخر: وقد رد في نفس الوقت على من اعتبر ما في إحيائه من الحق الذي دل عليه دليل من كلمات الأوائل، فقال: (ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في أسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرائرهم، ولم تنفتح إلى أقصى غايات المذاهب بصائرهم، وزعمت أن تلك الكلمات من كلام الأوائل، مع أن بعضها من مولدات الخواطر، ولا يبعد أن يقع الحافر على الحافر، وبعضها يوجد في الكتب الشرعية، وأكثرها موجود معناه في كتب الصوفية، وهب أنها لم توجد إلا في كتبهم، فإذا كان ذلك

---

(١) المنقذ من الضلال (ص ٣١)

(٢) المنقذ من الضلال (ص ٣٣)

الكلام معقولاً في نفسه، مؤيداً بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة، فلم ينبغي أن يهجر ويترك؟ فلو فتحنا هذا الباب، وتطرقنا إلى أن يهجر كل حق سبق إليه خاطر مبطل، للزمنا أن نهجر كثيراً من الحق، ولزمنا أن نهجر جملة آيات من آيات القرآن وأخبار الرسول ﷺ وحكايات السلف، وكلمات الحكماء والصوفية لأن صاحب إخوان الصفا أوردها في كتابه مستشهداً بها ومستدرجاً قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطل، ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بإيداعهم إياه كتبهم.. وأقل درجات العالم: أن يتميز عن العامي الغمر؛ فلا يعاف العسل، وإن وجده في محجمة الحجَّام، ويتحقق أن المحجمة لا تغير ذات العسل، فإن نفرة الطبع عنه مبنية على جهل عامي منشؤه أن المحجمة إنما صنعت للدم المستقذر، فيظن أن الدم مستقذر لكونه في المحجمة، ولا يدري أنه مستقذر لصفة في ذاته، فإذا عدمت هذه الصفة في العسل، فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة، فلا ينبغي أن يوجب له الاستقذار، وهذا وهم باطل، وهو غالب على أكثر الخلق؛ فإذا نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم، قبلوه وإن كان باطلاً، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقاً، فأبداً يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق، وهو غاية الضلال هذه آفة الرد)[1]

قال آخر: بالإضافة إلى هذا كله نحن لا ندعي كذب من كوشف بتلك الأشياء.. فأكثر الأحلام لا تعبر إلا عن رغبات أصحابها، وهكذا هؤلاء تجلت لهم علومهم في كشوفهم؛ فتوهموا أنها كشف مجرد، مع أنها ليست سوى تكرار لعلومهم التي علموها عن طريق التلقي، أو عن طريق البيئة التي عاشوا فيها.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك أن شيخنا الأكبر الذي عاش في الأندلس، وفي بيئة

---

(١) المنقذ من الضلال (ص ٣١)

يعظم فيها النواصب، لم ير في كشوف إلا ما يمجدهم.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله عن معاوية ـ زعيم النواصب ـ: (فلو راعى ﷺ صلاة العيد مع الخطبة مراعاة الحج ومراعاة الصلاة لنطق فيها كما نطق في مثل هذا، وكذلك ما أحدثه معاوية كاتب رسول الله ﷺ وصهره خال المؤمنين)، ثم علق على هذا بقوله: (فالظن بالصحابة جميل، رضي الله عن جميعهم، ولا سبيل إلى تجريحهم، وإن تكلم بعضهم في بعض، فلهم ذلك، وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم، فإنهم أهل علم واجتهاد، وحديثو عهد بنبوة، وهم مأجورون في كل ما صدر منهمعن اجتهاد سواء أخطئوا أم أصابوا)[1]

قال آخر: وهكذا يعدد الخلفاء الذين أوتوا الخلافة الظاهرة والباطنة، ويسميهم (الأقطاب)، وهم ـ كما يذكر ـ (الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة، ولا يكون منهم في الزمان إلا واحد، وهو الغوث أيضا، وهو من المقربين، وهو سيد الجماعة في زمانه)، ثم يذكر منهم من (يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، ومعاوية بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمتوكل، ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة، ولا حكم له في الظاهر: كأحمد بن هارون الرشيد السبتي، وكأبي يزيد البسطامي)[2].. وبذلك تحول المتوكل المستبد الظالم الناصبي صاحب الجرائم الكثيرة، لا إلى مؤمن عادي فقط، بل إلى ولي من أولياء الله الكبار، بل قطب من الأقطاب المقربين.. وكل ذلك بدليل واحد لا يستطيع أحد مهما كان أن يحاجج به، وهو الكشف.

٥. الكشف والمعارضة:

قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فهل هناك غير ما ذكرتم مما ترون أنه يجب

(١) الفتوحات المكية (١/ ٥١٨)

(٢) الفتوحات المكية (٢/ ٦)

عليكم بيانه لنا حتى لا نقع في المهالك، ونحن نبحث عن المهالك؟

قال أحد الشيوخ: أجل.. وهو أخطرها.. ذلك أنا لم نكتف بكل تلك التأويلات التي قد تقبل بعض معانيها، بل رحنا نستمع لمشايخنا، وهم يعارضون النصوص الصريحة من القرآن الكريم ليفسروها تفسيرا عكسيا.

المثال الأول:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخنا الأكبر في فصوص الحكم في تفسير ما ورد في قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم، فقد قال: (لو أن نوحاً عليه السلام جمع لقومه بين الدعوتين ـ التشبيه والتنزيه ـ لأجابوه: فدعاهم جهاراً ثم دعاهم إسراراً، ثم قال لهم: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، وقال: ﴿دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٦]، وذكر عن قومه أنهم تصامموا عن دعوته لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته؛ فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرآن لا فرقان، ومن أقيم في القرآن لا يصغي إلى الفرقان وإن كان فيه؛ فإن القرآن يتضمن الفرقان، والفرقان لا يتضمن القرآن، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس؛ فـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يجمع الأمرين في أمر واحد؛ فلو أن نوحاً يأتي بمثل هذه الآية لفظاً أجابوه، فإنه شبَّهَ ونزَّهَ في آية واحدة، بل في نصف آية)(١)

قال آخر: وهكذا أصبح ـ بحسب هذا التفسير ـ المعاتب هو نوح عليه السلام، بل الله تعالى لأنه لم ينزل على نوح تلك الآية الكريمة، ولو أنه أنزلها لما تعنت قوم نوح، ولما نزل

---

(١) فصوص الحكم، ج١، ص ٧١.

عليهم العذاب.

قال آخر: ولم يكتف شيخنا بذلك، بل إنه راح يستمر في تأويلاته العجيبة، وفي عتابه لنوح عليه السلام، ومنهجه في دعوة قومه؛ فقال: (ونوح دعا قومه ﴿لَيْلًا﴾ من حيث عقولهم وروحانيتهم فإنها غيب، ﴿وَ نَهاراً﴾ دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وحِسِّهم، وما جمع في الدعوة مثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء﴾ فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان فزادهم فراراً، ثم قال عن نفسه إنه دعاهم ليغفر لهم، لا ليكشف لهم، وفهموا ذلك منه ﷺ لذلك ﴿جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ﴾ وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك؛ ففي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء﴾ إثبات المثل ونفيه، وبهذا قال عن نفسه ﷺ إنه أوتي جوامع الكلم؛ فما دعا محمد ﷺ قوَمه ليلًا ونهاراً، بل دعاهم ليلًا في نهار ونهاراً في ليل، فقال نوح في حكمته لقومه: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١] وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ [نوح: ١٢]) أي بما يميل بكم إليه؛ فإذا مال بكم إليه رأيتم صورتكم فيه؛ فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف، فلهذا انقسم الناس إلى عالِمٍ وغير عالِمٍ، ﴿وَوَلَدُهُ﴾ وهو ما أنتجه لهم نظرهم الفكري، والأمر موقوف علمه على المشاهدة بعيد عن نتائج الفكر ﴿إِلَّا خَساراً فما ربحت تجارتهم﴾ فزال عنهم ما كان في أيديهم مما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم، وهو في المحمديِّين ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وفي نوح (﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]) فأثبت المُلْكَ لهم والوكالة للهَّ فيهم؛ فهم مستخلفون فيه؛ فالملك للهَّ وهو وكيلهم، فالملك لهم وذلك ملك الاستخلاف، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك)(١)

(١) فصوص الحكم، ج١، ص ٧٢.

قال آخر: وهكذا يستمر شيخنا على هذا النسق من التأويلات الغريبة التي تقلب الحقائق رأسا على عقب، فيقول في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]: (لأن الدعوة إلى اللهَّ تعالى مكر بالمدعوِّ لأنه ما عَدِمَ من البداية فيدعي إلى الغاية، ﴿أَدْعُوا إِلَى اللهِّ﴾ فهذا عين المكر، ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ فنبَّه أن الأمر له كله، فأجابوه مكراً كما دعاهم؛ فجاء المحمدي وعلم أن الدعوة إلى اللهَّ ما هي من حيث هويته وإنما هي من حيث أسماؤه فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] فجاء بحرف الغاية وقرنها بالاسم، فعرفنا أن العالم كان تحت حيطة اسمٍ إلهي أوجب عليهم أن يكونوا متقين؛ فقالوا في مكرهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه مَنْ يعرفه ويجهله من يجهله، في المحمديين: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي حكم؛ فالعالم يعلم من عُبِدَ، وفي أي صورة ظهر حتى عبدَ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عُبدَ غير اللهَّ في كل معبود؛ فالأدنى من تخيل فيه الألوهية، فلو لا هذا التخيل ما عبد الحجر ولا غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾، فلو سموهم لسموهم حجارة وشجراً وكوكباً، ولو قيل لهم من عبدتم لقالوا إلهاً ما كانوا يقولون اللهَّ ولا الإله، والأعلى ما تخيل، بل قال هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر؛ فالأدنى صاحب التخيل يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهَّ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] والأعلى العالم يقول: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] حيث ظهر ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الذين خبَتْ نار طبيعتهم، فقالوا إلهاً ولم يقولوا طبيعة، ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤]، أي حيروهم في تعداد الواحد بالوجوه والنسب ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم ﴿الْمُصْطَفَيْنَ﴾) الذين أورثوا الكتاب، أول الثلاثة، فقدمه

على المقتصد والسابق ﴿إِلَّا ضَلالًا﴾ إلا حيرة المحمدي، (زدني فيك تحيراً)، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠]؛ فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب فلا يبرح منه، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالبٌ ما هو فيه صاحب خيال إليه غايته: فله مِنْ وإلى وما بينهما. وصاحب الحركة الدورية لا بدءَ له فيلزمَه (مِنْ) ولا غاية فتحكُمَ عليه (إلى)، فله الوجود الأتمُّ وهو المؤتى جوامع الكلم والحِكَم)[١]

قال آخر: ثم راح يؤول ما ورد في القرآن الكريم من العقوبة التي لحقت بهم وأسبابها؛ فيقول في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [نوح: ٢٥]: (فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم باللهّ، وهو الحيرة، ﴿فَأُدْخِلُوا ناراً﴾ في عين الماء وفي المحمديين، ﴿وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ﴾: سَجَرْت من التنور إذا أوقدته من ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، فكان اللهَّ عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد؛ فلو أخرجهم إلى السِّيف، سيف الطبيعة لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة، وإن كان الكل للهَّ وباللهَّ بل هو اللهَّ)[٢]

قال آخر: ثم راح يؤول ما ورد في القرآن الكريم من دعاء نوح عليه السلام في آخر السورة، فقال: (﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾ [نوح: ٢٦]) ما قال إلهي، فإن الرب له الثبوت والإله يتنوع بالأسماء فهو كل يوم في شأن؛ فأراد بالرب ثبوت التلوين إذ لا يصح إلا هو ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]) يدعو عليهم أن يصيروا في بطنها، الحمدي (لو دليتم بحبل لهبط على اللهَّ)، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦]، وإذا دفنت فيها فأنت فيها وهي ظرفك: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] لاختلاف الوجوه ﴿مِنَ الْكافِرِينَ﴾ الذين ﴿اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وجَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ﴾ طلباً للستر لأنه دعاهم ليغفر لهم، والغفر الستر، ﴿ديَّاراً﴾ أحداً حتى تعم المنفعة كما عمت

---

(١) فصوص الحكم، ج١، ص ٧٣.

(٢) فصوص الحكم، ج١، ص ٧٣.

الدعوة، ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ﴾ أي تدعهم وتتركهم ﴿يُضِلُّوا عِبادَكَ﴾ أي يحيروهم فيخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أرباباً بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيداً، فهم العبيد الأرباب، ﴿وَلا يَلِدُوا﴾ أي ما ينتجون ولا يظهرون ﴿إِلَّا فاجِراً﴾ أي مظهراً ما ستر، ﴿كَفَّاراً﴾ أي ساتراً ما ظهر بعد ظهوره؛ فيظهرون ما سُتِرَ، ثم يسترونه بعد ظهوره، فيحار الناظر ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره، ولا الكافر في كفره، والشخص واحد. ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ أي استرني واستر من أجلي فيجهل قدري ومقامي كما جهل قدرك في قولك: ﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ﴿وَلِوالِدَيَّ﴾: من كنت نتيجة عنهما وهما العقل والطبيعة، ﴿وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ أي قلبي ﴿مُؤْمِناً﴾ مصدقاً بما يكون فيه من الإخبارات الإلهية وهو ما حدَّثت به أنفسهَا ﴿وَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العقول ﴿وَ الْمُؤْمِناتِ﴾ من النفوس، ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾: من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية ﴿إِلَّا تَباراً﴾ أي هلاكاً، فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم، وفي المحمديين، ﴿كُلُّ شيء هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ والتبار الهلاك)[1]

قال آخر: ومع وضوح ما ذكره شيخنا الأكبر إلا أنه عند العودة للشراح الذين شرحوا الفصوص لعلنا نجد عندهم ما يؤول كلامه، أو يحمله على بعض المحامل الحسنة، نجد الأمر على عكس ذلك؛ فهم يؤكدون كلامه ويؤيدونه وينتصرون له، ولو على حساب ما ورد في القرآن الكريم.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في شرح القيصري للفصوص، فقد قال تعليقا على النصوص السابقة: (كان عتب موسى أخاه هارون لأجل إنكاره عبادةَ العجل، وعدم اتساع قلبه لذلك؛ فإن العارف من يرى الحقَّ في كل شيء بل يراه عين كل شيء، فكان

---

(١) فصوص الحكم، ج١، ص ٧٤.

موسى يُربّى هارونَ تربيةَ علم.. واعلم، أن هذا الكلام وإن كان حقاً من حيث الولاية والباطن، لكن لا يصح من حيث النبوة والظاهر؛ فإن النبي يجب عليه إنكار العبادة لأرباب الجزئية، كما يجب عليه إرشاد الأمة إلى الحق المطلق، لذلك أنكر جميع الأنبياء عبادة الأصنام وإن كانت مظاهر للهوية الإلهية؛ فإنكار هارون عبادةَ العجل من حيث كونه نبياً حق، إلا أن تكون محمولًا على أن موسى عليه السلام، عَلم بالكشف أنه ذهل عن شهود الحق الظاهر في صورة العجل، فأراد أن ينبِّهه على ذلك، وهو عين التربية والإرشاد منه، وإنكاره عليه السلام على السامري وعجلِه على بصيرة؛ فإن إنكار الأنبياء والأولياء لعبادة الأصنام التي هي المظاهر ليس كإنكار المحجوبين، فإنهم يرون الحق مع كل شيء، بخلاف غيرهم، بل ذلك لتخليصهم عن التقيد بصورة خاصة ومَجلىً معيَّن، إذ فيه إنكار باقى المجالى وهو عين الضلال﴾[1]

المثال الثاني:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخنا الأكبر في تفسير ما ورد في قصة موسى وهارون عليهما السلام في القرآن الكريم، والذي قدم له بقوله: (اعلم أن وجود هارون عليه السلام كان من حضرة الرحموت بقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٣] يعني لموسى ﴿أَخَاهُ هارُونَ نَبِيًّا﴾، فكانت نبوته من حضرة الرحموت فإنه أكبر من موسى سِنّا، وكان موسى أكبر منه نبوَّة، ولما كانت نبوَّة هارون من حضرة الرحمة، لذلك قال لأخيه موسى عليهما السلام: ﴿يَا بْنَ أُمَّ﴾ فناداه بأمه لا بأبيه إذ كانت الرحمة للأم دون الأب أوفر في الحكم، ولولا تلك الرحمة ما صبرت على مباشرة التربية، ثم قال ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤] و﴿لَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]﴾، فهذا كله نَفَسٌ

(١) شرح فصوص الحكم (القيصري)، ص ١٠٩٧.

من أنفاس الرحمة، وسبب ذلك عدم التثبت في النظر فيما كان في يديه من الألواح التي ألقاها من يديه، فلو نظر فيها نظر تثبت لوجد فيها الهدى والرحمة، فالهدى بيان ما وقع من الأمر الذي أغضبه مما هو هارون بريء منه، والرحمة بأخيه، فكان لا يأخذ بلحيته بمرأى من قومه مع كبره وأنه أسن منه، فكان ذلك من هارون شفقة على موسى لأن نبوة هارون من رحمة اللهَّ، فلا يصدر منه إلا مثل هذا، ثم قال هارون لموسى عليهما السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]؛ فتجعلني سبباً في تفريقهم؛ فإن عبادة العجل فرقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى إليهم فيسألونه في ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن اللهَّ قد قضى أَلَّا يُعْبَد إلا إياه، وما حكم اللهَّ بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لِمَا وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه كل شيء، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن)[1]

قال آخر: وقال: (ولذا لما قال له هارون ما قال، رجع إلى السامري فقال له ﴿فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ﴾ يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص، وصنعك هذا الشبح من حلي القوم حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم.. وما سمي المال مالًا إلا لكونه بالذات تميل القلوب إليه بالعبادة، فهو المقصود الأعظم المعظم في القلوب لما فيها من الافتقار إليه، وليس للصور بقاء، فلا بد من ذهاب صورة العجل لو لم يستعجل موسى بحرقه، فغلبت عليه الغيرة فحرقه ثم نسف رماد تلك الصورة في اليمِّ نسفاً، وقال له ﴿انْظُرْ إِلى إِلهِكَ﴾ فسماه إلهاً بطريق التنبيه للتعليم، لما علم أنه بعض المجالي الإلهية)[2]

---

(١) فصوص الحكم، ج١، ص ١٩٢.

(٢) فصوص الحكم، ج١، ص ١٩٢.

قال آخر: ثم راح يذكر سبب عدم قيام هارون عليه السلام بحرق عجل السامري، فقال: (فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سُلِّط موسى عليه، حكمةً من اللهَّ تعالى ظاهرة في الوجود ليُعْبَد في كل صورة، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعبد إما عبادة تأله وإما عبادة تسخير، فلا بد من ذلك لمن عقل، وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات، ولم يقل رفيع الدرجة، فكثَّر الدرجات في عين واحدة، فإنه قضى ألَّا يعبد إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهياً عُبِدَ فيها، وأعظم مجلى عُبِدَ فيه وأعلاه ﴿الهوى﴾ كما قال ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وهو أعظم معبود، فإنه لا يعبد شيء إلا به، ولا يعبد هو إلا بذاته)(١)

قال آخر: ثم راح يلتمس التبريرات المختلفة لعبادة العجل وغيره، فقال: (ألا ترى علم اللهَّ بالأشياء ما أكمله، كيف تمم في حق من عبد هواه واتخذه إلهاً فقال: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُّ عَلى عِلْمٍ﴾ والضلالة الحيرة، وذلك أنه لما رأى هذا العابِدَ ما عَبَدَ إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمره به من عبادة من عبده من الأشخاص، حتى إن عبادته للهَّ كانت عن هوى أيضاً، لأنه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى ـ وهو الإرادة بمحبةٍ ـ ما عبد اللهَّ ولا آثره على غيره، وكذلك كل من عبد صورة ما من صور العالم واتخذها إلهاً ما اتخذها إلا بالهوى، فالعابد لا يزال تحت سلطان هواه، ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدين، فكل عابدٍ أمراً ما يكفِّر من يعبد سواه، والذي عنده أدنى تنبه يحار لاتحاد الهوى، بل لأحدية الهوى، فإنه عين واحدة في كل عابد، ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُّ﴾ أي حيّره ﴿عَلى عِلْمٍ﴾ بأن كل عابد ما عبد إلا هواه ولا

(١) فصوص الحكم، ج١، ص ١٩٤.

استعبده إلا هواه سواء صادف الأمر المشروع أو لم يصادف، والعارف المكمَّل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سمَّوه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك، هذا اسم الشخصية فيه، والألوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده، وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص، ولهذا قال بعض من عرف مقالة جهالة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهَّ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] مع تسميتهم إياهم آلهة حتى قالوا ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فما أنكروه بل تعجبوا من ذلك، فإنهم وقفوا مع كثرة الصور ونسبة الألوهية لها، فجاء الرسول ودعاهم إلى إله واحد يعرَفُ ولا يُشْهَد، بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قولهم ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهَّ زُلْفى﴾ لعلمهم بأن تلك الصور حجارة، ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾؛ فما يسمونهم إلا بما يعلمون أن تلك الأسماء لهم حقيقة، وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه فيظهرون بصورة الإنكار لما عبد من الصور لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت لحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم الذي به سموا مؤمنين، فهم عبَّاد الوقت مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها، وإنما عبدوا اللهَّ فيها لحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم، وجَهِلَه المنكِرُ الذي لا علم له بما تجلى، ويستره العارف المكمل من نبي ورسول ووارث عنهم، فأمرهم بالانتزاح عن تلك الصور لما انتزح عنها رسول الوقت اتباعاً للرسول طمعاً في محبة اللهَّ إياهم بقوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهَّ﴾، فدعا إلى إله يُصْمَد إليه ويُعْلَم من حيث الجملة، ولا يشهد ﴿ولا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ﴾، بل ﴿هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ﴾ لِلُطفه وسريانه في أعيان الأشياء، فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تدرك أرواحَهَا المدبرةَ أشباحَهَا وصورَها الظاهرة، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ والخبرة ذوق، والذوق تجل، والتجلي

في الصور، فلا بد منها ولابد منه، فلا بد أن يعبده من رآه بهواه إن فهمت)[1]

المثال الثالث:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخنا الجيلي في تفسير الآيات التي تحدثت عن إبليس ورفضه السجود لآدم عليه السلام، وقد قدم لذلك بقوله: (اعلم أن اللهّ تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته، وذات الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ﷺ كما سبق بيانه، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ، وكان اسمه عزازيل، قد عبد اللهّ تعالى قبل أن يخلق الخلق بكذا كذا ألف سنة، وكان الحق قد قال له: يا عزازيل لا تعبد غيري، فلما خلق اللهّ آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له، التبس الأمر على إبليس، فظن أنه لو سجد لآدم كان عابدا لغير اللهّ، ولم يعلم أن من سجد بأمر فقد سجد للهّ، فلهذا امتنع، وما سمي إبليس إلا لنكتة هذا التلبيس الذي وقع فيه فافهم، وإلا فاسمه قبل ذلك عزازيل وكنيته أبو مرّة؛ فلما قال له الحق تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، والعالون هم الملائكة المخلوقون من النور الإلهي كالملك المسمى بالنون وأمثاله، وباقي الملائكة مخلوقون من العناصر، وهم المأمورون بالسجود لآدم، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة وأعرفهم بالسؤال وما يقتضيه من الجواب، لأن الحق لم يسأله عن سبب المانع، ولو كان كذلك لكان صيغة: لما امتنعت أن تسجد لما خلقت بيدي، ولكن سأله عن ماهية المانع، فتكلم على سرّ الأمر فقال: لأني خير منه، يعني لأن الحقيقة النارية وهي الظلمة الطبيعية التي خلقتني منها خير من

---

(١) فصوص الحكم، ج١، ص ١٩٥.

الحقيقة الطينية التي خلقته منها، فلهذا السبب اقتضى الأمر أن لا أسجد، لأن النار لا تقتضي بحقيقتها إلا العلوّ، والطين لا يقتضي بحقيقته إلا السفل)(١)

قال آخر: ولم يكتف بذلك، بل راح يدافع عن إبليس بكل الأساليب، فقد قال: (فلذلك قال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، ولم يزد على ذلك، لعلمه أن اللهّ مطلع على سرّه، ولعلمه أن المقام مقام قبض لا مقام بسط، فلو كان مقام بسط لقال بعد ذلك: (واعتمدت على ما أمرتني أن لا أعبد غيرك)، ولكن لما رأى المحلّ محلّ عتاب تأدّب وعلم من ذلك العتاب أن الأمر قد التبس عليه في الأصل، لأن الحق دعاه بإبليس وهو مشتقّ من الالتباس، ولم يكن يدعى قبل ذلك بهذا الاسم، فتحقق أن الأمر مفروغ عنه، ولم يجزع ولم يندم ولم يتب ولم يطلب المغفرة، لعلمه أن اللهّ لا يفعل إلا ما يريد، وأن ما يريده اللهّ تعالى هو الذي تقتضيه الحقائق، فلا سبيل إلى تغييرها ولا إلى تبديلها)(٢)

قال آخر: ولم يكتف بذلك، بل راح يفسر عقاب الله له بما يخرجه عن كل معانيه الظاهرة الواضحة، فقد قال: (قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه، فقيل له: أتصنع هكذا وقد طردت من الحضرة؟ فقال: هي خلعة أفردني الحبيب بها لا يلبسها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل؛ ثم إنه نادى الحق كما أخبر عنه سبحانه وتعالى قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩] لعلمه أن ذلك ممكن، فإن الظلمة الطبيعية التي هي ممتدة باقية في الوجود إلى أن يبعث اللهّ تعالى أهلها، فيتخلصون من الظلمة الطبيعية إلى أنوار الربوبية، فأجابه الحق وأكد بأن قال له: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٨٠-٨١] وذلك رجوع أمر الوجود إلى حضرة الملك المعبود، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] لأنه يعلم أن الكل تحت حكم الطبيعة وأن الاقتضاءات

(١) الإنسان الكامل (الجيلي)، ص ١٩٨.

(٢) الإنسان الكامل (الجيلي)، ص ١٩٨.

الظلمانية تمنع من الصعود إلى الحضرات النورانية: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣] يعني الذين خلصوا من ظلمة الطبائع إقامة الناموس الإلهي في الوجود الآدمي، فإن كان المخلص بصيغة المفعول كان الأمر بالنسبة إلى الحقيقة الإلهية، يعني أخلصهم الله بجذبهم إليه، وإن كان بصيغة الفاعل كان بالنسبة إلى الحقيقة العبدية، يعني تخلصوا بالأعمال الزكية كالمجاهدات، والرياضات، والمخالفات، وأمثال ذلك. فلما تكلم بهذا الكلام أجابه الحق فقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]؛ فلما تكلم إبليس عليه اللعنة من حيث ما تقتضيه الحقائق أجابه الحق تعالى من حيث ما تكلم به إبليس حكمة إلهية، وذلك أن الظلمة الطبيعية التي تسلط بها إبليس عليهم وأقسم أنه يغويهم هي عينهم القائدة لهم إلى النار، بل هي عين النار، لأن الطبيعة المظلمة هي النار التي يسلطها الله تعالى على قلوب المفسدين، فلا يتبع إبليس أحد إلا من دخلها، ومن دخلها فقد دخل النار، فانظر إلى هذه الحكمة الإلهية كيف أبرزها الله تعالى برقيق إشارة ودقيق عبارة، ليفهمه من يستمع القول فيتبع أحسنه، فافهم إن كنت ممن يفهم، فديت من يعقل ما رمزت إليه، وفديت من يعلم)[1]

قال آخر: ولو أن شيخنا هذا وغيره من المشايخ الذين تجرؤوا على مثل هذه الأحاديث أطاعوا رسول الله ﷺ في وصيته بأئمة الهدى، لكان ما قاله الإمام علي في الشيطان رادعا لهم عن الخوض فيها؛ فقد قال: (الحمد لله الّذي لبس العزّ والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرما على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللّعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب: ﴿إِذْ قَالَ

(١) الإنسان الكامل (الجيلي)، ص ١٩٨.

رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٤] اعترضته الحميّة فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله فعدوّ الله إمام المتعصّبين، وسلف المستكبرين، الّذي وضع أساس العصبيّة، ونازع الله رداء الجبريّة، وادّرع لباس التّعزّز، وخلع قناع التّذلّل.. ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره، ووضعه بترفّعه، فجعله في الدّنيا مدحورا، وأعدّ له في الآخرة سعيرا!؟.. ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه، ويبهر العقول رواءه، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه، لفعل، ولو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة، ولكنّ الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزا بالاختبار لهم، ونفيا للاستكبار عنهم، وإبعادا للخيلاء منهم؛ فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس اذ أحبط عمله الطّويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستّة آلاف سنة، لا يدرى أمن سني الدّنيا أم من سني الآخرة، عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلّا، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا، إنّ حكمه في أهل السّماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرّمه على العالمين.. فاحذروا عباد الله عدوّ الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزّكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق إليكم بالنّزع الشّديد، ورماكم من مكان قريب، فقال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩] قذفا بغيب بعيد، ورجما بظنّ غير مصيب، صدّقه به أبناء الحميّة، وإخوان العصبيّة، وفرسان الكبر والجاهليّة)[1]

المثال الرابع:

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٣٤ ص ٧٧٦.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخنا عبد الرزاق الكاشاني في تفسيره لما ورد في سورة الأنبياء من قصة إبراهيم عليه السلام، فقد قال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]: (وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ الروح رُشْدَهُ المخصوص به الذي يليق بمثله وهو الاهتداء إلى التوحيد الذاتي ومقام المشاهدة والخلة مِنْ قَبْلُ أي: قبل مرتبة القلب والعقل متقدّما عليهما في الشرف والعزّ وكُنَّا بِهِ عالِمِينَ أي: لا يعلم بكماله وفضيلته غيرنا لعلوّ شأنه)(١)

قال آخر: وقال في [الآيات ٥٢ الى ٥٨]: (﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ﴾ النفس الكلية ﴿وقَوْمِهِ﴾ من النفوس الناطقة السماوية وغيرها ﴿ما هذِهِ التَّماثِيلُ﴾ أي: الصور المعقولة من حقائق العقول والأشياء وماهيات الموجودات المنتقشة فيها ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾ مقيمون على تمثلها وتصوّرها وذلك عند عروجه من مقام الروح المقدّسة وبروزه عن الحجب النورية إلى فضاء التوحيد الذاتي، كما قال عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ والْأَرْضَ حَنِيفاً﴾، ومن هذا المقام قوله لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا.. ﴿وَجَدْنا آباءَنا﴾ عللنا من العوالم السابقة على النفوس كلها من أهل الجبروت ﴿لَها عابِدِينَ﴾ باستحضارهم إياها في ذواتهم لا يذهلون عنها ﴿فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ في حجاب عن الحق نوريّ، غير واصلين إلى عين الذات عاكفين في برازخ الصفات لا تهتدون إلى حقيقة الأحدية والغرق في بحر الهوية ﴿أَجِئْتَنا بِالْحَقِ﴾ أي: أحدث مجيئك إيانا من هذا الوجه بالحق فيكون القائل هو الحق عزّ سلطانه أم استمر بنفسك كما كان فتكون أنت القائل فيكون قولك لعبا لا حقيقة له° فإن كنت قائما بالحق، سائرا بسيره، قائلا به، صدقت وقولك الجدّ وتفوّقت علينا، وتخلفنا عنك، وإن كنت بنفسك فبالعكس ﴿بَلْ رَبُّكُمْ﴾ الجائي

(١) تفسير ابن عربى (تأويلات عبد الرزاق)، ج٢، ص ٤٣.

والقائل ربكم الذي يربكم بالإيجاد والتقويم والإحياء والتجريد والإنباء والتعليم ربّ الكل الذي أوجده ﴿وأَنَا عَلى ذلِكُمْ﴾ الحكم بأن القائل هو الحق الموصوف بربوبية الكل ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ وهذا الشهود هو شهود الربوبية والإيجاد وإلا لم يقل أنا وعلى إذ الشهود الذاتي هو الفناء المحض الذي لا أنائية فيه ولا اثنينية، وتلك الاثنينية بعد الإفصاح بأن الجائي والقائل هو الحق الذي أوجد الكل مشعرة بمقام الكل المتخلف عن مقام ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾ لأمحونّ صور الأشياء وأعيان الموجودات التي عكفتم على إيجادها وحفظها وتدبيرها، وأقبلتم على إثباتها بعد أن تعرضوا عن عين الأحدية الذاتية بالإقبال إلى الكثرة الصفاتية بنور التوحيد ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بفأس القهر الذاتي والشهود العيني ﴿جُذاذاً﴾ قطعا متلاشية فانية ﴿إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ﴾ هو عينه الباقي على اليقين الأول الذي به سمى الخليل خليلا ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ يقبلون منه الفيض ويستفيضون منه النور والعلم كما استفاض هو منه أولا)[1]

قال آخر: وقال في [الآيات ٦٢ الى ٦٣]: (﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا﴾ صورة إنكار لما لم يعرفوا من كماله إذ كل ما يمكن للنفوس معرفته فهو دون كمال العقول التي هي معشوقاتها وهي محجوبة عن كماله الإلهي الذي هو به أشرف منها ﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ أي: ما فعلته بأنانيتي التي أنا بها أحسن منها، بل بحقيقتي وهويتي التي هي أشرف وأكبر منها ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾ بالاستقلال، أي: لا نطق لهم ولا علم ولا وجود بأنفسهم بل باللهّ الذي لا إله إلا هو﴾[2]

قال آخر: وقال في [الآيات ٦٤ الى ٦٥]: (﴿فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالإقرار والإذعان معترفين بأن الممكن لا وجود له بنفسه فكيف كماله ﴿فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بنسبة

---

(١) تأويلات عبد الرزاق، ج٢، ص ٤٣.

(٢) تأويلات عبد الرزاق، ج٢، ص ٤٤.

الوجود والكمال إلى الغير لا هو ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رؤوسهم﴾ حياء من كماله ونقصهم وخضوعا وانفعالا منه ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بالعلم اللدني الحقاني فناءهم فنفيت النطق عنهم، وأما نحن فلا نعلم إلا ما علمنا اللهّ فاعترفوا بنقصهم كما اعترفوا به عند معرفتهم لآدم بعد الإنكار، فقالوا: ﴿لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا﴾ (١)

قال آخر: وقال في [الآيات ٦٦ الى ٦٨]: (﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِّ﴾ وتعظمون غيره مما لا ينفع ولا يضر، إذ هو النافع الضارّ لا غير أُفٍّ لَكُمْ أتضجر بوجودكم ووجود معبوداتكم ووجود كل ما سواه تعالى ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ أن لا مؤثر ولا معبود إلا اللهّ ﴿حَرِّقُوهُ﴾ أي: اتركوه يحترق بنار العشق التي أنتم أوقدتموها أولا بإلقاء الحقائق والمعارف إليه التي هي حطب تلك النار عند رؤيته ملكوت السموات والأرض بإراءة اللهّ إياه، كما قال: ﴿وكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ والْأَرْضِ﴾ وإشراق الأنوار الصفاتية والأسمائية عند تجليات الجمال والجلال عليه من وراء أستار أعيانكم التي هي منشأ اتقاد تلك النار ﴿وانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: معشوقاتكم ومعبوداتكم في الإمداد بتلك الأنوار وإيقاد تلك النار ﴿إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾ بأمر الحق﴾ (٢)

قال آخر: وقال في [الآيات ٦٩ الى ٧١]: (﴿يا نارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً﴾ بالوصول حال الفناء، فإن لذّة الوصول تفيد الروح الكامل والسلامة عن نقص الحدثان وآفة النقصان والإمكان في عين نار العشق ﴿وأَرادُوا بِهِ كَيْداً﴾ بإفنائه وإحراقه ﴿فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ الأنقصين منه كمالا ورتبة ﴿ونَجَّيْناهُ﴾ ولوط العقل بالبقاء بعد الفناء بالوجود الحقاني الموهوب إلى أرض الطبيعة البدنية ﴿الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ بالكمالات العملية المثمرة والآداب الحسنة المفيدة والشرائع والملكات الفاضلة ﴿لِلْعالَمِينَ﴾ أي: المستعدّين لقبول فيضه وتربيته

---

(١) تأويلات عبد الرزاق، ج٢، ص ٤٤.

(٢) تأويلات عبد الرزاق، ج٢، ص ٤٥.

وهدايته)[1]

قال آخر: هذه بعض النماذج عما ورد في تفاسير شيوخنا، وهي كما ترون تتعسف في التأويل، وإخراج المعاني القرآنية عن ظواهرها الواضحة المعلومة، بل هي تتناقض معها تماما، وفوق ذلك كله عدم انضباطها بأي ضوابط، لأن المفسر فيها يترك لقلمه العنان ليعبر بما شاء وكيف شاء، لأن كل ما يرد على خاطره ـ كما يذكر ـ إلهام إلهي.

٦. الكشف والتعالم:

قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فهل هناك غير ما ذكرتم مما ترون أنه يجب عليكم بيانه لنا حتى لا نقع في المهالك، ونحن نبحث عن الممالك؟

قال أحد الشيوخ: أجل.. وهو تلك الدعاوى العريضة المرتبطة بالعلم والمعرفة، والتي لا تجعلها حكرا على من تتملذوا على كتب أولئك الذين خصصناهم من دون من المؤمنين بلقب العارفين بالله، وإنما يشمل تلك المناهج التي تعارف البشر على استعمالها للتعلم والمعرفة.

قال آخر: ولهذا نراهم يذكرون الكثير من العلوم التي خُصوا بها من دون الناس، ومن غير أن يستعملوا في الوسائل المعروفة للتعلم.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك تلك الدعاوى الطويلة العريضة المرتبطة بالقدرات العلمية الهائلة لمشايخ الصوفية الكبار، بل والمريدين منهم، والتي لا ترتبط فقط بالمعرفة بالله وحقائق الدين وقيمه، وإنما ترتبط بكل شؤون الحياة، وبكل المعارف الدينية والكونية.

قال آخر: وكل ذلك من غير تكلف دراسة ولا بحث، ولا حضور للمدارس والجامعات، ولا معاناة مطالعة وبحث.. بل يكفي أن يجلس أحدهم في الخلوة أربعين يوما،

---

(١) تأويلات عبد الرزاق، ج٢، ص ٤٥.

أو أقل أو أكثر ليتنزل عليه حينها من العلوم ما يغنيه عن كل جامعات العالم ومكتباتها.. وبذلك انحرف دور الخلوة من كونها محلا لتحقيق التعمق في الإيمان وتذوقه إلى محل لاصطياد المعارف والعلوم.

قال آخر: ولهذا نجد في كتب مشايخنا المصنفات الخاصة بنتائج الخلوة، واعتبارها معيارا لصحتها، فمن خرج عندهم من خلوته بالإيمان المجرد عن تلك المعارف، لا يكون قد نال من ثمار خلوته شيئا.

قال آخر: ومعظم هذه الكتب مقتبسة من كتب شيخنا الأكبر، وخاصة كتابه [الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من أسرار]، بالإضافة إلى ما كتبه في الفتوحات عنها.

قال آخر: ومن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب [الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم] للشيخ عبد الوهاب الشعراني، وهو في ذكر ما يمكن ان ينتج للمريد من كشف وفتوح وأسرار إلهية في الخلوة عند قراءته لكل سورة من سور القرآن، وقد قال في مقدمته: (فهذا كتاب نفيس ليس في ذخائر ملوك الدنيا مثله سميته بـ [الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم]، وضمنته أسرارا غريبة وعلوما شريفة فاخرة عجيبة لا مرقى لأحد إلى التسابق إلى معرفة شمس من أسراره وعلومه بالفكر ولا إمعان نظر في كتب وإنما ذلك هبة من الله تعالى لمن شاء من عباده المختصين إما من طريق الخلوة المعروفة بين القوم، وإما من طريق الجذب الإلهي للعبد، غير ذلك لا يكون، وإنما خصصنا تلك الأسرار والعلوم بالخلوة جريا على الغالب وإلا فالمجذوب الإلهي قد تحصل له هذه الأمور ولكنه لا يصلح لتربية المريدين لجهله بمراتب الطريق؛ فهو كمن خطف من أرض مصر إلى مكة مثلا فلا يعرف مناهل الطريق ومراحلها كما يعرفها الذي يسافر مع الدليل والركب فافهم.. وأيضا فإن الخلوة تجمع القلب على

حضرة الرب وما دام العبد لم يدخل الخلوة فهو مع الخلق لا مع الحق جل وعلا ومعلوم أن الخلق ليسوا بأهل لإفاضة هذه الأسرار والعلوم من ذواتهم وإنما يفيضها الحق تعالى عليهم إذا دخلوا في حضرته بعد تهذيب أخلاقهم وزوال رعونات نفوسهم كما هو معروف بين العارفين)[1]

قال آخر: وهو لا يقصد بهذا تعميق المعارف الإيمانية لتتحول من علم اليقين إلى عين اليقين، أو إلى حق اليقين، وإنما يقصد أنواع العلوم التي يكتسبها المختلي، والتي لا علاقة لها بذلك.

قال آخر: من الأمثلة على ذلك ما ذكره عن العلوم التي يكتسبها المختلي من سورة الفلق، ومن غير أستاذ ولا كتب، فمنها: (علم ما يعطيه الزمان في نشأة الإنسان وفى سائر المعادن والنبات والحيوان، ومنها علم اجتماع الكثير من الأيدي والصفات على إيجاد الواحد، ومنها علم حضرة تمليك ما ينشئه المنشئ من كونه أنشأه، ومنها علم حضرة الرياضة الإلهية والفرق بينها وبين الرياضة الكونية، ومنها علم حضرة النعم، وما لها في الدنيا والآخرة، ومنها علم حضرة المبدأ والمعاد، ومنها علم حضرة التشبيه، وعكس التشبيه، كما هو الأصل الذي ينفع به التشبيه، ومنها علم حضرة التأثير، ومنه تأثير اجتماع الأضداد من العلم الإلهي ووجود النار في الماء والماء في النار، كما ورد متضمنا في مكنون السنة، ومنها علم الحضرة التي أظهرت صفات العالم في عينه، ومنها علم حضرة الملكوت، وأين حظه من الملك والجبروت؟ ومنها علم حمد السراء وتفاصيله وهو علم شريف)[2].. ثم يختم هذه العلوم الكثيرة بقوله: (فهذه أمهات علوم هذه السورة والله سبحانه وتعالى

---

(١) الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة، ص ٢٤.

(٢) الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة، ص ٢٤١.

أعلم)[1]

قال آخر: وهكذا يذكر عند كل سورة أنواع العلوم التي يتقنها صاحبها من خلال جلوسه في الخلوة لتلك الفترة المحدودة، بل قد تتنزل عليه من غير معاناة الخلوة نفسها.

قال آخر: وقد ذكر الشيخ الشعراني في كتابه [الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية] مجامع العلوم التي تثمرها الخلوة، واعتبرها ثمارا ضرورية، على أساسها تكون الخلوة صحيحة أو غير صحيحة، أو كاملة أو غير كاملة، وقد قال في التقديم لها والتعريف بضرورتها واعتبارها المعيار على نجاح الخلوة، ومدى إخلاص صاحبها: (وأما ثمرات الخلوة التي لا ينبغي لشيخ أن يدخل المريد الخلوة إلا إن علم من طريق كشفه حصولها له فهي خمسة وعشرون من انواع الكشف وقد أجمعوا على أن حصولها من علامات صحة الفتح، وأن من لم تحصل له فاشتغاله بالعلم والكسب والصنايع والحرف أفضل له من دخول الخلوة، فيقال لمن اختلى ماذا حصل لك من الكشوفات والعلوم؟ فإن رأيناه كاشفنا بهذه الخمسة وعشرين كشفا صدقناه والا أعرضنا عنه)[2]

قال آخر: وقال في [الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم]: (يقال لمن ادعى الصدق في دخول الخلوة فإذا فتح الله تعالى به على قلبك من العلوم والأسرار والمعارف الربانية والآداب المحمدية فإن أبدى لنا شيئا من العلوم التي ذكرناها في هذا الكتاب وتكلم لنا على كل علم منها قلنا له أنت صادق رضى الله تعالى عن شيخك، وعرفنا أنه محقق لا متشبه بالقوم وإن رأيناه جاهلا بعلوم هذا الكتاب وأسرار الخلوة التي قدمناها عرفنا أنه متشبه لا متحقق وأنه لم يخلص في دخول الخلوة)[3].. وهذا

---

(١) الجوهر المصون والسر المرقوم، ص ٢٤١.

(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٧.

(٣) الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة، ص ٣٦.

يعني أن المختلي ـ بدل أن ينشغل بذكر الله والتقرب إليه ـ ينشغل بالبحث عن تلك العلوم التي سيسأل عنها بعد خلوته، ليثبت نجاحه أو فشله.

قال آخر: وقد ذكر الشعراني أول تلك الكشوف، فقال: (فأول الكشوفات التي تحصل للمختلي أن يكشف له عن عالم الحشر الغائب عنه فلا يحجبه ظلمة ولا جدار عما يفعله الناس في قعور بيوتها، لكن يجب عليه التوبة من هذا الكشف فورا لأنه كشف سلطاني، وينبغي له أن يسأل الله تعالى أن يخلق باسمه الستار.. والفرق بين الكشف الحسّي والخيالي أن يغمض العبد عينيه عند رؤية شخص أو عند رؤية فعل، فإن بقي له الكشف فهو خيالي، وإن زال فليعلم أن الإدراك قد تعلق بمكان مخصوص)[1]

قال آخر: وقال عن العلم الثاني: (أن تنزل عليه المعاني العقلية في الصور الحسيّة فلا يصير بعد ذلك يحتاج إلى إتعاب فكر في تحصيل شيء مما طريقه العقل)

قال آخر: وقال عن العلم الثالث: (أن يؤتى بأوان فيها شراب فينبغي له أن يشرب اللبن منها، وإلا فاللبن ثم العسل، وإن جمع بين اللبن والعسل فهو أفضل، وليحذر من شرب الخمر فإنه يورث الشطح، فإن كان الخمر ممزوجا بماء المطر فليشربه دون الممزوج بماء الأنهار والآبار والعيون، وعليه بالذكر حتى يرتفع عنه عالم الخيال ويتجلى له عالم المعاني المجردة عن المواد)

قال آخر: وقال عن العلم الخامس: (أن يعرض عليه الحق تعالى مراتب المملكة كلها فلا ينبغي له الالتفات إليها)

قال آخر: وقال عن العلم السادس: (أن يكشف له عن أسرار الأحجار المعدنية وغيرها فيعرف سر كل حجر وخاصيته في المضار والمنافع ويعرف عمل الكيمياء الصحيحة

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٧.

التي لا تتغير على مرور الأزمان، فلا ينبغي الالتفات إلى شيء من ذلك)

قال آخر: وقال عن العلم السابع: (أن يكشف له عن أسرار النبات حتى تناديه كل عشبة وتخبره بما فيها من الخواص، ولا ينبغي له الالتفات إلى ذلك، فمن التفت إلى ذلك طرد، وليكن غذاؤه عند حصول هذا الكشف بما كثرت رطوبته وحرارته)

قال آخر: وقال عن العلم الثامن: (أن يكشف له عن أسرار الحيوان كله حتى الحشرات ويسلم عليها وتعرّفه بما أودعه الله فيها من الخواص النافعة والضارة وبما تعبد الله تعالى به من أنواع التسبيح والتمجيد.. وهنا نكتة جليلة وهو أن المختلي إن رأى العوالم مشتغلة بالذكر الذي هو عليه في الخلوة فليعلم أنه كشف خيالي لا حقيقي فإن خياله هو الذي أقيم له في الموجودات، وإن رآها مشتغلة بأنواع أذكارها هي فهو كشف حقيقي)

قال آخر: وقال عن العلم التاسع: (أن يكشف به عن سريان عالم الحياة التي هي سبب الإحياء وما تعطيه من الأثر في كل ذات وكيف تندرج العبادات في هذا السريان فيعرف نشأة الصلاة الحية من الميتة)

قال آخر: وقال عن العلم العاشر: (أن يكشف له عن اللوايح اللوحية ويخاطب بالمخاوف وتتنوع عليه الحالات ويقام له دولاب يعاين فيه صور الاستحالات وكيف يصير الكثيف لطيفا وعكسه)

قال آخر: وقال عن العلم الحادي عشر: (أن يكشف له عن نور نظائر السر حتى يطلب التستر منه فليقدم على الذكر ولا يخف فانه ينقطع عنه ويندفع)

قال آخر: وقال عن العلم الثاني عشر: (أن يكشف له عن نور الطوالع وصورة التراكيب الكلية، وتعرف آداب الدخول إلى الحضرة الإلهية وآداب الوقوف بين يدي الحق جل وعلا، وأدب الخروج من عنده إلى الخلق، وهناك يعرف ان كل شيء نقص من الظاهر

زيد في الباطن والذات واحدة وما ثم نقص حقيقة)

قال آخر: وقال عن العلم الثالث عشر: (أن يكشف له عن مراتب العلوم النظرية ويعرف صور المغاليط التي تطرأ على الافهام وسريان السرّ الإلهي في العالم)

قال آخر: وقال عن العلم الرابع عشر: (أن يكشف له عن عالم التصوير والحسّ والخيال ويمده كل شيء في الوجود بما عنده)

قال آخر: وقال عن العلم الخامس عشر: (أن يكشف له عن مراتب القطبية وعوالمها وكل ما شاهده قبل ذلك فهو من عالم اللسان، وهناك يعطى عالم الرموز والاجمال والوهب)

قال آخر: وقال عن العلم السادس عشر: (أن يكشف عن عالم العزّة فيعرف جميع الأدلة السليمة والشرائع المستقيمة المنزلة من عند الله بواسطة محمد ﷺ على أتم وجوهها ويميز قول الله من قول خلقه ولو حكاه تعالى عنهم ويتأيد عنده الأحاديث التي قيل بضعيفها بالكشف، ويعرف أيضا جميع المقامات ومراتبها في الحضرة الإلهية وتقابله كلها بالتوقير والتعظيم)

قال آخر: وقال عن العلم السابع عشر: (أن يكشف له عن غامضات الأسرار)، وقال عن العلم الثامن عشر: (أن يكشف له عن عالم الحيرة والقصور والعجز وخزائن الاعمال وهي من الجنان عليون فقط)

قال آخر: وقال عن العلم التاسع عشر: (أن يكشف له عن جميع الجنان ومراتب أهلها كلهم وهو واقف على طريق ضيق، ثم عن جهنم ودركاتها ومراتب أهلها، وهناك يعرف كشفا ويقينا الأعمال الموصلة إلى كل من الدارين)

قال آخر: وقال عن العلم الرابع والعشرين: (أن يعرف منازع جميع أحوال المجتهدين من الكتاب والسنة ويخرج من الخلوة وقد نحى نفسه من ديوان الفقراء

الصادقين، وأما من يخرج منها وهو يرى أنه خير من أقرانه فهو ممقوت بإجماع أهل الطريق، إذ هو وقت اللبس الذي أخرج به آدم من حضرة الله)

قال آخر: ثم ختم كل هذه العلوم التي ذكرها بالتأكيد على كونها ثمارا ضرورية؛ فمن فاتته لم يستفد من خلوته.

قال آخر: ولم يكتف بذلك، بل راح يذكر عن غيره اشتراط ثمار علمية أخرى، فقد قال: (كان أخي أبو العباس الحريني يختلي الأربعين وأكثر ويقول: كل خلوة لا تمنح صاحبها هذه العلوم فهي عبث ناقص الاستعداد، وهي: علم حضرة الجمع الأكبر، وعلم مزلات الأقدام، وأسباب السعادة والشقاء، وعلم الفرق بين الكرامة والاستدراج في سائر الأحوال، وعلم جميع مراتب العالم عند الله تعالى على اختلاف طبقات الخلق ومعرفة أنساب جميع الحيوانات إلى أبيها الأول.. ومنها علم التجليات الالهية وعلم بطون عالم الشهادة في عالم الغيب وعكسه.. ومنها علم جواهر القرآن كلها في مقام الإسلام وفي مقام الإيمان وفي مقام الإحسان وفي مقام الايقان.. ومنها علم مراتب الملائكة في الدار الآخرة على التفصيل وعلى الجمع بين الضدين، وإدخال الواسع في الضيق، وطي الزمان، وشهود الجسم الواحد في مكانين فأكثر من مكانين فأكثر في آن واحد)[1]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم كلام الحيوانات من حيث تسبيحها بحمد ربها حال صلاتها ومعرفة الأداة المتعلقة بملائكة الأرض وملائكة الهواء بين السموات كلها، وعلم البرازخ)[2]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم إبراز الغيوب من خلق الحجب، وعلم الظلالات الأقدسية وعلم كيفية الحروف المسطرة في اللوح المحفوظ، وعلم طول العالم

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

وعرضه من الجهات الست)[1]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم حضرات الفردانية والصمدانية وعدتها سبعون ألف حضرة ومعرفة الأحكام المتعلقة بأهل كل حضرة بحيث يصير يمليها كلها من قلبه.. ومنها علوم فتق الرتق بالعروق وفصل الوصل بالختوق)[2]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم حضرات الرجوع ولماذا يرجع كلام الباري جل وعلا، هل هو لذاته، أو لصفة قائمة زائدة عليها، أو لعلمه أو نسبه خاصة، وما محل الإعجاز من جميع الآيات)[3]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم تطورات الحروف ملائكة حال النطق بها بحيث يصير صاحب هذا الكشف يرى الجو كله ملائكة من كلام الخلق)[4]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم الغيب الذي انفرد به الحق جل وعلا، والغيب الذي يطلع خواص عباده عليه، وهل بين كل أرض وأرض سماء فيها ملائكة أم لا)[5]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم الشرائع المبثوثة في جميع العالم وعلم جميع المعجزات والكرامات واستخراجها كلها من مقام محمد ﷺ)[6]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم مظاهر الآيات البرزخية والكرامات الكونية، وعلم ما خص الله تعالى به أصحاب الكهف من العلوم والأسرار، وعلم الانفهامات القدسية والالهامات الملكية والصحف الفردوسية وحضرة الديمومية)[7]

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٣) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٤) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٥) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٦) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٧) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم الآداب التي تجب على أتباع كل أمة ومستحباتها عن غيرها)[1]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم الكنوز ومعرفة حلّ طلسمات جميع الكنوز بأي حرف شاء من حروف الهجاء على عدد مخصوص وحال مخصوص ويتصرف في جميع كنوز الدنيا بما شاء لكنه يترك ذلك اقتداء بجمهور الأنبياء والأولياء)[2]

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم ضم المعاني بعضها على بعض كالألفاظ وهو علم غريب لأن المعاني لا توجد إلا مع الألفاظ، وتجرّد المعاني من الألفاظ محال في العقل)

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم فك المعمى من الأسرار وتفهم مراتب الإيمان وإيضاح السر وعلم التفاضل بين الأنبياء والأولياء على التعيين كما هم في حضرة الله تعالى)

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم حضرة الحجب الشهوانية في الدنيا والآخرة وما يحجب العبد منها عن الله تعالى وما لا يحجبه)

قال آخر: ومن العلوم التي ذكرها: (علم الطبائع.. ومنها علم تمييز الحق من الباطل في سائر الاقوال والافعال والعقائد.. ومنها علم القبض والبسط.. ومنها علم جميع الطرق التي يدخل منها إبليس على جميع السالكين ومعرفة الأمور التي تسد جميع طرقه عنهم وهو من أشرف العلوم.. ومنها علم الصفات والاحكام التي كانت للأرواح قبل دخولها في هذا الجسم والصفات التي تكون عليها بعد دخولها)

قال آخر: ثم عقب على هذه العلوم الكثيرة بقوله: (فهذا بعض علوم الخلوة التي

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٨٩.

ذكرها أخي أفضل الدين رحمه الله)[1]

قال آخر: وذكر العلوم التي اشترطها شيخ آخر، فقال: (وكان سيدي علي المرصفي رضي الله عنه يقول: كل خلوة لا يطلع صاحبها إذا خرج منها على هذه العلوم فلا ثمرة لها وهي غير مشروعة بل هي إلى الرياء أقرب)

قال آخر: وقد ذكر أن (أولها أن يكشف له عن علم آداب ردى الحجب وعدتها سبعون ألف حجاب وذلك ليرفع عنه إذا دخل في الصلاة، وأن يعطى علم آداب المشاهدات العيانية والمكالمات البيانية)

قال آخر: وذكر أن (ثانيها: أن يعطيه الله تعالى معرفة أهل الجنة ومعرفة من يدخل النار من الموحدين ممن لا يدخلها)

قال آخر: وذكر أن (ثالثها: أن يعطيه الله تعالى علم جميع ما أحصاه في الإمام المبين من العلوم وعدتها ما يحصل من ضرب ثلاث مائة وستين ألفا في مثلها تسع مرات وثلث)

قال آخر: وذكر أن (رابعها: أن يعطيه الله تعالى معرفة أحكام الكتاب والسنة في مقام الإسلام ومقام الإيمان ومقام الإحسان ومقام الإيقان ويصير يعرف شروط كل عبادة وأركانها وسننها وآدابها في كل مقام من هذه الأربعة مقامات وهو علم عزيز)

قال آخر: وذكر أن (خامسها: أن يعطيه الله تعالى علم فك رموز الحقائق وحل معميات الدقائق)

قال آخر: وذكر أن (سادسها: أن يعطيه الله تعالى علم آداب الدخول إلى حضرة الله الخاصة بالصلاة، وأمهاتها عشرة آلاف أدب وأما فروعها فلا تنحصر، وما قدروا الله حق قدره)

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٩٢.

قال آخر: وذكر أن (سابعها: أن يعطيه الله تعالى علم استخراج جميع الكتب المنزلة من القرآن العظيم وتمييز جميع الشرائع عن بعضها وما تزيد كل شريعة أو تنقص عن الأخرى، وكان سيدي ابراهيم المتبولي يقول: لما دخلت الخلوة أطلعني الله تعالى على رجوع جميع الكتب المنزلة إلى القرآن ورجوع القرآن كله من حيث معانيه إلى الفاتحة ورجوع الفاتحة إلى الباء ورجوع الباء إلى النقطة، وصرت أستخرج جميع مذاهب المجتهدين من أي حرف شئت من حروف الهجاء)(١)

قال آخر: وذكر أن (ثامنها: أن يعطيه الله علم حضرات الأسماء ومعرفة إسناد كل قول في الشريعة إلى اسم الهي)

قال آخر: وذكر أن (تاسعها: أن يعطيه الله تعالى علم كل علامات الساعة وأمهاتها ألف علامة لا تقع كل واحدة إلا بعد سنة، ويصير يعرف الأمور المبرمة والأمور المعلقة من المنكرات فيشدد في المعلقة ويخفف في المبرمة لئلا يعارض فيما أخبر به الشارع)

قال آخر: وذكر أن (عاشرها: أن يعطيه الله تعالى معرفة سائر الألسن الخاصة بالإنس والجن فلا يخفى عليه فهم كلام أحد منهم ولو تشكل في غير صورته الأصلية)

قال آخر: وذكر أن (حادي عشرها: أن يعطيه الله تعالى علم سر القدر الذي طوى علمه عن الخلائق ما عدا محمد ﷺ ومن ورثه في المقام من طريق الكشف)

قال آخر: وذكر أن (ثاني عشرها: أن يعطيه الله تعالى ما ينطوي عليه كل إنسان من الخير والشر بمجرد رؤيه أنفه)

قال آخر: وذكر أن (ثالث عشرها: أن يعطيه الله تعالى معرفة غسالات الخطايا في الماء الذي يتطهر الناس منه فيصير يميز بين غسالة الكبائر والصغائر والمكروهات وخلاف

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٩٢.

الأولى برؤية ذلك الماء فلا يخطىء)[1]

قال آخر: وذكر أن (رابع عشرها: أن يعطيه الله تعالى علم الطبائع ومعرفة ما يقبل الانتقال عن طبعه وما لا يقبل من سائر الحيوانات)

قال آخر: وذكر أن (خامس عشرها: أن يعطيه الله معرفة العلوم التي يختص بها الإنسان، والعلوم التي يختص بها الملك، والعلوم التي تختص بها البهائم، وما يدخل مع الإنسان قبره من العلوم ويدوم معه إلى الآخرة، وما ينقطع حكمه بالموت)

قال آخر: وذكر أن (سادس عشرها: أن يعطيه الله تعالى معرفة ترتيب الأسماء الإلهية في الظهور وما أول اسم ظهر وما هو الذي تلاه في الظهور وهكذا، وما هو الاسم المهيمن على سائر الأسماء)

قال آخر: وذكر أن (سابع عشرها: أن يعطيه الله تعالى معرفة الآداب التي تختص بالبعث والنشور والحشر إلى دخول الجنة، ومعرفة الآداب التي تكون في الجنة، وهل هي مستنبطة من آداب الشريعة أم يوحي بها الله إلى أهل الجنة، فإن الأدب مع الله لا يختص بمكان بل هو واجب على الدوام)

قال آخر: وذكر أن (ثامن عشرها: أن يعطيه الله تعالى علم نسبته جميع الأمور إلى الله تعالى والى الخلق، ومنه يعرف حقيقة مسألة خلق الافعال التي عجزت عقول العلماء عن تحقيقها)

قال آخر: وذكر أن (تاسع عشرها: أن يعطيه الله تعالى معرفة الجمع بين أقوال جميع المجتهدين وأتباعهم ورجوعها كلها إلى عين الشريعة من غير ترجيح قول على آخر كشفا ويقينا لا ظنا وتخمينا)

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٩٢.

قال آخر: وذكر أن (عشرينها: أن يعطيه الله تعالى معرفة أسرار القرآن والسنة المسمى بعلم الحقيقة، ويطابق بينها وبين الشريعة ويراها حقيقة واحدة لها مرتبتان: عليا وسفلى)[1]

قال آخر: وذكر أن (حادي عشرينها: أن يعطيه الله تعالى معرفة جميع العلوم حتى يهلك صاحبها في عين ما يظن سعادته بها كعلوم البراهمة ونحوها)

قال آخر: وذكر أن (ثاني عشرينها: أن يعطيه الله تعالى تطورات الأقوال والأفعال والأغراض ومعرفة ما تطورت منه تلك الصور على اختلاف أجناسها بمجرد رؤيتها)

قال آخر: وذكر أن (ثالث عشرينها: أن يعطيه الله تعالى وزن الرجال ومعرفة مقام كل إنسان برؤية تدوير فمه أو بأصر عينه)

قال آخر: وذكر أن (رابع عشرينها: أن يعطيه الله تعالى معرفة تفاصيل الآيات والصور وجميع الأنبياء على اختلاف طبقاتهم وما فضل الله به كل واحد عن بقيّة أجناسه)

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك كله؛ فقد ذكر في كتابه [الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة] عدد تلك العلوم نقلا عن شيخنا الأكبر، فقال: (ومنها أن يكشف له عدد أمهات علوم الإمام المبين الذي أحصى الله تعالى فيه علم كل شيء وعدتها كما ذكره الشيخ محيى الدين بن العربى في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات المكية مائة ألف نوع وستمائة نوع وتحت كل نوع من العلوم ما لا يحصى في الدفاتر)[2]

قال آخر: ومن تلك العلوم (أن يكشف له عن عدد أهل الجنة الذين كانوا في ظهر آدم عند أخذ الميثاق وهى.. ما يتحصل من ضرب تسعمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف تسع مرات ونصف ذلك وسدسه مضروبا ذلك كله في الأس لا يزيدون على ذلك واحدا ولا ينقصون، وأما أهل النار فلا يحصى عددهم إلا الله فإن أهل الجنة

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج٢، ص ٩٢.

(٢) الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة، ص ٣٠.

كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود)[1]

٧ ـ الكشف والشعوذة:

قام أحد الحضور، وقال: وعينا هذا.. فهل هناك غير ما ذكرتم مما ترون أنه يجب عليكم بيانه لنا حتى لا نقع في المهالك، ونحن نبحث عن الممالك؟

قال أحد الشيوخ: أجل.. وهو لا يقل خطرا عن جميع ما ذكرنا.. بل هو أخطرها من حيث انتشاره بين المسلمين وكونه سببا لتخلفهم.. وهو ربط مشايخنا للشعوذة والطلاسم بالقرآن الكريم، حتى أصبح عندهم، وكأنه كتاب سحر، لا كتابة هداية.

أ. الشعوذه والقرآن:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك الكتاب المشهور الذي يستعمله الكثير من المشعوذين والدجالين [شمس المعارف الكبرى] لشيخنا الكبير أحمد بن علي البوني، والذي قال في مقدمة كتابه يبين غرضه منه: (وإني لما رأيت كلام الأجلاء ممن علت كلمتهم وانبسطت في الآفاق حكمتهم وعمت في البرايا بركتهم قد ألفوا في التصريف بالأسماء والصفات وأسرار الحروف والأذكار والدعوات، وقد رغب إلى من تعلق بي وده في توضيح ما ألّفوه وذخيرة ما كنزوه، فأجبته مع الإقرار بالعجز عن فهم مدارك السلف الماضين والأئمة المحققين الهادين، ورجوت من اللهّ بذل الاعتراف والاقتراف أن يمدني من أرواح أرواحهم بلطائف الإسعاف، فيكون النطق موافقا للتحقيق ومفصلا بلسان التصديق)[2]

قال آخر: وقد استخدم القرآن الكريم في تصريف وإدارة كل شيء من غير أن يستدل بآية واحدة، ولا بحديث واحد.. وما حاجته للاستدلال بها، وهو يستند إلى الكشف الذي يغنيه عن كل تلك الوسائط.

---

(١) الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة، ص ٣٠.

(٢) شمس المعارف الكبرى، ص ٧.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله: (إذا أردت اتخاذ إخوان من الجن المؤمنين يقضون حاجتك، ويسعون في مرضاتك، فابدأ بالصوم يوم الأربعاء إلى يوم السبت الرابع منه، بعد أن تغسل الثوب والبدن، واقرأ سورة الإخلاص كل يوم ألف مرة، وسورة يس مرة، وسورة الدخان، وتنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك مرة، فإذا كان عصر يوم السبت وهي الساعة العاشرة، اعتزل عن الناس في موضع خال في بقعة نظيفة، وتأخذ سبع براوات من الكاغد)[1]

قال آخر: وبعد أن ذكر الآيات التي تكتب عليها، وبعد صلاة أربع ركعات بالفاتحة ويس في الأولى، والدخان في الثانية، والثالثة الفاتحة والسجدة وتبارك الملك.. ونتيجة كل هذه الأعمال الكثيرة المرتبطة بالقرآن الكريم ما عبر عنه بقوله: (يظهر لك سبعة أشخاص من أشراف الجن وكبرائهم، ويسلمون عليك ويمتثلون أمرك، وقبل قراءة الأسماء تعلق عليك سبع براوات في خيط مثل الطرطور، وضعه على رأسك قبل شروعك في الصلاة، ويكون معك شمع، فتأخذ براوات من السبعة التي كتبتهم وتقرأها عليهم وتقول: أيكم صاحب هذه البراوة وصاحب هذه الرقعة فيقول واحد منهم: أنا صاحبها فتقول له: ما اسمك فيقول: فلان فتكتب اسمه أعلى الرقعة، ثم تقول: خاتمك وتأخذ الخيط والشمع وتختم به أسفل الرقعة كما تختم المكتوب، ثم تقول لكل واحد منهم كذلك حتى تنتهي إلى السابع، ثم تقول أقسمت عليكم بما في هذه الرقعة من الأسماء إلا ما حضرتم وأجبتم دعوتي إذا دعوتكم، ثم تقول انصرفوا بارك اللهّ فيكم وعليكم، ثم ارفع تلك البراوات والرقعة المختومة في مكان طاهر حتى يبدو لك حاجة من طعام أو شراب أو علم شيء أو كنز أو خبيئة أو غير ذلك، فادعهم يجيبوك في أسرع وقت بإذن اللهّ تعالى، وإياك أن تكون غير قوي

(١) شمس المعارف الكبرى، ص ٥٤.

القلب ثابت العزم ذا همة عالية ودماغ ثابت وقلب قوي وتكون ممارسا للخلوة والرياضات، وإن كنت غير ذلك، فإياك أن تحضرهم فتضر نفسك، واحذر من مشاهداتهم فإنها تكشف قناع القلب، وإذا اقتصرت على الخاتم المثمن الذي تقدم ذكره ففيه الكفاية إن شاء الله تعالى)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في الرياضة المرتبطة بسورة الجن، حيث قال: (اعلم أيها الأخ في الله إذا أردت ذلك صم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء، ثم الأربعاء والخميس وهو صيامك عن غير ذي روح، وأنت تبخر بحصا لبان وجاوي ليلا ونهارا، وأنت تقرأ السورة الشريفة في مدة ثلاثة أيام، ألف مرة في تلك المدة المذكورة تقرأ في كل يوم ٣٣٣ مرة وأكثر، والمراد تكميلها بالألف في تلك المدة المذكورة واجتهد أن يكون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثلث الأوسط من الليل، فإنه يحضر لك خادمها، وهو رجل قصير طويل اليدين، فيجلس قدامك، ويقول لك: السلام عليك، فثبت جناحك فإن عليك هيبة عظيمة، وهو من ملوك الجان المؤمنين الذين أسلموا على يد النبي ﷺ، فتنظر ثلاث رجال خلفه، فإن ثبت نفسك قضيت حاجتك، وإن توهمت أو تلجلجت، فإنهم ينصرفون عنك ويخيب عملك وسعيك، فيجب عليك أن تشجع نفسك، ولا تخف فإن اسمه أبو يوسف، فقل: يا أبا يوسف قد وجب عليك حقي، وأنت ترى ما أنا فيه من الفاقة والضيق، وأريد منك هذه الساعة الشيء المباح الحلال أستعين به على نفقتي ونفقة عيالي، وأستعين به على الحج إلى بيت الله الحرام وأجرك على الله.. واعلم يا أخي إن أنت قويت قلبك وتكلمت الكلام الذي ذكرناه فإنه يلتفت إلى أحد الرجال الذين من ورائه ثم يأمرهم بشيء فإنه يأتي به بأسرع من البرق وهو مما قد قسم الله لك من القدم فخذ ما وصل إليك واشكرهم وداع لهم فإنهم ينصرفون،

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص ٥٤.

وحكي عن الشيخ الصالح أبي عبد اللهّ حسين بن منصور، أنه فعل ذلك، فأتاه الخادم بعشرة آلاف دينار، وحكي أن تلميذ يحيى فعلها، فلما حضر بين يديه خادم السورة خاف واصطكت أسنانه وخرس لسانه فلم يطق أن يكلمه، وكلما فتح عينيه وجده بين يديه، فلما أفاق وطال الأمر ولم ينطق انصرف الخادم عنه، ولم يحصل منه ضرر، فعليك أيها الطالب بثبات الجنان، فإن خادم هذه السورة من الجن المؤمنين وهو لم يضر الطالب، والعزيمة والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قال عن سورة الكهف: (اعلم وفقني اللهّ وإياك أنك إذا أردت الوصول للكبريت الأحمر والعنبر الأشهب، وفتح باب هذا الكنز المطلسم وفك رمزه وإبطال موانعه، فتعمد إلى مكان طاهر نظيف بعيد عن الأصوات والحركات، وتنصب لك في الأرض محرابا وتبسط تحتك رملا ناعما، ثم إنك تغتسل وتلبس ثيابا كلها بيضاء، وتبخر بأجل البخور وتطهر جوفك من المأكل الحرام وكل ما فيه شبهة، ثم تدخل في الرياضة ولا تأكل ولا تشرب شيئا فيه روح ولا ما خرج من روح مدة ١٤ يوما، ويكون أول دخولك في الرياضة في شهر يكون أوله يوم الجمعة، وتدخل الخلوة بعد صلاة الجمعة، ثم تبخر المكان بالبخور الطيب مثل العود والقاقلي والجاوي والند ومثل العنبر إن أمكن وتقرأ سورة الكهف إن أمكن عقيب كل صلاة مرة، وفي جوف الليل ٧ مرات، وكلما تلوت السورة تطلق البخور إلى انتهاء العدد المذكور، فإذا كان ليلة الجمعة تجلس على ركبتيك، وتصلي على النبي ﷺ ألف مرة، ثم تبدأ بقراءة سورة الكهف أربعين مرة وتصلي بين قراءة كل مرتين ركعتين خفيفتين بالفاتحة والإخلاص ٣ مرات وتصلي على النبي عليه السّلام ١٠ مرات، فإذا تمت القراءة تستغفر اللهّ وتحمده، وتقول الباقيات الصالحات ١٠٠ مرة، فإذا أصبحت

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص ١٣٥.

وصليت الصبح وتحمد اللهّ بجميع محامده التي في القرآن العظيم، وبعد التحميد تبتهل إلى اللهّ تعالى وتدعوه بالدعوات الصالحات، فإذا فرغت من دعائك فقم وتمش واذكر اللهّ حتى تخرج لخارج سور المدينة، فيقبل عليك خادم السورة الشريفة على صفة شاب حسن طيب الرائحة، فيسلم عليك فردّ عليه السلام وتأدب معه، فإنه يدفع إليك كيسا فيه ألف دينار ويشترط عليك شروطا منها: زيارة الأموات كل يوم جمعة، ولا تنسى الفقراء والمساكين وأن لا تزني فتجيبه إلى طلبه وتشكر منه، فيقول لك الخادم عبد اللهّ إن قرأتها وفعلت ذلك كل شهر ترزق ألف دينار، فتصرف الخادم وتقول له: شكر اللهّ سعيك وغفر لنا ولك وانصرف مأجورا بخير. واكتم سرك واللهّ أعلم)(١)

قال آخر: ومثل ذلك قال عن سورة الواقعة: (اعلم أن هذه السورة مفتاح باب الغنى.. ولها خواص كثيرة فمنها إن من واظب على قراءتها عقب الصلوات الخمس فإنها تكون أمانا له من الفقر والفاقة. ومن خواصها للدخول على الملوك والوزراء والحكام، تقرأ السورة قبل أن تقابل ما ذكرنا وتقول عند خروجك: توكلوا يا خدام هذه السورة الشريفة بعقد لسان كذا، بحق سورة الواقعة عليكم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، توكلوا بفلان وتسمي ما تريد وتقول: خيركم بين أعينكم وشركم تحت أرجلكم، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. توكلوا يا خدام هذه الأسماء والدعوة والسورة الشريفة بمهمهوب ٢ ذي لطف خفي، بصعصع ٢ ذي نور بهي لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، اجعلوني يا خدام هذه السورة نافذ الكلمة عند فلان بن فلانة، يسمع قولي ويطيع أمري ويقضي لي مصالحي وجميع ما أطلبه منه وما أريده، بحق هذه الآية الشريفة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦])(٢)

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص ١٣٥.

(٢) شمس المعارف الكبرى، ص ١٤٢.

قال آخر: ومن خواصها التي ذكرها: (للعطف والمحبة والصلح بين اثنين في الحلال، لأن كلامه تعالى لا يتصرف إلا في الحلال، وأما والعياذ بالله من يفعله في الحرام، فإنه يضر بنفسه ولا يجاب له، فإذا أردت محبة بين متباغضين، فاقرأ السورة على شيء من المأكول وقل عند انتهاء السورة: توكلوا يا خدام هذه السورة بالإلفة والمحبة بين كذا وكذا، بحق ههطوب ٢، طوب ٢، أجب يا صمعون ذو بهاء وجمال، توكلوا يا خدام هذه السورة الشريفة بالمحبة الدائمة والوداد بين فلان بن فلانة، بحق هذه السورة عليكم وطاعتها لديكم، ثم أهدي المأكول لهابا، فإذا أكلاه يصطلحان ولا يفترقان إلا بعد الموت)[1]

قال آخر: ومن خواصها الأخرى التي ذكرها: (أنك إذا قرأتها بعد العصر مرة، وأسماء الله الحسنى مرة، ثم تداوم القراءة كل يوم هكذا، وتقرأ عقب قراءتك الدعاء هكذا مرة مرة ٤٠ يوما، فإنك تملك الخديم، ويكون عونا لك في كل ما تريد فافهم، والبخور حصا لبان وميعة وسندروس وحبة سوداء، وهذا دعاء السورة الشريفة تقول: اللهم إني أسألك يا الله ٣، يا واحد يا فرد يا صمد يا وتر يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا باسط يا غني يا مغني مهمهوب مهمهوب ذي لطف خفي بصعصع صعصع ذي نور بهيّ سعسعوب سعسعوب، الله الذي له العظمة والكبرياء صمعصون ذو جمال وبهاء، طمهوب ذو عز شامخ، باه باه مهلهوب الله الذي سخر بنوره كل نور، بطهطهوب لهوب ٢ أجيبوا يا خدام هذه السورة، ويا خدام اسم الله العظيم الأعظم بتسخير قلوب الخلق وجلب الرزق، وحركوا روحانية المحبة لي بالمحبة الدائمة، بسم الله الذي خرق الحجب نوره وذلت الرقاب لعظمته، وتدكدكت الجبال لهيبته وسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، هو الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم. اللهم إني أسألك

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص ١٤٢.

باسمك المرتفع الذي أعطيته من شئت من أوليائك، وألهمته لأصفيائك من أحبابك، أسألك اللهم أن تأتيني برزق من عندك تغني به فقري وتجبر به كسري، وتقطع به علائق الشيطان من قلبي، فإنك أنت اللهّ الحنان السلطان الديان)[1]

قال آخر: وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي يمتلئ بها الكتاب، والتي تحول من القرآن الكريم إلى كتاب يشبه كتب السحر والطلاسم، وليس كتاب هداية وتربية وتزكية.

قال آخر: وكيف لا يصير الأمر إلى ذلك، وقد أقر شيخنا الأكبر ذلك، ثم ترك التنافس فيه بين المتنافسين، ومن الأمثلة على ذلك قوله في التعريف بمن سماهم [الأولياء الساحرون]: (السحر بالإطلاق صفة مذمومة، وحظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف، وهو علم الأولياء، فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة، التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة والخيال، فهو وان كان مذموماً بالإطلاق، فهو محمود بالتقييد، وهو من باب الكرامات، وهو عين السحر عند العلماء، فقد كانت سحرة موسى مازال عنهم علم السحر مع كونهم آمنوا برب موسى وهرون، ودخلوا في دين الله، وآثروا الآخرة على الدنيا، ورضوا بعذاب الله على يد فرعون، مع كونهم يعلمون السحر)[2]

قال آخر: ثم ذكر ارتباطه بما كنا نطلق عليه علم السيمياء، فقال: (ويسمى عندنا علم السيمياء، مشتق من السمة، وهي العلامة أي علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الانفعالات من جمع حروف وتركيب أسماء وكلمات، فمن الناس من يعطي ذلك كله في بسم الله وحده، فيقوم له ذلك مقام جميع الأسماء كلها، وتنزل من هذا العبد منزلة كن، وهي آية من فاتحة الكتاب، ومن هنا تفعل لا من بسملة سائر السور، وما عند أكثر الناس

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص ١٤٣.

(٢) الفتوحات المكية (٢/ ١٣٥)

من ذلك خبر، والبسملة التي تنفعل عنها الكائنات على الإطلاق هي بسملة الفاتحة، وأما بسملة سائر السور فهي لأمور خاصة)[1]

قال آخر: ثم ذكر مثالا على ذلك ببعض من يعتبرهم من الأولياء، فقال: (وقد لقينا فاطمة بنت مثنى وكانت من أكابر الصالحين تتصرف في العالم، ويظهر عنها من خرق العوائد بفاتحة الكتاب خاصة كل شيء، رأيت ذلك منها، وكانت تتخيل أن تلك يعرفه كل أحد وكانت تقول لي: العجب ممن يعتاص عليه شيء وعنده فاتحة الكتاب لأي شيء لا يقرؤها فيكون له ما يريد ما هذا إلا حرمان بين خدمتها وانتفعت بها)[2]

ب. الشعوذه والحروف:

قال آخر: ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل تعداه إلى الاستعمالات الغريبة لما أطلقوا عليه [علم أسرار الحروف]، وهو علم لا يستند لا للعقل ولا للشرع، وكل مستنده الكشف والإلهام.

قال آخر: وقد اهتم به شيخنا الأكبر كثيرا، وخصص له الفصول الطويلة، ومن الأمثلة على ذلك قوله: (اعلم أيدنا الله وإياك أنه لما كان الوجود مطلقا من غير تقييد يتضمن المكلف وهو الحق تعالى والمكلفين، وهم العالم والحروف جامعة لما ذكرنا، أردنا أن نبين مقام المكلف من هذه الحروف من المكلفين من وجه دقيق محقق، لا يتبدل عند أهل الكشف، إذا وقفوا عليه وهو مستخرج من البسائط التي عنها تركبت هذه الحروف، التي تسمى حروف المعجم بالاصطلاح العربي في أسمائها وإنما سميت حروف المعجم لأنها عجمت على الناظر فيها معناها)[3]

---

(١) الفتوحات المكية (٢/ ١٣٥)

(٢) الفتوحات المكية (٢/ ١٣٦)

(٣) الفتوحات المكية (١/ ٥٢)

قال آخر: وفي فصل بعنوان [الحروف: مراتبها، أفلاكها، طبائعها]، ذكر بعض كشوفه حولها، فقال: (ولما كوشفنا على بسائط الحروف وجدناها على أربع مراتب (حروف) مرتبتها سبعة أفلاك، وهي الألف والزاي واللام.. وحروف مرتبتها ثمانية أفلاك وهي النون والصاد والضاد.. وحروف مرتبتها تسعة أفلاك وهي العين والغين والسين والشين.. وحروف مرتبتها عشرة أفلاك، وهي باقي حروف المعجم، وذلك ثمانية عشر حرفا، كل حرف منها مركب عن عشرة، كما إن كل حرف من تلك الحروف منها ما هو عن تسعة أفلاك، وعن ثمانية، وعن سبعة لا غير، كما ذكرناه، فعدد الأفلاك التي عنها وجدت هذه الحروف وهي البسائط التي ذكرناها مائتان وأحد وستون فلكا)[1]

قال آخر: ثم ذكر بتفصيل مراتبها وطبائعها ـ ومن غير أي برهان أو حجة ـ فقال: (أما المرتبة السبعية فالزاى واللام منها دون الألف فطبعها الحرارة واليبوسة.. وأما الألف فطبعها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة ترجع مع الحار حارة ومع الرطب رطبة ومع البارد باردة ومع اليابس يابسة على حسب ما تجاوره من العوالم.. وأما المرتبة الثمانية فحروفها حارة يابسة.. وأما المرتبة التسعية فالعين والغين طبعهما البرودة واليبوسة.. وأما السين والشين فطبعهما الحرارة واليبوسة.. وأما المرتبة العشرية فحروفها حارة يابسة إلا الحاء المهملة والخاء المعجمة فإنهما باردتان يابستان وإلا الهاء والهمزة فإنهما باردتان رطبتان فعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الحرارة مائتا فلك وثلاثة أفلاك، وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد اليبوسة مائتا فلك وأحد وأربعون فلكا، وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد البرودة خمسة وستون فلكا، وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الرطوبة سبعة وعشرون فلكا، مع التوالج والتداخل الذي فيها على حسب ما ذكرناه)[2]

---

(١) الفتوحات المكية (١/ ٥٢)

(٢) الفتوحات المكية (١/ ٥٢)

قال آخر: وهكذا راح يربط الحروف بالأفلاك والقرآن، فيقول ـ مثلا ـ: (وعن هذه الأفلاك يوجد حرف العين والحاء والغين والخاء وعشرون فلكا توجد عن حركتها البرودة والرطوبة خاصة وعن هذه الأفلاك يوجد حرف الهاء والهمزة، وأما لام ألف فممتزج من السبعة والمائة والستة والتسعين إذا كان مثل قوله ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فإن كان مثل قوله تعالى ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ فامتزاجه من المائة والستة والتسعين ومن العشرين وليس في العالم فلك يوجد عنه الحرارة والرطوبة خاصة دون غيرهما.. فإذا نظرت في طبع الهواء عثرت على الحكمة التي منعت أن يكون له فلك مخصوص، كما أنه ما ثم فلك يوجد عنه واحد من هذه العناصر الأول على انفراد، فالهاء والهمزة يدور بهما الفلك الرابع ويقطع الفلك الأقصى في تسعة آلاف سنة، وأما الحاء والخاء والعين والغين فيدور بها الفلك الثاني ويقطع الفلك الأقصى في إحدى عشرة ألف سنة، وباقي الحروف يدور بها الفلك الأول ويقطع الفلك الأقصى في اثنتي عشرة ألف سنة، وهو على منازل في أفلاكها فمنها ما هو على سطح الفلك، ومنها ما هو في مقعر الفلك، ومنها ما هو بينهما ولو لا التطويل لبينا منازلها وحقائقها)(١)

قال آخر: ولم تكن هذه الكلمات التي قالها شيخنا الأكبر مجرد كلمات، بل تحولت إلى سيل جارف، تحولنا به من سالكين نطلب القرب الإلهي إلى سحرة ومنجمين ومتصرفين في الكون.

قال آخر: لقد أصبح ذلك العلم الذي سميناه [علم الحروف] هو العلم الذي جعلنا ننظر إلى الحروف باعتبارهم خدما وجنودا لمصالحنا، لا خدما للمعاني، لنفهمها ونتدبرها.

قال آخر: بل إنه دخل كل العلوم حتى الطب والفلك ونحوها، وقد قال بعضهم في

(١) الفتوحات المكية (١/ ٥٢)

ذلك: (علم الحروف: هو ما قرره الشيخ باحث عن خواص الحروف إقرارا وتركيبا وموضوعه: الحروف الهجائية ومادتها، الأوفاق والتراكيب وصورة تقسيمها كما وكيفا وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها وفاعله المتصرف وغايته التصرف علي وجه يحصل به المطلوب إيقاعا وانتزاعا، ومرتبته الروحانيات والفلك والنجامة، ويحتاج إلي الطب من وجوه كثيرة، منها معرفة الطبائع والكيفيات والدرج والأمزجة، ومن الجهل به يقع الخطأ في هذا غالبا، فإن ذا المزاج الحار إذا استعمل الحروف الحارة وقع في نحو الاحتراق، وبالعكس، ومنها معرفة البخورات نباتية كانت أو غيرها، وإلا فسد العمل بتبديلها، والطب ليس محتاجا إليه إلا إذا رأينا الكتابات والأخلاط والأمزجة، فإن العزائم والأسماء كالأدوية)[1]

قال آخر: ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل ألف الكثير من مشايخنا في تلك الأسرار، ذلك أنا دعونا كل من دخل الخلوة أن يثبت ذلك بما يخرجه لنا من العلوم الغريبة، ودرجة معرفته بالله بحسبها.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه بعض شيوخنا، وهو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، والذي وصف بأنه (الإمام القدوة العارف، المشهور المذكور بين القوم بالمعارف، المقتدى بآثاره، المهتدى بأنواره سهرته تغني عن إقامة البرهان كالشمس لا يحتاج واصفها إلى بيان شيخ الطريقين وإمام الفريقين عالم الأقطار الحجازية وصوفيها)[2]، فقد كتب كتابا في هذا بعنوان [الدر النظيم في خواص القرآن العظيم]، وهو كتاب يحتوي على كثير من الأوفاق والدوائر المرتبطة بالقرآن الكريم.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض فصوله: (اعلم أني أخذت الحروف

---

(١) تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب: ٢/ ٨٨.

(٢) الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية: ٣/ ٢٤.

المفتتح بها السور، وحذفت منها المكرر فصارت ١٤ حرفا [ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ق ن ح]، فحسبتها على حساب الجمل على رأي المغاربة، فجاءت ٩٣ ثم نظرت ووضعت وفقا مسدسا في قلبه وفق مخمس فيه الأحرف النورانية التي هي فواتح لسور القرآن غير مكررة وهي عجيبة فتأمله وهو هذا عددا حرفيا والله النافع منه وكرمه وصورته هكذا فتأمله ترشد)[1]

قال آخر: ثم ذكر بعض فوائده، فقال: (ومن نقشه على صفحة قلعي يوم الاثنين، والقمر بالحوت والسرطان إذا وضع وفقه وهو في ٩ في ٩ بالحروف، وكتب في كل بيت من الوفق الباسط على رق بمسك وزعفران محلول بماء ورد في يوم من الأيام التي تقدم ذكرها في تاسع منه، وحملها معه أمن من التعب والجوع وقهر الجبارين، وطهر الله باطنه من الأخلاق الرديئة، وإذا علق في بيت كثر الرزق فيه)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في بعض أوفاقه: (وهي تورث المكاشفات وطاعة الإنس والجن، فمن أراد ذلك يتطهر ويصوم أول يوم من الشهر يكون أوله الخميس، فإن كان ليلة الجمعة عند الفطر فليفطر على نقل وسكر، ويتوجه إلى القبلة ويتلو الآيات ٣٠ مرة وليقل: أيها الأرواح القاهرة الواصلة التقديس، الموكلون بهذه الآيات، المطيعون لأمرها ولسرها المودع فيها، أجيبوا الدعوة، وأفيضوا علي أنوار روحانيتكم حتى أنطق بها خفي، وأخبر بالكائن صادقا، واصلوا إلي وجوه بني آدم وبنات حوا، وألقوا واصلوا في قلوبهم رعبا ورهبا)[3]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في وفق آخر: (للمنزوف، ويكتب معاها انقلب يا دم

(١) الدر النظيم، ص ١٩.

(٢) الدر النظيم، ص ٢٢.

(٣) الدر النظيم، ص ٢٥.

بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هج لج هج لج هج لج هي لخطاي هي تكتب في ورقة وتعلق بين عيني المنزوف على أنفه)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في وفق آخر: (وللسارق والهارب والعبد الآبق من كتبها في قوارة ثوب كتان مقصوص عند أول الشهر ويكتب حول الكتابة فلان بن فلانة ثم يخرج إلى ظاهر البلد في مكان لا ينظره أحد ويضرب في وسط القوار مسمارا جديدا ويغطيه بالتراب فإن السارق والهارب ولآبق يرجع)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قوله في وفق آخر: (لرهبة العدو وصرفه وعن إقامة حجته عليك تكتب في خرقة من أثره واكتب بعدها كذلك يطبع الله على قلب فلان بن فلانة وعلقها عليك فإذا رآك يدهش ولا يرد جواباً)[3]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كتاب آخر، قال فيه صاحبه: (لمنع خروج الدم، إذا أردت أن لا يسيل الدم من ضرب الحديد ولا يحصل وجع بإذن الله تعالى فاقرأ على ما تريد الضرب به من الحديد والبولاد: اجهطيل مهططيل انوخ شنوخ نوخ توكل يا نوخ بدخول هذا السيف أو الدبوس في الجلد وبخروجه من غير دم ولا وجع آمين بدم بدم بدم ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧])[4]

قال آخر: وجاء في كتاب آخر: (وإذا أردت أن تستخدم روحانية طمخلش للإخفاء والمشي على الماء والطيران في الهواء وغير ذلك من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا من وقف على هذه الحكمة اللدنية فاكتب الطلسم الآتي)[5].. ثم ذكر الطلسم.

---

(١) الدر النظيم، ص ٥٠.

(٢) الدر النظيم، ص ٦٩.

(٣) الدر النظيم، ص ٨٤.

(٤) الدرر المرضية ص ٧٨.

(٥) منبع أصول الحكمة ص ٢٢٥.

ثالثا ـ القرآن.. والمشككون

في اليوم الثالث، وبعد أن منّ الله علي بالجلوس مع معلمي والحكماء السبعة، وسمعت الكثير من أخبارهم غير التي حكيتها لكم في كتاب [الطائفيون والحكماء السبعة]، والتي قد أحكيها لكم في مناسبات أخرى، سمعنا صائحا يصيح في سوق المدينة: من أراد أن يرى المبطلين من المشككين من أهل المدينة، وهم يخلعون أثواب التشكيك، ويلبسون ثياب اليقين؛ فليحضر إلى الساحة الكبرى، أمام المسجد الجامع؛ فهناك ينتظرونكم، لينفذوا قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].. فلا توبة ولا صلاح بلا بيان.

سألت معلمي عنهم، فقال: سل الحكماء عنهم.. فهم سبب توبتهم.

قال أحد الحكماء: بل الله تعالى هو الذي هداهم، ونحن ما أدينا سوى واجبنا.

قلت: كيف تم ذلك بهذه السرعة؟.. ومن هم هؤلاء المبطلون المشككون؟

قال: هؤلاء شباب تتلمذوا على أيدي كل الحاقدين على القرآن الكريم والنبوة، ولذلك سرت إليهم الكثير من شبهاتهم وتشكيكاتهم.. وقد حضروا بها معهم، وصاروا يفتنون بها من لا يعرف الإجابة عليها.

قال آخر: والحمد لله.. لقد كان لتوبة الحشوية والكشفية تأثير كبير فيهم، جعلهم يستعدون لما نقول لهم.. ذلك أنهم كانوا يواجهون كل من يرد عليهم بما في كتب الحشوية والكشفية من خرافات ودجل؛ فلما تبين لهم دخنها ودجلها وبعدها عن القرآن الكريم، سقط السلاح الأكبر من أيديهم، وسهل علينا بعد ذلك حوارهم.

قال آخر: وقد دعوناهم بعد قناعتهم إلى الاجتماع بالناس، والإجابة على الإشكالات التي كانوا يشوشون بها عليهم، لكنهم رفضوا خشية على سمعتهم.. لكن ها

هم قد استجابوا لذلك، والحمد لله رب العالمين.

قال آخر، يوجه الخطاب لي: لا تنس أن تكتب كل ما يقولون، حتى ما يبدو لك من عدم علاقته بالتشكيك؛ فللتشكيك مقدماته.. ومن لم يفهم المقدمات، لم يفهم النتائج.

قلت: طبعا أنا أفعل كل ما طلبه مني معلم القرآن وجميع المعلمين الذين أرسلهم.. فدوري هو الكتابة، ولا يهمني بعدها هل وعيت أم لم أع.. فعسى أن يكون من القراء من يعي ما لم أعه.. ورب مبلَّغ أوعى من سامع.

بعد أن وصلنا إلى الساحة الكبرى، أمام الجامع الأعظم، رأينا مجموعة من الشباب، يلتف حولهم الكثير من الناس، قال كبيرهم: قبل أن نبدأ في بيان ما جمعناكم لأجله، نود أن نشكر أولئك الحكماء الطيبين الذين لم يعرفوا منهلا غير تلك المنابع الصافية التي لم تتدنس؛ فلولاهم لظللنا في شكنا وضلالنا، ولاستمررنا في تشكيكم وتضليلكم.

قال آخر: لكنا بعدما رأيناهم، وهم يردون على الحشويين وخرافاتهم، والكشفيين وأوهامهم، علمنا أن القرآن الكريم أطهر من أن تمثله تلك الأباطيل، أو أولئك المبطلون.

قال آخر: وقد شاء الله أن نلتقي بعد تلك المجالس بأولئك الحكماء، ونسألهم عن الشبهات التي ملئت بها عقولنا، وقد أجابونا عليها جميعا.. ولذلك نحن نتوب إلى الله من كل ما كنا نوحي به إليكم من الوساوس التي لم نكن سوى ضحايا لها.

قال آخر: وقد اجتمعنا في هذا المجلس بكم، لتوفروا لنا صدق توبتنا؛ فلا توبة لداعية ضلالة ما لم يحذر من ضلالته، بمثل ما كان يدعو إليها.

قال كبيرهم: وقبل ذلك اسمحوا لنا أن نخبركم عنا، وعن سر تلك الشبهات والشكوك التي عرضت لنا، ومن أوحاها إلينا، ومن شجعنا عليها، حتى تأخذوا حذركم، فلا يتسرب إليكم من يشككم غيرنا.

قال آخر: أنتم تعلمون أنا كنا متفوقين في الدراسة والعلم بين أهلنا، وكان أهلنا ذوي مال وجاه، ولذلك أذنوا لنا في الخروج خارج مدينتنا لنتلقى العلم في غيرها من البلاد، وهناك وجدنا من يوجهنا إلى غير الوجهة التي أرادها منا أهلنا.

قال آخر: لقد أرسلنا أهلنا لنتعلم من العلوم الحديثة والتقانة ما نوفر به ما تحتاجه مدينتنا من حاجات، لكن الذين استقبلونا هناك راحوا يزجون بنا في مدارس وجامعات تشرح لنا ديننا بغير ما تعلمناه.

قال آخر: ولم يكن لنا قدرة على الخروج منها إلى غيرها، ذلك أنها الوحيدة التي كان يسمح لنا بدخولها بحسب المال الذي أحضرناه معنا، والذي لم نصر بحاجة إليه بعدما وفروا لنا في تلك المدارس والجامعات كل ما نحتاجه من حاجات.

قال آخر: وكل ذلك في سبيل سلب اليقين من عقولنا، والإيمان من قلوبنا.. وقد تحقق لهم الكثير من ذلك، لولا أن قيض الله لنا الحكماء الذين دلونا على الحقيقة، ودعونا إلى الإقرار بها.

قال آخر: لقد استعمل أولئك الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] كل الوسائل التي تضللنا عن ديننا، ابتداء من الأساتذة الذين يدرسوننا، والمقررات التي قررت لنا، وطلب منا حفظها، وانتهاء بتلك الحوافز التي أتاحوها لكل من يسلك سبيلهم، أو يسير معهم.

قال آخر: وقد كان نتيجة ذلك أن تسربت إلينا الكثير من الشكوك والشبهات التي سربناها إليكم، كما سربت إلينا.. وأولها التشكيك في كون القرآن الكريم وحيا إلهيا بناء على ما وجد في البيئة التي عاش فيها رسول الله ﷺ من ديانات وأفكار.. ولذا كنا ـ عند ذكر أي

عقيدة أو شريعة أو قصة في القرآن الكريم ـ نذكر لكم أن مصدرها اليهودية أو المسيحية أو الصابئة أو غيرهم.

قال آخر: ومنها التشكيك في الوحي الإلهي، واعتباره ـ كما أوحى إلينا شياطين التشكيك ـ نوعا من الوساوس أو الأمراض النفسية والعصبية.

قال آخر: ومنها التشكيك في حفظ القرآن الكريم، وكونه قد تعرض بمرور الزمن للزيادة والنقصان والتحريف.

قال آخر: ومنها التشكيك في الحقائق التي وردت في القرآن الكريم، وعدم اختلافها وتناقضها.

قال آخر: ومنها التشكيك في الحقائق التي وردت في القرآن الكريم، وعدم تعارضها مع العقول السليمة والعلم القطعي.

قال آخر: ومنها التشكيك في لغة القرآن الكريم وأسلوبه وبلاغته.

١. منابع التشكيك:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن الجواب عن تلك الشبهات التي سمعناها منكم كثيرا.

قال أحد المشككين: سنفعل ذلك إن شاء الله، وما اجتمعنا بكم هنا إلا لهذا الغرض، لكن قبل ذلك سنتحدث لكم عن منابع التشكيك، والتي لا تزال تبث سمومها كل حين لتحجب عن الغافلين نور الهداية الإلهية.. فمن لا يعرف منابع الشر، سيقع فيه لا محالة.

أ. مصادر التشكيك:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المصدر الأول الذي نبعت منه كل التشكيكات والتضليلات.

قال أحد المشككين: هو ما ذكره القرآن الكريم عن الشيطان عدو البشر الأكبر، والذي توعد أن يستعمل كل الوسائل لإغوائهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]، فالآيتان الكريمتان تلخصان المصدر والمنهج الذي تعتمده كل التشكيكات والتضليلات التي يتعرض لها الإنسان، وهو منهج التزيين والإغواء، وهو لا يعني أن الشيء المزين يحمل أي حقيقة جمالية، ولكنه يعني أن ذلك المزين وضع بصورة بحيث تُقبل عليه العين، أو يقبل عليه الذوق، ثم يقع الإنسان فريسة له بعد ذلك، مثلما يقع المدمن فريسة لذلك الشراب، أو تلك المخدرات التي استعملها مرات عديدة إلى أن صارت متحكمة فيه.

قال آخر: ولذلك أخبر الله تعالى أن من تزيينات الشيطان للمشركين قتل أولادهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧] فمع أن هذه الظاهرة لا تتناسب أبدا مع ما جبل عليه الإنسان من قيم الرحمة والحنان، وخصوصا على الأولاد إلا أن الشيطان عبر أدواته المختلفة، استطاع أن يجعل من ذلك التصرف سلوكا عاديا طبيعيا، أقره المجتمع، وراح يجد من يدافع عنه.

قال آخر: وهكذا نستطيع من خلال هذه الرؤية القرآنية أن نكتشف المصادر والمناهج التي تعتمدها كل الأفكار والفلسفات التي انحرفت بالإنسان عن الهدي الإلهي، لتجعله فريشة للخطة الشيطانية لإغواء الإنسان.

قال آخر: ولذلك يمكن اعتبار كل ما ذكره المستشرقون والحداثيون وغيرهم ليس سوى وحيا مزخرفا من القول، ذلك الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ ـ ١١٣]

العصور الأولى:

قال آخر: ولذلك ـ عند استقصاء وتحليل ما ذكره المستشرقون ـ نجده نفس ما ردده من قبلهم كل المنكرين والحاقدين على القرآن الكريم، والذين لم ينطلقوا من البحث العلمي، وإنما من الهوى المجرد، وأولهم قوم رسول الله ﷺ من المشركين، أو اليهود، أو النصارى، أو غيرهم من الذين لم يتدبروا بصدق قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الحديث عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا.. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: (إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)[1]، وللأسف؛ فإن هذا الطعن الذي ذكر في الحديث، ومع أن النبي ﷺ أجاب عليه، إلا أنه لا يزال يردد إلى يومنا هذا.

قال آخر[2]: وقد ذكر الله تعالى كثيرا من المشككين من قوم رسول الله ﷺ، وذكر تشكيكاتهم، وهي نفس ما يردده المستشرقون والحداثيون وغيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك رده على من ادعى أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]؛ فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم

---

(١) مسلم، رقم: ٢١٣.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٤٣.

أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

قال آخر[1]: ومثل ذلك رده على من زعم أن القرآن الكريم إنما هو من قصص الأولين وأساطير السابقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥-٦]، فرد الله عليهم أنه لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب، فكيف ينقلها!؟.. ثم هذه الأساطير ليست خاصة بمحمد ﷺ، بل هي كتب للجميع، فلماذا لا تحضرون لنا هذه الكتب التي نقل منها؟

قال آخر: ومثل ذلك رده على من زعم أن القرآن الكريم من تأليفه وإنشائه ﷺ، لكونهم يستكثرون عليه أن يكون من إنتاجه وحده فقالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]

قال آخر: ومنهم من نفى أن يكون قد جاء بشيء منه من عنده، بل زعموا أن معلمه بشر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]

قال آخر: ومنهم من هون الأمر فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]

قال آخر: وهكذا كان منهم من وصفه بالكهانة، والجنون، والشاعرية، والسحر..

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٤٣.

وكل ذلك لإنكار نزول الوحي عليه.

قال آخر: وهم يتناقضون في كل ذلك.. فقد كانوا يصفونه قبل البعثة بالصادق الأمين، لكنه بمجرد دعوتهم للحق، وبالبينات الواضحة صاروا يتهمونه بالكذب.

قال آخر: ولذلك استعمل رسول الله ﷺ هذه الحجة في دعوته لهم، فقد قال لهم في أول بعثته: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا)[1]

قال آخر: وفي استجواب هرقل لأبي سفيان بالسؤال عن حال النبي ﷺ قال له: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: لا.. وفي نهاية الحوار قال له: (ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله)[2].

قال آخر: ونفى الوليد بن المغيرة بشدة احتمال كذبه وافترائه ﷺ على الله بقوله: (وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب)؟ فقالوا: (لا)[3].

قال آخر: أما زعمهم أنه (إفك افتراه)؛ فإنه هروب من الحقيقة، ذلك أن البلغاء والشعراء والحكماء عجزوا بعد أن قد تحداهم وأمهلهم ثلاثا وعشرين سنة.. فعجزهم يدل على كذبهم، وتناقض أقوالهم.

قال آخر: ومثل ذلك ما ذكروه من أوهام لا تستحق المناقشة، ولهذا اكتفى القرآن الكريم بإيرادها والرد عليها إجمالا، لا تفصيلا لتفاهتها، ذلك أن منشأها هو العجز عن كبت دعوة الحق، فلذلك لجؤوا إلى الإنكار والسخرية كنوع من الحرب النفسية المنظمة[4].

قال آخر[5]: ومن ذلك اعتبارهم له كاهنا ـ وهو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية؛

---

(١) البخاري ص١٠١٣ برقم ٤٧٧٠.

(٢) البخاري، رقم ٧.

(٣)نور اليقين ص٤٣، النبوة في ضوء العلم والعقل ص٢٨٧.

(٤) النبوة في ضوء العلم والعقل ص٣٠٤.

(٥) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص ١١.

مستمدا لها من الجن ـ فهل يقبل عقل أن يكون رسول الله ﷺ كاهنا لأنه أخبر ببعض الغيب؟ ولم نسمع أن كاهنا وضع كتابا ـ لا قبله، ولا بعده ـ فضلا عن أن يضع كتابا كالقرآن الكريم(١).

قال آخر(٢): ومن ذلك اعتبارهم له مجنونا، والجنون اختلال في العقل يحرم صاحبه من سداد التصرف.. فإن كانوا صادقين فلماذا حكموه في أصعب مشكلة مرت بهم، وهي وضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء البيت، وهم يعلمون أن المجنون لا يتبعه عاقل يحترم نفسه، وهذا تناقض أثبتوه بقولهم إنه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤]

قال آخر: ومن ذلك اعتبارهم له شاعرا، مع أن هناك فروقا جوهرية بين ما جاء به من القرآن وبين الشعر، ولو كان شاعرا لقرب إليه الشعراء وجالسهم، والذي حصل عكسه كما قال الله عز وجل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧]

قال آخر: ومن ذلك اعتبارهم له ساحرا، والسحر وهو خداع للأبصار بحركات لطيفة غريبة يأتي بها السحرة، وقد أجمع أئمة الكفر على هذا الوصف، واتفقوا عليه بعد أن نفوا عنه ما سبقه من أوصاف؛ لأنهم رأوا أنه يسعفهم أن يقولوا: (يفرق بين المرء وأخيه)، ثم إنه ﷺ حمل على السحرة والكهنة والشعراء والشياطين، فلو كان متصلا بهم وناقلا عنهم لما صدر منه مهاجمتهم ولا تحقيرهم.

قال آخر: فتبين بهذا كله اضطرابهم في موقفهم من نزول الوحي على رسول الله ﷺ، فالذين رموه بالجنون والسحر والشعر والكهانة، هم أنفسهم الذين نفوا عنه هذه

---

(١) النبوة في ضوء العلم والعقل ص٣٠٤.

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص ١١.

الأكاذيب.

قال آخر[1]: هذه هي جل آراء المشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ حول الوحي.. وهي نفسها الآراء التي تناولها المستشرقون، وتوسعوا فيها مدعين أنهم ألبسوها ثوب البحث العلمي، مع أنها تكرار لآراء المشركين نفسها.

قال آخر: وهكذا استمر المشككون بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان أئمة الهدى، والراسخون في العلم يجيبونهم عن إشكالاتهم وشبههم بكل المناهج التي أمرنا الله تعالى بها، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].. فالحكمة تجذب أصحاب العقول والفطر السوية.. والموعظة الحسنة تستميل أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والذين تلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق.. أما من يحتاج فهمه إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن نافع بن الأزرق، وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس، أخبرنا عن قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥] وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فقال: (ويحك يا ابن الأزرق، إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ما شاء الله يحلفون ويجحدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم، وتؤمر جوارحهم، فتشهد على أعمالهم بما صنعوا، ثم تنطق ألسنتهم

(١) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص ١١.

فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا، وذلك قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢][1]

قال آخر: ومثله ما روي عن عبد الله بن الصامت قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أرأيت قول الله ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]؟ فقال: (إن يوم القيامة له حالات وتارات، في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون)[2].

قال آخر: ومثله ما روي عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، وقوله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فقد كتموا في هذه الآية؟، وقال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء.. وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] و﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩] و﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤] و﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦] فكأنه كان ثم مضى؟

قال آخر: وقد أجابه ابن عباس على هذه الإشكالات جميعا، فقال: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٧)

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٨/ ٥٥٥.

الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧].. وأما قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].. ﴿وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩] سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله (١).

العصور التالية:

قال آخر: وقد استمرت الإشكالات والتشكيكات بعد ذلك؛ فاضطر العلماء للتأليف فيها، واختلفت مناهجهم في ذلك، وقد ذكر السيوطي أن أول من ألف فيه هو محمد بن المستنير أبو على البصري المعروف بقطرب، وهو أحد العلماء بالنحو واللغة، واسم كتابه [الرد على الملحدين في متشابه القرآن] (٢)

قال آخر: وقبله كتب سفيان بن عيينه الهلالي الكوفي، [ولد سنة ١٠٧ هـ] كتاب [جوابات القرآن]، لكن هناك من شكك في صحته، فقد قال ابن أبي حاتم في [الجرح والتعديل] في ترجمة كاكا الرازي: روى عن الحميدي عن بن عيينة (جوابات القرآن) وروى عن الأصمعي أخبرنا عبد الرحمن، قال: سألت أبى عنه فقال: (هذا كذاب لم يكن عند

(١) البخاري معلقا (كتاب تفسير القرآن، باب: سورة حم السجدة (فصلت))، وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٨/ ٤١٨): وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة.

(٢)الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٧٩)، وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٥٣)، والفهرست لابن النديم (١/ ٥٧).

الحميدي من هذا شيء، وهذا شيخ كذاب)[1]

قال آخر: وقبلهما كتب أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، كتاب [الجوابات في القرآن]، لكنه كان من الحشوية المجسمة، وقد اتفق الجميع على عدم وثاقته، وقد قيل: إنه قال: سلوني عما دون العرش، فقالوا: أين أمعاء النملة؟ فسكت.. وسألوه: لما حج آدم من حلق رأسه؟ فقال: لا أدري.. قال وكيع: كان كذابا.. وقال البخاري: مقاتل لا شيء ألبتة.. وقال الذهبي: (أجمعوا على تركه)[2]

قال آخر: لكن كل هذه الكتب مفقودة، ولعل أقدم الكتب التي وصلت إلينا في هذا العلم مفردا، كتاب أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي الكاتب، صاحب كتاب [مشكل القرآن] [3]

قال آخر: وأما الجواب عن بعض الإشكالات القرآنية في ثنايا الكتب، من غير إفراد لهذا الموضوع، فكثير.. لكن دخلها جميعا داء الطائفية المقيت؛ فلذلك لم تراع في تلك الردود القرآن الكريم بقدر ما راعت طوائفها.. ومن الأمثلة على ذلك الإمام أحمد، الذي خصص القسم الأول من كتابه [الرد على الزنادقة والجهمية] في الرد على من زعم أن القرآن متناقض، وأسماه باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن وذكر فيه اثنتين وعشرين مسألة.. ومثل أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي، والذي صنف كتابه [التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع]، وقد أفرد فيه بابا لمتشابه القرآن، وما يتوهم أنه من الاختلاف والتناقض، نقل فيه ما أخذه عن مقاتل بن سليمان [4].

قال آخر[5]: وقد ألفت بعد ذلك الكثير من الكتب المفردة التي تجيب على

(١) الجرح والتعديل (٧/ ١٩٨)

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)

(٣) اسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٠)

(٤) انظر: رسالةموهم الاختلاف والتناقض في القرآن، ص ١٧.

(٥) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٥١.

الإشكالات، وترد على الشبهات والتشكيكات.. ومن أمثلتها ما ألف في الجواب على الإشكالات اللغوية والنحوية.. ومن الأمثلة عنها كتاب [مشكل إعراب القرآن] لأبي بكر محمد مكي بن أبي طالب حموش بن حمد بن مختار القيسي المقرئ[1].. وكتاب [إعراب مشكل القرآن] لأبي العباس ثعلب أحمد بن يحيي بن يزيد الشيباني.. وغيرهما.

قال آخر[2]: ومنها الكتب المؤلفة في [المتشابه أو المشتبه]، ومن أمثلتها كتاب [الآيات المتشابهات] لبقي بن مخلد، و[أضواء على متشابه القرآن] لخليل ياسين، و[تأويل متشابهات القرآن] لابن شهر آشوب وغيرها.

قال آخر: ومنها الكتب المؤلفة في [موهم الاختلاف] أو [مختلف القرآن]، كما سماه الزركشي في البرهان: (معرفة موهم المختلف)[3]، وسماه السيوطي في الإتقان: (مشكله وموهم الاختلاف والتناقض)، وقد أخذوا هذا الاسم من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].. ومنها كتاب [دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب] لمحمد الأمين الشنقيطي، وهو يتحدث عن نوع واحد من الطعون، وهو ما قد يبدو متناقضا من الآيات الكريمة.

قال آخر[4]: ومنها الكتب المؤلفة في [أسئلة القرآن]، أي الأسئلة التي يطرحها بعض الناس بقصد التشكيك في كتاب الله تعالى؛ ومنها كتاب [البرهان في مسائل القرآن] للجماعيلي المقدسي، و[التبيان في مسائل القرآن] لرضي الدين القزويني.. وبعضهم يسميها [جوابات القرآن]؛ باعتبار الجواب على هذا السؤال، ككتاب [الجوابات في القرآن] لمقاتل بن سليمان، وبعضهم يجمع بين الاسمين مثل [أسئلة القرآن وأجوبتها] لأبي بكر الرازي.

---

(١) شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠).

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٥٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٣).

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣١.

قال آخر[1]: ومنها الكتب المؤلفة في [مشكل القرآن]، وهي كثيرة، منها كتاب [تأويل مشكل القرآن] لابن قتيبة.. و[فوائد في مشكل القرآن] للعز بن عبد السلام.. و[مشكلات القرآن] لمحمد أنور الكشميري.. و[مشكل القرآن] للحكيم الترمذي.

قال آخر: وللأسف.. فإن هذه الكتب وغيرها مع كونها مؤلفة للرد على الإشكالات والشبه إلا أنها أصبحت مصادر للمشككين ينقلون منها الشبهات والإشكالات والتشكيكات، لعلمهم أن جماهير الناس لا تعرفها، ولا ترجع إليها.

ب. مناهج التشكيك:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المناهج التي اعتمدها المشككون، وخاصة المتأخرين منهم، والذين جمعوا كل تشكيكات العصور السابقة.

قال أحد المشككين: كما استفاد المشككون المتأخرون من كل المصادر السابقة؛ فقد استفادوا أيضا من مناهجها، ولذلك تراهم أحيانا بصورة الوثنيين الحاقدين، أو اليهود الماكرين، ولو كانوا يرتدون مآزر البحث العلمي، لكنهم في حقيقتهم لا يختلفون عن أبي جهل وأبي سفيان وأبي بن كعب وحيي بن أخطب.

قال آخر: ذلك أنهم دأبوا في تحرير أبحاثهم عن الدراسات الإسلامية على ميزان غريب في البحث العلمي، حيث يضعون في أذهانهم فكرة معينة، ويسعون إلى تصيد الأدلة لإثباتها، بحيث لا يهمهم صحة الدليل بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منه لدعم آرائهم الشخصية.

قال آخر[2]: ولذلك نراهم يقومون بجمع المعلومات التي ليس لها علاقة بالموضوع من كتب الديانة والتاريخ والأدب والشعر والرواية والقصص، أو المجون والفكاهة،

---

(1) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص31.

(2) الإسلاميات بين كتاب المستشرقين والباحثين المسلمين، ص16.

فيقدمونها بعد التمويه بكل جراءة، ويبنون عليها نظرية لا وجود لها إلا في نفوسهم وأذهانهم.

قال آخر[1]: وهكذا نراهم يستنبطون الأمر الكلي العظيم من حادثة جزئية بسيطة مظنونة أو مكذوبة، كما فعلوا ذلك في موضوع الوحي، يتصيد كل منهم حادثة فيبني عليها، ويجودها ما أمكنه لتمكينها في النفوس، مثل حادثة لقاء النبي ﷺ لورقة بن نوفل، أو بحيرا، أو الحداد الرومي، ويزعمون أنه أخذ منهم أو تتلمذ عليهم.

قال آخر[2]: وهكذا نراهم يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور، فقد فسروا ظاهرة الوحي بحديث النفس وإلهاماتها تارة، وبالنوبات الانفعالية أخرى، وبالتنويم الذاتي أو التجربة الذهنية المرضية كالصداع الهستيري.

قال آخر: لكن من باب الأمانة العلمية، والشهادة لله، والصدق الذي أمرنا به، نذكر أن هناك الكثير من المستشرقين المنصفين، والذين كانوا أول من أدخل علينا الشك فيما ذكره المستشرقون الحاقدون.

قال آخر: ومنهم المستشرق إدوارد مونتيه الذي قال: (كان محمد نبيا بالمعنى الذي يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية)[3]، وقال: (كان محمد نبيا صادقا، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه)[4]

قال آخر: كما تصدت المستشرقة الإيطالية لورا فكشيا للمستشرقين الحاقدين، ودافعت عن الرسول ﷺ بتفنيد الأكاذيب التي كانت تشاع عنه في القرون الوسطى [5].

---

(١)أجنحة المكر الثلاثة، ص١٤١.

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص ١٨.

(٣) المدينة الشرقية ص٤٧ نقلا عن الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية ص١١٧.

(٤) الوحي المحمدي ص٤٥.

(٥) الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ص٣٨٨.

قال آخر[1]: ومثلهما وقف المستشرق السويسري حنا مواقف نبيلة في دفاعه عن الرسول ﷺ بعد دراسته الوثائق التاريخية.

قال آخر: ومثلهم أكد المستشرق جون وانتبورت أن الدراسات التاريخية تسقط كل الأكاذيب التي أشاعها أعداء الإسلام بقوله: (بقدر ما نرى صفة محمد الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة.. وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه)[2]

قال آخر: ومثلهم قال المستشرق كارل هينرش بيكر، مؤسس مجلة العالم الإسلامي: (لقد أخطأ من قال إن نبي العرب دجال أو ساحر؛ لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمدا ﷺ جدير بالتقدير، ومبدأه حري بالاتباع، ليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمدا خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال، كما أننا لا نرى أن الديانة الإسلامية بعيدة عن الديانة المسيحية)[3]

قال آخر[4]: ومثلهم المستشرق الروسي جان ميكائيليس والمستشرق الفرنسي دينيه، وتوماس كارليل، ولامارتين، والكونت كاستري، والباحث الأوروبي سنكس، والفيلسوف الروسي تولستوي، والبروفيسور ليك، والإنجليزي توماس آرنولد.

قال آخر: هؤلاء وغيرهم من المستشرقين المنصفين كانت لهم اعترافات بنزول الوحي على النبي ﷺ، وصرحوا بصدق الرسول ﷺ بعد دراسة عميقة، بعدل وإنصاف؛ لأنهم وجدوا في شخصه كل ما يدل على صدق نبوته وصحة رسالته، ثم قاموا بنشرها في بلادهم ضد مفاهيم مجتمعهم، على حساب مصالحهم الخاصة[5].

ج. مقررات التشكيك:

---

(١) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص ٢٥.

(٢) وانتبرت، محمد والقرآن، الشيباني، الرسول. ص٣٩٤.

(٣) الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية ص٣٩٤.

(٤) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ص ٢٦.

(٥) انظر: الإسلام والمستشرقون عنوان المقال ((نبي الإسلام في مرآة بعض المستشرقين المنصفين)) بقلم د. عبد الله الطرازي ص٣٥١.

قال أحد الحضور: وعينا هذا، ونحن نشكر هؤلاء المستشرقين المنصفين، وقد سمعنا بهم كثيرا، واطلعنا على كتاب مفصل يذكرهم، ويذكر أقوالهم، وهو [قلوب مع محمد ﷺ].. فهلا ذكرتم لنا نماذج عن تلك المقررات التي حوت تلك الشبهات.

قال أحد المشككين: هي كثيرة جدا، ولا يمكننا في هذا المجلس أن نحيط بها أو نحصيها، فهي أكثر من أن تحصر، ولذلك سنذكر لكم سبعة نماذج عنها، وهي المقررات التي كانوا يدرسونها لنا، وهي تحوي أمهات الشبهات، والتي تكرر في كل حين بما يتناسب مع الجيل الذي يخاطبونه.

النموذج الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن أول تلك المقررات.

قال أحد المشككين[1]: أولها كتاب [مقالة في الإسلام]، لمؤلفه (جرجيس صال)، وهو مستشرق إنكليزي مولدا ومنشأ، ولد في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ومات سنة ألف وسبعمائة وست وثلاثين، وله من العمر أربعون سنة، كان من المشتغلين بعلم الفقه إلا أنه أولع بدرس لغات المشرق ولا سيما اللغة العربية وعلومها، وله بلسان قومه مصنفات في التاريخ واللغة ولكنه أكثر ما اشتهر بنقل القرآن إلى لسان الإنكليز وبما ألحق به من حواش تكشف الغطاء عن مبهمات النص القرآني انتقى أكثرها من كتب التفسير الإسلامي، وأشهر مصنفاته (مقالة في الإسلام)، ويقع في ثمانية فصول.

قال آخر[2]: ويعتبر المؤلف من أكثر المستشرقين حقدا وخطرا على الإسلام ومن أكثرهم أخطاء في كثير من القضايا التي طرحها خاصة في كتابه أسرار القرآن وما كتبه عن القرآن في كتابه (مقالة في الإسلام)، حيث بذل جهده لربط عقائد الإسلام وشرائعه

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٤٩.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٥٣.

بالمذاهب والمعتقدات السماوية تارة وغير السماوية تارة أخرى.

قال آخر[1]: وقد تحدث في الفصل الأول منها، والمعنون بـ (في عرب الجاهلية وتاريخهم وأديانهم وعلومهم وعاداتهم) عن اسم العرب منذ نشأتهم وبلادهم، ثم تناول أديانهم ومعبوداتهم وعاداتهم وأخلاقهم وعلومهم.

قال آخر: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (البحث عما كانت عليه حال المسيحية واليهودية أيام ظهور محمد والطرق التي سلكها محمد لتأسيس دينه وما أعانه على ذلك من الشؤون) عن الكنائس التي كانت موجودة آنذاك واعتقاداتهم، وتناول كذلك حالة الروم والفرس، وتحدث عن محمد ﷺ ومقدار معرفته بعقائدهم، وزعمه أن الرسول ﷺ كان شديد الميل للنساء، ثم تناول سيرة الرسول ﷺ وكيفية انتشار الإسلام وقوته.

قال آخر: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (الكلام على القرآن وما تميز به عن غيره من الكتب وفي كيفية كتابته ونشره والغاية العامة المقصودة به)، وقد تحدث فيه عن اشتقاق لفظة القرآن، وأسمائه، وأقسامه، وأسماء سوره، ثم تعرض للبسملة في أول كل السور وتحدث عن لغة القرآن، وأسلوبه ومحاكاته لأسلوب التوراة، ثم تحدث عن غاية محمد ﷺ من القرآن واستخدام السيف لنشر الدعوة، ثم تحدث عن فروض الإسلام وشعائره وأحكامه وأنها قابلة للتبديل، ثم تحدث عن التناقض في القرآن ومحاولة الخروج منه بالنسخ، ثم تحدث عن الإعجاز في القرآن الكريم وعن المحكم والمتشابه، وختمه بالحديث عن حكم ترجمته.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (تعاليم القرآن وأوامره المتعلقة بالإيمان وفروض الدين ـ أي قضاياه النظرية والعلمية ـ)، وقد تحدث فيه عن أركان الإسلام

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٥٠.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٥١.

وأركان الإيمان والتأثر فيها ـ كما يزعم ـ باليهود والصابئة وغيرهما، وتناول القبر والجن والشيطان وإحياء الإنسان مرة ثانية والتأثر في ذلك ـ كما يزعم ـ باليهود، ثم تناول موضوع النفخ، ويوم الحساب، والصراط، وغيرها من الاعتقادات عند المسلمين التي تأثر بها النبي ﷺ ـ كما يزعم ـ باليهود والمجوس وغيرهم.. ثم تناول الركن الثاني وهو الصلاة وتأثر المسلمين في صلاتهم ـ كما يزعم ـ بالطقوس اليهودية وغيرهم.. ثم تحدث عن الركن الثالث الزكاة والفرق بينها وبين الصدقات ومصارفها ومستحقيها وتأثرهم كذلك ـ كما يزعم ـ بها باليهود.. ثم تناول الركن الرابع الصيام وتأثره فيه ـ كما يزعم ـ باليهود كذلك، ثم تناول الركن الخامس وهو الحج وما فيه ـ كما يزعم ـ من وثنية وأن شرعه الحج لقومه كان إرضاء لهم ولكسبهم لدينه.

قال آخر(١): وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (بعض نواهي القرآن) عن الأحكام والفروض الفرعية فابتدأ بالحديث عن المنهيات: كالخمر والميسر، كما تحدث عن المحرمات من الأطعمة كالميتة، ولحم الخنزير، وغيرها، ثم تحدث عن الربا وتحريمه ـ كما يزعم ـ اتباعا لليهود كما تحدث عن وأد البنات وتحريم هذه العادة الذميمة.

قال آخر(٢): وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (شرع القرآن المدني)، وقد تحدث فيه عن شرع المسلمين وأنه بني على الأوامر كاليهود، وتناول تعدد الزوجات، والطلاق، والعدة، ومقارنتها بما عند اليهود، وعقوبة الزنا، واعتزال النساء في الحيض، والنكاح فيمن يجوز الزواج منهن، ثم تحدث عن شرائع القرآن في المواريث، والقتل، والسرقة، والجنايات، ومقارنة ذلك بما عند اليهود، ثم تناول الجهاد في سبيل الله وملحقاته من فيء وغنائم.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٥١.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٥٢.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ (الأشهر التي حرمها القرآن وفي إفراز يوم الجمعة لله)، وبين فيه تحديد القرآن لعدد الشهور ب (١٢) شهرا، وتحريم أربعة منها على ما كانت عليه بعض قبائل العرب، ثم إعطاء يوم الجمعة ميزة خاصة لعبادة الله عزوجل فيه، ثم تعرض لأعياد المسلمين (الفطر ـ والأضحى)

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الثامن المعنون بـ (فرق المسلمين الكبيرة وفي من ادعى النبوة في العرب على عهد محمد أو بعده)، وتناول فيه علم الكلام، وعلم الفقه، ثم تناول الأصول التي اختلف فيها المتكلمون، وتعدد الفرق الإسلامية للاختلافات في القضايا العقائدية، ثم تناول المذاهب الفقهية الأربعة ومعرفا بأئمتها.. ثم تناول الفرق الأخرى معرفا بها وبما انفردت به من قضايا عقائدية كالجبائية والقدرية، والجبرية، والشيعة، وفرقها، معتمدا في ذلك على كتابي ابن حزم والشهرستاني في هذا الفصل، ثم تناول المتنبئين كأمثال: طليحة ابن خويلد، وسجاح بنت المنذر، وغيرهما مما جاء بعدهم.

النموذج الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج الثاني.

قال أحد المشككين[3]: النموذج الثاني، كتاب [مصادر الإسلام]، لمؤلفه (كلير تسدال)، وهو في ستة فصول، وقد ترجم من الألمانية للإنكليزية السير (وليم موير) وطبع في الهند.

قال آخر[4]: وهو من أشد الكتب حربا على الإسلام عامة والقرآن خاصة، فقد نهج فيه المؤلف مسلك المنصرين الحاقدين على الإسلام، وقد اعتمد كثير من المستشرقين

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٥٢.
(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٥٢.
(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٤.
(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٧.

والمنصرين عليه في افتراءاتهم ضد الإسلام.. وهو يحاول بكل السبل أن يشكك في كون القرآن الكريم وحيا إلهيا.. بل يذكر أنه من تأليف محمد ﷺ حيث جمعه من ديانات ومذاهب مختلفة مدللا على دعواه ببعض وجوه التشابه بين الإسلام وبين هذه المذاهب والديانات.

قال آخر(١): وقد تحدث في الفصل الأول المعنون بـ (ما قاله المجتهدون الأعلام وعلماء الإسلام العظام في حل هذا المعنى العظيم الأهمية)، وقد تحدث فيه عن موقف المسلمين من مصدر القرآن الكريم، واعتقادهم أنه منزل من الله سبحانه على رسوله ﷺ كنزول التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام.

قال آخر(٢): وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (البحث والنظر فيما ذهب إليه القائلون من أن بعض عقائد المسلمين ورسومهم وفرائضهم مأخوذة من مذاهب العرب في أيام الجاهلية وأن هذا هو أول مصادر الديانة الإسلامية)، وقد استعمل فيه الكثير من المغالطات لإثبات أن الجاهلية والوثنية العربية هي إحدى مصادر الإسلام ذاكرا الدافع الذي جعل الرسول ﷺ يبقي الموروثات القديمة في ديانته كاعتقادهم بإله واحد، وكالختان، وتقبيل الحجر الأسود، كما أنه حاول إثبات هذه الصلة بإتيانه ببعض الأبيات الشعرية رابطا إياها ببعض الآيات القرآنية زاعما أن هذه الأبيات هي مصدر هذه الآيات القرآنية.

قال آخر(٣): وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (البحث فيما ذهب إليه بعض المعترضين من أن بعض التعاليم والقصص الواردة في القرآن أو الأحاديث مأخوذة من تفاسير اليهود الوهمية وأن بعض فرائض المسلمين الدينية مأخوذة من طريق الصابئين)، وقد استعمل فيه الكثير من المغالطات لإثبات هذه المزاعم مستدلا ببعض العبادات

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٤.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٤.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٥.

والشعائر والعقائد التي فيها التشابه بين الإسلام وبين اليهودية والصابئة مثل: الصلاة، والاغتسال، والاعتقاد بالألوهية، والتشابه ببعض القصص الواردة عندهم والتي وردت في القرآن العظيم كقصة إبراهيم عليه السلام وقصة ولدي آدم قابيل وهابيل وقصة سليمان عليه السلام وغيرها من القصص.. كما استدل على التشابه بوجود بعض الكلمات المشتركة في القرآن وعندهم كلفظ (جهنم) حيث رد أصلها للغة الكلدانية والسورية.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (النظر والبحث فيما ذهب إليه البعض من أن كثيرا مما ورد في القرآن مأخوذ من حكايات وروايات بعض فرق النصارى المبتدعة العاطلة وآرائهم الباطلة)، وقد استعمل فيه الكثير من المغالطات لإثبات ذلك بإيجاد بعض المتشابهات بين الإنجيل والقرآن مثل بعض القصص كقصة أصحاب الكهف، وقصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام، ومثل ذلك بعض القضايا المتعلقة باليوم الآخر كالحساب، والعذاب، والجنة، والنار، وغيرها.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (النظر والبحث فيما ذهب إليه المعترضون من أن بعض أركان القرآن والأحاديث أخذت من كتب أصحاب زرادشت والهنود القديمة)، واعتمد فيه على بعض نقاط التشابه بين القرآن وهذه المذاهب، كالتشابه ببعض القصص مثل قصة المعراج، وقصة خروج الشيطان من الجنة.. والتشابه ببعض العقائد المتعلقة باليوم الآخر وبغيره، كالجنة والنار وصفه الحور العين والميزان والصراط، وملك الموت، والجن.. والتشابه في قضايا عامة كتبشير كل نبي بالنبي الذي يليه، والابتداء باسم من أسماء الله في أول الكلام.. وغيرها.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٥.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٦.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (الحنفاء وتأثيرهم على أفكار محمد وعلى تعاليمه)، واعتمد فيه على التشابه بين ما كان يدين به الحنفاء قبل الإسلام، وما جاء به الإسلام كالدعوة لعدم وأد البنات، ورفض عبادة الأصنام، وإقرار بالوحدانية لله سبحانه والدعوة لذلك، ووعد المؤمنين بالجنة وتخويف الكفار من النار.. ثم وصف الذات الإلهية ببعض الأسماء الخاصة بها كالرحمن، والرب، والغفور، وغيرها مما وقع فيه التشابه.

النموذج الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج الثالث.

قال أحد المشككين[2]: النموذج الثالث، كتاب [صلة القرآن باليهودية والمسيحية]، لمؤلفه (د، فلهلم رودلف).. وهو كتاب تحامل فيه مؤلفه بشدة على الإسلام والقرآن الكريم، وقد أقحم كثيرا من المغالطات في ثنايا ما قرره من نتائج مسبقا ليدلل على أن الإسلام فرقة تأثرت بالمسيحية واليهودية وخاصة المسيحية.

قال آخر[3]: وقد تحدث في فصله الأول المعنون بـ (اليهودية والمسيحية في البلاد العربية قبل محمد) عن وجود هاتين الديانتين في الجزيرة العربية ومقدار حظ أهلهما من العلم والمعرفة، فمع أنه نسب لهما قلة المعرفة والجهل أحيانا إلا أنه اعتبرهم أكثر علما وفهما من الوثنيين ومن بينهم محمد ﷺ الذي تأثر ـ في زعمه ـ كثيرا بما عندهم من معرفة انعكست على قرآنه.

قال آخر[4]: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (كيف اقتبس محمد المواد اليهودية والمسيحية)، وقد ناقش فيه طريقة تلقي الرسول ﷺ معرفتهم وثقافتهم، أكان بالقراءة في

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 126.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 137.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 137.

(4) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 138.

كتبهم أم بطريق السماع فحسب؟.. لذا ناقش موضوع أمية الرسول ﷺ ولكنه أكد أنه حتى لو كان يتقن القراءة والكتابة فإنه لن يستطيع أن يستفيد منها لعدم ترجمتها.. ثم ذكر بعض المقتبسات من القرآن الكريم وما يشابهها من العهد القديم ليؤكد أنه قد حصل للرسول ﷺ معرفة بما في التوراة بطريق السماع.. ثم ذكر مجموعة من الأمثلة القرآنية التي حصل فيها ـ كما يذكر ـ التشابه مع العهدين القديم والجديد وأشار أن هذه الأمثلة قد وقع فيها أخطاء وتفاوت وأن مرجع ذلك يعود لسوء الفهم الذي يؤكد دعوى المؤلف أنه تلقاها مشافهة لا من مصدر مكتوب.. ثم أتى ببعض الأدلة القرآنية التي فيها الإنكار على من زعم أن محمدا ﷺ تلقى الوحي من مصدر غير إلهي لكنه حملها على تأكيد مزاعمه في تلقيه لمعلومات الوحي من أقوال شفوية.

قال آخر: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (ماذا أخذ محمد من اليهودية والمسيحية) على الأفكار الرئيسية التي تنتظم دين محمد ﷺ ـ على حد فهمه ـ وهي: البعث ـ فالمحاكمة ـ فالفردوس ـ وجهنم.. ذاكرا صلة هذه الأفكار بما هي عليه عند اليهود والنصارى، ثم ذكر بعض الكلمات المتشابهة بين الإسلام وهذين الدينين مثل: الله، أحد، روح، إبليس، زاعما أنها مأخوذة من مصدر يهودي أو نصراني، ثم ذكر أن أكثر القصص القرآني مصدره يهودي، وزعم أن بعض أسماء الأنبياء مثل: سليمان وإلياس، ويونس، منقولة عن مصدر نصراني.. ثم زعم أن ما طرأ على القصص في المدينة المنورة من تغيير بحيث أصبح نادرا يعود ذلك إلى أن محمدا ﷺ شعر بتفاوت بين ما يذكره من قصص وبين ما هو عند اليهود على وجه الدقة، كما زعم أن كثيرا من الجوانب الأخلاقية والعبادية في الإسلام يعود لأصل يهودي أو نصراني كالوصايا العشر، وأركان الإسلام الخمس، وقواعد الطعام، وغير ذلك.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (هل المسيحية هي التي دفعت محمدا الدفعة الحاسمة إلى الظهور) على أن المسيحية بتأثيرها البالغ على محمد ﷺ دفعته للتنبؤ.. وذكر في هذا الفصل كذلك بعض الأمثلة المتشابهة بين القرآن والإنجيل كقصة مريم وابنها عيسى عليه السلام، وعذاب النار، والمحاكمة العامة، وغيرها.. ثم ذكر تأثير الصابئة على الإسلام ذاكرا بعض الأمور المتشابهة بينهما، كما ذكر الحنفاء وما أثروا به على الإسلام موضحا ذلك ببعض الأمثلة.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (نظرية جنوب بلاد العرب) عن وجهة نظر (جريمه) في كتابه (محمد) من أن اليهودية لم يكن لها أثر فعال على محمد ﷺ إلا في العهد المدني، بخلاف الفترة الأولى، والتي كانت ـ كما يزعم ـ أفكار محمد ﷺ الدينية انعكاسا للتوحيد الذي في جنوب العرب، هذا التوحيد الخليط من الوثنية واليهودية والمسيحية، وقد كان وصول (جريمه) لهذه النتيجة عن طريق النقوش التي تم العثور عليها في جنوب الجزيرة العربية.. وقد قام المؤلف (رودلف) بنقد آراء (جريمة) واحدا بعد الآخر.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (ما عرفه القرآن عن شخص عيسى ـ عليه السلام ـ وحياته وما خلف وراءه من أثر)، ثم ذكر الآيات التي تناولت هذا الموضوع وما طابقها أو خالفها في كتب الإنجيل، ليؤكد ـ بحسب زعمه ـ تأثر محمد ﷺ بالأناجيل.

النموذج الرابع:

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٤٠.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٤٠.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٤٠.

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج الرابع.

قال أحد المشككين[1]: النموذج الرابع، كتاب [مقدمة القرآن]، لمؤلفه أستاذنا دبليو منتجمري واط، هو عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره، له عدة مؤلفات عن الإسلام منها: هذه (المقدمة)، وكتاب (الإسلام) و(الإسلام والجماعة الموحدة، دراسة فلسفية اجتماعية)، و(محمد في مكة)، و(محمد في المدينة)، و(الوحي الإسلامي في نظر العالم الحديث)، و(الجدل الديني)

قال آخر[2]: وهذا الكتاب هو الثامن من سلسلة الدراسات المسيحية الإسلامية، وقد طبع لأول مرة في سنة ١٩٧٧ م، وقد شمل هذا الكتاب كثيرا من أبواب علوم القرآن، لكنه لم يخرج فيه عن خطوات أستاذه (بل) إلا تخفيف حدة بعض العبارات الجارحة لشعور المسلمين التي كان لا يبالي بها أستاذه (بل) كما ذكر ذلك المؤلف نفسه في مقدمة كتابه.. وبسبب تبعية (واط) لأستاذه (بل) وقع في أخطاء عدة منها: اعتبار النبوة أمرا يكتسب بالخبرة والتجربة الحياتية.. وتأثير البيئة على نشأة رسول الله ﷺ ـ حسب زعمه ـ لذا حاول بكل جهده الربط كغيره من الغربيين بين الإسلام والديانات الأخرى.. ومحاولة التشكيك في سلامة القرآن من النقصان أو الزيادة.. وقياسه أسلوب القرآن الكريم على الشعر، والنثر المسجوع ومحاولة وصفه بسجع الكهان.. وقد ساقت هذه الدراسة لأسلوب القرآن الكريم المؤلف إلى القول بنظرية أستاذه (التكميلات البديلة)

قال آخر[3]: وقد قسمه مؤلفه لأحد عشر فصلا سوى الفهارس والمقدمة.. وقد تحدث في الفصل الأول المعنون بـ (السياق التاريخي) عن الجزيرة العربية، والموقف العالمي

---

(١) المستشرقون ٢/ ١٣٢.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٠.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٧.

منها في ذلك الوقت، ثم تناول حياة محمد ﷺ وما أثرته هذه البيئة وطبيعة عصره عليه، ملحقا هذا الفصل بملحقين: الأول: جدول زمني متسلسل لمجرى حياة الرسول ﷺ.. والثاني: تكلم فيه عن كلمة (حنيف) من حيث المعنى وعلاقتها بحنيفية إبراهيم عليه السلام.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (خبرة محمد كرسول) عن موقف الناس من الدعوة الإسلامية ثم تكلم عن الوصف القرآني للوحي والنبوة، وإمكانية فهم الوظيفة النبوية، ثم تحدث عن القرآن الكريم وحفظه في زمن الرسول، ولم يمانع المؤلف من وجود شيء منه مكتوبا بشكل ما، ثم ناقش قضية أمية الرسول ﷺ.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (تاريخ النص القرآني) عن مراحل جمع القرآن الكريم كصحف خاصة، ثم جمعه في عهد أبي بكر وعثمان، ثم تناول أسلوب القرآن الكريم في تلك الفترة.. ثم ختم الفصل بالحديث عن موثوقية القرآن من حيث اكتماله أو احتمال سقوط وضياع شيء منه.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (الشكل الخارجي للقرآن) عن أسماء القرآن الكريم، وأقسامه، والطقوس الدينية التي يقرأ فيها، وآياته، وترتيبها، والإيقاعات والإلزامات في قوافي الآيات ـ كما يسميها ـ أي (الفاصلة القرآنية) ثم تحدث عن الحروف المقطعة ومعناها وأقوال المستشرقين في ذلك، ثم تحدث عن الصور الدرامية ـ كما يسميها ـ الموجودة في أسلوب الخطاب القرآني ويقصد بذلك أسلوب الالتفات في القرآن الكريم.

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 107.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 107.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 107.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (خصائص الأسلوب القرآني) عن القوافي القرآنية، والوزن الشعري في الآيات القرآنية، والصيغ التعليمية المختلفة التي جاءت في القرآن الكريم كالأمثال والقصص وغيرهما، ثم تناول الآيات التي غلب عليها أسلوب الكهان، ثم تحدث عن أسلوب القصص والأمثال ذات المغزى الأخلاقي في القرآن الكريم، ثم تحدث بعد ذلك عن الاستعارة في القرآن الكريم، وختم الفصل بالحديث عن لغة القرآن الكريم مطلقا عليها لغة الكويني (الشعر)

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (تشكيل القرآن) عن النسخ القرآني، وإمكانية وجود المراجعة في النصوص القرآنية ثم ذكر نظرية أستاذه (بل)(التكميلات البديلة) ذاكرا بعض الشواهد على حدوث المراجعة والتعديل، وذكر موقفه من هذه النظرية.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ (الترتيب الزمني في القرآن) عن وجهات النظر الإسلامية والتقليدية والأوربية حول التاريخ، مؤكدا أن تتابع الأفكار في القرآن دليل على عملية التاريخ الزمني والتطور الفكري في القرآن.

قال آخر[4]: وتحدث في الفصل الثامن المعنون بـ (أسماء الرسالة المنزلة) عن أسماء القرآن الكريم: (القرآن، الكتاب، التنزيل، ذكر، وذكرى، وتذكرة، وفرقان)، ثم عقد فصلا عن كون القرآن الكريم آية ومعجزة، ثم تكلم عن معنى (مثاني) وعن طريقة عرض القرآن الكريم لجانب العقيدة، ثم ختم الفصل بالحديث عن الجانب التشريعي الإسلامي وعن أركان الإسلام الخمسة.

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٨.
(2) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٨.
(3) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٨.
(4) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٩.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل التاسع المعنون بـ (العلماء المسلمون والقرآن) عن جهد العلماء المسلمين في علم التفسير والتأويل، ثم تحدث عن المتكلم الحقيقي في القرآن الكريم، وموقف المعتزلة من ذلك.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل العاشر المعنون بـ (القرآن والعلماء الغربيون) عن جهود العلماء الغربيين في ترجمة القرآن الكريم، وتاريخ هذه الترجمة والمراحل التي مرت بها، ثم ذكر فهرسا بأشهر الكتب التي تناولت موضوعات القرآن الكريم المتعددة، ثم علق على بعض هذه الكتب ككتاب (تاريخ القرآن) لـ (نولديكه) وكتاب (أبحاث جديدة في تركيب وتفسير القرآن) لـ (هيرشفيلد ١٩٠٢ م) وكتاب (تركيب القرآن وترتيبه الزمني) لـ (هيوبرت جريم) وغيرها من الكتب.. وفي آخر هذا الفصل تناول المشكلات التي تواجه الدارس غير المسلم خلال دراسته للقرآن الكريم مثل مشكلة صدق هذا القرآن الكريم.. ومشكلة المصادر الأصلية ذات العلاقة المباشرة بالنصوص القرآنية.. ثم ختم الفصل بقائمة للفهارس تخدم كتابه وجدولا للآيات القرآنية حسب ترتيب (فلوجل) مقارنا هذا الترتيب بترتيب المصحف المصري.

النموذج الخامس:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج الخامس.

قال أحد المشككين[3]: النموذج الخامس، كتاب [القرآن]، لمؤلفه [ريجي بلاشير]، الذي كان أستاذا في اللغة والأدب العربي في (السوربون) لغاية سنة ١٩٧٠ م، وله عدة مؤلفات مرتبطة بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى كتابه هذا، منها مقدمة عن القرآن، وترجمة

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١/ ١٠٩.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١/ ١٠٩.

(٣) انظر المستشرقون نجيب العقيقي ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٢. وموسوعة المستشرقين، بدوي ص ٨٢.

القرآن الكريم باللغة الفرنسية مرتبا السور والآيات حسب النزول، ثم أعاد الترجمة سنة ١٩٥٧ م حسب ترتيب المصحف، وله كتاب لخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة رسول الله ﷺ، وله كتاب بعنوان (معضلة محمد).. وله عدة أبحاث حول القرآن وغيره منها: نبذة عن النفس في القرآن نشر في مجلة الساميات عام ١٩٤٨ م.

قال آخر[1]: وهو ـ كسائر كتابات (بلاشير) ـ تتسم بالطعن الشديد في الإسلام والقرآن، ولذلك؛ فإن هذا الكتاب مع ما فيه من معلومات، حمل في طياته مجموعة من الأخطاء أفقدت الكتاب كثيرا من قيمته، فقد زعم المؤلف في الفصل الأول أن القرآن مضطرب، وفيه بلبلة فكرية، وهذا الزعم عين ما صرح به (جولد تسيهر) في مؤلفاته.. كما ركز المؤلف في دعواه على تأثر رسول الله ﷺ خلال تأليفه القرآن بالبيئة التي نشأ فيها من يهودية ونصرانية وموروثات جاهلية.

قال آخر[2]: ومما تابع فيه (بلاشير)(كازانوفا) خطأ دعواه في الفصل الثاني والثالث أن تركيز السور المكية على اليوم الآخر بهذا الأسلوب المتميز كان سببه شبح اليوم الآخر وأهواله الذي كان مخيما على فكر الرسول ﷺ إلى غير ذلك من الأخطاء التي رددها هذا المؤلف في ثنايا صفحات كتابه.

قال آخر[3]: وقد قسم كتابه إلى سبعة فصول.. تحدث في الفصل الأول منها، وهو بعنوان: (المصحف بنيته وتكوينه) عن نشأة رسول الله ﷺ في الجزيرة العربية، وبين ـ زاعما ـ مقدار تأثره باليهودية والمسيحية، ثم تحدث عن جمع القرآن الكريم مقررا أن أول جمع تم في عهده ﷺ وذلك بتأثره باليهود ـ لأنه أحب أن يكون له كتاب خاص به كما لليهود كتاب

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٦.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٦.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١١.

ـ ثم تحدث عن الجمع الثاني في عهد (أبي بكر) والجمع الثالث في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان).. ثم تحدث عن القراءات القرآنية ودورها في فهم النص القرآني، واعتراض بعض العلماء عليها زاعمين أنها تهدم قدسية النص القرآني، ثم تحدث عن موقف بعض الفرق الإسلامية من النص القرآني.. ثم تحدث عن ترتيب الآيات والسور القرآنية في القرآن الكريم وتفسير القرآن إلى أجزاء، زاعما أن القرآن فيه بلبلة فكرية، وختم هذا الفصل بالثناء على (نولديكه) وتجربته في ترتيب المصحف ترتيبا زمنيا.

قال آخر[١]: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (الرسالة القرآنية في مكة) عن أسلوب القرآن المكي، والسور المكية، وأن هذا الأسلوب كان متأثرا ـ كما يزعم ـ بشبح اليوم الآخر الذي كان يخيم على فكر الرسول ﷺ.. وهذه الفرية قد سبقه بها المستشرق (كازانوفا)، ثم زعم (بلاشير) أن هذه القضية هي السبب في مجيء السور على نوعين: الأول، سور قصيرة وهي بسيطة في إيحاءاتها، وهي في إحدى عشرة سورة موزعة في المصحف.. والثاني: سور آياتها أطول في اثنتين وعشرين سورة تبتدئ بسورة الكهف وتنتهي بسورة النجم، وهي مختلفة العناصر والأسلوب، وقد ذكر أن كلا النوعين جاء لتثبيت العقيدة والتركيز عليها.. وقد لخص في نهاية الفصل أسلوب السور المكية زاعما أن القرآن في هذه الفترة كان مضطربا.

قال آخر[٢]: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (رسالة القرآن في المدينة) عن الوحي في هذه الفترة، وأنه قد تطور حتى أصبحت سوره تمتاز بالطول، وهي أربع وعشرون سورة.. ثم ختم الفصل ببعض القضايا الخاصة برسول الله ﷺ وببعض المشاكل الخاصة بالوحي ـ كما يزعم ـ كمعالجته للنظام القبلي، وغيرها.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٣.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٣.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (الواقعة القرآنية وعلوم القرآن) عن التنزيلات التي نزلت على رسول الله ﷺ وبلغها للناس، وعلاقتها بما حصل من انقلابات سياسية، واجتماعية، وتطورات فكرية وأخلاقية، ونظرات علمية ودينية، وما أدت هذه التنزيلات من تقدم حضاري وتمدن واضح في المجتمعات الإسلامية، كما تحدث عن دور اللغة في هذا التمدن، ثم تعرض للأسلوب القرآني ودوره في إيجاد مذاهب تفسيرية كالتفسير النحوي لأهل البصرة وما نتج عن هذا الأسلوب من قراءات مختلفة.. ثم تحدث عن أسلوب القرآن المكي وما أحدثه من تفوق إبداعي في جانب الإعجاز القرآني، والعلوم ذات العلاقة بالبلاغة كالاستعارة، والمجاز، وغيرهما، مما حدا بالتفسير أن يظهر بعد ذلك كعلم مستقل.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (التفسير القرآني ـ أصوله وأغراضه) عن التفسير، وأن بداياته كانت من عهد رسول الله ﷺ ثم تحدث عن الصعوبات التي كانت واجهت المفسرين، كعدم ثبوت الخط العربي الذي نتج عنه غموض في اللهجات، وتعدد القراءات.. كما ذكر أن من أسباب تطور هذا العلم تعدد الفرق الإسلامية وحرصها على دعم آرائها بالنصوص القرآنية وحمل شروحها لما يوافق آراءهم.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (القرآن والسنة مصدر العقيدة والشريعة في الإسلام) عن السنة ودورها في التعريف بسيرة الرسول ﷺ وتاريخ نزول القرآن وتأثيره على مفهوم النسخ، وفهم النص القرآني، كما تعرض لموقف بعض الفرق من النص القرآني كالجبرية، والقدرية، كما ذكر أن للسنة دورا في ظهور مدرسة التأويل

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٤.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٤.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٥.

بالحديث، ثم تحدث عن كون القرآن مصدرا للأحكام الشرعية.. ثم تحدث عن مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة، كالإجماع، والقياس، والاجتهاد.. ثم ختم الفصل بدور مدرسة (محمد عبده) بالرجوع للمصدرين الكتاب والسنة.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ (القرآن في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي) عن مكانة القرآن في نفوس المسلمين، وما له من تأثير عليهم، ومقدار اعتناء المسلمين به بتحفيظه لأبنائهم، وما عليه معلم القرآن في السابق وفي الوقت الحاضر من الاحترام والتعظيم عند المسلمين.. ثم تحدث عن تعامل المسلمين مع القرآن في عباداتهم كالصلاة المفروضة والنافلة، ثم تعرض لبعض استخدامات القرآن في شؤون بعض المسلمين الخاصة كحرز يحميهم من السحر وغيره.. ثم تحدث عن هيئة القراء خلال تراتيلهم، واعتناء المسلمين الزائد بالمصاحف حتى دعاهم ذلك لتسجيلها على جدران المساجد، وتخصص بعض الخطاطين بنسخ المصحف، وتزيين المصاحف ببعض الألوان الذهبية، ولزيادة عنايتهم به فتح له إذاعة خاصة تبثه عبر الأثير.. كما ختم الفصل في الحديث عن دور القرآن الكريم في حل مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية، وغيرهما.

النموذج السادس:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج السادس.

قال أحد المشككين[2]: النموذج السادس، كتاب [مقدمة القرآن]، لنفس المؤلف السابق [ريجي بلاشير]، وقد طبع بادئ الأمر مع ترجمته للقرآن الكريم، ثم وضعه في مؤلف مستقل وزوده بفهارس تخدم الكتاب.. وكان صدوره سنة ١٩٥٨ م في باريس، وقد اعتمد في كثير من معلوماته في هذه المقدمة على كتاب (تاريخ القرآن لنولديكة، وشفالي

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٥.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٧.

وجسترشتر، وبيرتزل، زيادة على المصادر العربية نفسها والموضوعات الحديثة حول الموضوع.. وقد راجع هذه المقدمة صديقه (جان سوفاجيه) وقد جاء الكتاب في مقدمة وخمسة فصول ومجموعة من الفهارس.

قال آخر[1]: وهذا الكتاب من أشد الكتب عداء للإسلام، مليئا بالافتراءات والتحليلات الخاطئة والجرأة، والتخيلات الواهمة، بعيدا عن المنهجية والتجرد العلمي.

قال آخر[2]: وقد تحدث في الفصل الأول المعنون بـ (بنية الكتاب المقدس) عن أن تحديد النص القرآني لا يكون إلا من طريق الروايات المنقولة عن الصحابة والتابعين.. ثم تحدث عن تاريخ القرآن الكريم والعوامل التي حددت هذا التاريخ كاستخدام نوع من الكتابة مغايرا للكتابة الأصلية، وعدم جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ كتابة والاعتماد لفترة طويلة على الذاكرة في حفظ القرآن الكريم، ثم تحدث بعد ذلك عن الكتابة العربية في القرن السادس الميلادي ومقدار تأثر مكة بها.. ثم ناقش مسألة معرفة رسول الله ﷺ القراءة والكتابة، وعلاقة ذلك بكلمة (أمي) التي وصف بها، وذكر موقف المستشرقين من هذه القضية، وتوصل إلى أن معنى (أمي) أنه نبي للأمم؟ لا أنه لا يعرف القراءة والكتابة.. ثم تحدث في هذا الفصل عن الأداتين اللتين حفظ بهما رسول الله ﷺ التنزيل وهما (الحفظ ـ المناقلة الشفوية ـ والكتابة) متعرضا خلاله لكتبة الوحي، ومعرضا بقلة عدد الحفظة للقرآن الكريم.. ثم رجع وناقش قضية جمع القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ وأن ذلك كان بتأثره باليهود، ومقدرا بعد ذلك أن الترتيب للآيات القرآنية كان لبعض الآيات دون غيرها.. ثم تناول قضية جمع القرآن الكريم من الصحف الخاصة إلى جمع (أبي بكر) ومبينا نقاط الخلاف بينهما كترتيب للسور، والاختلاف في رسم بعض الكلمات.. ثم تحدث عن

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 123.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 118.

الجمع في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ كما ذكر رأي (كازانوفا) وردد زعم (كازانوفا)(أن هذا الجمع كان أسطورة لا غير).

قال آخر[1]: ثم تحدث عما سماه (تحسين كتابة مصحف عثمان)، وتناول فيه التحسينات التي استحدثت لتغطي القصور الموجود في النسخة العثمانية، ودور (الحجاج) في هذا التحسين، ونشوء القراءات وتأثرها بالحركات السياسية آنذاك.. وقد أشار في هذا الفصل لوجود بعض الصحف الخاصة في عهد (عبد الملك بن مروان) وواليه على العراق (الحجاج بن يوسف الثقفي)

قال آخر[2]: ثم تحدث عن (علم القراءات والتحديد النهائي للقرآن الكريم)، وقد تناول فيه القراءات القرآنية وأقسامها وعددها وطريقة أدائها وتلقيها ومقدار تأثيرها على النص القرآني، ثم تحدث عن عدد القراء وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية، ثم تحدث عن دور الطباعة في انتشار القرآن الكريم.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (وصف الكتاب المقدس) عن شكل القرآن الكريم وتقسيماته، وكتابته ولغته، وأسلوبه، والبسملة، والحروف المقطعة.. وعن الطبعة المصرية للقرآن الكريم وكتابتها بالطريقة القديمة.. وعن لغة القرآن الكريم، وهل كل مفرداته عربية أم فيها غير العربي، وتحدث عن سبب اختيار لغة قريش لتكون لغة القرآن الكريم، ثم تناول نظرية (مولرز) وهي كون لغة القرآن (لغة الكويني) الشعرية القديمة أم لا؟ مقررا أنها جمعت بين لغة الشعر (الكويني) وبين لغة (نجد) التي كتبت بها، ثم هاجم هذه النظرية وأنها بدلا ما تحل المشكلة غيرت وجهها ـ حسب زعمه ـ.

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 119.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 119.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 119.

قال آخر[1]: ثم تحدث عن أسلوب القرآن الكريم، وكونه معجزا تحدى به محمد ﷺ العرب فأعجزهم، ثم تحدث عن موقف قريش وبعض الملاحدة كابن الراوندي، وابن المعري، وعيسى بن صبيح، والمثنى، والحلاج، وغيرهم من هذا القرآن الكريم بمحاولاتهم الإتيان بمثله منكرين وجه الإعجاز الذي فيه زاعمين أنه لا يختلف عن أي كلام بشري.. ثم ختم هذا المبحث بالحديث فيه عن الوزن الشعري، والسجع الموجود في آياته في كلا النوعين القرآن المكي والمدني.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (النقد المثار بواسطة النص المنزل في الكتاب المقدس) عن الانتقادات التي وجهت حول سلامة النص القرآني من الزيادة والنقصان، وملاحظاتهم على بعض كتبة الوحي من حيث الأمانة والدقة، والوسائل التي كتب عليها النص القرآني ومقدار قدرتها على حفظ النص القرآني.. ثم تحدث عن دور القراءات في إثارة الفوضى والاضطراب في النص القرآني.. وكان أغرب ما في الفصل ذكره لتصور كل من (ويدنيورج)، و(جيبر) و(جولد تسيهر) بإيجاد طبعة تلبي انتقادات الغرب للنص القرآني.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (المصادر المقدمة لتفسير المستشرقين من خلال بعض العلوم القرآنية) عما سماه مصادر لذكاء النص القرآني، وقد ذكر فيه بعض هذه المصادر، كالقراءات الشرعية وغير الشرعية وغيرها.. كما تحدث عن التفسير الإسلامي نفسه على اختلاف أنواعه من تفسير بالمأثور، وبالرأي المحمود منه وغير المحمود.. ثم تحدث عما سماه (المصادر والمناهج لإعادة ترتيب الكتاب المقدس حسب

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١١٩.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٠.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢١.

فترات نزوله)، وتناول فيه أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وترتيب القرآن حسب التسلسل التاريخي، وترتيب بعض المستشرقين للقرآن الكريم كترتيب (موير) و(سبرنجر)، وترتيب المدرسة الألمانية وإمكانية استفادة هذا الترتيب من تطور رسالة محمد ﷺ.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية) عن ترجمات القرآن الكريم في العصر الوسيط منذ محاولة قس كلوني (بيير لوفيرابل) باللغة اللاتينية.. ثم تناول الترجمات الحديثة منذ بداية القرن السابع عشر على يد الفرنسي (أندريه دي رير) القنصل الفرنسي في مصر ودوره في تعميم كتاب الإسلام المقدس ـ حسب تعبيره ـ في الغرب وقد ظهرت ترجمته للقرآن سنة ١٦٤٧ م في باريس تحت عنوان (قرآن محمد) وقد لاقت هذه الترجمة حماسا كبيرا مما جعلها تترجم بعد ذلك لعدة لغات.. ثم ذكر عدة ترجمات صدرت بعدها كترجمة (جيرمان دي سيليزي)(١٦٥٠ ـ ١٦٦٥ م) وترجمة ماراتشي (١٦٩٨ م) بعنوان (نماذج لتصحيحات نصوص القرآن).. ثم تحدث بعد ذلك عن الترجمات المعاصرة منذ ترجمة (واهل) عام ١٨٢٨ م التي دفعت موضوع ترجمة القرآن الكريم للغات الأوربية قدما، فذكر ترجمة (أولمان) وترجمة (كازشرسكي)، و(رودويل) سنة ١٨٦١ م و(جريجيل هال) ١٩٠١ م وغيرها كثير.

النموذج السابع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النموذج السابع.

قال أحد المشككين[2]: النموذج السابع، كتاب [مقدمة القرآن]، لمؤلفه أستاذنا [ريتشارد بل]، وهو إنجليزي الأصل، وأحد أساتذة اللغة العربية بجامعة ادنبره، وقد صرف سنين عدة من عمره في دراسة القرآن الكريم وتاريخه دراسة وافية متتالية، ومن أشهر

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٢٢.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٩٩.

أعماله المرتبطة بالقرآن الكريم: ترجمة للقرآن الكريم. سنة ١٩٣٧ م ـ ١٩٤١ م.. ومقدمته للقرآن الكريم.. وأسلوب القرآن الكريم. سنة ١٩٤٢ م ـ ١٩٤٤ م.. والمتشابه في القرآن الكريم. سنة ١٩٨٢ م.. وأهل الأعراف. سنة ١٩٣٢ م.. وسورة الحشر. سنة ١٩٤٨ م.. بالإضافة إلى غيرها من الأعمال والمقالات، ومنها (معلومات محمد عن العهد القديم) والتي نشرتها مجلة الدراسات السامية والشرقية سنة ١٩٤٥ م.

قال آخر(١): والكتاب يمثل دراسة أكاديمية بذل فيها المؤلف جهدا كبيرا، ولكنها لم تتجرد عن النزعة العدوانية للإسلام.. وقد ملئ الكتاب بكثير من الأخطاء، وسببها اعتباره القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ لذا أخضعه لمقاييس الكتب البشرية، من حيث الأفكار والأسلوب والمضمون، وغير ذلك مما تورثه البيئة في فكر المؤلف وأسلوبه.

قال آخر(٢): ولهذا نجده يعتبر أن التأثير الأكبر على شخص رسول الله ﷺ كان من البيئة المحلية كاليهودية والمسيحية والوثنية.. ومن البيئة الخارجية كالمجوسية والزرادشتية.

قال آخر(٣): ولهذا نجده في كتابه يركز على الطعن في سلامة النص القرآني، حيث زعم أنه مضطرب دخلته الزيادة والنقصان، والتلفيق بين بعض الفقرات مبتدعا نظرية سماها (نظرية التكميلات البديلة).. وقد كانت الموروثات الفكرية والمنهج الذي اتبعه سببا في وقوعه في كثير من الأخطاء العلمية.

قال آخر: وقد قسم كتابه لعشرة فصول.. أولها [الموقف التاريخي ومحمد]، وتحدث فيه عن البيئة التي نبت فيها الإسلام، وما كان لها من تأثير على التعاليم والعقائد الإسلامية، كالاعتقاد بالجن وموقفه من الكهان، وتأثير اليهودية والمسيحية والحنفاء على الأسلوب

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٥.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٥.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٥.

القرآني، وتأثير الموقف العالمي حول الجزيرة على الدعوة الإسلامية، وخاصة المجوسية والزرادشتية.. ثم تحدث عن موقف الإسلام من المرأة، ثم عن الكتابة والقراءة وتأثير ذلك على رسول الله ﷺ.. ثم ذكر نبذة عن سيرة رسول الله ﷺ ثم تحدث عن الأشهر العربية والأشهر الحرم منها، ثم ختم الفصل بالحديث عن الوحي ومعناه، واستعمالاته في القرآن الكريم.

قال آخر: وتحدث في الفصل الثاني المعنون بـ (أصل القرآن) عن القرآن ونزوله وجمعه والصحف الخاصة بالصحابة، والنص القرآني من حيث الزيادة والنقصان. متأثرا بأقوال الغلاة من السنة والشيعة بأن النقص والزيادة والاضطراب دخل القرآن الكريم، ثم تعرض في نهاية الفصل للقراءات القرآنية السبعة وقرائها ومن اعتنى بها من المستشرقين أمثال: براجشترستر، وبيرتزل، وآرثر جيفري، وهؤلاء اعتنوا بهذا الجانب خاصة (القراءات الشاذة)، ساردا بعض الأمثلة على ذلك؛ ليخلص منها أن هذه القراءات ما هي إلا نسخ أخرى من القرآن الكريم تقابل النسخة العثمانية ليدلل من خلالها على وجود الاضطراب والاختلاف في نص القرآن الكريم.

قال آخر: وتحدث في الفصل الثالث المعنون بـ (شكل القرآن) عن تفسيم القرآن الكريم إلى أجزاء وأحزاب وأرباع وسور وعناوين السور، ثم تحدث عن الحروف المقطعة، ثم ذكر أن الغرض من وراء هذا التقسيم كان لغرض التلاوة، ثم ذكر موقف ابن مسعود من المعوذتين، ثم تحدث عن إيقاع الآيات القرآنية، وعن الصور الدرامية في القرآن الكريم.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الرابع المعنون بـ (بنية وأسلوب القرآن) عن أسلوب القرآن الكريم زاعما أنه غلب عليه السجع والإلزامات المتكررة لتأثره بسجع الكهان، كما

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠١.

ذكر أن أسلوبه امتاز بالقصر وشدة الإيقاع، والتكرار، والفقرات التوكيدية، وأنه كان غنيا بالقصص والحكايات الرمزية، والتشبيهات، والاستعارات.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل الخامس المعنون بـ (تصنيف السور) عن السور القرآنية من حيث الطول والقصر وتكرار العبارات المسجوعة والانقطاع النحوي للجمل والإقحامات لبعض الفقرات كتكميلات بديلة على حسب زعمه.. زاعما أن هذه التكميلات كانت بعد تمام الجمع، وأكد أن هذا كان بفعل جمعة القرآن الذين كانوا يضعون ما على ظهر الورقة بصورة عشوائية، ثم ذكر أن عدم كفاية التفسيرات العادية لإيضاح بعض العبارات غير المترابطة أدى إلى بعض الاضطراب والخلط.. ثم ذكر بعض الفقرات التي ناقشت موضوعات سببت مشكلات حرجة لرسول الله ﷺ ـ حسب زعمه ـ ثم ذكر في هذا الفصل أن الصورة الحالية للقرآن تعتمد على وثائق مكتوبة ترجع إلى زمن حياة الرسول ﷺ، ثم ختم الفصل بالحديث عن الناسخ والمنسوخ.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل السادس المعنون بـ (الترتيب الزمني للقرآن) عن الترتيب في القرآن الكريم وذكر موقف المستشرقين منه، ومحاولات المستشرقين لترتيب القرآن الكريم ترتيبا زمنيا كمحاولة (نولديكه) و(موير) و(جريم) وغيرهم، مبينا العناصر التي اعتمدوها في هذه المحاولات كتحليل مواد السورة بدراسة الأسلوب، والصياغة وعلاقتها بتكليف رسول الله ﷺ بالرسالة لأول مرة، وعلاقة ذلك بمبدإ عقوبة الكافر، مع بيان ردة فعله على عداوة يهود المدينة له مع مراعاة تواريخ بعض الفقرات، ثم ذكر جدولا بين فيه ترتيب سور القرآن الكريم حسب المصحف العثماني، وحسب رأي (نولديكه) و(جريم) و(موير) وحسب ترتيب المصحف المصري.

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٢.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٢.

قال آخر[1]: وتحدث في الفصل السابع المعنون بـ (مراحل نمو القرآن) عن دلائل قدرة الله سبحانه وعلى كرمه بإنعامه على خلقه، مع ربط هذا الأمر بآيات البعث، زاعما أن كثيرا من هذه الآيات قد روجعت وعدلت بحيث تتلاءم مع وضعها الحالي في المصحف، وزعم أن ذلك بسبب التأثر بالمصادر المسيحية، ثم تناول معنى (مثاني) مبينا فهم بعض المستشرقين لها حيث فسرها بعضهم بالفاتحة بآياتها السبع، أو هي سبع قصص عقاب كثر تكرارها في القرآن الكريم، كقصة عاد، وثمود وأصحاب الحجر، وأهل الأيكة، وقوم تبع، وسبأ، وقصة نوح، وغيرها، ثم ختم الفصل بالحديث عن أسماء القرآن الكريم: القرآن ـ الكتاب ـ الفرقان.

قال آخر[2]: وتحدث في الفصل الثامن المعنون بـ (محتوى القرآن ومصادره) عن تعاليم القرآن الكريم وأهدافه ودرجة تأثره باليهودية والمسيحية، والمبدأ الأساسي الذي دعا له، وهو توحيد الله سبحانه، وأسمائه، وصفاته، وزعمه تأثر بعض أسماء الله عزوجل (كالرحمن) بالمذهب المانوي، وغيره، ثم تحدث عن تطور معنى كلمة (رسول) من المعنى الإقليمي إلى المعنى العالمي، ثم ختم الفصل بالحديث عن نهاية العالم، ومصير الإنسان فيه إلى جنة أو نار.

قال آخر[3]: وتحدث في الفصل التاسع المعنون بـ (القصص) عن القصص القرآني ومقدار تأثره باليهودية والمسيحية، واعتماده على المصادر الشفوية أكثر من المصادر المكتوبة الموثقة ـ في نظره ـ ثم ذكر أن بعض القصص كان فيه اضطراب واضح على حد زعمه.

قال آخر[4]: وتحدث في الفصل العاشر المعنون بـ (التشريع) عن بعض العبادات في

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٢.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٢.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٤.

(4) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ١٠٤.

الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم تناول بعض جوانب التشريع المتعلقة ببعض المطعومات والمشروبات، كالخمر، والربا، والمقامرة، ثم تحدث عن بعض الأحكام المتعلقة بالأسرة كالزواج، والطلاق، والإرث، وغيرها.. وختم الكتاب بقائمة فهارس تخدم الكتاب.

٢. التشكيك والبيئة:

بعد أن انتهى المشككون التائبون من ذكر المنابع والمقررات التي تحوي أصناف الشبه والتشكيكات، قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن منابع التشكيك المسمومة؛ فأجيبونا عما حوت عليه من الضلالات؛ فلا يصح ذكر المنكر دون النهي عنه، ولا يصح ذكر الشبهة دون الرد عليها.

قال كبير المشككين: أجل.. وسنبدأ بأول الشبه، وأكثرها انتشارا، وهي ربط القرآن الكريم بالبيئة التي تنزل فيها، واعتبار أنه نتاج لها، وقد رأينا أن أكثر المشككين يرددونها، وكأنها بديهية ومسلمة لا شك فيها.

قال آخر: وقد رأينا من خلال إحصائنا واستقرائنا لما في تلك الكتب أنهم يقصدون خمس جهات، يعتبرون أنها مصادر القرآن الكريم، لا الوحي الإلهي.

قال آخر: وأولها الوثنية التي كانت سائدة في أكثر القبائل العربية، بما فيها قريش التي عاش رسول الله ﷺ بين أهلها.

قال آخر: وثانيها أولئك الحنفاء الذين تمردوا على الوثنية، وآمنوا بالله الواحد، وحاولوا بحسب ما وصلهم التدين بدين إبراهيم عليه السلام.

قال آخر: وثالثها اليهودية.. وهي الديانة التي كان عليها الكثير من أهل المدينة التي هاجر إليها رسول الله ﷺ.

قال آخر: ورابعها المسيحية.. وهي الديانة التي كان يؤمن بها بعض العرب، والذين وفد بعضهم إلى رسول الله ﷺ.

قال آخر: وخامسها الزرادشتية.. والتي كانت موجودة في ذلك الحين في فارس.

قال آخر: وسادسا الصابئة.. والتي كانت موجودة في ذلك الحين في الشام والعراق.

أ. القرآن والوثنية:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والبيئة الوثنية.

قال أحد المشككين: على الرغم من غرابة هذه الشبهة، إلا أنا سنذكرها كما ذكرها أساتذنا المشككون.. والذين يكادون يتفقون على أن رسول الله ﷺ تأثر بالبيئة الوثنية التي عاش فيها.

قال آخر: وقد استدلوا على ذلك بالتشابه الموجود في بعض العقائد والشعائر التعبدية، والعادات، حيث استدلوا بها على أن رسول الله ﷺ استفادها من البيئة التي عاش فيها[١].

قال آخر: ومن الأمثلة على الشعائر التعبدية الحج بما فيه من طواف وتقبيل للحجر الأسود وسعي بين الصفا والمروة، وغيرها من شعائر الحج[٢].

قال آخر: ومثل ذلك ما كان من تشابه بين شرائع الإسلام، وبعض العادات الجاهلية المرتبطة بالزواج والختان ونحوهما[٣].

قال أحد الحضور: عرفنا الشبه.. فما هو الرد عليها؟

(١) كتاب مصادر الإسلام لتسدال ص ٦ وما بعدها، ومقدمة القرآن لريتشارد بل ص ٩، وكتاب مدخل القرآن للأستاذ دراز ص ١٢٩ وما بعدها.

(٢) مصادر الإسلام ص ٦-٨، ومقدمة القرآن بل ص ٩.

(٣) مصادر الإسلام لتسدال ص ٨.

قال أحد المشككين: أول الرد عليها ما سمعتموه في الرد على الكشفية من أن التوافق على الخير والحكمة لا يعني التأثر ولا الاقتباس.. فالحق والخير موجود في العالم أجمع، وإن خلط ببعض الباطل، أو بالكثير منه.

قال آخر: والحكيم هو الذي يميز الحق عن الباطل، أو يجعل الحق الموجود في بيئته وسيلة لقمع الباطل الذي سيطر عليها، كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧]

ملة إبراهيم:

قال آخر: ولذلك؛ فإن البيئة التي عاش فيها رسول الله ﷺ، وكُلف بأن يبدأ رسالته منها، لم تكن بيئة منحرفة تماما عن الحق، وإنما خلطت الحق بالكثير من الباطل؛ فلذلك صار الحق باطلا بسبب تشويهها له.

قال آخر: ويدل لذلك ما ورد في القرآن الكريم من أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بأن يهاجر إلى مكة المكرمة، ليبني الكعبة المشرفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٥-١٢٩]

قال آخر: وقد ورد في كتب الحديث والتاريخ ما يدل على أن العرب ظلوا تابعين لملة

إبراهيم عليه السلام إلى أن دبت الوثنية ديارهم بسبب أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تعظيما للحرم وصبابة بمكة.

قال آخر: وتذكر المصادر التاريخية أن أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ونصب الأوثان، وسيب السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، عمرو بن لحي، ثم انتشرت عبادة الأصنام وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب حتى بلغ بهم الجهل أنه حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة، جعلت العرب عمرو بن لحي [1] ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم، وقيل: إن أمره وأمر ولده دام على مكة ثلاثمائة سنة [2].

قال آخر: وهكذا ابتعد العرب عن دين إبراهيم عليه السلام فدخل الشرك في عقائدهم وعباداتهم وصرفوا ما ينبغي أن يكون لله سبحانه لأصنامهم وأوثانهم وساءت الأخلاق، وانتشرت المفاسد، وانتهكت المحارم، وتركت الفرائض والسنن، وانتشرت البدع والخرافات، ومع هذا بقي قلة من الناس يبحثون عن الحقيقة وهم الحنفاء.

قال آخر: وقد صور ذلك جعفر بن أبي طالب، فقال للنجاشي ملك الحبشة ردا على افتراءات السفيرين اللذين أرسلتهما قريش لإرجاع المهاجرين من الحبشة لمكة: (أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم،

---

(١)كتاب أخبار مكة ١/ ١١٦.

(٢) الروض الأنف ١/ ١٠٢.

وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، ـ وعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا)[١]

قال أحد الحضور: فما تقولون فيما ذكره بعض المستشرقين، حيث قال: (نجد في المدينة في معية محمد حاشية مسيحية ويهودية قد أسلمت أو سايرت الإسلام، نجد بلالا الحبشي مؤذن النبي، وصهيبا الرومي المسيحي الثري، وسلمان الفارسي المسيحي الأصل، وعبد الله بن سلام اليهودي الوحيد الذي أسلم في المدينة مع كعب الأحبار، وهل كان حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التوراة والإنجيل؟.. إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل)[٢]

قال أحد المشككين[٣]: أول الردود على هذه الشبهة هو أن هذه الحاشية المسيحية واليهودية ـ كما يزعمون ـ والتي قد أسلمت؛ دليل واضح على أن الديانات قبل الإسلام حرّفت، فلذا لم يسع هؤلاء بعد أن عرفوا الحق إلا أن يتركوا ما هم عليه من الباطل ويتبعوا رسول الله ﷺ.

قال آخر: وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لزيد بن عمرو: ما لي أرى قومك قد شنفوا لك، فقال: أما والله، إن ذلك لبغير نائرة كانت مني إليهم، ولكني أراهم على ضلالة، فخرجت أبتغي هذا الدين حتى قدمت على أحبار يثرب، فوجدتهم يعبدون

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٧٣ ـ ٧٤، والكامل في التاريخ ٢/ ٥٥.

(٢) القرآن والمبشرون: ٩٤.

(٣) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ٣٩١.

الله، ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت حتى أقدمت على أحبار خيبر فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت حتى قدمت على أحبار فدك فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، خرجت حتى أقدمت على أحبار أيلة فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فقال لي حبر من أحبار الشام: أتسل عن دين ما تعلم أحدا يعبد الله به إلا شيخا بالجزيرة، فخرجت فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: إن كل من رأيت في ضلال؛ إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته، وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعو إليه، ارجع فصدقه واتبعه وآمن بما جاء به[1].

قال آخر: وقد شهد المستشرقون أنفسهم بذلك؛ فقد نفى (نلسن)أن تكون اليهودية أو المسيحية قد أثّرتا في وجود التوحيد عند العرب، ففي رأيه أن اليهود كان إلههم الخاص بهم ولم يكن إلها عالميا، كما أن المسيحية التي ظلت حتى عصر محمد ﷺ لم تكن توحيدية بل كانت متعددة الآلهة، فالمسيح وأمه كانا يقدسان كإلهين [2].

قال آخر[3]: ويدل لذلك أيضا أن ورقة عندما أراد أن يتنصر ذهب إلى الشام، وهذا لعدم توفر ذلك في الجزيرة العربية، فكان على الشرك قبل هذا؛ لأنه نشأ في بيئة وثنية.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الواقع يشهد أن ديانة العرب المنتشرة في الجزيرة هي الشرك، وقد قال المستشار نجيب وهبة، وهو باحث مسيحي: (كانت كثرة العرب في الجاهلية وثنية تؤمن بقوى إلهية كثيرة تنبث في الكواكب ومظاهر الطبيعة)[4]، ثم ذكر عدة أسماء للقبائل التي تنصرت في شبه الجزيرة، ولم يفصل في وجود كنائس أو قبائل نصرانية في

---

(١) رواه البخاري: رقم ٣٨٢٧، وأبو يعلى في مسنده: ١٣/ ١٣٧.

(٢) التاريخ العربي القديم: نلسن ديتلف وآخرون؛ نقلا من كتاب: ورقة بن نوفل مبشر الرسول لغسان عزيز حسن (٢٨)

(٣) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ٣٩٢.

(٤) إشراقة شمس المسيحية في شبه الجزيرة العربية ٦١.

مكة [1].

قال آخر[2]: وقد روي أنه قال لرسول الله ﷺ: (إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي)[3]..فإذا كان رسول الله ﷺ نصرانيا، وكان المجتمع نصرانيا، فلماذا حدث العداء، فلم يصدّقوه بل حاربوه، حتى إن القبائل النصرانية بالجزيرة العربية ـ التي يشهد التاريخ الصحيح بأنها نصرانية ـ لم تقبله.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الحركة الدينية اليهودية والمسيحية في مكة لم تكن مزدهرة؛ بل كان الشرك هو المسيطر، حيث لم يظهر بين يهود الجزيرة العربية من اشتهر بعلم أو فقه أو فلسفة، وهذا يدل بالضرورة على عدم ازدهار الحركة الفكرية والثقافية عندهم، فهم آثروا البقاء منعزلين عن العالم، مكتفين بأبسط أنواع الحياة [4].

قال آخر[5]: بالإضافة إلى ذلك عدم استغلال النصارى للشعر لتقوية موقفهم في مكة ونشر دينهم، فإن هذا كان أهم وسيلة لنشر دينهم، حيث نجد أنه لا يختلف الشعر النصراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشيء، فمن الصعب على الباحث أن يجد فرقا كبيرا بين شعر الشعراء النصارى وشعر الشعراء الوثنيين، ولهذا ذهب بعض المستشرقين إلى أن من الصعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتاز بها عن الشعر الوثني قبل الإسلام [6].

الحج:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فما السر في تشابه بعض شعائر الحج في الإسلام مع

---

(1) إشراقة شمس المسيحية في شبه الجزيرة العربية ص ١٣١.

(2) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ٣٩٣.

(3) البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)

(4) العرب قبل الإسلام د. جواد علي ٦/ ٨، ود. إسرائيل ولفنسون؛ تاريخ اليهودية في بلاد العرب ٤٢.

(5) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ٣٩٣.

(6) انظر العرب قبل الإسلام د. جواد علي ٦/ ٨.

بعض شعائره في الجاهلية؟

قال أحد المشككين: تشابه مناسك الحج في الإسلام في بعض الأمور مع الحج في الجاهلية، يدل على أن أهل مكة ورثوا تلك الشعيرة من ملة إبراهيم عليه السلام، وهي شعيرة صحيحة سليمة لها دورها في إصلاح النفس والمجتمع؛ فلذلك أبقاها الله تعالى، وأمر المسلمين بإحيائها، لا وفق ما كان عليه أهل الجاهلية، وإنما وفقا للقيم التي جاء بها الإسلام.

قال آخر: وذلك يشبه ما لو أن طبيا رأى قوما من الناس يستعملون دواء صحيحا، لكنهم يخلطونه ببعض الأدوية الفاسدة، أو يستعملونه بطريقة غير صحيحة؛ فالحكمة لا تدعوه لأن ينهاهم عن الدواء الصحيح الشافي، وإنما تدعوه ليحذرهم مما خلطوه به من الأدوية الفاسدة، أو من الاستعمال الخاطئ له.

قال آخر: ولهذا قُرنت الأوامر القرآنية المرتبطة بالحج بتوحيد الله، مثلها مثل كل الأوامر، كما قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، أي بصحبة الإخلاص لله، وهو ما يفرقها عن الوثنية تماما.. فالوثنية كانت تتوجه بتلك الشعائر للأوثان لا لله.

قال آخر: ومثل ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]، وقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣]، فبين الله تعالى أن العبادة لرب البيت وهو الله عز وجل وليست للبيت، والمعنى: إنما أمرت أن أخص الله بالعبادة وحده لا شريك له[١].. وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها[٢].

قال آخر: وهكذا نرى الله تعالى يقرن كل شعائر الحج بالعبودية الخالصة، أو بملة إبراهيم عليه السلام بعيدا عن كل ما انحرف به الوثنيون في هذه الشعيرة، كما قال تعالى:

---

(١) فتح القدير ٤/ ٢٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٣.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، وقال: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وقال ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تبين أن أعمال الحج من عند الله، وليست من أعمال الوثنية.

قال آخر: ولهذا ذكر الله تعالى المصدر الصحيح لتلك الشعائر التعبدية التي حافظ المشركون على بعض ظواهرها، بينما خالفوا حقائقها وبواطنها، فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨]

قال آخر: ولهذا نرى رسول الله ﷺ ينبه في كل محل إلى ارتباط كل شعائر الحج بإبراهيم عليه السلام أو بغيره من الأنبياء الكرام، وقد ورد في الحديث عن ابن عبّاس قال: سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكّة والمدينة فمررنا بواد فقال: (أي واد هذا؟) فقالوا: وادي الأزرق، فقال: (كأني أنظر إلى موسى ﷺ واضعا إصبعيه في أذنيه له جؤارٌ إلى الله بالتّلبية مارا بهذا الوادي) قال: (ثمّ سرنا حتّى أتينا على ثنيّة، فقال: (أي ثنيّة هذه؟) قالوا: هرشى أو لفتٌ، فقال: (كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبّة صوف خطام ناقته ليفٌ خلبةٌ مارا بهذا الوادي ملبّيا)[1]

---

(١) مسلم (١٦٦)

قال آخر: وقال ابن عبّاس: (أوّل ما اتّخذ النّساء المنطق من قبل أمّ إسماعيل، اتّخذت منطقا، ثمّ جاء بها إبراهيم، وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتّى وضعهما عند البيت عند دوحة، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكّة يومئذ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك.. فذكر القصة وفيها: فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصّفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثمّ استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا، فهبطت من، الصّفا حتّى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثمّ سعت سعى الإنسان المجهود حتّى جاوزت الوادي، ثمّ أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرّات ـ قال ابن عبّاس: قال النبي ﷺ: (فذلك سعى النّاس بينهما)[(١)]

قال آخر: وعنه قال ـ يحدث عن رسول الله ﷺ ـ: (لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض)، قال ابن عباس: (الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون)[(٢)]

قال آخر: وعن يزيد بن شيبان قال: كنّا في موقف لنا بعرفة يباعده عمرو بن دينار من موقف الإمام جدا فأتانا ابن بزيغ الأنصاريّ فقال لنا: إنّي رسول رسول الله ﷺ إليكم إنّ رسول الله يأمركم أن تقفوا على مشاعركم هذه فإنّكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم عليه السلام)[(٣)]

قال آخر: وهكذا كانت كل مواقف رسول الله ﷺ المرتبطة بالحج تدعو إلى إزالة كل

(١) البخاري (٣٣٦٤)

(٢) الحاكم ١/ ٦٣٨، والبيهقي ٥/ ١٥٣.

(٣) النسائي ٥/ ٢٥٥، والترمذي (٨٨٣)

آثار الوثنية عنه؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكّة وحول الكعبة ثلاثمائة وستّون نصبا فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: (جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا)(جاء الحقّ وما يبدئ الباطل وما يعيد)[1]

قال آخر: وعن ابن عبّاس أنّ النبي ﷺ لّما رأى الصّور في البيت لم يدخل، حتّى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السّلام ـ بأيديهما الأزلام فقال: (قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قطّ)[2]

قال آخر: ولهذا؛ فإن الحج الذي جاء به الإسلام يختلف جذريا عن الحج الذي كان في الجاهلية، وإن تشابه معه في بعض صوره ومظاهره، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن أقوالهم في التلبية، فعن ابن عباس قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، فيقول رسول الله ﷺ: ويلكم قد قد، فيقولون: إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت[3].. فكان النبي ﷺ يقول: (لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك، لا شريك لك)[4]

قال آخر: ومن ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون البيت عراة، ويرمون ثيابهم، ويتركونها ملقاة على الأرض، ولا يأخذونها أبدا، ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى، فأمر الله تعالى بستر العورة ونهى عن الطواف عرايا، قال عروة: كان النّاس يطوفون في الجاهليّة عراة إلّا الحمس، والحمس قريشٌ وما ولدت، وكانت الحمس يحتسبون على النّاس يعطى الرّجل الرّجل الثّياب يطوف فيها، وتعطى المرأة المرأة الثّياب تطوف فيها، فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا، وكان يفيض جماعة النّاس من عرفات، ويفيض الحمس من

---

(١) البخاري (٢٤٧٨)، مسلم (١٧٨١)

(٢) البخاري (٣٣٥٢)

(٣) مسلم (١١٨٥)

(٤) البخاري (١٥٤٩)، مسلم (١١٨٤)

جمع، قال: وأخبرني أبي عن عائشة أنّ هذه الآية نزلت في الحمس ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، قال: كانوا يفيضون من جمع فدفعوا إلى عرفات[١]، وعن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة؛ فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١][٢]

قال آخر: وهكذا كان رسول الله ﷺ يخالفهم في كل ما كان له علاقة بالوثنية والجاهلية، ففي الحديث عن جابر في سياق حجة الوداع قال: (وكانت العرب يدفع بهم أبو سيّارة على حمار عرى فلمّا أجاز رسول الله ﷺ من المزدلفة بالمشعر الحرام، لم تشكّ قريشٌ أنّه سيقتصر عليه ويكون منزله ثمّ فأجاز ولم يعرض له حتّى أتى عرفات فنزل)[٣]، وهو يدل على أن قريشا كانت قبل الإسلام تقف بالمزدلفة وهي من الحرم ولا يقفون بعرفات، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، وكانت قريش تقول: نحن أهل الحرم فلا نخرج منه، فلما حج النبي ﷺ ووصل المزدلفة اعتقدوا أنه يقف بالمزدلفة على عادة قريش، فجاوز إلى عرفات لقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]

قال آخر: وهكذا يذكر الله تعالى أن أهل الجاهلية كانوا يخلطون شعائرهم بالمكاء والتصدية؛ فنهى عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥]، أي أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفّقون ويصفرون ويضعون خدودهم بالأرض، فجاء الإسلام وبين أن الطواف لذكر الله، قال رسول الله ﷺ: (إنما جعل الطّواف بالبيت وبين الصّفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)[٤]

---

(١) البخاري (١٦٦٥)، مسلم (١٢١٩)

(٢) مسلم (٣٠٢٨)

(٣) مسلم (٢٣١٦)

(٤) أبو داود في سننه (١٨٨٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٨٢)

قال آخر: ولهذا؛ فإن تصوير الحج بصورة الشعيرة الوثنية عجيب جدا، ذلك أن كل المناسك مرتبطة بالتوحيد، وقد أبطل الإسلام كل المخالفات التي كانت في الجاهلية، وقد قال رسول الله ﷺ في خطبة عرفات: (ألا كلّ شيء من أمر الجاهليّة تحت قدمي موضوعٌ ودماء الجاهليّة موضوعةٌ وإنّ أوّل دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيلٌ وربا الجاهليّة موضوعٌ وأوّل ربا أضع ربانا ربا عبّاس بن عبد المطّلب فإنّه موضوعٌ كلّه)[1]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك كله؛ فإن المستشرقين أنفسهم يشهدون بأن الحج من الشعائر التي كانت معروفة في جميع الأديان، وأنه لا علاقة له في ذاته بالوثنية، ففي دائرة المعارف الإسلامية قالوا: (ولم يك هذا الحج إلى عرفات أمرا اختص به العرب، فالحج إلى معبد من المعابد عادة سامية قديمة جعلت حتى في الأجزاء القديمة من أسفار موسى الخمس فرضا يجب أداؤه، فقد ورد في سفر الخروج الإصحاح الرابع والثلاثين (ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل)[2]

الزواج:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فما تقولون في الشبه الذي استدل به المستشرقون بين الإسلام والوثنيين في بعض أنواع الزواج والختان وغيرهما[3].

قال أحد المشككين: أنتم تعلمون أن الشعوب جميعا مهما اختلفت دياناتها قد تتصف ببعض العادات الطيبة التي لا يصح للعاقل أن يخالفها، بل إن العاقل هو الذي يستثمر بعض العادات الطيبة الموجودة، ليبني عليها، ويدعوهم من خلالها إلى ما لم يكن موجودا،

---

(١) مسلم (١٢١٨)

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٣٠٥، وانظر الكتاب المقدس ص ١٤٥.

(٣) مصادر الإسلام لتسدال ص ٨.

أو يصحح ما كان فاسدا.

قال آخر: وقد ورد ي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (شهدت حلف بني هاشم، وزهرة، وتيم، فما يسرني أني نقضته ولي حمر النعم، ولو دعيت به اليوم لأجبت على أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونأخذ للمظلوم من الظالم)[1].. فرسول الله ﷺ في هذا الحديث يخبر أنه أقر ذلك الحلف مع كونه في الجاهلية، وأنه لو دعي مثله في الإسلام لأجاب.

قال آخر: ومثل ذلك ورد في الحديث عن كميل قال: قال علي بن أبي طالب: يا سبحان الله، ما أزهد كثيرا من الناس في خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كان لا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح، فقام إليه رجل، فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خير، فذكر حديثا في قدوم ابنة حاتم الطائي، وذكرها أخلاق أبيها، وأنه لم يرد طالب حاجة قط، فقال النبي ﷺ: (خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق)، فقام أبو بردة بن نياد فقال: يا رسول الله، الله عز وجل يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق)[2]

قال آخر[3]: ومن هذا الباب؛ فقد كان للعرب عادات تأصلت فيهم؛ فلما جاء الإسلام أقر منها ما كان صالحا وشجعه.. وبناء على هذا وافق على ما كان من عادات العرب في الزواج وغيره موافقا لروح الإسلام وتشريعاته، فقد أقرها الإسلام وحض

(١) البزار في (المسند)(١/ ١٨٥)

(٢) شعب الإيمان (١٠/ ٣٧٤)

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٥٢.

عليها، وما جاء منها مخالفا للإسلام في روحه وشرعه كنكاح الجاهلية الذي وصف في بعض الأحاديث، أو عدم الزواج من امرأة المتبني، أو نكاح أكثر من أربع نساء، كل ذلك أبطله الإسلام وحاربه لما فيه من أضرار خلقية وفوضى اجتماعية.

الختان:

قال آخر[(١)]: ومثل ذلك الختان؛ فهو سنة فطرية وأمر شرعي في الكثير من الديانات، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الفطرة خمس: الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط)[(٢)]

قال آخر: وقد ذكرت التوراة أن الختان هو العهد بين الرب وبين إبراهيم وذريته، ومن يترك الختان ينكث العهد، كما ذكرت أن إبراهيم ختن وهو ابن تسع وتسعين، وقد تعاهد الأنبياء وأتباعهم من بعده هذه السنة فقد انتشرت في بني إسرائيل حتى اعتبروا أن من لم يفعلها قد ارتكب عارا[(٣)].

قال آخر: وفي الكتاب المقدس أن يشوع مثلا لم يترك الخارجين من مصر قلفا بل ختنهم جميعا ليخلصهم من هذا العار، وقد ذكرت التوراة أمر الختان في سفر يشوع [٥/ ١-٩]: (وفي ذلك الوقت قال الرب: يشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بني إسرائيل ثانية، فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بني إسرائيل في تل القلف)

قال آخر[(٤)]: وهو أيضا موجود في المسيحية قبل تبديلها وإدخال ما ليس فيها من قبل بولس الذي مسخها وأدخل فيها الوثنية والفلسفة الإغريقية، فقد جاء في إنجيل لوقا [٢/ ٢١]: (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٥٣.

(٢)مسلم (٥٠) ج ١/ ٢٢١.

(٣) الكتاب المقدس ص ٢٤ ـ ٢٥. سفر التكوين الإصحاح ١٧.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٥٤.

به في البطن)

قال آخر: كما أن الختان كان منتشرا في أمم أخرى قديمة كالمصريين والعرب، وأهل أروم، ومو آب، وبني عمون [1].. وغيرها.

قال آخر: وهكذا نرى من خلال هذه النصوص أن الختان سنة فطرية في أمم الأرض قديما، وسنة مشروعة لأهل الأديان، وفي ذلك رد كاف على هذه الفرية التي أشاعها المستشرقون.

ب. القرآن والحنفاء:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والحنفاء.

قال أحد المشككين: لقد ذهب بعض المستشرقين، ومنهم (تسدال) و(مستر كانون سل) وغيرهما إلى أن الحنيفية ورجالها قبل البعثة المحمدية هم أحد مصادر القرآن الكريم[2].

قال آخر[3]: وقد استدلوا على ذلك بوجود بعض التوافق بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء مثل الدعوة لإفراد الله بوحدانيته سبحانه وتعالى.. ورفض عبادة الأصنام.. والوعد بالجنان.. والوعيد بالعقاب في جهنم.. واختصاص الله تعالى بأسماء منها: الرحمن، الرب، الغفور.. ومنع وأد البنات.. والإقرار بالبعث والنشور والحشر والحساب.

قال آخر: وقد زعم (شبرنجر) أن (أفكار محمد لا تخرج عن الأفكار التي كان يدعو

---

(١) انظر الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر أرميا الإصحاح التاسع فقرة ٢٥.

(٢) انظر مصادر الإسلام ص ١٩٨ وما بعدها، وكتاب حياة محمد ﷺ ٥٦-٥٧.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٦٣.

إليها زيد بن عمرو بن نفيل)[1]، وهو أحد هؤلاء الحنفاء.

قال آخر[2]: ولهذا ركز المستشرقون في أبحاثهم على أصل كلمة (حنف) وما يشتق منها كحنيف، وحنفاء.. وهل هي عربية الأصل أم عبرية؟ أم كنعانية آرامية؟ وعلى معانيها: هل هي بمعنى كافر؟ أو مشرك؟ أو تدل على الراهب النصراني إلى غير ذلك من المعاني التي ذكروها لهذه الكلمة، وزيادة في اهتمامهم بهذه الكلمة كتبوا فيها أبحاثا وكتابات مختلفة[3].

قال آخر[4]: وهذه الكلمة تعني الميل، والحنيف هو المائل إلى الدين المستقيم، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ولذلك؛ فإن الحنفاء هم مجموعة من الناس متفرقين مالوا عن الوثنية وعن عبادة الأصنام إلى التوحيد، ولم يكن هؤلاء على رأى واحد ولا طائفة واحدة تسير على شريعة واحدة ثابتة، وإنما هم نفر من قبائل شتى ظهروا في مناطق مختلفة اتفقوا على رفض عبادة الأصنام والدعوة إلى الإصلاح.

قال آخر[5]: وكل وهؤلاء الحنفاء كانوا حريصين أن يصلوا لدين إبراهيم عليه السلام، وكانوا على يقين أن الله سيبعث من يجدد أمر دين إبراهيم عليه السلام؛ فاختاروا في ذلك كثيرا وأجهدوا أنفسهم في الوصول لذلك، فساحوا في البلاد يلتمسون ما عند أهل الكتاب والملل لعلهم يجدون بغيتهم، لذا تنصر بعضهم كورقة بن نوفل، وعثمان بن حويرث، وعبيد الله بن جحش، وتهود آخرون.

قال آخر: وهؤلاء جميعا كانوا يبحثون عن دين كالإسلام، ويبشرون بنبيه، ويتمنون لو يدركوه فينصروه ويسلموا معه كما وضح ذلك قس بن ساعدة وورقة بن نوفل.

---

(١) انظر تاريخ القرآن ١/ ١٨.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٦٣.

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ١٢٤ ـ ١٣٠.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٦٤.

(٥) الوحي المحمدي ٢/ ٩٦ ـ ٩٨.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن المعروف من سيرة رسول الله ﷺ أنه لم يجلس لأحد من هؤلاء الحنفاء جلسة تعلم، وإنما كان لقاؤه لهم لقاء عابرا، وكانوا هم بحاجة لمن يبصرهم ويرشدهم للدين الذي يرضاه الله عزوجل.

قال آخر[2]: والناظر بأدنى تأمل في القرآن الكريم وما أتى به هؤلاء الحنفاء يرى البون الشاسع بينهما، حيث يرى بساطة ما دعوا إليه، ويرى مقابله قرآنا معجزا في لغته وأسلوبه قد عجز العرب جميعا عن مضاهاته مع فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم.. بل يرى قرآنا معجزا في تشريعاته صغرت أمامه كل التشريعات البشرية، ويرى قرآنا معجزا في وضوح عقيدته وتكاملها وصدق نبوءته فيما أخبر عنه من غيبيات، وحقائق علمية ثابتة تحققت في حياته ﷺ وبعد مماته، كما أنه من المعروف أن هذا القرآن بقي يتنزل بعد موت هؤلاء الحنفاء حسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة، فمن أين يا ترى هذه الاستمرارية له؟

قال آخر: ثم إن هؤلاء الحنفاء كانوا هم أنفسهم يخبرون الناس بقرب بعثة الرسول ﷺ، وكانوا يطلبون من الناس أن يتبعوه ولا يخالفوه، ويتمنوا لو يدركوه فيسلموا معه وينصروه، فلو كانوا هم الأصل لدعوته ولتعليمه لقاموا بالدعوة لذلك بأنفسهم وتصدروا أمر الرسالة، ونسبوا لأنفسهم هذا الشرف العظيم.

قال آخر: بل قد تشرفت نفوس بعضهم واشرأبت أعناقهم لهذا الفضل، كأمية بن أبي الصلت الذي لبس المسوح وترهب طمعا به، ولكن الله سبحانه يؤتي فضله من يشاء من خلقه والله ذو الفضل العظيم.

قال آخر: أما التقاء الإسلام مع دعوة الحنفاء في بعض ما صرحوا به واعتقدوه فلا غرابة في ذلك لأن ما عندهم بقايا لدين إبراهيم عليه السلام.. فمن هذا القبيل جاء الاتفاق

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٦٧.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٦٧.

بينهما بالدعوة إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى، ومحاربة الشرك بأنواعه، وخلع عبادة الأصنام، والأوثان بأشكالها والدعوة للأخلاق الفاضلة، ومحاربة الفساد والرذيلة.. لكن كل ذلك كان في الإسلام أتم وأكمل وأشمل.

قال آخر[1]: وذلك لأن والإسلام ما جاء ليهدم كل ما وجده في طريقه، لا بل ما كان منه موافقا للإسلام أبقاه ودعمه وأحياه، وقد وضح هذا المعنى قوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]، وهو المبدأ الذي جعل الرسول ﷺ يحضر حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان قبل بعثته لأنه يتوافق مع قيم الإسلام ومكارمه.

قال آخر[3]: ومن هنا يتبين الفرق بين نبوة كاملة تامة، وشرع متكامل، وقرآن معجز عظيم، وبين بقايا دين طمس نوره بين حطام الجاهلية وأو حال الشرك والوثنية، فالقرآن بما حواه من لغة رفيعة المستوى، وأسلوب محكم بديع وبما فيه من فصاحة وبلاغة خارقة، وحكم بالغة، وأمثال محكمة، وذكر لأحوال الماضين من أنبياء وأمم وأنباء المستقبل، وعلاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بغيره، والتشريع العظيم الشأن الذي صار موضوع بحث الأئمة المجتهدين، والعلماء الأعلام لا يكون مصدره اجتماع زيد بن عمرو برسول الله ﷺ مصادفة في حراء أو في الطريق، ولكنها الرسالة التي بعث بها أكرم رسول وهو محمد ﷺ من عند الله عزوجل؛ فوافق نوره بقايا النور الإلهي الضارب في أعماق التاريخ لإبراهيم عليه السلام والذي حمل مشعله ركب الأنبياء الكرام من ذريته، وتعهده الصالحون من أقوامهم، أمثال هؤلاء الحنفاء الذين كانوا يتمنون أن يدركوه وينالوا من شرف الإسلام العظيم، كما نال ذلك منهم أبو قيس بن الأسلت في المدينة المنورة وغيره.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٦٨.

(٢) الموطأ ٢/ ٩٠٤.

(٣) حياة محمد ﷺ، محمد رشيد رضا ص ٥٦.

ج. القرآن واليهودية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والبيئة اليهودية.

قال أحد المشككين: لقد زعم (تسدال) و(ماسيه) و(أندريه) و(لامنز) و(جولد تسيهر) و(نولديكه) وغيرهم من المستشرقين أن اليهودية مصدر من مصادر القرآن الكريم، واستدلوا على ذلك بالتشابه بين ما ورد في القرآن الكريم والكتب اليهودية في القصص، كقصة ابني آدم عليه السلام، وقتل أحدهما للآخر، وقصة إبراهيم عليه السلام وإنقاذه من نار النمرود، وقصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وقصة هاروت وماروت، وقصة موسى عليه السلام وبعض مواقف له، وغير ذلك.. وكالتشابه في بعض القضايا العقدية والتشريعية والحث على مكارم الأخلاق[1].

قال آخر: والجواب على هذا كما سبق، وهو أن القرآن الكريم يعترف بالأديان السابقة، ويوجب على أتباعه أن يعترفوا بها، وبالرسل الذين حملوها إلى أقوامهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]

قال آخر[2]: ولهذا نرى المسلمين يمتازون عن بقية الأمم بتعظيمهم رسل الله عليهم السلام جميعا، ويثبتون في حقهم صحة العقول، والصدق في القول، والأمانة في التبليغ، والعصمة من كل ما يشوه مسيرتهم، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار، وتنفر منه الأذواق السليمة.

---

(١) انظر مصادر الإسلام لتسدال ص ٢٩ وما بعدها (الفصل الثالث)، وانظر مذاهب التفسير الإسلامي ص ٦، ١٠، وتاريخ القرآن لنولديكة ١/ ٦.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٣٥.

قال آخر: وبخلاف هذا نجد موقف اليهود والمسيحيين، حيث نرى عندهم التشنيع على أنبيائهم، ونسبة ما لا ينبغي في حقهم، وإيذائهم بالسب والطعن والقتل.

قال آخر: ولهذا ـ كما ورد في القرآن الكريم تصحيح ما كان عليه الوثنيون من جهالة ـ فقد ورد فيه تصحيح ما وقع فيه اليهود من أخطاء وانحرافات، كما قال قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُّ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَّ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].. وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهَّ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُّ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُّ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]

قال آخر: ومثل ذلك موقفهم من رسل الله عليهم السلام؛ فقد بينه الله تعالى، فقال: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]

قال آخر: ومثل ذلك موقفهم من الملائكة عليهم السلام، فقد شنع الله تعالى عليهم موقفهم منهم، فقال: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهَّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨]

قال آخر: ومثل ذلك شنع الله تعالى عليهم استخفافهم بالوحي وبالكتب الإلهية، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهَّ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهَّ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهَّ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن التاريخ يشهد أن اليهود لم يسكتوا لحظة في عدائهم لرسول الله ﷺ ومحاربتهم له بكل أنواع الأسلحة الدعائية العدائية، وترويج الإشاعات في الوسط المسلم، وتحريض قريش عليه، ووصل الأمر إلى حملهم السلاح ضد الإسلام، لذا، فإنه لو كان رسول الله ﷺ أخذ شيئا من كتبهم، فما الذي سيسكتهم عن كشفه وبيان عوار دعوته وفضح ادعائه، وبيان عدم صدقه في دعوته؟

قال آخر: بالإضافة إلى هذا؛ فإن الكتاب المقدس ـ وباعتراف أكثر المستشرقين ـ لا يصلح أن يكون مرجعا لدعوة بشرية؛ فكيف يكون مصدرا لدعوة إلهية كدعوة نبينا محمد ﷺ لما فيه من العقائد الفاسدة، وسوء أدب مع الأنبياء عليهم السلام، ولما فيه من اضطراب وتناقض، وتحريف ونقض واضح[2].

القصص:

قال آخر: أما زعمهم اقتباس القرآن الكريم من قصص الكتاب المقدس عن طريق أهل الكتاب، أو عن طريق من أسلم من أحبارهم، أو من القبائل اليهودية، التي كانت تسكن في المدينة المنورة، فقد رد على ذلك بعض المتكلمين، فقال: (إن ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين، وسير الماضين، وأحاديث المتقدمين وذكر ما شجر بينهم، مما لا يجوز علمه إلا لمن كثر لقاؤه لأهل السير ودرسه لها وعنايته بها، ومجالسته لأهلها، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها، مع العلم بأن النبي ﷺ لم يكن يتلو كتابا ولا يخطه بيمينه، وأنه لم يلد ممن يعرف بدراسة الكتب ومجالسة أهل السير والأخذ عنهم، ولا لقي إلا من لقوه، ولا عرف إلا من عرفوه، وأنهم يعرفون منشأة وتصرفه في إقامته بينهم وظعنه عنهم فإن ذلك

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 341.

(2) انظر تفاصيل ذلك ودلائله في كتاب: الكلمات المقدسة، للمؤلف.

المخبر عن هذه الأمور هو الله سبحانه وتعالى علام الغيوب)[1]

قال آخر[2]: ثم إن الناظر في القصص المذكور في القرآن الكريم مقارنا بقصص العهد القديم يجد بينها فرقا واضحا في المحتوى والغرض والأسلوب.. ففي القصة القرآنية نجد دعوة للتوحيد، ومكارم الأخلاق، وإظهار الأنبياء بأجمل صورة تليق بمقامهم من العصمة، ومكارم الأخلاق، وسلامة الفطرة، وغير ذلك بعكس القصص الموجود في الكتاب المقدس.

قال آخر[3]: فالمطلع على الكتاب المقدس يجد فاتحة التوراة عنيت بتدوين التاريخ فأول سفر من أسفارها وهو (سفر التكوين) سرد لتاريخ الخلق منذ بدء الخليقة إلى موت يوسف عليه السلام، كما أن فواتح الأناجيل الأربعة دونت تاريخ المسيح عليه السلام وسيرته، أما القرآن الكريم ففعلى عكس ذلك فقد أشارت فاتحته لتوحيد الله عزوجل وبيان كيفية عبوديته، وأن نهاية كل حي أن يقف بين يدي الله مالك يوم الدين، وصنفت الناس إلى فريقين حسب استقامتهم تبعا لأوامر الله أو مخالفتهم لها.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ نجد قصص الكتاب المقدس تسيء إلى الله تعالى وإلى رسله عليهم السلام أيما إساءة، بخلاف القرآن الكريم الذي ينزه الله تعالى ورسله عليهم السلام، ومن الأمثلة على ذلك هذا النص التوراتي الذي يصف الله تعالى بالتعب: (فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله)[4].. وهذا النص الذي يذكر قصة آدم عليه السلام: (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى

---

(١) إعجاز القرآن ص ٥١، طبعة مصر ١٩٥٤ م.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٢.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٢.

(٤) سفر التكوين ٢/ ١.

الرب الإله آدم وقال له: أين أنت)[1]

قال آخر[2]: كما أساء اليهود للأنبياء عليهم السلام، إما باتهامهم بالكذب تارة، أو بقلة المروءة تارة أخرى.. بل وصل الأمر بهم إلى رميهم بالفاحشة.. ولهذا كان من أغراض ذكر قصصهم في القرآن الكريم فضح أباطيلهم، وكشف زيغهم وانحرافهم، وليحمي شرف الوحي، وجلال النبوة.

قال آخر[3]: ومن الأمثلة على ذلك تصويرهم لنوح عليه السلام ـ الصبور الشاكر الداعية لرب العالمين ـ بصورة السكير الذي يشرب الخمر، ويتعرى داخل خبائه فيدخل عليه ابنه الصغير، فيرى عورته فيسخر منه، ويذهب فيخبر أخاه الأكبر منه، فيحضر ويغطي سوأة أبيه ويعلم أبوهم الخبر فيدعو على الصغير أن يجعله وذريته عبيدا لسام وذريته.. وقد تنزل القرآن الكريم ليكشف هذه الأباطيل ويردها، ويبرئ نبي الله نوحا عليه السلام، ويرد زيفهم ويكشف ما قصدوه وراء هذا الافتراء[4].

قال آخر: ومثل ذلك ما رموا به لوطا عليه السلام ـ النبي الكريم الذي آتاه الله حكما وعلما ـ حيث نجدهم يحيكون حوله أبشع التهم من مؤامرة ابنتيه عليه حتى سقتاه خمرا، وضاجعتاه، وهو لا يدري فحملتا منه سفاحا، فجاء منهما المؤابيون وبنو عمون إلى اليوم[5].

قال آخر[6]: لكن الله تعالى أبى أن تلوث سيرة نبي من أنبيائه وولي من أوليائه بمثل هذه الصورة، فأنزل صفته وسيرته وعفته وإيمان أهل بيته إلا امرأته بآيات تتلى.

قال آخر[7]: وهكذا نجدهم يقدمون لإبراهيم عليه السلام صورة كئيبة مادية، وهو

---

(١) سفر التكوين ٣/ ٨.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٣.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٣.

(٤) انظر كتاب معركة الوجود ص ١٥٥ ـ ١٥٨.

(٥) انظر سفر التكوين، الإصحاح ص ١٩.

(٦) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٤.

(٧) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٤.

يتاجر في زوجته الجميلة عند الملوك ليربح ويأكل، كما يفعل المرابون اليهود إلى يومنا هذا؛ فبرأ الله نبيه عليه السلام من هذا البهتان العظيم.

قال آخر[1]: وهكذا دنس اليهود سيرة أبيهم يعقوب (إسرائيل) عليه السلام فصوروه سارقا للنبوة من أخيه، ومستغلا استغفال أبيه، والكذب عليه إلى درجة التمثيل الساذج والتلاعب البين الذي لا يخرج عن أساطير الصغار، وهزل الصبيان [2].. أما القرآن الكريم فصوره بأجمل صورة للوفاء والإيمان والنور والبصيرة، كما أنه وصف ابنه يوسف عليه السلام بأجمل وصف.

قال آخر: وهكذا دنس اليهود سيرة النبي الصالح داود عليه السلام؛ فقد خصوه وأهل بيته بالتهم الباطلة المخلة للشرف والعفة؛ فجعلوا منهم أسرة تعيث في الخطايا والدنس بكل ألوانه، فهم يرمونه عليه السلام ابتداء بارتكاب فاحشة الزنا مع زوجة قائده (أوريا) فحملت منه سفاحا بسليمان عليه السلام، ولم يكتف داود عليه السلام بذلك ـ كما يزعمون ـ بل يرمونه، بأنه تخلص من هذا القائد بوضعه في مقدمة الجند وأمرهم بالرجوع عنه وعن القلة الذين معه حتى قتل وتزوج زوجته؛ فعاقب الله عزوجل داود عليه السلام ـ كما يزعمون ـ بأن سلط عليه ابنه (أبشالوم) فنزع منه ملكه وزنا بسراري أبيه أمام جميع بني إسرائيل.. ويصورونه فوق ذلك كله بأنه كان لاهيا عن ربه عزوجل مشغولا بنسائه وسراريه [3].

قال آخر: لذا جاء القرآن الكريم ليطهر ساحة هذا النبي الكريم ويبرئه وأهله من تهمة الفواحش المنسوبة إليهم، فصوره قانتا منيبا راكعا، عابدا عدلا، كما قال تعالى: ﴿اصْبِرْ

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٥.

(٢) انظر سفر التكوين، الإصحاح (٢٧) وما بعدها، وانظر معركة الوجود ص ١٥٧.

(٣) انظر سفر صمويل الثاني ٢/ ١١ وما بعدها.

عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ـ ٢٠]

قال آخر[١]: وهكذا دنس اليهود سيرة النبي الصالح سليمان عليه السلام ـ النبي المجاهد العادل ـ فقد نسبوا إليه كل خطيئة ورذيلة وفجور، فقد اعتبروه ابن زنا، راكضا وراء شهواته، لاه عن عبادة ربه كأبيه، كما نسبوا له نشيد الإنشاد، ذلك الغزل الداعر الذي يعتبرونه وحيا يتعبدون بتلاوته.. وقد تنزل القرآن الكريم ليبين حقيقة سيرة هذا النبي الكريم الشاكر لأنعم الله الأواب العابد المجاهد، كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]

قال آخر[٢]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القصص القرآني صادق غير مثقل بالجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار بعكس القصص الواردة في الكتاب المقدس.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القرآن الكريم لم يسرد كل قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كما فعل الكتاب المقدس، بل اختار بعضهم بما يتفق وحال الدعوة الإسلامية، مركزا على جانب العظة والعبرة في قصصهم.

قال بعض الحضور: فما تقولون في إنكار (تسدال) وغيره من المستشرقين كون قصة قابيل وهابيل موجودة في التوراة، وأن القرآن الكريم اخترعها، ومثلها قصة رفع الجبل فوق رأس بني إسرائيل كأنه ظلة في قصة موسى عليه السلام؟

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٥.

(٢) سيكلوجية القصة في القرآن ص ٧٠.

قال أحد المشككين[1]: أما إنكار (تسدال) وغيره من المستشرقين كون قصة قابيل وهابيل موجودة في التوراة، وإنما هي في كتاب اسمه (بيرك رابي وليزر)، فهو زعم باطل حيث ذكرت في سفر التكوين [الإصحاح الرابع الفقرة ١ ـ ١٦]، ولا مانع من وجودها في مصادر متعددة، بل ذلك ما يؤكد صحتها ووقوعها.

قال آخر[2]: أما إنكار (تسدال) لقصة رفع الجبل فوق رأس بني إسرائيل كأنه ظلة في قصة موسى عليه السلام حيث زعم أن القصة ليست في العهد القديم، وإنما أخذها رسول الله ﷺ من كتاب (الأكسودس)[3].. فهذه القصة لم تصرح التوراة بها صراحة، ولكنها أشارت إليها في سفر الخروج حيث جاء فيه: (فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة، وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعودا وبروقا وسحابا ثقيلا على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذي في المحلة لملاقاة الله فوقفوا في أسفل الجبل، وكان جبل سيناء، كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جدا فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت)[4]

قال آخر[5]: فعبارة (تحت الجبل)[6] تحتمل أنه على سفحه، وفي أسفله.. وتحتمل [تحت] أن الجبل صار كأنه ظلة فوقهم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم.. وما جاء في التوراة في سفر الخروج ليس بعيدا عن هذا، بل هو نفسه لأن وصف الجبل بهذه الصورة من الحركة والارتجاف الشديد مقدمة للنتق ويكون عندئذ كلام (تسدال) مجرد قلب للحقائق.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٧.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٧.

(٣) انظر مصادر الإسلام ص ١٤ وما بعدها.

(٤) العهد القديم سفر الخروج ١٩/ ١٤ ـ ١٩.

(٥) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٤٨.

(٦) مصادر الإسلام ص ٤٠ وما بعدها.

قال آخر[1]: وحتى لو فرضنا أن القصة لم يذكرها سوى القرآن الكريم، فإن في ذلك ميزة لهذا الكتاب العظيم على غيره من الكتب، حيث ذكر قصة نبي من الأنبياء عليهم السلام عانى من قومه أكثر مما عاناه أي نبي آخر حتى وهم يظهرون أنهم سائرون معه طائعون لأمره، فقصة الجبل تبين نفسية بني إسرائيل، حيث صورتهم على حقيقتهم، وأنهم لا يتوبون إلا بالعصا، ولا يخافون حتى يروا العذاب الأليم.

قال آخر[2]: أما ما ذكره (تسدال) من أن القصة أسطورة هندية فهو مجرد ادعاء، حيث لم يبين لنا أين ذكرت هذه القصة عندهم، ولا في أي مرجع هندي، والذي يعرف أسلوب (تسدال) وغيره من المستشرقين غير المنصفين لا يأمن منهم أي كذب أو ادعاء.

قال بعض الحضور: فما تردون على (تسدال) وغيره من المستشرقين الذين زعموا أن المسلمين ذكروا نزول القرآن من اللوح المحفوظ، وحفظه فيه تقليدا لوضع موسى عليه السلام الألواح في التابوت، وظنا منهم أن التابوت هو اللوح المحفوظ[3].

قال أحد المشككين[4]: هذا من تزييفهم للحقائق؛ فهم عندما يريدون أن يجعلوا محمدا ﷺ مؤلفا للقرآن الكريم يصفوه بالذكي الألمعي الذي استطاع بجلسات قصيرة ومحدودة مع أحبار اليهود ورهبان المسيحيين وتلاميذ المجوسية وكهان السامرائية أن يؤلف كل هذه العقائد والشرائع، وعندما يريدون تقرير أغاليط كهذه يصفون أتباعه بالبساطة والسذاجة لقبولهم كل هذه الأمور حيث لم يعرف محمد ﷺ هذا اللوح أهو تابوت موسى عليه السلام أم اللوح السماوي المحفوظ بالملائكة عند الله تعالى، وهذا نابع من عدم إيمان هؤلاء المستشرقين بالنبوات والرسل وإلا لما أساءوا هذا الفهم وحملوه لرسول الله ﷺ.

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 348.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 349.

(3) مصادر الإسلام ص 40 وما بعدها.

(4) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 349.

قال آخر[1]: وقد ذكر الله تعالى تابوت موسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، والآية الكريمة توضح جليا أن اللوح المحفوظ غير التوراة والألواح اللذين كانا في التابوت .

قال آخر[2]: أما كون الآجال والأعمال والتقادير مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض فقد ذكرتها آيات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٨ ـ ٣٩]، حيث حمل المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي الملائكة وأن قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله، وهو اللوح المحفوظ.

قال بعض الحضور: فما تردون على (تسدال) وغيره من المستشرقين الذين أنكروا قصة العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل، وذلك لأن القرآن الكريم ذكر أن صانعه هو السامري الذي ظن (تسدال) أنه من السامرة التي لم توجد إلا بعد موسى بأربعمائة سنة[3].

قال أحد المشككين[4]: هذه القصة التي أنكرها (تسدال) للمدة الطويلة الفاصلة بين موسى عليه السلام والسامري المنسوب للسامرة، جهل واضح منه؛ فالقصة قد ذكرت في العهد القديم حيث ورد فيه: (فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى صوت قتال في المحلة، وكان عند ما اقترب لي المحلة أنه أبصر العجل والرقص، فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٠.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٠.

(٣) مصادر الإسلام ص ٣٧ وما بعدها.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥١.

وكسرهما في أسفل الجبل، ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل وقال موسى لهارون: ما ذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة!؟ فقال هارون لا يحم غضب سيدي، أنت تعرف الشعب أنه في شر، فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ما ذا أصابه فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطيني، فطرحته في النار فخرج هذا العجل)[1]

قال آخر[2]: فالقصة واحدة في المصدرين، لكن التوراة المحرفة نصت ـ زورا وبهتانا وكذبا ـ أن صانع العجل هو هارون عليه السلام، أما القرآن الكريم فقد برأ نبي الله هارون عليه السلام ورد الأمر لحقيقته، وأن صانعه هو سامري موسى عليه السلام، وليس سامري السامرة كما ظن ذلك (تسدال) مما جعله ينكر هذه القصة.

قال آخر: وقد رد بعض الباحثين على إنكار (تسدال) للقصة لذكر القرآن الكريم السامري على أنه صانع العجل، فقال: (السامري ليس منسوبا إلى (سامره) في مدينة (نابلس) في فلسطين بل إلى (شامر) بالشين في اللغة العبرية، ويغلب أن تكون (الشين) في العبرية (سينا) في العربية فهو سامر كما ينطقها سبط أفرايم بن يوسف عليه السلام، وقد كان رجال سبط يهوذا في بعض الحروب يمتحنون الرجل ليعرف هل هو من سبط يهوذا أو أفرايمي بأن يأمروه بأن ينطق (شبولت) ـ سنبله ـ فإذا قال (سبولت) علم أنه أفرايمي ومعنى (شامر) أو سامر كما هو في النطق العربي والأفرايمي (حارس) فالسامري نسبة إلى سامر ونطقها العبرية (شومير) من مادة شمر أى حرس، فقد جاء في سفر التكوين: (فقال

(1) العهد القديم، سفر الخروج ٣٢/ ١٥ ـ ٢٦.
(2) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٢.

الرب لقابيل أين هابيل أخوك؟ فقال: لا أعلم، (ه شومير حى أنواخي؟)[1] وترجمتها (أحارس أنا لأخي)[2]

قال آخر[3]: وبهذا يبطل الالتباس الذي حصل (لتسدال) في شخص السامري، ويبقى (تسدال) دون مستند تاريخي لإبطال القصة، ويظهر بطلان دعوى التوراة كون هارون عليه السلام هو صانع العجل، ويظهر جليا أن ما رمي به نبي الله هارون عليه السلام هو مما رمي به الأنبياء الآخرون من الافتراء والكذب عليهم.. ولذلك؛ فإن خير من دافع عن نبي الله هارون عليه السلام القرآن الكريم، كما قال تعالى يذكر القصة كما وقعت: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٧ ـ ١٥٠]

قال بعض الحضور[4]: فما تقولون في إنكار (تسدال) لقصة صعق شيوخ بني إسرائيل[5].

قال بعض الحضور[6]: هذه القصة مما انفرد به القرآن الكريم باعتباره المهيمن على غيره من الكتب في صدقه ودقته وكشفه عن المستور، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح الرابع الآية (٩)

(٢) قصص القرآن، النجار ص ٢٢٤.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٤.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٤.

(٥) انظر مصادر الإسلام ص ٣٠ وما بعدها.

(٦) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٤.

﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ ـ ٥٦].. ولا شك أنها مما أخفاه بنو إسرائيل، وذلك لأنها تمس شيوخهم ورؤساءهم، أما القرآن فقد وضح ما حصل منهم بأجلى صورة لما بين أن القوم قد ظلموا أنفسهم وقارفوا إثما كبيرا بعبادة العجل، وحينها اختار موسى عليه السلام من القوم سبعين رجلا يذهبون معه إلى الجبل الذي اعتاد أن يناجي الله فيه ليقدموا الطاعة والندم على ما اقترفوا من الإثم، فلما عادت جماعة منهم إلى التمرد والعصيان، وقالوا له: لن نؤمن أن الله نبأك وأعطاك الكتاب حتى نرى الله تعالى جهرة بأعيننا لا يحجبه حجاب ولا يستره ساتر، وعلى إثر هذا الطلب من القوم أخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم إلى بعض، يتهافتون على أديم الأرض ليكون ذلك برهانا فعليا لديهم على أن ما أصابهم حق لا شبهة فيه، ثم بعثهم الله تعالى بعد موتهم بعد التضرع من موسى عليه السلام وطلبه العفو عما صدر من سفائهم والغفران لزلتهم، فغفر الله لهم ذلك وأعادهم بمشيئته وقدرته سبحانه[١].

قال آخر[٢]: أما التوراة فقد أشارت لهذه القصة إشارة خفية عند ما تحدثت عن خروج السبعين مع موسى عليه السلام لميقات الله سبحانه حيث جاء فيها: (وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن، ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى: تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت، فقال موسى للشعب لا تخافوا)[٣].. فقولهم: (ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت)، تشير إلى شدة الموقف، وهذا لا يمنع من صعقهم كذلك بسبب طلبهم الرؤية، والذي يقرأ تاريخ بني

(١) قصص الأنبياء ص ٢٩٣.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٦.

(٣) سفر الخروج الإصحاح ٢/ ١٨ ـ ٢٠.

إسرائيل لا يستغرب طلبا منهم كهذا.

قال آخر: ويشهد لهذا ما ذكره (أتسلم تورميدا) الذي أسلم بعد أن كان نصرانيا في القرن التاسع وسمى نفسه أبا محمد عبد الله الترجمان الميورقي، فقد ذكر في كتابه: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) مؤكدا ما جاء في القرآن الكريم حيث قال: (وإن قلتم أن عيسى إله لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه فعلماؤكم يعلمون أن اليسع النبي عليه السلام أحيا ميتا في حياته وميتا بعد وفاته والتصرف بمعجزة الإحياء في البرزخ بعد الموت أعجب منها قبل الموت، وإلياس النبي عليه السلام أحيا أيضا ميتا)[1]

قال آخر: ومن قصص الإحياء بعد الإماتة عندهم، أن مات اليشع وأوتي بميت ووضع في نفس القبر مع اليشع فعادت الحياة إلى جسم ذلك الميت حالما مس جثمانه عظام النبي[2].

قال آخر[3]: ولذلك؛ فلا داعي لاستغراب (تسدال) لمثل هذه الواقعة واستنكارها وعدها من باب الخرافة مع أن أمثالها مذكور في كتبهم، ومع أن كثيرا من المستشرقين يعتمدون كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، منهم (أمسين بلانيوس) و(مايكل ابيلزا)[4].

الأحكام:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول التشابه الموجود بين بعض العبادات المذكورة في القرآن الكريم كالصلاة والصوم وبعض المناسك مع نظيراتها عند اليهود.

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ١١١ ـ ١١٢ نقلا عن تحفة الأريب ص ١٥٤.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٧.

(٤) انظر مجلة الحوادث ص ٦٢ عدد ١٢٧٤ عام ١٩٨١ نقلا عن حاشية تحفة الأريب ص ٢٣.

قال آخر[1]: ومثل ذلك ما ورد من الدعوة للتوحيد، أو أن لجهنم خازنا سماه القرآن الكريم (مالك).. وقصة استراق الشيطان للسمع وطردهم بالشهب.. ومخاطبة الله تعالى لجهنم بسؤالها: هل امتلأت؟.. والإخبار أن الأرض يرثها الصالحون.. والتشابه كذلك في الحث على مكارم الأخلاق كالنهي عن الكذب، والإحسان للفقراء والمساكين، وعدم مضايقة وإيذاء الآخرين، وعدم الحقد، وأن تحب الآخرين كحب ذلك لنفسك، وعدم الانتقام والإحسان للوالدين.

قال آخر: ومثل ذلك التشابه في بعض التشريعات كحرمة السرقة والقتل، وعدم الاعتداء، والجور في القضاء، وحرمة الزنا، وحرمة شهادة الزور، وحرمة التطفيف في الكيل والميزان.

قال أحد المشككين[2]: أما بخصوص الصلاة والصيام والحج، فهي عبادات في كل الديانات السماوية، أو التي لها شبهة كتاب سماوي سواء سبقت الإسلام أو سبقت اليهودية والمسيحية كالمجوسية والصابئة والزرادشتية وغيرها من الديانات.

قال آخر[3]: أما ما زعمه (تسدال) من أن صلاة المسلمين في غير المساجد كانت تأثرا بفعل اليهود ذلك في زوايا الشوارع، فهو مردود عليه من الناحية التاريخية حيث لم يعرف عن اليهود والنصارى الصلاة إلا في الأماكن المخصصة لها كالكنائس، والبيع، والأديرة، وغيرها.

قال آخر[4]: أما ما استدل به (تسدال) على أخذ الإسلام من اليهودية التشابه في الوصايا العشر، وزعم أن هذه الوصايا قد أخذها الإسلام من كتاب (جيمارا)[5].. فهو

---

(١) مصادر الإسلام ص ١٣ وما بعدها.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٨.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٨.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٩.

(٥) مصادر الإسلام ص ١٣ وما بعدها (فصل اليهودية كمصدر)

دليل على أن هؤلاء المستشرقين إذا أرادوا إثبات أخذ الإسلام من التوراة استشهدوا بها يحكمون عليه في مواطن أخرى ببطلانه، وإذا أرادوا إثبات أخذ الإسلام من مصادر غير موثوقة أسقطوا ما كانوا قد اعتبروه مصدرا أصيلا.

قال آخر[1]: ومن الأمثلة على ذلك أن (تسدال) لما أراد إثبات أن سفر التكوين لا يعتد به رده مثبتا أنه قد كتب سنة ٢٢٠ م مع أن هذا يخالف إجماع اليهود والنصارى، وهو يدل على أن هذا الكتاب ليس كلمة الله، لأنه يحتمل دخول النقص والزيادة عليه ولا يؤمن تغييره وتبديله، وكل هذا ليدلل أن محمدا ﷺ كان يعتمد على مصادر غير أصلية في اليهودية، مع العلم أن الإسلام دين إلهي لم يعتمد على أي مصادر لأي دين سواء كانت أصلية أو غير أصلية.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن تلك الوصايا الإلهية جاءت بها كل الشرائع، فعن ابن عباس أنه قال في الوصايا العشر في القرآن الكريم: (هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب من عمل بهن دخل الجنة ومن كفر بهن دخل النار)[2]

قال آخر[3]: وقد وردت هذه الوصايا أو بعضها في الإسلام، واليهودية، والمسيحية، والبوذية، لكن بالمقارنة بينها يظهر أسلوب القرآن الفريد، وتميز معانيه على غيره من الكتب الأخرى.

قال آخر[4]: فمن الأمثلة على ما ورد في الوصايا البوذية: (لا تزهق روحا.. لا تأخذ ما لا تستحق.. لا تزن.. لا تكذب أو تغش أحدا.. لا تسكر.. كل باعتدال ولا تأكل شيئا بعد الظهر.. لا تشهد رقصا ولا تسمع غناء أو تمثيلا.. لا تلبس حليا ولا تتعطر ولا تتخذ

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٥٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ٨/ ٦٤، مطبعة دار المعرفة.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٦٠.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٦٠.

زينة.. لا تنم في فرش باذخة.. لا تقبل ذهبا ولا فضة)، والوصايا الخمس الأولى واجبة على كل بوذي على الدوام، أما الخمس الأخيرة فهي واجبة الاتباع في أيام الصوم، إلا الرهبان فإن عليهم اتباع الوصايا كافة في سائر الأوقات.

قال آخر[1]: وهكذا نجد أمثال هذه الوصايا في أسفار العهد القديم كسفر الخروج، وسفر اللاويين، والتثنية، ومنها (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.. لا تضع لنفسك آلهة مسبوكة لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا.. أكرم أباك وأمك.. لا تقتل.. لا تزن.. لا تسرق.. لا تشهد على قريبك شهادة زور.. لا تشته بيت قريبك ولا شيئا مما لقريبك.. لا تقبل خبرا كاذبا.. لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر.. لا تحاب مع المسكين في دعواه.. افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك.. لا تضطهد القريب وتضايقه.. لا تسيء إلى أرملة ولا يتيم.. لا ترتكبوا جورا في القضاء.. ابتعد عن كلام الكذب.. لا تنتقم.. لا تركبوا لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل.. لا تحقد على أبناء شعبك.. كن قديسا طاهرا.. تحب قريبك كنفسك)

قال آخر[2]: وهكذا نجد أمثال هذه الوصايا في الإنجيل، ففي إنجيل متى هذه الوصايا: (طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات.. طوبى للحزانى لأنهم يتعزون.. طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.. طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يعيشون.. طوبى لأتقياء القلب.. طوبى لصانعي السلام.. طوبى للمطرودين من أجل البر.. طوبى للرحماء لأنهم يرحمون.. ليس فحسب (لا تقتل) وإنما لا تغضب من أخيك وتقول له: (رقا) أو يا (أحمق).. فإذا قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك واذهب أولا اصطلح مع أخيك.. قد سمعتم أنه قيل

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٦١.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٦٢.

للقدماء (لا تزن) وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه.. قد سمعتم لا تحنث وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة.. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضكم.. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)[1]

قال آخر: وهكذا نجد أمثال هذه الوصايا كثيرا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٦٢.

إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٣٨]

قال آخر: وغيرها من الوصايا الكثيرة التي لا تساويها أي وصايا أخرى، وفي جميع الكتب المقدسة.

د. القرآن والمسيحية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والمسيحية.

قال أحد المشككين: لقد زعم (تسدال) أن المسيحية كانت أحد المصادر التي أخذ منها رسول الله ﷺ، مع أن المصادر التي ذكرها ليست محل اتفاق بين المسيحيين، بل أكثرهم على رفضها.. ومن الأمثلة على ذلك قصة مريم عليها السلام.. وقصة طفولة المسيح عليه السلام وما جاء به من معجزات ذكرها القرآن وأنكرها (تسدال) مثل كلام عيسى عليه السلام في المهد.. وصنعه من الطين طيرا بإذن الله.. وقصة المائدة.. وصلب عيسى عليه السلام حيث نفاه القرآن الكريم في حين قد أثبته الكتاب المقدس.. ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.. بالإضافة إلى التبشير برسول الله ﷺ، وقصة خلق آدم من تراب

الأرض، والميزان، والأعراف، وزعمه أن الرسول ﷺ أخذ من الإنجيل بعض الآيات والأحاديث[1].

قال آخر: والجواب على ذلك جميعا[2] هو ما ذكرناه سابقا من أن القرآن الكريم لم يتنزل ليلغي الكتب المقدسة، وإنما ليصححها، ويبين التحريف الذي وقع فيها، والتحريف لا يلغي الصحيح.

قال آخر[3]: ومن هذا الباب ما ورد في قصة مريم عليها السلام، والتي أنكر (تسدال) أن تكون وردت بهذا الشكل في كتب المسيحية المعتمدة، واعتبرها خرافية وهمية لا تصح، وحجته في ذلك أن ولادتها لعيسى عليه السلام، كما وردت في القرآن الكريم تشبه أسطورة (ميلاد بده) عند الهنود حيث ولد (بده) من عذراء لم يمسها رجال.. ومثل ذلك ما ورد في القرآن الكريم من ذكر خدمتها للهيكل مع أن هذا لا يجوز في حق النساء على حد زعمه.. ومنها ذكر القرآن الكريم أنها أخت هارون أخي موسى عليه السلام ـ على حد فهمه ـ واعتبر هذا من الخطأ التاريخي في القرآن الكريم للفارق الكبير بينهما.

قال آخر: وما ذكره من ذلك غير صحيح، لأنه اعتمد على ما أقرته المجامع الكنسية من الكتب المقدسة، وحكمها ليس ملزما للمسلمين أو الباحثين، ولذلك فإن تلك القصص كانت تنتشر في الوسط المسيحي، حتى إن فرقة البربرانية منهم ألهوها وابنها عيسى عليهما السلام نظرا لولادتها لابنها بطريقة خارقة للعادة[4]، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى:

---

(١) انظر مصادر الإسلام تسدال، الفصل الرابع ص ١٠١، وما بعدها، وتاريخ القرآن نولدكه ج ١، ص ٧ وما بعدها.. ومذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر ص ١٧١ الذي اعتبر الإسلام مزيجا من مذهبي الانتخاب والمزج (من اليهودية والنصرانية وديانة الفرس وما بعدها)

(٢) سنكتفي هنا بالإجابة العامة، أما التفصيلات المرتبطة بها؛ فسنذكرها في محالها الخاصة من هذه السلسلة.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٩٥.

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١ / ٤٧.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]

قال آخر[١]: أما زعم (تسدال) أن قصة مريم عليها السلام غير موجودة في الكتاب المقدس ورده لها بناء على ذلك، فيرده ما ورد في إنجيل لوقا ونصه: (وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته (أي زكريا عليه السلام) وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة: هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلى لينزع عاري بين الناس، وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة الجليل اسمها (ناصرة) إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك، وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية)[٢]

قال آخر[٣]: وهذا النص يؤيد ما جاء في القرآن الكريم مما أنكره (تسدال) واستغربه، وعده من قبيل الأسطورة والخرافة، وذلك لعدم تصوره لقدرة الله سبحانه وتعالى، مع أن عقيدة المسيحيين قائمة على هذه المعجزة حيث يعتقدون أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن أمه.

قال آخر: وأما زعمه بطلان ما ورد في القرآن الكريم من ذكر خدمة مريم عليها السلام للهيكل، فالجواب عليه هو أن أصل الخدمة في أماكن العبادة في الديانات الثلاث

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٩٥.

(٢) انجيل لوقا الإصحاح ١، فقرة ٢٦ ـ ٣٨.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٩٦.

هي للرجال، ولكن هذا لا يمنع إذا قامت بعض النساء بمثل هذا العمل، فقد حصل في الإسلام أن امرأة كانت تعتني بمسجد رسول الله ﷺ تقمه وتقوم بخدمته، فلما ماتت دعا لها رسول الله ﷺ بالرحمة(١).

قال آخر(٢): كما أن الإنجيل ذكر خدمة (حنة أم مريم) للهيكل، والنص ـ كما في إنجيل لوقا [٢/ ٣٦ـ ٣٧.] ـ هو (وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها وهي أرملة، وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا).. فالله سبحانه علم إخلاص حنة امراة عمران القوامة الصوامة في ندائها لربها بأن يتقبل نذرها الذي نذرته لربها طالبة بأن يرزقها ولدا ذكرا ليقوم على خدمة الهيكل بيت الله المقدس فلما قدر الله سبحانه الوليدة أنثى تحسرت (حنة) على ذلك، لكن الله سبحانه بسابق علمه وتقديره علم أن هذه الأنثى سيكون لها شأن أعظم من شأن الكثير من الذكور.

قال آخر(٣): أما الأمر الثالث الذي دعا (تسدال) إلى الحكم على القصة بالخرافة واعتبارها خطأ قرآنيا تاريخيا، فذلك لأن القرآن الكريم سماها بأخت هارون، ظنا منه أنه هارون أخو موسى بن عمران عليه السلام، والفترة الزمنية الطويلة بينهما لا تسمح بذلك لأنها تقدر بخمسة عشر قرنا، مع أن ذلك له محامل كثيرة يمكن أن يحمل عليها.

قال آخر(٤): وهو ما فعله المفسرون من المسلمين حيث ذكر بعضهم أن هارون المذكور رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والمراد (أنك يا مريم كنت في الزهد كهارون؛ فما الذي صيرك لهذا)(٥).. ومنها أن هارون هو أخو موسى

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٥٣، ٣٨٨، وغيره من كتب السنن.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١/ ٢٩٩.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١/ ٣٠٠.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١/ ٣٠٠.

(٥) التفسير الكبير للإمام الرازي ٢١/ ٢٠٧ـ ٢٠٨.

بن عمران عليه السلام، إذ كانت من أعقابه، وإنما قيل (أخت هارون) كما يقال: يا أخا همدان، ويا أخا العرب أي يا واحدا منهم.. ومنها أنه كان رجلا مشهورا بالفسق، فنسبت إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة.. ومنها أنه كان لها أخ يسمى هارون، من صلحاء بني إسرائيل فذكرت به.. وكلها وجوه محتملة.

قال آخر: أما إشكالاتهم وتشكيكاتهم المرتبطة بما ذكره القرآن الكريم ولم ترد عندهم في الكتاب المقدس، والتي أنكروها من أجل ذلك ككلام المسيح عليه السلام في المهد، وصنعه من الطين طيرا فيكون طيرا بإذن الله تعالى.. وقصة المائدة.. وعدم صلب المسيح عليه السلام.. ورجوع المسيح عليه السلام آخر الزمان.. والتبشير برسول الله ﷺ.. وقصة خلق آدم عليه السلام من تراب.. وبعض شؤون المعاد كالميزان، والأعراف وغيرها.. فهو دليل على عدم إنصافهم؛ فهم يتهمون رسول الله ﷺ إن وافقهم بالسرقة، وإن خالفهم بالكذب.. وهو دليل على أنهم ليسوا باحثين عن الحقيقة، وإنما مجرد مشككين فيها، وحاقدين عليها.

قال آخر: بالإضافة إلى هذا فإننا لو رجعنا لكتبهم المقدسة لوجدنا الكثير من الاختلافات والتناقضات، فهل يتهمونها بالكذب لأجل ذلك.

قال آخر[1]: لذا أصبح بين أيديهم أكثر من توراة وأكثر من إنجيل.. فتوراة السامريين مثلا تختلف عن العهد القديم.. كما أنه يوجد من الأناجيل المئات، وتناقضها واضح وبين لكل من اطلع عليها.

قال آخر[2]: كما أنه قد اختفى كثير منها كإنجيل الطفولة والولادة ومريم، وإنجيل السبعين وإنجيل مرقيون، وإنجيل ريصان، وإنجيل التذكرة، وإنجيل سيرين.. وأُنكر

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٠٢.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٠٢.

بعضها ونسب صنعه للمسلمين كما هو الحال مع (إنجيل برنابا)

قال آخر[1]: ولم يبق من هذه الأناجيل جميعا إلا أربعة، وهي إنجيل متى، ويوحنا، ومرقص، وإنجيل لوقا.. ولكنها كغيرها لم تسلم، حيث سجل كاتبوها كل ما سمعوه من روايات ومسموعات ونقولات وتوهمات سببتها الظروف التي مرت فيها المسيحية.

قال آخر: وقد أشار إلى هذا بولس في رسالته لأهل غلاطية، حيث قال: (إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح)[2]

قال آخر[3]: ولذلك فإن الباحث الموضوعي يرى أن ما ورد في القرآن مما أثاره (تسدال) وغيره من المستشرقين كقصة كلام عيسى عليه السلام في المهد وغيره مما لم يرد في الأناجيل المتداولة اليوم، أو مما لم يرد فيها بصراحة قطعية قد ورد في النسخة الأصلية من الإنجيل من قراطيس وأناجيل كانت متداولة في أيدي المسيحيين أو بعض فرقهم، وضاعت، أو أبيدت فيما ضاع أو أبيد.

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآيات القرآنية كانت تتلى جهرة على الناس، ويسمعها كثير من المسيحيين كما حصل مع النجاشي وبطارقته حين سمعوها من المسلمين المهاجرين لديارهم؛ فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكى أساقفته حتى بللوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلي عليهم من الحق الموافق لما عندهم.. وأكد هذا النجاشي حين قال لمن حوله: (إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة)[5]

قال آخر[6]: فإذا خلت الأناجيل اليوم من مثل هذه الأمور التي ذكرها القرآن فقد

---

(١) القرآن والمبشرون ص ٥٩.

(٢) رسالة بولس لأهل غلاطية، الإصحاح الأول: (٦ ـ ٧.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٠٣.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٠٣.

(٥) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٠.

(٦) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٠٣.

ذكرتها أناجيل أخرى لم يعتمدها المسيحيون اليوم أو كتب سير وتواريخ صحيحة، ومن تلك الأناجيل التي اندثرت وذكرتها، إنجيل الطفولة العربي الذي نص عليها بقوله: (تكلم في المهد صبيا، وحين كان له سنة واحدة قال لأمه: يا مريم أنا يسوع ابن الله الذي ولدتني كما بشرك جبريل الملك، وإني أرسلني لخلاص العالم)

قال آخر[1]: أما زعم (تسدال) وغيره من المستشرقين أن القصة مكذوبة مأخوذة من الأقباط وحصل عليها رسول الله ﷺ عن طريق مارية القبطية[2].. فهو جهل منه، ذلك لأن سورة مريم قد نزلت قبل قدومها، حيث قرئت على النجاشي أثناء هجرة المسلمين للحبشة، ولم يعلم تاريخيا أن مارية كانت عالمة بالمسيحية ولا عندها اهتمام بنشر تعاليم المسيحية، بل إن الله سبحانه شرح صدرها للإسلام وأسلمت من أول أمرها [3].

هـ. القرآن والزرادشتية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والزرادشتية والديانات الهندية القديمة.

قال أحد المشككين: بما أن غرض المستشرقين هو البحث عن إيجاد أي شبه بين الإسلام وبين أي دين آخر، حتى يتهموه بكونه اقتبس منه، لا أنه توافق معه؛ فقد وجدوا في الزرادشتية والديانات الهندية القديمة ما يلبي بعض أغراضهم في ذلك.

قال آخر: وكيف لا يجدون فيها ما يريدون من التشكيكات، وهم قد وجدوا في الوثنية نفسها ما يلبي أحقادهم التي لبست ثوب العلم.

قال آخر[4]: ومن خلال ما كتبه بعضهم،وهو (تسدال) نجد أنهم يستندون في

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٠٥.

(٢) انظر مصادر الإسلام لتسدال ص ١٢٤.

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٩١.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٢.

دعواهم إلى التشابه الموجود بين الزرادشتية وبعض ما ورد في القرآن الكريم كالمعراج، والجنة والنار، وملك الموت، والصراط، والشيطان، والافتتاح بالبسملة، والصلوات الخمس، وشهادة كل نبي لمن يأتي بعده.

قال آخر[1]: والإجابة على كل ذلك بينة واضحة؛ ذلك أن جميع الديانات السماوية لم تخل من ذكر هذه الأمور الغيبية، ومن تكريم بعض الأنبياء بالمعجزات التي فيها خرق العادات على أيديهم، كما ألزموا ببعض الفرائض؛ فإذا اشتملت بعض الديانات السماوية على مثل هذه الأمور ووافقت ما ورد في القرآن الكريم فتكون هذه القضايا من الأمور التي لم تتناولها أيدي التحريف والتبديل في الديانات السابقة المنسوخة.

قال آخر: وقد أشار لهذا المعنى بعض الباحثين، فقال: (إن بقايا الأخلاق والفضائل والمثل العليا الباقية في هذا العالم اليوم لا بد من إرجاعها بصورة أو بأخرى إلى ديانة سماوية موحى بها)[2]

قال آخر[3]: والأدلة الكثيرة تشير إلى أن الزرادشتية من الملل التي كان أصلها وحيا سماويا، ثم حرفها أصحابها كما حرفت التوراة والإنجيل، وقد أثبتت أبحاث العالم الألماني الدكتور (ميللر) الذي كانت له اليد الطولى في حل رموز اللغة السنسكريتية بالهند (أن الناس كانوا في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص، وأن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الوثنيين)[4]

قال آخر: وقد أشار ابن حزم إلى ذلك بالنسبة للزرادشتية، فقال: (وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها، وكانا محظرين على من سواهما:

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٢.

(٢) كتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص ٤٢.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٢.

(٤) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلامية، ص ١٠ ـ ١١.

فالتبديل والتحريف مضمون فيهما، وكتاب المجوس وشريعتهم إنما كان طول مدة دولتهم عند (المؤبذ) وعند ثلاثة وعشرين هربذا لكل هربذ سفر قد أفرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم ولا يباح بشيء من ذلك لأحد سواهم، ثم دخل فيه الخرم بإحراق الإسكندر لكتابهم أيام غلبته لدارا بن دارا، وهم مقرون بلا خلاف بينهم أنه ذهب منه مقدار الثلث ذكر ذلك بشير الناسك وغيره من علمائهم)[1]

قال آخر: وقد ذكر ابن حزم أن كثيرا من المسلمين اعتبروا زرداشت نبيا، ثم قال: (ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة، قال الله عزوجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤])[2]

قال آخر[3]: وحتى لو فرضنا أنها لم تكن ديانة سماوية فلا بد أن تكون قد تأثرت بأكثر من دين، فقد تأثرت بالمجوسية لأنها جاءت لتنقيتها مما دخلها من فساد، كما تأثرت بعقيدة الطورانيين لأن زرادشت عاش بينهم زمنا بشرهم فيه بدينه، كما تأثروا باليهودية لأن الزرادشتية عاصرت بعثة نبي الله موسى عليه السلام[4].. كما تأثرت بالهندية للحوار واجتماعهما في عبادة الإله (مترا)، كما تأثرت بالمسيحية وببعض الفرق الإسلامية وذلك لطول تواصلها معها.

قال آخر[5]: أما ما ذكره (تسدال) من تشابه قصة المعراج في القرآن مع ما عند الزرادشتية؛ فهذه القصة لم تذكر عندهم في كتب يصح الاعتماد عليها، وإن وجد مثل ذلك فعلى اعتبار أن أصل هذه الديانة سماوي أو تأثرت بما هو سماوي ولا مانع أن تتكرر مثل هذه الحادثة في عدة ديانات لوحدة المصدر.. وهذا شبيه بما توافق وقوعه في التوراة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء ١/ ٩٢.

(٢) انظر الفصل في الملل والنحل ١/ ٩١.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٤.

(٤) انظر كتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ص ٤٢.

(٥) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٥.

والإنجيل والقرآن كالجنة والنار والميزان وغير ذلك، فلا ضرورة أن يكون بعضهم أخذ من بعض، وإنما ذلك بابتداء الوحي لكل نبي على حدة.

قال آخر: وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]؛ فهي تشير إلى أن الله تعالى يكرم أنبياءه عليهم السلام بكل الكرامات التي تؤهلهم للوظائف التي كلفوا بها.

قال آخر: وأما الاتفاق بين الإسلام والزرادشتية في الجنة والنار، وملك الموت، والشيطان، والصراط، ونحوها.. فهذا أمر مذكور في كل الديانات السماوية لوحدة المصدر، ولهذا يدعونا الله تعالى إلى التصديق بكل ما في الكتب المقدسة من الحق، كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

قال آخر: أما ما ذكره (تسدال) وغيره من المصادر المختلطة كقصص الأنبياء للثعلبي، وغيره، فهي ليست من مصادر الإسلام المعتمدة.. ولعلكم قد عرفتم ذلك في الحوار مع الحشوية، والذين خلطوا مصادر الإسلام ا لمعصومة بغيرها من المصادر المدنسة.

قال آخر[1]: أما بالنسبة للبسملة والتوافق بين الإسلام والزرادشتية في بعضها؛ فالبشر جميعا يتفقون على بدء المراسلات باسم السلطة أو الجهة الحاكمة، ولله المثل الأعلى فإذا ابتدأ الله تعالى كتابه بذلك وجاءت رسائل الأنبياء في الزرادشتية مفتتحة ببسملة فهذا

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٦.

لا غرابة فيه، كما أنه ليس من الضرورة أن يكون هذا دليلا على أخذ الإسلام من الزرادشتية لمثل هذه الشبهة.

قال آخر: والعجيب أن المستشرق رودول يذكر بأن البسملة يهودية الأصل، ويرى أن القرآن الكريم استعارها من الصابئين، إذ كان من عادة الصابئين دائما أن يكتبوا في صدر كتاباتهم العبارة التالية (باسم الإله المعطي الكريم)[1].. أما القسيس [سانت كلير تسدل]فيرى أن الجملة زردشتية الأصل حيث كتب: قد وردت في كتاب (الدساتير الزرادشتية) قبل صحيفة كل نبي من أنبيائهم العبارة الآتية: (باسم الإله المعطي الرؤوف الكريم)[2]

قال آخر: فهؤلاء الكتاب المسيحيون الثلاثة يذكرون ثلاثة مصادر متغايرة، فهي عند أحدهم يهودية، وعند الآخر زرادشتية، وعند الثلاث صابئية.. ولو أنهم تأملوا قليلا لعرفوا عظمة البسملة وأنها محل اتفاق بين الأديان والأمم جميعا.

قال آخر[3]: أما شهادة الأنبياء لبعضهم بعضا وتبشير السابق باللاحق فهي محل اتفاق بين الأديان جميعا، حيث يأخذ النبي الميثاق على أمته أن يؤمنوا بالأنبياء الذين سبقوه، ويناصروا النبي الذي سيأتي بعده، وقد ورد في ذلك الكثير من البشارات على لسان موسى وعيسى وغيرهما عليهم السلام بمحمد ﷺ، كما يصرح بذلك قوله تعالى عن المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]

قال آخر: ومن هذا الباب ورد تبشير زرادشت برسول الله ﷺ، حيث قال: (تمسكوا

---

(١) تفسير ويري للقرآن ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) ينابيع الإسلام، الطبعة الأردية ص ١٢٧.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٦.

به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر)[1].. وبذلك فإن هذا التبشير دلالة على صدق نبوة رسول الله ﷺ لا أنه اقتبس دينه منها.

و. القرآن والصابئة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم والصابئة.

قال أحد المشككين: لقد نظر المستشرقون إلى بعض وجوه الشبه بين ما جاء في القرآن الكريم، وما في دين الصابئة من عقائد وعبادات ونسك؛ فاعتبروها مصدرا من مصادره، وقالوا: إن التأثير من الصابئة انتقل لمحمد ﷺ عبر الوسط الوثني الذي عاش فيه محمد ﷺ وأخذ منه كثيرا من شعائره[2].

قال آخر: ومن الأمثلة التي استغلوها لذلك التشابه بين الصابئة والإسلام في الصلاة.. والتشابه في الصوم وارتقاب انتهائه وارتقاب الأعياد ببعض الكواكب.. والتشابه في الحج والتلبية وتقديم القرابين[3].

قال آخر: والجواب على هذا هو ما ذكرناه سابقا من أن التشابه لا يعني التأثر أو التأثير، بل يعني موافقة القرآن الكريم للحق الذي لا يزال موجودا في الأديان؛ فهو لم يأت لينسخها بكل تفاصيلها، وإنما جاء ليصححها، لتتناسب مع الفطرة والقيم النبيلة.

قال آخر[4]: فالصلاة مثلا أمر فطري ومطلب شرعي في كل الديانات السماوية، ووجود صلاة عند الطرفين أمر طبيعي لا غرابة فيه على اعتبار أنهم أهل الكتاب، أو لهم شبهة كتاب.. بالإضافة إلى أن صلاتهم على خلاف صلاة المسلمين في أوقاتها وهيئاتها..

---

(١) الأديان في القرآن ص ٨٢.

(٢) انظر مصادر الإسلام ص ١١ ـ ١٢، وانظر المدخل إلى القرآن الكريم ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ١٤ / ص ٨٩.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٣.

فصلاتنا خمس مرات في اليوم والليلة وهي بقيام وركوع وسجود وجلوس وقراءة قرآن وبمجموعة من الأذكار والأدعية، بعكس صلاتهم في كثير من هذه الأمور.

قال آخر[1]: لذا؛ فإن ما زعمه (تسدال) من مصدرية الصابئة للإسلام استنادا لمثل هذه الشبهة زعم باطل ينقصه الدليل، ويرده الواقع، وهو أمر تلبيسي لا أكثر ولم يخل دين من الأديان من وجود شعائر تعبدية وعلى رأسها الصلاة كاليهودية والمسيحية.

قال آخر[2]: أما الشبه بين ما ورد في القرآن الكريم من أحكام الصوم، وأحكام الصوم عندهم؛ فقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].. فالصوم عبادة عرفت من القدم فقد كانت عند قدماء البابليين والآشوريين والمصريين.

قال آخر[3]: والناظر بعين فاحصة مقارنا بين الصيام عند الصابئة وعند المسلمين يجد أن الاجتماع والاتفاق كان في كلمة الصوم لا غير أما في الحقيقة والصورة فهما مختلفان تماما.. فصيامهم ليلا بينما صيام المسلمين نهارا.. وصيامهم متفرق بينما صيام المسلمين شهر كامل.. وهو ليس عند كل فرقهم بل عند الحورانيين منهم، أما المندائيون فيحرمونه.. وكذلك عندهم صيام يشبه صيام النصارى لمدة ٣٦ يوما يمتنعون فيها عن أكل اللحوم المباحة.. ثم هناك الاختلاف في وقت الصيام بين الفريقين.

قال آخر[4]: أبعد كل هذه الملاحظات على وجه المقارنة بين صيام أهل الملتين يبقى دليل مع (تسدال) وغيره ليزعم أن الإسلام أخذ منهم عبادة الصيام، بل قد أثبت التاريخ أن الأيام التي كانوا يصومونها، وفيها وجه شبه مع وقت الصيام عند المسلمين ما كانت من

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٣.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٤.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٤.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٥.

الصابئة إلا لمجاراة المسلمين الذين كانوا يملكون السلطة، والتي كان يفقدها الصابئون.

قال آخر[1]: أما استناد (تسدال) لكون الصابئة تثبت أعيادها بمراقبة خمسة نجوم في السماء وهي: (الجدي، والزهرة، وزحل، والقمر، والشمس)، وأنهم يشبهون في ذلك المسلمين الذين يثبتونها بأحد هذه الخمسة وهو القمر عند ما يكون هلالا، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]؛ فهو عجيب جدا، وهو دليل على أنهم يبحثون عن أي قشة ليستندوا إليها.

قال آخر[2]: ذلك أن التقويم لأمم الأرض قديم جدا، وهو إما شمسي وإما هلالي.. والبشر قد انقسمت عاداتهم في شهرهم وسنتهم بحسب هذه القسمة، ذلك أن كل واحد من الشهر والسنة إما أن يكونا عدديين، أو طبيعيين، والسنة عددية، أو بالعكس.. فالذين يعدونهما يجعلون الشهر ثلاثين يوما، والسنة اثنى عشر شهرا.. والذين يجعلونهما طبيعيين يجعلون الشهر قمريا، والسنة شمسية.. ومنهم الذين جعلوا السنة طبيعية، والشهر عدديا، وهذا حساب الروم، والسريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين ممن يعد شهر كانون ونحوه عددا ويعتبر السنة الشمسية بسير الشمس.. أما اعتبار الشهر طبيعيا، والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم[3].

قال آخر[4]: وما جاءت به الشريعة الإسلامية من ذلك هو أكمل التقاويم وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب؛ لأن رؤية الهلال أمر مشهور مرئي يدرك بالأبصار، فلا يضل أحد عن دينه، ولا يشغله مراعاته عن شيء من مصالحه، ولا يدخل بسببه فيما لا يعنيه، ولا يكون طريقا إلى التلبيس في دين الله كما يفعل بعض علماء أهل الملل

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٦.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٦.

(٣) كتاب الصابئين حرانيين ومندائيين، لرشدي عليان.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٧.

بمللهم.

قال آخر[1]: أما استناد (تسدال) وغيره للتشابه في الحج والتلبية، وتقديم القرابين بين المسلمين والصابئة؛ فعجيب أيضا، ذلك أن الحج عبادة موجودة في كل الأديان، وخاصة تلك المنتسبة لإبراهيم عليه السلام الذي أذن في الناس بالحج فلبى نداءه كل من حج لبيت الله الحرام، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، وقد ذكرت دائرة معارف المستشرقين أن الحج لم يكن خاصا بالعرب دون غيرهم من الأمم، بل كان كذلك عند اليهود والنصارى وبعض الوثنيين[2].

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الحج عند المسلمين يتم في مكة المكرمة وطوافهم بالكعبة وما يقدمونه من قرابين (الهدي) هو لله سبحانه خالصا دون سواه، كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، وقد رخص الأكل منها، كما قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].. أما عند الصابئة فحجهم يتم بحران بالعراق، وليس حول الكعبة [4]، وقبلتهم الثابت بشأنها أنها قبل الشمال باتجاه النجم القطبي؛ وذلك لثبوته في محله وعدم تحركه [5].

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٨.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٣٠٥.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٩.

(٤) انظر مدخل القرآن الكريم ص ١٣٣ نقلا عن كتاب ج. سال (ملاحظات تاريخية ونقدية عن الإسلام ص ٣٠ ـ ٣١، ودائرة المعارف الإسلامية باللغة الفرنسية (مادة صبأ)

(٥) انظر الموجز في تاريخ الصابئة ص ٣٦، والفهرست لابن النديم ص ٤٤٢.

قال آخر[1]: أما بالنسبة لقرابينهم فكانت تذبح لآلهتهم المزعومة من الكواكب كذبحهم للزهرة ولزحل إلى غير ذلك.. وكانت سنّتهم في قرابينهم أن تحرق تماما، ولا يؤكل منها شيء.. وللقربان أربعة أوقات في الشهر: الاجتماع، والاستقبال، وسبعة عشر وثمانية وعشرون [2].. في حين أن القربان في الإسلام لا يقبل إلا إذا ذبح لله تعالى ويحرم أكله إذا ذكر عليه غير اسمه سبحانه، كما أنه يذبح في أي وقت من أوقات السنة، سواء كانت الذبائح ذكورا أم إناثا، ولا يمنع ذبح القربان من دخول أماكن العبادة في الإسلام بخلاف ما هو عندهم، والذبيحة عندنا لا تحرق بل تؤكل ولا حرج في ذلك ومن هنا يظهر الفرق في حج المسلمين، وفي قرابينهم عن الصابئة لا كما يزعم المستشرقون.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك كله؛ فإن الإسلام يخالف الصابئة في جوانب أخرى كثيرة، منها أن عليهم الغسل وتغيير الثياب بسبب الجنابة ومس الطامث ويعتزلها البتة، أما عندنا فيغتسل ولا تغير الثياب إذا كانت الملابس طاهرة، ولا غسل لمن مس طامثا فنجاستها ليست في يدها، وهكذا لا يعتزلها عندنا.

قال آخر[4]: كما أنهم لا يأكلون الجزور ويفرطون في كراهيتها، والمسلمون يأكلونها ولا يكرهونها.. ويتركون الختان وعندنا سنة ثابتة في حق كل مسلم.. وعندهم لا طلاق إلا ببينة عن فاحشة ظاهرة، ولا ترجع عندهم المطلقة، وعندنا جواز الطلاق لحاجته، وله مراجعة مطلقته.

٣. التشكيك والوحي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٧٩.

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٤٣.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٠.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٨٠.

حول القرآن الكريم والوحي.

قال أحد المشككين: لقد رأينا من خلال إحصائنا واستقرائنا لما في كتب المستشرقين ومن تتلمذ على أيديهم من المشككين أمرين يفسرون بهما الوحي الإلهي.

قال آخر: أولهما اعتبارهم له مجرد أمر شخصي يأتي بإرادته، أو بغير إرادته، وقد اختلفوا في تفسير ذلك.. فمنهم من يطلق عليه [الوحي النفسي]، أو [الإلهام السمعي].. ويقصدون بذلك أن منبع الوحي الإلهي ليس سوى إلهام من نفسه ﷺ، وليس من عالم الغيب الذي يؤمن به المؤمنون، والذي دلت عليه كل الدلائل.

قال آخر: ومنهم من يعتبره نتيجة لتأثير الانفعالات العاطفية.. حيث زعموا أن رسول الله ﷺ كان تحت تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه مما كان يدعوه إلى الشعور بأنه يتلقى الوحي الإلهي، بينما لم يكن كذلك[1].

قال آخر: ومنهم من يعتبره نتيجة أسباب طبيعية عادية، كباعثة النوم، أو (التنويم الذاتي)[2]

قال آخر: ومنهم من يعتبره نتيجة تجربة ذهنية فكرية، وأن النبي ﷺ أدرك ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز، واستدامته ذلك على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره، لذا كان يختار له ساعات الليل لأنها أدعى للفكر وأصفى للروح، وأكثر استجابة لعواطفه[3].

قال آخر: ومنهم من يعتبره حالة كحالة الكهنة والمنجمين، وذلك بناء على كون القرآن الكريم ـ كما يزعمون ـ استعمل السجع الذي يستعمله الكهنة والمنجمون[4].

قال آخر: وثانيهما أنهم يعتبرون الوحي الإلهي مرضا عصبيا، وقد اختلفوا في ذلك

---

(١) تاريخ القرآن، نولديكه ١/ ٥.

(٢) وحي الله، د. حسن عتر ص ١٤١.

(٣) انظر مقدمة القرآن، واط ص ١٨.

(٤) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل عباس ص ٤٢.

أيضا؛ فمنهم من يعتبر مرضه حالة صرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على إثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقه، ويثقل جسمه.

قال آخر: ومنهم من يعتبره حالة هستيرية، وتهيجا عصبيا، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه[1].

أ. الوحي الشخصي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة الأولى، والتي ذكرتم أنها تعتبر منبع الوحي الإلهي ليس سوى حالة شخصية تعتريه، وأنها اتخذت صورا متعددة.

الإلهام النفسي:

قال آخر: وأول تلك الصور اعتبارهم الوحي الإلهي إلهاما من نفسه ﷺ، وليس من عالم الغيب الذي يؤمن به المؤمنون، والذي دلت عليه كل الدلائل؟

قال أحد المشككين: ظاهر هذه الشبهة ثناء على رسول الله ﷺ، لكن باطنها تكذيب واتهام له بأعظم تزوير، وهو التزوير على الله.

قال آخر[2]: ذلك أن هؤلاء المستشرقين قالوا: (نحن لا نشك فى صدق محمد فى خبره عما رأى وسمع وإنما نقول: إن منبع ذلك من نفسه، وليس فيه شىء جاء من عالم الغيب الذى يقال إنه رأى عالم المادة والطبيعة، الذى يعرفه جميع الناس؛ فإن هذا (الغيب)

---

(١) انظر مقدمة القرآن، مونتجمري، واط ص ١٧ ـ ١٨، ومقدمة القرآن ل بل ص ٢٩ ـ ٣٠، وكتاب العقل المسلم ص ٤١، كتاب حياة محمد هيكل، ص ٤٥.

(٢) الوحي المحمدي (ص٥٩)

شيء لم يثبت عندنا وجوده، كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ويلحقه بالمحال، وإنما تفسير الظواهر غير المعتادة بما عرفنا وثبت عندنا دون ما لم يثبت)

قال آخر[1]: وذكروا أن منازع نفسه ﷺ العالية وسريرته الطاهرة، وقوة إيمانه، وخياله الواسع وإحساسه العميق، وعقله الكبير، وذكاؤه الوقاد، وذوقه السليم، كلها كان كانت سببا في أن يتجلى في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية فيتصور أن ما يعتقده إلهيا نازلا عليه من السماء بدون وساطة، أو عن طريق رجل يتمثل له يلقنه ذلك، أو يسمعه يقول له شيئا في المنام.

قال آخر[2]: واستدلوا على ذلك بقصة الفتاة الفرنسية (جان دارك) في القرن الخامس عشر الميلادي التي اعتقدت أنها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها، ودفع العدو الإنكليزي عنه، وادعت أنها تسمع صوت الوحي، فأخلصت في دعوتها، وتوصلت بصدق إرادتها وحسن سيرتها إلى رئاسة جيش صغير تغلبت به على العدو ثم خذلها قومها فوقعت في يد عدوها فألقوها في النار حية فماتت عقب انتصارها، وقد ذهبت تاركة وراءها اسما يذكره التاريخ.

قال آخر[3]: وأول ما يرد على هذه الشبهة هو كونها مبنية على المصادر التي سلف ردنا عليها، والتي تعتبر الوحي الإلهي نتيجة تشبع العقل الباطن لرسول الله ﷺ بما في بيئته من ثقافات وعقائد، مما جعل نفسه الصافية تفيض بما فيها من ذخائر.

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الناظر لهذا الدين وحقيقته يجده فريدا متميزا صافيا بكل ما جاء به من عقائد وشرائع عما كان موجودا في وسطه الذي كان يعيش فيه

---

(١) الوحي المحمدي (ص٥٩)

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص ٩٠، والوحي المحمدي ص ٨٩، وشبهات مزعومة حول القرآن الكريم للقمحاوي ص ٤١، ومقدمة القرآن، ص ٢٠.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٨٣.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٨٣.

ﷺ.. فقد جاء عاما شاملا لكل نواحي الحياة، سهلا في عبادته، دقيقا في معاملاته، رادعا في حدوده، فذا في نظمه الاقتصادية والسياسية وغيرها، عظيما في أخلاقه وآدابه، إلى غير ذلك من المزايا والفضائل.. فهل يمكن أن تكون كل هذه العقائد والنظم والتشريعات كانت مذكورة مدخرة في نفس محمد ﷺ ابن البيئة المختلفة العقائد، والفقيرة الموارد، المختلفة الأنظمة، المضطربة الأخلاق والآداب؟

قال آخر[1]: ولذلك؛ فإن الإسلام بعظمته، والقرآن بربانيته يبطل كل هذه المزاعم، والعلم يكشف كل يوم لنا من أسرار آياته في الأنفس والآفاق مما يؤكد أنه تنزيل إلهي، وليس فيه أدنى شيء لعقل بشري، لأنه أعجز من أن يؤلف شيئا من مثل آياته فكيف تأتي هذه الفرية لتزعم أن هذا القرآن فيض بشري ووحي نفسي لمحمد ﷺ؟

قال آخر[2]: بالإضافة إلى هذا؛ فقد كان الوحي يفتر عنه ﷺ فترات طويلة، وهو بأشد الحاجة إليه ولا يجد جوابا لما سألوه، أو بما تحدوه، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن ابن عباس قال: (بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث إن أخبركم بها فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول.. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه: فقال: أخبركم غدا بما سألتم عنه ولم

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٨٣.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٨٤.

يستثن، فانصرفوا ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما تتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][1]

قال آخر[2]: فكيف إذن يعجز محمد ﷺ أن يأتيهم بجواب، وهو صاحب العقل الباطن المملوء بالمعارف، وصاحب الوجدان الملتهب، والنفس المتوثبة، والقريحة المتوقدة، والبديهة الحاضرة.. ما ذلك إلا لأن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد لا دخل لرسول الله ﷺ بشيء منه.

قال آخر[3]: كما ينقض هذه الفرية كون العقل الباطن ـ على ما يقول علماء النفس ـ إنما يفيض بما فيه في غفلة من العقل الظاهر، ولذلك لا يظهر ما فيه إلا عن طريق الرؤى والأحلام، والأمراض كالحمى مثلا، وفى الظروف غير العادية، والقرآن الكريم لم ينزل شيء منه في هذه الحالات، وإنما نزل على نبي الله ﷺ يقظة لا مناما، وفي اكتمال من عقله وبدنه، في تمام صحة نفسه.

قال آخر[4]: أما ما استدلوا به من قصة الفتاة الفرنسية (جان دارك) فباطلة، لأن (جان دارك) لم تدع النبوة، ولو أنها ادعت لما صدقت، لأن دعوى النبوة لا تثبت إلا بدليل وهي المعجزة، ولم يظهر من هذا على يدها.. والفتاة لا شك أنها كانت قوية القلب، مرهفة

---

(١) كتاب النقول في أسباب النزول حاشية على تفسير الجلالين، طبعة عبد الحميد حنفي مصر ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٨٥.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٨٥.

(٤) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٠٣، انظر الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص ٨٩ ـ ٩٤.

الحس، أصيبت بهيجان عصبي لما أصاب قومها من اضطهاد وظلم مما حرك وجدانها بسبب شعورها الديني، فاستنهضت قومها للقتال، وقادتهم للخلاص من ذل الاستعباد.

قال آخر[1]: وهذا أمر متكرر في كل البيئات والأوقات أن يوجد في مثل هذه الظروف مثل هذه الفتاة من رجال أو نساء، حيث تلاقي دعواتهم هوى في نفوس أقوامهم فيهبوا وراءهم لنصرة صاحب فكرة الخلاص.

قال آخر: وشبيه بهذا أصحاب دعوى الباب الإيراني، والبهاء والقادياني وغيرهم ممن زعموا أنه يوحى إليهم حيث وجدوا من يغتر بدعواتهم الكاذبة، فأين دعوة هؤلاء جميعا من دعوة المصطفى ﷺ التي غيرت تاريخ أمة فجعلتها فريدة في عقيدتها وشريعتها وهدايتها الربانية قامت على كل ذلك حضارة لها طابعها الخاص بمدة قياسية.. أما (جان دارك) فإنها لم تصنع بدعوتها أمة ولم تقم بها حضارة فأين الثرى من الثريا؟

الانفعالات العاطفية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه نتيجة انفعالات عاطفية، وأنها كانت تسيطر عليه مما كان يدعوه إلى الشعور بأنه يتلقى الوحي الإلهي، بينما لم يكن كذلك[2].

قال أحد المشككين: لقد عبر عن هذه الشبهة أحد المستشرقين، فقال: (كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهيجة، والإلهامات المباشرة للحس، أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج، فلو لا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه، مع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة)[3]

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٠٣، انظر الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص ٨٩ـ ٩٤.

(٢) تاريخ القرآن، نولديكه ١/ ٥.

(٣) تاريخ القرآن، نولديكه ١/ ٥.

قال آخر: وهذه الشبهة مثل الشبهة السابقة، وهي تدل على تجن، وسوء فهم واضح للنبوة ولرسول الله ﷺ، وأدواره العظيمة التي قام بها، والتي لا يمكن أن تكون وليدة فكر أو عاطفة بشرية مهما كان سموها.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الاطلاع على سيرته ﷺ وعلى كيفية نزول الوحي عليه يجد أن الوحي كان يأتيه في أوقات عدة، وبأشكال مختلفة، فقد كان يأتيه في ظروف اعتيادية، ويقاطعه في ظروف عصيبة وهو بأشد الحاجة إليه.. وكل ذلك يدل على أن الوحي خارج عن ذاته وليس له فيه أدنى تدخل.

قال آخر[2]: ومن الأمثلة على ذلك أن المنافقين خاضوا في عرضه الشريف في قصة الإفك التي افتريت ضد زوجته، واشتد الأمر عليه، وتمنى لو يجد شيئا يقوله ليبرئ زوجته أو يثبت ما يقولونه فيرتاح مما هو فيه، لكن لم يستطع أن يقول شيئا حتى نزل عليه الوحي يبرئ زوجته، ويرد كيد المنافقين.

قال آخر[3]: ومثل ذلك ما حصل معه في سؤال المشركين له عن الأسئلة المذكورة في قصة أهل الكهف، ولم يستطع رسول الله ﷺ أن يأتيهم بجواب حتى خاض المشركون في أمر رسول الله ﷺ ما طاب لهم من قول حتى نزلت الإجابة الإلهية عليه.

التنويم الذاتي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه نتيجة أسباب طبيعية عادية، كباعثة النوم، أو (التنويم الذاتي)[4].

قال أحد المشككين[5]: وهذه شبهة واضحة البطلان؛ فالبعد شاسع بين الوحي وبين

---

(1) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 387.

(2) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 387.

(3) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 387.

(4) وحي الله، د. حسن عتر ص 141.

(5) آراء المستشرقين حول القرآن: 1 / 389.

عارض السبات الطبيعي الذي يعتري المرء، حيث إن الوحي كان يتنزل على رسول الله ﷺ في أحواله المختلفة، قائما أو قاعدا، أو سائرا أو راكبا، وبكرة أو عشيا، ليلا أو نهارا، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو مع أعدائه، وكان يتنزل فجأة ويزول عنه فجأة، وتنقضي عنه أحيانا في لحظات يسيرة، لا بالتدريج الذي يعرض للوسنان.

قال آخر: وقد ورد في الحديث ما يبين كيفية ذلك، واختلافها التام عن النوم، ومنها ما روي عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: بينما النبي ﷺ بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب؟ فسكت النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي، وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به، فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه، وهو يغط، ثم سري عنه، فقال: أين الذي سأل عن العمرة؟ فأتي برجل فقال: اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات، وانزع عنك الجبة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك [1].

قال آخر[2]: فهذا يبين أن الوحى لا يتنزل قبل تحضير مسبق من قبل رسول الله ﷺ ـ كما زعم ذلك (واط) ـ بل هو ظاهرة خارجة عن ذاته الشريفة، وبغير إرادته وأعراضها لا تستجلب ولا تدفع.

قال آخر[3]: والذي يزيد هذه الحقيقة وضوحا سماع صوت دوي كدوي النحل عند وجه الرسول ﷺ يسمعه من حوله كما ورد في الحديث: (كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل)[4].. فهل هناك من يسمع عند وجهه مثل هذا الدوي عند النوم؟

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٩٠.

(٣) وحي الله د. حسن عتر ص ١٤٢ ـ ١٤٥.

(٤) الترمذي (٥/ ٣٢٧)

التجربة الذهنية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه نتيجة تجربة ذهنية فكرية، وأن النبي ﷺ أدرك ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز، واستدامته ذلك على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره [1].

قال أحد المشككين[2]: من أكبر الأدلة على عدم علمية هذه الشبهة عدم واقعيتها؛ فالإنسان مهما جرب وركز بكامل قواه العقلية ليصبح نبيا لا يمكن أن يصبح نبيا، ولا يصل لرتبتها، وأبرز ظواهر النبوة الوحي، وهذا الوحي لا يمكن تحضيره ولا استحضاره وإنما يأتي فجأة وبإذن من صاحبه فقط، وهو الله سبحانه، وبلحظات خاطفة.. فهو إذا ليس نتيجة فيضان نفسي، أو كبت لمجموعة من التأملات احتشدت وتفجرت في نفس النبي ﷺ لأن النبوة اصطفاء رباني علوي مسبوق ببعض الإرهاصات، لا يعرف التدرج إلى ما يسمى النضج في النهاية.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن هذه الظاهرة ليست أمرا بدعيا، وإنما هي حلقة في سلسلة النبوة، ولبنة في صرحها العظيم يعرفه كل أصحاب الديانات، لذا عند ما سمع ورقة بن نوفل من رسول الله ﷺ خبر الوحي قال له: هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى عليه السلام [3].

قال آخر: ولهذا يدعو الله تعالى إلى مراجعة تواريخ الأنبياء عليهم السلام لمعرفة ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا

---

(١) انظر مقدمة القرآن، واط ص ١٨.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٩١.

(٣) إرشاد الساري لشرح البخاري، ١/ ٦٥.

دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٤]، وقال: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]

قال آخر[١]: وقد أكد هذه الآيات الكريمة ما ورد في العهد القديم عن الأنبياء والمرسلين الذين ظهروا في بني إسرائيل، والذين قد تلقوا وحي الله بطرق مختلفة، تتمثل في الوحي بالكلام شبه المباشر بين الله والإنسان، أي من وراء حجاب، في صور بشرية تارة، أو في صورتها الطبيعية النوارنية تارة أخرى، وقد تسمع أصوات الملائكة من بعد في خفاء، وهي تلقي الوحي إلى الموحى إليه.

قال آخر[٢]: كما تقرر أسفار العهد الجديد أن طرق الوحي إلى الأنبياء متنوعة، وكلها تهدف إلى تعليم الناس دين الله عن طريق رسله الذين كانوا أئمة البشر، وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحي المشار إليها في أسفار العهد القديم[٣]، مما يؤكد أن تاريخ الوحي ومظاهره وحالاته ووسائله عند أهل الكتاب في أسفار العهدين لا تختلف عن بعضها فهي تؤكده وتؤمن به وتقره.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الواقع التاريخي وسيرته ﷺ تكذب وتبطل هذه الفرية.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما نقلته لنا كتب السير عن قدوم عبد الله بن أم مكتوم يطلب من رسول الله ﷺ أن يعلمه مما علمه الله في الوقت الذي كان جالسا يخاطب فيه زعماء قريش ويناجيهم طمعا في إسلامهم، فانصرف عنه وعبس في وجهه، فعاتبه الله

(١) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (ص ٩)

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (ص ٩)

(٣) الوحي والملائكة، حمد عبد الوهاب ص٦١.

عزوجل على ذلك بصدر سورة عبس[1].

قال آخر: ومثل ذلك حادثة أخذه ﷺ الفدية في عقب غزوة بدر، فنزل عتابه بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨]

قال آخر: ومثل ذلك حادثة مجادلة خولة بنت ثعلبة وشكواها زوجها لرسول الله ﷺ فنزل صدر سورة المجادلة قبل مفارقتها المجلس[2].

---

(١) اختلف المفسرون فيمَن هو المعاتب في الآيات الكريمة على رأيين:
الأول: ما ذكرناه هنا، وهو المشهور بين عامّة المفسّرين وخاصتهم، وهو أنها نزلت في عبدالله بن أُم مكتوم، إنّه أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأُبي وأُميّة بن خلف يدعوهم إلى اللهّ ويرجو إسلامهم (فإنّ في إسلامهم إسلام جمع من أتباعم، وكذلك توقف عدائهم ومحاربتهم للإسلام والمسلمين)، فقال: يا رسول اللهّ، أقرئني وعلمني ممّا علمك اللهّ، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنّه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول اللهّ ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد، إنّما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فنزلت الآية. وكان رسول اللهّ ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي، ويقول له: هل لك من حاجة.استخلفه على المدينة مرّتين في غزوتين)
الثاني: ما روي عن الإمام الصادق: إنّها نزلت في رجل من بني أُميّة، كان عند النّبي ﷺ، فجاء ابن أُم مكتوم، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه عبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى اللهّ سبحانه ذلك، وأنكره عليه (تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٧) وقد أيّد المحقق الإسلامي الكبير الشريف المرتضى الرأي الثّاني.
وقد قال ناصر مكارم الشيرازي عن الرأي الأول: وعلى فرض صحة الرأي الأوّل في شأن النزول، فإنّ فعل النّبي ﷺ والحال هذه لا يخرج من كونه (تركاً للأولى)، وهذا ما لا ينافي العصمة، وللأسباب التالية:
أوّلاً: على فرض صحة ما نسب إلى النّبي ﷺ في إعراضه عن الأعمى وإقباله على شخصيات قريش، فإنّه بفعله ذلك لم يقصد سوى الإسراع في نشر الإسلام عن هذا الطريق، وتحطيم صف أعدائه.
ثانياً: إنّ العبوس أو الإنبساط مع الأعمى سواء، لأنّه لا يدرك ذلك، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ عبد اللهّ بن أُم مكتوم لم يراع آداب المجلس حينها، حيث أنّه قاطع النّبي (مراراً في مجلسه وهو يسمعه يتكلم مع الآخرين، ولكن بما أنّ اللهّ تعالى يهتم بشكل كبير بأمر المؤمنين المستضعفين وضرورة اللطف معهم واحترامهم فإنّه لم يقبل من رسوله هذا المقدار القليل من الجفاء وعاتبه من خلال تنبيهه على ضرورة الإعتناء بالمستضعفين ومعاملتهم بكل لطف ومحبّة.
ويمثل هذا السياق دليلاً على عظمة شأن النّبي ﷺ، فالقرآن المعجز قد حدد لنبيّ الإسلام الصادق الأمين أرفع مستويات المسؤولية، حتى عاتبه على أقل ترك للأولى (عدم اعتنائه اليسير برجل أعمى)، وهو ما يدلل على أنّ القرآن الكريم كتاب إلهي وأنّ النّبي ﷺ صادق فيه، حيث لو كان الكتاب من عنده (فرضاً) فلا داعي لإستعتاب نفسه.
ومن مكارم خلقه (كما ورد في الرواية المذكورة، إنّه ﷺ كان يحترم عبد اللهّ بن أُم مكتوم، وكلما رآه تذكر العتاب الرّباني له.
وقد ساقت لنا الآيات حقيقة أساسية في الحياة للعبرة والتربية والإستهداء بها في صياغة مفاهيمنا وممارستنا، فالرجل الأعمى الفقير المؤمن أفضل من الغني المتنفذ المشرك، وأنّ الإسلام يحمي المستضعفين ولا يعبأ بالمستكبرين (الأمثل: ج ١٩، ص ٤١٢)

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٤.

قال آخر[1]: فما نزل من هذه الوقائع كان في حينه، وقبل أن ينهض رسول الله ﷺ من مجلسه أحيانا مما يؤكد أنه ليس نتيجة إجهاد ذهن أو طول تفكير بساعات الليل لصفائها على حد زعم بعض المستشرقين.

قال آخر: فلو كان رسول الله ﷺ يأتي بهذا القرآن من بنات فكره، وبلمسة فكرية سحرية منه أو بإطالة تأمل فما الذي كان يمنعه من أن يأتي بشيء منه للإجابة على أسئلتهم مع أنه في أشد الحاجة إليه وخاصة في مثل هذه الظروف.

قال آخر[2]: ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وصدق ربنا إذ قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ـ ٤٧]

قال آخر: ومثل ذلك الآيات الكثيرة التي عاتب الله تعالى فيها رسول الله ﷺ على إثر تصرف معين منه ﷺ كقوله تعالى على إثر تحريم رسول الله ﷺ شيئا على نفسه دون تحريم الله له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]

قال آخر: وكقوله تعالى على إثر موقفه ﷺ من زينب بنت جحش أم المؤمنين، والتي كانت زوجا لمتبناه زيد بن حارثة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٩٣.

(٢) النبأ العظيم، دراز ص ٢٣ ـ ٢٤.

قال آخر[1]: أرأيتم لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه ﷺ!؟ ومعبرة عن ندمه، ووخز ضميره، حين بدا له خلاف رأيه الأول أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع والعتاب المر والتأنيب الشديد؟.. أليس في سكوته ستر على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه، فلو كان القرآن صادرا عن نفسه لكان أولى شيء بالكتمان مثل هذه الآيات؟

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك كله؛ لقد كان يجيئه الأمر أحيانا بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليه بيانه، فأي عاقل يا ترى توحي إليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه، وتأمره أمرا لا يعقل هو حكمته، أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، وأنه مأمور لا آمرا، وأن القرآن ليس من تأملات فكره، ولا من صنيع خياله، بل تنزيل من حكيم حميد.

الكهانة والتنجيم:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة التي تعتبر منبع الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه حالة كحالة الكهنة والمنجمين، وذلك بناء على كون القرآن الكريم ـ كما يزعمون ـ استعمل السجع الذي يستعمله الكهنة والمنجمون[3].

قال أحد المشككين: إن أول ما يجاب به على هذه الشبهة هو مخالفتها للواقع الذي نزل فيه القرآن الكريم، ذلك أنه لو كان أسلوب القرآن الكريم مشابها لأساليب الكهنة والمنجمين والسحرة لأجابوا للتحدي؛ فقومه ﷺ لم يكونوا أقل حقدا، ولا أقل كراهية للإسلام ممن جاء بعدهم.

قال آخر[4]: وها هو الوليد وعتبة بن ربيعة وغيرهما يردون بكل حزم ويرفضون

---

(١) النبأ العظيم ص ٢٥.

(٢) النبأ العظيم ص ٢٨.

(٣) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل عباس ص ٤٢.

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٩٤.

بكل إنصاف أن يكون أسلوب القرآن الكريم مشابها لأسلوب الكهان وسجعهم أو المنجمين وكلامهم، أو السحرة ونفثهم، ولم يقولوا إن حالة صدور الوحي عنه كحالة هؤلاء مع أنهم معاصرون له، ومن أكثر الناس خبرة بذلك.

قال آخر[1]: وقد روت لنا كتب الأدب والتاريخ شيئا من سجع الكهان والمنجمين، وأفعال السحرة وكلامهم، وعن أحوالهم حين صدور ذلك عنهم، فالمنصف لا يرتاب في أن أسلوب القرآن ونظمه، والحالة التي يكون فيها ناقله للناس ﷺ يختلف كلية عن أولئك المذكورين، لذا نفى سبحانه أن تكون حالته كحالتهم أو كلامه ككلامهم قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٣]

قال آخر: وقد روي في سبب نزول الآيات الكريمة أن الوليد قال: إن محمدا ﷺ ساحر، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عتبة: كاهن، فرد الله تعالى عليهم بهذه الآيات هذه المزاعم والأكاذيب؛ لأن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند، بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على تذكر أحواله ﷺ ومعاني القرآن المنافية لطريق الكهانة ومعاني أقوالهم وكل ذلك كان واضحا جليا ومعروفا لدى معاصريهم[2].

ب. المرض العصبي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فكيف تردون على الشبهة الثانية التي تعتبر الوحي الإلهي لا يخرج عن كونه نتيجة حالة صرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على إثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقه، ويثقل جسمه.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٣٩٤.

(٢) معاني القرآن، للآلوسي ٢٩/ ٥٣ ـ ٥٤.

قال آخر: ومثل ذلك اعتباره حالة هستيرية، وتهيجا عصبيا، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه[1].

قال آخر[2]: كل هذه مزاعم ومفتريات ليس لها سند من الواقع التاريخي، فرسول الله ﷺ عاش ومات وهو بكامل صحته وعافيته، ولم يظهر عليه أي عارض نفسي أو عصبي على ما يزعمون.. بل على العكس من ذلك كان عاقلا ذكيا فطنا، يمتاز بسرعة البديهة، وحصافة الرأي وسداد التفكير، واستقرار النفس، قويا في جسمه وذاكرته، سليما في كل أعضائه، ويشهد لذلك جهاده الطويل، وسياسته الحكيمة، وتخطيطاته الحربية الناجحة، وتنظيماته الاجتماعية الكاملة، وكمال الدين الذي دعا له.

قال آخر: وهذه الشبهة تلقاها هؤلاء المستشرقون من أسلافهم من أهل مكة الحاقدين على رسول الله ﷺ، كما ذكر الله تعالى ذلك، فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]

قال آخر: وقد ذكر بعض العلماء سبب قولهم ذلك، فقال: (واعلم أن بعض الجهال من أهل مكة كانوا ينسبون إليه الجنون لأن فعله ﷺ كان مخالفا لفعلهم؛ وذلك لأنه ﷺ كان معرضا عن الدنيا مقبلا على الآخرة، مشتغلا بالدعوة إلى الله، فكان العمل مخالفا لطريقتهم، فاعتقدوا فيه أنه مجنون)[3]

قال آخر: ثم نقل عن بعض السلف قوله: (إن النبي ﷺ قام ليلا على الصفا يدعو

---

(١) انظر مقدمة القرآن، مونتجمري، واط ص ١٧ ـ ١٨، ومقدمة القرآن ل بل ص ٢٩ ـ ٣٠، وكتاب العقل المسلم ص ٤١، كتاب حياة محمد هيكل، ص ٤٥.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ /٣٩٨.

(٣) التفسير الكبير (١٥/ ٤٢٠)

فخذا فخذا من قريش، فقال يا بني فلان يا بني فلان، وكان يحذرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، واظب على الصياح طول هذه الليلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية وحثهم على التفكر في أمر الرسول ﷺ، ليعلموا أنه إنما دعا للإنذار لا لما نسبه إليه الجهال[1].

قال آخر: وذكر سببا آخر لقولهم ذلك، فقال: (كان ﷺ يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحي فيتغير وجه ويصفر لونه، وتعرض له حالة شبيهة بالغشي، فالجهال كانوا يقولون إنه جنون فالله تعالى بين في هذه الآية أنه ليس به نوع من أنواع الجنون، وذلك لأنه ﷺ كان يدعوهم إلى الله، ويقيم الدلائل القاطعة والبينات الباهرة، بألفاظ فصيحة بلغت في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضتها، وكان حسن الخلق، طيب العشرة، مرضي الطريقة نقي السيرة، مواظبا على أعمال حسنة صار بسببها قدوة للعقلاء العالمين، ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الإنسان لا يمكن وصفه بالجنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن اجتهاده على الدعوة إلى الدين إنما كان لأنه نذير مبين، أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين، وترغيب المؤمنين)[2]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد كان رسول الله ﷺ أكمل الرجال عقلا، وأشدهم فطنة، وأصوبهم قولا، وأحكمهم فعلا، وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنونا أو اختلال عقل، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِّ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] ففي قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أي جنون، تنبيه لهم على أن ما عرفوه من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه؛ والتعبير عنه ﷺ بـ (صاحبهم)

---

(١) التفسير الكبير (١٥/ ٤٢٠)

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ٤٢٠)

للإيماء، أن حاله معروف مشهور بينهم؛ لأنه نشأ بين أظهرهم معروفا بقوة العقل، ورزانة الحلم، وسداد القول والفعل[1].

قال آخر: وبذلك؛ فإن الآية الكريمة تقول لهم: (ها هو ذا تاريخ محمد ﷺ وأحاديثه، وسننه، وآدابه، وأخلاقه، وشريعته، تحت أنظاركم فانظروا وتفكروا من غير هوى ولا عصبية في جوانب ذلك كله، واستخرجوا منه - ولن تستطيعوا - ما يقيم عوج دعواكم، وإفك أباطيلكم، ولكنكم علمتم أن محمدا ﷺ معصوم بعصمة الله عز وجل الذي أرسله ليقوض بنيان الكفر والنفاق)[2]

قال آخر[3]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن ثمة فرقا واضحا بين صور الوحي الذي كان يتلقاه النبي ﷺ وبين أعراض مرض الصرع الذي زعمه هؤلاء المستشرقون، فمن أعراض مرض الصرع، (أن يرى المريض شبحا، ويسمع صوتا، أو يشم رائحة، ويعقب ذلك وقوع المريض صارخا على الأرض، وفاقدا وعيه ثم تتملكه رعدة تشنجية، تتصلب فيها العضلات، وقد يتوقف فيها التنفس مؤقتا، ويعقب النوبة خور في القوى، واستغراق في النوم يصحو منه المريض خالي الذهن من تذكر ما حدث له)[4]

قال آخر[5]: والثابت علميا أن المصروع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلا تاما، فلا يدري أثناء نوبته ما يدور حوله، ولا يجيش في نفسه ويغيب عن صوابه، وتعتريه تشنجات تتوقف فيها حركة الشعور عنده، ويصبح المريض بلا إحساس، وأبرز سمة عنده تكون النسيان، ولكن الرسول ﷺ لم يكن يظهر عليه شيء من ذلك، حيث كان يبقى في تمام وعيه قبل وخلال وبعد حالة الوحي، فكان يفصم عنه وقد وعى كل ما قاله له جبريل عليه

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ١٤/ ٣٤.

(٢) الرد على شبهات عصمة النبي ﷺ (١/ ٤٣٦)

(٣) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ١٩٠.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ليوسف إلياس سركيس (حرف الصاد)، مادة صرع؛ نقلا من الرد على شبهات عصمة النبي ﷺ.

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص١٠٣.

السلام من آيات بينات وتشريعات محكمات وعظات بليغات وأخلاق عظيمة، وكلام بلغ الغاية القصوى في الفصاحة والبلاغة والإعجاز حتى طأطأ لإعجازه أقدر الناس فصاحة وبلاغة فرادا أو مجتمعين وفي كل الأزمان.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد أثبتت وسائل الطب الحديث والأجهزة المتقدمة في التشخيص والعلاج أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسولوجية عضوية في المخ، حيث أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي، كما أثبت الطب الحديث أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة لنوبات الصرع وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية، وتبعا لطريقة انتشارها وسرعته.

قال آخر[2]: وأهم نوبات الصرع، النوبات الصرعية النفسية، وفي هذه الحالة من نوبات الصرع تمر بذهن المريض ذكريات قديمة، وأحلام مرئية أو سمعية أو الاثنان معا، وتسمى (بالهلاوس)وهذه الذكريات يكون قد عاشها المريض نفسه، ثم احتفظ بها في مخه في ثناياه، استدعتها للخروج من مكانها الحالة الصرعية التي انتابته، وقد أمكن طبيا إجراء عملية التنبيه لها بواسطة تيار كهربائي صناعي سلط على جزء خاص في المخ فشعر المريض بنفس (الهلاوس)التي تنتابه في أثناء نوبة الصرع.

قال آخر[3]: وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي ﷺ، نجده يردد آيات لم يسمعها من قبل في حياته أخبره بها الله عز وجل، ولما كانت هذه الأحاديث والآيات والأحوال لم تمر به ﷺ من قبل، فهي إذا لم تختزن بالتالي في مخه لتثيرها وتخرجها نوبات صرعية فيتذكرها وينطق بها، فيظهر جليا أن ما كان يعزي رسول

---

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص١٠٣.

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص١٠٤.

(3) المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص١٠٥.

الله ﷺ هي حالة نفسية وجسدية لتلقي وحي الله سبحانه.

قال آخر[1]: ولذلك؛ فإن هناك فرقا شاسعا بين الحالتين: حالة الصرع التي تنتاب المصروعين، وحالة الوحي التي تعزي الأنبياء عليهم السلام، ولا شك أن الطعن في الوحي الذي نزل على محمد ﷺ طعن في كل ما نزل على أنبياء الله من قبل.

قال آخر[2]: ونفس الأمر يقال في شبهة كون الوحي ناتجا عن مرض الهستريا الذي يعتبر مرضا عصبيا عضالا، ومن أعراضه شذوذ في الخلق، وضيق في التنفس إلى حد الاختناق، ويظهر عليه ضيق في الصدر واضطراب في الهضم، وقد تصحب هذه الأعراض كذلك بحركة واضطراب في اليدين والرجلين إلى حد الشلل في بعض الأعضاء؛ فإذا تابع المرض تقدمه جاء دور التشنج فيسبقه بكاء وعويل، وكرب عظيم وهذيان، ينتهي إلى حد الإغماء، فإذا تجاوز هذه المرحلة فإن المريض يرى أشباحا تهدده وتسخر منه، وأعداء تحاربه، ويسمع أصواتا لا وجود لها في الحس والواقع.. وفي هذا الدور يقع المريض بحركة مضطربة، وقفز من مكان لمكان على صورة تلقي الذعر في قلب كل من يراه.. قال آخر: وهذا الوصف لأعراض هذا المرض لم يكن يظهر منه شيء على رسول الله ﷺ الذي كان يتمتع بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء بصحة جيدة، وعقل رصين، ونفس هادئة، وخلق كريم، وحركات متزنة، ويشهد لصحته وقوته صرعه ركانة بن عبد يزيد، الذي كان أقوى عصره [3]، ويشهد لرجاحة عقله وسلامته فصله في خصومة قريش في شرف وضع الحجر الأسود في مكانه [4]، والطب لم يخرج لنا مريضا واحدا مصابا بمثل هذا المرض وقال كلاما معقولا وآراء راجحة.

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص١٠٦.

(٢) انظر القرآن والمستشرقون، رابح جمعة (٢٧)، ومناهل العرفان للزرقاني (١/ ٧٤)

(٣) الاستيعاب في تمييز الأصحاب (١/ ٥١٥، ٥١٦)

(٤) السيرة النبوية للذهبي (٣٣: ٣٢)

قال آخر: فإذا كان هذا هو الثابت علميا فهو بخلاف أمر رسول الله ﷺ، فلا يظهر عليه شيء مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحي عليه، بل يظل في تمام وعيه، وكامل قوته العقلية، قبل وأثناء وبعد الوحي، كما قال ﷺ، لما سئل: كيف يأتيك الوحي؟ قال: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه علي، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال)[1]

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد عاش رسول الله ﷺ طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام، بل كان ﷺ بشهادة القرآن والسنة والتاريخ، وديعا صبورا حليما، بل كان عظيم الصبر، واسع الحلم والصدر حتى أنه ﷺ وسع الناس جميعا ببسطه وخلقه.. فهل يتفق هذا المرض وما هو معروف عن النبي ﷺ من أنه كان أمة وحده، في أخلاقه، وثباته، وحلمه، وسلامة جسمه وقوة بنائه؟.

قال آخر[3]: ثم ما رأي هؤلاء الطاعنين ـ وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان ـ في أنهم لا ينالون من نبوة وعصمة رسول الله ﷺ وحده؛ وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف، أوحي بها من عند الله سبحانه.. فهل تطيب نفوس المقرين بالأديان منهم أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم؟

قال آخر[4]: فما رأيهم فيما جاء في كتب العهد القديم والجديد، من إيحاءات ونبوءات؟.. وهل يقولون في وحى نبي الله موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ ما يقولون في وحى نبينا محمد رسول الله ﷺ؟

(١) البخاري (٢)

(٢) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ١٩١.

(٣) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ١٩١.

(٤) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ١٩١.

قال آخر: بالإضافة إلى هذا؛ فإن الصرع كان مرضا معروفا لعرب الجاهلية، ولم يكن ليغيب عنهم كون رسول الله ﷺ مصابا به لو كان حقا، إذ لو كان مصابا بمثل هذا لأخذ عليه المشركون مثل هذا، والدليل على هذا رواية المرأة السوداء الشهيرة؛ فعن عطاء قال: قال لي ابن عبّاس: ألا أريك امرأة من أهل الجنّة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السّوداء أتت النّبيّ ﷺ فقالت: إنّي أصرع وإنّي أتكشّف فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت ولك الجنّة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت: أصبر فقالت: إنّي أتكشّف فادع الله لي أن لا أتكشّف، فدعا لها[1].

قال آخر: فهذا وغيره دليل على كون الصرع كان مرضا معروفا للعرب الجاهليين، ولم يكن يخفي عليهم إصابة الرسول ﷺ به لو كان كذلك خاصة مع وجود العديد من الصحابة ثاقبي النظر المعروفين بالفراسة، ودقة النظر.

قال آخر: فلو كان النبي ﷺ مصابا بمرض الصرع، لذكر ذلك أصحابه الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا نقلوها عنه، أو ذكره أعداؤه في ذلك العصر، وهم الذين كانوا يتربصون بالنبي ﷺ الدوائر، ويودون أن يظفروا منه ولو بشيء يسير يعيرونه به.

٤. التشكيك والحفظ:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول حفظ القرآن الكريم.

قال أحد المشككين: هي كثيرة جدا، ولا يسعنا في هذا المقام ذكرها، ولا الرد على تفاصيلها[2]، ذلك أن كل بنيانها ينهد بما نراه في الواقع من كون مصاحف المسلمين مهما

(١) البخاري (٥٣٢٨)، مسلم (٢٥٧٦)

(٢) اكتفينا هنا بالإشارة للموضوع، بذكر بعض النماذج، لأنه سبق ذكره بتفصيل في الجزء الأول والثالث من هذه السلسلة.

اختلفت ديارهم ومذاهبهم وطوائفهم واحدة، وهو الدليل الواقعي الذي لا يمكن لأحد جحوده.

قال آخر: وهكذا عندما يسمعون قراء القرآن الكريم وحفظته، ومن جميع الأقطار الإسلامية، يجدون قرآنا واحدا، لا يزيد في أي محل أو ينقص.

قال آخر: وهكذا لو راجعوا كل المصاحف القديمة، أو التفاسير التي فسرت القرآن الكريم، ومن كل المذاهب؛ فلن يجدوا إلا مصحفا واحدا هو هذا الذي لا يزال بين المسلمين.

قال آخر: وبخلاف ذلك نرى الكتب المقدسة للمسيحيين واليهود، وكيف حصل الخلاف الشديد بين طوائفها، بل وجد فيها ما يدل على تحريفها وتبديلها، وهو ما لم يستطيعوا إثباته في القرآن الكريم.

قال آخر: ولذلك تركوا كل هذه الأدلة، وراحوا إلى أحاديث آحاد، يؤولونها كما يشتهون، ليخدموا بذلك غرضهم الذي انطلقوا منه، لا الحقيقة التي كان عليهم أن يصرحوا بها.

قال أحد الحضور: فهلا ذكرتم لنا أمثلة على تلك الشبهات، لنرى حقيقتها، ونرى كذلك وجه الرد عليها.

قال أحد المشككين: سنذكر لكم مثلين عنها، لتروا مدى تهافتها وضعفها، وعدم قدرتها على المس بالقرآن الكريم، ذلك الذي تعهد الله بحفظه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهي الآية التي لا نجد لها نظيرا في كل الكتب المقدسة، والتي وكل الحفظ فيها لأهلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ

اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فاذكروا لنا المثال الأول.

قال أحد المشككين[١]: المثال الأول دعواهم أن القرآن الكريم قد زيد فيه ما ليس منه، واستدلوا على ذلك بما ورد أن عبد الله ابن مسعود أنه كان لا يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه.. وفي رواية كان يحك المعوذتين من مصحفه ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما، ويقول: (إنهما ليست من كتاب الله)[٢].

قال آخر: والرد على هذه الشبهة من وجوه كثيرة.. أولها أن هاتين السورتين مما نقل من القرآن الكريم بالتواتر، وهو ما لا يمكن رده بالآحاد، بالإضافة إلى أن الكثير من القراء الذين يسندون في قراءتهم لابن مسعود، يعتبرونها من القرآن الكريم، ولو كان ابن مسعود لا يراها كذلك، لما رووها عنه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك القارئ المعروف صاحب أكثر القراءت القرآنية انتشارا، عاصم بن أبي النجود، فمن جملة أسانيده في قراءته روايته عن زر بن حبيش عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ، ومن ضمن ما تلقوه عنه، المعوذتان والفاتحة [٣].

قال آخر: ومثله حمزة بن حبيب الزيات، أحد القراء السبعة الذي أخذ القراءة عرضا عن سليمان الأعمش الذي كان يجود حرف ابن مسعود، والذي أخذه عن رسول الله ﷺ، وفيه المعوذتان والفاتحة [٤].

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١/ ٤٠٨.

(٢) انظر مقدمة القرآن، واط ص ٤٦.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٤٧-٣٤٨.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٦١-٢٦٢.

قال آخر: ومثله أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الذي تلقى قراءة القرآن عن حمزة بسنده إلى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ وفيه المعوذتان والفاتحة [1].

قال آخر: ومثله أبو محمد خلف بن هشام أبو محمد الأسدي البزار البغدادي أحد القراء العشرة والروايات عن سليم بن حمزة الذي تنتهي قراءته إلى ابن مسعود إلى رسول الله ﷺ وفيه المعوذتان والفاتحة [2].

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنهما من القرآن الكريم الذي نزل عليه، وكان يقرأ بهما في الصلاة؛ فعن عقبة بن عامر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أنزل علي آيات لم ير مثلهن قط المعوذتين)[3]

قال آخر: ومثله ما روي عنه، قال: بينا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال: ألا تركب يا عقبة؟ فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركب رسول الله ﷺ، ثم قال: ألا تركب يا عقبة؟ فأشفقت أن يكون معصية، فنزل وركبت هنيهة، ونزلت وركب رسول الله ﷺ، ثم قال: ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس فأقرأني ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فأقيمت الصلاة، فتقدم فقرأ بهما، ثم مر بي فقال: كيف رأيت يا عقبة بن عامر؟ اقرأ بهما كلما نمت وقمت [4].. وفي رواية: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين، قال: فأمنا بهما رسول الله ﷺ في صلاة الفجر.

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن أبى العلاء قال: قال رجل: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، والناس يعتقبون، وفى الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله ﷺ ونزلتي فلحقني من بعدى فضرب منكبي فقال: قل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقلت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥٣٥ ـ ٥٤٠.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٧٣.

(٣) مسلم (٨١٤)

(٤)النسائي ٨/ ٢٥٢، وابن خزيمة في صحيحه (٥٣٥) والحاكم في مستدركه ١/ ٣٦٦.

فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه ثمّ قال: قل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه قال: (إذا أنت صلّيت فاقرأ بهما)[1]

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن زر قال: سألت أبيّ بن كعب قلت: يا أبا المنذر؛ إنّ أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال أبيٌّ: سألت رسول الله ﷺ فقال لي: قيل لي فقلت قال: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [2].. وفي لفظ عن زرّ بن حبيش قال: قلت لأبيّ بن كعب: إنّ ابن مسعود كان لا يكتب المعوّذتين في مصحفه، فقال: أشهد أنّ رسول الله ﷺ أخبرني أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فقلتها، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي ﷺ [3].

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن إبراهيم النخعي قال: قلت للأسود: من القرآن هما؟ قال: نعم، يعني المعوذتين [4].

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه إن صح ما روي عن ابن مسعود من عدم كتابتهما في المصحف؛ فإن ذلك لا يعني عدم اعتبارهما من القرآن الكريم، وقد قال ابن حجر في ذلك: وقد تأول القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب (الانتصار)وتبعه عياض وغيره ما حكي عن ابن مسعود فقال: لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن، وإنما أنكر إثباتهما في المصحف، فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئا إلا إن كان النبي ﷺ أذن في كتابته فيه، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك، قال: فهذا تأويل منه، وليس جحدا لكونهما قرآنا)[5]

قال آخر: ومثله قال ابن قتيبة: (وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه، فليس لظنه أنها ليست من القرآن ـ معاذ الله ـ ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة

(١) أحمد ٥/ ٢٤، والنسائي في الكبرى (٧٨٥٩)

(٢) البخاري (٤٩٧٧)

(٣) أحمد ٥/ ١٢٩.

(٤) ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٤٦.

(٥) فتح الباري لابن حجر ٨/ ٦١٥.

الشك والنسيان والزيادة والنقصان.. ومعنى هذا أن عدم كتابة ابن مسعود للفاتحة في مصحفه كان سببه وضوح أنها من القرآن وعدم الخوف عليها من الشك والنسيان والزيادة والنقصان)[1]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن جميع المسلمين يرددون ما قال الزرقاني في هذا: (إننا إن سلمنا أن ابن مسعود أنكر المعوذتين وأنكر الفاتحة؛ بل أنكر القرآن كله فإن إنكاره هذا لا يضرنا في شيء؛ لأن هذا الإنكار لا ينقض تواتر القرآن، ولا يرفع العلم القاطع بثبوته القائم على التواتر، ولم يقل أحد في الدنيا إن من شرط التواتر والعلم اليقيني المبني عليه ألا يخالف فيه مخالف وإلا لأمكن من هدم كل تواتر، وإبطال كل علم قام عليه بمجرد أن يخالف فيه مخالف ولو لم يكن في العير ولا في النفير، [2]

قال آخر: وقال البزار: (وهذا الكلام لم يتابع عبد الله عليه أحدٌ من أصحاب النّبيّ ﷺ، وقد صحّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قرأ بهما في الصّلاة وأثبتتا في المصحف)[3]

قال آخر: ولا شكّ أن إجماع الصحابة على قرآنيتهما كاف في الردّ على هذا الطعن، ولا يضرّ ذلك الإجماع مخالفة ابن مسعود في حال صحته، فإنه لا يعقل تصويب رأي ابن مسعود وتخطئة الصحابة كلهم؛ بل الأمة كلها [4].

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فاذكروا لنا المثال الثاني.

قال أحد المشككين: المثال الثاني دعواهم أن القرآن نقص منه بعض السور مستدلين على ذلك بكتابة بعض الصحابة كأبي بن كعب بعض السور، ولم تكتب في القرآن الحالي،

---

(١) مناهل العرفان ١/ ١٩٢.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ١٩٢، وانظر روح المعاني ٣٠/ ٢٧٩، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ٣/ ٣٣.

(٣) مسند البزار ١/ ٢٦٨.

(٤) كتاب جمع القرآن ١/ ١٧٦.

ويقصدون بذلك ما يطلقون عليه [سورتي الخلع والحفد][1]

قال آخر: وهم يريدون بسورة الخلع الدعاء المعروف: (اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونثني عليك الخير.. نشكرك ولا نكفرك.. ونؤمن بك ونخضع لك.. ونتوكل عليك، ونخلع ونترك من يفجرك).. ويقصدون بسورة الحفد هذا الدعاء: (اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخاف عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق)[2]

قال آخر: وأول الردود الواضحة على هذا الادعاء هو كون هذا الدعاء مع ترديد المؤمنين بفرقهم المختلفة له، لم يوضع في المصاحف، ولم يزعم أحد أنه قرآن نزل مثلما ينزل القرآن.

قال آخر: أما كونه وحيا أوحي به إلى رسول الله ﷺ؛ فالقرآن الكريم يذكر أن كل أقوال رسول الله ﷺ بل كل أفعاله أيضا مبنية على الوحي الإلهي، كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢ ـ ٤].. لكن لا يعتبر من القرآن الكريم منه إلا ما نزل بتلك الهيئة الخاصة، والتي تواتر نقلها.

قال آخر: وقد قال بعض العلماء في ذلك في ذلك: (لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا في أصله، وأجزائه، وأما محل وضعه وترتيبه فكذلك عند المحققين، للقطع بأن العادة تقضي بالتواتر في تفاصيل مثله؛ لأن هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم، والصراط المستقيم مما تتوفر الدواعي على نقل جمله وتفاصيله، في نقل آحادا ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن قطعا.. وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر ص ٢.

(٢) تحفة الوفد بما ورد في سورتي الخلع والحفد ١/ ٢ بحث لأبي يعلى البيضاوي.

في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله، وليس بشرط في محل وضعه وترتيبه؛ بل يكثر فيها نقل الآحاد)[1]

قال آخر: وقال آخر يذكر ذينك الدعائين: (إن كلام القنوت المروي أن أبي بن كعب أثبته في مصحفه لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل؛ بل هو ضرب من الدعاء، وأنه لو كان قرآنا لنقل إلينا نقل القرآن وحصل العلم بصحته.. ولم يصح ذلك عنه؛ إنما روي عنه أنه أثبته في مصحفه، وقد أثبت في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل، وهذا الدعاء هو القنوت الذي أخذ به السادة الحنفية، وبعضهم ذكر أن أبيا كتبه في مصحفه وسماه سورة الخلع والحفد؛ لورود مادة هاتين الكلمتين فيه، وقد عرفت توجيه ذلك)[2]

قال آخر: وقال آخر: (والخلاصة أن بعض الصحابة الذين كانوا يكتبون القرآن لأنفسهم في مصحف أو مصاحف خاصة بهم ربما كتبوا فيها ما ليس بقرآن مما يكون تأويلا لبعض ما غمض عليهم من معاني القرآن، أو مما يكون دعاء يجري مجرى أدعية القرآن في أنه يصح الإتيان به في الصلاة عند القنوت أو نحو ذلك، وهم يعلمون أن ذلك كله ليس بقرآن ولكن ندرة أدوات الكتابة وكونهم يكتبون القرآن لأنفسهم وحدهم دون غيرهم هون عليهم ذلك؛ لأنهم أمنوا على أنفسهم اللبس واشتباه القرآن بغيره؛ فظن بعض قصار النظر أن كل ما كتبوه فيها إنما كتبوه على أنه قرآن مع أن الحقيقة ليست كذلك؛ إنما هي ما علمت، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ أتى عليه حين من الدهر نهى عن كتابة غير القرآن؛ إذ يقول فيما يرويه مسلم: لا تكتبوا عني ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه، وذلك كله مخافة اللبس والخلط والاشتباه في القرآن الكريم)[3]

---

(١) الإتقان للسيوطي ١/ ٢٠٨ـ٢٠٩.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ١٨٨، المدخل على دراسة القرآن الكريم (٢٦٠)

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ١٨٨.

قال آخر: وما ورد من الأحاديث عن الصحابة باعتبارها سورا؛ فهم لا يريدون بها السور القرآنية المعروفة، بدليل الأحاديث التي تفسر ذلك، ومنها ما روي عن خالد بن أبي عمران قال: بينا رسول الله ﷺ يدعو على مضر، إذ جاءه جبريل، فأومأ إليه أن اسكت، فسكت، فقال: يا محمد، إن الله لم يبعثك سبابا، ولا لعّانا، وإنما بعثك رحمة، ولم يبعثك عذابا، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ثم علمه هذا القنوت: (اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك، ونؤمن بك، ونخضع لك، ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد)[١]

قال آخر: ويدل لذلك أيضا الروايات الصحيحة المنسوبة إلى أبي بن كعب كما ذكر ذلك عنه أبو الحسن الأشعري حيث قال: (قد رأيت أنا مصحف أنس بالبصرة عند قوم من ولده، فوجدته مساويا لمصحف الجماعة، وكان ولد أنس يروي أنه خط أنس وإملاء أبي)[٢]

قال آخر: ويؤكد هذا كله ما بلغنا من القراء الذين أخذوا القرآن بسندهم إليه، فلم يكن من بين ما تلقوه عنه هاتان السورتان المزعومتان.. فمن هؤلاء القراء نافع بن أبي نعيم المدني من طريق الأعرج عن أبي هريرة عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ ولم يكن فيما تلقاه هاتان السورتان[٣].

قال آخر: ومنها رواية عاصم بن أبي النجود التي أخذها عن زر بن حبيش عن أبي عبد الرحمن السلمي والتي أخذها عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، ولم يكن فيها هاتان السورتان[٤].

(١) أبو داود في كتاب المراسيل ١/ ٨٢، السنن الكبرى ٢/ ٢١٠.

(٢) نكت الأنصار لنقل القرآن الباقلاني ص ٨١.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣١.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥٣٥ ـ ٥٤٠.

قال آخر: ومنها رواية أبي الحسن علي بن حمزة الذي تلقى القراءة عن طريق إسماعيل ويعقوب ابني جعفر قراءة نافع والذي بدوره أخذ قراءة أبي بالسند السابق، ولم يكن فيها هاتان السورتان [١].

قال آخر: ومنها رواية خلاد أبو عيسى خالد الشيباني بالولاء الذي تلقى قراءة عاصم والتي سندها يتصل إلى أبي بن كعب بالسند السابق، ولم يكن فيها هاتان السورتان[٢].

قال آخر: فهؤلاء القراء كلهم وغيرهم قد تلقوا القراءة عن أبي بن كعب ولم يكن فيما تلقوه هاتان السورتان المزعومتان مما يدل على عدم ثبوت ذلك عنه.

قال آخر: ويؤكد هذا أن القرآن الكريم قد انتشر واشتهر وثبت تدوينه وحددت سوره، ولم تكن هاتان السورتان المزعومتان فيه[٣].

٥. التشكيك والتناقض:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول ما يزعمونه من التناقض بين آيات القرآن الكريم.

قال أحد المشككين: لقد ردد المستشرقون نفس ما ردده من قبلهم كل المنكرين والحاقدين على القرآن الكريم، والذين لم ينطلقوا من البحث العلمي، وإنما من الهوى المجرد، وأولهم قوم رسول الله ﷺ من المشركين، أو اليهود، أو النصارى، أو غيرهم من الذين لم يتدبروا بصدق قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥٣٥.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٧٤.

(٣) انظر حاشية كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٧، ونكت الأنصار لنقل القرآن ص ٨٠.

قال آخر: ولذلك توهموا أن في القرآن الكريم تعارضا وتناقضا واختلافا كثيرا، وبدل أن يسألوا الراسخين في العلم، أو يبحثوا في أسرار ما تعارض في أذهانهم راحوا يتهمون القرآن الكريم بذلك.

قال آخر: بل إنهم لو أعملوا عقولهم، لوجدوا أنه ليس كل ما بدا متناقضا أو متعارضا هو كذلك، وقد سئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فأجاب بقوله: (الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن؛ يقال هذا كلام مختلف.. أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلف؛ أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو هو مختلف النظم؛ فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه وكلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات؛ فإنه على منهاج واحد في النظم، مناسب أوله آخره، وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغث والسمين، ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات؛ إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النظم، ثم اختلاف في درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين، فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة؛ لأن الشعراء والفصحاء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجبن فيسمونه حزما وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صراحة وتارة يذمونها ويسمونها تهورا، ولا ينفك كلام آدمي

عن هذه الاختلافات؛ لأن منشأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض واختلاف الأحوال، والإنسان تختلف أحواله، فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ويتعذر عليه عند الانقباض، ولذلك تختلف أغراضه، فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافا في كلامه بالضرورة فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن، فيتكلم على غرض واحد، وعلى منهج واحد ولقد كان رسول الله ﷺ بشرا تختلف أحواله، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير، فأما اختلاف الناس فهو تباين في آراء الناس لا في نفس القرآن، وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُّ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير مختلف وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق في الضلال والهدى، فلو لم يختلف فيه لكانت أمثال هذه الآيات خلفا، وهي أشد أنواع الاختلاف)[1]

قال آخر: وبناء على هذا سنحدثكم عن نماذج من الإشكالات والتشكيكات المتعلقة بالتناقض والتعارض والاختلاف بين آيات القرآن الكريم، والتي عبر عنها جولد تسيهر بقوله: (من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقديا موحدا متجانسا وخاليا من المتناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرا، إلا آثار عامة نجد فيها ـ إذا بحثناها في تفاصيلها ـ أحيانا تعاليما متناقضة)[2].. وهو يردد بذلك نفس ما ذكره المشركون واليهود وكل المعارضين للنبوة بسبب عدم إعمال عقولهم في التدبر والتأمل لرؤية الحقائق

(١) البرهان للزركشي (٢/ ٥٤ـ٥٦.

(٢) نمو العقيدة الإسلامية وتطورها، لجولدتسيهر، عن كتاب الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، لشوقي أبوخليل (ص٦٤.

بوضوح وصفاء.

قال آخر: وسنذكر لكم ثلاثة نماذج مختصرة عن تلك الشبهات مع الردود المختصرة عليها، لتعرفوا المنهج الذي يفكر به المشككون، وتعرفوا كذلك المنهج الذي تستعملونه في الرد على أشباهها ونظائرها.

النموذج الأول:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النموذج الأول من الشبهات والتشكيكات، والردود عليها.

قال أحد المشككين: النموذج الأول ما ورد في رسالتين تطعنان في القرآن الكريم.. الأولى في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، وموقعة باسم الأسقف العام، ورئيس المجلس، والنائب العام البابوي تيموثاوس.. والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعه باسم [المدعون العامون في محكمة الحقيقة]، وقد رد عليهما بعض العلماء، وهو عبد الجليل شلبي في كتابه [رد مفتريات على الإسلام](1)، كما رد عليها غيره من السابقين واللاحقين، لأن أكثر تلك الشبهات مكررة ومقتبسة من غيرها.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].. فقد توهموا أن في الآية الأولى طلب من رسول الله ﷺ التبديل

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٦٧ ـ ٧٧.

فرفض، وأن الآية الثانية تذكر أنه قد تم التبديل فعلا [1].

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك بأن التبديل في الآية الأولى كان بطلب من الكفار لرسوله ﷺ أن يأتي بقرآن جديد، أو يبدل القرآن، ولهذا أمر الله تعالى رسوله أن يخبرهم عن عدم قدرته على ذلك؛ لأن القرآن الكريم كلام الله، ورسول الله ﷺ يتبع ما أوحي إليه.. أما الآية الثانية؛ فتذكر إشكالات الكفار المرتبطة بالاختلاف بين الأديان في الشرائع؛ حيث استغربوا ذلك؛ فالله تعالى رد عليهم بأن ذلك من الله تعالى، لأنه يشرع لعباده بحسب ظروفهم وأحوالهم وحاجاتهم، والتي تختلف من عصر إلى عصر.. فأي تناقض بين الآيتين؟.. فكلتاهما تثبت أن القرآن من عند الله، وأن محمدا ﷺ لا يستطيع أن يغير منه شيئا.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].. فالآية الثانية تخبر أن كلمات الله لا تبدل، والأولى تخبر أنها تنسخ وتنسى، والنسخ نوع تبديل[3].

قال آخر: وقد أجيب على ذلك، بأن الآية الأولى تتحدث عن نسخ الأحكام وتغيير الشرائع بحسب الأديان، وهذا أمر لا بد منه، لأن ظروف وأحوال كل أمة تختلف عن غيرها.. والآية الثانية تذكر أنه لا أحد غير الله يستطيع أن يبدل كلماته، أو يرد حكما أنزله سبحانه.. والطاعنون لم يفهموا النص فظنوه تناقضا، وكلتا الآيتين توضح أن الله وحده يمحو ما يشاء ويثبت، تماما كالآية السابقة.

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٢) رد مفتريات على الإسلام، ص٦٧.

(٣) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فقد تعجبوا من كيفية جمع الحفظ مع المحو[1]؟

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك، بأن الآية الأولى تصف القرآن أنه تنزيل من الله تعالى، وأن الله حافظه من الزوال والتحريف، وصدق الله وصدق قرآنه، فالمسلمون بعد أربعة عشر قرنا يقرؤون القرآن غضا طريا صريحا صحيحا كما أنزله الله تعالى، وكما قرأه رسول الله ﷺ.. وأما الآية الثانية، فتذكر أن الله يمحو أحكاما ويثبت أخرى، ويمحو مقادير ويثبت غيرها..وليس في هذا أي تعارض.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، فألف سنة في الآية الأولى ـ كما توهموا ـ تناقض خمسين ألف سنة في الآية الأخرى[3].

قال آخر[4]: وقد أجيب على ذلك، بأن الآية الأولى تصف يوم القيامة بالطول، وأنه في طوله يعدل ألف سنة مما يعدل الناس، ولا يراد منها إفادة التكثير، كما تقول لصاحبك كتبت لك خمسين خطابا، وترددت على بيتك عشرين مرة، واللغويون يقولون دائما: العدد لا مفهوم له.. ولذلك؛ فإنه إذا وصفت الآية الثانية هذا اليوم بأن مقداره خمسين ألف سنة فلا تناقض لأن كلا منهما تصفه بالطول.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن اليوم يختلف مع الناس باختلاف مواقفهم وما

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٢) رد مفتريات على الإسلام، ص٦٨.

(٣) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٤) رد مفتريات على الإسلام، ص٦٩.

يعانيه كل منهم، فقد يطول اليوم على شخص لشدة مشقته، ويقصر على آخر لعدم المشقة.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآيتين ليستا على مورد واحد، بل الأولى تتحدث عن أمر لا تتحدث عنه الأخرى.. فالآية الأولى تتحدث عن مدة يوم معراج الأوامر ومدته ألف سنة، والثانية تتحدث عن يوم القيامة ومدته خمسين ألف سنة، كما هو ظاهر من السياق، قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١ ـ ١٠]

قال آخر: ويؤكد ذلك قول رسول الله ﷺ: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)[2]

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ ـ ٢]، وقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣]؛ فقد توهموا التناقض بين ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ثم أقسم به[3].

قال آخر[4]: وقد أجيب على ذلك، بأن (لا) في (لا أقسم) ليست نافية، وإنما أتت توكيدا وهذا شائع في اللغة، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، أي أقسم

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٠.

(٢) مسلم، رقم:٩٨٧.

(٣) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٤) رد مفتريات على الإسلام، ص٦٩.

بربك أنهم كذلك.

قال آخر[1]: وقد جاء الشعر العربي القديم بذلك، ومن أمثلته قول النابغة:

فلا وحق الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد

وقول الآخر:

فلا والله لا يلقى لمابي ولا لما بهم أبدا دواء

وقول طرفه:

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

قال آخر: وقد قال علماء اللغة في ذلك: (إن هذا القسم يفيد تعظيم المقسوم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦]، وقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١ ـ ٢]، فهذه كلها أقسام، وليس هذا من دقائق اللغة وإنما هو من أولياتها، ولكنهم للأسف لا يبحثون ولا يعلمون.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه إذا اعتبرت (لا) نافيه والجملة خبرية فهي مقيدة؛ أي لا أقسم به وأنت حل به، ولكن أقسم به وأنت غير حل به، وبذلك لا يحصل التناقض أيضا.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقوله: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٦٩.

[يونس: ٣][1]

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك بأن الآيات الثلاث تذكر أن الله وحده هو المتصرف في خلقه، ولا يشفع عنده إلا من أذن له، فله وحده الشفاعة، لا شفيع من دونه، ولا بغير إذنه.. فأي تناقض بين هذه الآيات؟.. أليست الشفاعة في هذا كله لله وحده؟

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد نفى الله تعالى الشفاعة الشركية التي يعتقدها المشركون في معبوداتهم، وأثبتها له وحد، ولمن يأذن له فيها، فهو سبحانه ينفيها في حال ويثبتها في حال آخر.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣ ـ ١٤]، وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠][4]

قال آخر: وقد أجيب على ذلك ـ كما هو واضح ـ بأن الآية الأولى تتحدث عن السابقين المقربين، والثانية تتحدث عن أصحاب اليمين، قال تعالى في الأولين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٤]، وقال في الآخرين: ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٨ ـ ٤٠]

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٥ ـ ٨٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٢) رد مفتريات على الإسلام، ص٧١.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٣.

(٤) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، لأن الآية الأولى أمرت بالصفح، والثانية أمرت بالغلظة [1].

قال آخر: وقد أجيب على ذلك بأن الصفح لا يتناقض مع العنف والشدة، لأن لكليهما أهله.. بالإضافة إلى أن لكل منهما محله الخاص به؛ فالأولى مرتبطة بالمستضعفين، الذين لا يطيقون القتال، ويمثلهم المؤمنون في مكة المكرمة، لأن تلك الآيات نزلت فيها، فالآية الكريمة تقول لهم: (إن الله لم يخلق هذا الكون عبثا يفسد فيه من يفسد ويصلح من يصلح، بل الله جامع الناس بعد ذلك وجاز كلا بما فعل، فلا تحزن يا محمد لمخالفة القوم إياك ومعارضتهم دعوتك، وغدا تقوم الساعة فيجزون بسوئهم وتجزى بإحسانك، فأعرض عنهم حتى يأتي أمر الله)[2]

قال آخر: وأما الثانية؛ فهي في سورة التوبة، وهي مدنية، وتسمى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين والمعتدين، ولذلك دعت إلى جهادهم، لأنه لا يتحقق السلام من دون ذلك.

قال آخر [3]: فأين التناقض في ذلك، والناس جميعا يفعلونه، حيث يقول القائد لجيشه: لا تضربوا.. وبعد مدة يقول: اضربوا.. ويقول المهندس الزراعي لفلاحيه: لا تزرعوا الآن.. وبعد شهر يقول: ازرعوا.. ولكل حكمته الخاصة به.

قال آخر [4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن محل الآية الأولى هو الدعوة، ومحل الثانية الجهاد، فاختلف مورد كل آية، كما أن الوالد في حال نجاح ابنه يفرح ويحسن إليه بهدية، وفي حال رسوبه يغضب ويعاقبه، ولا يقال: إن هذا الوالد متناقض؛ لأنه مرة يفرح ومرة

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٤.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٤.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٤.

يغضب، ففرحه في مجال وغضبه في مجال آخر.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقوله تعالى حكاية عن قول الشيطان: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧] ؛ فقد زعموا أن الآية الأولى تنسب التضليل للبشر، والثانية تنسبه للشيطان.

قال آخر: وقد أجيب على ذلك بأنه ليس من التناقض أن يحصل التضليل من كثيرين، ذلك لأن لكل جهة دورها أو حظها في التضليل.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]؛ فقد زعموا أن الآية الأولى تطلب من النبي ﷺ تحريض المؤمنين وحثهم على القتال، بل والتجلد لقتالهم فإن العشرين الصابرين منهم يقتلون مائتين، والمائة الصابرة يقتلون ألفا من الذين كفروا، بينما الآية الثانية تطلب من النبي ﷺ ألا يطيع الكافرين والمنافقين، وأن يدع أذاهم لا يقابلهم مثله ويكفيه التوكل على الله، فهو حسبه وكفى بالله وكيلا، فكيف يأمره في الأولى لتحريض على قتالهم بهذا الجلد، ويأمره في الثانية بترك آذاهم[1].

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

قال آخر[1]: وقد أجيب على ذلك بأنه ليس هناك أي تعارض، فالكافرون والمنافقون كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بألسنتهم وباختلاق أقوال عليه، فأمره الله بأن يدع أذاهم له، فهو سبحانه وتعالى يتولى رد كيدهم في نحرهم، ودحض افتراءاتهم على رسوله، فكفى بالله وكيلا، فأمره في آية الأحزاب أن لا يقابل اللسان بالسنان، بينما أمره في شأن الكفار المحاربين أن يحرض المؤمنين على قتالهم، والتجلد لهم.. فأمره الله سبحانه في آية الأنفال بمقابلة السنان بالسنان، فالحكمة تقتضي وضع السيف في موضعه واللين في موضعه، فلا تعارض إذن بين الآيتين.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩] ؛ فقد توهموا ما دعت إليه الآية الأولى التي ذكرت أنه ليس على الرسول إلا البلاغ، والآية الثانية التي أمرته بقتال المنافقين وجهادهم[2].

قال آخر[3]: وقد أجيب على ذلك بأنه ليس هناك أي تعارض؛ فالآية الأولى ـ ومثلها كثير جدا ـ تقول لرسول الله ﷺ: (إنك لست مطالبا بإحلال الهداية في نفوسهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وإنما عليك أن تبلغ رسالة الله، فمن آمن بها وأسلم فقد اهتدى، ومن تولى فحسابه على الله، وحسبك أنك بلغت الرسالة، ولست مكلفا بإحلال الهداية)

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٧.

(٢) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٣) رد مفتريات على الإسلام، ص٧٥.

قال آخر[1]: والآية الثانية تتحدث عن الذين يتمنون أن يكفر المسلمون ككفرهم، وقد نهي المسلمون أن يتخذوا منهم أصدقاء حتى يهاجروا في سبيل الله، ولا تعني الهجرة في هذا المقام الانتقال من مكة إلى المدينة؛ إذ السورة مدنية والمنافقين كانوا بالمدينة، ولكن المراد بالهجرة طاعة الله تعالى وترك المحرمات، وهذا من معاني الهجرة، ومن معانيها أيضا الجهاد، وكان جماعة من المنافقين بقيادة عبد الله بن أبي رجعوا قبل المعركة يوم أحد.. والقرآن ينهى المسلمين عن اتخاذهم أصدقاء؛ لأن ذلك تكريم لهم وإطلاع لهم على أسرار المسلمين، ادعوا الإسلام وأعرضوا عن الدفاع عنه، وعاونوا أعداءه.. وليس في هذا إحلال هداية في أنفسهم، وإنما التخلص منهم ومن شرورهم، والناس في كل أمة وفي كل عصر يقتلون الخونة.. فهل هذا تناقض؟

قال آخر[2]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ فَيَسُبُّوا اللهَّ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُّ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤ ـ ٥].. ووجه التناقض ـ فيما يزعمون ـ أن الآية الأولى نهت المسلمين عن سب الأصنام التي يعبدها المشركين، والآية الثانية حثتهم على الجهاد.

قال آخر[3]: وقد أجيب على ذلك بأن الآية الأولى سنت للمسلمين أدبا خلقيا،

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٧٥.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٩.

(٣) رد مفتريات على الإسلام، ص٧٥.

فنهتهم عن شتم الأصنام، وهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن لو سبوها لسب الكفار الله تعالى عدوانا وجهلا؛ لأنهم لم يعرفوه ولم يعرفوا صفاته، وهذا أدب أخلاقي رفيع، بالإضافة إلى أن الشتائم لا جدوى من ورائها، وأن الشتام يحط دائما من قدر نفسه، ولا ينال من قدر من شتمه شيئا.. أما الآية الثانية؛ فهي تبين جانبا من تعاليم الحرب، فتعلم المسلمين أنهم إذا قابلوا الكفار في المعركة فعليهم أن يشتدوا عليهم، فإذا أثخنوهم قتالا وهزموهم كان لهم بعد ذلك أن يمنوا على من يستحق المن، وأن يأخذوا الفدية ممن يستحق أن يفدى.. فليس في الآية إباحة لسب الأصنام، ولكل من الآيتين حكمها.

قال آخر(١): بالإضافة إلى ذلك؛ فإن من توهم ذلك تصور أنه طالما جاء النهي في سورة الأنعام عن سب الأصنام، فمن باب أولى يجب الكف عن قتالهم؛ إذ القتال وضرب الرقاب أعظم من السب، وذلك غير صحيح؛ فعلة النهي عن سب أصنام الكفار في نفس الآية، وهي أن سب آلهتهم يفضى إلى حمل المشركين على سب الله تعالى، فهم أجهل الناس بقدر الله، وليس للنهي في الآية أي علاقة بمراعاة مشاعر المشركين، لكن مشكلتهم هي أنهم نظروا إلى صدر الآية فقط، وتركوا باقيها، فزعموا أن في القرآن آية تنهي عن سب أصنام المشركين لحفظ مشاعرهم، وآية أخرى تأمر بضرب رقابهم، ومن خلال هذا الزعم رموا القرآن بالتناقض.

قال آخر(٢): ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٣٩-٤٠].. فقد توهموا التعارض بين الآية الأولى التي

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٠٠.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٢٩٩.

تأمر بالصبر على الذي يصيب المؤمن من أعدائه، والآية الثانية التي تأمر بالانتصار من الذي يصبيه [1].

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك بأن الآية الأولى مسبوقة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقد روي في سبب نزولها أن المسلمين أرادوا التمثيل بعدد من المشركين، جزاء ما مثلوا بحمزة في يوم أحد، فنهتهم الآية الكريمة عن ذلك، وبينت أن العفو أفضل.. بينما آيات سورة الشورى، تصف المؤمنين بأنهم إذا بغى عليهم أحد انتصروا لأنفسهم، وبينت ـ كما بينت الآية الأولى ـ أن جزاء السيئة يكون بقصاص مماثل، وأن من عفا وأصلح فإن الله تعالى يثيبه.. فالآيتان في مجرى واحد، كلتاهما تفضل العفو، وتقيد العقوبة بالمماثلة.

قال آخر[3]: ذلك أنه لا يتأتى للمسلمين أن يعتدى عليهم، ويقفوا مكتوفي الأيدي، بل عليهم أن ينتصروا لأنفسهم ممن بغى عليهم، ولكنهم مع هذا الانتصار لا يظلمون.

قال آخر[4]: وهو نفس ما نجده في الأناجيل؛ فالمسيح عليه السلام يقول لتلاميذه: (أحسنوا إلى أعدائكم وباركوا لاعنيكم)، ومع هذا تجده يقول لليهود: (يا أولاد الأفاعي، ترون القذاة في أعين الناس ولا ترون الخشبة في أعينكم!)، ويقول: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها)

قال آخر[5]: ومن تلك التشكيكات سوء فهمهم لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]، وتوهمهم أنها تدل على أن رسول الله ﷺ كان على دين قومه ووثنيتهم

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص٣٧.

(٢) رد مفتريات على الإسلام، ص٧٦.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٠١.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٠١.

(٥)رد مفتريات على الإسلام، ص٣٨.

وأخلاقهم.

قال آخر[1]: والجواب على ذلك أن الأمر ليس كذلك؛ بل المقصود من الضلالة في كلمة ﴿ضالا﴾ في الآية ليس نفي الإيمان والتوحيد والطهر والتقوى عن النبي ﷺ، بل بقرينة ما ورد في القرآن الكريم هي تعني نفي العلم بأسرار النبوة، وبأحكام الإسلام، وغيرها من شؤون النبوة، لكنه ﷺ بعد البعثة اهتدى إلى هذه الامور بعون الله تعالى وتوفيقه؛ وبذلك؛ فإن الآية الكريمة تخاطب رسول الله ﷺ، وتقول له: (لم تكن أيها النبي على علم بالنبوة والرسالة، ونحن أنزلنا هذا النور على قلبك لتهدي به الإنسانية)

قال آخر[2]: وهو المعنى الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وواضح أن النبي ﷺ كان فاقدا لهذا الفيض الإلهي قبل وصوله مقام النبوة، فالله سبحانه أخذ بيده وهداه وبلغ به هذا المقام.

قال آخر: وهو المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]؛ فلولا الهداية الإلهية والإمداد الغيبي ما استطاع رسول الله ﷺ أن يهتدي إلى ما أراد الله هدايته إليه.

قال آخر: ويشير إلى هذا المعنى أيضا قوله تعالى ـ عند ذكر الشهادة وسبب استشهاد أكثر من شاهدة واحدة في كتابة عقود الدين ـ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ فالضلالة في هذه الآية تعني (النسيان) بقرينة قوله ﴿فَتُذَكِّرَ﴾

---

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٢٠/ ٢٧٩)

(٢) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٢٠/ ٢٧٩)

قال آخر: ومن المعاني التي قد تفسر بها الآية الكريمة كذلك: (إنك كنت خامل الذكر غير معروف، والله أنعم عليك من المواهب الفريدة مما جعلك معروفا في كل مكان)[1]

قال آخر: ومن تلك المعاني: (إنك تهت وضللت الطريق مرات في عهد الطفولة.. مرة في شعاب مكة حين كنت في حماية عبد المطلب.. ومرة حين كانت حليمة السعدية تأتي بك إلى مكة لتسلمك إلى عبد المطلب فتهت في الطريق.. ومرة حين كنت برفقة عمك أبي طالب ضمن قافلة متجهة إلى الشام؛ فضللت الطريق في ليلة ظلماء.. والله سبحانه هداك في كل هذه المرات وأعادك إلى حضن جدك أو عمك)[2]

قال آخر[3]: ذلك أن كلمة (ضال) تعني (المفقود) وتعني (التائه).. ولذلك نقول: (الحكمة ضالة المؤمن)، والضالة تعني الشيء المفقود.. وهكذا تأتي بمعنى المخفي والغائب، ويدل لذلك قوله تعالى على لسان منكري المعاد: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]، أي إئذا غبنا، واختفينا في بطن الأرض.

قال آخر: وقد قال الراغب في ذلك: (الضلال ترك الطريق المستقيم؛ عمدا كان أو سهوا، قليلا كان أو كثيرا، ويصح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]، أي غير مهتد لما سبق إليك من النبوة، وقال في يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، وقال أولاده:

---

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٢٠/ ٢٨٠)

(٢) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٢٠/ ٢٨٠)

(٣) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٢٠/ ٢٨٠)

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] إشارة إلى شغفه بيوسف عليه السلام وشوقه إليه، وكذلك ﴿قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]، وهو تنبيه أن ذلك منه سهو)[1]

قال آخر[2]: ذلك أن الضلال ضربان؛ ضلال في العلوم النظرية، كالضلال في معرفة الله ووحدانيته، ومعرفة النبوة ونحوهما، المشار إليهما بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].. وضلال في العلوم العملية، كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات، وهذا النوع يعذر فيه الإنسان إذا لم يبلغه.

النموذج الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النموذج الثاني من الشبهات والتشكيكات، والردود عليها.

قال أحد المشككين: النموذج الثاني هو رسالة وزعت على المراكز الإسلامية في أمريكا، موقعة باسم (توني بولدروجوفاك)، وقد أجاب عليها بعض العلماء، وهي مثل غيرها من الشبهات مكررة ومقتبسة من غيرها[3].

---

(١) المفردات، ص٥١٠.

(٢) المفردات، ص٥١٠.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٠٣.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات قولهم: (كيف يمكن اعتبار القرآن قد أوحي إلى محمد، وفي نفس الوقت نجده هو المتكلم في آيات عديدة كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٥ ـ ٧]، وقوله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].. وغيرها من الآيات)

قال آخر [١]: والجواب على ذلك أن القرآن الكريم ما دام قد نزل باللغة العربية، فإنه يستعمل كل أساليبهم التي يعرفونها.. ومنها أن يتحدث المتكلم عن نفسه تارة بضمير المتكلم، وتارة بضمير الغائب، كأن يقول المتكلم: (فعلت كذا وكذا، وذهبت، وآمرك يا فلان أن تفعل كذا)، وتارة يقول عن نفسه أيضا: (إن فلانا ـ يعني نفسه ـ يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا، ويحب منكم أن تفعلوا كذا، كأن يقول أمير أو ملك لشعبه وقومه وهو المتكلم: (إن الأمير يطلب منكم كذا وكذا)، وهو يشير بذلك أن أمره لهم من واقع أنه أمير أو ملك، وهذا أبلغ وأكمل من أن يقول لهم: إنني الملك وآمركم بكذا وكذا، فقوله: إن الملك يأمركم، أكثر بلاغة من قوله: إنني الملك وآمركم.

قال آخر[٢]: ومن هذا الباب الالتفات في الخطاب من الحضور إلى الغيبة والعكس[٣]، كأن يخاطب المخاطب بضميره فيقول: إنك فعلت كذا وكذا، ثم تخاطبه تارة أخرى بضمير الغائب، فتقول له: فعل فلان كذا وكذا وأنت تعنيه، فهذا كذلك أسلوب من

---

(١)معرفة تأويل المتشابه، د. عبد الله أبو السعود، ص٩٣.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٠٥.

(٣)المعجم المفصل في علوم البلاغة، د. أحمد عكاوي (ص٢٠٨)

أساليب البلاغة.. وما نظن إلا أن معظم اللغات تعرف هذا اللون من التعبير، لمقاصد كثيرة؛ كتخفيف العتاب، أو توجيه النظر إلى البعيد، أو استحضار المشهد، أو التعظيم، أو التحقير، ونحو ذلك من مقاصد البلغاء.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القرآن الكريم كتاب تعليم وتوجيه، فقد جاء ليعلم المسلمين ماذا يقولون في صلاتهم، وبماذا يدعون ربهم، فقد أنزل الله سورة (الفاتحة) لتكون دعاء وصلاة للمسلمين يتلونها في كل ركعة، وفيها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٤]، وهذا كلام الله عن نفسه سبحانه، يصف نفسه بهذه الصفات الجليلة العظيمة، ثم يعلم المسلمين أن يقولوا في صلاتهم ودعائهم هذا الدعاء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٥ ـ ٧].. فهذه السورة تعليم وتوجيه من الرب سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين؛ ليصلوا ويدعوا بها في كل ركعة من ركعات صلاتهم.

قال آخر[2]:ومن تلك التشكيكات توهم التعارض في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢]؛ فقد توهموا أن ناتج الجمع هو (٢+٤+٢=٨أيام)..

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٠٥.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٠٧.

وهو من التشكيكات القديمة؛ فقد ذكره ابن النغريلة اليهودي ورد عليه ابن حزم(1).

قال آخر(2): والجواب على ذلك هو أن الأربعة أيام الأولى هي حصيلة جمع اثنين واثنين؛ فقد خلق الله الأرض خلقا أوليا في يومين، ثم جعل فيها الرواسي، وهي الجبال ووضع فيها بركتها من الماء، والزرع، وما ذخره فيها من الأرزاق في يومين آخرين، فكانت أربعة أيام، فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: 10]، هذه الأيام الأربعة هي حصيلة اليومين الأولين ويومين آخرين، فيكون المجموع أربعة، وليست هذه الأربعة هي أربعة أيام مستقلة أخرى زيادة على اليومين الأولين.. ومن هنا تسرب الوهم للسائل.. ثم إن الله خلق السماوات في يومين، فيكون المجموع ستة أيام بجمع أربعة واثنين.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن رسول الله ﷺ لم يكن ليجهل مثلا أن اثنين وأربعة واثنين تساوي ثمانية، وأنه قال في محل آخر من القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: 3]، فهل يتصور عاقل أن من يقدم على تزييف رسالة بهذا الحجم، يمكن أن يخطئ مثل هذا الخطأ، الذي لا يخطئه طفل في السنة الأولى الابتدائية!؟

قال آخر(3): وسبب هذا الوهم هو أن السائل لا يفهم اللغة العربية، ذلك أن العربي الفصيح يمكن أن يقول: (زرت أمريكا فتجولت في ولاية جورجيا في يومين، وأنهيت

---

(1) الرد على ابن النغريلة اليهودي (ص52.

(2) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي (ص284)، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى الأنصاري (ص504)، والرد على ابن النغريلة اليهودي لابن حزم (ص53)، والانتصارات الإسلامية للطوفي (1/ 504).

(3) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص309.

جولتي في ولاية فلوريدا في أربعة أيام، ثم عدت إلى لندن، لا شك أن هذا لم يمكث في أمريكا إلا أربعة أيام فقط، وليس ستة أيام؛ أي يومين في جورجيا ويومين في فلوريدا، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، أي بزيادة يومين عن اليومين الأولين.

قال آخر[١]:ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦] وقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، حيث ورد فيها أن أحد أولاد نوح عليه السلام قد غرق.

قال آخر[٢]: والجواب على ذلك هو أن الاستثناء أسلوب معروف في اللغة العربية، بل غيرها من اللغات أيضا؛ حيث يذكر المتكلم المستثنى منه على وجه العموم، ثم يخرج منهم من أراد إخراجه، ويمكن أن يأتي الاستثناء منفصلا، ويمكن أن يأتي متصلا.

قال آخر: ففي سورة الأنبياء قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقد بين تعالى المراد بأهله في آيات أخرى، وهو من آمن منهم فقط، حيث أخبر تعالى في سورة هود أنه قال لنوح عليه السلام: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، فقد أمره الله تعالى أن يحمل أهله معه إلا من سبق القول من الله بهلاكهم، وقد كان قد سبق في علم الله أن يهلك ابنه مع الهالكين؛ لأنه لم يكن مؤمنا، ولم يكتب الله لأحد النجاة مع نوح عليه السلام إلا أهل الإيمان فقط، وابنه لم يكن مؤمنا.

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣١٠.

(٢) معرفة تأويل المتشابه، (ص٧٩)، وتفسير ابن كثير، ٣/ ١٨٥.

النموذج الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النموذج الثالث من الشبهات والتشكيكات، والردود عليها.

قال أحد المشككين[1]: النموذج الثالث هو محاضرة عن تناقض القرآن الكريم ألقاها محاضر، ولم يذكر اسمه ولا مكان إلقائها وسجلت على شريط صوتي وكتب عليه: (تهادوا تحابوا)، و(الدال على الخير كفاعله)، و(الكلمة الطيبة صدقة) تلبيسا على عوام المسلمين حتى يروج بينهم، ولم يذكر فيه اسمه ولا مكان إلقائها.. وقد ذكر فيه سبعة عشر شبهة، وكلها مقتبسة مما قاله السابقون.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

قال آخر[2]: وقد أجيب على ذلك بأن الآية الأولى تتحدث عن اليهود والنصارى والصابئين قبل بعثة النبي ﷺ، فكل من آمن بنبيه وأطاعه فله الجنة، وأما بعد بعثة النبي ﷺ فقد نسخت شريعته الشرائع ونسخ دينه الأديان، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، وهذا معنى الآية الثانية.

قال آخر: ويؤيد ذلك ما روي عن مجاهد، قال: قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٠.

(٢) الرد على النصراني في مطاعن على القرآن، (ص٤٦)

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢][١]

قال آخر: وقال السدي: إن الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه، فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيا، فأنزل الله هذه الآية، فكان إيمان اليهود: أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى، عليه السلام؛ حتى جاء عيسى؛ فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى، فلم يدعها ولم يتبع عيسى، كان هالكا.. وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتبع محمدا ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكا[٢].

قال آخر: ومن الأحاديث الصريحة في هذا الباب قول رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[٣]

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨-٢٩]، وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]

قال آخر[٤]: والجواب على ذلك يحتمل وجوها كثيرة غير التي فهمها المشككون، وكلها تحتملها اللغة العربية، ومنها أن معنى الآية: (أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها)،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٤)

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٤)

(٣) مسلم، رقم: ١٥٣.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٤.

يعنى (فخرجوا عن طاعة الله).. أو أن (أمرنا) بمعنى (جعلناهم أمراء)، فأضلوا قومهم.

قال آخر: ومنها أن [أمر] في اللغة تأتي بمعنى كثر وظهر، وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: (كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أمر بنو فلان)[1]، ومنه حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل وفيه قال أبو سفيان: (لقد أمر أمر ابن أبي كبشة؛ إنه يخافه ملك بني الأصفر)[2].. وبذلك يكون معنى الآية: (إن كثرة المترفين الفاسقين في بلد وظهورهم نذير عذاب.

قال آخر[3]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٣٩]، وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقد فهم المشكك من الآية الثانية ما عبر عنه بقوله: (إن الذي ينكر الله وينافق الكافرين، وهو تحت الإكراه محلل له وليس عليه أي ذنب أو عقوبة، حاشا لله أن ينكر الإنسان إيمانه تحت الضغط والإكراه)

قال آخر[4]: والجواب على ذلك هو أن الآيتين مختلفتان تماما؛ فكل واحدة منهما تتكلم عن أمر مستقل؛ فالآية الأولى تتكلم عن النفاق، وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، والآية الثانية تتكلم عن المكره على الكفر، أي إبطان الإسلام وإظهار الكفر، وشتان بين المعنيين، فإبطان الكفر وإظهار الإيمان لا يجوز في ملة من الملل؛ لأنه كذب وتزوير وغش وهذا كله محرم عقلا، وأما إبطان الإيمان وإظهار الكفر في حال الإكراه الملجئ، من باب

---

(١) البخاري، رقم:٤٧١١.

(٢)البخاري، رقم:٩٦٢، ومسلم، رقم:٢٧٩٨.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٥.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٦.

الحفظ على نفس المسلم، فهذا من الرخص التي أباحها الله تيسيرا على عباده.

قال آخر[1]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو أن خمر الآخرة تختلف عن خمر الدنيا، فهي خالية من المنغصات والآفات التي في خمر الدنيا، قال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٨ ـ ١٩]، وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٢ ـ ٢٣].. فخمر الدنيا طعمه غير لذيذ، وتحدث لمن شربها الصداع، وتذهب بعقله، ويكثر عندها اللغو واللغط، بل لا تحلو عند شاربيها إلا بكثرة اللغو، وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات، فلا يمتنع عن شيء منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له.. فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها ولاينزفون؛ أي لا تذهب عقولهم، ولا لغو عندها ولا أثم فيها.

قال آخر[3]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى عن فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٥.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٧.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٥.

[يونس: ٩٢]، وقوله: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]

قال آخر(١): والجواب على ذلك أن هذا ليس تناقضا كما هو واضح، بل فرعون مات غرقا، لكن الله تعالى أخرج جثته للناس لتكون لهم آية، وقد قال ابن عباس في ذلك: (إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح، وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض ـ وهو المكان المرتفع ـ ليتحققوا موته وهلاكه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي نرفعك على نشز من الأرض ببدنك)(٢)

قال آخر(٣): بالإضافة إلى ذلك؛ فإن التناقض موجود فى التوراة عن فرعون، ففيها أنه لم يغرق، وموجود فيها ما يدل على غرقه، وهذا هو التناقض الذى نسبوه زورا وبهتانا إلى القرآن، ففي الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج: (فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر، لم يبق منهم ولا واحد)، وفى الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: (تغطيهم اللجج، قد هبطوا فى الأعماق كحجر)، وفى تفسير التوراة ما نصه: (ولا سبيل لنا هنا إلى الحكم بغرق فرعون، إذ لا دلالة عليه فى هذا النبأ، ولا من قول المرنّم [مزمور ٧٨: ٥٣ و١٠٦: ١١] وساق المفسرون أربع حجج على عدم غرقه، ومعنى قولهم: إن قول المرنّم لا يدل على غرقه هو: أن داود عليه السلام فى المزمور ٧٨ والمزمور ١٠٦ قال كلاماً عن فرعون لا يدل صراحة على غرقه.. ونص ٧٨: ٣ هو (أما أعداؤهم فغمرهم البحر) ونص ١٠٦: ١١ هو (وغطّت المياه مضايقيهم، واحد منهم لم يبق)

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٤)

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٦٢.

قال آخر: هذا عن عدم غرق فرعون، وأما عن غرقه ففى [المزمور ١٣٦: ١٥]: (ودفع فرعون وقوته فى بحر يوسف؛ لأنه إلى الأبد رحمته)، وفى ترجمة أخرى: (أغرق فرعون وجيشه فى البحر الأحمر إلى الأبد رحمته)، ومفسرو الزبور ـ وهم أنفسهم الذين صرحوا بعدم غرق فرعون ـ كتبوا عن فرعون: (فإن هذا الأخير قد حاول جهد المستطاع أن يرجع الإسرائيليين إلى عبوديتهم؛ فما تم له ما أراد، بل اندحر شر اندحار)

قال آخر[1]: ومن تلك التشكيكات توهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠]؛ فقد توهموا أن الآية تذكر أن خلق الأرض قبل خلق السماء، بخلاف الآية الثانية.

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن الآيات الكريمة التي تحدثت عن خلق السموات والأرض يأتي ذكر السموات ثم الأرض غالباً؛ فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، ويقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٧]، ويقول: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣].. حتى عندما يتحدث عن بداية خلق السموات والأرض نجد القاعدة ذاتها تتكرر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ويقول: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، ويقول: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى: ١١]

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٢٥.

قال آخر: إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤]، فقد ذكرت الأرض قبل السماء، ولكن واو العطف هنا لا تدل على الترتيب أو التسلسل، على عكس كلمة (ثم) التي تدل على الترتيب والتسلسل.

قال آخر: أما الآيات في سورة فصلت، فقد ذكرت خلق الأرض في قوله تعالى في الحديث عن خلق الأرض: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٠]، ثم قوله بعدها: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، والذي يدقق النظر يجد أن الآية الأخيرة لا تتحدث عن خلق السماء، بل عن الحالة الدخانية للسماء، أي أن السماء موجودة أصلاً أثناء فترة خلق الأرض، ولكنها كانت في الحالة الدخانية، وهذا نفس ما يقوله العلماء المعاصرون.

قال آخر[1]: فالعلم يؤكد أن الكون ظل لفترة طويلة في حالة من الغاز والغبار والدخان.. وأثناء هذه الحالة تشكلت الأرض، هذا بالضبط ما جاء في القرآن الكريم ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، حيث أن الله تعالى ذكر أن الأرض خلقت بينما كانت السماء دخاناً، أي أن السماء خلقت قبل الأرض وليس العكس.

قال آخر[2]: ومن تلك التشكيكات سوء فهمهم لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]؛ فقد توهموا أن رسول الله ﷺ كان شاكا في الوحي الذي كان يأتيه وكان مرتابا، ولذلك دعي أن يرجع إلى الكتاب المقدس.

---

(١) موقع الإعجاز العلمي في القرآن عبد الدائم الكحيل.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٣١.

قال آخر: والجواب على ذلك أن أسلوب الشرط من أساليب اللغة العربية، وله أدوات كثيرة منها (إن)[1]، وهي حرف وجود لوجود، فمثلا لو قلت لك: إن كنت في البيت اتصل بي، أو إن كان عندك كتاب الألفية لابن مالك فأعطنيه، فهذا الأسلوب لا يستلزم أني في البيت أو أن الكتاب عندي.. فكذلك هنا، لا يستلزم من هذا الأسلوب أن الرسول ﷺ شاك، كما فهم المشككون، لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (لا أشك ولا أسأل)[2]

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الخطاب لرسول الله ﷺ في القرآن الكريم قد يكون المراد منه أمته، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، وغيره كثير.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ذهب ابن حزم إلى أن (إن) هنا بمعنى (ما) أي: (فما كنت في شك مما أنزلنا إليك)، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٥]، وقوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]، ثم استدل على ذلك بقوله: (لأن من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه، وينازع فيه أهل الأرض، ويدين به أهل البلاد العظيمة، ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون، ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في دماغ هذا المجنون الجاهل [4])[5]

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (١/ ٢٩)

(٢) عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة، فتح القدير، ٢/ ٤٨٩.

(٣) فتح القدير (٢/ ٤٨٧.

(٤) يعني ابن النغريلة اليهودي.

(٥) الرد على ابن النغريلة اليهودي، ص٦٠.

قال آخر[1]: وبذلك؛ فإن معنى الآية: (إن من أدلة صدق نبوتك يا محمد أن أهل الكتاب يعرفون ذلك، فاسألهم حتى يطمأن قلبك، وليس معناها اترك دينك واتبع أهل الكتاب كما زعم النصراني)

قال آخر[2]: ومن تلك التشكيكات قولهم: (كيف يُذكر في القرآن الكريم أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام مع أن الإسلام اشتهر بالتشدد في إنكار الشرك وتكفير كل ساجد لغير الله؟)

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن السجود نوعان؛ سجود تحية وإكرام، وسجود عبادة وإعظام، فسجود العبادة لا يجوز في جميع الملل وعند جميع الرسل، بل لا يسجد الإنسان إلا لله وحده وأما سجود التحية فهذا كان جائزا في شرع من قبلنا، كما حصل ليوسف عليه السلام عندما خر له أبواه وأخوته سجدا، فلم ينكر عليهم.

قال آخر: ومن هذا الباب سجود الملائكة لآدم عليهم السلام، وأما في شرعنا فقد نسخ سجود التحية، درأ للفتنة وسدا لأبواب الشرك وطرائقه، وقد قال بعض العلماء في ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]: (وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلا عن الانحناء، وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان، فإنما كان تحية لا عبادة، قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة)[3]

٦. التشكيك والتعارض:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبهات المرتبطة بتوهم التعارض بين

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٣٢.

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، (ص٢٧٦)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ١٧٤).

القرآن الكريم والحقائق العلمية وغيرها.

قال أحد المشككين: يمكن تقسيم الشبهات المرتبطة بالحقائق العلمية إلى قسمين: أولهما يرتبط بالحقائق التاريخية، والثاني يرتبط بالحقائق الكونية، والتي دل عليها العلم الحديث.

أ. الحقائق التاريخية:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن الشبهات المرتبطة بتوهم التعارض بين القرآن الكريم والحقائق التاريخية.

قال أحد المشككين: يمكننا تقسيم تلك التشكيكات إلى نوعين: التشكيك في الحقائق الواردة في القصص القرآني، واعتبارها مجرد قصص موضوعة للعبرة، أو مجرد أساطير لا حقيقة واقعية لها.. والثاني: التشكيك في بعض الأحداث أو الشخصيات الواردة في القرآن الكريم بحجة عدم ورود الأدلة عليها من المصادر التاريخية الأخرى.

القصص القرآني:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن النوع الأول.. أي التشكيك في الحقائق الواردة في القصص القرآني، واعتبارها مجرد قصص موضوعة للعبرة، أو مجرد أساطير لا حقيقة واقعية لها.

قال أحد المشككين[1]: لقد كان من أوائل من اهتم بطرح هذه التشكيكات ـ بعد قوم رسول الله ﷺ ـ المستشرق الألماني هوروفيتش[2] الذي تحتوى بحوثه القرآنية على طائفة كبيرة من التشكيكات المرتبطة بهذا الجانب؛ فهو يقسم النصوص القصصية في القرآن

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٤٥.

(٢) هورفيس [١٨٧٤ ـ ١٩٣١] مستشرق ألماني يهودي، وهو صاحب كتاب [مباحث قرآنية] وغيرها من المؤلفات. انظر: موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي (ص ٦٢١)

الكريم إلى عموميات وشكليات، وأساطير رادعة.

قال آخر[1]: ومثله بعض المستشرقين الذين ذكر كارل بروكلمان اهتمامهم بهذه التشكيكات، وألفوا كتبا منها: الهجادة في قصص القرآن، لسجبار، بقلم ليبزيج ١٩٠٧م.. ومنها مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء، بقلم سايدر سكاي، باريس، ١٩٣٢م.. ومنها القصص الكتابي في القرآن، بقلم سباير وجريفنا ينخن، ١٩٣٩م.

قال آخر[2]: ومنها ما كتبه المستشرق المجري بيرانت هيللر (١٨٥٧ ـ ١٩٤٣م) المتخصص تقريبا في قصص القرآن، حيث نشر بحوثا في مجلة الفصول بعنوان: قصة أهل الكهف، عام ١٩٠٧.. وعناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية، ١٩٢٨م.. وقصص القرآن، عالم الإسلام، ١٩٣٤م.

قال آخر: ثم اهتم بهذه التشكيكات ونشرها بعض المسلمين المتلمذين على أيديهم، ومن أمثلتهم طه حسين الذي قال: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة وبالقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي)[3]

قال آخر[4]: ثم قام محمد خلف الله بجمع كل تلك المغالطات، وما أوردوه من شبه، موافقا لهم فيها في كتاب سماه [الفن القصصي في القرآن الكريم]، وقد ذكر في مقدمته أن الفن القصصي يعتمد فيه على جمال الأسلوب، وترابط الفكرة مع الهدف النبيل من القصة، ولا يضير هذا الفن كون القصة ملفقة أو خيالية مادام أن الهدف نبيل والغاية نافعة.

قال آخر[5]: ثم بنى على هذه المقدمة أن قصص القرآن هي نوع من أنواع هذا الفن

---

(١) المستشرقون والدراسات الإسلامية، ص٧٤.

(٢) المستشرقون والدراسات الإسلامية، ص٧٥.

(٣) في الشعر الجاهلي لطه حسين (ص٢٦)

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٤٦.

(٥) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٤٧.

في جميع صفاته، لذلك فلا يلزم أن تكون كل قصة يذكرها القرآن قصة واقعية.

قال آخر: ثم أخذ يقرر هذه الدعوى بأن الكثير من القصص القرآنية ليست صحيحة تاريخا، بل التاريخ يخالفها.. وقد طرح كلامه هذا بكل جرأة، حتى إنه لم يجد ضيرا أن يقول ما قال الكفار: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، فقد قال خلف الله: (إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير)[١]

قال آخر: وقال مؤكدا ذلك: (أصبح العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار الواردة في القصص القرآني؛ وذلك لأنها لم تبلغ على أنها دين يتبع.. ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار، أو يجهلها، أو يخالف فيها، أو ينكرها)[٢]

قال آخر: ولم يقتصر على ذلك، بل قال: (ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل، ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن؛ لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة، وما شابهها من مقاصد وأغراض، إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ، ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق، ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر والإلحاد، بل لعل هذه المخالفة واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم، لمحمد خلف الله، ص٢٠٩.

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم، ص:٧٤.

والأوهام)[1]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على هذه الشبهات والتشكيكات؟

قال أحد المشككين: أول الردود على تلك الدعوى مخالفة إجماع المسلمين، بل إجماع غيرهم من أهل الأديان أن القصص القرآني إنما تحكي واقعا حقيقيا[2].. ولهذا نجد تفاصيلها في كتب التاريخ.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك، وهو الأهم؛ فإن القرآن الكريم يذكر ذلك، ويؤكده، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام [3].. فكل ما في القرآن الكريم إما أخبار أو أحكام، فكل أخباره صدق وكل أحكامه عدل، ومن الأخبار قصص الأمم السابقة مع أنبيائها.

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كون القصة تهدف إلى العبرة، لا يعني أن يختلق القاص القصة وينسخها من وحي خياله، لأن هذا ليس من الكمال؛ ذلك أن أخذ العبرة من القصة الواقعية هو الأكمل، والقرآن لا يأتي إلا بالكمال، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وما كان لأحسن القصص أن تكون كذبا.

---

(١) الفن القصصي ص:٢٥٥.

(٢)منهج المدرسة العقلية في التفسير،للرومي، ص:٤٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٧.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٤٩.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الله تعالى ـ وهو القادر الحق ـ أعظم من أن يلجأ في كتابه المنزل ـ الذي أنزله لهداية الخلق جميعا ـ لاستخدام الباطل والأكاذيب ليجتذب بها العرب من معاصري نزوله إلى الإيمان، وهو يعلم أن هذا الكتاب سيؤمن به غيرهم في أزمنة وأمكنة أخرى، فما هي نسبة العرب الذين عاصروا نزول القرآن ـ وأتى بما عندهم من أساطير وأوهام كما زعموا ـ إلى من أسلم ويسلم في كل عصر ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها؟

قال آخر[2]: وهل يصح مثل هذا القول إلا بناء على عقيدة ترى أن الإسلام دين محلي، نزل إلى شبه الجزيرة في القرن السابع الميلادي، واجتذبهم إلى الإيمان بموافقته لما كان عندهم من أوهام وخيالات وأباطيل تخالف التاريخ الحق؟

قال آخر[3]: ألا يقودنا القول بذلك إلى سؤال بالغ الأهمية، وهو: كيف يلجأ الخالق ـ جل وعلا عما يقولون ـ إلى موافقة خيالات وأوهام العرب الجاهلين وقت نزوله، وهو القادر ـ بطريق القطع ـ على أن يصوغ كتابه المنزل من الحقائق المتفقة مع الواقع والتاريخ، التي تحدث أثرها من الموعظة والعبرة في نفس الوقت؟

قال آخر: ألا يشبه هذا الزعم الذي تتضمنه هذه النظرية أن يكون حيلة بشرية يلجأ إليها البشر الضعاف المحدودو القدرة والعلم في سبيل اجتذاب الناس إلى دعواتهم؟.. أما أن يكون هذا أسلوبا إلهيا في تنزيل آخر الكتب المنزلة، فهذا ما لا يمكن أن تتصوره العقول من كل وجه.

قال آخر[4]: ويلزم من هذا القول أن الله تعالى لبس على الناس بذكر هذه القصص

(١) مدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي، ص١٨٨.

(٢) مدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي، ص١٨٨.

(٣) مدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي، ص١٨٨.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٥١.

المكذوبة في كتابه، الذي يذكر فيه أنه محفوظ من الخطأ والريب والكذب.. ويلزم منه أن القرآن صد الكثير من الناس عن الإسلام بسبب عدم مطابقة قصصه للواقع، بل هذا ما ادعاه خلف، حيث زعم أن (التمسك بمقياس الصدق التاريخي في القصص القرآني خطر أي خطر على النبي ﷺ وعلى القرآن، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة)[1]

قال آخر[2]: بل يلزم من هذا القول عكس ما قصده؛ فهذه الآراء ـ فضلا عما لها من نتائج سيئة ـ تذهب بقدسية القرآن من النفوس، وتزيل عنه روعة الحق، وتزلزل قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار ماضية وأحوال مستقبلة.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى كل ذلك؛ فإنه إذا كان المضمون التاريخي في القصص القرآني ـ كما يزعم خلف الله وأصحابه ـ باطل في الحقيقة، ونفس الأمر مطابقا لما كان في نفوس المشركين أو غيرهم، ألا يكون هذا معارضا معارضة صريحة لمضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢]، والتي تنفي إمكان أن يقتحم الباطل إليه من بين يديه ولا من خلفه؟

قال آخر: فإذا أضفنا إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٦]، فهل يبقى هناك أي وجه لما ذكره خلف الله وغيره من المشككين، وخصوصا

(١) الفن القصصي، ص٤٢.
(٢) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص٢٧٣.
(٣) مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٥.

من المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن الكريم؟

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن ما يذكره خلف الله من أن نفي الافتراء في القرآن الكريم يتعلق بمصدر القرآن كله، لا بجزئياته.. لا يصح في منطق العقول، ذلك أن ما ينطبق على الكل المجموع ينطبق على جزئيات هذا الكل.

قال آخر[2]: وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]؛ فهي تعني: لوجدوا فيه اختلافا كثيرا مع حقائق الأمور التاريخية والكونية.. ولوجدوا فيه اختلافا كثيرا مع الفطرة البشرية.. لكنه لما كان من عند الله فقد تجرد عن ذلك كله، فليس فيه أي اختلاف مع شيء من ذلك.

قال آخر[3]: ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٢ ـ ٣]، فقد رد على دعوى الافتراء بإثبات أنه هو الحق من الله، فهل يجوز في منطق العقل أو أساليب البيان أن يكون حقا قد احتوى باطلا؟ وهل يصدق عليه وصف الحق حينئذ؟.

قال آخر: وهكذا؛ فإن كل الآيات الواردة في وصف القرآن ـ بما فيه من قصص ـ بأنه الحق، تدل على هذا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]، وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦]، وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٥٢.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٥٢.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٥٣.

وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٢ ـ ٣]، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر[1]: فقد أثبتت هذه الآيات كلها ـ وأمثالها في القرآن كثير ـ أن القرآن كله حق نزل من عند الله، وآياته كلها حق؛ وقصصه كلها حق؛ لأن الله تعالى لا يقص إلا الحق، وهو يقص علينا نبأ أهل الكهف بالحق، ونبأ موسى وفرعون بالحق، وكل ما قصه وأوحى به فهو الحق، لأن الله تعالى لا يقول إلا الحق وهو يهدي السبيل، ووحيه كله حق، وكتابه كله حق، لا يصل إليه الباطل والافتراء والكذب بأي وجه من الوجوه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]

قال آخر[2]: فأين في هذا كله ما يتيح لخلف الله وأصحابه الزعم بأن نفي الافتراء في هذه الآيات لا يلحق المواد الأدبية القصصية، ولا بما في هذه القصص من صور للأحداث والأشخاص؟.. وهل إذا لحق الافتراء هذه الأمور ـ كما يزعمون ـ يصح إطلاق وصف الحق في الآيات السابقة؟.. وهل استخلاص عبرة ينافي أن يكون القصص المستخلص منه حقا؟

قال آخر[3]: وقد أجاب عن هذا الزعم الباطل قوله تعالى في آخر سورة يوسف بعد عرض قصته: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ

---

(١) مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٦.

(٢) مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٧.

(٣) مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٧.

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فالعبرة المستخلصة من القصص القرآني، إنما تستخلص من قصص حق لا افتراء فيه ولا أسطورة.

قال آخر(١): وأجاب على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، فإذا كان كل ما في القرآن قد وصف بأنه هو الحق، فهل يستقيم بعد هذا أن يتضمن شيئا ينسب إلى باطل أو ضلال، بمخالفته لحقيقة التاريخ أو الحقائق الكونية.

قال آخر(٢): بالإضافة إلى كل ذلك؛ فإن عدم مطابقة ما في القرآن من وقائع تاريخية مع أحداث التاريخ، إما منشؤه عدم وجود هذه القصص في التاريخ أصلا، وإما أن يكون في التاريخ شيء يعارضه؛ فإن كان الأول فإن عدم عثورنا عليه في التاريخ ليس دليلا على عدم وقوعه حقيقة، فعدم العلم ليس علما بالعدم، وأما إن كان الثاني فلا بد أن تكون هذه الحادثة حصل لها من النقل والتواتر والتثبت مثل ما حصل للقرآن حتى تعارضه، وهذا لا وجود له، وإلا فإننا نقدم ما في القرآن؛ لأنه أصح بشهادة الجميع.

أشخاص وأحداث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن النوع الثاني.. أي التشكيك في بعض الأحداث أو الشخصيات الواردة في القرآن الكريم بحجة عدم ورود الأدلة عليها من المصادر التاريخية الأخرى.

قال أحد المشككين: من أمثلتها التشكيك في بعض ما ذكره الله تعالى عن معجزات المسيح عليه السلام ككلامه في المهد.. أو ما حصل على يديه من الخوارق التي سجلها

(١) مدخل إلى علم التفسير، ص١٩٧.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٥٥.

القرآن الكريم.. حيث يحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر.. وكالتشكيك في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]، وكونه المسيح عليه السلام لم يصلب.

قال آخر: ومنها التشكيك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦]، حيث ينقلون قول اليهود: (أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون، أن هامان ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون، وإنما جاء بعدهما بزمن مديد).. وأمثال هذه التشكيكات.

قال أحد الحضور: فكيف تردون على هذه التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أول الردود هو أن هذا الآيات الكريمة تليت على اليهود في زمن النبي ﷺ، وكان فيهم العلماء والأحبار، فلم ينكر أحد منهم هذا الأمر، مع حرصهم الشديد على مخالفته في ما هو أقل من ذلك.

قال آخر[2]: ثم كيف يحاكم القرآن المحفوظ بحفظ الله له بكتب أهل الكتاب، التي ملئت تحريفا وزيفا، بل طال التحريف عندهم كتبهم المقدسة، فهذا ما لا يقبله عقل، ومثل هذا كمثل عالم كبير السن والقدر والاطلاع، تكلم في قضية، فقال له الناس: نحن نخالفك بهذا؛ لأن عندنا كتابا محرفا لا ندري من ألفه ملئ بالأخطاء يخالف ما تقول؟.. فإن كان هذا لا يجوز في حق البشر فكيف بخالق البشر.

قال آخر[3]: لو أن المشككين يحاكمون آيات القرآن الكريم إلى شيء يقيني لكان لهم

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٥٦.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٥٦.

(٣) مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٦.

وجه فيما يذكره، لكنهم يحاكمونها إلى التواريخ القديمة، وما عند اليهود والنصارى عنها.. فما قولهم فيما في هذه التواريخ القديمة من خرافات وأساطير وأوهام آمنت بها البشرية أجيال طويلة، ثم تبين ضلالها وكذبها؟

قصة إبراهيم:

قال أحد الحضور[1]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك الوارد حول عبادة إبراهيم عليه السلام للنجوم، ومع ذلك غفر له، مع أن الله لا يغفر أن يشرك به.

قال أحد المشككين[2]: الآيات الكريمة التي يشير إليها المشككون، ليس فيها دليل على أن إبراهيم عليه السلام قد مر بمرحلة شرك، وحاشا لله أن يقع فى ذلك، وإنما هى تحكي كيف آتى الله إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه، حجة التوحيد، ودحض الشرك.. فهى حجاج وحوار يسلم فيه إبراهيم عليه السلام جدلاً ـ كشأن الحوار ـ بما يشركون، لينقض هذا الشرك، ويقيم الحجة على تهاوى ما به يحتجون، وعلى صدق التوحيد المركوز فى فطرته، ليخلص من هذا الحوار والحجاج والاحتجاج إلى أن الخيار الوحيد المتبقى ـ بعد هذه الخيارات التى سقطت ـ هو التوحيد.

قال آخر[3]: ولذلك؛ فإن من يقرأ الآيات الكريمة بتدبر؛ يرى أن الحوار المذكور ليس سوى دعوة للتدرج من توحيد الفطرة إلى التوحيد القائم على المنطق والبرهان والاستدلال، الذى فند دعاوى وحجج الخصوم.

قال آخر[4]: أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، فهي لا تدل على كون إبراهيم عليه السلام لم

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٤.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٥.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٥.

(٤) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (٤/ ٣٤٨)

يكن مؤمنا، بل تدل على أنه كان موقنا يقينا استدلاليا وفطريا بواحدانية الله، ولكنه بدراسة أسرار الخلق بلغ يقينه حد الكمال، كما أنه كان مؤمنا بالمعاد ويوم القيامة، ولكنه بمشاهدة الطيور المذبوحة التي عادت إليها الحياة بلغ إيمانه مرحلة عين اليقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

قال آخر: ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]: (كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه ازداد نورًا على نور)، وكذلك إبراهيم عليه السلام، عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له ربًّا وخالقًا، فلما عرَّفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه يجوز أن يكون استفهامه على معنى التوبيخ، منكرًا لفعلهم، والمعنى: أهذا ربى، أو مثل هذا يكون ربًّا!؟ فحذف الهمزة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، أى (أفهم الخالدون؟)[1]

قال آخر: وقد أشار إلى ذلك كبير علماء البيان الزمخشرى، صاحب تفسير [الكشاف

(١) [الجامع لأحكام القرآن] ج٧ ص ٢٥، ٢٦، طبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل]، فقال: (أراد إبراهيم عليه السلام أن ينبههم إلى الخطأ فى دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرِّفهم أن النظر الصحيح مؤدٍّ إلى أن شيئًا منها لا يصح أن يكون إلها، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها مُحْدِثًا أحدثها وصانعًا صنعها ومدبرًا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها.. فقال: ﴿هذا ربى﴾، وهو قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشَّغَب، ثم يكرُّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحُجة.. وقوله ﴿لئن لم يهدنى ربى﴾: تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكواكب فى الأفول فهو ضال، وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه)[1]

قال أحد الحضور[2]: فما تقولون فيما يذكره المشككون من أن نمروذ الذي ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار لا يمكن أن يكون حيا في ذلك الزمن، كما ورد التنصيص على ذلك في الكتاب المقدس [سفر التكوين ٨: ١٠، ١١، ١٠: ٢٢ـ٢٥، ١١: ١٣ـ٢٦]؟

قال أحد المشككين[3]: القرآن الكريم لم يسم الملك الذى حاج إبراهيم عليه السلام في ربه؛ لأن القصد من القصص هو مضمون المحاجّة، والعبرة منها، واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر فى المضمون والعِبرة، أما تسمية هذا الملك ـ الذى حاجّه إبراهيم عليه السلام ـ بـ [النّمروذ] والاختلاف فى نطق اسمه، ومدة ملكه، فجميعها قصص تاريخى، أورده المفسرون.. فهو غير ملزم للقرآن الكريم، ولذلك لا يصح أن يورد ذلك كشبهة تثار ضد القرآن الكريم.

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فعند مراجعة العهد القديم، فى المواضع التى جاء

---

(١) [الكشاف] ج٢ ص ٣٠، ٣١ طبعة دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، وهى طبعة مصورة عن طبعة طهران انتشارات أفتاب، تهران وهى الأخرى بدون تاريخ للطبع.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٦٨.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٦٨.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٦٩.

ذكرها فى التشكيك، وهي [سفر التكوين الإصحاح ٨: ١٠، ١١ والإصحاح ١٠: ٢٢ـ٢٥ والإصحاح ١١: ١٣ـ٢٦]
وهى تحكى عن قبائل نوح، ومواليد ابنه سام، فليس فيها ذكر الملك [النّمروذ].. وفى [دائرة المعارف الإسلامية] التى كتبها المستشرقون ـ وقد حرر مادة [إبراهيم] فيها [ج، إيزبرغ] ـ يأتى ذكر الملك نمروذ فى قصة إبراهيم دون اعتراض.. وفى أثنائها إشارات إلى مصادر عبرية أشارت إلى النمروذ ـ منها [دلالة الحائرين لموسى بن ميمون الفصل ٢٩].. منها [سفر هياشار] فصل نوح، وتأتى الإشارة إلى [نمرود] الملك فى سفر التكوين ـ بالعهد القديم ـ الإصحاح ١٠: ٨ـ١١ باعتباره (الذى ابتدأ يكون جبارًا فى الأرض)

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فليس هناك ما يمنع تكرار لاسم [نمروذ] لأكثر من ملك فى أكثر من عصر وتاريخ.. ويبقى أن الشبهة خاصة بالقصص التاريخى.. ولا علاقة لها بالقرآن الكريم.

قصة موسى:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك الوارد حول قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، واحتجاجهم على ذلك بأن الملأ من قوم فرعون قالوا ذلك عند ولادة موسى عليه السلام وظهور نبوته.

قال أحد المشككين: لقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن هذا ديدن فرعون، وأنه ليس خاصا بما ذكر في تلك الحادثة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٦٩.

قال أحد الحضور: فكيف تردون على التشكيك الوارد حول قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧ ـ ٢٨]، بينما ذكر في التوراة أنه كان له سبع بنات لا اثنتين، وأنه لم يصدق المرأة، لا بالخدمة ولا بما يقوم مقامها.

قال أحد المشككين(١): حتى لو كان عنده سبع بنات، ثم قدم له اثنتين لائقتين بحاله لينتقى واحدة منهما، فما هو الإشكال فى ذلك؟

قال آخر: ويدل لذلك ما ورد في التوراة من حال يعقوب مع خاله [لابان]، فقد خدم يعقوب عليه السلام خاله سبع سنين صداقاً لابنته الأولى [ليئة]، وخدم سبع سنين أخرى صداقاً لابنته الأخرى [راحيل]

قال آخر(٢): وفي نص التوراة ما يدل على ما اتفقا عليه، وهو (فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته)، وهذا يستدعي التساؤل عن الشيء الذي ارتضاه، ولماذا قال بعد الارتضاء: (فأعطى موسى صفورة ابنته؟).. والنص كله هو: (وكان لكاهن مديان سبع بنات، فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن، فأتى الرعاة فطردوهن، فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن، فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن فى المجئ اليوم؟ فقلن: رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة، وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطى موسى صفورة ابنته) [خروج ٢: ١٦]، وفى النص السامرى: (فلما أمعن موسى فى السكنى مع الرجل؛ أعطاه صفورة ابنته

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٩٣.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٩٦.

لموسى زوجة)

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في شخصية هامان، ووجودها الواقعي؟

قال أحد المشككين[١]: إن فرعون موسى ـ من بين فراعنة مصر ـ ليس معروفا للمؤرخين بصورة قطعية متفق عليها، فإذا كان الأمر كذلك، فإن تحديد وزرائه ومعاونيه بالاستقصاء والحصر، أمر لا يمكن أن يدعيه على سبيل القطع مؤرخ يحترم عقله وعقول الناس.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ذكر بعض الباحثين أنه خلال ترجمة نقش من النقوش المصرية القديمة تم الكشف عن اسم (هامان)، وهذا الاسم أشير إليه في لوح أثري في متحف هوف في فينا، وفي مجموعة من النقوش كشفت أن هامان كان في زمن تواجد موسى عليه السلام في مصر، وقد سجل كتاب (Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II K.A. Kitchen)، الكثير من المعلومات عن هامان: منها: (كان الشاب آمن (هامن، وهامان) في مثل سن الأمير (رمسيس ٢) ورفيق صباه، فلما أصبح رمسيس نائبا للملك ووريثا للعرش أصبح الفتى بالتبعية رفيقه وتابعه ففتح له الطريق لمستقبل زاهر وهي ما تحقق فعلا.. وكان لآمن ام اينت (هامان) أقارب ذوو نفوذ منهم عمه كبير كهنة الإله مين والإلهة ايزيس بقفط (شمال طيبة) وقائد فيالق النوبة، أي الساعد الأيمن لنائب الملك في النوبة)[٢]

قال أحد الحضور[٣]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في كون هامان كان

---

(١) مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٧.

(٢) رمسيس الثاني، فرعون المجد والانتصار، ترجمة د. أحمد زهير أمين، ص ٥٥.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٥١.

وزيراً لفرعون، لأن هامان كان وزيراً لأحشويرش ملك الفرس فى مدينة بابل، وبين فرعون وأحشويرش زهاء ألف سنة؟

قال أحد المشككين: للإجابة على ذلك وجوه كثيرة أولها وأبسطها هو أن هذا التشكيك مؤسس على كون هامان اسم شخص، وليس في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، بل هو قول الرواة، ويدل لذلك أن فرعون ليس اسم شخص، بل هو لقب لحاكم مصر حينها.

قال آخر[1]: فإذا صح أن هامان لقب لكل نائب عن الملك، لا اسم شخص، فإنه يصح أن يُطلق على النائب عن فرعون أو عن أى ملك من الملوك، وعلى ذلك يكون معنى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨] هو إن رئيس مصر الملقب بفرعون، ونائبه الملقب بهامان ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾، ومثل ذلك مثل لقب الملك الذى يُطلق على رؤساء البلاد؛ فإنه يطلق على رؤساء فارس واليونان ومصر واليمن وسائر البلاد، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ.

قال آخر[2]: ويدل لذلك ما ورد في الإنجيل من أن اليهود كانوا يطلقون لقب [المضلّ] على من يخالفهم في الرأى، وإذا أطلقه العبرانيون على رجل منهم يقولون له: يا سامرى، بدل قولهم يا مضل، وذلك لأنهم يعتبرون السامريين كفاراً، وإذا أطلقه السامريون على رجل منهم يقولون له: يا عبراني، بدل قولهم يا مضل، وذلك لأنهم يعتبرون العبرانيين كفاراً، وإذا سمع العبراني عنهم كلمة [سامري] لا يفهم منها أنها اسم شخص، وإنما يفهم منها أنها لقب للذم، وعن هذا المعنى جاء فى إنجيل يوحنا أن علماء اليهود قالوا لعيسى عليه السلام: (إنك سامرى، وبك شيطان)، ورد عليهم بقوله: (أنا ليس بي شيطان، لكني أكرم

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٥١.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٥١.

أبي وأنتم تهينونني، أنا لست أطلب مجدي، يُوجد من يطلب ويدين) [يوحنا ٨: ٤٨ـ٥٠]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك حول كون الله تعالى كتب لموسى عليه السلام في الألواح من كل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، بينما ذكرت التوراة أنه كتب لوحين اثنين، وكتب عليهما الوصايا العشر فقط.

قال أحد المشككين[1]: لقد ورد في الكتاب المقدس ما يدل على أن الألواح الأولى قد كسرت، وحل محلها ألواح جديدة، وأن الألواح الأولى كانت مكونة من لوحين للعهد، أي للعمل بالتوراة.. بالإضافة إلى عدة ألواح مكتوب عليها كل أحكام التوراة، ففى الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج وما بعده إلى الإصحاح الرابع والعشرين كل أحكام التوراة وبعدها: (فجاء موسى، وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام)

قال آخر: وفيها أنه لما صعد إلى جبل الطور أعطاه الله لوحى الحجارة، والشريعة والوصية.. ومن قبل نزوله من على الجبل؛ عبدوا العجل من دون الله، ولما سمع موسى بالخبر كسر لوحى العهد فى أسفل الجبل، ولكن كاتب سفر التثنية يقول: (إنه كسر لوحين كان عليهما كل أحكام الشريعة، وعليهما مثل جميع الكلمات التى كلمكم بها الرب فى الجبل من وسط النار فى يوم الاجتماع) [تثنية ٩: ١٠]، ولا يمكن لـ[لوحي العهد] أن يحملا مع العهد كل أحكام الشريعة التى نزلت فى يوم الاجتماع)

قال آخر: وفيها أنه لما كسر الألواح، أعطى الله له بدلهم ألواح جديدة، كما في سفر

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٩٧.

الخروج [٣٢: ٢٩] والمكتوب على الألواح الجديدة أحكام الشريعة الموجودة فى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك فيما ذكره القرآن الكريم من كون بني إسرائيل طلبوا رؤية الله، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٣ ـ ١٥٤] بينما في التوراة أنهم قالوا لموسى عليه السلام: (تكلم أنت معنا، ولا يتكلم معنا الله؛ لئلا نموت) [خروج ٢٠: ١٩]؟

قال أحد المشككين[1]: إن الذين أوردوا هذه الشبهة جاهلين بما في الكتاب المقدس؛ ففيه أن موسى عليه السلام لما أخذ العهد على اليهود أن يعملوا بالتوراة، بكّر فى الصباح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل، وأخذ العهد، ثم قال الكاتب: (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرئيل ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا) [خروج ٢٤: ٩ـ١١]

قال آخر: وفيها طلب موسى رؤية الله، ففي سفر [خروج ٣٣: ١٨]: (فقال: أرنى مجدك) ورد الله عليه بقوله: (لا تقدر أن ترى وجهى، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش)

قال آخر: وفيها أن الله تعالى لما تجلى للجبل؛ حدث من هيبته حال التجلى نار ودخان وارتجف كل الجبل جداً، فارتعب بنو إسرائيل من هذا المنظر، وقالوا لموسى: (إذا أراد الله

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٥٠٥.

أن يكلمنا مرة أخرى؛ فليكن عن طريقك يا موسى ونحن لك نسمع ونطيع، فرد الله بقوله: أحسنوا فيما قالوا، وسوف أكلمهم فى مستقبل الزمان عن طريق نبى مماثل لك يا موسى من بين إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به) [تثنية ١٨: ١٥-٢٢]

قال أحد الحضور(١): فما وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في واقعية قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٣ ـ ٥٩]، وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٨]، حيث يذكر المشككون أن بنى إسرائيل لم يرثوا أرض مصر بعد هلاك فرعون، بل ورثوا أرض كنعان فقط؟

قال أحد المشككين(٢): من وجوه الرد على ذلك هو أن المقصود بالأرض التي ورثها بنو إسرائيل هي بلاد الشام ذات الجنات الكثيرة، والعيون الجارية، ومعنى إخراج المصريين منها إزالة سيادتهم وسلطانهم عنها، وحرمانهم من التفكه بنعيمها، فقد كانت بلاد فلسطين إلى الشام تابعة لمصر، وكان من عادة فراعنة مصر كغيرهم من الأمم المستعمرة أن يقيموا في البلاد التي يستولون عليها حكاما وجنودا لئلا تنتقض عليهم، وأن يسكنها كثيرون منهم يتمتعون بخيراتها، ويشير إلى ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

قال آخر(٣): فالمرجح عند المتأخرين من المؤرخين الواقفين على العاديات المصرية أن

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٥١٧.

(٢) تفسير المنار (٩/ ٨٥)

(٣) تفسير المنار (٩/ ٧٠)

فرعون موسى هو الملك (منفتاح) وكان يلقب بسليل الإله (رع)، وقد جاء في آخر الأثر المصري الوحيد الذي ذكر فيه بنو إسرائيل (وهو المعروف برقم ٣٤٠٢٥ المحفوظ في متحف مصر) أن مصر هي السليلة الوحيدة للمعبود (رع) منذ وجود الآلهة وأن [منفتاح] سليلة أيضا، وهو الجالس على سدة المعبود [شو] وأن الإله [رع] التفت إلى مصر فولد منفتاح ملك مصر، وشيء له أن يكون مناضلا عنها فتخنع له الولاة، ولا يرفع أحد من البدو رأسه، فخضع له القيروانيون والحيثيون والكنعانيون وعسقلان وجزال وينعمام.

قال آخر(١): بالإضافة إلى ذلك، فقد وجد في بعض التواريخ القديمة ما يدل على صحة ما قاله بعض المفسرين من أن موسى عليه السلام استولى على مصر، وتمتع هو وقومه بالسيادة فيها طائفة من الزمن، وهو ما جاء في حاشية لأحد مباحث الدكتور محمد توفيق صدقي في كتب العهد الجديد، وعقائد النصرانية، وهذا نصه: (جاء في كتاب (الأصول البشرية) لمؤلفه لينج أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير نقل عن (مانيثون) هذه الرواية المصرية القديمة التي ملخصها أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر ـ الذي فر إلى بلاد الحبشة ـ حكم مصر ١٣ سنة، وبعد ذلك عاد إلى فرعون هو وابنه، ومعهما جيش عظيم فقهروه وأخرجوه منها إلى بلاد الشام)(٢)

قال آخر(٣): ومثل ذلك ورد في قاموس الكتاب المقدس أن هيرودوتس المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد قال: (إن ابن سيسوسترس ضرب بالعمى مدة عشر سنين؛ لأنه رمى رمحه في النهر، وقد ارتفعت أمواجه وقت فيضه؛ بسبب نوء شديد إلى علو غير اعتيادي)، ويقول المؤرخون: (إن ابن سيسوسترس هذا (وهو منفتاح الثاني) هو

---

(١) تفسير المنار (٩/ ٨٦)

(٢) مجلة المنار: ١٦/ ٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) تفسير المنار (٩/ ٨٧)

فرعون الخروج، ويتخذون هذه العبارة إشارة إلى غرقه في زمن موسى، لكن يرى القارئ منها أنها لو كانت إشارة إلى الغرق لكان الغرق في النيل، ومن الرواية الأولى يعلم أن موسى حكم بعد فرعون ١٣ سنة في مصر، وهاتان الروايتان هما من أقدم الروايات المصرية وأصحها، وربما كانتا الوحيدتين في هذه المسألة، ولعل المصريين استغاثوا بمملكة الحبشة فأرسلت إليهم جيشا فأوحى الله إلى موسى بالخروج حينئذ من مصر، وتركها لأهلها، وعليه يجوز أن المصريين كتموا خبر غرق ملكهم، واستبدلوا به دعوى تقهقره إلى الحبشة، وقالوا: إنه هو الذي عاد بعد ذلك، وأخرج موسى بالقوة؛ سترا لخزيهم وخذلانهم، وإرضاء لملوكهم وأسر هؤلاء الملوك، وربما أنه لولا عظم هذه الحادثة وشهرتها بينهم لأنكروها بالمرة)[1]

قال آخر[2]: وأما مسألة حكم موسى في مصر، والتمتع بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق فهو أيضا المتبادر من نحو قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٣-١٠٤]، ويجوز أن الشريعة أعطيت لموسى في الطور قبل تركه حكم مصر.

قال آخر[3]: وفي زمن موسى عليه السلام أعطى الله بني إسرائيل - بدلا عن مصر التي أمرهم بتركها - الممالك التي في شرق الأردن كما في كتبهم، وفي زمن يشوع أعطاهم كل أرض كنعان إلا بعض أجزاء منها [يشوع ١٣: ١] وهذه الأرض التي أعطيت لهم هي من أخصب أراضي العالم وأحسنها، وهي المسماة عندهم بأرض الموعد؛ لأنهم كانوا وعدوا بها من قبل.

---

(١) الكتاب المقدس لبوست ١/ ٤١٠.

(٢) تفسير المنار (٩/ ٨٧)

(٣) تفسير المنار (٩/ ٨٧)

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك كله؛ فإن المراد من الإرث ليس استغلال خيرات الأرض وتسخير أهلها فى مصالح اليهود فحسب، ولكنه إرث شريعة؛ فإن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: (سر أمامى وكن كاملاً) [تكوين ١٧: ١] أي امش أمامي فى جميع البلاد لدعوة الناس إلى عبادتي وترك عبادة الأوثان.

قال أحد الحضور[2]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك الوارد حول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢] بينما تذكر التوراة أن الآيات البينات عشر، وهو يخالف ما ورد في القرآن الكريم من كونها تسعا.

قال أحد المشككين: الرد على ذلك بسيط، وهو أن مفسري التوراة صرحوا بالاختلاف فى عدد هذه الآيات، فالآية الثانية وهي الضفادع؛ يوجد من يقول إنها التماسيح.. والآية الثالثة قال بعضهم إنها ضربة القمل، وقال بعضهم إنها ضربة البعوض.. والآية الرابعة قال بعضهم إنها ذباب الكلب خاصة، وقيل مطلق ذباب.

قال أحد الحضور[3]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك الوارد في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٨ ـ ٩]، حيث أن التوراة تذكر أن الملتقطة له هى ابنة فرعون وليست امرأته؟

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٩٨.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٩٩.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٥٠٢.

قال أحد المشككين: إن كلمات التوراة مشكوك فيها، والدليل على ذلك أن اسم الرجل فى موضع، يأتى فى موضع آخر باسم آخر، وكذلك المرأة، وهذا يتكرر كثيراً، فإسماعيل عليه السلام كانت له ابنة اسمها [محلث] وتزوجت [العيس] بن إسحاق عليه السلام كما في [تكوين ٢٨: ٩] وفى ترجمة لبنان [محلة] وفى نفس الترجمة [وبسمة] وفى ترجمة البروتستانت [بسمة] [تكوين ٣٦: ٣]

قال آخر: وهكذا نجد في كتب تفسير التوراة تصريح بكلمات ملتبسة مثل (ثم يذبحه كل جماعة إسرائيل فى العشية) [خروج ١٢: ٦] حيث يقولون: [العشية] هذه اللفظة ملتبسة.. ومثلها ما ورد في الشيخ الكبير فى أرض مدين حيث اختلف فى اسمه، ففى الخروج [٢: ١٨] [رعوئيل] وفى الخروج [٤: ١٨] [ثيرون] والابن الأول لموسى فى ترجمة [جرشوم] وعند يوسيفوس [جرشام] وفى ترجمة السبعين [جرسام] [خروج ٢: ٢٢]

قال أحد الحضور[1]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في قوله تعالى يحكي عن فرعون طلبه من هامان أن يبنى له برجاً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، بحجة أن البرج من بناء الناس فى بابل من بعد نوح عليه السلام.

قال أحد المشككين[2]: القرآن الكريم يذكر أن فرعون طلب من وزيره الملقب بهامان أن يوقد له على الطين ليجعل له صرحًا، ولم يرد فيه أنه أوقد له على الطين، وجعل له صرحًا، ولو أنه أوقد وجعل، فما هو الدليل على أن صرح مصر هو برج بابل؟

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه من المحتمل أنه أراد ببناء الصرح؛ التهكم على

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٩٤.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٩٤.

موسى عليه السلام، أو أن (بناء (الصرح العظيم) حدث بعد ما جرى لموسى عليه السلام من مواجهته السحرة ما جرى.. لأنه يستفاد من سورة (المؤمن) أن هذا العمل (بناء البرج) تم حين كان الفراعنة يخططون لقتل موسى عليه السلام، وكان مؤمن آل فرعون يدافع عنه.. ونعرف أنه قبل أن يواجه موسى عليه السلام السحرة لم يكن مثل هذا العمل ولا مثل هذا الحديث، وحيث أن القرآن ا لكريم تحدث عن مواجهة موسى عليه السلام للسحرة في سورة طه، والأعراف، ويونس، والشعراء؛ فإنه لم يتطرق إليها هنا، وإنما تحدث هنا وفي سورة المؤمن عن بناء البرج)[1]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في شخصية السامري، ووجودها الواقعي، بحجة أن مدينة السامرة فى فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام، وسكنوا أرض سيناء، فكيف يمكن أن يكون هناك سامري يضع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود؟

قال أحد المشككين[2]: مع أنا رددنا على ذلك سابقا، إلا أن هناك رد آخر يمكن أن يُرد به على هذا التشكيك، ذكره بعض الباحثين، وهو أنه ليس فى فلسطين مدينة تسمى بمدينة السامرة، وإنما كان للسامريين مملكة فى فلسطين، عاصمتها نابلس المسماة قديماً [شكيم] وكانت هذه المملكة مكونة من عشرة أسباط، وكان للسبطين مملكة فى فلسطين عاصمتها القدس المسماة قديماً أورشليم.. ولما صعد موسى عليه السلام إلى جبل الطور وتلقى التوراة، نزل فوجد اليهود يعبدون عجلاً جسداً له خوار، فسأل عن ذلك فدلوه على من أغراهم بعبادتهم، فأمسك به وسأله: ﴿مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [طه: ٩٥]، أى ما هذا الذى فعلته أيها المضل؟ لأن كلمة (سامري) تطلق على المضل، ولا تطلق على شخص كاسم من

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (١٢/ ٢٣٤)

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٥٣.

الأسماء، وبهذا المعنى لا يكون الذى أضلهم رجل مسمي بالسامري، حتي يتوجه الإشكال، وإلا يلزم أن يكون السامري من أسماء المسيح عيسى عليه السلام فإن اليهود قالوا له: (إنك سامري، وبك شيطان) [يوحنا ٨: ٤٨]

قصة سليمان:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن التشكيكات المرتبطة بقصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم[١].

قال أحد المشككين: هي تشكيكات قديمة، لكن المعاصرين لا زالوا يرددونها مع كونها لا تحمل أي طابع علمي، وقد ذكرها الرازي، فقال: (إن الملاحدة طعنت في هذه القصة من وجود: أحدها: أن هذه الآيات اشتملت على أن النملة والهدد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء، وذلك يجر إلي السفسطة، فإنا لو جوزنا ذلك لما أمنا في النملة التي نشاهدها في زماننا هذا أن تكون أعلم بالهندسة من إقليدس وبالنحو من سيبويه، وكذلك القول في القملة والصئبان، ويجوز أن يكون فيهم الأنبياء والتكاليف والمعجزات، ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب.. وثانيها: أن سليمان عليه السلام كان بالشام، فكيف طار الهدد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن، ثم رجع إليه.. وثالثها: كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا في طاعة سليمان، وأنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية، وكان تحت راية بلقيس حال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثة أيام؟.. ورابعها: من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافة إلي الشيطان وتزينه؟)[٢]

---

(١) الفن القصصي، ص١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٤/ ١٩٠ ـ ١٩١.

قال آخر: وأول الردود على هذه الشبهة ما يذكره القرآن الكريم في مثل هذه المحال، وهو قوله تعالى مخاطبا زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، ولذلك فإن الإيمان بالله وبقدرته على كل شيء يزيل هذه الشكوك.. أما الذي لا يؤمن بهذا؛ فهو مدعو لتصحيح إيمانه بالله أولا، وإلا فإنه سيظل ينكر كل شيء.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الله تعالى أخبر عن العلوم التي كانت في عهد سليمان عليه السلام، والتي تتم بواسطتها المعجزات، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠]، وأخبر قبل ذلك أنه أوتي من كل شيء، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]

قال آخر(١): بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كلام الهدهد والنملة ليس مستغربا، فقد أصبح من المقطوع به الآن عند العلماء الذين يدرسون سلوك أنواع الطير والحيوان والحشرات، أن لكل منها لغة تقوم مقام اللغة المعهودة عند البشر، في التعبير ونقل الأحاسيس والمعارف، على نحو ما ماتزال تفاصيله مجهولة من البشر، لكن المقطوع به من شواهد كثيرة جدا أن لكل منها نوعا من اللغة يتم به الاتصال بين أفراده، وقد سجل بعض العلماء تسجيلات صوتية لأنواع من الطيور في حالة الفزع نقلت إليهم ـ في غاية من الوضوح ـ هذه المشاعر

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٦.

والمعاني.

قال آخر[1]: ولذلك.. ما العجب بعد هذا أن تتكلم النملة، ويتكلم الهدهد، بكلام يفهمه سليمان عليه السلام لأنه ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ عُلّم منطق الطير وأوتي من كل شيء؟

قال آخر[2]: أما أنهم تكلموا بكلام يدل على شيء من العقل فإن من يراقب سلوك الطير والحشرات فسوف يدرك بغاية من الوضوح أن سلوكهم يجرى على نظم من الوعى والتدبير والعمل من أجل غايات تهديهم إليها غرائزهم وفطرهم، وعلى المعاند في هذا أن يقرأ عن سلوك الحشرات والطيور في كتب العلم التجريبي، وسوف يذهله ما يقرأ، وعليه أن يراقب العمل والنظام في (مملكة النحل) أو في (عالم النمل وقراه التي ينشئها)

قال آخر[3]: وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وهو الذي تدل عليه كافة مشاهدات العلماء المحققين.. فما العجب إذن في أن تتكلم نملة ويتكلم هدهد؟ وما العجب في أن يفهم عنهما من عرف لغة كل منهما؟

قال آخر[4]: وذلك لا يجر إلى شيء من السفسطة التي ذكروها، فلم يقل القرآن الكريم بشيء من اللوازم التي ابتدعوها، إنما قال بما تدل عليه ملاحظة هذه الأنواع، وهو أن لها منطقا، أما علم الهندسة، والنحو، والتكاليف، والمعجزات؛ فإنما هو من قول الملاحدة الذي يرد عليهم، لأننا لا نحمل القرآن الكريم إلا ما نطق به لا ما قام في أوهام الملاحدة.

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٧.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٧.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٧.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٧.

قال آخر[1]: أما طيران الهدهد من الشام إلي اليمن، ثم الرجوع إلى الشام، فالذي ورد في القرآن الكريم عنه قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، وليس في القرآن الكريم تحديد أن الهدهد مكث لحظة كما يقول هؤلاء، ولا يفهم من ﴿غير بعيد﴾ في سياقها إلا مدة تكفي للطيران، وقد قرئت على صفحاء العرب من المشركين في عصر الرسالة ـ وهم أعلم باللغة، وكانوا يعرفون اليمن والشام ـ فما أثاروا هذا الاعتراض، فعلم منه أن التعبير القرآني يخلوا عن دواعي اعتراض هؤلاء الملاحدة.

قال آخر[2]: أما عدم معرفة سليمان عليه السلام حال مملكة سبأ؛ فإن القرآن الكريم لم يصفه بأنه كان يعرف الغيب، وقد كان هذا غيبا بالنسبة إليه، وليس فيما وصف القرآن الكريم به سليمان عليه السلام إلا تسخير الرياح والشياطين وتعليم منطق الطير وإيتاء الملك الذي لا ينبغي لأحد بعده، لكن ليس فيه شيء من وصفه بعلم غير ما علمه الله له، فما العجب في أن تكون في الأرض أشياء وممالك كان سليمان عليه السلام ـ مع عظمة ما أعطاه الله له ـ يجهلها؟

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن أن سليمان عليه السلام كان ملك الدنيا كلها بأكملها ـ كما يزعم هؤلاء الطاعنون ـ ولعل مستندهم في هذا إنما هو بعض المبالغات الإسرائيلية التي لم يرد لها ذكر في الوحي القرآني.

قال آخر[4]: أما استنادهم في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، فلا يصح، لأن (من) هنا للتبعيض، وليس المعنى

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٨.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٨.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٨.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٨.

أن كل الأنس ـ دون استثناء ـ كانوا تحت ملكه.

قال آخر(1): أما إن كان استنادهم لما ذكره الحشوية في تفاسيرهم، وهو أنه كان تحت راية ملكة سبأ اثنا عشر الف ملك تحت راية كل منهم مائة ألف؛ فليس في القرآن الكريم شيء من هذا مطلقا، والعدد الذي ذكروه يجاوز بكثير جدا ما يمكن أن يكون موجودا عندئذ من عدد السكان، وهو يذكرنا بما نقده ابن خلدون من مبالغات المؤرخين القدماء، وما حذر منه (فيكو) من غرور الأمم حين تكتب تارخها ـ فكيف تحمل هذه المبالغات على نصوص القرآن الكريم التي لم تعرض لها إطلاقا؟

قال آخر(2): ولهذا، لا عجب أن يجهل سليمان عليه السلام أمر ملكة سبأ مع كل ما أعطاه الله له، لأنه لم يعطه علم كل ما في الأرض، ولم تكن هناك اتصالات منتظمة بين المالك بحيث تعرف كل منها الأخرى، وتتصل بها على النحو الذي نعهده في عصرنا والذي حدث بعد ذلك بحكم التطور العمراني، ولم تكن الجن التي سخرت لسليمان عليه السلام أيضا تعرف الغيب كما صرح بذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]

قال آخر(3): أما التشكيك في معرفة الهدهد لله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلي الشيطان وتزيينه؛ فإنما كان الهدهد من جند سليمان عليه السلام، والآيات تتكلم عن أمر غيبي لا يقاس على معرفة البشر الآن بأحوال الطير، وما المانع من أن تكون فطرة كافة المخلوقات عارفة بوجوب السجود لله تعالى وحده؟

---

(1) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٩.

(2) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٩.

(3) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٦٩.

قال آخر: وقد صرح القرآن الكريم بذلك، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٨ ـ ٥٠]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].. فما العجب بعد هذا كله أن يكون الهدهد من جند سليمان عليه السلام عارفا لوجوب السجود لله تعالى وحده منكرا السجود لغيره؟

قال آخر[1]: وبذلك؛ فإن القضية ترتبط بإخبار عن غيب لا تصل معرفة البشر التجريبية أو العقلية إلى شيء منه، فالمؤمنون بالغيب وبصدق الوحي القرآني يؤمنون به، والمكذبون ينكرون بكل ما لا يقع منهم تحت حس مباشر أو تجربة مادية، لكنهم في مثل هذه القضايا الغيبية لا مستند لهم في إنكارهم إلا محض الشك والتكذيب وقياس الغائب على الشاهد وتحكيم عقولهم القاصرة فيما هو من علم الغيب.

قصة المسيح:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في كلام المسيح عليه السلام في المهد؟

قال أحد المشككين: إن الرازي الذي ذكر هذه الشبهة، ونقلها عن المشككين، لم يتركها دون رد، بل رد عليها بعد أن نقل أدلتهم بكل أمانة؛ فقال: (أنكرت النصارى كلام المسيح عليه السلام في المهد، واحتجوا على صحة قولهم بأن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها، ولا شك أن هذه الواقعة لو وقعت لوجب أن يكون وقوعها في حضور

(١) مدخل إلى علم التفسير، ص٢٣٦.

الجمع العظيم الذي يحصل القطع واليقين بقولهم، لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والاثنين لا يجوز، ومتى حدثت الواقعة العجيبة جدا عند حضور الجمع العظيم فلا بد وأن تتوفر الدواعي على النقل فيصير ذلك بالغا حد التواتر، وإخفاء ما يكون بالغا إلى حد التواتر ممتنع، وأيضا فلو كان ذلك لكان ذلك الإخفاء هاهنا ممتنعا لأن النصارى بالغوا في إفراط محبته إلى حيث قالوا إنه كان إلها، ومن كان كذلك يمتنع أن يسعى في إخفاء مناقبه وفضائله بل ربما يجعل الواحد ألفا فثبت أن لو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى، ولما أطبقوا على إنكارها علمنا أنه ما كان موجودا البتة)[1]

قال آخر: ثم نقل وجوها في الرد عليها عن المتكلمين، منها (أن كلام عيسى عليه السلام في المهد إنما كان للدلالة على براءة حال مريم عليها السلام من الفاحشة، وكان الحاضرون جمعا قليلين، فالسامعون لذلك الكلام، كان جمعا قليلا، ولا يبعد في مثله التواطؤ على الإخفاء، وبتقدير: أن يذكروا ذلك إلا أن اليهود كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم إلى البهت، فهم أيضا قد سكتوا لهذه العلة؛ فلأجل هذه الأسباب بقي الأمر مكتوما مخفيا إلى أن أخبر الله سبحانه وتعالى محمدا ﷺ بذلك)[2]

قال آخر: ومن الوجوه التي ذكرها للرد على الشبهة أنه (ليس كل النصارى ينكرون ذلك، فإنه نُقل عن جعفر بن أبي طالب أنه لما قرأ على النجاشي سورة مريم، قال النجاشي: لا تفاوت بين واقعة عيسى، وبين المذكور في هذا الكلام بذرة)[3]

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن عدم تسجيل التاريخ البشري لهذا لا يعتبر دليلا قاطعا لعدم حدوث ذلك، حتى يدعي أحد تكذيب القرآن في الإخبار به، ويصح ادعاؤه،

---

(١) التفسير الكبير (٨/ ٢٢٥)

(٢) التفسير الكبير (٨/ ٢٢٥)

(٣) التفسير الكبير (٨/ ٢٢٥)

(٤) مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٤.

لأن التواريخ البشرية، أهملت تسجيل كثير من الأحداث الفردية ـ مهما تكن أهميتها في ذاتها ـ حيث لم يتوفر لها من الشهادة الصادقة، وتوفر سبل الإذاعة، والنقل، والبقاء على مر العصور ما يكفل لها ذلك.

قال آخر[1]: إذ يكفي أن تنقطع حلقة في هذه السلسة لتصبح الواقعة في حكم المجهول من الأجيال التالية، وعلى العكس من ذلك، فإن بعض الأوهام الكاذبة في ذاتها، قد يتوفر لها من ظروف إيمان بعض الناس بصحتها ـ بناء على بعض الشواهد والظواهر الخادعة ـ وتسجيلهم لها، ثم رعايتها بظروف تضمن إذاعتها وانتقالها عبر الأجيال ـ ما يجعلها تدخل التاريخ من أوسع أبوابه، وهي في أصلها أسطورة كاذبة لا نصيب لها من الحق، وقد تلعب يد التحريف والتجهيل والتعمية ببعض جوانب واقعة صحيحة في أصلها، فإذا بها قد جمعت في نهاية الأمر بين الحق والباطل في قصة واحدة، هذا معروف مسجل عن أوهام التواريخ وأخطائها، فهي تهمل، وتنسى، وتحرف، وتخدع، وتتوهم، وكل هذا يتضمنه ما يسمى بـ [التاريخ البشري]، وخاصة في عصور ما قبل التدوين المنظم، ذي الأساليب والإمكانات المنضبطة شيئا ما، وإذا كان هذا ثابتا لاشك فيه، فهل يقبل منطق البحث العلمي النزيه، أن يتخذ إغفال التواريخ القديمة لحادثة فردية، مثل كلام طفل في المهد، دليلا قاطعا على كذب الوحي في إخباره بها؟

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن مريم عليها السلام لم تكن مخطوبة ولا متزوجة، وقد أحصنت فرجها، أى منعت نفسها عن الزواج طيلة حياتها، وسلكت فى سلك الرهبنة، ثم إنها ابنة كاهن من نسل هارون عليه السلام، وابنة الكاهن إذا زنت فإنها تحرق بالنار، لما جاء فى سفر الأخبار [٢١: ٩]: (وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنا؛ فقد دنست أباها، بالنار

---

(١) مدخل إلى علم التفسير، ص٢١٤.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٥٢١.

تحرق)، ومريم عليها السلام قد أتت بولد وهى غير متزوجة، وهذا هو دليل الاتهام فلماذا لم تحرق؟.. إن عدم حرقها يدل على أن ابنها تكلم فى المهد.

قال آخر: ويدل لذلكما جاء فى بعض الأناجيل المرفوضة أنه تكلم فى المهد، ففيه: (وبينما كانوا نياماً؛ حذرهم الطفل من الذهاب إلى هيرودس) [برنابا ٧: ١٠]

قال أحد الحضور: فما تردون على الشبهة التي تذكر أن القرآن الكريم يصرح بأن المسيح عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير، وليس فى الأناجيل المعتمدة هذه المعجزة.

قال أحد المشككين[١]: لقد ورد ذكر هذه المعجزة فى إنجيل توما، فقد ذكر فيه أنه صنع من الطين هيئة اثنى عشر عصفوراً، وأمرهم أن يطيروا؛ فطاروا والناس ينظرون إليهم.. وذلك يكفي للاحتجاج عليهم؛ فقبولهم ببعض الكتب ورفض بعضها لا يلزم غيرهم.

قال أحد الحضور: فما تردون على إنكار القرآن الكريم للصَّلب، في نفس الوقت الذي يثبته المسيحيون، وكتبهم؟

قال أحد المشككين[٢]: أول ما ينفي ما ذكروه هو العلّة التي ذكروها لصلب المسيح عليه السلام، وهى غفران خطايا من يؤمن به ربًّا مصلوباً، والغفران لكل من كان فى المدة من آدم عليه السلام إلى المسيح إذا قدّر أنهم لو كانوا له مشاهدين، لكانوا به مؤمنين، وهذه العلة غير صحيحة، ذلك لأن آدم عليه السلام لما أخطأ هدته الحكمة أن يعترف بخطئه وأن يتوب، فتاب الله عليه، وإذ هو قد تاب، فأى فائدة من سريان خطيئة آدم عليه السلام فى بنيه؟ ففى سفر الحكمة [١٠: ١-٢]: (والحكمة هى التى حمت الإنسان الأول أب العالم الذى خلق وحده لما سقط فى الخطيئة؛ رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شيء)

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٥٢١.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٥٢٣.

قال آخر: وتذكر التوراة كذلك أن نجاة المرء من غضب الله يكون بالعمل الصالح حسبما أمر الله، ومن لا يعمل بما أمر الله؛ فإنه لا يكون له نجاة، ففى سفر الحكمة [١٠: ٥] عن نوح عليه السلام وولده: (وعندما غاصت الأمم فى شرورها؛ تعرفت الحكمة برجل صالح، وحفظته من كل عيب فى نظر الله، وجعلته قويًّا يفضل العمل بأمر الله على الاستجابة إلى عاطفته تُجاه ولده).. ومثل ذلك ورد في [تثنية: ٢٤: ١٦]: (لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يُقتل)

قال آخر: وهكذا ورد عن المسيح عليه السلام قوله في [متى ١٢: ٣٦-٣٧]: (كل كلمة فارغة يقولها الناس؛ يُحاسبون عليها يوم الدين، لأنك بكلامك تُبرّر، وبكلامك تُدان)

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ورد في الأناجيل أن المسيح عليه السلام بعد حادثة القتل والصلب المزعومة؛ ظهر أربعين يوماً للحواريين، وتكلم عن ملكوت الله معهم، ففي بدء سفر أعمال الرسل [١: ٣]: (الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعدما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله)، وظهوره وكلامه عن الملكوت؛ يدلان على استمراره فى الدعوة.

قال أحد الحضور: فما تردون على إنكار المشككين لطلب الحواريين مائدة من السماء، وقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥]، ويحتجون لذلك بأن الإنجيل لا يقول ذلك؟

قال أحد المشككين[1]: إن المعترض على هذا، والمشكك فيه، غير دارس للإنجيل، بل ولا التوراة، ذلك لأن فى إنجيل يوحنا أن الحواريين أنهم طلبوا آية من السماء، ففيه: (فقالوا له: فأية آية تصنع؛ لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المنّ فى البرية، كما هو مكتوب: أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا) [يوحنا ٦: ٣٠-٣١]، ففي قولهم: (آباؤنا أكلوا المن فى البرية) بعد قولهم: (فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟) ما يدل على ذلك.

قال آخر: ومما يقوي ذلك ما ذكروا من أكل آبائهم للمن، وهو مسجل فى التوراة، حيث ذكرت أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا، وهذا يدل على أن آباءهم أكلوا المن والسلوى فى سيناء، والنص هو: (وأمطر عليهم منّا للأكل وبرّ السماء أعطاهم) [مزمور ٧٨: ٢٤]

قال آخر: ومثل ذلك ما ورد في [مزمور ٧٨: ١٩]، فقد ذكر داود عليه السلام المائدة فى قوله عنهم: (قالو: هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية؟)

قصة ذي القرنين:

قال أحد الحضور[2]: وعينا هذا؛ فكيف تردون على التشكيك في مدح الله تعالى لذي القرنين، واعتباره عبدا صالحا مع أن جميع مؤرخى الإغريق يجمعون على أن الإسكندر الأكبر، كان من عبدة الأوثان.

قال أحد المشككين: هذا إشكال عجيب جدا، ذلك أن اعتبار ذي القرنين هو الإسكندر الأكبر المقدوني قصص مجرد عن التحقيق التاريخي.. ولذلك لا عبرة به، ما دام القرآن الكريم لم يصرح باسمه.

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٥٠٩.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٧١.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن المفسرين الذين أوردوا هذا القصص قد شككوا فى صدقه وصحته، فابن إسحاق مثلاً يروى عن (من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذى القرنين أنه كان من أهل مصر، وأن اسمه [مرزبان بن مردية اليوناني]، أما الذى سماه [الإسكندر] فهو ابن هشام الذى لخص وحفظ السيرة لابن إسحاق، وهو يحدد أنه الإسكندر الذى بنى مدينة الإسكندرية، فنسبت إليه.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد جاءت الروايات القائلة إن ذا القرنين هو الإسكندر المقدونى عن وهب بن مُنبِّه وهو مصدر لرواية الكثير من الإسرائيليات والقصص الخرافى.. وقد شكك ابن إسحاق فيما روي من هذا القصص الذى دار حول تسمية ذى القرنين بالإسكندر، أو غيره من الأسماء.. وشكك أيضًا فى صدق ما نسب للرسول ﷺ حول هذا الموضوع، فقد قال: (فالله أعلم أى ذلك كان؟.. أقال رسول الله ﷺ ذلك أم لا؟)

قال آخر[3]: وقد أثنى القرطبي على شك وتشكيك ابن إسحاق هذا، عندما أورده، ثم قال: (والحق ما قال).. أى أن الحق هو شك وتشكيك ابن إسحاق فى هذا القصص، الذى لم يخضع للتحقيق والتمحيص وإن يكن موقف ابن إسحاق هذا، وكذلك القرطبى، هو لون من التحقيق والتمحيص.. فليس هناك، إذًا ما يشهد على أن الإسكندر الأكبر المقدونى ـ الملك الوثنى ـ هو ذو القرنين، العادل، والموحد لله.

قال أحد الحضور[4]: فما تقولون في التشكيك في قوله تعالى عن ذي القرنين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا

---

(1) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٧٢.

(2) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٧٢.

(3) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٧٢.

(4) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٧٣.

أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]، وأن هذا مخالف للعلم الثابت.

قال أحد المشككين[١]: ليس هناك أدنى تعارض - ولا حتى شبهة تعارض - بين النص القرآنى وبين الحقائق العلمية.. ذلك أن حديث القرآن هنا هو عن الرؤية البصرية للقوم الذين ذهب إليهم ذو القرنين، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يرون اختفاء الشمس - غروبها - فى هذه البحيرة - العين الحمئة - وذلك مثل من يجلس أحدنا على شاطئ البحر عند غروب الشمس، فإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص - رويدًا رويدًا - فى قلب ماء البحر.

قال آخر[٢]: فالحكاية هنا عما يحسبه الرائى غروبًا فى العين الحمئة، أو فى البحر المحيط.. وليست الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس، وعن ماذا يعنيه العلم فى مسألة الغروب.

قال آخر: وقد نقل القفال، أبو بكر الشاشى محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر [توفي ٥٠٧هـ] عن بعض العلماء تفسيرًا لهذه الرؤية، متسقًا مع الحقيقة العلمية، فقال: (ليس المراد أنه [أى ذو القرنين] انتهى إلى الشمس مشرقًا ومغربًا حتى وصل إلى جِرْمها ومسَّها.. فهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض، بل هى أكبر من الأرض أضعافًا مضاعفة، وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة [أى البقاع المعمورة والمأهولة] من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها فى رأي العين تغرب فى عين حمئة، كما أنا نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض، ولهذا قال: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسّهم وتلاصقهم،

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٧٤.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٧٤.

بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم)[1]

ب. الحقائق الكونية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن الشبهات المرتبطة بتوهم التعارض بين القرآن الكريم والحقائق الكونية.

قال أحد المشككين: توهم التعارض بين القرآن الكريم والحقائق الكونية من التشكيكات التي تبرز كل يوم، ولكنها لا تزيد القرآن الكريم إلا قداسة في نفوس الصادقين من الباحثين، ذلك أنها تكشف لهم عن خبايا فيه لم يكونوا يعرفونها لولا ذلك التشكيك.

قال آخر[2]: ذلك أن العلم والقرآن لا يمكن أن يتعارضا؛ لأن مصدرهما واحد، وغايتهما واحدة، فمصدرها هو الله سبحانه وتعالى، فالله هو الذي خلق هذا الكون وما فيه من معارف وعلوم، وهو الذي شرع هذا الدين وما فيه من أخبار وأحكام، وما كان من الله فإنه لا يتناقض، فالقرآن والكون ـ وهما مصدر الحقائق الدينية والعلمية ـ كلاهما من عند الله وصنعه، أنزل القرآن بالحق كما خلق الكون بالحق، فلا ينبغي للإنسان طلب الحق إلا فيهما، ومن ثم لا يتصور تصادم الحق مع نفسه.

قال آخر[3]: وهما يتفقان أيضا في الغاية والهدف، وهو إسعاد البشرية وتذليل صعوبات الحياة، فما اتفق في المصدر والغاية لا يمكن أن يتعارضا فيما بين ذلك، فالعلم الصحيح لا يعارض القرآن، بل هما أخوان متعاونان.

قال آخر: ويدل لذلك أن المنصفين من الباحثين شهدوا بأن القرآن الكريم لا يتعارض مع العلم أبدا، وقد قال بعضهم في ذلك: (عندما أكملت قراءة القرآن الكريم،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١١ ص ٤٩، ٥٠.

(٢) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، ص ٦٣٩.

(٣) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص ٦٢٨.

غمرني شعور بأن هذا هو الحق، الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالا للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة)[1]..وقال متسائلا: (كيف استطاع محمد ﷺ، الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية، أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل)[2]

قال آخر: ومن الباحثين المنصفين الذين وصلوا إلى هذه النتيجة الدكتور موريس بوكاي، الطبيب والباحث المشهور، فقد قال: (قرأت القرآن بإمعان، ووجدته الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله، لا يزيد حرفا ولا ينقص، وأما التوراة والأناجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها)[3]

قال آخر: وقد قام بدراسة علمية في هذا الجانب بعنوان [التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث]، ومما قاله فيها: (لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق، وبموضوعية تامة بحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف ـ قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات ـ أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، لكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبنفس الموضوعية قمت بنفس

---

(١) قالوا عن الإسلام، ص٥٥.

(٢) قالوا عن الإسلام، ص٥٥)

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٧٦.

الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم، فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا، وأما بالنسبة للأناجيل، فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)[1]

قال أحد الحضور: ما دام الأمر كذلك؛ فما سر تلك التشكيكات إذن؟

قال أحد المشككين: عند بحثنا في تلك التشكيكات وجدنا أنها لا تعدو ثلاث جهات.. أولاها أولئك المتسرعون الذين ينطلقون من مسائل ظنية لم تصل إلى مرحلة الحقيقة العلمية المستقرة المتفق عليها[2]، مثل نظرية التطور التي تنص على أن أصل الإنسان مر بمراحل حتى وصل إلى هذا المستوى[3]، التي تتعارض مع كون ابتداء خلق الناس كان من آدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى مرة واحدة من غير تدرج، والعلماء المتخصصون أنفسهم ينكرون هذه النظرية، ويردون عليها بقوة[4].

قال آخر[5]: والثانية أولئك الذين لا يعرفون بيان العربي، وأساليبه في التعبير، ولذلك يحملون ألفاظه على ما يشتهون من المعاني، ومنها تلك التي تخالف العلم، مثل دعوى مخالفة القرآن الكريم لكون الأرض تدور حول الشمس، استنادا لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]، حيث نسب فعل الدوران للشمس، وهذا غير صحيح؛ فإن اللفظ

---

(١) قالوا عن الإسلام، ص٥٦.

(٢) التفسير والمفسرون، للذهبي (٢/ ٤٧٠)، والمدخل إلى علم التفسير، د. بلتاجي ص ٢٠٨.

(٣)مدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣، حيث نقلها عن ميلر بروز رئيس قسم لغات الشرق الأدنى.

(٤) انظر الردود المفصلة على هذه النظرية في كتاب [الحياة تصميم لا صدفة]، سلسلة [الإلحاد والدجل]

(٥) التفسير والمفسرون (٢/ ٤٨٠)

ليس قاطعا في هذا المعنى، بل إنه ابتدأ بقول: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾، أي أن هذا الأمر بالنسبة لرؤية الإنسان، وسياق الآية كما هو ظاهر ليس مقصودا في إثبات دوران الأرض حول الشمس أو العكس، فلا ينبغي تحميل النص ما لا يحتمل.

قال آخر[1]: والثالثة.. تلك التي تخلط بين ما ورد في القرآن الكريم، وما ذكره الحشويون والكشفيون، ومن الأمثلة على ذلك الشبهات التي يثيرونها حول قوله تعالى في أول سورة (ق): ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق:١]، حيث قد بنوا على تلك التفاسير أن هذا خطأ؛ لأن العلم يبين أن أعلى قمة هي (إفرست)، مع أن هذه خرافة مصدرها كتاب اليهود الذي يتحدث عن جبل قاف الخرافي؛ أما القرآن الكريم فلم يذكر جبالا ولا قمما، والحرف (ق) أحد الحروف الكثيرة التي بدئت بها سور من القرآن مثل: ص، ن، حم، الر.. وهكذا.. وإذا كانت هذه خرافة منشؤها كتاب يهودي، فكيف يؤاخذ بها القرآن!؟

العسل والشفاء:

قال أحد الحضور: فهلا ذكرتم لنا نماذج عن تلك التشكيكات، لنحذر منها، ونحذّر.

قال أحد المشككين: لعل من أقدم الطعون في دعوى تعارض القرآن مع العلم، ما ادعاه بعضهم من معارضة قوله تعالى عن العسل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]، وما روي من الحديث الذي يفسرها، وهو أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه فقال: (اسقه عسلا)، ثم أتى الثانية فقال: (اسقه عسلا)، ثم أتاه الثالثة فقال: (اسقه عسلا)، ثم أتاه فقال: قد فعلت.. فقال: (صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا) فسقاه فبرأ[2].

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص ١٤٢.

(٢) رواه البخاري، رقم: ٥٦٨٤، ومسلم، رقم: ٢٢١٧.

قال آخر: فقد قال القرطبي تعليقا على الحديث والآية: (اعترض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث، فقال: قد أجمعت الأطباء على أن العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال؟ فالجواب أن ذلك القول حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه ﷺ، فيستعمله على الوجه الذي عينه وفي المحل الذي أمره بعقد نية وحسن طوية، فإنه يرى منفعته ويدرك بركته، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم، وأما ما حكي من الإجماع فدليل على جهله بالنقل؛ حيث لم يقيد وأطلق، قال الإمام أبو عبد الله المازري: ينبغي أن يعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة، منها الإسهال الحادث عن التخم والهيضات؛ والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية، فأما حبسها فضرر، فإذا وضح هذا قلنا: فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وهيضة، فأمره النبي ﷺ بشرب العسل، فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال، فوافقه شرب العسل، فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذن ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة، قال: ولسنا نستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء، بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه؛ فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه، فنفتقر حينئذ إلى تأويل كلام رسول الله ﷺ وتخريجه على ما يصح، إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب)[1]

قال آخر: ومثل ذلك أجاب ابن حزم ابن النغريلة اليهودي بأن كلمة ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]) نكرة فلا تلزم العموم[2]، ومثل ذلك قال الداني[3] أن (ال) في كلمة (للناس) ليست للعموم بل للجنس.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٩١)

(٢) الرد على ابن النغريلة اليهودي، ص ٦٢.

(٣) رد مفتريات على الإسلام ص: ٦٦.

خلق الإنسان:

قال آخر: ومن التشكيكات الناتجة عن التسرع ما عبر عنه المستشرق ميلر بقوله: (الإنسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلا عن خلق الحيوان، ولكه جاء نتيجة لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة، فكيف إذن نتغلب على هذا الإشكال)[1].. وهو يشكك بهذا الإشكال في علمية ما ورد في القرآن الكريم من هيئة خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩]

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو أن ميلر وغيره يشيرون بهذا إلى نظرية لم تكن في وقت من الأوقات حقيقة علمية قطعية يمكن أن تقاس عليها النصوص الدينية، فهي لم تزد في وقت ما ـ منذ قيل بها ـ عن أن تكون مجرد فرض لم يقم عليه أبدا دليل قاطع، أو قريب من القطع واليقين، ومنذ أعلنها داروين وجد لها معارضون من رجال العلم التجريبي؛ لأنه لم يقم أبدا دليل محسوس على صحتها، وإنما هي مجرد فرضية فسر بها داروين بعض الظواهر والمشاهدات، لكن لم يرصد أحد من المؤمنين بها إطلاقا تطورا ماديا يقطع بصحتها.

قال آخر: ومن تلك التشكيكات توهم التناقض بين الآيات الكريمة التي وصفت مادة خلق الإنسان، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٦]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

---

(١) المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.

(٢) المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.

مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام: ٢](السجدة: ٧)، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧]

قال آخر(١): والجواب على هذه الشبهة هو أنه ليس هناك أدنى تناقض بل ولا حتى شبهة تناقض بين ما جاء فى القرآن الكريم من معلومات عن خلق الإنسان، وحتى يتضح ذلك، يلزم أن يكون هناك منهج علمي فى رؤية هذه المعلومات، التى جاءت فى عديد من آيات القرآن الكريم.

قال آخر(٢):وهذا المنهج العلمى يستلزم جمع هذه الآيات.. والنظر إليها فى تكاملها.. مع التمييز بين مرحلة خلق الله للإنسان الأول آدم عليه السلام ومرحلة الخلق لسلالة آدم، التى توالت وتكاثرت بعد خلق حواء، واقترانها بآدم، وحدوث التناسل عن طريق هذا الاقتران والزواج.

قال آخر(٣): لقد خلق الله تعالى الإنسان الأول ـ آدم عليه السلام ـ فأوجده بعد أن لم يكن موجودًا.. أى أنه قد أصبح شيئًا بعد أن لم يكن شيئًا موجودًا، وإنما كان وجوده فقط فى العلم الإلهى.. وهذا هو معنى الآية الكريمة: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]

قال آخر(٤): أما مراحل خلق الله تعالى لآدم عليه السلام؛ فلقد بدأت بـ [التراب] الذى أضيف إليه [الماء] فصار [طينًا] ثم تحول هذا الطين إلى [حمأ] أى أسود منتنًا، لأنه تغير

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٩.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٩.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٩.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٩.

والمتغير هو [المسنون].. فلما يبس هذا الطين من غير أن تمسه النار سمى [صلصالاً] لأن الصلصال هو الطين اليابس من غير أن تمسه نار، وسمى صلصالاً لأنه يصلّ، أى يُصوِّت، من يبسه أى له صوت ورنين.

قال آخر(١): وبعد مراحل الخلق هذه: التراب.. فالماء.. فالطين.. فالحمأ المسنون.. فالصلصال، نفخ الله تعالى فى مادة الخلق هذه من روحه، فغدا هذا المخلوق إنسانًا هو آدم عليه السلام.. وعن هذه المراحل تعبر الآيات القرآنية، فتصور تكامل المراحل - وليس التعارض المتوهم والموهوم - فتقول هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، فبالتراب كانت البداية ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وذلك عندما أضيف الماء إلى التراب ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، وذلك عندما زالت قوة الماء عن الطين، فأصبح لازبًا، أى جامدًا.

قال آخر(٢): وفى مرحلة تغير الطين، واسوداد لونه، ونتن رائحته، سمى [حمأً مسنونًا]، لأن الحمأ هو الطين الأسود المنتن.. والمسنون هو المتغير.. بينما الذى ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ هو الذى لم يتغير.. وعن هذه المرحلة عبرت الآيات: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٢٦ - ٣٥]

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٩.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٠.

قال آخر[1]: تلك هى مراحل خلق الإنسان الأول، توالت فيها وتتابعت وتكاملت معانى المصطلحات: التراب.. والماء.. والطين.. والحمأ المسنون.. والصلصال.. دونما أية شبهة للتعارض أو التناقض.

قال آخر[2]: وكذلك الحال مع المصطلحات التى وردت في الآيات القرآنية التى تحدثت عن خلق سلالة آدم عليه السلام؛ فكما تدرج خلق الإنسان الأول آدم من التراب إلى الطين.. إلى الحمأ المسنون.. إلى الصلصال.. حتى نفخ الله فيه من روحه.. كذلك تدرج خلق السلالة والذرية بدءاً من [النطفة] ـ التى هى الماء الصافى ـ ويُعَبَّرُ بها عن ماء الرجل [المنىّ].. إلى [العَلَقَة] التى هى الدم الجامد، الذى يكون منه الولد، لأنه يعلق ويتعلق بجدار الرحم إلى [المضغة] وهى قطعة اللحم التى لم تنضج، والمماثلة لما يمضغ بالفم.. إلى [العظام].. إلى [اللحم] الذى يكسو العظام.. إلى [الخلق الآخر] الذى أصبح بقدرة الله فى أحسن تقويم[3].

قال آخر[4]: ومن الآيات التى تحدثت عن توالى وتكامل هذه المراحل فى خلق وتكوين نسل الإنسان الأول وسلالته، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٠.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٠.

(٣) انظر فى معانى هذه المصطلحات [المفردات فى غريب القرآن]

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤١.

أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤]

قال آخر[١]: وإذا كانت [النطفة] هي ماء الرجل؛ فإنها عندما تختلط ببويضة المرأة، توصف بأنها [أمشاج] ـ أي مختلطة ـ كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]

قال آخر[٢]: كما توصف هذه [النطفة] بأنها [ماء مهين] لقلته وضعفه، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٨]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣]

قال آخر[٣]: كما توصف هذه [النطفة] بأنها [ماء دافق] لتدفقه واندفاعه.. كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧]

قال آخر[٤]: هكذا عبر القرآن الكريم عن مراحل الخلق.. خلق الإنسان الأول.. وخلق سلالات وذريات هذا الإنسان.. وهكذا قامت مراحل الخلق، ومصطلحات هذه المراحل، شواهد على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، عندما جاء العلم الحديث ليصدق على هذه المراحل ومصطلحاتها.. فكيف يجوز ـ بعد ذلك ومعه ـ أن يتحدث إنسان عن وجود تناقضات بين هذه المصطلحات.

الأرض والحركة:

قال آخر: ومن تلك الشكيكات، سوء الفهم المرتبط بقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٢.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٢.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٢.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٤٢.

﴿الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]، فقد توهم المشككون أن هذه الآية تفيد أن الأرض راسية وثابتة[١].

قال آخر[٢]: والجواب على ذلك هو أن معنى ﴿تميد﴾ تضطرب وتتزلزل، ولا يراد بالميدان مجرد حركة متزنة، والمصدر الثلاثي (فعلان) يأتي لإفادة هذا المعنى، مثل ميدان وغليان وثوران وجولان.. وهكذا، والآية تذكر أن الله ثبت الأرض حتى يستطيع البشر أن يستقروا عليها في نومهم، ويزرعوا ويرعوا ماشيتهم، ولو كانت مضطربة ما استطاع الناس أن يطمئنوا عليها وأن يعملوا هذه الأعمال.

قال آخر[٣]: والدليل على ذلك أننا ننام في الطائرة وفي القطار وفي السفينة، فإذا اضطرب واحد منها استيقظنا وشعرنا بالتعب، وقد نطلب من السائق أن يعمل شيئا يسكنها لتثبت، ولا يعني تثبيته أنه يقف ولا يتحرك، بل أن ينقطع اضطرابه.

قال آخر[٤]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ذكر القرآن الكريم حركة كل الكواكب والنجوم، فقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، و﴿كل﴾ كلمة تشمل الشمس وتوابعها من القمر والأرض والكواكب الأخرى، فالقرآن إذن يقرر حركة كل هذه الكواكب.

السماء والشهب:

قال آخر: ومن تلك الشكيكات، سوء الفهم المرتبط بقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات:

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠

(٢) رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠

(٣) رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠

(٤) رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٠

٦ـ١٠]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]، وقد قال المشككون في ذلك: (إن القرآن جعل النجوم والكواكب في حجم الحجارة، ترمي بها الملائكة الشياطين، والعلم الحديث يثبت أن كل كوكب عالم ضخم)

قال آخر[1]: وهذا ناتج عن التسرع وعدم التدبر، ذلك أن الآيات الكريمة ذكرت أن هناك أجساما نارية تصيب الشياطين، ولم تذكر أن الشيطان يسقط عليه نجم أو أن الملائكة ترميه به.

قال آخر[2]: والعلم الحديث، ورواد الفضاء يتحدثون عن النيازك التي ترى في الفضاء الواسع مذنبات مضيئة، ومنها الناري الذي ينطفئ ويتفتت في سيره، وبعضها يصل إلى الأرض، وهي تشبه المقذوفات البركانية، والذين درسوا جغرافية فلكية يعرفون هذا، فهذه المقذوفات قطع تنفصل من الكواكب وتتحرك في الفضاء، خصوصا إذا كان النجم أو الكوكب قريبا من الأرض، والله تعالى يصيب بها من يشاء ويحفظ بها من يشاء، وقد تكون قطعا باردة ولكنها مضيئة كالقمر.

قال آخر[3]: أما التشكيك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وتوهمهم أن (السماء سقف قابل للسقوط)، فالجواب عليه هو أن كل لغة فيها الحقيقة وفيها المجاز، والتعبير الوارد في الآية الكريمة على المجاز، ذلك أن السماء شبه سقف البيت، والمانع للسقف من السقوط على الحقيقة هو الأعمدة، وعلى المجاز هو الله؛ لأن كل شيء بقدرته.

---

(١) رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٢.

(٢) رد مفتريات على الإسلام، ص ١٣٢.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص ٤٤٠.

قال آخر[1]: ولذلك نظير فى الكتب المقدس.. ففيه: (بالكسل يهبط السقف)، وفى ترجمة أخرى: (من جراء الكسل ينهار السقف، وبتراخى اليدين يسقط البيت) [جامعة ١٠: ١٨]، أي أنه يريد أن يقول: إن الكسل يؤدى إلى الفقر، والفقر يؤدى إلى خراب البيوت، وعبر عن الخراب بانهيار السقف، والسقف لا ينهار بالكسل، وإنما بهدّ الأعمدة التى تحمله.

السموات السبع:

قال آخر[2]: ومن تلك التشكيكات سوء الفهم لقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩ ـ ٢٠]، وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، فقد ذكروا أن الأرض كوكب واحد وليس سبعة، وكذلك السماء.

قال آخر[3]: والجواب على ذلك هو أن هذا ناتج عن التسرع، ذلك أن ما ذكروه غيب لم يصل العلم إلى كشفه بعد، فقد تكون السماء التي توصل علمنا إليها بكل ما فيها من كواكب ونجوم وأفلاك إحدى السماوات السبع، والكرة الأرضية التي نعيش عليها هي أيضا كذلك.. فعلم الفلك الحديث يؤيد هذا، ويذكر أن المجموعة الشمسية التي يتعلق بها عالمنا هذا ليست إلا واحدة من مجموعات أخرى لا يعلمها إلا الله الذي خلقها.

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٤٤٠.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٨١.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٨١.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن العدد في اللغة العربية يذكر لإرادة التكثير، ويعبرون عنه بأنه عدد لا مفهوم له، وهذا كما تقول لصديقك: زرتك ألف مرة ولم تزرني، فأنت لا تريد ألفا بعدده، وإنما تريد زرتك مرات كثيرة، فإذا حملنا العدد في الآية هذا المحمل، فالمعنى أن الله خلق سماوات كثيرة وأرضين كثيرة، وهذا حق وواضح.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد يكون المراد بالسبع الأرضين أنواعا مختلفة من تربة الأرض، ويسمى كل نوع أرضا، وهذا كما نقول: أصبح فلان ثريا يملك أراض كثيرة، والأرض أنواع بحسب تربتها وما بكل تربة من عناصر تكونت منها، بعضها رملي وبعضها جيري، وببعضها معادن حديدية وبالأخرى عناصر نحاسية وهكذا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد يكون المراد من أنواع الأرض ما تصلح لإنباته، فأرض بها غابات وأرض بها زهور، وثالثة قاحلة لا تنبت شيئا.

قال آخر[4]: أما التشكيك في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فمعنى ﴿فراشا﴾ أي مبسوطة تحت أقدامنا، منبسطة كالفراش، ننام عليها ونمشي ونزرع، ونستقر أيضا أنعامنا ومساكننا، ولو جعلها الله تعالى كثيرة التعاريج شديدة التحدب، ما استطعنا أن نستريح عليها، ولا أن نجري كل هذه الأعمال، فالآية تذكر نعمة من نعم الله علينا، وليس في هذا ما يفيد أن الأرض قابلة للسقوط.

الأيام الستة:

قال آخر: ومن تلك التشكيكات الناتجة عن سوء الفهم ما ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٨١.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٨١.

(٣) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٨١.

(٤) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٨٢.

رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] حول الأيام الستة للخلق، ومن الذين طرحوا هذه الشبهة من المستشرقين الأستاذ ميلر بروز ـ رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه، وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة ييل ـ في بحث له بعنوان: (مقترحات في موضوع العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام)، حيث قال: (من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم، تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس، وفي القرآن من أن الله خلق العالم في ستة أيام، صحيح أن القرآن يقرر أن يوما عند الله كألف سنة مما يعد الإنسان، ولكن هذا لا يحل المعضلة؛ فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة)[1]

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو أن الآيات التي أشار إليها ميلر بروز تقرر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، لكنها لا تعرض لعمر الكون المخلوق منذ خلقه الله تعالى حتى يومنا هذا.

قال آخر: وميلر بروز وغيره من الذين طرحوا هذه الشبهة يخلطون بين الأمرين، مشيرين إلى (معضلة) لا وجود لها، حيث يتكلمون عن (فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، والتي لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أوستة ملايين سنة)، فما للآيات القرآنية التي يشير إليها وعمر الكون!؟.. إنها تقرر فحسب الزمن الذي خلق الله تعالى فيه الكون، دون أن تعرض لما بعد الخلق من الزمن الذي مر على الكون المخلوق حتى يومنا هذا.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن ميلر بروز أو غيره لا يستطيع أن يعرض بشيء من

---

(١) انظر: المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.

(٢) انظر: المدخل إلى علم التفسير، ص ٢٠٣.

التكذيب لما قررته هذه الآيات، من أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، لأن فعل الخلق وزمانه سبقا الوجود البشري، فلا يستطيع أحد إطلاقا أن يزعم أنه شهد ـ بأي وسيلة ـ أو رصد كيفية خلق السماوات والأرض وزمانه، وعلم البشر المادي ـ بكافة فروعه ـ نشأ بعد أن تم الخلق، وليس هناك أمامه سبيل ما لمعرفة تفصيلات خلق السماوات والأرض وما بينهما ـ من حيث الزمان ـ إلا ما أخبر به الوحي الصادق عن الله تعالى في هذه الآيات، ولا يملك الإنسان ـ في علمه البشري وسيلة أخرى يسترجع بها كيفية الخلق أو زمانه ليقيس عليها ما ورد في الوحي، ومن هنا لا يستطيع العلم البشري بحال أن يصل في هذه القضية إلى شيء يستند عليه في تكذيب ما ورد في الوحي؛ لأن الوحي يحكي هنا عن أمر غيبي لم يشهد البشر ولا يصل إليه علمهم المادي بحال، كما قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]

قال آخر[1]: وهكذا؛ فإن كل زعم من هذا القبيل زعم باطل، يستوي في بطلانه مع دعوى الكفار القدماء، بأن الملائكة ـ الذين لم يشهدوا خلقهم أو يحيطوا بهم علما ـ إناث، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: ١٥٠]، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]

٧. التشكيك واللغة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن الشبه التي أثارها المستشرقون وغيرهم حول القرآن الكريم وقواعد اللغة.

قال أحد المشككين: إن منشأ تلك التشكيكات هو الجهل باللغة العربية وسعتها، أو

---

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم، ص٣٨٨.

توهم أن القرآن الكريم خاضع للقواعد التي وضعت بناء على ما كتبه الباحثون انطلاقا من الشعر الذي يكاد يكون أكثره ملحونا، مع أن القرآن الكريم هو الحاكم على اللغة، وليست هي الحاكمة عليه.

قال آخر: ومن الأمثلة على النوع الأول من الشبهات ما روي عن بعضهم قال: بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما.. وقد سئل حينها مسائل كثيرة جدا.. استشهد فيها بأبيات كثيرة من الشعر، لتبين الأصول اللغوية لما أشكل من الألفاظ القرآنية[1].

قال آخر: ومن تلك المسائل أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]، فقال: العزون الحلق الرقاق، قال السائل: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص، وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، فقال: الوسيلة الحاجة.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]،

---

(١) وقد وردت في كتاب الإتقان للسيوطي في أكثر من ثلاثين صفحة، الإتقان للسيوطي (٢/ ٥٥ ـ ٨٨).

فقال: الشرعة الدين، والمنهاج الطريق.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دين ومنهاجا

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فقال: نضجه وبلاغه.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إذا ما مشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبت يانع

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، فقال: الريش المال.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فرشني بخير طالما ما قد ريتني وخير الموالي من يريش ولا يبري

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، فقال: في اعتدال واستقامة.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول:

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣] فقال: السنا الضوء.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث يقول:

يدعو إلى الحق لا يبغي به بدلا يجلو بوء سناه داجي الظلم

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢] فقال: ولد الولد، وهم الأعوان.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [مريم: ١٣] فقال: رحمة من عندنا.. قال:

وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] فقال: أفلم يعلم بلغة بني مالك.. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول:

لقد يئس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائبا

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] فقال: ملعونا محبوسا من الخير، فقال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت عبد الله بن الزبعري يقول:

إذ أتاني الشيطان في سنة النو م ومن مال ميله مثبورا

قال آخر: فسأله عن قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣] فقال: ألجأها، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

أ. القواعد العربية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن النوع الثاني، المرتبط بالتشكيكات المرتبطة بلغة القرآن الكريم وقواعدها.

قال أحد المشككين: يمكن تقسيمها إلى نوعين: تشكيكات مرتبطة بقواعد النحو، وتشكيكات مرتبطة بقواعد الصرف.

قواعد النحو:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن التشكيكات المرتبطة بقواعد النحو.

قال أحد المشككين[1]: هي كلها تشكيكات ناشئة عن الجهل بقواعد اللغة العربية وسعتها، ومن أمثلتها التشكيك في إعراب كلمة ﴿الصَّابِئُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، حيث أن المشككين نظروا فيها بعد [الواو] فى ﴿الصابئون﴾ وقارنوا بينه وبين ﴿الذين آمنوا﴾ الواقع بعد (إن) وهى حرف ناسخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، واسم إن هنا هو ﴿الذين﴾ وهو مبنى لأنه اسم موصول.. وقد عطف عليه ﴿الذين هادوا﴾ أما ﴿الصابئون﴾ فجاءت مرفوعة ب﴿الواو﴾ لأنها جمع مذكر سالم وجاء بعدها ﴿النصارى﴾

قال آخر[2]: وكل من ﴿الذين﴾ فى الموضعين السابقين على ﴿الصابئون﴾ وكذلك ﴿النصارى﴾ إعرابها تقديرى لا يظهر، لا فى الخط ولا فى النطق، وذلك لأن الاسم الموصول ﴿الذين﴾ من المبنيات على حالة واحدة، أما ﴿النصارى﴾ فهو اسم مقصور، يتعذر ظهور حركة الإعراب عليه، وهى هنا الفتحة، و﴿الراء﴾ مفتوحة أصالة، ومحال أن تظهر فتحتان على موضع واحد، سواء كانت الحركتان مختلفتين، كفتحٍ وضمٍ، أو متجانستين، كفتحتين وضمتين.

قال آخر[3]: فالمشككون نظروا فى نظم هذه الآية الحكيمة وقالوا إن فيها خطأً لغوياً (نحوياً) ؛ لأن ﴿الصابئون﴾ معطوفة على منصوب ﴿إن الذين آمنوا﴾، فكان حقها أن تنصب، فيقال ﴿والصابئين﴾ لكنها جاءت مرفوعة بالواو هكذا ﴿والصابئون﴾

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٤.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٤.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٤.

قال آخر[1]: أما التشكيك في رفع ﴿الصابئون﴾ فهو ناشئ عن الجهل بقواعد اللغة العربية وسعتها.. ولذلك ذكر النحويون لتوجيه ذلك تسعة توجهات كاملة تكفي لتفنيد هذه الشبهة من كل وجوهها.. وأولها ما قاله جمهور نحاة البصرة، الخليل وسيبويه وأتباعهما، حيث قالوا: إن ﴿الصابئون﴾ مرفوع على أنه ﴿مبتدأ﴾ وخبره محذوف يدل عليه خبر ما قبله ﴿إن الذين آمنوا﴾ قالوا: والنية فيه التأخير، أى تأخير ﴿والصابئون﴾ إلى ما بعد ﴿والنصارى﴾، وتقدير النظم والمعنى عندهم: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك)[2]

قال آخر[3]: ومن شواهد هذا الحذف قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

فقد حذف الخبر من المبتدأ الأول، وتقديره (راضون) لدلالة الثاني عليه (راض).. والمعنى: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض.

قال آخر: ومثله قول الشاعر:

ومن بك أمسى بالمدينة رحله فإنى وقيَّار بها لغريب

والتقدير: فإنى لغريب وقيار كذلك.

قال آخر: ومثله قول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

فالشاعر يصف الفريقين أنهم (بغاة) إن استمروا فى الشقاق، والتقدير: اعلموا أنا

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٤.

(٢) انظر: الدر المصون للسمين الحلبى (٤/ ٣٥٤).

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٥.

بغاة وأنتم كذلك.

قال آخر[1]: ومن التوجيهات المرتبطة بهذا، أن الجملة الاسمية المؤكدة ب (إن) يجوز أن يذكر فيها مبتدأ آخر غير اسم (إن) وأن يذكر خبر واحد يكون لاسم (إن) ويحذف خبر المبتدأ الثانى لدلالة خبر اسم (إن) عليه، أو يحذف خبر اسم (إن) ويكون الخبر المذكور للمبتدأ الثانى دليلاً على خبر اسم (إن) المحذوف.. ونظم الآية التى كانت منشأ الشبهة عندهم لا يخرج عن هذه الأساليب الفصيحة، التى عرفناها فى الأبيات الشعرية الثلاثة، وهى لشعراء فصحاء يستشهد بكلامهم.

قال آخر[2]: ومن التوجيهات المرتبطة بهذا، أن (إن) فى قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ ليست هى (إن) الناسخة، التى تنصب المبتدأ وترفع الخبر، بل هى بمعنى: نعم، يعنى حرف جواب، فلا تعمل فى الجملة الاسمية لا نصباً، ولا رفعاً، وعلى هذا فالذى بعدها مرفوع المحل، لأن ﴿الذين﴾ اسم موصول، وهو مبنى فى محل رفع، وكذلك ﴿الصابئون﴾ فإنه مرفوع لفظاً، وعلامة رفعه (الواو) لأنه جمع مذكر سالم، مفرده (صابئ)

قال آخر[3]: وقد استعملها العرب كذلك، فقد قال قيس بن الرقيات[4]:

برز الغوانى من الشباب يلمننى، وألومهنَّهْ
ويقلن شيبٌ قد علاك وقد كبرتَ، فقلت إنَّهْ

أى فقلت: نعم.. وعلى هذا فإن كلا من ﴿الذين﴾ و﴿الصابئون﴾ والنصارى، أسماء مرفوعة إما محلاً، وإما لفظاً.. وعليه كما كان فى المذهب الأول فلا خطأ فى الآية كما زعم المشككون.

---

(1) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٥.

(2) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٦.

(3) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٦.

(4) البيتان فى ديوانه (٦٦) والكتاب لسيبويه (١/ ٤٧٥).

قال آخر[1]: وقد اختار الكثير من المفسرين التوجيه الأول، ومنهم الشوكانى الذي قال: (الصابئون مرتفع على الابتداء، وخبره محذوف والتقدير: (إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك)[2]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[3]: أجل.. فمنها التشكيك في إعراب كلمة ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]، حيث نظروا فى هذه الآية، فوقعت أعينهم على كلمة ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ فقارنوا بينها وبين ما قبلها: ﴿الراسخون﴾، و﴿المؤمنون﴾.. وبين ما بعدها ﴿المؤتون﴾، و﴿المؤمنون﴾، فوجدوا ما قبلها وما بعدها مرفوعاً بالواو لأنه جمع مذكر سالم؛ أما ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ فوجدوها منصوبة بالياء، لأنها كذلك جمع مذكر سالم، حقه أن يرفع بالواو، وينصب ويجر بالياء، وهذا ما جعلهم يتوهمون أن في القرآن الكريم خطأ نحوياً من نوع جديد، هو [عطف المنصوب على المرفوع]، أو [نصب المعطوف على المرفوع]، ثم علقوا قائلين: (كان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: (والمقيمون الصلاة)

قال آخر[4]: والجواب على هذا يحتمل وجوها كثيرة منها أن ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ منصوبة على الاختصاص، والمراد منه المدح فى هذا الموضع بدلالة المقام؛ لأن المؤدين للصلاة بكامل ما يجب لها من طهارة ومبادرة وخشوع وتمكن، جديرون بأن يُمدحوا من الله والناس، وقد

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٤٧.

(٢) فتح القدير (٢/ ٧١).

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٥٢.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٥٣.

قال الزمخشري في ذلك: (﴿المقيمين﴾ نُصِبَ على المدح، لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً فى خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان)[1]

قال آخر: وقد سبق الزمخشرى فى هذا التوجيه شيخ النحاة سيبويه وأبو البقاء العكبرى[2].. وهو أسلوب شائع فى الاستعمال اللغوي العربي، وفيه من البلاغة أمر زائد على مجرد التوجيه النحوي، الذي لا يتجاوز بيان عامل النصب أو الجر.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين [3]: أجل.. فمنها التشكيك في نصب كلمة ﴿الصَّابِرِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] لأنها جاءت منصوبة بـ ﴿الياء﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾، وكان يجب ـ في زعمهم ـ أن ترفع، لأنها معطوفة على ما قبلها.

قال آخر[4]: والجواب على هذه الشبهة هو أن فهم السياق الذي وردت فيه الكلمة يزيل عنها ذلك الفهم السيء.. ذلك أنه يمكن تقسم الآية الكريمة إلى ست وحدات.. لكل وحدة مجالها الدلالي الخاص.. فأولها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

---

(١) الكشاف (١/ ٥٨٢)

(٢) إملاء ما من به الرحمن (١/ ٢٠٢)

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٥٧.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٥٧.

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].. وثانيها قوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].. وثالثها قوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧].. ورابعها قوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧].. وخامسها قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].. وسادسها قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

قال آخر: أما الوحدة الأولى؛ فتتضمن قيما إيمانية تنتظم تحت مفهوم العقيدة، وهي: الإيمان بالله، وباليوم الآخر، وبالملائكة، وبالوحى، ثم بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

قال آخر: والوحدة الثانية تنتظم عناصرها تحت مبدأ [الإنفاق المالى الحر] غير الزكاة، ويبين الله فيها الصفات التى تتحقق فى المنفق عليه، وهم: ذوو القربى من النسب.. واليتامى مهما تباعدت صلتهم عن المنفق.. والمساكين، الذين ليس لهم مصدر رزق كسبى، إما لعدم وجود عمل، أو لعجز عنه.. والغرباء الذين تعوزهم الحاجة فى السفر، وليس معهم مال وإن كانوا أغنياء فى بلادهم.. والمحتاجون حقا الذين يستعطفون الناس لسد حاجتهم فى غير معصية.. وعتق الرقاب من الرق.

قال آخر: والوحدة الثالثة، يندرج عنصراها [الصلاة والزكاة] تحت ركنين عمليين من أركان الإسلام، والزكاة إنفاق واجب، وليس حرا.

قال آخر: والوحدة الرابعة، هى حسن المعاملة مع الناس بوفاء الوعد العهد، وهي تشير إلى الأخلاق التي تحكم العلاقات الاجتماعية.

قال آخر: والوحدة الخامسة تنتظم عناصرها تحت مبدأ الصبر الجميل فى كل عمل خير يؤديه المكلف، وبخاصة فى الشدائد والمحن وملاقاة العدو.

قال آخر: أما الوحدة السادسة؛ فهى بيان فضل هؤلاء المذكورين فى الآية، وبخاصة ما ذكر قبل الفاصلة مباشرة، ومنزلتهم عند الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

قال آخر: وإذا تأملنا هذه الوحدات، وعناصرها المندرجة تحتها، وجدنا أن أشدها وقعا على النفس، وأشقها كلفة، هي الصبر فى المحن والشدائد والأخطار، وبخاصة فى ملاقاة العدو، والتعرض لزحفه وسلاحه، وقد يفضى بالإنسان إما إلى حدوث عاهات مؤلمة فى الجسم، وإما إلى الموت؛ فالمقاتل فى ساحات الكر والفر إنما يصارع الموت، ومقدمات الموت، ولهذا جاء إعراب ﴿الصابرين﴾ مخالفا لإعراب ما قبلها، ليلفت الله أذهان العباد إلى أهمية الصبر فى هذه المجالات، وهذا الإعراب المخالف لما قبله يفيد مع تركيز الانتباه، وتوفير العناية بتأمل هذا الخلق العظيم، يفيد أمرا آخر مبهجا للنفوس، هو مدح هؤلاء الصابرين شديدى العزيمة، قويى الاحتمال..

قال آخر: وهذا الإعراب المخالف لإعراب ما قبله، ليس خارجا عن قواعد اللغة العربية، بل هو الذى يسميه النحاة واللغويون بـ [القطع] و[الاختصاص]، وهو إما للمدح كما فى هذه الآية، والآية السابقة ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢].. وإما بقصد الذم، كما فى قوله تعالى فى سورة المسد: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، لأن كلمة ﴿حمالة﴾ جاءت منصوبة بعد رفع ما قبلها، وهى ﴿امرأته﴾ فهذا قطع كذلك، القصد منه الذم، أى: أذم أو ألعن حمالة الحطب.

قال آخر: وأيا كان القطع للمدح أو الذم، فإنه من أرقى الأساليب البلاغية، يحتوى على فضيلة الإيجاز، وهى أن تكون المعانى أكثر وأوفر من الألفاظ التى تدل عليها، أو المستعملة فيها.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أجل.. فمنها التشكيك في نصب كلمة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ في قوله تعالى﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، حيث توهموا أن فيها خطأً نحوياً؛ لأنها عندهم فاعل، والفاعل حكمه الرفع لا النصب، فكان حقه أن يكون هكذا: (لا ينال عهدى الظالمون)، لأنه جمع مذكر سالم، وعلامة رفعه الواو.

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو أن الفعل ﴿يَنَالُ﴾ فعل متعدٍ إلى مفعول واحد، كما قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، فالفاعل واو الجماعة، والمفعول ﴿خيراً﴾، أما في هذه الآية التى اتخذوها منشأ لهذه الشبهة، فالفاعل هو ﴿عهدى﴾، وهو مرفوع بضمة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لياء المتكلم، والمفعول به هو ﴿الظَّالِمِينَ﴾، وعلامة نصبه هي الياء، لأنه جمع مذكر سالم، ينصب ويجر بالياء، والمعنى: لا ينفع عهدى الظالمين.

قال آخر: وليس في كون﴿الظَّالِمِينَ﴾ منصوبة على المفعول به خلاف بين العلماء، بل إنهم نصوا على أن من خواص الفعل [نال] أن فاعله يجوز أن يكون مفعولاً، ومفعوله يجوز أن يكون فاعلاً، على التبادل بينهما، حيث قالوا: لأن ما نالك فقد نلته أنت.

قال آخر: ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَّ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] على خلاف نسق آية البقرة، التى هي محل الشبهة، حيث كان الوالى للفعل فيها هو الفاعل ﴿لا ينال عهدي﴾ والواقع بعد الفاعل هو المفعول ﴿الظالمين﴾.

قال آخر: أما في آية الحج فإن الذي ولى الفعل ﴿لن ينال الله﴾ هو المفعول، وما بعده

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٥٧.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٥٨.

هو الفاعل ﴿لحومُها﴾.. والمعنى: لن يصل الله لحومُها ولا دماؤها، وكذلك قوله ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ فالضمير في ﴿يناله﴾ هو المفعول به، أما ﴿التقوى﴾ فهى الفاعل.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أجل.. فمنها التشكيك في كلمة ﴿قَرِيبٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، حيث توهموا أن فيها خطأً نحوياً منشؤه عدم التطابق بين المبتدأ ﴿رحمة﴾ والخبر ﴿قريب﴾ في التأنيث، لأن المبتدأ ﴿رحمة﴾ مؤنث، أما الخبر ﴿قريب﴾ فهو في الآية مذكر، فقالوا: (كان يجب أن يتبع خبر (إن) اسمها في التأنيث فيقال: قريبة)

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن للتذكير الحاصل بحذف علامة التأنيث من الخبر، عدة وجوه، منها أن ﴿رحمة الله﴾ في معنى الغفران أو الرضوان؛ فلذلك جاء الخبر ﴿قريب﴾ مذكراً.. وقد اختار هذا الرأى النضر بن شميل والزجاج[2].

قال آخر[3]: ومنهم من جعل ﴿قريب﴾ صفة لخبر محذوف مذكر تقديره: شيء أو أمر قريب، ودليل هذا الحذف هو تذكير ﴿قريب﴾.. ومنهم من جعله من باب النسب، أى ذات قرب، كقولهم في حائض: ذات حيض.. ومنهم من جعل ﴿قريب﴾ مصدراً مستعملاً استعمال الأسماء مثل النقيق، وهو صوت الضفادع، والضغيب وهو صوت الأرنب، والمصدر يُلتزم فيه الإفراد وإن جرى على جمع، والتذكير وإن جرى على مؤنث كما في هذه الآية الكريمة.

قال آخر[4]: ويرى آخرون أن تأنيث ﴿رحمة﴾ لما كان تأنيثاً مجازياً لا حقيقياً جاز في

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٥٩.

(٢) معانى القرآن للزجاج (٢/ ٣٨٠)

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٠.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٠.

الاستعمال اللغوى تأنيث خبره وصفته، وجاز تذكيرهما على حدٍ سواء، سواء كان في ضرورة الشعر، أو في النثر.

قال آخر: وقال الفراء: [قريبة وبعيدة] إما أن يراد بهما قرابة النسب أو عدمها، فيؤنثها العرب ليس إلا، كقولهم: فلانة قريبة مني، أى في النسب وبعيدة منى أى في النسب، أما إذا أريد بها القرب المكانى أو الزمانى فإنه يجوز الوجهان؛ لأن قريباً وبعيداً قائم مقام المكان أو الزمان، فتقول: فلانة قريبة وقريب، وبعيدة وبعيد، والتقدير هى في مكان قريب وبعيد، قال الشاعر:

عشية لا عفراء منك قريبة فتدنو ولا عفراء منك بعيد

يعنى أن الشاعر جمع بين الوجهين التأنيث والتذكير والموصوف مؤنث؛ لأن ﴿قريب﴾ و﴿بعيد﴾ أريد بهما القرب في المكان والبعد فيه[1].. والآية الكريمة ليس القرب المذكور فيها مراداً به قرب النسب فيلزم تأنيثه، وإنما المراد قرب الزمان، والعرب تجيز فيه الوجهين: التأنيث والتذكير.

قال آخر[2]: ولامرئ القيس، وهو من شعراء الجاهلية، وشعرهم حُجة في إثبات اللغة، بيت نحا فيه هذا المنحى؛ فقال:

له الويل إن أمسى ولا أم سالم قريب ولا البسباسة ابنته يُشكرا

والشاهد في البيت تذكير [قريب] مع جريانه على مؤنث (أم سالم) وهو نظير ﴿قريب﴾ في الآية الكريمة[3].

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

---

(١) معانى القرآن (٢/ ٣٨٢)

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦١.

(٣) الدر المصون. الشاهد رقم (٥٦٢)

قال أحد المشككين[1]: أجل.. فمنها التشكيك في تأنيث ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، والصواب الذي توهموه عبروا عنه بقولهم: (كان يجب أن يُذَكَّر العدد، ويأتى بمفرد المعدود فيقول: اثنى عشر سبطا)

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو أن سبب تأنيث العدد في الآية لأن السبط في بنى إسرائيل كالقبيلة عند العرب، يعنى أنه أراد بالأسباط القبائل، ولذلك أنث جزئى العدد المركب، وهما: اثنتى، وعشرة.. بالإضافة إلى أنه يمكن تأويل السبط بالجماعة أو الفرقة أو الطائفة.

قال آخر[3]: أما جمع أسباط، وكان حقه أن يفرد فقد روعى فيه المعنى دون اللفظ، ومراعاة المعنى دون اللفظ، أو اللفظ دون المعنى كثير الورود في النظم القرآني، حيث كان العرب النازل بلغتهم القرآن يذكِّرون عدد المؤنث مراعاة للفظ فيقولون: ثلاثة أنفس، أي رجال ويقولون عشر أبطن؛ ففي الأول (ثلاثة أنفس) ذكَّروا العدد نظراً للمعنى؛ لأن المعدود مذكر (رجال) وفى الثانى أنثوا العدد (عشر أبطن) لأن المعدود هو القبيلة أى عشر قبائل، وهذا باب واسع لا تحصر شواهده .

قال آخر[4]: أما جمع المعدود الذي في الآية ﴿أسباطاً أمماً﴾ فله نظائر في الاستعمال المأثور الوارد عن العرب ومنه قول الشاعر:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة   سُوداً كخافية الغراب الأسحم

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٣.

(٢) الدر المصون (٥/ ٤٨٥)

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٤.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٤.

فقد وصف الشاعر (حلوبة) وهى مفرد، بقوله (سُوداً) وهو جمع سوداء.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا؛ فلجمع المعدود ﴿أسباطاً أمماً﴾ ملمح بلاغى دقيق، حيث بدأت الآية الكريمة بهذا الفعل ﴿قطَّعناهم﴾ بتشديد الطاء على وزن فَعَّل وهذا التشديد يفيد التكثير، أى كثرة التقطيع والتفريق، وهذا يناسبه بلاغة جمع ﴿أسباطاً أمماً﴾ لا إفرادهما، والمعانى البلاغية من هذا النوع تزال من أجلها كل الموانع، فلغة القرآن وبلاغته أوسع من قواعد اللغة وفنونها البلاغية.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]، حيث ذكروا أنه يجب أن يثنى الضمير العائد على المثنى، فيقول: (خصمان اختصما في ربهما)

قال آخر[3]: والجواب على هذه الشبهة هو أن المثنى نوعان: أولهما حقيقي، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فـ ﴿رجلان﴾ مثنى حقيقى؛ لأن واحده فرد في الوجود؛ أو ذات واحدة؛ وإذا وُصِفَ أو استؤنف الحديث عنه وجب تثنية الضمير العائد عليه.. و(المثنى الحقيقى) يسمى مثنى لفظاً ومعنى.

قال آخر[4]: أما النوع الثانى من المثنى، فهو المثنى اللفظي، ومثاله من القرآن الكريم

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٥.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٦.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٧.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٧.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، وهذا النوع من المثنى ضابطه أن واحده جمع فرد من عدة أفراد، وليس فرداً واحداً.. ويطلق عليه (المثنى غير الحقيقى) لأنه مثنى في اللفظ، وجمعاً في المعنى، وفى وصفه أو استئناف الحديث عنه يجوز أن يراعى فيه جانب اللفظ، أو جانب المعنى.

قال آخر[1]: ويدخل في هذا النوع ﴿خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، ذلك أن معناه جمعاً روعى فيه جانب المعنى، ذلك أن مفرد الخصمين خصم، وهو اسم جنس يندرج تحته ـ هنا ـ أفراد كثيرون، وبهذا نزل القرآن في هذه الآية، حيث تحدث عن الخصمين بضمير الجمع الذى هو واو الجماعة.

قال آخر[2]: ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، حيث أعاد الضمير جمعاً ﴿اقتتلوا﴾ هذا في جملة الخبر، مع أن المبتدأ مثنى ﴿طائفتان﴾، وذلك لأن هذا اللفظ مثنى غير حقيقى، بل هو مثنى في اللفظ، جمع في المعنى.

قال آخر[3]: وكلا المنهجين فصيح صحيح بليغ.. والذى سوَّغ مراعاة المعنى فى ﴿اقتتلوا﴾ وقوعه بعد جمعٍ، هو ﴿المؤمنين﴾، وليس فوق ذلك درجة من الصحة والإصابة.

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن ﴿اختصموا في ربهم﴾ أبلغ من (اختصما)، و﴿ربهم﴾ أبلغ من (ربهما)، لأن ﴿اختصموا﴾ يفيد تبادل الخصومة بين جميع أفراد ال ﴿خصمان﴾ من أول وهلة، وكذلك ﴿ربهم﴾ يفيد من أول وهلة ربوبية الله لكل فرد منهم.

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٧.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٧.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٨.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٨.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الاختصام هو الحدث الرئيسى في هذه الواقعة، فعُبِّر عنه بهذا اللفظ الفخم ﴿اختصموا﴾، ومحال أن يستقيم لو قيل بعده ﴿فى ربهما﴾

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩]، حيث توهموا أنه يجب أن يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول: (خضتم كالذين خاضوا)

قال آخر[3]: والجواب على هذه الشبهة هو أن الآية الكريمة ـ بتمامها ـ وردت في سياق الحديث عن المنافقين؛ لأن ما قبلها هو قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، والآية مسوقة لتهديد المنافقين والكفار، لعلهم يقلعون عما هم فيه من نفاق وكفر.

قال آخر[4]: وقد أدير الحديث فيها على تشبيه المخاطبين (المنافقين والكفار) بالأمم الغابرة، الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر مالاً وولدا، وانغمسوا في شهواتهم الفانية، فسار المنافقون والكفار سيرتهم فركنوا إلى متع الحياة الدنيا الفانية، ولم يبتغوا ما عند الله، وأن المنافقين والكفار فعلوا كل ما فعله من قبلهم من المعاصى والسيئات.

قال آخر[5]: ثم بين الله عز وجل أنهم الخاسرون في الدنيا والآخرة؛ وبذلك، فإن في

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٨.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٩.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٩.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٩.

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٦٩.

الآية تتحدث عن فريقين: فريق سابق في الزمن، لم يكن موجوداً في عصر نزول القرآن.. وفريق كان حاضراً في عصر نزول القرآن، وهم الذين خاطبهم الله في هذه الآية الكريمة، وليس في هذه الآية فريق ثالث تحدثت عنه الآية.

قال آخر[1]: ولهذا؛ فإنه لو قيل: (خضتم كالذين خاضوا) لانفكت رابطة الكلام، ولبرز في النظم طرف ثالث لا وجود له في سياق الآية، ذلك أن المقارنة جرت في الآية بين الفريقين (المنافقين والكفار) من جهة، و(الأمم الغابرة) من جهة أخرى.

قال آخر[2]: فالذى في الآية اسم موصول مفرد، يعود على المصدر المفهوم من الفعل الماضي ﴿خضتم﴾ فشبه الله عز وجل خوض المنافقين بخوض الذين من قبلهم، وهذا هو النسق الذي دارت عليه المقارنة في الآية تشبيه سلوك اللاحقين بسلوك السابقين من الأمم الغابرة، التى عتت عن أمر ربها وعصت رسله.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد اختار الشوكانى أن يكون التقدير هكذا: (كالخوض الذي خاضوا)[3]، ومن قبله قدرها الزمخشرى هكذا: (وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا)[4]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[5]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿أَكُنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، فقد ذكروا أن (﴿أَكُنْ﴾ فعل معتل الوسط بالواو (أجوف) ولا يحذف الواو منه إلا إذا سكن آخره، ولا يسكن آخره إلا إذا كان

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٧٠.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٧١.

(٣) فتح القدير (٢/ ٤٣٣)

(٤) الكشاف (٢/ ٢٠١)

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٧٢.

مجزوماً، ويجزم المضارع إذا دخل عليه جازم أو عطف على مجزوم، ولما لم يدخل على الفعل ـ هنا ـ جازم، ولم يتقدم عليه مجزوم يصح جزمه بالعطف عليه، كان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقال: (فأصدق وأكون)

قال آخر[1]: والجواب على ذلك هو ما ذكره الزمخشري من أن مجيء الفعل ﴿أكن﴾ مجزوماً مردوفاً على الفعل المنصوب ﴿فأصدق﴾ لأن قوله تعالى ﴿لولا أخرتني﴾ جاء في محل جزم لتضمنه معنى الشرط، فكأنه قيل: (إن أخرتنى أصدقْ وأكن من الصالحين)[2].. وكذلك قال ابن عطية [3]، وأبو على الفارسى [4].

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[5]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]، حيث توهموا أنه (يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفرداً، فيقول: (استوقد ـ ذهب الله بنوره)

قال آخر[6]: والجواب على هذه الشبهة هو أن هذه الآية مضروبة مثلاً لبيان حال المنافقين في تذبذب أحوالهم وتقلبهم في مواقفهم، وانتهازهم الفرص السانحة لتحقيق أغراضهم الدنيوية، وعدم ثباتهم على مبدأ خلقى قويم، وقد تقدم على هذه الآية آية أخرى تصف سعيهم الضال، وإيثارهم منافع الدنيا العاجلة الفانية، على ما عند الله عز وجل مقضياً عليهم بالخسران المبين، وهى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، ثم استأنف الحديث عنهم فى: ﴿مَثَلُهُمْ

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٧٤.

(٢) الكشاف (٤/ ١١٢).

(٣) المحرر الوجيز (١٦/ ٢٣).

(٤) الحجة فى القراءات (٤/ ٣٨٦).

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٧٦.

(٦) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٧٦.

كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]

قال آخر(١): والمَثل هو الشأن والقصة الغريبة التى يكون عليها المتحدث عنه، وهو ـ هنا ـ المنافقون، مَثَّلَ الله حالهم وشأنهم الذي هم عليه، وقصتهم الغريبة الراسخة في طباعهم بمثل رجل، أو فريق من الناس طلب إيقاد نارٍ للانتفاع بها في تحقيق الرؤية، وإبصار الطريق للسير فيه، فلما أضاءت النار ما حوله وفرح بها سرعان ما أطفاها الله فأظلمت عليه الدنيا، فوقع في حيرة وارتباك.

قال آخر(٢): ومن الوجوه التي يفسر بها جمع الضمير بعد ﴿الذي﴾ أن ﴿الذي﴾ هنا ليس بمعنى المفرد، بل هو بمعنى ﴿الذين﴾، ذلك أن لـ ﴿الذي﴾ في الاستعمال اللغوى معنيان: الأول: أن يكون بمعنى المفرد، وهو الغالب والكثير فيه.. والثاني: أن يكون بمعنى الجمع، ويُفرَّق بينهما بالقرائن، ففي هذه الآية ﴿الذي﴾ بمعنى الفريق أو الفوج الذي استوقد النار، ولذلك؛ فإن المقصود جنس المستوقد، لا فرداً معيناً.

قال آخر: ويرى الزمخشرى أن ﴿الذي﴾ هو ـ هنا ـ ﴿الذين﴾ حذفت منه ﴿النون﴾ لاستطالته، وهو مثل ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]، وليس في الكلام تشبيه الجماعة بالواحد على هذا التأويل، وأن المشبه هو حال المنافقين، بحال الذي استوقد ناراً، تشبيه معنى مركب بمعنى مركب، وليس تشبيه ذوات المنافقين بذات الذي استوقد ناراً، فهذا غير مقصود، وإنما المقصود هو تشبيه قصة المنافقين المضروب لها المثل، بقصة المستوقد للنار، وأن وجه الشبه بين القصتين هو: (فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٧٧.

(٢) أنوار التنزيل للإمام البيضاوى (١/ ٣٠)

فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار)[1]

قال آخر: وقال الشوكاني: (﴿الذي﴾ موضوع موضع الذين، أي كمثل الذين استوقدوا، وذلك موجود في كلام العرب، كقول الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هُمُ القوم، كل القوم، يا أم خالد

ومنه ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] و﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣][2]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[3]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فقد توهموا أن الصواب أن يقال: (ولكن البر أن تؤمنوا بالله، لأن البر هو الإيمان، لا المؤمن)، وقد قالوا في العنوان الذي وضعوه لهذه الشبهة العبارة التالية: (أتى باسم الفاعل بدل المصدر)

قال آخر[4]: والجواب على ذلك أولا أنه ليس في هذا النص أي اسم فاعل على الإطلاق: فلا ﴿البر﴾ اسم فاعل.. ولا ﴿من﴾ اسم فاعل.. ولا ﴿آمن﴾ اسم فاعل.. ولا ﴿الله﴾ اسم فاعل.. وهذا يدل على جهل واضعي الشبهات باللغة العربية، ذلك أن ﴿مَنْ﴾ هنا اسم موصول، وصلته ﴿آمن﴾ أى الذي آمن.. فمن أين أتوا باسم الفاعل الموضوع موضع المصدر في الآية؟

قال آخر[5]: والجواب على ذلك يحتمل وجوها متعددة كلها في قمة البلاغة، وأولها

---

(١) الكشاف (١/ ١٩٩)

(٢) فتح القدير (١/ ٥٥)

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٩٠.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٩٠.

(٥) الكشاف (١/ ٣٣٠)

أن في الكلام مضافاً محذوفاً، والتقدير: (ولكن البر بر من آمن)، وهذا التوجيه اشتهر بين جمهور العلماء، وردده كثير منهم.

قال آخر[1]: والثاني تأويل ﴿البر﴾ بـ ﴿ذو البر﴾ يعنى أن في الكلام حذف مضاف، لكن تقديره قبل ﴿البر﴾، أما التوجيه الأول فكان تقدير المضاف المحذوف قبل ﴿من آمن﴾، وهذا المضاف خبر ﴿البر﴾ الذي هو اسم ﴿ليس﴾

قال آخر[2]: والثالث، هو أن يكون المصدر، وهو ﴿البر﴾ موضوعا موضع اسم الفاعل للمبالغة، كما في قول الخنساء تصف فرس أخيها صخر.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادَّكرت فإنما هى إقبال وإدبار

فإقبال وإدبار مصدران حلا محل اسم الفاعل، والتقدير؛ هى مقبلة مدبرة.

قال آخر[3]: والرابع أن ﴿البر﴾ وقع موقع اسم الفاعل لإرادة المبالغة على وزان قول العرب ﴿رجل عدل﴾ حيث عدلوا عن رجل عادل، إلى الإخبار عنه بالمصدر، على اعتبار أن هذا الرجل لما كان كثير العدل صار كأنه العدل نفسه، لا فرق بينهما.

قال آخر[4]: والخامس اعتبار ﴿من آمن﴾ واقعاً موقع الإيمان؛ فالعرب تجعل الاسم خبراً للفعل، كما قال الشاعر:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى نَدِى

حيث جعل الشاعر نبات اللحية خبراً عن الفتيان، والمعنى: لعمرك ما الفتوة أن تنبت اللحى.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

---

(1) الكشاف (1/ 330)

(2) الكشاف (1/ 330)

(3) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص193.

(4) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص193.

قال أحد المشككين[1]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، حيث توهموا أن الصواب أن يقال (قال له كُنْ فكان)

قال آخر[2]: والجواب على ذلك هو ما عبر عنه علماء النحو والبلاغة بأنه (حكاية حال ماضية)[3].. ويقصدون بها أن المضارع ﴿يكون﴾ دلالته في الآية أن الله عز وجل يصور للمخاطبين ترتيب الأحداث ساعة حدوثها في الزمن الذي خلق الله فيه آدم، وفائدته نقل أذهانهم إلى تلك اللحظة كأنهم يعاينونها بأبصارهم.. وهذه هى دلالة المضارع إذا وضع موضع الماضى عند علماء المعانى، هى بعث الماضى وتصويره في صورة الذي يحدث في الحال.

قال آخر[4]: ومن الأمثلة التي يذكرونها لهذا قول الشاعر يحكى صراعًا حدث بينه وبين الضَّبُع:

فأضربها بلا دهش فخرَّت.. صريعًا لليدين، وللجران

فالشاعر ضرب الضبع في الماضى، فلما حكى صراعه معها للناس عبَّر عن الماضي (فضربتها) بالمضارع (فأضربها)، والدلالة البلاغية للعدول عن الماضى إلى المضارع هى استحضار صورة الحدث الذي وقع في الماضى، كأنه يحدث الآن في زمن التكلم.

قال آخر[5]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه يجوز أن يكون على بابه من الاستقبال، والمعنى: (فيكون كما يأمر الله فيكون)، حكاية للحال التى يكون عليها آدم عليه السلام حين خلقه الله.. ويجوز أن يكون ﴿فيكون﴾ بمعنى كان، وعلى هذا أكثر النحويين، وبهذا فسره ابن

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٩٥.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٩٥.

(٣) الكشاف (١/ ٤٣٣)

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٩٦.

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٩٦.

عباس[1].

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في حذف جواب ﴿فَلَمَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، فقد توهموا أن هذا الحذف يؤثر في المعنى والبلاغة.

قال آخر: والجواب على ذلك أن هذه الشبهة تتعلق بفن الحذف، وهو مبحث بلاغي[3] أكثر منه نحويًّا.. وقد قال عبد القاهر الجرجاني ـ شيخ البلاغيين ـ يذكر روائع ثماره، وبديع آثاره: (هو بحث دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن)[4]

قال آخر[5]: هذه هى منزلة الحذف في البيان العربي، وقد شاع شيوعاً لا حصر له في القرآن الكريم، إذ لم تكد تخلو منه سورة من سوره، ولا آية من آياته والمعانى التى يدل عليها الحذف في القرآن تكاد تعادل ربع معانى القرآن كله، وهو منهج واسع وحكيم من مناهج اللغة العربية لا مثيل له، ولذلك نجد العلامة اللغوى العظيم ابن جني يسميه في كتابه [الخصائص] اسمًا طريفًا، هو: (شجاعة العربية)

قال آخر[6]: وينتمي الحذف البلاغي إلى فن بلاغى حصر بعض العلماء البلاغة فيه، وهو [فن الإيجاز] أي قلة الألفاظ مع كثرة المعاني، وله مقامات يتألق فيها، ومقتضيات يوفي بأغراضها.. ومن مقاماته الحذف الوارد في آية سورة يوسف؛ حيث أن حذف جواب ﴿لما﴾

---

(١) الدر المصون (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٠.

(٣) ذكرنا الأمثلة الكثيرة عنه بتفصيل في كتاب: القرآن والبيان الشافي.

(٤) دلائل الإعجاز (١٤٦)

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠١.

(٦) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠١.

هنا المراد منه تهويل وتفظيع ما حدث من إخوة يوسف ليوسف، بعد أن أذن لهم أبوهم بالذهاب به إلى الصحراء، وقد روى عنهم أنهم أخذوا يؤذونه بالقول والفعل وهم في الطريق إلى المكان الذي قصدوه، حتى كادوا يقتلونه، والدليل على هذا قوله تعالى حكاية عن أحد إخوته: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠]، فالنهي عن القتل لا يكون إلا عند العزم عليه ومباشرة أسبابه.

قال آخر[١]: لذلك فإن حذف جواب ﴿لما﴾ هنا هدفه أن تذهب النفس في تصوره كل مذهب، وفيه دلالة على طول ما حدث منهم، وعلى غرابته وبشاعته، لذلك قدره الزمخشري فقال: (فعلوا به ما فعلوا من الأذى.. وأظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه، وإذا استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب)[٢].. وذهب غيره في تقدير الجواب مذاهب أخرى، والذى أتاح لهم هذا الاختلاف في تقدير الجواب المحذوف هو الحذف نفسه[٣].

قال آخر[٤]: أما اقتراح مثيرى الشبهة أن يحذف ﴿الواو﴾ في ﴿وأوحينا﴾ ليستقيم المعنى فخطأ جسيم؛ لأن ﴿أوحينا﴾ ليس هو جواب ﴿لما﴾ وإنما هو معطوف على الجواب المقدر لأن جواب ﴿لَمَّا﴾ هو ما حدث ليوسف من إخوته بمجرد خروجهم به من عند أبيهم وبعدهم عنه قليلاً، ودليل ذلك هو العطف بالفاء في ﴿فلما﴾ لأنها تفيد الفورية والترتيب.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[٥]: أجل.. فمنها التشكيك في الضمائر الثلاثة في ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٢.

(٢) الكشاف (٣/ ٣٠٦ـ ٣٠٧).

(٣) الدر المصون (٦/ ٤٥٣).

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٢.

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٣.

و﴿تُوَقِّرُوهُ﴾ و﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ ـ ٩]، فقد توهموا أن هناك اضطراباً في المعنى، بسبب الالتفات من خطاب رسول الله ﷺ إلى خطاب غيره، ولأن الضمير المنصوب في قوله ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عائد على الرسول ﷺ المذكور آخرًا.. و﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ عائد على اسم الجلالة المذكور أولاً، وذكروا أن (هذا ما يقتضيه المعنى، وليس في اللفظ ما يعينه تعيينًا يزيل اللبس، فإن كان القول: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عائدًا على الرسول ﷺ يكون كفرًا، لأن التسبيح لله فقط، وإن كان عائدًا على الله يكون كفرًا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه)

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن ما ذكروه ليس عيبا في القرآن الكريم، بل هو سر من أسرار إيجازه وإعجازه، ولذلك دعي إلى تدبره، لاستنباط أنواع المعاني منها، ولو نزل أسلوبه إلى ما يتوهمون لأصبح كتابا عاديا كسائر الكتب، لا يحتاج قارئه لأي تدبر.. فالآية الكريمة التي تأمر بتعزير رسول الله ﷺ وتوقيره، تعقب في نفس الوقت بالدعوة إلى تسبيح الله وذكره، ليجمع القارئ بين الحسنيين، ولا ينشغل بأولاهما عن أخراهما.

قال آخر[1]: أما الضمير وعودته.. فالعبرة فيه بما تفهمه العقول، واللغة العربية تجيز ذلك، وقد ورد مثله في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، حيث نرى الخطاب في الآية واحداً ﴿طلقتم ـ تعضلوهن﴾ والنظرة العجلى تحسب أن المخاطب في الموضعين صنف واحد من الرجال، لكن العقل ـ بمعونة الشرع ـ سرعان

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٦.

ما يفرق بين الذين خوطبوا بـ ﴿طلقتم﴾ والذين خوطبوا بـ ﴿تعضلوهن﴾ فالمخاطب الأول هم الأزواج الذين يطلقون زوجاتهم، والمخاطب الثانى هم أولياء أمور المطلقات، يقول لهم الله تعالى: إذا أراد الزوج المطلق طلاقاً رجعياً في العدة أو بعد العدة أن يعيد زوجته إليه بالمراجعة أو العقد الجديد وكانت الزوجة راغبة في ذلك، فعلى أولياء أمرها ألا يقفوا في طريقها.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه يجوز أن تعود الضمائر جميعا لله تعالى، فلا مانع عقلاً، ولا شرعاً أن يعود الضير في ﴿وتوقروه﴾ على الله، لأن توقير الله هو إكباره وتعظيمه، وقد قال نوح عليه السلام لقومه موبخاً لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤]، والضمير في ﴿وتسبحوه﴾ عائد على الله قطعاً دون أدنى شك.. وأما ضمير ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ فلا حرج في أن يعود لله تعالى، ويكون معنى التعزير والتوقير حينها نصرة دين الله وتعظيمه وتكريمه دينه..

قال آخر[1]: وبذلك تعود جميع الضمائر في الآية على الله، وقد ذهب إلى هذا كبار المفسرين واللغويين من أمثال الزمخشري في (الكشاف) والآلوسي في (روح المعاني) والفيض الكاشاني في (تفسير الصافي) والطباطبائي في (الميزان)

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فقد توهموا أن كلمة ﴿كاملة﴾ زائدة، لأنها من توضيح الواضح.

---

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، (١٦/ ٤٤٠)

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٩.

قال آخر[1]: والجواب على هذا هو أن إضافتها لقصد دفع توهم من يحسب أن الواو بمعنى أو تفيد الإباحة، فليس ببعيد أن يفهم بعض الناس أن المتمتع بالعمرة إلى الحج كفارته الصيام؛ فإن صام في الحج يكفيه ثلاثة أيام، ومن لم يصم حتى رجع إلى بلده فعليه صيام سبعة أيام، وأن يفهم الاكتفاء بالثلاثة في الحج للتخفيف على المحرمين بالحج ويؤدون مناسكه، أما بعد الرجوع إلى الوطن فلا داعى للتخفيف، لأنه غير مشغول بالمناسك، وليس غريباً عن بلده، ليس ببعيد أن يقع هذا الفهم في أذهان بعض الناس حتى الفقهاء المجتهدين، لذلك كان قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ واصفاً لها بأنها كاملة دافعاً لذلك الفهم.. وبذكر ﴿كاملة﴾ تحوَّل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ إلى نص محكم غير قابل للاحتمال أو التأويل.

قال آخر[2]: أما من حيث البلاغة والبيان، فإن كلمة﴿كاملة﴾ تفيد تعظيم هذه الأيام العشرة وكمال فضلها عند الله عز وجل، بدليل أنه أشار إليها باسم الإشارة الموضوع للبعيد، تنويهاً ببعد منزلتها، وكان يمكن أن يقال هذه عشرة كاملة، وهذه اسم إشارة للقريب سواء كان قرباً حسياً أو قرباً معنويًّا.. وهذه المعانى والدقائق ما كانت لتُفهَم لولا وجود تلك العبارة، التى عدَّها مثيرو الشبهات عيباً من عيوب الكلام.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[3]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، فقد توهموا أنه لما كان كل فعل لا يتطلب إلا فاعلاً

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢١٤.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢١٤.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢١٩.

واحداً، فإن من الخطأ جعل فاعلين للفعل الواحد.

قال آخر: والجواب على هذه الشبهة هو ما ذكره شيخ المفسرين البيانيين جار الله الزمخشري بقوله: (أبدل الذين ظلموا من ﴿واو﴾ ﴿وأسروا﴾ إشعارًا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به.. أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث.. أو هو منصوب المحل على الذم.. أو هو مبتدأ خبره ﴿وأسروا النجوى﴾ قُدِّم عليه والمعنى: هؤلاء أسروا النجوى، فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم)[1]

قال آخر: وبذلك؛ فإن هذه التوجيهات كلها صحيحة وفصيحة وموافقة للقواعد العربية، بالإضافة إلى جمالها البلاغي..

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك يمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿إن الذين ظلموا﴾ فاعل لفعل محذوف تقديره: يقول الذين ظلموا.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن في أساليب علم المعاني، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعاني ـ البيان ـ البديع) أسلوباً يسميه البلاغيون بـ (الاستئناف البياني)، وضابط هذا الأسلوب أن تتقدم جملة من الكلام تثير في ذهن السامع تساؤلاً لطيفاً يدب في نفسه، فتأتي جملة أخرى تجيب على ذلك التساؤل، الذي ليس له صورة في الكلام.

قال آخر[4]: ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، فجملة ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ جواب على سؤال تقديره: (ما هو ذلك الأمر الذي قضاه الله)[5]

قال آخر: ومثله قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ

(١) الكشاف (٢/ ٥٦٢).

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٠.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٢.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٣.

(٥) انظر: الإيضاح للخطيب القزويني: مبحث الفصل والوصل.

الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، فجملة ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ تثير في النفس تساؤلاً لطيفاً (ماذا قال الشيطان لآدم؟) فكان الجواب: (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)

قال آخر[١]: وبهذا تفسر هذه الآية: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]، فقد جرت على نسق الاستئناف البيانى، لأن جملة ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ تثير في النفس التساؤل نفسه: (مَنْ هم الذين أسروا النجوى؟)، فكان الجواب: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

قال آخر[٢]: ولا يقال: إن هذا السؤال لا يقتضى المقام إثارته لأن مرجع الضمير، وهو الواو في ﴿أسروا﴾ مذكور قبله في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، لأن الوقائع المذكورة في مطلع السورة، وقائع عامة، هى أحوال للناس جميعاً، إلا من عصمه الله، أما إسرار النجوى، فهي واقعة خاصة وقعت من المشركين، فليس الناس قبلها هم فاعليها، بل فاعلوها هم الذين قالوا: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]

قال آخر[٣]: وعلى هذا فإن ﴿الذين ظلموا﴾ ليس فاعلا لـ ﴿أسروا﴾ وإنما فاعل ﴿أسروا﴾ الواو.. أما ﴿الذين ظلموا﴾ فواقعة في كلام جديد، هو جواب عن السؤال: من هم الذين أسروا النجوى؟

قال آخر[٤]: بالإضافة إلى ذلك، فهناك أسلوب آخر من أساليب البلاغة العربية، مرتبط بما استشكلوه، وقد ذكره شيخ البلاغيين بلا منازع عبد القاهر الجرجانى، وأسماه [الإضمار على شريطة التفسير][٥].. وضابط هذا الأسلوب هو أن يؤتى بالضمير أولاً، ثم

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٤.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٤.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٤.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٥.

(٥) دلائل الإعجاز (١٦٣) تحقيق الشيخ العلامة محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى، القاهرة.

يفسر بعد ذلك بذكر مرجعه، ومن أمثلته قول الشاعر:

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكي

ولا يغرُركمُ منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكي

قال آخر[1]: وتخريج ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ على هذا الأسلوب سائغ رائع؛ فقد أتى بالضمير أولاً ﴿وأسروا﴾ ثم فسره ثانياً هكذا ﴿الذين ظلموا﴾.. وبلاغة هذا الأسلوب هى تحريك الشعور، وتشويق النفس إلى عقبى الكلام كيف تكون، فيتمكن المعنى المسوق من أجله الكلام في النفوس كل التمكن؛ لأن النفس إذا ظفرت بالشىء بعد انتظاره استقر ذلك الشىء فيها.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿يُرْضُوهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]، فقد توهموا أن الضمير ما دام عائدا على الاثنين، اسم الجلالة ورسوله ﷺ، فلذلك كان الأصح أن يقال: (أن يُرضوهما)

قال آخر[3]: والجواب على هذه الشبهة هو أن هناك شرطاً موضوعيًّا في تثنية المعدود وجمعه، وهو التجانس بين الأفراد في الواقع، فقَلَم يثنى فيقال: قلمان، ويجمع فيقال أقلام.. لكن الإنسان ـ مثلاً ـ لا يثنى مع القلم ولا يجمع.. وحتى الرجل والمرأة، وهما فردان بينهما تجانس من جهة، واختلاف من جهة أخرى، فإننا لا نستطيع أن نثنيهما فنقول: رجلان، أو امرأتان.

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٥.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٦.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٧.

قال آخر[1]: وبناء على هذا؛ فإنه ليس بين الله، وبين رسوله، ولا بين الله وبين أيِّ شيء في الوجود تجانس من أى نوع من الأنواع.. ومن أجل هذا؛ فإن الله لا يُجمَع ولا يُثنىَّ، لا في ذاته ولا مع أحدٍ من خلقه، وعلى هذا جرى بيان القرآن المعجز، فلم يقل كما يقترح هؤلاء: (والله ورسوله أحق أن يُرضوهما)، لأن الله ليس فرداً من جنس الأفراد الذين ينتمى إليهم رسوله ﷺ، بل هو فرد لا مثيل له في الوجود أبداً، فلا يكون مع غيره ثانى اثنين، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

قال آخر: ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم، فالله تعالى يقول في سورة التوبة نفسها: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، فلم يقل: (إن الله ورسوله بريئان من المشركين)، لأن وصف الله بالبراءة من المشركين، وصف توحيدي، ولذلك قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أى ورسوله بريء منهم، والذى دل على هذا، ما ذكره في جانب الله أولاً.

قال آخر[2]: وفى سورة التوبة نفسها ـ كذلك ـ ورد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، فقد روعي التوحيد في النظم القرآنى في هذه الآية في ثلاثة مواطن: الأول: ﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ حيث عطف رسوله على اسم الجلالة، دون عود ضمير مثنى.. الثانى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ دون عطف رسوله على اسم الجلالة، لأن الحسب لا يكون إلا لله.. والثالث: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ دون أن يُثَنِّى فيقول: من فضلهما، وإنما عُطِف ﴿رسوله﴾ بعد تمام الجملة الأولى، ثم حذف من جملة ﴿ورسوله﴾ ما دل عليه الكلام السابق، أي: وسيؤتينا رسوله من فضله.

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٨.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٢٩.

قواعد الصرف:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن التشكيكات المرتبطة بقواعد الصرف.

قال أحد المشككين: هي كنظيراتها من التشكيكات المرتبطة بالقواعد النحوية، مجرد أوهام ناشئة عن الجهل بقواعد اللغة العربية.. ومن أمثلتها التشكيك في ﴿مَعْدُودَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، حيث توهموا أن القرآن الكريم أخطأ فيها؛ لأنها ـ عندهم ـ جمع كثرة، والمقام الذي استعملت فيه يتطلب جمع القلة، ثم علقوا قائلين: (كان يجب أن يجمعها جمع قلة، حيث إنهم أرادوا القلة، فيقول: أياماً معدودات)

قال آخر[1]: والجواب على هذه الشبهة هو أن هذه الآية نزلت تحكي قولاً قاله اليهود، يكشف عن الغرور الذي ملأ أنفسهم، فقد زعموا أنهم إذا دخلوا النار، فإنها لا تمسهم إلا مساً خفيفاً، وأنهم لن يُخلدوا فيها، بل يقضون عدة أيام، وهذا تطاول منهم، لأن شؤون الآخرة لا يعلمها إلا الله، لذلك كذَّبهم الله، وألزمهم الحُجة البالغة له عليهم وحصر مصدر هذا الذى ادعوه في أمرين: الأول: أن يكون عندهم من الله عهد بما قالوا، والله لا يخلف عهده، وهم في الواقع لا عهد عندهم من الله يحدد فيه مدة مكثهم في النار، ودرجة العذاب الذي سيصيبهم فيها.. والثانى: أو هُمْ يفترون على الله عز وجل، وماداموا ليس عندهم عهد من الله، فهم ـ إذاً ـ كاذبون والذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون.

قال آخر[2]: أما مسألة الكثرة والقلة فلا اعتبار لها هنا؛ لأن ﴿معدودة﴾ ليست جمعاً بل مفردًا، فليست جمع كثرة ولا جمع قلة.. بالإضافة إلى أن (معدودات) التى يقولون إنها

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٠.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨١.

الصواب وكان حق القرآن أن يعبر بها بدلاً من ﴿معدودة﴾ ظانين أن (معدودات) جمع قلة، وهى ليست جمع قلة كما توهموا، فهى على وزن (مفعولات) وهذا الوزن ليس من أوزان جموع القلة [1] بل من أوزان جموع الكثرة، ولا ينفعهم قولهم إن اليهود أرادوا القلة، لأن هذه القلة يدل عليها سياق الكلام لا المفردات المستعملة في التركيب.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن هذا التعبير يدخل في معاملة غير العاقل معاملة العاقل.. ووصف الأيام بـ ﴿معدودة﴾ فيما حكاه الله عن اليهود هو وصف لها بما هو لائق بها، لأن الأيام لا تعقل، فأجرى عليها الوصف الذي لغير العقلاء، وما جاء على الأصل فلا يسأل عنه.

قال آخر[3]: أما معاملة غير العاقل معاملة العاقل، فلها دواعٍ بلاغية، وهى في النظم القرآني كثيرة، ولا يعامل غير العاقل معاملة العاقل إلا بتنزيله منزلة العاقل لداع بلاغي يقتضي ذلك التنزيل.. وإذا كان القرآن الكريم قد عبَّر في وصف ﴿أياماً﴾ في آية البقرة هذه بـ ﴿معدودة﴾ وهو وصف غير العاقل جارٍ على الأصل، فإنه عبَّر عن وصفها بـ ﴿معدودات﴾ في موضع آخر، هو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤]

قال آخر[4]: فإذا قارنَّا بين الآيتين وجدنا آية البقرة مبنية على الإيجاز هكذا: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾، بينما آية آل عمران مبنية على الإطناب هكذا: ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾.. وعند الموازنة بين صدر آية البقرة ﴿وقالوا﴾، وبين صدر آية آل عمران ﴿ذلك بأنهم قالوا﴾، نجد أن جملة ﴿ذلك بأنهم﴾ اشتملت على

---

(١) أوزان جموع القلة هى: فِعْلَة، أَفْعَال، أفعُل، أفْعِلَة.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٢.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٣.

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٣.

اسم الإشارة الموضوع للبعيد، الرابط بين الكلامين السابق عليه، واللاحق به.. ثم تجد ﴿الباء﴾ الداخلة على (إن) في ﴿بأنهم﴾.. ثم (إن) التى تفيد التوكيد، ثم ضمير الجماعة ﴿هم﴾..وهذه الأدوات لم يقابلها في آية البقرة، إلا واو العطف ﴿وقالوا﴾ إذاً المقامان مختلفان، أحدهما إيجاز، والثانى إطناب.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[1]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]، فقد توهموا أن ﴿معدودات﴾ جمع قلة، وأن ﴿معدودة﴾ جمع كثرة، وأيام الصيام في شهر رمضان ثلاثون يوماً، فهي أيام كثيرة يناسبها جمع الكثرة عندهم، وهو ﴿معدودة﴾

قال آخر[2]: مما يدل على تناقض المشككين أنهم في الآيات السابقة عدوا الأربعين يوما ـ تلك التي زعم اليهود أنهم سيمكثونها في جهنم ـ جمع قلة، وهنا جزموا بأن الثلاثين يوماً الرمضانية، أو التسعة والعشرين يوماً جمع كثرة، وأن القرآن أخطأ مرة أخرى حين عبَّر عنها بجمع القلة ﴿معدودات﴾ فكيف تكون الأربعون أقل من الثلاثين أو التسعة والعشرين؟ وهل يمكن أن يصدر هذا عن عاقل؟

قال آخر[3]: والجواب على ذلك أن ما عدوه خطأً في هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿معدودات﴾ هو عين الصواب لغة وبياناً، ذلك أن معاملة غير العاقل معاملة العاقل أسلوب بلاغى رفيع، وهو عند البلاغيين استعارة، شبه فيها غير العاقل بالعاقل لداعٍ

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٥.
(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٥.
(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٦.

بلاغى، يراعيه البليغ في كلامه.

قال آخر[1]: فكلمة ﴿معدودات﴾ فى وصف أيام الصيام أتى بها القرآن الكريم لخصوصية بيانية، هى تعظيم شأن تلك الأيام، حتى لكأنها لرفعة منزلتها عند الله عز وجل صارت من ذوى العقول، وهى أوقات لا روح فيها كالأحياء العاقلين؛ فليس المدار فيها اعتبار قلة، أو كثرة، بل المراد التنويه بفضلها، وعلو منزلتها عند الله تعالى.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القلة تفهم من سياق الكلام، الذي حدد أيام الصيام بالشهر الواحد، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في كلمة ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣ ـ ١٣٠]، فقد تصوروا أنها جمع لكلمة إلياس، وأنها جمعت لأجل مراعاة الفاصلة والسجع.

قال آخر: ومثلها تشكيكهم فيما ورد في سورة التين في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١ ـ ٢]؛ فقد اعتبروا ﴿سينين﴾ جمعا لسيناء، واعتبروا من الخطأ لغوياً تغيير اسم العَلَمَ حباً في السجع المتكلف.

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن تعدد اسم العلم مما لا حرج فيه عند العرب وغيرهم، ولهذا نجد في القرآن الكريم أسماء متعددة لمكة المكرمة؛ فمن أسمائها بكة، كما قال

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٦.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٧.

تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ومن أسمائها البلد الأمين، كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، ومنها اسم مكة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤].. وغيرها.

قال آخر[١]: ومن هذا الباب، ذكر المفسرون واللغويون ـ كالزمخشري وغيره ـ أن زيادة الياء والنون لغة في إلياس، كما أنّ إدريسين لغة في إدريس، وعلى هذا فإن ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ ليس جمعاً[٢].. ومثل ذلك كلمة ﴿سينين﴾، فهي ليست جمعاً كما توهم مثيرو هذه الشبهة، بل هى لغة في ﴿سيناء﴾ بكسر السين، كما أن ﴿سَيناء﴾ بفتح السين لغة فيها، وبهاتين اللغتين: سِيناء، بالكسر، وسَيناء بالفتح وردت القراءات، فهى إذن في القرآن لها ثلاثة لغات: سِيناء بكسر السين.. وسَيناء بفتح السين.. وسِنيين، بكسر السين وياءين ونونين.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[٣]: أجل.. فمنها التشكيك في تصريف كلمات ﴿سَلَاسِلَ﴾ و﴿قَوَارِيرَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥]، فقد توهموا أن تنوين الكلمات الثلاث خطأ.

قال آخر: والجواب على ذلك هو أن الكلمتين في القراءة المعتبرة المعتمدة عند عامة المسلمين، وهي المشهورة بقراءة حفص عن عاصم، لا تنونان، وإنما يوقف عليهما بالفتح لا غير، ولا يلتفت إلى الألف الذي في آخر كل منهما.. لأنه تابع للإملاء في ذلك الحين، والذي

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص١٨٨.

(٢) الكشاف (٣/ ٣٥٢)

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٧.

لم توضع قواعده بعد، والأصل في القرآن الكريم هو النقل الشفهي، لا الكتابة.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن بعض العرب كانت تصرف كل الكلام، وليس في لهجتهم كلام مصروف وكلام غير مصروف، بل هو كله مصروف، وعلى هذا قرأ من قرأ بالتنوين، أمثال نافع وابن كثير والكسائي وأبو جعفر.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[2]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، حيث جاء المضاف (قلوب) جمعا، والمضاف إليه [كما] مثنى، والمتحدث عنه في قوله تعالى: ﴿تتوبا﴾ مثنى كذلك، وقد علقوا على هذا فقالوا: (لماذا لم يقل: (قلباكما) لأنه ليس للاثنين أكثر من قلبين؟

قال آخر[3]: والجواب على الشبهة، هو أن العرب كانوا يستثقلون اجتماع تثنيين في كلمة واحدة، ولذلك يعدلون عن التثنية إلى الجمع، لأن أول الجمع عندهم الاثنان، ولذلك يعتبر البلاغيون ما ورد في الآية الكريمة من الفصاحة والبلاغة، وقد قال بعضهم في ذلك: (و﴿قلوبكما﴾ من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى، استثقالاً لمجيء تثنتين لو قيل (قلباكما)[4]

قال آخر[5]: ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، فقد أوقع الجمع ﴿أيدي﴾ موقع المثنى (يدي)، جرياً على سُنة العرب في كلامهم، والقرآن بلغتهم نزل.

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٠٨.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٢.

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٢.

(٤) الدر المصون (١٠/ ٣٦٦).

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٢.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى إصلاح اللفظ، فإن لهذا علاقة بالمعنى أيضا، فجمع الأيدي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] دلالة على الجمع فعلاً، ذلك أن المراد من السارق والسارقة ليس فردين، بل نوعين: الذي يسرق من الرجال، سواء كان واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو ألف وهكذا؛ لأن المراد النوع لا الفرد.. والتى تسرق من النساء، لا على سبيل الفردية (امرأة) واحدة ولكن كل من ينطبق عليها وصف السرقة، فالسارقون لا يحصرون في عدد معين، من عصر نزول القرآن إلى يوم القيامة.. والسارقات لا يحصرن في عدد محدد، بل هن جمع لا يعلمه إلا الله.. وبذلك؛ فإن اللفظ فى ﴿السارق والسارقة﴾ وإن كان مفرداً، فهو من حيث المعنى جمع لا حصر له في النوعين معاً: الذكور والإناث.

قال آخر[2]: أما آية التحريم، فإن ﴿صغت﴾ بمعنى: زاغت وأثمت، وهذا تفسير ابن عباس[3].. وعلى هذا يكون مجيء القلبين جمعاً فيه تهويل وتفظيع لما حدث من زوجتى النبى ﷺ، من إفشاء سره، لأن في ذلك ما يؤذيه ﷺ.

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فهل هناك مثال آخر على هذا النوع من التشكيكات؟

قال أحد المشككين[4]: أجل.. فمنها التشكيك في ﴿ضَرَّاءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، فقد توهموا أن كلمة ﴿ضَرَّاءَ﴾، وهى مضاف إليه، والمضاف هو كلمة ﴿بعد﴾، ولذلك كان يجب ـ كما زعموا ـ أن يجر المضاف إليه فيقول: (بَعْدَ ضراءِ)

قال آخر[5]: والجواب على الشبهة هو أن المضاف إليه في الآية ﴿ضراءَ﴾ مجرور فعلا

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٣.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٤.

(٣) فتح القدير للإمام الشوكانى (٥/ ٣٠١).

(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٦.

(٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٢٣٦.

لا منصوب، وهو ممنوع من الصرف، والمانع له من الصرف ألف التأنيث الممدودة، ذلك أن الممنوع من الصرف يُجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، ولذلك وضعت الفتحة فوق الهمزة بعد الراء، فهذه الفتحة علامة جر لا علامة نصب.

ب. الشعر الجاهلي:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فما تقولون فيما ذكرتموه لنا عن بعض المستشرقين أمثال (تسدال) و(شيخو) و(شبرنجر) الذين ذكروا أن من مصادر القرآن الكريم الشعر الجاهلي، والذين استدلوا على ذلك بمقاطع من شعر أمية بن أبي الصلت وامرئ القيس[1].

قال أحد المشككين[2]: عندما رجعنا إلى ما جمع من شعر ابن أبي الصلت في تاريخ الأدب العربي؛ لاحظنا أن المستشرقين مثل الأب (شيخو) و(كافنتسكي) قد عنوا بجمع هذا اللون من الشعر الديني أكثر من سواهم حتى إن (كافنتسكي) كتب رسالته للدكتوراة في جمع مثل هذا اللون من الشعر ليظهر العلاقة بين القرآن وبين شعر أمية، وقد أشار لأخذ القرآن من شعر أمية بن أبي الصلت كذلك (كلمنت هاوث) كما أشار تسدال لهذه الموافقة بين القرآن وشعر امرئ القيس في كتابه مصادر الإسلام واعتبره مصدرا من مصادر الإسلام وذلك لموافقة الأبيات لبعض التراكيب القرآنية في سورة القمر والملك وغيرهما[3].

قال آخر: وهذه هي أبيات أمية المقصودة بالتوافق:

ويوم موعدهم أن يحشروا زمرا ... يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر
مستوسقين مع الداعي كأنهم ... رجل الجراد زفته الريح منتشر
وأبرزوا بصعيد مستو جرز ... وأنزل والميزان والزبر

(١) انظر مصادر الإسلام ص ٨ـ١٠، وتاريخ القرآن لنولدكة ١/ ١٩ ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ص ١٥٢.
(٢) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٥٥.
(٣) انظر معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ص ١٥٢، تاريخ القرآن لنولدكة ١/ ١٩.

فمنهم فرح راض بمبعثه وآخرون عصوا مأواهم سقر

يقول خزانها ما كان عندكم ألم يكن جاءكم من ربكم نذر

قالوا: بلى فتبعنا فتية بطروا وعزنا طول هذا العيش والعمر

قال آخر[1]: وأما أبيات امرئ القيس التي ذكرها (تسدال) متوافقة مع آيات من سورة القمر فهي ما نسب إليه من قوله[2]:

دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبي ونفر

أحور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينه حور

مر يوم العيد في زينته فرماني فتعاطى فعقر

بسهام من لحاظ فاتك فتركني كهشيم المحتظر

وأضيف لها أبيات أخرى:

وأقبل والعشاق من خلفه كأنهم من حدب ينسلون

وجاء يوم العيد في زينته لمثل ذا فليعمل العاملون

قال آخر: وقد زعموا أن هذه الآيات تتوافق مع بعض الألفاظ والتراكيب في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٦ ـ ٧].. وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧ ـ ٨]، وقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى﴾ [الملك: ٨ ـ ٩]، وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]

قال آخر: والرد على هذه الفرية سهل وبسيط، ولا يحتاج سوى الرجوع لتلك

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن: ١ / ٢٥٦.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢ /١٨.

المصادر التي ذكرت فيها تلك الأبيات، حيث نجد أنها أبيات مولدة في العصور الإسلامية، اقتبس أصحابها بعض الأساليب والكلمات من القرآن الكريم على ما درج عليه أهل الأدب قديما وحديثا.. فنحل الشعر ونسبته لقدماء الشعراء أمر معروف لا يستطيع أحد إنكاره.

قال آخر: وقد قال بعضهم في ذلك: (وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير، لا خير فيه ولا حجة في عربية ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي.. وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه)[1]

قال آخر: وقال يذكر سبب انتحال الشعر وغيره: (فلما راجعت العرب رواية الشّعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قومٌ قلّت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت، وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون)[2]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك أن خلفا الأحمر كان أروى الناس للشّعر وأعلمهم بجيّده.. وكان مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن، وينحله الشعراء.. وكذلك كان يفعل حمّادٌ الرواية، يخلط الشعر القديم بأبيات له، قال حماد: ما من شاعر إلا قد زدت في شعره أبياتا فجازت عليه إلا الأعشى، أعشى بكر، فإني لم أزد في شعره قطّ غير بيت

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٦.

فأفسدت عليه الشعر)[1]

قال آخر: ولم يكن ذلك منكرا عند الناس، بل ربما كان مستحسنا، وقد قال بعضهم في ذلك: (كان خلف الأحمر يضرب به المثل في عمل الشعر، وكان يعمل على ألسنة الناس فيشبه كلّ شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه، ثم نسك فكان يختم القرآن في كلّ يوم وليلة، فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة فعرّفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس، فقالوا له: أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم)[2].

قال آخر: وقال آخر يذكر ذلك: (خلف الأحمر الشاعر صاحب البراعة في الآداب، حمل عنه ديوانه أبو نواس، وتوفي في حدود الثمانين ومائة، وكان راوية ثقة علّامة، لم يكن فيه ما يعاب به إلا أنه كان يعمل القصيدة يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء، وينحلها أعيان الشعراء، كأبي داود، والإيادي، وتأبّط شرا، والشنفرى وغيرهم، فلا يفرّق بين ألفاظه وألفاظهم، ويرويها جلّة العلماء لذلك الشاعر الذي نحله إيّاها)[3]

قال آخر: بناء على هذا؛ فإن أي عارف باللغة العربية وأشعارها يعرف أن تلك الأبيات مدلسة منحولة لا علاقة لها بالشعر الجاهلي، وقد قال بعضهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]: (إن الجملة الأولى تدلى على استحقاقهم أعظم أنواع العقاب عرفا، والثانية تنبيه على أنهم اتصفوا بأعظم أنواع القبائح والمنكرات شرعا، ولم يسمع ذلك قبل نزول القرآن، وما نسب إلى امرئ القيس (قتل الإنسان ما أكفره) فلا أصل له، ومن له أدنى معرفة بكلام العرب لا يجهل أن قائل ذلك مولد أراد الاقتباس لا جاهلي)[4]

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٣١٩.

(٢) المزهر ١/ ١٤٠. ١٣٩.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي، ٤/ ٣٧٤.

(٤) روح المعاني ٣٠/ ٤٤.

قال آخر: وقد ذكر بعضهم سبب التدليس الكثير في شعر امرئ القيس، فقال: (استفاضت أخباره على ألسنة الرواة، وزخرت بها كتب الأدب والتراجم والتاريخ، ونسجت حول سيرته القصص، وصيغت الأساطير، واختلط فيها الصحيح بالزائف، وامتزج الحق بالباطل، وتناول المؤرخون والأدباء بالبحث والنقد والتحليل، وخاصة في العصر الحديث.. وفي جميع أطوار حياته منذ حداثته وطراءة سنه، إلى آخر أيامه، قال الشعر وصاغ القريض.. وأصبح عند الناس قدر وافر من قصيده، فنحلوه كل شعر جهل قائله، أو خمل صاحبه، من جيد يعسر تمييزه عن شعره، ورديء سفساف مهلهل النسج، سقيم المعنى)[1]

قال آخر: بناء على هذا؛ فإنه إذا نسبت تلك الأبيات إلى امرئ القيس أو إلى ديوانه دون سند أو برهان، فلا شك في أنها منحولة ومكذوبة عليه.

قال آخر: لذا فإن اعتماد هؤلاء المرجفين على أشعار [فيض القدير] للمناوي مغالطة كبيرة؛ إذ إن المناوي كان اهتمامه في كتابه شرح أحاديث [الجامع الصغير] فلم يعتن بجمع الشعر، أو تمحيص رواياته، وكتابه (فيض القدير) ليس كتابا معتمدا في نقل الشعر أو نسبته، هذا فضلا عن كونه من المتأخرين، حيث توفي سنة ١٠٢٩ هـ، فكيف يصبح كلامه مقدما على كلام من سبقه من أساطين اللغة، وعلماء الأدب والبيان، خاصة وأنه لم يذكر لهذه الأبيات سندا ولا مصدرا.

قال آخر: بل كيف يسوق أبياتا مكسورة.. فالبيت الأول في (دنت الساعة وانشق القمر) غير مستقيم من ناحية الوزن الشعري، فالشطر الأول مكسور، إلا لو أبدلنا (اقتربت) بـ (دنت)، وعلى ذلك بقية الأبيات، وحينئذ يتبين أن المناوي لم يكن له عناية في

---

(١) في مقدمة دراسو عن امرئ القيس وشعره، محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ٢٧٥.

كتابه بذكر الشعر أو تحقيقه.

قال آخر[1]: وإن أي باحث في الأدب العربي يعلم أن شعر امرئ القيس قد وجد عناية خاصة، وتضافرت جهود القدماء والمحدثين على جمعه وروايته ونشره، وهناك العديد من النسخ المشهورة لديوانه كنسخة الأعلم الشنتمري، ونسخة الطوسي، ونسخة السكري، ونسخة البطليوسي، ونسخة ابن النحاس وغيرها، ولا يوجد أي ذكر لهذه الأبيات في هذه النسخ، على الرّغم من أنها تذكر ما نحل عليه لتنقده، وكذلك كان أمر الدراسات المعاصرة التي عنيت بشعر امرئ القيس وما نسب إليه وخبر دواوينه، لم تذكر شيئا من هذه الأبيات لا على أنها من قوله، ولا على أنها مما نحل عليه، ومنها دراسة للأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في أكثر من خمسمائة صفحة حول امرئ القيس وشعره، وقد ذكر فيه ما صحت نسبته إليه وما لم يصح، وما نحل عليه ومن نحله، ولم يذكر مع ذلك بيتا واحدا من هذه الأبيات السابقة.. فهل كان الأعاجم أصحاب هذه الشبهات أعلم بامرئ القيس وشعره من هؤلاء جميعا الذين عنوا بجمعه وتمحصيه ونقده!؟

قال آخر: وعلى عكس كلامهم في اقتباس القرآن، فإن ابن داود الظاهري الأصفهاني (ت: ٢٢٧ هـ) عقد في كتابه (الزهرة) فصلا لما استعانت به الشعراء من كلام الله تعالى، وكان مما ذكر عن قوله سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٢] أن الخنساء ضمنته في أبيات لها فقالت[2]:

أبعد ابن عمرو من آل الشّريد ... حلّت به الأرض أثقالها

فخر الشّوامخ من فقده ... وزلزلت الأرض زلزالها

---

(١) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ٢٧٨.

(٢) الزهرة ١/ ٢٣٤.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك، فإنه لو صحت نسبة تلك الأبياء لأصحابها، فإن هذا يدعو إلى التساؤل عن عدم مواجهة فصحاء قريش النبي ﷺ بهذا التشابه وهم أحفظ للشعر من مستشرقي عصرنا؟ ولماذا عندما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل آية منه لم يقتبسوا من هذه الأشعار كما اقتبس هو؟

قال آخر: وقد قال الباقلاني في ذلك: (الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن، لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم ـ لبادروا إلى معارضته؛ لأن الشعر مسخّر لهم مسهّل عليهم، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب والاقتدار اللطيف؛ فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه ـ علم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء في الصنعة، والمرمدون في هذا الشأن، وإن استدراك من يجيء الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغائهم وخطبائهم وزعمه أنه قد ظفر بشعر في القرآن، وقد ذهب أولئك النفر عنه، وخفي عليهم مع شدة حاجتهم عندهم إلى الطعن في القرآن، والغض منه، والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه، فلن يجوز أن يخفي على أولئك وأن يجهلوه ويعرفه من جاء الآن وهو بالجهل حقيق)[2]

(١) محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: ٤/ ٢٧٩.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٣.

رابعا ـ القرآن.. والمبدلون

في اليوم الرابع، وبينما كنت مع معلمي أمام المسجد الجامع للمدينة، ونحن نحمد الله تعالى على تخليصها من التشكيكات التي كان يخطط المرجفون لنشرها بين عامة الناس؛ فإذا بهم، لا ينجون منها فقط، وإنما يتعلمون كل مناهج الرد عليها، مما يحصنهم في المستقبل من أي تشكيك أو تضليل، بل يجعل لهم من القدرة ما يمكنهم من تحصين أهالي كل المدن المجاورة.

بينما نحن كذلك إذا بنا نرى جموعا كثيرة تجتمع إلى الحكماء السبعة، ومعهم مجموعة كبيرة من الرجال لم أرهم من قبل، ولم تكن هيئتهم ولا سمتهم يشبه أهل تلك المدينة.

قال أحد الحكماء، وهو يشير إلى الرجال الذين حضروا معهم: لعلكم لا تعرفون هؤلاء.. ولذلك اسمحوا لنا أن نعرفكم بهم، قبل أن يتحدثوا إليكم.

قال آخر: إنهم نفر من إخوانكم الذين اعتزلوكم قبل فترة طويلة بعد أن ضاقت نفوسهم بخرافات الحشوية، وتشويهات الكشفية؛ فصاروا أكثر ميلا إلى الإلحاد منهم إلى الدين.

قال آخر: وقد تلقفهم كل المشككين؛ فزادوهم شكا إلى شكهم، ونفورا إلى نفورهم، وضلالا إلى ضلالهم.

قال آخر: ولم يكتفوا بذلك، بل راح بعض رؤسائهم يوحي إليهم أن يقاوموا كل تلك التشكيكات والتحريفات، لا بما يقاومها به الحكماء من تمييز الخبيث عن الطيب، والمنحرف عن الصالح.. بل بإلغاء الجميع، لاستبداله بما تمليه الأهواء، أهواؤهم، أو أهواء الذين شككوهم.

قال آخر: لكنهم بعد أن تأملوا وراجعوا أنفسهم وعادوا إلى أصول الإيمان التي

كانوا عليها.. وقرؤوا القرآن الكريم بصدق وإخلاص وتدبر.. تركوا كل ما كانوا عليه.. وهدموا البناء الذي بنوه في أقصى مدينتكم، لأنهم رأوه لا يختلف عن مسجد الضرار الذي هدمه رسول الله ﷺ.

قال آخر: وها هم يعودون إليكم، وهم خجلون مما كانوا عليه، ويرجون منكم أن تعذروهم لانصرافهم عنكم، واعتزالهم لكم.

قال آخر: وهم يريدون ـ مثلما فعل إخوانهم المشككون ـ أن يبثوا إليكم كل ما حصل لهم، وكل ما كانوا يفعلونه، لتحموا أنفسكم من كل من يريد أن يضللكم عن ربكم وكلماته المقدسة.

ما إن انتهى الحكماء من حديثهم هذا، حتى قام أحد المبدلين، وقال: لسنا ندري ما نقول لكم، ونحن الذين كنا نستعمل كل الوسائل لهدم مدينتكم المضمخة بعطر القرآن الكريم لنبني بدلها مدينة قائمة على الأهواء والزخارف التي أملاها علينا شياطين الإنس والجن.

قال آخر: لقد كنا نمثل بتفكيرنا وسلوكنا ما حكاه الله تعالى عن الذين ضلوا سواء السبيل، أولئك الذين ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]

قال آخر: ووصفهم بأن ﴿قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]

قال آخر: ووصفهم بأنهم ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]

قال آخر: لقد كانت هذه الآيات الكريمة منطبقة علينا تماما، لأنا لم نؤمن بالقرآن الكريم حق الإيمان؛ فقد كنا نعتبره كتابا بشريا، ومنتوجا ثقافيا، وأننا يمكننا أن نفهمه كما نشاء، ونتلاعب بألفاظه كما يحلو لنا.. ولذلك جرتنا الشياطين إلى كل أنواع الضلالة، وكيف لا تفعل، ونحن قد قطعنا الحبل الذي مده الله لنجاتنا.

قال آخر: لكن الله تعالى بمنه وكرمه أرسل إلينا هؤلاء الحكماء، الذين جادلونا بالتي هي أحسن، وقد استطاعوا بفضل الله تعالى، وبما أوتوا من العلم والتقوى، أن يجيبوا عن كل شبهاتنا، ويصلحوا كل ما فسد منا.

قال آخر: وقد طلبوا منا أن نخبركم عن كل ما حصل لنا لتصلح توبتنا، ويغفر الله لنا؛ فلا توبة لمنحرف من غير بيان.

قال آخر: وقد أخبرونا أيضا أن هناك من أصحاب الأقلام من سيسجلون كل ما نقوله، ونشهد به، ليكون ذلك موعظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين.

قال آخر: ولذلك سنحدثكم بحالنا.. وما حصل لنا.. وكيف تسربت الشبهات إلينا إلى أن صرنا إلى ما كنا عليه.

قال آخر: وحتى تتضح لكم صورة ما حصل لنا؛ فسنذكر لكم المراحل الأربعة التي مررنا بها، والتي قادنا فيها شياطين الإنس والجن.

قال آخر: أما أولها؛ فتلك المنابع المدنسة التي جعلتنا ننصرف عن الهدي الإلهي المقدس.. وهي لا تختلف كثيرا عن المنابع التي استقى منها الحشوية والكشفية والمشككون.

قال آخر: وأما الثاني؛ فجرأتنا على القرآن الكريم، وتعاملنا معه ككتاب عادي كسائر الكتب، بل أقل من ذلك، حيث اعتبرناه منتوجا ثقافيا لرجل كان في بيئة جاهلية، وكان كل همه تصحيح أوضاعها، لا هداية العالم أجمع.

قال آخر: وأما الثالث؛ فجرأتنا على تبديل الحقائق القرآنية عن معانيها ومواضعها، حيث رحنا نشذ عن كل ما ذكره علماء المسلمين من كل المدارس، لنجعل منها أوهاما متناسبة مع الفلسفات المادية، والحضارة الغربية، لا مع الدين الحق، ولا مع العقل السليم والفطرة النقية، ولا مع القرآن الكريم الذي حملناه ما لا يحتمل من المعاني.

قال آخر: وأما الرابع؛ ؛ فجرأتنا على تبديل القيم القرآنية بأنواعها المختلفة، لنجعل من أحكام الإسلام وتشريعاته أحكاما متناسبة مع أهوائنا، ومع المتآمرين علينا، والذين رأوا عدم جدوى تشكيكاتهم وتحريفاتهم؛ فراحوا يستعملوننا وسيلة لذلك الغرض الخبيث.

١. منابع التبديل:

قال أحد الحضور: بورك فيكم، وفي تقواكم التي جعلتكم لا تكتفون بإسرار التوبة، وإنما رحتم تعلنونها بيننا، ونحن نطلب منكم أن تفعلوا مثلما فعل إخوانكم الحشوية والكشفية والمشككين، بأن تبصرونا بالمنابع التي جعلتكم تقعون فيما وقعتم فيه، حتى نحصن ديننا من كل من يريد تدنيسه أو تبديله أو التلاعب به.

قال أحد المبدلين: يمكننا تصنيف تلك المنابع إلى أربعة منابع، وكلها نابعة من نفوسنا الأمارة، لا من العقل ولا من الدين.

قال آخر: أما أولها وأخطرها؛ فهو كبرنا واستعلاؤنا ومحاولتنا التميز عن نظرائنا من المؤمنين، حيث رحنا نستعلي عليهم، وندعي أننا أكثر فهما للقرآن والدين منهم، بل ندعي أننا مجددون ومجتهدون، مع أننا في الحقيقة لم نكن سوى أتباعا ومقلدين لكل الحاقدين والمبغضين للقرآن والدين.

قال آخر: وأما الثاني؛ فهو طمعنا في تلك التحفيزات التي وضعها المتآمرون على ديننا

وأمتنا، حيث رحنا نقدم لهم خدماتنا مقابل دعمهم وتشجيعهم لنا.

قال آخر: وأما الثالث؛ فقد دفعنا إليه الثاني، وهو التتلمذ على أولئك الذين لا يمكن أن يشجع أو يحفز أو ينال الجوائز من لم يجعلهم أساتذته؛ فيسير على دربهم، وينسخ دينه وعقله وكل شيء لأجلهم.

قال آخر: وأما الرابع؛ فهو النتيجة التي خلصنا إليها من كل ذلك.. وهي التبعية العمياء الصماء البكماء التي لا تفرق بين الصالح والطالح، ولا بين الطيب والخبيث.. ولذلك صرنا بسببها مجرد أذناب، وإن ادعينا أننا سادة ومتنورون.. ومقلدون، وإن ادعينا أننا مجتهدون ومجددون.

أ. الكبر والتميز:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المنبع الأول من المنابع المدنسة.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣]؛ فهذه الآية الكريمة تصف حالنا النفسية بكل دقة، ذلك أن فرحنا بما عندنا، وغرورنا بأنفسنا هو الذي حال بيننا وبين تلقي أنوار الهداية التي خص الله تعالى بها من يقرؤون كتابه.

قال آخر: ذلك أن كتاب الله عزيز، مثلما الله عزيز، ولا يناله إلا من تضمخوا بعطر التواضع والعبودية؛ فلم يستكبروا على الله ولا على عباده ولا على كتابه.

قال آخر: كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٦]، وقال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩]؛ فالسجود الذي يمارسه هؤلاء عند سماعهم للقرآن الكريم ليس مجرد حركات جسدية، بل هو ينبع من كل لطائفهم التي تعلن خضوعها لله، ولكلماته المقدسة.

قال آخر: ولذلك يصيبها الوجل عند تلاوة كلام ربها لمعرفتها بعظم الكلام والمتكلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]

قال آخر: ولذلك كان فعل القرآن الكريم عكسيا فينا، لأننا لم نستقبل هداية الله بقلوب واعية متواضعة، وإنما بكبر وتعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٣ ـ ١٢٥]

قال آخر: وهكذا؛ فإن كل الآيات التي تخبر عن المجادلين المستكبرين كانت تنطبق علينا، ذلك أنا لم نكن نقدم علما، ولا بحثا، وإنما كنا نقدم سفسطة وجدلا.

قال آخر: ولذلك كان ينطبق علينا تماما قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦]، وقوله: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٤ ـ ٥]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ

سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٦٩ ـ ٧٠]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [الشورى: ٣٥]

قال آخر: ولذلك لم نكن نجادل بالتي هي أحسن، ولا بالحق، ولا طلبا للحق، وإنما كنا نجادل باستعلاء وكبر، لأنا كنا نحتقر كل العلماء والفقهاء والمفسرين.. بل نحتقر حتى سنة رسول الله ﷺ نفسها؛ فنلغيها جميعا، ومن غير نظر لا في أسانيدها أو معانيها أو عرضها على القرآن الكريم.

قال آخر: لقد جعلنا هذا الكبر نقع في ثلاث منابع شيطانية جرتنا إلى ما جرتنا إليه، ابتدأت برفض كل ما اتفقت عليه الأمة وفهمته من دينها، وبجميع علمائها وطوائفها ومدارسها.

قال آخر: وقد جعلنا ذلك نرفض كل ما ورد في كتب الحديث، حتى تلك التي توافق القرآن الكريم وتفسره وتبين كيفية تنفيذه في الواقع، وترسم أجمل الصور في ذلك.

قال آخر: وقد جرنا ذلك إلى احتقار كل علماء الدين، وفي جميع العصور، في نفس الوقت الذي نكل نقدم فيه كل قرابين الذلة للملاحدة والمنحرفين.

رفض الإجماع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن المنبع الأول من منابع الانحراف، ذلك الذي جعلكم تشذون عن كل ما أجمعت عليه الأمة في جميع عصورها.

قال آخر: لكن الذي نعلمه أن الإجماع، وعند أكثر العلماء مجرد دعوى؛ فقد قال أحمد

بن حنبل عنه: (من ادعى الإجماع فقد كذب، وما يدريك لعلهم اختلفوا)[1]

قال أحد المبدلين: ليتنا اكتفينا بخرق هذا النوع من الإجماع؛ فنحن لم نفعل ذلك، وإنما خرقنا إجماع الأمة جميعا.. ذلك الذي لا يحل الخروج عليه، وهو ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: (إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة)[2]

قال آخر: والقرآن الكريم يدل على هذا، ذلك أن وقوع جميع الأمة في الباطل يعني انتصاره على الحق مع أن الله تعالى أخبر أن الحق لن ينطفيء نوره أبدا، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِيءوا نُورَ اللهِّ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُّ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

قال آخر: وقد أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل أنهم لم يجمعوا على تحريف الدين، بل بقيت منهم طائفة صالحة، إلى أن جاء الإسلام فاتبعته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]

قال آخر: وأخبر رسول الله ﷺ أن هذه الأمة كذلك، لن يجمع الكل على الانحراف، بل ستبقى طائفة ملتزمة بالحق، حتى تقام الحجة على الخلق.. ذلك أنه لو لم يبق إلا الباطل المجرد، لما استطاع الخلق التمييز بين الحق والباطل.

قال آخر: وقد نص على ذلك قوله ﷺ: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)[3]

قال آخر: وبذلك تنقطع حجة كل من يريد أن يأتي في الدين بالجديد الذي يغيره من جذوره، كما راح يفعل أساتذتنا المبدلين الذين يريدون إنشاء دين جديد لا علاقة له بما

---

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل ص٢٧٥.

(٢) أبو داود ٤/ ٩٨، حديث ٤٢٥٣، وابن ماجه، حديث رقم٣٩٥٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة المختصرة (ج ٣ / ص ٣١٩)

(٣) البخاري ٦/ ٧٣١، حديث ٣٦٤١، ومسلم ٣/ ١٥٢٤.

اتفقت عليه الأمة.

قال آخر: وهذا لا يعني أننا لا نجتهد في فهم النصوص، ولا في استفادة الجديد منها، ولا في البحث عن كيفية تفعيلها في الحياة، ذلك أن كل هذا بناء، وليس هدما.. وإنما نعني به ذلك الهدم الذي ينقض الدين من أساسه، باستعمال الحيل السفسطائية المستفادة من المناهج المختلفة.

قال آخر: وقد لجأ أساتذتنا إلى خرق إجماع الأمة ـ لا الطوائف ـ حتى يتاح لهم أن يدلوا بأقوال لم يسبقهم إليها أحد، وبذلك يعتبرون أنفسهم، أو يعتبرهم جمهورهم أصحاب مشاريع تجديدية؛ فهم لا يريدون أن يظهروا بين الناس بأنهم مقلدة، أو بأنهم يجترون أقوال من سبقهم.

قال آخر: وهذا الخرق ييسر عليهم أيضا التعامل مع القضايا المختلفة بسهولة ويسر، ذلك أنهم لن يحتاجوا إلى البحث في كتب العقيدة ولا الفقه ولا الحديث ولا التفسير، ولا يحتاجون لمراجعة العلماء من المدارس المختلفة للتحقق في أنواع البراهين، وأنماط الحجج، وإنما يكفيهم أن يدلوا برأيهم، ثم بقنبلة واحدة يرمون جميع الفقهاء والمفسرين والمحدثين من المدارس المختلفة من غير أن يطلعوا على أقوالهم، أو يكلفوا أنفسهم عناء فهمها.

قال آخر: وهذا الخرق ييسر عليهم أيضا أن يكونوا أحرارا غير محاطين بأي قيود تحول بينهم وبين التفكير الحر، الذي لا يتقيد بأي قيود حتى لو كانت قيود الشريعة نفسها.

قال آخر: ولذلك ما أسهل لمن يفكر بهذه الطريقة أن يحدد أهدافه من الدين، ثم يحدد بعد ذلك وسائله لتحقيقها، وقد يستفيد ذلك من التيارات الفكرية المختلفة.. ليحمل الدين بعد ذلك عليها.. فإن كان شيوعيا حول من الدين نظرية شيوعية.. وإن كان وجوديا جعل من الدين وسيلة لتحقيق الرؤى الوجودية.. وإن كان يرى أن غاية الحياة هي تحقيق

الديمقراطية حول الدين جميعا أداة لتحقيق الديمقراطية.

قال آخر: وهو لن يستعمل في ذلك إلا بعض الخدع والحيل التي استعملها السفسطائيون، والذين قضوا على المنطق، وعلى كل معقول مثلما أساتذتنا أدعياء التنوير والحداثة على كل قطعي من الحقائق، وكل متفق عليه من شؤون الدين والدنيا.

قال آخر: لقد رأينا في هذا السبيل يستعملون الكثير ومن الحيل.. ومن أبشعها أنهم يلجؤون إلى الخصام الحاصل بين الفرق الإسلامية؛ فيستفيدون من ردود السنة على الشيعة، أو من ردود الشيعة على السنة.. ليضربوا كلا من السنة والشيعة.. ولا يعلمون أنهم لا يضربون فقط مواضع الخلاف بينهم، وإنما يضربون أيضا مواضع الإجماع والاتفاق.

قال آخر: وهم بذلك يفعلون مثلما يفعل ذلك الملفق المحتال على الدين، والذي عبر عنه أبو نواس بقوله:

أباح العراقيّ النّبيذ وشربه ... وقال: حرامان المدامة والسّكر

وقال الحجازي: الشرابان واحد ... فحلّ لنا من بين قوليهما الخمر

سآخذ من قوليهما طرفيهما ... وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وعبر عنه آخر نثرا، فقال: (أباح أهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ، وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء، فأوجدونا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق)[1]

قال آخر: وهذا هو منهجهم في النقد الذي يسمونه [نقد العقل العربي] أو [نقد العقل الإسلامي]، فهم لا يقصدون النقد البناء الذي يستهدف جزئيات القضايا، وإنما النقد الكلي الذي يجهز على كل شيء.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٧٦٩)

قال آخر: حتى تلك القطعيات المتفق عليها، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأكثر مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، أو مسائل الفقه وقضاياه، سواء في أبواب العبادات أو المعاملات، باعتبار أن أصول هذه الأبواب مذكورة في القرآن الكريم بصيغة قطعية، لتحفظ وحدة الأمة في هذا الجانب.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول أحد أساتذتنا، وهو محمد شحرور، متهما كل من سبقه بعدم فهم القرآن الكريم، حتى أولئك الذين نزل القرآن الكريم عليهم، وبلغتهم، فقد قال: (لقد اهتم العرب بفهم الرسالة اهتماما شديدا، وأعطوها كل وقتهم وجهدهم، وجاهدوا في نشرها بين الأمم، ولكنهم لم يهتموا بفهم القرآن، لأن القرآن بحاجة إلى تفرغ ووضع حضاري معين وبحث علمي)[1]

قال آخر: ثم راح يستدل لكبره هذا بالقرآن الكريم، فاقتبس قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وعلق عليه بقوله:(قال: ﴿على الناس﴾، ولم يقل على الذين اتقوا، فكلما زادت معاهد البحث العلمي وزاد عدد المتفرغين لهذا البحث، وزاد عدد الاختصاصات زاد فهم الناس للقرآن، هذه الشروط لم تكن متوفرة في عهد النبي ﷺ)[2]

قال آخر: وهكذا راح يطبق قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] على كل المؤمنين والعلماء والصالحين الذين عاشوا بالقرآن وللقرآن، فقد قال فيهم: (فقوم الرسول هم العرب، كل العرب، لاحظ قوله ﴿إن قومي﴾ إذ لم يقل: إن الذين كفروا من قومي، ولو عنى المسلمين لقال أمتي، لأن العرب قومه والمسلمون أمته، هذه الآية تنطبق على العرب جميعا بما فيهم الصحابة والخلفاء الراشدين

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (١٢٩)

(٢) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (١٢٩)

إلى علي بن أبي طالب)[1]

رفض السنة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن المنبع الثاني من منابع الانحراف، ذلك الذي جعلكم تنفرون من السنة، ولا تستفيدون منها.

قال أحد المبدلين: ليتنا اكتفينا بذلك؛ بل كنا نسخر منها، ومن أحاديثها، من غير تمييز بين صحيح وضعيف، وبين ما وافق القرآن الكريم وما لم يوافقه.

شبهات:

قال آخر: بل كنا نذبها عنا مثلما نذب الذباب، لا نتكلف في ذلك أي عناء ولا جهد ولا بحث.. فلازمتنا المعروفة هي مخالفة السنة للعقل، وللقرآن، وللفطرة، وأنها من نتاج الأمويين أو العباسيين، أو من نتاج الكذابين الوضاعين، حتى يتوهم من يستمع لنا أن هذه النتائج قد تولدت عن بحث طويل، أو عناء شديد في النظر في أسانيد الأحاديث أو طرقها، أو أننا كنا نعرضها حديثا حديثا على القرآن الكريم أو العقل الحكيم.. بينما لم نكن نفعل شيئا من ذلك.. ذلك أننا لم نكن نعرضها إلا على هوانا المجرد، والذي نسميه مرة قرآنا، ومرة عقلا، ومرة فطرة، وهو في حقيقته لا يعدو أن يكون هواجس نفوسنا الأمارة، أو وساوس شياطيننا الملعونين.

قال آخر: وقد كنا نضربها بالقرآن الكريم بزعم أنه حوى كل شيء، ليخلو لنا الجو معه؛ فنبدله كما نشاء، من غير مراعاة لأي حدود أو ضوابط، لا للسنة المطهرة، ولا لاتفاق المسلمين على المعاني والحدود.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما قاله أحد الذي يزعمون لأنفسهم أنه من

---

(١) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (١٢٩)

القرآنيين، وهو عبد الله جكرالوي مؤسس فرقة القرآنيين: (إن الكتاب المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه في الدين مفصلا ومشروحا من كل وجه، فما الداعي إلى الوحي الخفي وما الحاجة إلى السنة)[1]، وقال: (كتاب الله كامل مفصل لا يحتاج إلى الشرح ولا إلى تفسير محمد ﷺ له وتوضيحه إياه أو التعليم العملي بمقتضاه)[2]

قال آخر: بل وصلت به الجرأة إلى قوله: (إنا لم نؤمر إلا باتباع ما أنزله الله بالوحي، ولو فرضنا جدلاً صحة نسبة بعض الأحاديث بطريق قطعي إلى النبي ﷺ، فإنها مع صحة نسبتها لا تكون واجبة الاتباع؛ لأنها ليست بوحي منزل من الله عز وجل)[3]

قال آخر: وقال في موضع آخر: (يعتقد أهل الحديث أن نزول الوحي من الله عز وجل إلى نبيه ﷺ قسمان: جلي متلو وخفي غير متلو، والأول: هو القرآن، والثاني: هو حديث الرسول ﷺ.. غير أن الوحي الإلهي هو الذي لا يمكن الإتيان بمثله، بيد أن وحي الأحاديث قد أتى له مثيل بمئات الألوف من الأحاديث الوضعية)[4]

قال آخر: وهم يشبهون اهتمام المسلمين للحديث بما فعله اليهود، وقد قال بعضهم في ذلك:: (إنّ هذا التقسيم للوحي معتقد مستعار من اليهود (شبكتب) المكتوب، و(شَبْعَلْفَهْ) المنقول بالرواية وأنه لا صلة به بالإسلام)[5]

قال آخر: ويقول خواجه أحمد الدين: (إن الأصل الذي لا يتغير ولا يتبدل هو الوحي الإلهي فحسب، وهل أُمرنا بالبحث عن الوحي الإلهي في التوراة والإنجيل.. أو البخاري ومسلم أو الترمذي وأبي داود وابن ماجه أو مسانيد أئمة آخرين)[6]

---

(١) مجلة إشاعة القرآن ص ٤٩ العدد الثالث سنة ١٩٠٢م، وإشاعة السنة ١٩ ص ٢٨٦ سنة ١٩٠٢.

(٢) ترك افتراء تعامل ١٠ وقد قال بمثله الخواجه أحمد الدين والحافظ أسلم. انظر برهان القرآن ٤، ونكات قرآن ٤٩.

(٣) نقلا عن إشاعة السنة ج١٩ / ٢١٩.

(٤) مجلة إشاعة القرآن ٣٥ العدد الرابع ١٩٠٣م.

(٥) مقام حديث ٤٦.

(٦) برهان فرقان ٤.

قال آخر: بل وصل بنا الأمر إلى اعتبار الاهتمام بها وتحكيمها شركا، وقد قال أستاذنا عبد الله جكرالوي في ذلك: (الحض على أقوال الرسل وأفعالهم وتقريراتهم مع وجود كتاب الله علة قديمة قدم الزمن، وقد برأ الله رسله وأنبياءه من هذه الأحاديث، بل جعل تلك الأحاديث كفراً وشركاً)[1]

قال آخر: وقال الخواجه أحمد الدين: (لقد وضع الناس لإحياء الشرك طرقاً متعددة، فقالوا: إنا نؤمن أن الله هو الأصل المطاع، غير أن الله أمرنا باتباع رسوله، فهو اتباع مضاف إلى الأصل المطاع، وبناء على هذا الدليل الفاسد يصححون جميع أنواع الشرك، فهل يصبح الأجنبي زوجا لمتزوجة بقول زوجها إنها زوجته، ألا وإن الله لم يأمر بمثل ذلك ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠])[2]

قال آخر[3]: ومن المبررات الواهية التي كنا نستعملها أن التمسك بالسنة يفرق الأمة وأنها لو انسلخت منها لاتحدت، وقد قال بعضنا في ذلك: (لا ترتفع الفرقة والتشتت عن المسلمين، ولن يجمعهم لواء ولا يضمهم مكتب فكر موحد، ما بقوا متمسكين بروايات زيد وعمرو)

قال آخر[4]: وقال آخر: (لن تتحقق وحدة المسلمين ما لم يتركوا كتبهم الموضوعة في طاعة الرسول ﷺ، ولن يروا سبيل الرقي والتقدم ما لم يمح عنهم التشتت والفرقة)

قال آخر[5]: وقال آخر: (قد فاق تقديس هذه الكتب (كتب السنة) كل التصورات البشرية، مع أنها جزء من مؤامرة أعجمية استهدفت النيل من الإسلام وأهله)، ويعلل ذلك فيقول: (فما أصحاب الصحاح السنن إلا جزء من تلك المؤامرة، لذا نجدهم إيرانيين جميعا،

---

(١) ترك افتراء تعامل ١٠ وانظر المباحثة ٤٢.

(٢) تفسير بيان للناس ج ٢ / ٣٩٥ و٤٤٥.

(٣) نقلا عن شبهات القرآنيين، ص ٥٥.

(٤) نقلا عن شبهات القرآنيين، ص ٥٥.

(٥) نقلا عن شبهات القرآنيين، ص ٥٥.

لا وجود لساكن الجزيرة بينهم، والشيء المحير للعقول أن العرب لم يسهموا في هذا العمل البناء، بل أسندوا جمع الأحاديث وتدوينها إلى العجم حتى تم بناء هذا الصرح المؤامر)[١]

قال آخر[٢]: وكنا نذكر في أحسن أحوالنا أن الخطاب بالأحاديث كان موجهاً لأمة خاصة وهم العرب في زمن النبي ﷺ بما يوافق ظروفهم الخاصة، فلا تلزمنا طاعته إذ كانت مقيدة بزمنه، وزالت بوفاته ﷺ، وقد قال بعضنا في ذلك: (اعلم أن طاعة الرسول ﷺ كانت طاعة مقيدة بزمنه، وامتثال أحكامه، لا تتجاوز حياته، وقد أوصد هذا الباب منذ وفاته ﷺ)

قال آخر[٣]: وقال آخر: (لقد كانت إرشاداته ﷺ تصدر وفق ظروف أصحابه، ولو كنا في تلك الآونة لوجب علينا اتباع أقواله وإرشاداته ﷺ وكما أن خطاب القرآن عام عندنا غير أن المخاطبين بالأحاديث أمة خاصة وهم العرب)

قال آخر: وكنا نشكك في ثبوتها جميعا، اعتمادا على ما ورد من الروايات الضعيفة، أو الأسانيد المريضة، أو ذلك الوضع الذي انتشر في فترات مختلفة من التاريخ، والذي كان يدعونا إلى البحث والتحقيق لتمييز الخبيث عن الطيب، لكنا رمينا الجميع.

قال آخر: وقد قال بعضنا يبرر ذلك: (لو كانت السنة جزءاً من الدين لوضع لها رسول الله ﷺ منهجا كمنهج القرآن من الكتابة والحفظ والمذاكرة.. لأن مقام النبوة يقتضي أن يعطي الدين لأمته على شكل محفوظ، لكنّه ﷺ احتاط بكلّ الوسائل الممكنة لكتاب الله، ولم يفعل شيئا لسنّته، بل نهى عن كتابتها بقوله: لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[٤]

---

(١) مقام حديث ٢٢.

(٢) شبهات القرآنيين، ص ٥٩.

(٣) شبهات القرآنيين، ص ٥٩.

(٤) مقام حديث ٧.

قال آخر: وقال آخر: (لم تدون السنة أيام حياته ﷺ، وتنوقلت سماعاً إلى القرن الثالث الهجري، وإذا كان سامعونا لا يستطيعون ذكر ما تحدثنا عنه في خطبة الجمعة الماضية فكيف بسماع مائة سنة وصحة بيانه)(١)

قال آخر: وقال آخر: (بالإضافة إلى هذا التأخر في تدوين السنة كان المجتمع المدني يضم كثيراً من المنافقين في صفوفه، وقد استحالت معرفتهم على النبي ﷺ فخاطبه ربه بقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، فهذه الآية وشبيهاتها تنفي معرفة الرسول بهم، وأي شخص أكثر معرفة منه ﷺ بهؤلاء)(٢)

قال آخر: وقال: (ليس في وسع المرء أن يطلع على حقيقة رواة الحديث صدقاً وكذباً؛ لأنهما من الأمور الباطنية التي لا يطلع عليها إلا العليم بذات الصدور)(٣)

قال آخر: وقال آخر: (قد كان للعواطف البشرية يد في تصحيح السنة وتضعيفها، وإنا لنرى توثيق الرواة لم ينحصر في الصدق فحسب، بل تجاوزه إلى التلمذة والتشيخ والمشاركة الفكرية والعواطف والميول الوجدانية)(٤)

قال آخر: وهكذا كنا نستعمل كل الحيل لرفضها وإلغائها، حتى مع وضوح الآيات الدالة عليها، والتي كنا نحتال عل تأويلها بمثل هذا التأويل الذي ذكره محمد شحرور لقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فقد قال: (أخذ البعض هذا القول على ظاهره، وفهموا أن الذكر مفتقر إلى بيان، والمفتقر إلى البيان مجمل يلزم البيان لتفصيله.. ونحن نقول إن ما قاد إلى هذا كله هو التبيان والبيان؛

---

(١) مجلة إشاعة السنة ج ١٩ / ١٥٢ عام ١٩٠٢م.

(٢) إشاعة السنة ج ١٩ / ١٥٢ عام ١٩٠٢.

(٣) إشاعة السنة ج ١٩ / ٢٠٠ عام ١٩٠٢.

(٤) مقام حديث ١٢٥.

فالأمر بالتبيين الوارد في آية النحل أمرٌ بالإظهار والإبانة وعدم الكتمان، وهذا أوضح من أن ينكره أحد)[1]

قال آخر: ثم استدل بالآيات الكريمة التي تتحدث عما حواه القرآن الكريم من أصناف البيان والبينات والهدى ليضرب به وظيفة رسول الله ﷺ في البيان، ومن أمثالها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].. وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].. وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

قال آخر: وبعد أن استعرض هذه الآيات وغيرها، قال: (عندما ننظر في اللسان العربي فنجد هذا المعنى أوضح مرة أخرى من أن يتجاهله ذو لب؛ فالبينة، هي الدليل الظاهر المنظور، ومنه جاءت الآيات البينات أي الظاهرات الباديات للعيان.. نعود لننظر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣ ـ ٤].. فالتبيّن عند إبراهيم هو الظهور؛ فهو عندما تأمل وأعمل عقله وظهر له أن أباه عدو لله تبرأ منه، والله علّم الإنسان إبانة أفكاره والتعبير والإعراب عنها للآخرين ليتحقق التعارف والتواصل بين الجماعات والأفراد الذي أشار إليه تعالى في آيات أخرى)[2]

قال آخر: وبعد أن ذكر كل هذا راح يستعمل هذه المعاني الصحيحة في التأويل

---

(١) من كتاب: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، موقع شحرور.

(٢) المرجع السابق.

المحرف، فقال: (فأية سنة نبوية محمدية هذه، التي يحتاج إليها الإنسان في طوكيو والقاهرة وواشنطن وجبال هملايا، للتعبير عن أفكاره وبيانها وإظهارها؟)(١)

قال آخر: وبعد استعراضه للآيات التي تتحدث عن اشتمال البيان القرآني لكل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وغيرها، قال: (ونحن مع هذه الآيات، وغيرها كثير، أمام وصف محدد لا لبس فيه، يصف به تعالى تنزيله الحكيم بأنه مبين ظاهر للعيان، وواضح مكشوف أمام الأبصار والبصائر، ومفصل لكل شيء، ولا يسعنا أمامها إلا أن نسأل: ما الحاجة ـ إذا كان ذلك كذلك ـ إلى سنة نبوية تفصِّل المفصل، وتوضح الواضح، وترفع اللبس عن كتاب لا ريب فيه؟)(٢)

قال آخر: ثم راح يتلاعب على عقول المستمعين والمشاهدين له، فقال: (ونضرب هنا مثلاً، ولله المثل الأعلى، فعندما يزور رئيس دولة ما دولة أخرى، ويجتمع مع رئيسها، يصدر عنهما بيان مشترك عما تم بحثه وتم التوصل إليه في المحادثات، فيأخذ هذا البيان إنسان ويعلنه على الناس بالوسائط المعمول بها، دون أن تكون لهذا الإنسان علاقة بعباراته وصياغته، ولا بمعانيه ومضامينه، إذ تنحصر علاقته به بإعلانه وإذاعته على الناس، فالبيان غير المذاع والمعلن لا يكون بياناً أصلاً)(٣)

قال آخر: وعقب على هذا الاستدلال العجيب بقوله: (والتنزيل الحكيم ودور النبي كرسول في بيانه بإظهاره وعدم كتمانه، وفي إعلانه وإذاعته على الناس لا يخرج أبداً عما

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ذكرنا.. فنحن إذن أمام نص إلهي موحى، صاغه الله تعالى بشكله المنطوق، فتنزلت هذه الصياغة على النبي، وتحددت مهمته كرسول في إعلانها للناس ببيانها وعدم إخفائها كلياً أو جزئياً وفي تبليغها لهم بلاغاً مبيناً، أي معلناً مذاعاً بشكل واضح وصريح دون زيادة أو نقصان وبيان الشعائر وتبليغ أحكام الرسالة، في ضوء أن صائغ هذا الذكر، وهو الله سبحانه، تعهد بشرحه وتوضيحه)[1]

قال آخر: ومثل ذلك راح يؤول قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، لينفي عنه الدلالة على حجية سنة رسول الله ﷺ، حيث قال: (لو صدق قولهم لوجب حتماً أن يدخل الحديث النبوي في الحفظ الإلهي، ولوجب حتماً أن يخلو من الإشكال والاختلاف الكثير، ولوجب حتماً أن تكون روايته باللفظ لا بالمعنى، ولوصلنا ملفوظاً منطوقاً كما لفظه النبي ونطقه، تماماً كما وصلنا الذكر بلفظ ونطق الرسول ﷺ منذ خمسة عشر قرناً، فالكتاب الوحيد الذي ينطبق عليه وصف: قال الله، نطق رسول الله، هو الذكر الحكيم.. وهذا الوصف لا ينطبق على كتب الحديث ولا حتى على المتواتر منه)[2]

قال آخر: ومثل ذلك راح يؤول قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، لينفي عنه الدلالة على حجية سنة رسول الله ﷺ، حيث قال: (فيذكر أولاً هذا جزء من آية الحشر التي تتحدث عن الفيء ومصارفه.. والإيتاء هو الإعطاء كما في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢].. وكلها تصب في مدار الآية أي في الفيء ومصارفه.. ولذلك نرى أن خصوصية السياق لا تسمح لنا بإطلاقه وتعميمه وسحبه على كل ما ورد في كتب الحديث)[3]

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

قال آخر: ويضيف إلى ذلك كله الاستدلال بالآيات الكريمة الآمرة بالتدبر والتعقل والتذكر، على رفض السنة وإقصائها، فيقول: (ثمة نقطة أخيرة نقف عندها قبل أن نتابع، هي أنه لو كان الأمر كما يقولون: كتاب مجمل، وسنة مفصِّلة.. فلن يبقى أي معنى للتفكر والتدبر والتأمل والتعقل عند الناس، ولن يبقى أي معنى لقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢])(١)

قال آخر: وهو في الحقيقة لا يقصد بهذا إلا ما يفعله أمثاله من إقصاء السنة ورفضها ليتاح لهم المجال في إعمال أهوائها كما يشاؤون في تفسير القرآن الكريم والتلاعب بأحكامه وتبديلها كما يشاءون.

قال آخر: وإمعانا منه في التلاعب بالألفاظ يستدل بالقرآن الكريم على التفريق بين ما يطلق عليه [السنّة الرسولية] و[السنة النبوية]، فالسنة الرسولية عنده: (هي الرسالة المحمدية التي أُنزلت وحياً على قلبه، ﷺ، والوارد في أم الكتاب، وما جاء فيها من منظومة القيم والشعائر، ونظرية الحدود ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مجال الأسوة والطاعة والقدوة والاتباع)(٢)، والتي يتلاعب بها وبمعانيها كما يشاء.

قال آخر: وأما السنة النبوية، فليست هي كل قول أو فعل أو تقرير، بل هي ما انطبق عليه التغيّر والتبدّل، على عكس سنّة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ويعقب عليها بقوله: (فالآيات تصرح بأن سنن الأولين قد خلت ومضت، وهذا ينفي عنها صفة الأبدية، لأن أهم صفة للسنّة هي (التسنّه)

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

كما في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فالطعام يتسنّه بأن يصيبه السّنه وهو التغير، والسنن تتغير حسب ظروف المجتمعات ومتطلباتها المعرفية مع تقدم الوقت والأحداث التاريخية الجارية فيها، على عكس السنّة الإلهية فهي سنّة أزلية وأبدية، كما في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]

قال آخر: ولهذا يستعمل الفرق بين كلمتي النبي والرسول، ليفرق بين ما ورد عن رسول الله ﷺ على أساسها؛ فمحمد الرسول عنده فقط من يؤخذ منه الدين الذي يفسره بعد ذلك بهواه.. أما (محمد النبي، والأحاديث الواردة في مقام النبوة لا يمكن أخذها كمصدر للتشريع واتباعها رغم أنها متوافقة مع التنزيل الحكيم، لأنها جاءت وفق شروط موضوعية مخصوصة وموجهة لمن عاصره من أفراد مجتمعه فقط.. مثال ذلك، الأحاديث المتعلقة بموضوع النكاح والطلاق في تنظيم العلاقات الاجتماعية، مثل: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء، والتمسوا ولو خاتماً من حديد، ونهى رسول الله عن زواج الشغار..، ومثل أحاديث تنظيم البيع والشراء: لا يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا تناجشوا، ولا بيع حاضر لباد، إن بعت من أخيك ثمراً فأصابته جائحة، فلا يحلّ لك أن تأخذ من ماله شيئاً)(١)

قال آخر: وهو يختصر السنة في عصرها المحدود؛ فيقول: (أما الاستعانة بأفعال الرسول وأقواله، والتأسي الحسن بما كان يقول ويفعل، فهو في أنه تعامل مع التنزيل الحكيم من خلال السيرورة والصيرورة التاريخية البحتة للعرب في شبه جزيرتهم، أي في حدود

---

(١) المرجع السابق.

التاريخ والجغرافيا، ضمن مستواهم الاجتماعي والمعرفي، وضمن الإشكاليات المطروحة أمامه، بحيث أسس دولة مركزية، وحقق قفزة نوعية؛ أي أنه كان المرآة الصادقة الأولى لتفاعل التنزيل ككينونة في ذاته مع حقبة تاريخية زمنية معينة، ومجتمع معين قائم على أرض الواقع الإنساني الموضوعي المباشر)(١)

قال آخر: ومن هذا الباب يختصر شخصية ويقزمها، بحيث لا تتجاوز الحدود الضيقة لزمانها ومكانها؛ فيقول: (ومن هنا نصل إلى القول إن الرسول ﷺ لم يكن فيلسوفاً ولا رجل فكر، بل كان رجل دعوة جاءه الفكر من المطلق وطبقه في عالم نسبي محدود زمانياً ومكانياً، وكان حكيماً لأن الحكمة لوحدها لا تحتاج إلى وحي، ومن هنا أيضاً نصل إلى القول بأن استنباط الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام يكون من التنزيل الحكيم حصراً، لا من أقوال الرسول الأعظم لأن هذا ليس من مهماته كرسول بالأصل، ولا من أقوال معاصري البعثة النبوية لأن هذا ليس مطلوباً منهم أصلاً)(٢)

قال آخر: ثم عقب بما يعتبره مبررات لتلك التصويرات التي صور بها رسول الله ﷺ، فقال: (العرب لم يكونوا أهل فلسفة أو أهل علوم كلام أو أهل رياضيات، كان دورهم أنهم تفاعلوا بكل بساطة مع التنزيل الحكيم، ففهموا بينات النبوة وأدلتها فيه، وعملوا بما بلغهم من أوامر ونواه، طبقاً لمداركهم وإشكالياتهم الاجتماعية بمختلف صورها القبلية والعشائرية والسياسية والاقتصادية، لذا فليس غريباً أبداً أن تكون السنة بمفهومها التقليدي والمرجعية الصحابية هي السلاح وهي المجن عند أعداء الفلسفة وعلم الكلام، وأعداء التطور وجميع العلوم الإنسانية الأخرى، يشهرونه في وجه كل من يحاول أن يعمل

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

عقله)[1]

ردود:

قال آخر: وكل ما ذكرناه أو ذكره أعلامنا من ذلك ليس سوى مغالطات لا نهدف منها إلا إخلاء الجو لأهوائنا وأساتذتنا ليستبدلوا الهدي النبوي، بما تمليه نفوسهم وأساتذتهم.

حجية السنة:

قال آخر: ولو أنا توضعنا، وعدنا إلى القرآن الكريم لوجدناه يدعونا إلى العودة إلى رسول الله ﷺ لفهم التعاليم القرآنية، ومعرفة كيفية تنفيذها، كما قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُّ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]

قال آخر: وهكذا أمر الله تعالى بالرجوع للنبي ﷺ، واعتباره حكما وشارحا ومفصلا لآيات الذكر الحكيم، في آيات كثيرة، ودلالتها صريحة جدا، ولا ينكرها إلا جاحد، ولعل أشهرها وأوضحها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فهذه الآية الكريمة واضحة في دلالتها على كون ما قضى به رسول الله ﷺ هو نفسه ما قضى به الله تعالى؛ فرسول الله ﷺ لا ينطق الهوى.

قال آخر: ومثل ذلك تلك الآيات الكريمة التي تأمر بطاعة رسول الله ﷺ، وتقرنها

---

(١) المرجع السابق.

بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]

قال آخر: لذلك نجد الصادقين لا يتجرؤون على ردها، ولا على مناقشتها، ولا على كتمانها، وإنما يجتهدون في تفعيلها في كل شيء، مثلما يجتهدون في تفعيل القرآن الكريم، فكلاهما من مشكاة واحدة، هي مشكاة الحقيقة المطلقة، وقد قال الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]

قال آخر: ولذلك هم لا يرددون أبدا تلك المقولة التي يرددها من يدعون أنهم قرآنيون، والتي هي سبب كل بلاء وقع في الأمة: (حسبنا كتاب الله)، ذلك أن الله تعالى هو الذي وكل رسوله ﷺ ببيان كتابه، ووضع الضوابط لدينه حتى لا تتلاعب به الأهواء، كما قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]

قال آخر: وقد ورد في الحديث الشريف وصف دقيق لأمثال هؤلاء، والذي لم يخلوا من أمثالهم التاريخ، فقد قال ﷺ: (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)[١]

قال آخر: وعن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معدي كرب يقول: (حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء، ثم قال: (يوشك أحدكم أن يكذبني، وهو متكئ يحدث

---

(١) الترمذي العلم (٢٦٦٣)، أبو داود السنة (٤٦٠٥)، ابن ماجه المقدمة (١٣)، أحمد (٦/٨)

بحديثي؛ فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله)[1]

قال آخر: وقد روي عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد، إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً، والغداةركعتين، والظهر أربعاً والعصر أربعاً؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنّا أخذتمونا وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ أوجدتم فيه: في كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعيراً كذا، وفي كل كذا درهماً كذا؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبي ﷺ.. أما سمعتم الله قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] فقد أخذنا عن رسول الله أشياء ليس لكم بها علم)[2]

قال آخر: وقد روي عن بعضهم أن رجلاً قال له: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له مطرف: (والله ما نريد بالقرآن بدلاً؛ ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا)[3]

قال آخر: ولهذا كان الصالحون يعتبرون كل حياة رسول الله ﷺ سنة، ما قبل البعثة وما بعدها، حتى خلوته في غار حراء، يعتبرونها من السنن النبوية التي يمكن تفعيلها في الواقع.

قال آخر: لأن حقيقة رسول الله ﷺ كانت متمثلة بالنبوة وبطهارتها وسموها، ولم يكن الوحي المقدس الذي أوحي له إلا تتويجا لتلك النبوة السابقة، كما قال رسول الله ﷺ

---

(١) الترمذي (٢٦٦٤)، أبو داود (٤٦٠٤)، ابن ماجه (١٢)، أحمد (٤/ ١٣٢)، الدارمي (٥٨٦)

(٢) الحاكم (١/ ١٠٩) وجامع بيان العلم (٢/ ١١٩٢)

(٣)جامع بيان العلم (٢ / ١١٩٣)

نفسه مخبرا عن موعد نبوته عندما سئل: يا رسول الله، متى كتبت نبيا؟ فقال: (وآدم عليه السلام بين الروح والجسد)(١)

قال آخر: وقد كان رسول الله ﷺ يكلف أصحابه بتبليغ سنته مثلما يكفهم بتبليغ القرآن الكريم، ويعدهم من الأجر مثلما يعدهم به، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصي أصحابه في خطبته أن يبلغ شاهدهم غائبهم، ومن ذلك ما حصل يوم حجة الوداع في يوم عرفة وفي يوم النحر حين قال لهم: (فليبلغ الشاهد الغائب، فرب من يبلغه أوعى له ممن سمعه)(٢)

قال آخر: وعلى هذا المنهاج سار أئمة الهدى، الذين هم أحق الناس بلقب القرآنيين، فقرآنيتهم لم تمنعهم من الأخذ بسنة رسول الله ﷺ، بل تبليغها والدعوة إليها، وقد قال أحدهم، وهو الإمام الباقر يذكر مصادر علومهم وفتاواهم: (يا جابر.. لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا، لكنّا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بآثار من رسول الله ﷺ وأصول علم عندنا، نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)(٣)

قال آخر: وقال في حديث آخر: (إنّا على بيّنة من ربنا، بيّنها لنبيّه ﷺ فبيّنها نبيه لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس)(٤)

قال آخر: ومثله ذكر الإمام الصادق بأن كل ما ذكره أئمة الهدى ليس نابعا من الرأي والاجتهاد وإنما هو من النصوص المقدسة القرآنية والنبوية، فقال: (والله لولا أنّ الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا، ما أدخلناكم بيوتنا، ولا أوقفناكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا)(٥)

---

(١) أحمد ٤/ ٦٦ (١٦٧٤٠) و٥/ ٣٧٩ (٢٣٥٩٩)

(٢) البخاري (١٦٥٤)، مسلم (١٦٧٩)، ابن ماجه (٢٣٣)، أحمد (٥/ ٣٧)، الدارمي (١٩١٦)

(٣) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٢، وبصائر الدرجات.

(٤) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٣، والاختصاص، بصائر الدرجات.

(٥) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٣، وبصائر الدرجات.

قال آخر: وقد روي عنه أنه سئل: بأي شيء يفتي الإمام؟.. قال: (بالكتاب، قيل: فما لم يكن في الكتاب؟.. قال: بالسنّة، قيل: فما لم يكن في الكتاب والسنّة؟.. قال: (ليس شيءٌ إلا في الكتاب والسنّة، قال السائل: فكرّرت مرة أو اثنتين قال: (يسدّد ويوفّق، فأما ما تظنّ فلا)[1]

قال آخر: وقبلهم جميعا كان الإمام علي مثالا على العودة للسنة المطهرة، وتطبيقها في كل الشؤون، وقد قال عنه الإمام الصادق: (ما رأيت عليا قضى قضاء إلا وجدت له أصلا في السنة.. وكان يقول: لو اختصم إلي رجلان فقضيت بينهما ثم مكثا أحوالا كثيرة ثم أتياني في ذلك الأمر لقضيت بينهما قضاءا واحدا، لأن القضاء لا يحول ولا يزول أبدا)[2]

قال آخر: وهكذا تواترت النصوص الكثيرة الواردة في المصادر الحديثية للمدارس الإسلامية المختلفة على تعظيم السنة، وخطورة ردها بالهوى المجرد، أو خطورة ضربها بالقرآن الكريم، مع كونها لم ترد إلا لبيانه وتأكيد معانيه، وتفصيل مجمله، وتوضيح كيفية تنفيذه في الواقع؛ فرسول الله ﷺ لم يكن سوى قرآنا ناطقا، ولم يكن خلقه إلا القرآن.

قال آخر: لكن كبرنا على هؤلاء المحدثين هو الذي أعمى أبصارنا عن كل حق رووه عن رسول الله ﷺ، وإن توافق مع كل العقول، ومع كل القرآن، بل حتى ولو اتفق عليه جميع المسلمين وبمدارسهم المختلفة.

قال آخر: في نفس الوقت كنا نتحدث عن سقراط وأفلاطون وأرسطو وكل الفلاسفة والأدباء والشعراء، وكأنهم وجدوا من يحفظ كلامهم وسيرهم، ولم يجد رسول الله ﷺ من يحفظ كلامه وسيرته، مع أنه القرآن الناطق الذي أرسله الله بيان ورحمة للعالمين.

ثبوت السنة:

---

(1) بحار الأنوار: ٢/ ١٧٥.

(2) بحار الأنوار (٢/ ١٧١)

قال آخر: أما المغالطات المرتبطة بثبوت السنة؛ فهي مغالطات واهية لا قيمة علمية لها؛ فلو أنا رمينا كل علم حوى خطأ، لما بقي علم في الدنيا.

قال آخر: والأحاديث الكثيرة تدل على وجوب تبليغ الأمة لسنته ﷺ، وهي لم تحدد كيفية ذلك اعتمادا على صدق المبلغين وذاكرتهم القوية، بل هي لم تحدد حتى منهج حفظ القرآن الكريم، ولا أمرت بتكثير نسخه، بل كان الاعتماد الأكبر على حفظ الصدور، كما هي عادة العرب، وقد قال رسول الله ﷺ آمرا بتبليغ سنته: (نضر الله امرأ سمع منّا شيئاً فبلّغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع)[1]، وقال مرات كثيرة: (ليبلغ الشاهد الغائب)[2]

قال آخر: أما الحديث الوحيد الذي يلهجون به كل حين في النهي عن كتابة الحديث، وهو ما يرفعونه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[3] فهو مردود؛ ذلك أنه لم يروه مرفوعا إلى النبي ﷺ إلا همام بن يحيى، فقد قال بعضهم عنه: (تفرد همام بروايته هذا الحديث عن زيد بن أسلم هكذا مرفوعا، ويقال: إن المحفوظ رواية هذا الحديث، عن أبي سعيد هو من قوله، غير مرفوع إلى النبي ﷺ)، ونقل عن البخاري وغيره: أن حديث أبي سعيد موقوف عليه، فلا يصح الاحتجاج به ونسبه ابن حجر إلى بعض الأئمة[4].

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ورد في القرآن الكريم ما يدلنا على كيفية تمييز الأحاديث الصحيحة عن غيرها؛ فقد اعتبر الله تعالى القرآن الكريم هو المرجع الذي يصير إليه المؤمنون عند التنازع، ولذلك إن حصل الخلاف بين الحديث والقرآن، كان القاضي هو القرآن الكريم.

---

(١) الترمذي (٢٦٤٧)، وابن ماجه (٢٣٢)

(٢) البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩)

(٣) مسلم (٣٠٠٤)

(٤) تدوين الحديث: ٦٦ ـ ٦٧.

قال آخر: وقد اعتبر الله تعالى هذا قانونا في جميع الأديان، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]

قال آخر: وأنكر على المخالفين لهذا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]

قال آخر: وهكذا دعا هذه الأمة إلى تحكيم كتابها في كل خلاف تقع فيه، بما فيه الخلاف في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك، فقد ذكر أن دور رسول الله ﷺ مرتبط ببيان القرآن الكريم، إما عبر تأكيد ما ورد فيه، أو بيان كيفية تنفيذه، وبذلك فإنه يستحيل أن يتعارض الشرح مع المشروح، لأن كليهما وحي إلهي، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

قال آخر: وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: كان قومٌ على باب رسول الله ﷺ يتنازعون في القرآن، فخرج عليهم يوما متغيرا وجهه فقال: (يا قوم، بهذا أهلكت الأمم، وإن القرآن يصدق بعضه بعضا، فلا تكذبوا بعضه ببعض)[1]

قال آخر: وقد ورد في السنة المطهرة وفي مصادر الأمة جميعا ما يدل على ضرورة الرجوع إلى هذا الحكم العدل، فقد قال رسول الله ﷺ: (إن الحديث سيفشو عني، فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني)[2]، وقال: (ما

---

(١)رواه الطبراني في (الأوسط) ٣/ ٢٢٧ (٢٩٩٥)

(٢) البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (١/ ٩) ورواه ابن المقرئ في معجمه، (٣/ ٢٣٩)

جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله)[1]، وقال: (ستكون علي رواة يروون الحديث، فأعرضوا القرآن، فإن وافقت القرآن فخذوها وإلا فدعوها)[2]، وقال: (سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما جاءكم موافقًا لكتاب الله ولسنتي فهو مني)[3]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (إني سألت قوما من اليهود عن موسى فحدثوني حتى كذبوا عليه، وسألت قوما من النصارى عن عيسى فحدثوني حتى كذبوا عليه، وإنه سيكثر عليَّ من بعدي كما كثر على من قبلي من الأنبياء، فما حدثتم عني بحديث فاعتبروه بكتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو من حديثي، وإنما هدى الله نبيه بكتابه، وما لم يوافق كتاب الله فليس من حديثي)[4]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (ألا إن رحى الإسلام دائرة)، قيل: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: (اعرضوا حديثي على الكتاب فما وافقه فهو مني وأنا قلته)[5]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (أيما حديث بلغكم عني تعرفونه بكتاب الله فاقبلوه، وأيما حديث بلغكم عني لا تجدون في القرآن موضعه ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه)[6]

قال آخر: وروي عن معاذ بن جبل أنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الفتنة فعظمها وشددها، فقال علي بن أبي طالب: فما المخرج منها؟ قال: (كتاب الله فيه حديث ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وفصل ما بينكم من يتركه من جبار يقصمه الله، ومن يبتغ الهدى من غيره يضله الله، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لما سمعته الجن، قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١، ٢]، وهو الذي لا

---

(١) رواه البيهقي في (معرفة السنن والآثار)، (١/ ١١٦)

(٢) تاريخ ابن عساكر ٥٥/ ٧٧.

(٣) الكفاية في علم الرواية ١/ ١٣٠، وسنن الدارقطني ٤/ ٢٠٨.

(٤) مسند الروياني٢/ ٢٥٥.

(٥) المعجم الكبير٢/ ٩٧.

(٦) رواه البيهقي كما في [مفتاح الجنة للسيوطي١/ ٢٢].

تختلف به الألسن، ولا يخلقه كثرة الرد)[1]

قال آخر: وهكذا اعتبر أئمة الهدى عرض الحديث على القرآن الكريم شرطا لقبوله، حتى يقطعوا السبيل أمام من يريد تبديل الدين باستخدام الأحاديث المكذوبة والموضوعة، وقد روي عن الإمام علي أنه قال: (الوقوف عند الشبهة خيرٌ من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثا لم تروه خيرٌ من روايتك حديثا لم تحصه، إنّ على كل حقّ حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه)[2]، وقال: (ما جاءتك رواية من بر أو فاجر توافق القرآن فخذ بها، وما جاءتك من رواية من بر أو فاجر تخالف القرآن فلا تأخذ بها)[3]

قال آخر: وروي عن الإمام الصادق أنه قال: (كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)[4]

قال آخر: ومن التطبيقات المرتبطة بهذا ما روي من رد عائشة ما رواه أبو هريرة مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار)، فردت عليه بغضب شديد، وصفه الراوي بقوله: (فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض)، ثم قالت: (والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله ﷺ كان يقول: (كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة، ثم قرأت: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢])[5]

قال آخر: ومنها ما روي عنها من ردها لحديث ابن عمر الذي يقول فيه: (إن الميت

(١) أمالي أبي طالب ص ٢٥٠، وحلية الأولياء ٥/ ٢٥٣، ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٥ رقم٣٠٠٠٧، ومسند البزار ٣/ ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢/ ١٦٥، وتفسير العياشي.

(٣) البهبودي، صحيح الكافي، ج ١/ ص١١.

(٤) وسائل الشيعة ١٨ / ٧٨.

(٥) رواه أحمد: ٦/ ١٥٠ وفي ٦/ ٢٤٠ وفي ٦/ ٢٤٦.

ليعذب ببكاء أهله عليه)، حيث قال: وهل - يعني ابن عمر - إنما مر رسول الله ﷺ على قبر فقال: (إن صاحب هذا القبر ليعذب وأهله يبكون عليه)، ثم قرأت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤])[1]

قال آخر: ولو أن أولئك الذين يدعون أنهم قرآنيون أو حداثيون استعملوا هذا الحكم العدل، لما أنكروا الكثير من الأحاديث التي لا يمكن تفعيل القرآن الكريم في الواقع من دونها.

قال آخر: وهكذا دعانا رسول الله ﷺ إلى تحكيم الفطرة السليمة والعقل الطاهر في الحكم على الأحاديث، فقال: (إذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه، فصدقوا به قلته أو لم أقله فإني أقول ما تعرفونه ولا تنكرونه، وإذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به، فإني لا أقول ما تنكرونه، وأقول ما تعرفونه)[2]، وقال: (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريبٌ، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر أشعاركم، وأبشاركم منه وترون أنه منكم بعيدٌ فأنا أبعدكم منه)[3]

قال آخر: وقال رسول الله ﷺ: (ما جاءكم عنى من خير قلته، أو لم أقله فأنا أقوله، وما أتاكم من شر فإني لا أقول الشر)[4]

قال آخر: وقال الإمام علي قال: (إذا حدثتكم عن النبي ﷺ حديثا، فظنوا به الذي

---

(١) أبو داود (٣١٢٩)، والنسائي في المجتبى٤/١٧، والطبراني في الكبير (١٣٢٦٢)

(٢) رواه الطحاوي في (شرح مشكل الآثار)، (١٥/ ٣٤٧)، الدار قطني في سننه، (٤/ ٢٠٨)

(٣) رواه أحمد ٣/ ٤٩٧، والبزار كما في (كشف الأستار) ١/ ١٠٥ (١٨٧)

(٤) رواه أحمد ٢/ ٣٦٧، والبزار كما في (كشف الأستار)١/ ٨٠ (١٢٦)

هو أهياه وأهداه وأتقاه[1]

رفض العلماء:

قال أحد الحضور: وعينا هذا؛ فحدثونا عن المنبع الثاني من منابع الانحراف، ذلك الذي جعلكم تنفرون من جميع علماء الأمة، ولا تستفيدون منهم.

قال أحد المبدلين: بعد أن أقصينا أو أقصى أساتذتنا حرمة اتفاق المسلمين وإجماعهم، وأقصوا معها سنة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى، راحوا بعدها يقصون كل العلماء والصالحين، بل ويحتقرونهم حتى لا يبقى في الحلبة غيرهم.

قال آخر: وهم يستغلون في ذلك الأخطاء التي وقع فيها بعض العلماء أو الكثير منهم، ليحملوا عليهم جميعا حملة واحدة دون تمييز بين المقبول من أقوالهم أو المرفوض، مع أن الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها، وقد قال رسول الله: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها)[2]، وقال: (كلمة الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها خير من عبادة سنة)[3]

قال آخر: وقال الإمام علي: (الهيبة خيبة، والفرصة خلسة، والحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحقّ بها وأهلها)[4]

قال آخر: لكننا وأصحابنا بدل أن نبحث في الحكم التي قالها العلماء على مدار التاريخ، والتي سجلت في آلاف الدواوين رحنا نبحث فقط عما يشوههم، كما صور ذلك رسول الله ﷺ بقوله: (مثل الذي يسمع الحكمة فيحدث بشر ما يسمع، مثل رجل أتى راعيا فقال: يا راعي أحرز لي شاة من غنمك، فقال: اذهب فخذ بأذن خيرها شاة، فذهب فأخذ

(1) رواه ابن ماجة (٢٠)

(2) رواه الترمذي (٢٦٨٧)

(3) نزهة الناظر ص ١٠.

(4) أمالي الطوسي ج ٢ ص ٢٣٨.

بأذن كلب الغنم)[1]

قال آخر: ولهذا نجد المبدلين بفرقهم المختلفة يتفقون على احتقار العلماء والسخرية منهم، ومن الأمثلة على ذلك قول شحرور: (علينا أن نسحب القرآن ـ قبل أن يفوت الأوان ـ من أيدي السادة الوعاظ المعروفين بالعلماء الأفاضل، أو رجال الدين حيث يجب أن يكون موقف هؤلاء العلماء من القرآن هو كموقف العامة تماما: التسليم، لأن معلوماتهم بالنسبة للقرآن لا تزيد عن معلومات العامة بتاتا، وإن كان لهؤلاء الناس دور فدورهم وعظي بحت)[2]

قال آخر: لكنه عندما يتحدث عن العلماء من غير المسلمين، أو غيرهم من أصحاب الاختصاصات المختلفة، تجدهم يبالغ في الثناء عليهم، بل التذلل لهم؛ فهو يعتبر وصف الراسخين في العلم الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ١٦٢] منطبقا عليهم فقط، حتى لو لم يكن لهم علاقة بالقرآن ولا بالدين.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله: (يجب أن نفهم أن الراسخين في العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين.. ولم نشترط لهذا الاجتماع حضور الفقهاء، لأنهم ليسوا معنيين ـ في رأينا ـ بهذه الآية، لأنهم أهل أم الكتاب، والراسخون في العلم مجتمعين يؤولون حسب أرضيتهم المعرفية ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية)

قال آخر: وهو يطوع القرآن الكريم لينسجم مع هذا الفهم؛ فيقول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾

---

(١) رواه أبو يعلى في (المسند) ١١/ ٢٧٥.

(٢) من مبحث قواعد التأويل.

[العنكبوت: ٤٩]: (فالصدر هنا ليس جوف الصدر، ولا جوف الرأس: الجمجمة، وإنما هو كما يقول الشاعر:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

فالصدر هنا تعني ما نقوله الآن الصدراة، كأن نقول إن إسحاق نيوتن يحتل مركز الصدارة بين علماء الرياضيات، وإن أينشتاين يحتل مركز الصدارة بين علماء الفيزياء، فالراسخون في العلم هم من الناس الذين يحتلون مكان الصدارة بين العلماء والفلاسفة، وهؤلاء من أمثال البيروني، الحسن بن الهيثم، ابن رشد، إسحاق نيوتن، أينشتاين، تشارلز دارون، كانت، هيجل)[1]

قال آخر: وهذا الفهم والتأويل الذي جعله يقف موقف المتشدد والمحتقر لكل علماء الأمة، هو الذي جعله يتحدث بتواضع، بل بذلة عن غيرهم، ومع غيرهم، حتى لو كانوا من الملحدين والمنحرفين عن كل القيم الإنسانية.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك إشادته هو وغيره بـ [ستيفن هوكينغ] الملحد الذي لا يختلف عن كل الفيزيائيين قديما أو حديثا في مجال تخصصه، بل إن من الفيزيائيين المعاصرين من هم أكثر منه علما، ومع ذلك لا يتحدثون عنهم، ولا يهتمون بهم، لسبب بسيط، وهو أنهم لم يصرحوا بإلحادهم، أو لم يقوموا بالدعوة إليه، ولو فعلوا لاستقبلهم هؤلاء المبدلون بالأحضان.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه شحرور في مقال له تحت عنوان [إني جاعل في الأرض خليفة]، قال فيه: (رغم أني كمؤمن موقن بوجود الله، أختلف مع هوكينغ في هذه الجزئية تحديداً، إلا أنه بنظري شهيد، بغض النظر عن إيمانه أو عدمه، فالهدف من

(١) ـ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د. محمد شحرور، ص (١٩٣)

وجودنا يحققه أمثاله، وبدونهم سنبقى غافلين)[1]

قال آخر: ونلاحظ من خلال هذه الكلمات كيف يهون هؤلاء من [وجود الله] الذي هو أساس العقائد، حيث أصبح عندهم مجرد جزئية بسيطة يمكن التنازل عنها.. وذلك يعني ـ حسبما يصور ـ أن الإنسان يمكن أن يمارس دوره في الخلافة من غير أن يعتقد وجود الله.. ومن غير أن يؤمن به طبعا.. فالوجود هو الأساس لكل العقائد.

قال آخر: بل إنه لم يكتف ذلك، وإنما رفعه إلى رتبة الشهادة، وهي ليست شهادة التضحية ـ بحسب قصد شحرور ـ وإنما هي تلك الشهادة التي وصف الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام فقال عن المسيح: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، وقال عن رسول الله ﷺ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]

قال آخر: وبذلك تحول هوكينغ ـ عند شحرور وإخوانه ـ إلى ما يشبه الأنبياء عليهم السلام، ذلك أنه لا فرق بينه وبينهم سوى في تلك الجزئية البسيطة التي لا قيمة لها في موازين الحياة عندهم، وهي جزئية الإيمان بالله.

قال آخر: ولا يكتفي بذلك، بل يترقى بالرفع من مكانته ليذكر أنه غاية الغايات، وأنه لولاه ما خلقت الأفلاك، كما عبر عن ذلك بقوله: (فالهدف من وجودنا ـ كما يقول ـ يحققه أمثاله، وبدونهم سنبقى غافلين)

قال آخر: ثم يورد ـ للتلاعب بمشاعر القراء ـ مقارنة بين إبراهيم عليه السلام ذلك الأواه المنيب، وهوكينغ؛ فكلاهما في نظره واحد، وليس من فرق بينهما سوى في جزئية الإيمان، والدليل على ذلك ـ كما يصوره هو أن (الإنسان هو وجود فيزيولوجي (بشر) مضافاً

---

(١) التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص ٢٠٥)

له كم معرفي (الروح)، وهذه الروح هي التي ميزته عن باقي المخلوقات، فكلما زاد الكم المعرفي زادت إنسانية الإنسان وابتعد عن المملكة الحيوانية)، وبما أن هوكينغ له كم معرفي كبير ـ كما يذكر شحرور ـ مقارنة بغيره، فهو صاحب روحانية أكبر، ووظيفته في الكون تابعة للمدى الذي وصلت إليه روحانيته.

قال آخر: وهكذا نراهم جميعا يؤبنونه عند موته في نفس الوقت الذي يتجاهلون فيه كل العلماء من أمثاله حتى لو كانوا في مثل اختصاصه، لسبب بسيط، وهو أنهم مؤمنون، أو متقون، أو كعامة المسلمين يؤمنون بالإسلام الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، والذي وإن حوى بعض الفهم أو الممارسات الخاطئة إلا أنه لا ينزل أبدا إلى درك الإلحاد الذي كان يدعو إليه هوكينغ وأمثاله.

قال آخر: ومن أمثلة تلك الدعوات قول بعضهم في تأبينه: (اللهم ارحم العالم الفيزيائي الكبير ستيفن هوكينغ، واغفر له وادخله جنتك الواسعة).. وقال آخر في موقعه الإلكتروني: (افتقدت البشرية هذا اليوم.. وحظي تاريخ الخالدين بعالم فذ، لا يجود الزمان بمثله إلا قليلاً، عالم ضرب أروع مثال على طموح العالم الحق وشغفه بكشف أسرار العالم وفك مغالق الطبيعة، كما في المثابرة والنضال ضد المرض وصور المعاناة الناجمة عنه على مستويات شتى، مُبرهِناً على أن الروح الإنسانية لا تُقهَر.. ونحن إذ نُعلِن مع العالم عن هذا النبأ الأسيف بوفاة ستيفن هوكينغ ندعو الله الرحمن الرحيم أن يتولاه برحمته ومغفرته، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون)

قال آخر: بالإضافة إلى هذا، نجدهم يعظم بعضهم بعضا، باعتبارهم مجددين ومصلحين وصلوا إلى ما لم يصله كل السابقين واللاحقين.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبته الجرائد في الثناء على أركون، ذلك الذي

دعا إلى تبديل الدين جميعا ليتناسب مع الأهواء الغربية.. فقد كتب بعضهم عنه يقول: (أعتقد دون مبالغة أن أركون المجدد الأكبر للإسلام في عصرنا الراهن)[1].. وكتب آخر: (أركون من الكبار الذين كانوا يجاهدون في بث النور، وإحلاله محل الظلمة الكالحة في عالمنا العربي)[2]

قال آخر: وكتب آخر: (يظل أركون مشعلاً حقيقياً)[3].. وكتب آخر: (يهدف أركون إلى استخلاص التجربة الروحية الكبرى للإسلام وتنقيتها من كل ما علق بها على مدار تاريخ المسلمين)[4].. وكتب آخر: (أركون أول من قدم نقدا للتفكير الخرافي المعارض للمعرفة، وبدد هيمنة الأسطورة في العقل العربي ـ الإسلامي)[5]

قال آخر: وكتب آخر: (أركون أحد حكماء المسلمين الكبار)[6].. وكتب آخر: خلال الأيام الثلاثة الأخيرة اشتغلت بكل ما كان متاحاً، ورقياً أو إلكترونياً، بتوديع ثقافتنا لرمز عالمي مثل الراحل الأخير محمد أركون)[7].. وكتب آخر: (أركون أحد هذه الهامات الفكرية من المشهد الثقافي والفكري العربي)[8]

قال آخر: وكتب آخر: (عمل محمد أركون طوال أكثر من نصف قرن على تقديم قراءة جديدة للإسلام، قراءة تستند إلى مرجعيات ومناهج علمية)[9].. وكتب آخر: (ساهمت ـ أفكار أركون ـ بقوة في الدفاع عن القيم الإسلامية النبيلة)[10].. وكتب آخر: (نجح أركون في العودة بالإسلام إلى طابعه الإنساني)[11]

---

(١) الشرق الأوسط، ١٦ سبتمبر ٢٠١٠.

(٢) الوطن، ١٨ سبتمبر ٢٠١٠.

(٣) الوطن، ١٧ سبتمبر ٢٠١٠.

(٤) الرياض، ١٩ سبتمبر ٢٠١٠.

(٥) الرياض، ١٦ سبتمبر ٢٠١٠.

(٦) الشرق الأوسط، ١٧ سبتمبر ٢٠١٠.

(٧) الوطن ١٩ سبتمبر ٢٠١٠.

(٨) صحيفة اليوم، ١٩ سبتمبر ٢٠١٠.

(٩) الحياة ١٦ سبتمبر ٢٠١٠.

(١٠) الشرق الأوسط، ١٦ سبتمبر ٢٠١٠.

(١١) الشرق الأوسط ١٨ سبتمبر ٢٠١٠.

ب. الطمع والعمالة:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن المنبع الأول.. فحدثونا عن الثاني.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]؛ فهي تصفنا بدقة.. فهي تذكر أن سبب الكذب والافتراء على الله، هو الطمع في عرض الحياة الدنيا، ونسيان الآخرة.. وهو ما حصل لنا تماما.

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].. فنحن لسنا سوى هذا الرجل الذي باع ما يملكه من علم ودين للشيطان بثمن بخس؛ فصار كالكلب عند سادته من المحركين له.

المنظمات والمجلات:

قال آخر: ولذلك رحنا نشارك في كل المنظمات العالمية، ونكتب في كل مجلاتها وجرائدها، التي لا تقبل إلا ما تريده منا، مقابل مال قليل وجاه كثير ومناصب رفيعة.. وهي كل ما كنا نطلبه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما عبر عنه بعضهم في كتاب له بعنوان [بحثا عن الحداثة]، حيث قال: (بعد حركة التغاير المتواصلة منذ أوائل القرن أضيف عناصر احتدام

جديدة ببروز الدور الأمريكي في المنطقة بعد العام ١٩٥٣ م على الصعيد الثقافي، فقد قامت في مصر مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، وبدأت بمدفوعاتها السخية باستقطاب أعمدة الثقافة العربية آنذاك من كل الاتجاهات.. إن التدخل الأمريكي كان يحمل طابع توجيه حركة التغاير العربية إلى أفق محدد، وسنرى كيف لعبت مجلة [شعر] دورا في سياق هذا التوجيه وبأية لغة، وكيف وفرت لها اتجاهات من خارجها مستندا أوليا لتحاول شق طريق إلى مستقبل خاص للشعر العربي)[١]

قال آخر[٢]: ومؤسسة فرنكلين التي أشار إليها الكاتب والتي ذكر أنها استقطبت أعمدة الثقافة العربية من كل الاتجاهات، هي منظمة أنشأتها المخابرات الأمريكية، ظاهرها الثقافة وباطنها تجنيد العملاء من الكتاب والمثقفين، وتسمى هذه المنظمة [المنظمة العالمية لحرية الثقافة]، وقد بقيت هذه المنظمة تعمل أعمالها السرية من خلال كتاب وشعراء ونقاد الحداثة حتى انكشفت علاقتها بالمخابرات المركزية الأمريكية، حين نشرت النيويورك تايمز في التحقيقات التي قام بها كارل برنشتين والذي بين أن هذه المنظمة ومجلاتها التي تصدرها بمختلف اللغات، ومنها العربية، ليست سوى أحد أقنعة المخابرات الأمريكية، وقد نوقشت هذه القضية في الكونغرس الأمريكي عام ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م[٣].

قال آخر[٤]: فمن المجلات والمؤسسات والنشاطات الثقافية التابعة لهذه المنظمة مجلة [حوار] التي كانت تصدر في بيروت وكان رئيس تحريرها توفيق صايغ.. ولما انكشفت علاقة المنظمة العالمية لحرية الثقافة بالمخابرات الأمريكية كابر توفيق صائغ ونافح، ولكنه اضطر للاعتراف بذلك عندما نشر [ستيفن سبندر] الشاعر الانكليزي ورئيس تحرير مجلة

---

(١) بحثا عن الحداثة: ص ٣٨.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٨٨.

(٣) بحثا عن الحداثة: ص ٤٢، ٥٩.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٨٨.

[انكاونتر] التابعة للمنظمة العالمية لحرية الثقافة اعترافه، بأنه خدع من قبل المخابرات المركزية الأمريكية[1].. وقد وجد اليسار العربي في مصر والعراق حينها الفرصة سانحة لشن الهجوم على التيار الذي كانوا يعتبرونه عميلا للإمبريالية يوم كان لليسار صولة وجولة، وكان في الوقت ذاته يخضع بعمالة مشابهة للكتلة الشيوعية.

قال آخر[2]: وقد نشرت حينها صحيفة [النيويورك تايمز] مقالة ذكرت فيها أن [المنظمة العالمية لحرية الثقافة] تدعمها وكالة المخابرات المركزية [سي. آي. إي]، وأن هذه المنظمة تمول مجلة [حوار] العربية، وقد كانت صحيفة روز اليوسف القاهرية، بالمرصاد فأشارت في إلى مقالة نيويورك تايمز وبدأت المعركة مع [حوار] على مستوى عال ومحتدم، وقد ذكرت روز اليوسف في بعض أخبارها ما يلي: (بعث الكاتب غالي شكري إلى روز اليوسف صورة من الرسالة التي بعث بها إلى توفيق صايغ رئيس تحرير مجلة حوار جاء فيها: واليوم وقد نشرت روز اليوسف هذا الخبر المرفق بتعليق الدكتور لويس عوض، أرى من واجبي أن أضيف هذا السبب الجديد [تبعية حوار للمخابرات الأمريكية] في امتناعي عن الكتابة في حوار، راجيا باسم علاقتنا الشخصية أن تعيد النظر في موقفك أيضا فلست أشك أنك أكبر من أن تشارك أو تتعامل مع جهة أجنبية لم تعد مشبوهة بل مدموغة بالتبعية لوكالة المخابرات الأمريكية)[3]

قال آخر: وقد اعترف توفيق صايغ بعلاقة مجلته بالمنظمة العالمية لحرية الثقافة وأن هذه المنظمة تابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وأنها قد أمدته بالمال طوال سنين عديدة[4].

---

(1) انظر: أفق الحداثة وحداثة النمط: ص ٥٥، ٧٦، وتوفيق صايغ مسيرة شاعر ومنتقى: ص: ١٤٦ ـ ١٤٨.

(2) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٨٩.

(3) توفيق صايغ مسيرة شاعر ومنفي: ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(4) انظر: اعترافه هذا في كتاب توفيق صايغ سيرة شاعر: ص ١٦١ ـ ١٦٤.

قال آخر[1]: ومثل ذلك مجلة [شعر] التي قامت أصلا على أفكار أنطون سعادة، ودعواته للاندماج في الغرب والانفصال عن العرب والإسلام، تحت شعار الفكرة المتوسطية، وهذه وحدها كافية في الدلالة على العمالة التي هي أساس فكرة المجلة، فلقد تبنت مجلة شعر الاتجاه الأسطوري الوثني وأغرقت في ذلك غاية الإغراق، وسعت في ترويج أفكار الاندماج بالغرب، في جذوره التاريخية وواقعه المعاصر أديبا من خلال منبر مجلة شعر المؤسسة لهذا الغرض أصلا، وسياسيا من منبر الحزب القومي السوري لأنطون سعادة.

قال آخر[2]: وكانت عصابة شعر تتلقى الدعم السخي من المخابرات الأمريكية من خلال [المنظمة العالمية لحرية الثقافة]، وفرعها المسمى [مؤسسة فرنكلين] التي بدأت بمدفوعاتها السخية تستقطب أعمدة الثقافة العربية الحديثة.. وقد قال أحد الحداثيين يذكر ذلك: (إن التدخل الأمريكي كان يحمل طابع توجيه حركة التغاير الغربية إلى أفق محدد، وسنرى كيف لعبت مجلة [شعر] دورا في سياق هذا التوجيه وبأية لغة، وكيف وفرت لها اتجاهات من خارجها مستندا أوليا لتحاول شق طريق إلى مستقبل خاص للشعر العربي)[3]

قال آخر[4]: والناظر في شخصيات مجلة شعر يدرك عمق العمالة والولاء لأعداء الأمة، فها هو يوسف الخال رئيس تحرير المجلة ورئيس اللقاء الأسبوعي [خميس مجلة شعر]، تخرج في الفلسفة من الجامعة الأمريكية في بيروت، وأقام في نيويورك ثماني سنوات التحق خلالها بالأمم المتحدة ثم عاد إلى لبنان عام ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م وهو مغمور مجهول ليقوم بإنشاء مجلة [شعر] ويجمع معه أدونيس وخليل حاوي ونذير عظمة وأسعد رزوق

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٩٠.

(٢) انظر: بحثا عن الحداثة: ص ٣٨، ٥٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٨.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٩٥.

وأنسي الحاج وخالدة سعيد، وكل من هؤلاء له تاريخه المجهول أو المشبوه[1]، وكل منهم ـ أيضا ـ مليء بالحقد الدفين على الأمة، والتطلع والسعي لإذابة الأمة والمجتمع والثقافة في أحماض الحياة الغربية.

قال آخر[2]:ومن منابر المؤسسة الأمريكية، المنظمة العالمية لحرية الثقافة مجلات [أدب] و[أصوات] و[مواقف]، وقد ولغت فيها ولغت فيه كل من [حوار] و[شعر] وتعتبر من الأوكار الثقافية ذات المقاصد السياسية، والاستخباراتية، المرتبطة بالمخابرات المركزية الأمريكية[3].

قال آخر[4]: ومنها مؤتمر روما الذي عقد في تشرين الأول ١٩٦١ م، ويعتبر أحد مناشط جماعة شعر، وقد أسهم في إعداده وتمويله [منظمة حرية الثقافة] التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد تحدث محمد الأسعد في كتابه [بحثا عن الحداثة] عن هذا المؤتمر ونشاطات جماعة مجلة [شعر] قائلا: (.. عقدوا بمساهمة [منظمة حرية الثقافة] المعروفة كأحد وجوه وكالة المخابرات الأمريكية مؤتمر روما للأدب العربي في العام ١٩٦١ م، وبعد ٢١ عاما من عقد هذا المؤتمر اعترفت إحدى المشاركات فيه في حديث شخصي ليس للنشر بأن المنظمين لم يكونوا أميريكيين فقط، بل ومن الصهاينة أيضا)[5]

قال آخر[6]: ومن أحسن الشهادات على هذا ما كتبه بدر شاكر السياب حول موقفه من [المنظمة العالمية لحرية الثقافة] ومؤتمر روما الذي كان السياب أحد أركانه، حيث يقول: (لا يسعني وأنا أمر في أعقاب المحنة القاسية التي ظللت أعانيها لأكثر من عام، إلا أن أذكر

---

(١) انظر: أفق الحداثة وحداثة النمط: ص ١٨ ـ ١٩.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٩٨.

(٣) بحثا عن الحداثة: ص ٤٨، وأفق الحداثة وحداثة النمط: ص ٥٦، والقصيدة الحديثة وأعباء التجاوز: ص ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٩٨.

(٥) بحثا عن الحداثة: ص ٤٢.

(٦) توفيق صايغ سيرة شاعر ومنفى: ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

الدور المشرف الذي وقفته تجاهي [المنظمة العالمية لحرية الثقافة] والحق أنها كانت الجهة الوحيدة التي أمدتني بالعون السخي دون مدائح أكيلها لها وأستجديها فيها أن تساعدني.. أوفدتني المنظمة إلى المملكة المتحدة في زمالة لمدة سنة لتتيح لي الفرصة كي أعالج نفسي هناك، وخصصت لي راتبا شهريا قدره ستون جنيها استرلينيا، وبعد أن راجعت الأطباء والأخصائيين وحجز لي سرير في واحد من أحسن مستشفيات لندن، أرسلت لي المنظمة شيكا بخمسمائة جنيه أسترليني أنفقها على علاجي.. وأرسلت المنظمة مستشارها الأستاذ سيمون جارجي كي يراني ويطمئن على وضعي ويدبر أمر سفري إلى باريس للمعالجة هناك، وتم الاتفاق على أن أطير إلى باريس برفقة صديق يعتني بي، وأن يكون كل ذلك ـ بما فيه تكاليف إقامتنا في باريس ـ على نفقة المنظمة، وفي باريس وجدت نفسي محاطا بالرعاية والعناية من موظفي المنظمة والعاملين فيها.. وزودت بالأدوية التي وصفها لي الطبيب على حساب المنظمة.. وإنني ليؤلمني، وأنا في هذه الحال أن أقرأ التهم الباطلة التي تكال للمنظمة، لمجرد أنها أصدرت مجلة قد تنافس المجلة الفلانية، وعملت على إبراز أدباء قد ينافسون الأدباء الفلانيين)

قال آخر[1]: ثم تحدث على نشاط المنظمة، وكيف استقطابها للأدباء والمثقفين، فقال: (كان أول ما عرفت المنظمة في مؤتمر الأدب العربي الذي عقد في روما في شتاء ١٩٦١ م وكانت المنظمة هي التي عملت على عقده، لقد كان ذلك المؤتمر تظاهرة قومية عربية في وسط أوروبا.. وأشهد أن المستشرقين المدعوين إلى المؤتمر كانوا أكثر عروبة في مواقفهم من بعض الجهات العربية.. إن موقف أية منظمة ثقافية غربية، لا يمكن أن يختلف كثيرا عن أحسن موقف غربي من قضايا العرب، وفيما يخص قضية فلسطين: الحياد بين العرب

(١) توفيق صايغ سيرة شاعر ومنفى: ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

واليهود)

قال آخر[1]: ومن المؤسسات التي كان تستهوينا، وتستقطبنا مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، وهي أيضا من فروع وكالة الاستخبارات الأمريكية، وكانت تستقطب كتاب الحداثة، بمدفوعاتها السخية من كل الاتجاهات، وكان الأسرع إلى خدمتها أقطاب التقليدية، فقدموا لكتبها المترجمة وبحثوا في الموضوعات التي اقترحتها.

قال آخر[2]: وفي إعلان واحد من إعلانات مؤسسة فرنكلين عن مطبوعاتها المترجمة وردت أسماء: طه حسين ومحمد عوض محمد، وسهير القلماوي ولويس عوض، وأحمد زكي أبو شادي، وتوفيق الحكيم، وكانت مهمة بعضهم الترجمة وبعضهم الإشراف والتقديم.. ويبدو أن نشاط هذه المؤسسة قد امتد إلى بيروت والعراق أيضا، حيث ورد في مراسلات السياب المنشورة ما يفيد أن يوسف الخال وجبرا إبراهيم جبرا كانا من متعهدي توزيع أعمال الترجمة على الأدباء العرب.

قال آخر: وقد أعلنت المنظمة عن اعتزازها باستقطاب الكتاب والمثقفين الحداثيين من جميع الاتجاهات فقالت: (نحن فخورون بأننا قد ساعدنا على إعانة عدد لا يحصى من الأساتذة والكتاب والصحفيين، ومن بينهم السياب وتوفيق صايغ، سواء أكانوا ليبراليين أم محافظين أم اشتراكيين في كفاحهم من أجل حرية التعبير الثقافي في أية بقعة من بقاع الأرض)[3]

قال آخر[4]: ومن المنظمات التي كانت تدعمنا وتستقطبنا [جماعة إخوان الحرية]، وكانت في مصر، ويرأسها الجاسوس الإنجليزي المحترف [كرستوفر سكيف]، وقد

---

(1) بحثا عن الحداثة: ص ٣٨.

(2) المصدر السابق: ص ٥٦. وانظر: أفق الحداثة وحداثة النمط: ص ٥٦، ٧٦.

(3) المصدر السابق: ص ١٥٠.

(4) انظر: أباطيل وأسمار: ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨، ٥٠٦.

حاكمت الثورة المصرية أعضاء هذه الجماعة باعتبارهم عملاء ومنهم لويس عوض الذي أهدى كتابه [بلوتولند وقصائد أخرى] إلى زعيمه كرستوفر سكيف سنة ١٩٤٧ م، وكان سكيف هذا مبشرا، وكان يقوم في الجامعة بعمل تبشيري وسياسي في آن واحد، ومن أعوانه ناظر المدرسة الخديوية الجاسوس [فرنسيس] وهو أحد مؤسسى جماعة إخوان الحرية، و[دافنيس الأعرج] و[بيفن] وكانوا جميعا يتظاهرون بالعلم والثقافة، ويستقطبون العملاء لصالح أجهزة المخابرات البريطانية.

قال آخر: وقد قال لويس عوض يذكر ذلك: (أعتقد أن اللقاء المتجدد بين المصريين والإسرائيليين سيخلق وضعا ثقافيا مثيرا للاهتمام، وكم أتمنى أن يحدث ذلك مثلما حدث قديما قبل خروج اليهود من مصر، إن مصر يجب أن تنفرد حضاريا، ولذلك فعليها ألا تتجه شرقا إلى دمشق أو بغداد، ولكن إلى الشمال والغرب حيث أوروبا، إنني لست قوميا وأفتخر بأنني علماني)[1]

قال آخر[2]: ومن المنظمات التي كانت تدعمنا وتستقطبنا مؤسسات [ركفلر] اليهودي الأمريكي و[فورد] و[فلبرايت]، وهي مؤسسات تقدم الدعم للدارسين وللبحوث المتعلقة بالعالم الإسلامي، وبخاصة الدعوات الإسلامية فيه، إضافة إلى عنايتها بالمستغربين من أبناء البلاد الإسلامية، وخاصة الذين أعلنوا مواقفهم العلمانية والحداثية المضادة للإسلام أو المشككة فيه.

قال آخر[3]: فمؤسسة [فلبرايت] في القاهرة تستقطب هذه الفئة وتقربها، وتستكتبها وتوظفها، وتغدق عليها ألوان المساعدات المعنوية والمادية، وممن استقطبتهم [فلبرايت]

---

(١) جريدة الجزيرة، العدد الصادر في ١٠/ ٣/ ١٤٠٢ هـ.

(٢) انظر: الغرب في مواجهة الإسلام لمازن مطبقاني: ص ٣٤.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢٠٦.

الكاتب الحداثي العلماني نصر حامد أبو زيد، الذي نال الحظوة من هذه المؤسسة وغيرها، ولما قرر الخروج من مصر وجد الأيدي التى تحتضنه والجامعات التي تستقبله من إسبانيا حتى فرنسا ومن أمريكلا حتى هولندا.

قال آخر[1]: أما المساعدات المالية للحداثيين، فمن أهم نشاطات هذه المؤسسات اليهودية الأمريكية، أضف إلى ذلك الأبحاث المشتراة بل المدفوعة الأتعاب سلفا، والتي تصب كلها في تسويق الليبرالية الغربية والسلام مع اليهود، وفي التنفير من الإسلام وقضاياه باسم دراسة الإسلام السياسي.

قال آخر[2]: ومن الأمثلة على ذلك [مجلة الآداب البيروتية]، وهي المجلة التي تبنت العقيدة الوجودية الإلحادية وراحت تدعو إليها وتبشر بها، وتنشر الكتب والقصص الوجودية من سارتر حتى كولن ولسن.. والملاحظ أنها لعبت دورا كبيرا في طرح [الالتزام] و[الشعر] و[الثقافة] في إطار الأطروحات الوجودية، وزاد هذا الميل في السنوات اللاحقة بوصف الوجودية أصفى تعبير عن مشكلات الإنسان العربي.

الجوائز والتحفيزات:

قال آخر: لم تكن تلك المنظمات والمجلات والصحف وحدها من استقطبنا واستقطب أساتذتنا، بل الأخطر منها تلك الجوائز والتحفيزات التي كانت تدعونا لكتابة كل ما يريدون في سبيل نيلها.

قال آخر[3]: وقد أحيطت تلك الجوائز بهالات الدعاية، وبهارج التزويق فأصبح الحصول عليها أمنية الأمنيات وغاية الغايات، عند من خف ميزانهم، وضعف يقينهم بالله

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢٠٦.

(٢) بحثا عن الحداثة: ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢١١.

وبدينه.

قال آخر[1]:ومن أشهر تلك الجوائز [جائزة نوبل] التي يسيطر عليها ويوجهها زمرة من اليهود بل من الصهاينة.. وكان من آخر الأحداث الأدبية التي ضجت بها وسائل الإعلام نيل نجيب محفوظ لهذه الجائزة؛ فقد اعتبرها المصفقون في مدرجات العبث والضياع قفزة إلى العالمية، وتنافسوا في إطراء الجائزة وصاحبها، وكان الأمة قد نالت نواصي العزة والتمكين لما حصل أحد القصاصين على جائزة يهودية.

قال آخر: وقد ذكر نجيب محفوظ نفسه أهداف تلك الجائزة وغيرها، فقال في وضوح وصراحة: (ما من جائزة إلا ومن ورائها شروط ما؛ لأنه لا يمكن أن أرصد مالي لجائزة إلا وعندي هدف، أنا أعمل جائزة ألف جنيه لقصة فيكون وراءها سؤال، أي نوع من القصة؟ وإلا فلماذا أرصدها؟ لهدف سياسي، لسبب ديني، أو لسبب اجتماعي، وجائزة نوبل تعبر عن قيم الحضارة الغربية، ويوم أن منحت لمنشق روسي، لم تكن تكيد لروسيا، وإنما اعتبرت أن الشيوعية هدم لقيم الحضارة الغربية الأصلية، وعندما أخذ أحد الكتاب منها موقفا واحتج عليها شجعته لأنها تشجع قيمها)[2]

قال آخر: ولما أجرى أحد الصحفيين معه حوارا في هذا الشأن اعتبر الجائزة والفرح بها واللهاث خلفها من علامات القصور، فقد سأله الصحفي قائلا: (لم ينل الأدب العربي جائزة نوبل حتى الآن هل ترد ذلك إلى قصور في جهود الترجمة، أم أن هناك العوامل السياسية التي تتدخل، ولا تجعل تلك الجائزة مقياسا للأدب؟) فأجاب نجيب قائلا: (هذا سؤال مهم، فأنا لم أفكر أبدا فى جائزة نوبل، وأعجب كيف أننا نشغل بالنا ليل نهار بهذه الجائزة، وكأننا لم نكتب أدبا، أو لن يكون لنا أدب إذا لم نفز بها، وهو أمر مخجل يعكس عدم

---

(1) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢١١.

(2) أدب نجيب محفوظ: ص ٦٠.

الثقة بالنفس، والنظر إلى تراثنا الأدبي الهائل على أنه قليل القيمة، مع أنه ليس كذلك أبدا، لا ينبغي أن نشغل أنفسنا بتلك الجائزة أفرادا ومجتمعا فهي ليست جوازا للمرور إلى عالمية الأدب وليست مقياسا للأدب الجيد)[1]

قال آخر: وفي كتاب [على نار هادئة] سأله مؤلفه: (إذا منحت لك جائزة نوبل هل سترفضها مثلما فعل سارتر؟) فأجاب نجيب محفوظ: (نعم سأرفض هذه الجائزة لو منحوني إياها، لأن البعض اعتقد أنني أدعو إلى السلام وكامب ديفيد من أجل الحصول على جائزة نوبل التي تسيطر عليها الصهيونية العالمية)، وأضاف: (إنني أدعو إلى السلام في نظر هؤلاء لكي أحظى برضا تلك المنظمات التي تتحكم في منح الجائزة لمن تريد، لهذا فإنني سأرفض جائزة نوبل لو منحت لي بالفعل لأنني في الحقيقة غني عن رضا الصهيونية.. إن هذه الجائزة ككل جائزة تقوم على أساسين: الأساس الأول: عمل يشترط فيه درجة من التفوق، الأساس الثاني: تحقيق مضمون معين لا يخلو من خط سياسي بالمعنى العام)[2]..لقد قال ذلك قبل أن يمنح الجائزة، لكن بعد أن منح الجائزة طار بها فرحا وأعلن مباشرة قبوله بها وافتخاره بالثقة الكريمة، واعتبر ذلك اعترافا بعالمية الأدب العربي.

قال آخر[3]: لم تكن مبادرة نجيب محفوظ للدعوة للصلح مع اليهود، هي المبرر الوحيد والكافي لرضا أصحاب جائزة نوبل، الذين ذكر نجيب محفوظ أنهم تسيطر عليهم الصهيونية العالمية.. بل كانت هناك سبب آخر لا يقل أهمية، وقد أشار إليه حين بين أن أحد أسس منح الجائزة أن تكون الأعمال محققة لمضمون معين، وذلك المضمون هو قلب المعايير الثابتة في المجتمع المسلم، وزعزعة أركان التدين والعبادة والأخلاق والقيم.

---

(١) أدب نجيب محفوظ: ص ١٢٦.

(٢) أدب نجيب محفوظ: ص ٥٩.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢١٦.

قال آخر[1]: ولذلك أفشى نجيب محفوظ ـ من خلال رواياته ـ في المجتمع المسلم جرأة خبيثة في الشك في الدين والسخرية بالله تعالى ورسله، وأفشى فيها أخلاقية يحرص كل عدو للإسلام والمسلمين على انتشارها في المجتمع المسلم ليضعف ويتفكك.. وقد أثار الإلحاد تحت أسئلة الشك والريب التي تبدو في ظاهرها بريئة وساذجة، وأثار أمور الجنس بصورة تجعل الفاحشة هينة بسيطة، وتسوغ تعاطي الجنس كالماء والهواء، وتسوغ شرب الخمر والحشيش والرذائل الخلقية.

قال آخر[2]: لقد وضع نجيب محفوظ كل هذه القضايا وغيرها على لسان شخصيات رواياته، ونطق هو بها، ولكن من خلف أقنعة هذه الشخصيات التي تبدو أنها لا تفرض رأيها، وأنها مجرد صور لبعض حالات موجودة في المجتمع، ولكن القارئ يخرج منها وقد اشتعلت في ذهنه أسئلة الشك، والتهب في قلبه جحيم الجنس إلا من عصم الله.

قال آخر: وقد شهد مجموعة من الكتاب بالمرمى السياسي والفكري من وراء منح نجيب هذه الجائزة؛ فقد عقدت مجلة الأزمنة البيروتية ندوة حول ظروف منح الجائزة لنجيب محفوظ، ومما جاء فيها: (إن جائزة نوبل تمثل الرؤية الغربية، ولا يمكن أن نتخيل كاتبا عربيا على صراع ضد الإسرائيليين، مستمرا في صراعه معهم يحصل على الجائزة؛ لأن هذا لا يتفق مع التصور الغربي للأمور، ولا أستبعد أن يكون للجنة هذه الجائزة جهاز استخبارات خاص، فقد قررت سنة ١٩٧٢ م منح الكاتب الأرجنتيني [جورجي لويس بورجنس] الجائزة لكنه حرم منها قبل أسبوع واحد من إعلانها لسبب غريب هو أنه يحابي ذكر الزعيم الفاشي موسوليني، ويتحدث عنه بعطف شديد فحرم الجائزة إلى الأبد، والكاتب الإسرائيلي المجهول [عجنون] ينالها، ولم تكن له أعمال ذات قيمة، ولم تكن له

---

(١) أدب نجيب محفوظ: ص ٥١.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢١٦.

كتب مترجمة إلى لغات أخرى)[1]

قال آخر: وجاء فيها: (إن العامل السياسي لعب دوره في قضية منح نجيب محفوظ الجائزة، فقد ظهر نجيب محفوظ على شاشة التلفزيون الإسرائيلي، وأعطى مقابلات لنقاد وأدباء وصحافيين إسرائيليين، وهذا ما جعله أقرب إلى مفهوم الغربيين من غيره من الأدباء، كما أن الرئيس أنور السادات أقرب إلى الغربيين من الرئيس عبد الناصر للسبب نفسه، أنا أدخل العامل السياسي، وأراه مباشرا، إنه صار إسرائيليا في نظرته السياسية، أو تجنس إسرائيليا)[2]

قال آخر[3]: ومن الأمثلة على تلك الجوائز التي كانت تستقطب الحداثيين وتشجعهم [جائزة الغنكور]، وهي الجائزة الفرنسية التي لا تعطى إلا لعمل روائي يطابق المواصفات التي رسمها واشترطها [أدمون غنكور] الروائي والمؤرخ الفرنسي، في وصيته حول الجائزة قبل ما يقارب المائة عام.. فهي لا تعطى إلا لمن يخدم المآرب الثقافية والسياسية الفرنسية، لكي تظل هذه المآرب على قيد الحياة، من خلال صنائعها من الكتاب والأدباء.

قال آخر[4]: وممن أعطي هذه الجائزة الحداثي المغربي طاهر بن جلون.. وهو رجل أدار ظهره لبلاده وأمته وحضارتها وتاريخها.. والاطلاع على نتاج هذا الرجل يعطي برهانا كافيا على السبب الذي اختير من أجله لجائزة [الغنكور] ويخرج بتصور شامل عن الرسالة الهدامة التي يحملها، والسر الذي جعل الفرنسيين يكرمونه بهذه الجائزة في المركز الثقافي الفرنسي في تونس.

---

(١) مجلة الأزمنة، العدد ١٥ في مارس وإبريل ١٩٨٩ م/ ١٤٠٩ هـ: ص ٧٢ ـ ٧٣. والكلام لعلي شلش، نقلا عن كتاب أدب نجيب محفوظ: ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) أدب نجيب محفوظ: ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢٢٣.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢٢٣.

قال آخر[1]: ومن الأمثلة على تلك الجوائز [جائزة اللوتس]، وتمنحها منظمة كتاب آسيا وأفريقيا، الموظفة لخدمة الفكر الاشتراكي، وهذه الجائزة لا تقدم إلا لمن سار في خدمة الشيوعية، داعيا إليها، وكان معبرا عنها في بلاده، ساعيا لتمكينها سياسيا واعتقاديا في مجتمعه.. ولذلك احتشدت طوابير اليسار العربي للحصول على هذه الجائزة.

قال آخر: ومن الذين حصلوا عليها حسين مروة، الماركسي اللبناني، وزميله الفلسطيني الماركسي غسان كنفاني، وثالثهم الماركسي الآخر عبد الكريم الكرمي، وغيرهم من عتاة الاتجاه الماركسي.

ج. التلمذة المدنسة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المنبع الثالث من المنابع المدنسة.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]، فالآية الكريمة تشير بكلمة ﴿سَمَّاعُونَ﴾ للتلمذة المدنسة التي وقعنا فيها، كما وقع فيها جميع أساتذتنا.

قال آخر[2]: ولذلك فإنكم لو اطلعتم على كل الضلالات التي يقوم على تأصيلها ونشرها والدفاع عنها دعاة الحداثة؛ فسترون أنها ليست إلا نقولات مترجمة عن أفكار ومناهج الغربيين.

الفلسفات التشكيكية:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك أن كل الذين زعموا أن الوحي الإلهي كلام بشر ونتاج إنسان، أو أنه أسطورة، أو أنه مضاد للعقل والعلم ليس سوى صدى للفلاسفة

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٢٢٤.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ١/ ٩٢.

والمستشرقين الذين أوحوا إليه بتلك المعاني.

قال آخر[1]: ولذلك؛ فإننا لو نظرنا إلى ما كتبه أعداء الوحي من العرب فإننا نجد أنهم لم يخرجوا عن ما كتبه الغربيون من يهود ونصارى عن التوراة والإنجيل، ذلك أنهم لما نظروا إلى ما في هذه الكتب من اختلاف وتناقض وما فيها من اختلاق منسوب إلى الله وأنبيائه، اتضح لهم مناقضتها للواقع المادي المجرب، ووقوعها في محالات العقول، وكانت أوروبا قد قطعت شوطا كبيرا في الأخذ بالماديات والركون إلى الفلسفات الشكية واللاأدرية، والإلحادية، فنتج من ذلك أن اتجه مجموعة من فلاسفة الغرب لدراسة التوراة والإنجيل على ضوء هذه المذاهب والفلسفات، فأسسوا بذلك مدارس تهتم بنقد نصوص الوحي وإجراء الدراسات النقدية والتاريخية عليها.

قال آخر[2]: ومن أشهر فلاسفة الغرب الذين تصدوا لدراسة ما يسمونه [ظاهرة الوحي] والذين هم أساتذتنا الحقيقيين وأساتذة كل الحداثيين [سبينوزا] (١٦٣٢ م - ١٦٧٧ م) الذي ولد لأسرة يهودية من يهود البرتغال، هرب والده إبراهيم وجده ميخائيل من البرتغال إلى هولندا، وكان والده زعيما للجالية اليهودية في أمستردام وجده كان مهتما بأمر الكنيست اليهودي، وتلقى باروخ تربية يهودية دينية متعمقة، ودرس مبادئ التاريخ الديني والسياسي والنقدي لليهودية واطلع على كتب الفلاسفة اليهود في العصر الوسيط، وأصبح حاخاما يهوديا، ثم فيلسوفا ودارسا للعلوم الإنسانية.

قال آخر[3]: وقد كان القوت الرئيسي الذي تغذى منه فكره النصوص العبرية وكتابات جرسويندس الذي كان ينتقد المعجزات والنبؤات ويقدم العقل على الوحي، ومن

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٥٨.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٥٩.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٥٩.

هنا توجه سبينوزا لرفع مقام المعرفة العقلية، وفعل الكثير لترويج وتطوير الإلحاد ـ كما تقول الموسوعة الفلسفية لأكادميين سوفييت ـ ولقضية التفكير الحر، وأنه لا يصح للدين ولا للدولة المساس بحرية الفكر، وكان له تأثير قوي على مادية القرنين السابع عشر والثامن عشر، وأثر تفكيره الحر الديني على تطور الإلحاد، وقد أثنى إنجلز على آراء سبينوزا الفلسفية ثناء كبيرا، وتعاليمه تجعله خليفة لتوماس هوبز وهو الفيلسوف الإنجليزي الملحد المعادي بشدة للدين.

قال آخر[1]: ومن كتبه التي كان لها التأثير الكبير فينا وفي أساتذتنا الحداثيين كتابه الذي سماه [الرسالة اللاهوتية السياسية]، وتسميه بعض الكتب [البحث اللاهوتي السياسي]، وقد ترجمها تلميذ كتبه حسن حنفي تحت اسم [رسالة في اللاهوت والسياسة]

قال آخر[2]: وقد وضع في هذا الكتاب أسس المنهج التاريخي لدراسة محتوى النص الذي يرى أنه يتراوح بين التاريخية والأسطورية للتحرر من سلطة الأسطورة والقضاء على أسبقية المعنى، وحتمية الحقيقة في الوحي، وأنه يجب البحث في تاريخية النص لا البحث عن المعنى والحقيقة فيه.

قال آخر[3]: وقد أثر سبينوزا بأقواله هذه على الذين جاؤوا بعده، وهز بفلسفاته المكانة المتبقية للعهد القديم والجديد من الكتاب، وخاصة الإنجيل الذي توارد على دراسته جموعة من أبناء النصارى الغربيين متأثرين بمنهج سبينوزا.

قال آخر[4]: ومنهم [ريشار سيمون] (١٦٣٨ ـ ١٧١٢ م)، وهو مفكر فرنسي وخطيب ورجل دين مسيحي، وقد كلفه بعض الرهبان بوضع فهرس بالمخطوطات

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٠.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٠.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٠.

(٤) موسوعة أعلام الفلسفة ١/ ٥٩٤، والمعجم الفلسفي: ص ٣٥٤، والموسوعة الفلسفية: ص ٢٥١.

الشرقية لدى الكنائس لديهم، وبذلك توفرت له مجموعة واسعة من الوثائق عن اليهودية والكنائس الشرقية مما أتاح له أن يكون تصورا جديدا عن تكوين مختلف أسفار الكتاب المقدس وتحريرها، فكتب كتابه [التاريخ النقدي للعهد القديم] الذي يرى فيه أن النسخة الأصلية للإنجيل قد ضاعت، وأن التحريف تناوله، وأن الواجب يقضي أن تخضع النسخة الحالية للفحص والتدقيق والدراسات اللغوية والتاريخية، وقد كره البروتستنت والكاثوليك هذا الكتاب؛ لأنه يشكك في أهم وثائقهم الدينية، ويقوض أساس الديانة النصرانية.

قال آخر(١): ثم ألف [التاريخ النقدي لنص العهد الجديد] ثم [التاريخ النقدي لروايات العهد الجديد] ثم [التاريخ النقدي للشراح الرئيسيين للعهد الجديد] ثم [ملاحظات جديدة حول نص العهد ورواياته]، وهي كلها تنتقد النصوص الإنجيلية وتشكك في ثبوتها، وفي تناقلها، وسبب ذلك ما اكتشفه سيمون من تناقضات واختلافات وإضافات وحذف وشروح مختلفة، وتواريخ متعارضة وغير ذلك من الأسباب التي حفزته إلى هذه الشكوك الكبيرة وقادته إلى وضع تفسيرات تاريخية وعقلانية للكتاب المقدس عندهم.. وقد أخذ هذا عنه أساتذتنا الحداثيون، وطبقوا أقواله ونظرياته على القرآن الكريم من غير مراعاة للفوارق الكبيرة بين القرآن وتلك الكتب المحرفة.

قال آخر(٢): ومنهم [شتراوس دافيد فريدريش] (١٨٠٠ ـ ١٨٧٤ م)، وهو لاهوتي وشارح ألماني، بروتستانتي، وكان قسا لقرية في ألمانيا ثم مدرسا في مدرسة دينية، تتلمذ على الفيلسوف هيجل.. وقد ألف كتابا باسم [حياة يسوع] الذي أثار ضجة كبيرة وتألبت عليه

---

(١) انظر ترجمته في: موسوعة أعلام الفلسفة ١/ ٥٩٤، والمعجم الفلسفي: ص ٣٥٤، والموسوعة الفلسفية: ص ٢٥١.

(٢) المعجم الفلسفي: ص ٣٦١ ـ ٣٦٢، وموسوعة أعلام الفلسفة ٢/ ١٥ ـ ١٧، وتاريخ الفكر الأوروبي الحديث ٤/ ١١٠.

السلطات الدينية في ألمانيا بسببه، وأثار بكتابه هذا دهشة أوروبا واندهالها بها أضفاه من شك وريبة في المسيح عليه السلام وفي الإنجيل.

قال آخر: وقد عبر فيه عن آرائه الملخصة في أنه ينبغي ألا يختلف النظر إلى هذا الكتاب بعهديه القديم والجديد، عن النظر إلى أي كتاب آخر من حيث التحليل والنقد.. وقد ركز شتراوس نفسه لعمله النقدي والتأريخي فأصدر عدة كتب هي [العقائد المسيحية] و[الروماني على عرش القياصرة]

قال آخر: وقد طغت أعمال دافيد شتراوس على مجمل النقد الديني في القرن التاسع عشر، ونستطيع تتبع تأثيرها في اتجاهات أساسية ثلاثة: في اتجاه ماركس، بوساطة فيورباخ، وفي اتجاه رينان، وأخيرا في اتجاه مادية هيجل.

قال آخر[1]: وقد تصدى شتراوس لإفراغ النصرانية من كل مضمون خارق للطبيعة وبإرساء الدين على عقلانية الفكرة النصرانية وحدها، وهذا الاتجاه بعينه أخذه الحداثيون العرب، كما أخذوا من شتراوس وجوب إخضاع الوحي لمتطلبات النقد التاريخي، حيث رأى أن النصرانية لا تقبل التفسير إلا من خلال ما سماه [أسطورة يسوع] التي يرى أن العقلية اليهودية هي التي اختلقتها، وقد اعتمد رينان هذه الفكرة في كتابه [حياة يسوع]، وما انفك شتراس يتقدم تجاه مادية متشددة باطراد حتى ذهب في أواخر حياته إلى إنكار كل دين يقوم على إله شخصي ـ حسب تعبيره ـ معتبرا أن العلم يعطي تفسيرا وافيا للكون، واعتبر أن وجود المسيح أسطورة، واتجه بكرهه الشديد للمسيحية لترسيخ النزعة الهيجلية المادية وخصوصا في كتابه [الإيمان القديم الجديد]

قال آخر[2]: ومنهم [رينان جوزيف ارنست] (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢ م)، وهو كاتب

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٣.

(٢) المعجم الفلسفي: ص ٣٦١ ـ ٣٦٢، ومرسوعة أعلام الفلسفة

وفيلسوف فرنسي، نذره أهله من صغره للكهنوت فدرس على أيدي معلمين دينيين ثم تخرج كاهنا وتعلم العبرية، ثم توجه إلى الفكر الألماني وابتعد عن الإيمان الكاثوليكي وتخلى عن الكهنوت، وبدأ بدراسة التاريخ والفلسفة، وحصل على الدكتوراه في موضوع بعنوان [حول ابن رشد والرشدية]، وتجول في بعض بلاد المشرق العربي للبحث في الآثار، ودرس اللغة العبرية في إحدى جامعات فرنسا وحاضر عن المسيح عليه السلام باعتباره [إنسانا لا نظير له] فغضب منه الكاثوليك وأوقفوا محاضراته وألف عدة كتب في نقد الدين النصراني بأسلوب فلسفي وتاريخي وأشهرها [تاريخ أصول المسيحية] في سبعة أجزاء و[حياة يسوع] على نمط شتراوس، و[دراسات في التاريخ الديني] و[تاريخ شعب إسرائيل] في خمسة أجزاء.

قال آخر: واتسمت فلسفته بنزعة هيجلية ونزعة شكية رافضة للثابت، وأعلن عن رفض كل خارق للطبيعة والإيمان بالطبيعة وقوانينها التي لم تخرق، والإيمان بالعلم الحر، والتزم بهذه المباديء في نظرته إلى العلم والتاريخ والدين والماورائيات، وأعطى العلم أهمية كبرى، واعتبره الناموس الذي لا تعيش البشرية بدونه، والتزم بالوضعية واعتبر أن كل المعارف تأتي عن دراسة الطبيعة والتاريخ، وهو المبدأ الذي أخذه أركون وقدسه وطاف حوله في أغلب كلامه ومؤلفاته.

قال آخر: واعتبر رينان أن لكل شيء في التاريخ تفسيرا إنسانيا، وأن الدراسات التاريخية يجب أن تكون ذات نظرة طبيعية وبناء على نظرته التاريخية هذه فقد رفض كل ما يخرق الطبيعة ولا يستثني الأساطير التي يقصد بها ما في الأديان وكتبها وهو يقصد الكتاب المقدس عند النصارى، حيث تبنى قضية النقد التاريخي لتاريخ المسيحية فأبعد الطابع

٢/ ١٥ ـ ١٧، وتاريخ الفكر الأوروبي الحديث ٤/ ١١٠.

التقديسي عن الأبحاث في الكتاب المقدس لديهم، وأسس شرحا علمانيا له، بنظرة نقدية فيلولوجية [طرق نقدية تعتمد على التاريخية والمقارنة] اعتبرت أن الأناجيل روايات تاريخية متناقضة، واستبعد رينان كل الخوارق والمعجزات.. وهذا المنهج نفسه أخذه الحداثيون والعلمانيون العرب وحاولوا تطبيقه على الإسلام.

قال آخر(1): ومنهم [بولتمان رودولف] (١٨٨٤ ـ ١٩٧٦ م)، وهو كاتب وفيلسوف لاهوتي ألماني، كان رائد حركة [نزع الطابع الميتولوجي] أي الأسطوري عن المسيحية، وتقول كتب تراجم الفلسفة بأن فكره اليوم يستلهمه الذين يسمون [لاهوتيي موت الله]، وكان ابنا لقس لوثري، درس تاريخ العهد الجديد، ودرس اللاهوت، ألف كتبا بعنوان [العهد الجديد، إنجيل يوحنا] و[لاهوت العهد الجديد] و[يسوع المسيح والميتولوجيا]، واهتم فيها بالجانب النقدي التاريخي للجانب [العجائبي] أي العجيب، والجانب الذي يسميه [الأسطوري] وركز على شطب الجانب العجيب والجانب الأسطوري من الوحي حسب رأيه.. وقد اقتدى به الحداثيون وساروا على منواله وخاصة أركون في كتابه [الفكر الإسلامي قراءة علمية]

قال آخر(2): ومنهم [مارتن هايدغر] (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦ م)، وهو فيلسوف ألماني، بدأ دروسه عند الآباء اليسوعيين ثم واصل دراسة اللاهوت حتى حصل على الدكتوراه، انتمى إلى النازيين، وتتلمذ على الفيلسوف اليهودي هوسرل، وعنه أخذ الفهج الظاهراتي وأهدى إليه كتابه [الوجود والزمن]، ورغم أنه من المفكرين المعدودين في أوروبا في القرن العشرين إلا أنه كان شديد التعصب لألمانيته لغة وشعبا ووطنا، ويرى أن شعبه هو الوحيد القادر

---

(١) انظر ترجمته في: المعجم الفلسفي: ص ١٨٥ ـ ١٨٦، وموسوعة أعلام الفلسفة ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) الموسوعة الفلسفية: ص ٤٩٧ ـ ٤٩٩، وموسوعة أعلام الفلسفة ٢/ ٥٣٨.

على تجديد الفكر الغربي.

قال آخر: وقد أثر بأفكاره الظاهراتية وفلسفته في تأسيس علم الوجود على الفلاسفة الوجوديين وخاصة سارتر، وقد جعل هايدغر الوجود الإنساني هو الذي يكتشف من خلاله معنى الوجود، ويرى أن الموجود البشري قد قذف به في العالم ضد إرادته.

قال آخر[1]: فهؤلاء هم أشهر فلاسفة الغرب من اليهود والمسيحيين الذين أسسوا مناهج فلسفية نقدية وتاريخية لدراسة الوحي المتمثل لديهم في الكتاب المقدس عندهم، وقد سار الكتاب العرب على منوال هؤلاء، واستعاروا مفرداتهم ومناهجهم، وارتدوا أزياءهم الفكرية والفلسفية، وجاؤوا بحماس من يريد الهدم السريع والتخريب المباشر، وتوجهوا إلى نصوص القرآن الكريم ثم السنة الشريفة ثم سيرة وحياة رسول الله ﷺ يدرسونها وفق هذه النظريات المستعارة.

قال آخر[2]: وقد أخذوها بتسليم كامل وقطعوا بصحتها وجزموا بسلامتها، وأوصلوها إلى درجة القداسة.. ومن يقرأ كلام أركون في ما يسميه [التاريخية] يرى بوضوح مقدار تشبعه بهذا المنهج حتى أصبح عقيدة يزن بها الكتب المنزلة وكل قضايا الوحي ومقتضياته.

قال آخر[3]: وكل من يطالع كتب ومقالات أدعياء الحداثة يجد أنهم لم يخرجوا عن المفهوم الغربي في دراستهم لدين الإسلام، ولذلك تجدهم يرددون بإمعية كاملة ألفاظ ومصطلحات أساتذتهم فيطلقون على الوحي مصطلح [ميثولوجيا] أي مجموعة الأساطير التي تعمل على فك مستغلفات الحياة والموت[4]، ويجعلون المنهج [الميتولوجي] أساس

---

(1) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٥.

(2) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٥.

(3) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٥.

(4) انظر الميث الأسطورة في: المعجم الفلسفي: ص ١٣، ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: ص ٤٢، والمفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة: ص ١٤٥، ومعجم المصطلحات الأدبية: ص ١٠٦.

دراستهم باعتباره علما يعالج تصنيف المعتقدات ويحللها ويقارنها وفق المفهوم الغربي بطبيعة الحال.

قال آخر[1]: وأحيانا يسمون نصوص الوحي [الميثات] جمع [ميث] وهي الأسطورة والقصة الخرافية التي يسودها الخيال، وتبرز قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة، وتستخدم في عرض مذهب أو فكرة عرضا شعريا قصصيا[2].

قال آخر[3]: وإذا تكلموا عن الدين أطلقوا عليه اسم [ثيولوجي]، وهو مصطلح يعني اللاهوت بالمفهوم الغربي النصراني واليهودي ويعرفونه بأنه علم يبحث في وجود الله وذاته وصفاته وسمي أيضا [ثولوجيا] وعلم الربوبية والإلهيات، واللاهوت الطبيعي يعتمد على التجربة والعقل وحدهما دون الرجوع إلى الوحي، ويقابله عندهم اللاهوت المنزل ويعتمد على النصوص المقدسة[4].

قال آخر[5]: وإذا تعرضوا لدراسة الوحي ونصوصه تخاطروا بألفاظ تلقوها عن أساتذتهم، وتنافروا بالمصطلحات الغربية على أساس أنها هي الحق والحقيقة والعلم، من أمثال [الفيلولوجيا] وهي الطرق التي تستهدف إنجاز نص، وتسهيل قراءته ونقده، ودراسة النقدية من خلال الوجهتين التاريخية والمقارنة[6].

قال آخر[7]: وقد استخدموا هذا المنهج النقدي تبعا لسينوزا وغيره، وحاولوا من خلال هذا النقد هدم نصوص الكتاب والسنة كما فعل الغربيون في الكتب المحرفة، أو

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٥.

(٢) انظر الميثولوجيا في: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لعلوش: ص ٢٠٧، والموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٧٩٧.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٥.

(٤) انظر الثيولوجي في: المعجم الفلسفي: ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(٥) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٦.

(٦) انظر الفيلولوجيا في: معجم المصطلحات المعاصرة لعلوش: ص ١٧١.

(٧) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٦.

التشكيك في ثبوتها وصحتها أو في مدلولاتها القطعية، كما أنهم استعملوا لهذا الغرض الأخير منهج التأويل المعاصر الذي يطلقون عليه مصطلح [هرمنيوطيقيا] وهي طريقة تأويل، تدرس المبادئ المنهجية في التعامل مع النصوص وتفكيك رموزها وكشف أغوارها، وتستهدف في ميدان الوحي ـ الذي هو أهم ميدان للهرمنيوطيقيا ـ الدراسة التأويلية للرموز والاستعارات، وتعني استخلاص المعنى الكامن انطلاقا من المعنى الظاهر، أو الانطلاق من المعاني المجازية بحثا عن المعاني الحقيقية.

قال آخر[١]: وقد استخدم هذا المصطلح في أول الأمر في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني [الكتاب المقدس] عند الأوروبيين من يهود ومسيحيين، ثم اتسع مفهوم هذا المصطلح ليشمل كل العلوم الإنسانية، غير أن الحداثيين والعلمانيين في سياق تبنيهم لسبينوزا ومناهجه، توجهوا إلى الوحي من كتاب وسنة لدراسته على أساس المنهج التأويلي [الهرمنيوطيقي] حسب مفهوم تعبير الغربيين، وتعريب المستغربين[٢].

قال آخر[٣]: ومن المصطلحات التي تقمصها المنهزمون من أبناء المسلمين في دراستهم للوحي مصطلح [التاريخية] أو [التاريخانية]، وقد أغرم بهذا المصطلح إلى حد التقديس محمد أركون ونصر أبو زيد، ويفضل أركون استخدام التاريخية ويفصل بينها وبين التاريخانية، على اعتبار أن التاريخانية هي التي تقول بأن كل شيء أو كل حقيقة تتطور مع التاريخ وتهتم بدراسة الأشياء والأحداث من خلال ارتباطها بالظروف التاريخية، ويرى أركون بأنه يجب تجاوز هذا المعنى إلى [التاريخية] التي تسمح وحدها بتجاوز الاستخدام

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٦.

(٢) انظر عن الهرمنيوطيقيا: معجم المصطلحات الأدبية لسعيد علوش: ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥، =

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٧.

اللاهوتي أو القومي، وبشكل عام الإيديولوجي للتاريخ[١].

قال آخر[٢]: وقد عرفت كتب المعاجم الفلسفية [التاريخية] بأنها (صفة لكل ما هو تاريخي مميز عن الخرافي أو الخيالي، كما أنها من جهة أخرى ميزة الإنسان الذي يعيش التاريخ ويحياه باعتباره كائنا تاريخيا وكائنا زمانيا، والنزعة التاريخية هي النظر إلى كل موضوع معرفي على أنه نتاج حاضر ناشيء عن التطور التاريخي، أما أصحاب المذهب التاريخي فيرون أن الأحداث والظواهر الاجتماعية تتصف بالنسبة التاريخية، وهي على ذلك غير قابلة لأن تدرس على غرار الظواهر الطبيعية)[٣]

قال آخر[٤]: ويتعامل المستغربون مع الوحي على الطريقة الغربية، باعتباره فكرة من الأفكار ويدرسون كيفية انتشاره، والنزعات التي أثرت في وجوده، وتطوره، مستبعدين قضية عصمة الوحي وعصمة المبلغ ووحدانية الموحي والآمر به، ثم يصدرون بناء على دراسة الظروف والملابسات والأوضاع التي مرت بها نصوص الوحي ـ وفق معلوماتهم، وحسب أغراضهم ومقاصدهم ـ الأحكام على النصوص وخاصة القرآن عند المستغربين من أبناء الشرق، ويطبقون سائر مقتضيات هذا المنهج [التاريخي] على نصوص الوحي بصورة تدل على اعتقادهم العميق بعصمة وصحة هذا المنهج.

قال آخر[٥]:وهم في [التاريخية] و[الهرمنيوطقيا] أتباع مخلصون لفلسفة مارتن هايدغر، ومتعصبون للمنهج التاريخي، ويعتبرون أن المعرفة التاريخية هي الأداة الأساسية لدراسة النصوص والمصير الإنساني، ويرون أن المنهج التاريخي قادر على الكشف عن طبيعة النص وأصله ومقصوده، وعن طبيعة الإنسان ومصيره، وعن القيم التي تشكل الحافز

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية لأركون: ص ١٣٩.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٧.

(٣) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: ص ٤٨. وانظر: معجم المصطلحات الأدبية لسعيد علوش: ص ٥٦.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٧.

(٥) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٨.

الأساسى للإنسان.

قال آخر[1]: وقد سلكت النازية ثم الشيوعية الماركسية هذا المسلك وقامت فلسفاتها على هذا الأساس، وتقوم عمليا اليوم فلسفة الغوب اللبرالية على هذه النظرة القاطعة، وإن كانوا لم يقولوا ذلك نظريا، إلا أن واقعهم السياسي والثقافي والإعلامي يرتكز على هذا المفهوم في الجملة؛ ولذلك يحاولون بسط سيطرتهم ونفوذهم في أوسع قدر ممكن من الأرض، تحت حجج التحضير والعصرنة وحقوق الإنسان والنظام العالمي الجديد، والإرادة الدولية، وغير ذلك.

قال آخر[2]: وهذه النظرة المتزمتة المتشددة في استخدام [التاريخية] وتعميم منهجها والقطع بنتائجها، إلى حد التقديس والحكم القاطع وجعلها حتمية لازمة صائبة النتائج في كل الأحوال، هي التي غرق فيها أركون وجابر عصفور وعزيز العظمة ونصر أبو زيد وسائر المعارضين للوحى والمشككين في صحته وثبوته ومقتضياته، وهم في كل ذلك ليس لهم إلا دور الاستيراد والتبني[3].

قال آخر[4]: لقد عاشوا وفي أعماقهم [منطقة فراغ] هائل بسب جهلهم بدينهم، وعجزت المناهج الغربية الوافدة أن تعطي لأصحابها اليقين وعوامل القوة والثبات، فاستمسكوا من هذه المناهج ما يظنون أنه يشكل لهم نقطة انطلاق، ومحور ارتكاز، فكانت [التاريخية] وغيرها من المناهج، وقد هربوا من تقديس المقدس حقيقة، فوقعوا في تقديس الأوهام والمناهج المتناقضة، ولا غرابة أن تجد منهم من يسلخ جلده ويغير موقفه بل وينقض

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٨.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٩.

(٣) انظر عن التاريخية والتاريخانية: معجم المصطلحات الأدبية لسعيد علوش: ص ٥٦، ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: ص ٤٨، وقاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لسامي ذبيان: ص ١٠٨، والفكر الإسلامي قراءة علمية لأركون ١٣٢، ١٣٩، وإشكالية القراءة لنصر أبو زيد: ص ٣١، ٣٦.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٩.

بالشتائم والنقض لما كان يقدسمه من قبل؟ لانعدام الأسس والمعايير الاعتقادية الصحيحة التي يمكن بها وزن الأمور بوضوح وموضوعية.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هؤلاء؛ فإن من موارد هؤلاء الذين يشككون في الوحي والنبوات [المورد الاستشراقي]، فقد تكلم المستشرقون كثيرا عن التوحيد والوحي والنبوة، ودور الأديان ومهمتها في إطار من التشكيك والجحد للوحي والنبوة، ومحاولة تصوير الأنبياء على أنهم عباقرة ومصلحون تأثروا بالواقع الذي يعيشون فيه واستطاعوا استيعاب التراث القديم ثم صاغوه صياغة جديدة.

قال آخر[2]: فتلقف ذلك أساتذتنا الحداثيون؛ فرددوه تحت حجج التاريخية والفيولوجية، وقالوا بأن القرآن نشأ في نفس محمد ﷺ بتأثير البيئة التي عاش فيها، وقالوا بأن القرآن ليس وحيا بل هو فيض من العقل الباطن، وأن محمدا ﷺ كان من الذكاء والعبقرية بحيث استطاع أن يصوغ هذه التأثيرات الباطنية في كلام، ثم يؤثر بها في الآخرين، ومؤدى ذلك أن القرآن ليس وحيا بل هو من عمل البشر.

الفلسفات المادية:

قال آخر: ولم يكن التشكيك في الوحي، أو نزع قداسته وحده ما تتلمذنا فيه وأساتذتنا الحداثيين على فلاسفة الغرب ومفكريه؛ بل تعداه إلى كل النواحي الأخرى، وخاصة تلك التي جعلتنا نهتم فقط بالجانب المادي من الحياة، مهملين كل القيم الروحية، بل محتقرين لها، وداعين إلى نبذها.

قال آخر[3]: ولذلك كان من أبرز أساتذتنا أولئك الفلاسفة الماديين الذين حصروا

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٦٩.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٧٠.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٠٨٣.

نشاط الإنسان وحركة المجتمع في اللهاث خلف الظواهر الاقتصادية والخنوع للمال والتأليه الأعمى للمادة.. أو التفسير المادي الاقتصادي الطبقي الذي نادى به كارل ماركس، والذي عرف بالمادية التاريخية، التي تحولت إلى دولة ومذهب اجتماعي وتيار فكري وسياسي واقتصادي، بسط نفوذه على رقاع في العالم، وطبق نظامه السياسي والاجتماعي على شعوب ودول.

قال آخر[1]: وقد تحولت تلك الفلسفة المادية التاريخية من فلسفة ونظرية ونمط تفكير محض إلى ميدان الواقع والتجربة والتطبيق، وأخذت طريقها إلى أجهزة دول وحياة مجتمعات، مستخدمة كل وسائل الدعاية والسياسة والقمع والإرهاب الفكري والمادي وكل طرائق الفتنة والتدمير والخراب.

قال آخر[2]: وقد اقتبس أساتذتنا الحداثيون المتأثرون بماركس وفلسفته كل ما في تلك الفلسفة من عيوب؛ فهم يرددون مثل أساتذتهم بأن فلسفتهم هذه مبادئ حتمية مرتكزة على أسس علمية، لا تقبل النقاش فضلا عن الرد، كما أنهم يزعمون شمولية مذهبهم وعدم جواز تجزئته، كما أنهم يصرون ـ بشدة وعنف ـ على تفسير كل جوانب الحياة وفق هذه المبادئ التي يقدمونها كمزيج من عناصر فلسفية واجتماعية وسياسية واقتصادية.. ومع إصرار شديد وعنيف أن ما عداهم من مذاهب وأنظمة لا تستحق الوجود، بل سوف تجتاحها حتمية المادية التاريخية الجدلية وتقضي عليها.

قال آخر[3]: مع أن هذه الفلسفة في حقيقتها ليست سوى تدمير لمقومات الحياة الإنسانية الكريمة، وتشويه مروع لتاريخ البشرية، وقيم الأخلاق؛ فتاريخ البشرية في نظر

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٠٨٣.

(٢) أسس الفلسفة الماركسية لـ: ق. أفانا سييف ترجمة عبد الرزاق الصافي ٨ ـ ١٦٤.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٠٨٥.

الماركسية ليس سوى العامل الاقتصادي وليس سوى البحث الدائب عن الطعام.. فليست هناك أية قيمة ـ عندهم ـ للمجتمعات سوى القيمة المادية الاقتصادية، وليست هناك أي قيم إلا ما ينبثق عن هذه المادية، فلا مساواة اجتماعية حقيقية إلا المساواة الاقتصادية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالصراع الطبقي الحتمي الوقوع.

قال آخر: ولهذا؛ فإن العلاقات البشرية لا تحددها ـ حسب فلسفتهم ـ الأخلاق أو العقائد الدينية أو القيم الإنسانية أو التقاليد الاجتماعية، بل يحددها العامل الاقتصادي وحده دون سواه؛ فليست الإنسانية في تاريخها الطويل سوى آلات صماء عمياء رعناء في دولاب العامل الاقتصادي الجبري الذي لا يمكن أن تتخلف نتائجه.

قال آخر[1]: وبناء على الصراع الطبقي؛ فالمجتمعات عندهم في صراع دائم بين الطبقة المستغلة والطبقة الفقيرة بين الرأسمالية الامبريالية والطبقة الكادحة، وسوف تنتهي الحرب ـ كما يقولون ـ إلى فوز الطبقة الفقيرة الكادحة، وبذلك يتطور المجتمع تطورا ثوريا يقضي تماما على الطبقة المستغلة.. فإذا أضيف إلى ذلك موقفهم من القيم والأخلاق وزعمهم أنها نسبية إضافية ليس لها حقيقة ذاتية، ولا فطرية، تبين مقدار ما جنته هذه النظرية الهدامة على المجتمعات التي ابتليت بها.

قال آخر: فقد انحط الإنسان عندهم إلى كائن حيواني يبحث عن الطعام ويصارع من أجله، كفعل حيوانات الغابة ولا غرو أن تكون هذه نظرتهم للإنسان فقد أخذت الماركسية فكرة حيوانية الإنسان وحتمية التطور من الداروينية.. فما دام الإنسان ـ كما يزعمون ـ حيوانا نشأ من الخلية الوحيدة وتطور من ذاته، ولا قيم له ولا أخلاق ولا دين، وليست لحياته الفردية أية قيمة إزاء الحياة الاجتماعية، وليست حياته الاجتماعية إلا الصراع

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢٠٨٥.

والتنازع من أجل المعيشة، فماذا يمكن أن يكون هذا الإنسان وهذا المجتمع؟

الفلسفات الأخلاقية:

قال آخر[1]: بالإضافة إلى تتلمذ الكثير من أساتذتنا الحداثيين على فلسفة الماركسية، تتلمذوا كذلك على أساتذة المذهب العقلي في الأخلاق، والذي يستند أصحابه إلى العقل في تقرير الخير وقواعد السلوك، حيث يرون أن القانون الخلقي ينبع من العقل وحده لا عن ابتغاء مرضاة أحد، أو تحصيل منفعة، فإذا قرر العقل ذلك وجب اتجاه الإرادة نحوه، ومن ثم يصبح القانون الخلقي ضرورة ويستحيل أمرا يقيد الإرادة ويلزمها، ومن ثم يصبح أمرا كليا مطلقا، ويرى أنه لا ارتباط بين الأخلاق والإيمان بالله تعالى؛ لأنه يزعم أن العقل النظري قد عجز عن التدليل على وجوده، وإن استلزم العقل العملي افتراضه، ومع ذلك فإنه يرى أن الدين لم يسبق الأخلاق ولم يحددها، وأن الأخلاق، على العكس، هي التي أدت إلى الدين.

قال آخر[2]: وعلى الرغم من أن هذه النظريات تعد أمثل من النظريات المادية البحتة أو الحيوانية الصرفة إلا أنها لا تبعد كثيرا عن المجال المادي، وإن عد الفلاسفة هذه النظرية من الفلسفات والنظريات المثالية، إلا أن ذلك لا يبعدها عن الإطار المادي، وذلك حين تستبعد الإيمان بالله تعالى والدين عن الأخلاق، أو تقلل من شأنها.

قال آخر[3]: وهكذا وجد من أساتذتنا الحداثيين من تتلمذ على فلاسفة المذهب الطبيعي في الأخلاق، والذي يحدد أصحابه معنى الخير بمفهوم طبيعي.. فكل ما يؤدي إلى لذة أو منفعة للناس فهو خير.. ومن هذا المذهب انبثقت الفلسفة المعاصرة المسماة بـ

---

(١) الموسوعة الفلسفية لعبد المنعم الحفني: ص ٣١، ٣٧٥.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ١٩٧٦.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي لعبد المنعم الحنفي: ص ٣١.

[البرجماتية]، والتي أثرت في الأخلاق والسياسة وعظم تأثيرها في السلوك السياسي المعاصر وخاصة في أمريكا التي تقوم سياستها على البرجماتية، أي الذرائعية، ويتبعها في ذلك ـ تقليدا وانهزاما ـ كثير من الدائرين في فلكها.

قال آخر[1]: فالأخلاق عند البرجماتيين هي التي تكون لها نتائج طيبة، وهي التي توصل إلى المراد، بغض النظر عن نوعية هذه الأخلاق.. وقد تأثرت هذه الفلسفة بنظرية داروين؛ ولذلك تميزت بعدم الثبات، فالمعيار عندهم للحقيقة والخلق والقيم هو نجاح الأفكار والوصول إلى الأهداف.

قال آخر: وعلى هذا فلا إيمان عند البرجماتيين بأخلاق ولا قيم، بل هي عندهم نسبية وغير ثابتة، ومقياس نجاح كل شيء الوصول إلى نتيجة.

قال آخر[2]: ولذلك توجه الغرب بقيادة أمريكا اليوم إلى هذه الفلسفة بكليته، وأقام الأعراف السياسية والأخلاقية على نوع من التهذيب النفعي الذرائعي، بعيدا عن التهذيب الخلقي الإنساني؛ لأن الأخلاق عندهم ليست أصيلة ولا مستقرة، بل هي متغيرة حسب المصلحة؛ ولأن طبيعة الغرب طبيعة مادية نفعية، وعلى ذلك ترتبت أفكاره ومشاعره وسلوكياته، وانطلق في دركات الانحطاط الخلقي بصراحة حمقاء، وألقى قناع الحياء، بل راح ينظر لهذا الانحدار ويفلسف له، ويسعى في ترسيخه واقعا عمليا بين الناس في كل الأرض، وما إعلام الشهوات الهائجة، وسياسة الظلم الأهوج، والمكاييل المزدوجة التي تمارسها أمريكا والدول الأوروبية إلا نماذج لهذه البرغماتية المادية المبرأة من كل إنسانية، والمشبعة بكل ألوان النتن والسخف والجهالات.

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي: ص ٩٣. والمقصود جون ديوي.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ١٩٧٧.

قال آخر[1]: وهكذا وجد من أساتذتنا الحداثيين من تتلمذ على فلاسفة مذهب العاطفة في الأخلاق، والتي يمجد أصحابها العاطفة على صورتها الحيوية أو على صورة التعاطف والمحبة، ويجعلون أساس الأخلاق ما تستحسنه أو تميل إليه.

قال آخر[2]: وهكذا وجد من أساتذتنا الحداثيين من تتلمذ على فلاسفة مذهب الإرادة الأخلاقية، كما تتلمذوا على مخترعه [نيتشه]، والذي يصف الخير بأنه كل ما يعلي في الإنسان شعوره بالقوة وإرادة القوة، وأن الشر هو كل ما يصدر عن ضعف.

قال آخر: وقد كان لهذه المدارس الفلسفية تأثيرها الكبير على أساتذتنا الحداثيين، ولذلك من السهل لأي شخص يطلع عليها، ويطلع في نفس الوقت على مشاريع أساتذتنا الحداثيين أن يجد وجوه الشبه الكثيرة، إن لم نقل التطابق التام.

قال آخر[3]: ولذلك نرى الكثير من الحداثيين يتبنون القول بنسبية الأخلاق، وأنه ليس لها حقائق ثابتة، بل هي خاضعة للتبدل والتغير.. أو القول بأن الإنسان أو الظروف المحيطة به هي مصدر الأخلاق والقيم.. أو فصل الأخلاق عن الدين.. أو أن حرية الإنسان لا تتم إلا بالتخلي عن العوائق وهي الدين والأخلاق.

د. التبعية العمياء:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المنبع الرابع من المنابع المدنسة.

قال أحد المبدلين: إنه ذلك الذي حذر الله تعالى منه بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) المعجم الفلسفي لعبد المنعم الحفني: ص ٣١.

(٢) المعجم الفلسفي: ص ٣١، ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ١٩٧٩.

تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تنهى عن التبعية العمياء لشياطين الإنس والجن.

قال آخر: وهو ما أوقعنا فيه أساتذتنا.. فبعد أن امتلأنا كبرا وغرورا، وبعد تلك المطامع التي جعلتنا نترك الهدي المقدس، ونستمد الحقائق من أولئك الفلاسفة المدنسين، وقعنا في مستنقع التبعية العمياء، والتقليد الأحمق، والذي لا يستند إلى برهان أو حجة، بل يكتفي بالغرور والأهواء.

قال آخر: وكل أساتذتنا يقرون بذلك شعروا أو لم يشعروا.. ومن الأمثلة على ذلك قول أحدهم، وهو حسين مروة: (لقد كنا في لبنان مصابين بانتشار ألوان من الأدب والفن الانحلاليين وكان معظم أدبائنا وفنانينا متأثرين بالمؤسسات الأجنبية والمدارس الفرنسية في الأدب والفن والفلسفة، من رومنطيقية وسوريالية وانطباعية ووجودية، يقلدونها جميعا، ويتعصبون لها، ويقفون بوجه الحركة الواقعية في الأدب والفن)[١]

قال آخر[٢]: ففي هذا النص اعتراف كامل بتبعية أولئك للغرب، إلا أن الطريف أنه ينتقدهم على وقوفهم ضد الحركة الواقعية في الأدب، وهي ليست سوى وجه آخر للتبعية، لكنها تبعية للكتلة الشرقية من أوروبا.. الكتلة الشيوعية الماركسية اللينينية التي كان حسين مروة من أنشط دعاتها الحزبيين والفكريين، وكانت مجلة الثقافة الوطنية المنبر الثقافي والأدبي الذي امتطاه دعاة الشيوعية يبثون أفكارهم من خلاله.

قال آخر: ومثل ذلك قال محمد جمال باروت يتحدث عن تبعية مجلة شعر: (حركة

---

(١) مجلة الثقافة الوطنية العدد ٦٢ في ١٥ تموز ١٩٥٤ م/ ١٣٧٣ هـ: ص ٤.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ٧٠٩.

مجلة شعر قد دمجت فعليا بين المثال الإحيائي النهضوي والمثال الغربي، بعيدا عن أية مثنوية حضارية، وبهذا المعنى قادت الأطروحة النهضوية مشروع شعر إلى المثال الغربي، كإعادة اتصال به، أو كتكرار لما كان في البدء)[1]

قال آخر: وبذلك أصبحت التبعية للغرب شيئا عاديا، بل شيئا يفخرون به، بل راح بعضهم يبحث عن تسويغ تاريخي بفذلكة متهافتة، تقوم على أساس فكرة الحضارة المتوسطية، وهي أوروبا المستوردة في فكر وشعر الحداثة، وهي الجذور التي تريد عصابة شعر ترسيخ عقائدها الوثنية والمسيحية باسم أنها كانت نابعة من الشرق على حد تعبير أدونيس في قوله: (الإبداعات الكبرى في الغرب، سواء كانت دينية أو فنية أو فلسفية ـ تجاوزا للتقنية ـ شرقية الينابيع، أنها نوع من شرقنة الغرب)[2]

قال آخر: وقد علق بعضهم على هذا النص بقوله: (هكذا تأسست أطروحة المعاصرة ليس بوصفها اقتلاعا، بل بوصفها نهضة وعودة إلى الجذور، وستعبر أطروحة [الحضارة المتوسطية] عن ذلك تماما، فيوسف الخال يشير من انكلترا إلى البحر المتوسط [بحرنا العظيم الخالد] كما يصف [خطوات الملك] لشوقي أبو شقرا بأنها [إنتاج لبناني متوسطي] كما يرى أدونيس في شعر يوسف الخال عودة العربي إلى نقائه الأول (عودة توحدنا بقوى تراثنا الحية الحرة.. هذه القوى هي عقدة الوصل التي تعيد ربطنا كعرب بتاريخ المغامرة الإنسانية، تصل ما انقطع بيننا وبين اليونان، وما قبل اليونان عبر المسيحية ـ بيننا وبين التراث المتوسطي ـ خميرة الحضارة الإنسانية ومهدها)[3]

قال آخر[4]: إن هذا النص والذي قبله يبدوان للوهلة الأولى أنهما يمثلان نظرة

(١) الحداثة الأولى لمحمد جمال باروت: ص ١٤، والنص المنقول من كلام أدونيس من كتابه فاتحة لنهايات القرن: ص ٣٢٩.

(٢) فاتحة لنهايات القرن: ص ٢٣٠.

(٣) الحداثة الأولى: ص ١٥.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ٧١٠.

تاريخية خاصة بصاحبها، وموضوعية معرفية تحتوي على إنصاف، إلا أنها في حقيقة الأمر ينطويان على مبدأ تسويقي لا يخلو من طرافة فحواها أن الحداثة المستوردة ليست سوى بضاعتنا التي ردت الينا، فهي ـ حسب رأي باروت ـ نهضة تقوم على جذور تاريخية هي الحضارة المتوسطية، فلا وجه للانزعاج منها، ووصفها بأنها غزو فكري غربي، ولا مجال لاعتبارها غريبة على هويتنا وثقافتنا ومجتمعاتنا.

قال آخر: إن أصدق تعبير عن هذه التبعية ما قاله باروت عن ذوبان عصبة شعر في الغرب: (التي وجدت في النموذج الثقافي ـ الشعري الغربي كمال التعبير عنها، لقد هضمت نخبة [شعر] محتويات هذه الحساسية ثقافيا وروحيا وجماليا، وأعادت إنتاجها شعريا)[1]

قال آخر[2]: وهذا القول شهادة حقيقية على مقدار التبعية في مجلة شعر وأتباعها وهي شهادة يمكن تعميمها على كل أتباع الحداثة الذين تبنوا ما يسمى بالنهضة الحديثة وهي في الحقيقة ارتكاس وانتكاس وتبعية باعتراف الحداثيين أنفسهم، كما قال أحدهم: (كانت النهضة تعلن عن تكون نظرة جديدة للحياة والعالم والإنسان.. بهذا المعنى يمكن فهم اقتراح [الشعر المنثور] في العقد الأول من القرن، عبر صلته الوثيقة بهاجس النهضة، ومحتواها العصري، صحيح أن هذا الاقتراح كان يستمد معاييره من الغرب.. من هنا كانت النهضة المحكومة بوعي يرى في الغرب روح العصر)[3]

قال آخر: وفي اعترافات صارخة بالتبعية الكاملة يقول أحد الحداثيين: (يؤثر كثيرون عدم الكتابة إلا انعكاسا كليا لمرأة الحداثة الغربية، وإذ نعترف بأن الغرب اليوم يقدم لنا غالبية عناصر الحداثة الأدبية الشعرية، فإن الانقياد والإمحاء الكلي أمام نماذجه يحرماننا من

(١) الحداثة الأولى: ص ٦٦.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ٧١٠.

(٣) الحداثة الأولى، ص ١٨٥.

تكوين لغتنا الشعرية الخاصة)[1]

قال آخر: وقال آخر: (لقد كان التحديث ـ ويا لسذاجتنا نحن التقدميين ـ شعارا شافا، وأحيانا شفافا لإنجاز التبعية الكاملة للغرب)[2]

قال آخر: وقال آخر: (تكون التبعية الثقافية في جوهرها تبعية حضارية، باعتبار أن الحضارة مفهوم يشمل كل ما قام به الجنس البشري من إنجازات مادية ومعنوية، أما الثقافية فتعبر عن الجانب المعنوي من الحضارة.. بضم الجانب الثقافي من الحضارة الذهنيات والمعارف والآداب والفنون والأعراف والأخلاقيات والسلوكيات الاجتماعية)[3]

قال آخر: وقال آخر: (إن الحضارة الغربية هي حضارتنا نحن بقدر ما هي حضارة الفرنسي والألماني والروسي الخ ونحن لا قيمة لنا في العالم العربي إن بقينا في خارجها ولم نتبنها من جديد، ونتفاعل وننفعل بها، إن هذه الحضارة هي نحن بقدر ما هي هم)[4]

قال آخر: بل يصل به الذوبان في الغرب إلى أن يرد على من يقول بأن أوروبا سوف تنهار وتنحط فيقول: (وانحطاط أوروبا وهم يتعلل به الخصوم، وجهل يذهب ضحيته السطحيون، هل الانحطاط في الحرية الإنسانية؟)[5]

قال آخر: وتحت عنوان [عصر الرجال الأطفال] كتب أحدهم عن العلل التي أصيبت بها الأمة وأن سببها التبعية فقال: (إن كل ما يذكرونه من علل ومعلولات ما هي إلا أعراض ومضاعفات لحالة تاريخية مزمنة اسمها [التبعية])[6]، ثم قال: (إن التبعية

---

(١) قضايا وشهادات ٣ شتاء ١٩٩١ م: ص ٢١٥ نقلا عن مجلة الناقد حزيران يونيو ١٩٨٩ م/ ١٤٠٩ هـ: ص ٤٥ من مقال لأنطوان أبو زيد.

(٢) المصدر السابق ٢ صيف ١٩٩٠ م: ص ٢٢ من مقال بعنوان بين الحداثة والتحديث لسعد الله ونوس.

(٣) قضايا وشهادات ٤ خريف ١٩٩١: ص ٧٤، المعنون باسم الثقافة الوطنية: التبعية، التراث، الممارسة.

(٤) مجلة شعر، العدد الخامس عشر صيف ١٩٦٠ م/ ١٣٧٩ هـ: ص ١٣٩.

(٥) المصدر السابق: ص ١٣٧، وهذا القول يذكر بمقال لتركي الحمد سبق الإشارة إليه بعنوان هل أن الغرب يسقط؟.

(٦) قضايا وشهادات: ٤/ ١٧١ ـ ١٧٢.

ليست حالة عربية، بل هي علة تشمل ما أطلق عليه [العالم الثالث] حيث تسيطر عليه سيطرة مطلقة)

قال آخر: وقال آخر يتحدث عن استعارة العرب للحداثة: (وإذا كان مفهوم الحداثة قد جاءنا من الغرب، وأخذ معنى أو معاني ولدتها ظروف ذلك الغرب وتطوره، وإذا كان المفهوم ذاته قد تغير تبعا للمراحل، أو زاوية الرؤية، فإن ما وصل إلينا هو الصدى وبعض صور الحداثة)[1]

قال آخر: ويقرر غالي شكري المعنى نفسه في قوله: (نحن لا ننقل سوى المصطلح في صيغته النهائية، ولا علاقة لنا بالتاريخ الاجتماعي والعلمي لهذا المصطلح، ولم نشارك في أية مرحلة من مراحل صنعه، أي إننا في الحقيقة [نركب] المصطلح كما نركب الطائرة.. والفرق هو أننا نستخدم الطائرة، أما المصطلح في العلوم الإنسانية، فإننا نستخدمه ويستخدمنا في وقت واحد، إنه يقول ليصبح جزءا من العدسة التي نرى بها الأشياء، أي جزءا من رؤيتنا، أو من قدرتنا على الرؤية)[2].. وهذا توصيف دقيق وحقيقي لحال كل الحداثيين، حتى الذين يدعون أخذهم من التراث واعتمادهم على التراث، فإنما يأخذون وينظرون بعيون الغرب.

قال آخر[3]: ويمكننا أن نطبق هذا الكلام على كلام أساتذتنا الحداثيين بشأن الوحي وما يقوله نصر أبو زيد، فنجد النتيجة أنهم جميعا تحولوا إلى آنية يلقي فيها الغرب ما شاء من أفكاره وفلسفاته وضلالاته، ثم تفيض هذه الآنية بما ألقي فيها.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه عزيز العظمة حول الطيور الأبابيل التي ورد

---

(١) المصدر السابق ٢ صيف ١٩٩٠: ص ٢٠٩.

(٢) مجلة الناقد، العدد ٩: ص ١٧ مارس ١٩٨٩ م/ ١٤٠٩ هـ.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١١٠١.

ذكرها في سورة الفيل، حيث يعتبرها أسطورة من الأساطير[1]، ثم يستند في هذا الموقف إلى طه حسين، ويقتبس نصوصه من كتابه [في الشعر الجاهلي] ويثني على هذا الاتجاه، وعلى العقلانية والتاريخية التي يتمتع بها طه حسين، ثم يتجه بالتقديس الكهنوتي إلى المنهج التاريخي الذي يتبناه والمعرفة العقلية التي يزعمها، وأنه لا شأن لها بالنتائج الاعتقادية المترتبة عليها، أي: أنهم لا يبالون بأي حكم اعتقادي إسلامي، فيقول: (خضوع هذه التاريخية للعقل وللمعرفة العقلية التي لا شأن لها بالنتائج العقائدية لهذه المعرفة)[2]

قال آخر: ثم ينافح عن طه حسين مطبقا مبدأ عدم الاهتمام بالأحكام الاعتقادية الإسلامية فيقول: (إن الردة التي جاء طه حسين بها قامت على أساس إعادة الاعتبار للأسطورة، وإرجاع النص إلى مكانته المتعالية على التاريخ المؤسسة له في الحياة، ورفض إمكانية المساءلة، ووسمها بالخروج)[3]

قال آخر[4]: ومن خلال كل هذا يتبين لنا أن الغرب بكل مؤسساته الفكرية والسياسية والاقتصادية هو الهوية التي تتم بها حقيقة الحداثة، التي لا تكتفي بمجرد المحاكاة والاستعارة والتقليد، بل تواصل حتى تصل إلى الاندماج الكامل، ويصبح المنتمي الحداثي ممثلا لحضارة الغرب وسياسته وأنماط حياته ولئن كانت عصابة [شعر] أصرح في إعلان اندماجها في الغرب، وكذلك التيارات اليسارية وخاصة الماركسية أصرح في إعلان اندماجها بالكتلة الشيوعية، إلا أن هناك من يكابر هذه الحقائق ويحاول أن يغطيها بكافة الأغطية.

٢. التبديل والتنزيل:

(١) انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٦٧.

(٢) انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٧٠.

(٣) انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٧٠.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٣/ ٢١٨٦.

بعد أن انتهى المبدلون التائبون من ذكر المنابع المدنسة التي كانت سببا في ظهور الحداثيين وغيرهم، قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن منابع التبديل المسمومة؛ فحدثونا عن موقفها من التنزيل، وكيف طبقت تلك التعاليم المدنسة على القرآن الكريم.

قال أحد المبدلين: لقد وقع المبدلون في نفس ما وقع فيه أساتذتهم من المدارس المختلفة، شعروا أو لم يشعروا.. فلذلك صاروا من أهل قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٥]، وهؤلاء كذلك.. فبعد أن تدبروا وتأملوا وتمعنوا بعقول أساتذتهم الذين تتلمذوا على أيديهم، وصلوا إلى أن القرآن الكريم ليس سوى نتاج بشري مرتبط ببيئة معينة.

قال آخر: ومثلما اختلفت أساليب قوم رسول الله ﷺ في التعامل مع التنزيل والمنزل عليه، اختلف هؤلاء أيضا؛ فبعضهم يذكر أنه شاعر، وآخر يذكر أنه ساحر، وآخر يذكر أنه كاهن، وآخر يذكر أنه مصلح لبيئة محدودة وقوم محدودين.. وهكذا.

قال أحد الحضور: فما الفرق بينهم وبين المشككين إذن من المستشرقين والمبشرين وغيرهم؟

قال أحد المبدلين: الفرق بسيط جدا.. أولئك يتسمون بجورج وجولد، وهؤلاء يتسمون بمحمد وطه وعلي.. وغيرها من الأسماء الإسلامية.. أما المنبع فواحد.

قال أحد الحضور: فهلا حدثتمونا عن أئمة هؤلاء، ومناهجهم في التشكيك والتبديل، لنحذر منها، ونحذّر.

قال أحد المبدلين: أجل.. فلا توبة لنا إلا بذلك.. وقد اخترنا لكم سبعة رجال منهم،

لا ينطبق عليهم من القرآن الكريم آية كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]

أ. طه حسين:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن أولهم.

قال أحد المبدلين: أولهم طه حسين؛ فهو أول من سن لهم سنة التبديل في هذا العصر؛ فصار الكل تلاميذه، وصار متحملا لكل أوزارهم.

قال آخر: أجل.. فقد كان كتابه [في الشعر الجاهلي] النبتة الأولى، التي نبتت منها شجرة الجرأة الحداثية على الوحي المقدس.. وكيف لا يكون كذلك، وقد صرح فيه بهذا التصريح الخطير: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة)[١]

قال آخر: ثم أضاف: (فقريش إذن كانت في هذا العصر ناهضة نهضة مادية تجارية، ونهضة دينية وثنية، وهي بمكة هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد في البلاد العربية وحدة سياسية وثنية مستقلة، وإذا كان هذا حقا، ونحن نعتقد أنه حق، فمن المعقول أن تبحث هذه النهضة الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التي تحدثت عنها الأساطير، وإذن فليس ما يمنع قريشا من أن تتقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم، كما قبلت روما ذلك لأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعها اليونان تثبت أن روما متصلة بإيناس بن يريام صاحب طراوده)[٢]

قال آخر: وبهذه الكلمات المحدودة القليلة انفتح باب الحداثة لكل من يريد أن

---

(١) في الشعر الجاهلي: ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) في الشعر الجاهلي: ص ٢٨.

يضيف أو يقرر أو يؤكد.. لينال من الكرامة والجاه والسلطة والعز ما ناله طه حسين، والذي تولى أعلى المناصب، وقدمت له كل التيسيرات ليصبح عميدا للأدب العربي رغم أنف الأدب، ورغم أنف العرب.

قال آخر: وذلك كله رغم الجهات الإسلامية الكثيرة التي تصدت له، ولطروحاته الخطيرة، وأولها ما كتبته لجنة العلماء في مصر التي قررت أن (الكتاب كله مملوء بروح الإلحاد والزندقة، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه لا يجوز بحال أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم.. وترى اللجنة أنه إذا لم تكافح هذه الروح الإلحادية في التعليم ويقتلع هذا الشر من أصله وتطهر دور التعليم من [اللادينية] التي يعمل بعض الأفراد على نشرها بتدبير وإحكام تحت شعار حرية الرأي، اختل النظام وفشت الفوضى، واضطرب حبل الأمن؛ لأن الدين هو أساس الطمأنينة والنظام)(1)

قال آخر: وكعادة الحداثيين، وخصوصا المتقدمين منهم، في عدم مفاجأة المسلمين المحافظين حينها، بأغراضهم التشكيكية؛ فقد اختار طه حسين أن يكون عنوانه مرتبطا بالشعر الجاهلي، بينما هو في حقيقته ليس سوى تشكيكات في الوحي المقدس.

قال آخر: وقد أشارت إلى هذا لجنة العلماء المصرية، حين قالت في ردها على الكتاب: (الكتاب وضع في ظاهره لإنكار الشعر الجاهلي، ولكن المتأمل قليلا يجده دعامة من دعائم الكفر ومعولا لهدم الأديان، وكأنه ما وضع إلا ليأتي عليها من أصولها، وبخاصة الدين الإسلامي، فإنه تذرع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الإسلام مما يرجع إليه فى فهم القرآن والحديث، هذا ما يرمى إليه الكتاب فى

---

(1) تحت راية القرآن، ص١٢٩.

جملته)[1]

قال آخر: وقالت في الرد على تشكيكاته في وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: (أنكر المؤلف بهذا هجرة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام، وقال إن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى في سورة إبراهيم حكاية عنه عليه السلام: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٤ ـ ٣٧])[2]

قال آخر: وقالت في الرد على تشكيكاته في علاقة إسماعيل عليه السلام بالعرب بعد نقل قوله في ذلك: (وهو في هذا النص يصرح بأن القرآن اختلق هذه الصلة بين إسماعيل والعرب ليحتال على جلب اليهود وتأليفهم، ولينسب العرب إلى أصل ماجد زورا وبهتانا لأسباب سياسية أو دينية.. وهذا من منتهى الفجور والفحش والطعن على القرآن الكريم في إثباته أبوة إبراهيم للعرب في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨])[3]

قال آخر: وقالت في الرد على هذا كله: (وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:

---

(١) تحت راية القرآن، ص١٢٩.

(٢) تحت راية القرآن، ص١٣٠.

(٣) تحت راية القرآن، ص١٣٠.

١٢٧]، وقوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ ـ ٢٧]، وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].. إلى غير ذلك من الآيات التي في هذا الموضوع)

قال آخر: وذكرت أنه (فوق تكذيبه للقرآن، يقول إن فيه تدليسا واحتيالا لأسباب سياسية ودينية من أجلها اختلق هذه الأخبار ـ بهذا وأمثاله يقرر المؤلف أن القرآن لا يوثق بأخباره ولا بما فيه من التاريخ.. وكم يترك هذا الكفر الفاحش في عقول الطلبة من أثر سيء وهدم لعقائدهم ودينهم وماذا بقي في القرآن من ثقة وحرمة في نفوسهم بعد هذا التكذيب؟)[1]

قال آخر: وفي الرد على قوله: (أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا للإسلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي، وأن خلاصة الدين الإسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحق الذي أوحاه الله إلى الأنبياء من قبل)، ردت عليه بقولها: (وهو في هذا يكذب قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الموضوع)[2]

قال آخر: وختمت اللجنة الإسلامية تقريرها على الكتاب بقولها: (ومنها غير ذلك كثيرا مما هو مبثوث في الكتاب، ولا ريب في أن هذا هو عين ما يطعن به المشركون على القرآن في مبدأ أمره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ

---

(١) تحت راية القرآن، ص١٣١.

(٢) تحت راية القرآن، ص١٣١.

آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٥].. فاللجنة ترفع إلى فضيلتكم ما وصلت إليه على سرعة من الوقت مما سطره المؤلف من الكفر الصريح، وتترك ما ينطوي في ثناياه من الإلحاد والزندقة مما لا يخفى على الناظر.. نرفعه مطالبين فضيلتكم والحكومة بوضع حد لهذه الفوضى الإلحادية، خصوصا التي تنبت في التعليم لهدم الدين بمعول الزندقة كل يوم، فما نفرغ من حادثة إلا ونستقبل حوادث لا تدع المؤمن مطمئنا على دينه.. نطالب فضيلتكم والحكومة بذلك حرصا على أبناء الدولة أن يتفشى هذا الداء فيهم، وهم رجال المستقبل وسيكون بيدهم الحل والعقد في مهام الأمور، ونحن لا نفهم كيف تصرف أموال المسلمين وأوقافهم على تعليم نتيجة هذا الإلحاد الذي يبثه الداعي ويتقاضى عليه مرتبا ضخما من هذه الأموال، وهل بهذه الطريقة وعلى هذا النحو تخدم وزارة المعارف أبناء الأمة ورجال الغد وتبني صرح التعليم والتربية؟.. نسأل الله أن يوفقكم لما فيه المصلحة والسلام)[1]

قال آخر: لكن هذا التقرير، وكل الكتب العلمية التي ألفت في الرد عليه، وبيان خطره، لم تلق أذنا صاغية من الدولة حينها، بل على العكس من ذلك حيث مكن له في الأرض، ووظف وزيرا ومسؤولا على أخطر قطاع يرتبط بالثقافة والتعليم.. وهو ما شجع كل أصحاب المطامع ليقتفوا أثره، وينالوا المغانم التي نالها.

قال آخر: بل لم يقتصر الأمر على ذلك؛ وإنما أصبح طه حسين بسبب تلك المواقف رمزا وشعارا للحرية والحداثة والتنوير، ولذلك اهتموا بدراسة أعماله وآثاره؛ باعتباره قائدا للمشروع التنويري الجذري الشامل على حد تعبير أحد الحداثيين[2].

---

(١) تحت راية القرآن، ص١٣٢.

(٢) انظر: قضايا وشهادات العدد الأول بعنوان طه حسين العقلانية الديموقراطية الحداثة: ص ٥ من قول لسعد الله ونوس.

قال آخر: ومن الأمثلة على تلك الإشادات التي اتفقوا فيها جميعا كتاب دوري بعنوان [قضايا وشهادات]، وقد خصصوا العدد الأول منه عن طه حسين[1]، حيث جعلوه النموذج الذي يحتذي به كل من يريد أن يتحول إلى حداثي ناجح ومرضي عنه وصاحب مشروع.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ورد من مقالات في القسم الأول من الكتاب، وهي بعنوان [طه حسين وتحرير العقل].. فقد كتب تحت هذا القسم فيصل دراج مقالا بعنوان [الشيخ التقليدي والمثقف الحديث].. وكتب يوسف سلامة [ديكارت وطه حسين مشكلة المنهج].. وكتب عبد الرزاق عيد [طه حسين ومنطلق العقلانية].. وكتب أحمد برقاوي [طه حسين والعقلانية]

قال آخر: أما القسم الثاني، وهو بعنوان [طه حسين والحداثة]، فقد كتب فيه بهاء طاهر مقالا بعنوان [صورة الغرب في آداب طه حسين]، وكتب علي سعد [مستقبل الثقافة في مصر في سيرة طه حسين الفكرية]، وكتبت أمينة رشيد [الإنسان المتمرد]، وكتب رشيد بوجدره [طه حسين الحداثة والذاتية]، وكتب عز الدين نجيب [طه حسين ومستقبل الفن في مصر]، وكتب سمير فريد [طه حسين والسينما]، وكتب محمود أمين العالم [طه حسين الحلم والواقع والمستقبل]

قال آخر: أما القسم الثالث، وهو بعنوان [طه حسين وأزمة في الشعر الجاهلي]، فقد كتب عزيز العظمة مقالا بعنوان [النص والأسطورة والتاريخ]، وهو البحث الذي ألقاه في ندوة دار الساقي المسماة [الإسلام والحداثة] ونشر في الكتاب الناتج عن هذه الندوة، وكتب

---

(١) قضايا شهادات، العدد الأول: ص ١، ويشرف على هذا الكتاب الدوري كل من البعثي السعودي عبد الرحمن منيف والشيوعي الأردني فيصل دراج والعلمانيين الليبراليين سعد الله ونوس وجابر عصفور.

هادي العلوي [طه حسين والتعصب الديني]، وكتب سيد البحراوي [قراءة في الشعر الجاهلي]، وكتب محمد جمال باروت [طه حسين والمؤسسة الأزهرية]، وكتب محمد عفيفي [الأبعاد الاجتماعية والسياسية لأزمة في الشعر الجاهلي]، وكتب علي فهمي [دلالات التحقيق القضائي حول (في الشعر الجاهلي)] ووثيقة عن قرار النيابة الصادر حول كتاب [في الشعر الجاهلي]، وكتب محمد كامل الخطيب [الصراع بين العقلانية واللاعقلانية]

قال آخر[1]: والنظرة الأولية العجلى على هذه العناوين والمقالات تكشف أي منزلة احتلها طه حسين عند هؤلاء باعتباره أول من اقتحم المقدس ـ حسب تعبيرهم ـ وأول من رسخ مبادئ التفكير الديمقراطي الليبرالي، وأول من تجرأ على الاندفاع نحو الغرب، نحو المجتمع الحر، وأظهر من أبرز وظيفة العقل العصياني، وقوض مسلمات التاريخ واللغة والدين، وأوجد أسلوب التمرد على المسلمات والرفض، وإعادة الصياغة لكل شيء.. وغيرها من المدائح الحداثية، والتي تدل على مدى ما وصلت إليه الحداثة وأربابها من عداوة لدين الإسلام وقرآنه وسنته ولغته وحضارته.

قال آخر[2]: ولهذا يجمع المستشرقون والحداثيون على أن هدف طه حسين الأول الذي أعد له، والذي عمل له خلال حياته كلها من خلال كتاباته سواء منها التي ألقيت في الجامعة كمحاضرات أو نشرت في صحف أو في كتب مطبوعة تجمع على شيء واحد هو إرساء منهج الشك، على نحو يسيطر تماماً على التاريخ والنقد الأدبي والمسرح والدراما، واتخاذ كل أساليب البيان للوصول إلى هذه الغاية، فقد اتخذ ذلك أول الأمر أسلوبه في الجامعة حيث حمل لواء الدعوة إلى نقد القرآن بوصفه نصا أدبيا، وتشكيكه في وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.. وليت طه حسين إذ دعا إلى هذا المذهب كان يهدف إلى أن يكون

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٨٢.

(٢) العصر تحت ضوء الإسلام، ص٣٠.

الشك مقدمة إلى اليقين، إذاً لهان الأمر، ولكنه كان يهدف إلى أن يكون الشك للشك.

قال آخر[1]: أجل.. فمنذ أن فتح طه حسين باب التشكيك في نصوص الوحي، توالت على إثره محاولات التشغيب على الدين، والتشكيك فيه عن طريق الأدب والفن، فإذا نحن أمام جمهرة من الحثالة ليس لهم هم إلا الدأب في إزالة ما وقر في نفوس المسلمين من تعظيم نبيهم وكتابهم، وإيثار دينهم وفضائل أخلاقهم، وإجلال علمائهم وصالحيهم.

قال آخر[2]: واستعملوا في ذلك كل الوسائل، مرة بالتكذيب الجلي، ومرة بالتهكم، ومرة بالزراية، ومرة باسم البحث العلمي أو الأدبي أو الفلسفي، حيث لا علم ولا أدب ولا فلسفة، إنما جهل وضلال وانحراف، وبذلك تكون أوروبا قد نالت من المسلمين وأوجعت غاية الوجع بهذه الأدوات الإنسانية التي تسمي طه حسين ونصر أبو زيد وحسن حنفي وفرج فودة.. وأشباهها من الأدوات التي احترفت التدمير والخراب، تحت صياح دعائي، وشعارات تسويقية من الشهادات الممنوحة من السوربون وأشباهه، وعبارات العقلانية والعلمية والأدبية والنقدية، وغير ذلك من وسائل ترويج هذه الأدوات الإنسانية المربوطة بخيوط ظاهرة أو خفية بأوروبا.

قال آخر[3]: ولو كانوا صادقين في مزاعمهم وأنهم أحرار مفكرون لما كانوا في حضيض التقليد والمحاكاة يعمهون، إذ التقليد والاحتذاء يسقط الثقة ممن يدعي حرية الفكر؛ لأن الحرية لا تأتي بتقليد الآخرين والنسخ على منوالهم، فهذه عبودية وتبعية؛ لأن المقلد نزع نفسه من بنيان أمته وحضارتها وتاريخها وثوابتها تحت دعوى التحرر، ثم غرس نفسه في وحول الأمم الأخرى المعادية لأمته تاريخا وواقعا، وجرى في مجراهم يكرر ما

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٨٣.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٨٣.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: ٢/ ١٠٨٤.

يقولون ويترجم ما يكتبون، ويحارب أمته وقومه ليكسب رضى الأسياد ومدحهم، فأية حرية في هذا!؟

قال آخر[1]: ولهذا؛ فإن طه حسين الذي شكك في حقائق القرآن الكريم لم يشكك في الحضارة الغربية، بل كان يدعو إلى التبعية المطلقة لها؛ حيث نراه في في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) يدعو إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها وقطع ما يربطها بقديمها وبإسلامها.. ويدعو إلى الحكم العلماني المقطوع عن الدين أصلا.. ويدعو إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلك الإذعان والتبعية: (علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب)[2]

ب. محمد أحمد خلف الله:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الأول.. فحدثونا عن الثاني.

قال أحد المبدلين[3]: الثاني هو المدعو محمد أحمد خلف الله، وهو مصري شيوعي، كان عضوا مؤسسا وأمينا للحزب الشيوعي المصري المسمى [حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي]، وقد استعمل التشكيك في القصص القرآني، وسيلة للتشكيك في القرآن الكريم، لينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ

(١) طه حسين في ميزان العلماء، ص ١٤٦.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، ص ٤١.

(٣) كتاب هجمات علمانية جديدة لكامل سعفان: ص ١١ ـ ٥٠.

الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]

قال آخر[1]: وهو يهدف من كتاباته إلى إقامة نهضة إصلاحية ماركسية لتطبيق الاشتراكية العلمية (الشيوعية الماركسية)، وعلى ذلك كان يعمل على تطويع المفاهيم الإسلامية التي قد تتقارب في بعض أوجهها مع المفاهيم الماركسية في سبيل إقامة ذلك المشروع.. أما المفاهيم الإسلامية الأخرى التي تتناقض تناقضاً بيناً مع المفاهيم الماركسية فإنه يقوم بتأويلها أياً كان شكل هذا التأويل أو تزيينها في صورة جديدة، أو اختزالها إلى مفاهيم أخرى بالطريقة التي يمكن بها إزاحتها من أمام مواصلة المضي في إقامة ذلك المشروع، فإذا لم ينفع معها أي مما سبق، فإنه يقوم بنقضها وهدمها تماماً.

قال آخر: ومن أحسن الأمثلة على ذلك أطروحته للدكتوراه التي ناقشها عام ١٩٤٧م عن [القصص الفني في القرآن]، والتي ادعى فيها أن قصص القرآن إنما جاءت للموعظة لا لتقرير الحقائق، أي أنها قد تكون أساطير وخرافات.

قال آخر: وقد عبر عن صنيعه هذا بقوله: (إن الصنيع البلاغي للقرآن الذي يقوم على تخليص العناصر القصصية من أحداث وأشخاص وأخبار من معانيها التاريخية، وجعلها صالحة كل الصلاحية لاستثارة العواطف والانفعالات حتى تكون العظة والعبرة، وتكون البشارة والإنذار، وتكون الهداية والإرشاد، ويكون الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتمكين لها حتى في نفوس المعارضة.. إن هذا كله لهو الدليل القوي على أن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية)[2]

قال آخر: وعبر عنه بقوله: (ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه

---

(١) تزييف الإسلام وأكذوبة المفكر الإسلامي المستنير، ص ١٠٥.

(٢) الفن القصصي، ص٢٥٤.

البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل ـ أي ما ذكر في القصص القرآني ـ ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن، لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض)[1]

قال آخر: ثم عقب على هذا مبررا له بقوله: (إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ، ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق، ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر والإلحاد، بل لعل هذه المخالفة واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات والأوهام)[2]

قال آخر: وقد استهجن العلماء والباحثون المسلمون صنيعه هذا على اختلاف مشاربهم؛ فرد عليه حينها أحمد أمين، وعبد المتعال الصعيدي، وعبد الفتاح بدوي، ومحمد الغمراوي، ومحب الدين الخطيب.

قال آخر: أما الشيخ شلتوت ـ شيخ الأزهر ـ فقد حُولت له الرسالة لفحصها وإبداء رأيه فيها، فذكر في تقريره بأن هذه الرسالة (قامت على أسس فاسدة، لأنها غارقة في تكذيب القرآن، ولأن كاتبها جاهل لا يفهم النصوص)، وختم تقريره بالدعوة لأن تُطهر الجامعة من هذه الدراسة، كما أفتى أكثر من مائة عالم من الأزهر بأن هذه الرسالة (مفكرة يخرج بها صاحبها عن الدين الإسلامي)[3]

قال آخر: وممن رد عليها، وانتقدها بشدة الدكتور محمد بلتاجي في مقالته الطويلة حولها بعنوان [التفسير البياني للقصص القرآني بين الحق والمذهب الفني، دراسة وتقويم

---

(1) القصص القرآني، ص ٢٥٤.

(2) القصص القرآني، ص ٢٥٤.

(3) مؤلفات في الميزان لأنور الجندي ص٧٢، والعقلانية هداية أم غواية لعبد السلام البسيوني، ص ١٣٥.

لمنهج باطل في التفسير]، ومما جاء فيها قوله: (إذن فنظرية خلف الله التي ستحل ـ كما قال ـ مشكلات التفسير واعتراضات المستشرقين والمبشرين: هي أن القرآن الكريم استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت في أذهان العرب عن الوقائع التاريخية، فنزل بها، ولم يصححها أو ينص على كذبها، خدمة لأغراضه في العظة والاعتبار، ومجاراة لعقائد القوم الذين نزل فيهم)[1]

قال آخر: وممن رد عليه حينها الشيخ محمد الخضر حسين[2]، ومن ردوده عليها قوله: (ما يرد في القرآن على وجه الإخبار لا يكون إلا موافقا للواقع، هذا ما يقتضيه الإيمان بأنه تنزيل من عليم حكيم، ولو أجزنا أن يكون فيه أقوال غير مطابقة للواقع لكان معنى ذلك أن من أقواله ما يكون كذبا، وليس الكذب سوى عدم مطابقة الكلام للواقع، وإذا كان الفضلاء من الناس يتبرؤون من أن يقولوا زورا، ويعدونه في أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية، فما كان لنا أن نلصقه بكلام ذي العزة والجلال، ناظرين إلى مقام الربوبية كما ننظر إلى شاعر أو كاتب قد يعجز عن أن يظهر براعته الفنية في الحوادث الواقعة تاريخيا)

قال آخر: ورد على استدلال محمد أحمد خلف الله بـ (التناقض في رواية الخبر الواحد مثل أن البشرى بالغلام كانت لإبراهيم أو لامرأته)، بقوله: (التناقض في الأخبار أن يختلف الخبران بالإيجاب والسلب، مع اتحادهما فيما عدا ذلك، ويلزم من صدق أحدهما كذب الآخر؛ كأن تقول: بشرت زيدا بقدوم ابنه، ثم تقول: لم أبشر زيدا بقدوم ابنه، ومثل هذا الضرب من الكلام لم يقع في الآية الكريمة، وإنما ورد أن الله بشر عن طريق الملائكة إبراهيم عليه السلام بغلام، كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، وقال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ

(١) أضواء الشريعة، العدد السادس، سنة ١٣٩٥هـ، ص ١١٢.

(٢) الفن القصصي في القرآن، الشيخ محمد الخضر حسين، مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، وقال: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، وقال: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، ومن المعقول أن يبشر الملائكة إبراهيم عليه السلام، ثم يبشروا امرأته بغلام هو إسحاق، فيذكر في آية أنهم بشروا به إبراهيم، ويذكر في آية أخرى أنهم بشروا به امرأته، ومن ذا الذي يتوهم أن في مثل هاتين البشارتين شيئا من التناقض أو ما يشبه التناقض!؟)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بكون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] قصة مختلقة بقوله: (ولا ندري ما هو الدليل الذي ينهض أمام هذه الآية، ويدل على أن القصة المشار إليها مخلوقة غير واقعة، والأدلة في مثل هذا إما نصوص تاريخية ثابتة الرواية، وإما أن يشعر المتكلم مخاطبه بأنه يريد تصوير حادثة تصويرا فنيا، وإما أن يبدو للمخاطب من طبيعة الحادثة ما يجعلها مستحيلة الوقوع، ولم يرد نص تاريخي ينفي ما اشتملت عليه القصة من خطاب الله تعالى لعيسى، وجواب عيسى عليه السلام، ولم يقل الله تعالى ـ لا صراحة ولا تلويحا ـ إن هذه القصة مخلوقة غير واقعة، وإنما أريد تصوير حادثة تصويرا فنيا، وليس في القصة معنى يحكم العقل المنطقي باستحالته)[2]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (الإجابة عن الأسئلة التي كان يوجهها المشركون للنبي ﷺ ليست تاريخية ولا واقعة، وإنما هي تصوير نفسي عن أحداث

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٢) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

مضت أو أغرقت في القدم، سواء كان ذلك الواقع متفقا مع الحق والواقع، أو مخالفا له)[1]، بقوله: (نتحدث مع صاحب الرسالة في هذا الموضوع الديني بصفته مسلما، فنقول: قد قام الدليل القاطع على أن القرآن كلام الله، وأن رسوله محمدا ﷺ قد بلغ ما أنزل إليه من ربه، فكل ما جاء في القرآن من خبر فهو صادق، وإنما الصدق مطابقة الكلام للواقع، ونستند في الجزم بصدق أخبار القرآن إلى الدليل القائم على صدق الرسول في دعوى الرسالة، والدليل القائم على أن القرآن وحي من الله جل شأنه، ولو كان القائل: (إن النبي ﷺ إنما يصور واقعا في نفسه، سواء كان ذلك الواقع متفقا مع الحق والواقع، أم مخالفا) لا ينتمي إلى الإسلام؛ لقلنا: نحن معنا أدلة لا تحوم حولها شبهة على أن القرآن لا يقول إلا حقا، فإن أبيت أن تصغي إليها بأذن واعية، فاعمد إلى قصة من قصص القرآن، وأقم على أنها مخالفة للحق دليلا يقره المنطق، ويتقبله العقل)[2]

قال آخر: ثم قال: (ونحن لا ندري من أين عرف كاتب الرسالة أن إجابة النبي ﷺ عن أسئلة المشركين لم تكن تاريخية ولا واقعة.. فقد يهمل التاريخ أحداثا، فلا يدل عليها صراحة ولا رمزا، ولكنه لا يستطيع أن يأتي إلى أحدث أخبر عنها القرآن على وجه خاص، ويحكم عليها بأنها غير واقعة حكما يدخل إليه من باب الروية والإنصاف)[3]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (القرآن يقرر أن الجن تعلم بعض الشيء، ثم لما تقدم الزمن قرر القرآن أنهم لا يعلمون شيئا.. والمفسرون مخطئون حين يأخذون الأمر مأخذ الجد)[4] بقوله: (لم يقرر القرآن أن الجن لا يعلمون شيئا، وإنما قال في قصة وفاة سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ

(1) الفن القصصي في القرآن، ص ٢٨.

(2) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(3) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(4) الفن القصصي في القرآن، ص ٢٩.

تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، فالآية إنما نفت عن الجن علم الغيب، وهو ما يحصل للعالم لذاته، ومن هنا كان مختصا بالخالق جل شأنه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، فدلت الآية على أن علم الغيب خاص به تعالى، وأما غيره فلا يعلم الأشياء الغائبة عنه لذاته، وإنما يعلم منها ما يعلمه الله، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]، ومن هنا نفهم كيف ينفي النبي ﷺ عن نفسه علم الغيب، مع أن الله تعالى قد أظهره على أشياء كثيرة كانت غائبة عنه، فقال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فنفي علم الغيب عن الجن لا ينافي أنهم يعلمون بعض الأشياء بطريق من طرق العلم الخفية.. فكاتب الرسالة مخطئ في فهمه أن بين الآية التي تثبت للجن العلم ببعض الشيء، والآية التي تنفي عنها علم الغيب تناقضا)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (الأنبياء أبطال ولدوا في البيئة، وتأدبوا بآدابها، وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل، وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة، ودانوا بما تدين به من رأي، وعبدوا ما يعبد من إله)[2] بقوله: (أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الكفر قبل النبوة وبعدها، وممن حكى الإجماع على هذا الإمام عضد الدين في كتاب [المواقف]، والقاضي عياض في كتاب [الشفاء]، ولكن كاتب الرسالة يقول: إنهم قلدوا الأهل والعشيرة في كل ما يقال ويفعل، وآمنوا بما تؤمن به البيئة

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٢) الفن القصصي في القرآن، ص ٢٧.

من عقيدة، وعبدوا ما يعبد من إله.. وإنما يقول هذا، ويخرج عن إجماع المسلمين من استطاع أن يملأ يده من روايات تاريخية صحيحة، أو استطاع أن يقيم دليلا نظريا يسعه المنطق السليم، وليس بيد الكاتب نقل مقبول، ولا دليل معقول، وإنما هي دعوى عارية من كل شاهد، فلندع بسط الحديث عنها حتى نعرف الشبهة التي دفعت الكاتب إليها، حتى عبر عنها بجمل يؤكد بعضها بعضا، وأسرف في تسويتهم بالمشركين، إلى أن قال لك: [وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل])[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (تصوير أخلاق الأمم كبني إسرائيل ليس بضروري أن يكون واقعا؛ بل يصح أن يكون تصويرا فنيا يلاحظ الواقع النفسي أكثر من صدق القضايا)[2] بقوله: (القرآن وحي سماوي، فإذا وصف أخلاق أمم كبني إسرائيل دل بالضرورة على أن وصفهم بتلك الأخلاق واقعي، ومن ادعى أن القرآن غير صادق فيما وصف، فليأت بآية وصفت بعض الأمم بأخلاق، ودلت الرواية أو الدراية على أن هذا الوصف غير مطابق للواقع)[3]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (القصة هي العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له، أو لبطل له وجود، ولكن الحوادث التي ألمت به لم تقع أصلا، أو وقعت ولكنها نظمت على أساس فني، إذ قدم بعضها وأخر بعضها، أو حذف بعضها وأضيف إلى الباقي بعض آخر، أو بولغ في تصويرها إلى حد يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون حقيقية إلى ما يجعلها في عداد الأشخاص الخيالية، وهذا قصدنا في هذا البحث من الدراسة القرآنية)[4] بقوله: (هذا الذي يقوله الكاتب إنما

(١) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٢) الفن القصصي في القرآن، ص ٧٥.

(٣) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٤) الفن القصصي في القرآن، ص ٨١.

ينطبق على القصص التي يقصد من تصنيفها إظهار البراعة في صناعة الإنشاء، أو في إجالة الخيال، أو بعث الارتياح والمتعة في نفوس القارئين؛ مثل مقامات بديع الزمان، أو مقامات الحريري، أو القصص التي تنشر اليوم في بعض الصحف السائرة، أما قصص القرآن فهي من كلام رب العزة، أوحى به إلى الرسول الأكرم؛ ليكون مأخذ عبرة، أو موضع قدوة، أو مجلاة حكمة، وإيمان الناس بأنه صادر من ذلك المقام الأسنى يجعل له في قلوبهم مكانة محفوفة بالإجلال، ويمنعهم من أن يدرسوه كما تدرس تلك القصص الصادرة من نفوس بشرية تجعل أمامها أهدافا خاصة، ثم لا تبالي أن تستمد ما تقوله من خيال غير صادق، أو تخرج من جد إلى هزل، وتضع بجانب الحق باطلا)[1]

قال آخر: ورد على قول محمد أحمد خلف الله: (أخطأ الأقدمون في عد القصص تاريخا)[2] بقوله: (لم يخطئ المتقدمون ولا المتأخرون في عد القصص تاريخا؛ بل هم على بينة من أمرهم، إذ يعدون القرآن أصح مصدر لما يقص من شؤون الأمم الغابرة، والأمم التي كانت تعيش وقت نزوله؛ ذلك أن الدليل القائم على أن القرآن وحي إلهي هو الدليل الذي يشهد بأن قصصه تاريخ حق، لازم للإيمان بأنه وحي سماوي، ومن يزعم أنه يوجد هذا الإيمان بدون ذلك الاعتقاد فهو كمن يزعم أن الشمس طالعة والنهار غير موجود)[3]

قال آخر: ورد على قول محمد أحمد خلف الله: (منهج القرآن هو معالجة القصة من حيث هي أدب، ويعني بذلك خلق الصور والابتكار والاختراع.. ولذلك لا مانع من اختلاف تصور الشخصية الواحدة في القرآن)[4] بقوله: (لم يعالج القرآن القصة من حيث هي أدب، وإنما يوردها من حيث إنه مطلع حكمة، ومأخذ عبرة، ومرآة حقيقة، وحيث كان

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٢) الفن القصصي في القرآن، ص ٨٣.

(٣) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٤) الفن القصصي في القرآن، ص ٨٤.

لبلاغة القول بعد حكمة المعنى وقوة الحجة، أثر زائد في توجيه النفوس إلى الصراط السوي، أنزل الله القرآن كله في أفصح الألفاظ، وأبدع الأساليب، حتى بلغ بحسن بيانه أنه كان المعجزة الخالدة)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (قصة موسى في الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة.. بل ابتدعت على غير أساس من التاريخ)[2] بقوله: (وضع الكاتب أمامه قصص القرآن، وأخذ يصدر فيها أحكاما تمليها عليه محاكاته لقوم يجحدون، فعمد إلى قصة موسى عليه السلام في سورة الكهف، ونفى عنها أن تكون قد اعتمدت على أصل من واقع الحياة، ووصفها بأنها ابتدعت على غير أساس من التاريخ.. والذي يتصدى لأن يحكم على قصة نبي في القرآن بأنها لم تعتمد على أصل من واقع الحياة، شأنه أن يعرف تاريخ ذلك النبي من طريق غير القرآن، ويملأ يده من روايات بالغة في الصحة درجة تكسبه الجزم بأن ما حكاه القرآن غير واقع، فله أن يقول حينئذ: إن هذه القصة مبتدعة على غير أساس من التاريخ، فهل دخل الكاتب إلى هذا الحكم من طريق هو أرجح دلالة على الواقع من نصوص القرآن المجيد!؟)[3]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (القرآن عمد إلى بعض التاريخ الشعبي للعرب وأبطال الكتاب ونشره نشرا يدعم غرضه كقصة ذي القرنين)[4] بقوله: (إذا قص القرآن حوادث كان حديثها يدور بين العرب أو أهل الكتاب، فإنما يقصها لقصد يعود على دعوته الشاملة بتأكيد، وهو بعد هذا لا يقص من تلك الحوادث إلا الواقع، وليس من المعقول أن يجاري القرآن العرب أو أهل الكتاب فيما يتسامرون به في مجالسهم، فيعرض

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٢) الفن القصصي في القرآن، ص ٧٩.

(٣) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٤) الفن القصصي في القرآن، ص ٩٣.

منها ما ليس بواقع، وهو تنزيل من علام الغيوب.. أما قصة ذي القرنين، فقد ذكر القرآن أن الكفار وجهوا إلى النبي ﷺ سؤالا عن ذي القرنين، فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، ولا يخطر على بال أحد، فهم مساق القصة، وعرف ما يقصده أولئك المتعنتون من أسئلتهم أن يكون قصدهم من هذا السؤال أن تصور لهم قصة ذي القرنين في صورة فنية، وإن كانت غير مطابقة للواقع التاريخي، فيكون غرضهم إذا اختبار حال المسؤول من جهة حسن البيان، وذلك ما لا يحتمله لفظ الآية، ولا يساعد عليه مساقها؛ فقد نزل الوحي بالجواب عن هذا السؤال، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٤] إلى آخر القصة، وقد اختلف الكاتبون فيمن هو ذو القرنين الذي تحدث عنه القرآن في هذه القصة، وأخذوا يتحدثون عن الإسكندر الرومي، والإسكندر اليوناني وغيره، ونحن نطرح كل حديث عن شخص لا ينطبق عليه ما وصف به القرآن ذا القرنين، ونقطع ببطلان أن يكون ذلك الشخص هو المسمى في هذه القصة ذا القرنين، ونقول إن القصة الواردة في القرآن موافقة للواقع التاريخي، ما دام المؤرخون لا يستطيعون أن يقيموا دليلا مقبولا على أنه لم يوجد في العصور الخالية شخص صدرت منه الأعمال التي نسبت في القصة إلى ذي القرنين، وإذا لم يذكر القرآن العصر الذي ظهر فيه ذو القرنين، ولا البلد الذي نشأ فيه، ولا الشعب الذي ينتسب إليه، كان من المتعذر على المؤرخ أن ينكر صدق قصته إنكارا يقيم له العارفون بآداب البحث وزنا)[1]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (عناصر القصة هي العناصر الفنية والأدبية التي اتخذ منها الفنان مادته التركيبية، والتي أعمل فيها خياله، وسلط عليها عقله،

(١) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

ونالها بالتغيير والتبديل، حتى أصبحت وكأنها مادة جديدة بما بث فيها من روحه، وكذلك القصص في القرآن، والبحث عن المصادر في القصص القرآني على هذا الأساس)[1] بقوله: (ما قاله الكاتب في تعريف القصة، يصح أن يقال في قصة يؤلفها فنان، يريد من تأليفها إظهار براعته البيانية، ولا يبالي في تخييله أن تكون الحوادث التي أعمل فيها خياله، وسلط عليها عقله، وقعت من بطل لا وجود له، أو من بطل له وجود، ولكن الحوادث التي ألمت به لم تقع أصلا، ولا يليق بباحث مطمئن إلى أن القرآن وحي سماوي أن يقول بعد أن عرف القصة وعناصرها بما عرفهما به.. وأشار الكاتب إلى أن للقرآن مصادر، وهذا ما يقوله المخالفون الذين يقولون: إن القرآن من تأليف محمد، ويزعمون أن هناك مصادر استمد منها النبي ﷺ ما جاء به من شريعة الإسلام، ومن مصنفاتهم كتاب يسمونه [مصادر الإسلام]، والمسلمون على يقين من أن للقرآن مصدرا واحدا هو الله، الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل)[2]

قال آخر: ورد على قول محمد أحمد خلف الله: (يجب أن لا يزعجنا لأنه الواقع العلمي في حياة كل الفنون والآداب.. وطبق هذا المبدأ تطبيقا واسعا)[3] بقوله: (لا يزعجنا أن يسوق بعض الكاتبين قصص القرآن الكريم مساق القصص التي يعمل فيها الفنان خياله، ويسلط عليها عقله، ما دام الدليل الذي قام على أن القرآن كلام الله لا يزال قائما نصب أعيننا، ذلك أن القرآن دعوة مقرونة بحجة، تشهد الدعوة بأنها صادرة من حضرة ذي الجلال، لا أنها من صنع بشر فنان، قد يغطي بزخرف قوله ما تنطوي عليه عباراته من معان لا تطابق الواقع التاريخي)[4]

---

(١) الفن القصصي في القرآن، ص ٧٥.

(٢) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٣) الفن القصصي في القرآن، ص ١١٨.

(٤) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (ما تمسك به الباحثون من المستشرقين ليس سببه جهل محمد بالتاريخ؛ بل قد يكون من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي، ولا الحرص على الصدق العقلي، وإنما ينتج عمله ويبرز صوره بما ملك من الموهبة الفنية، والقدرة على الابتكار والاختراع والتغيير والتبديل)[1] بقوله: (ادعى المستشرقون أن في القرآن قصصا غير موافق للواقع التاريخي، وكذلك زعم كاتب الرسالة أن القصص في القرآن لوحظ فيه التصوير الفني دون الواقع التاريخي والصدق العقلي، فكاتب الرسالة يوافق المستشرقين في أن بين قصص القرآن ما لا يوافق الواقع التاريخي، غير أن المستشرقين يعللون هذه المخالفة بعدم معرفة محمد للتاريخ، وكاتب الرسالة يعللها بأنه ﷺ يسوق القصة غير معني بالواقع التاريخي، ولا حريص على صدقها العقلي، وإنما كانت وجهته التصوير الفني، والابتكار والاختراع، والتغيير والتبديل.. والمسلم الحق من يؤمن بأن القرآن منزل من عند الله، لا من صنع محمد ﷺ، وينزه القرآن عن ذلك التصوير الفني، الذي لا يعنى فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة)[2]

قال آخر: ورد على زعم محمد أحمد خلف الله بأن (القرآن تدرج في القصص كما يتدرج أدب كل أديب، فالأدباء يلتمسون المتعة واللذة في كل أمر فني يعرض لهم، ثم يتقدمون خطوة فيبغون الاستمتاع واللذة بالمحاولات الأولى التي تقوم على التقليد والمحاكاة، ثم يكون التخلف شيئا فشيئا، والدخول في ميدان التجارب الخاصة، ومظاهر ذلك النسخ والتدرج بالتشريع)[3] بقوله: (جعل الكاتب القصص القرآني يتدرج كما

(١) الفن القصصي في القرآن، ص ١٣٦.

(٢) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

(٣) الفن القصصي في القرآن، ص ١٦٩.

يتدرج أدب كل أديب.. والواقع أن القرآن لم ينزل ليجاري الأدباء في أدبهم، ويذهب في المبالغات مذهبهم، ويستخف بحرمة بعض الحقائق استخفافهم، وإنما نزل القرآن ليهدي الأدباء وغير الأدباء إلى ما يلائم الفطر السليمة من عقائد وآداب وأعمال، فوجهته الدعوة إلى الإصلاح الشامل، وليست هذه الدعوة الإصلاحية وليدة الدخول في ميدان التجارب الخاصة، ولا أن النسخ والتدرج بالتشريع من مظاهر الدخول في تجارب؛ بل الدعوة هداية من خالق التجارب والمجربين، والنسخ والتدرج بالتشريع من مظاهر علمه القديم، كما هو مفصل في أصول الشريعة)[1]

قال آخر: وهكذا رد عليه وعلى من ردد مقولته الكثير من الكتاب والباحثين، ومنهم د. محمد سعيد رمضان البوطي في مقال له بعنوان [الميثولوجيا (الأسطورة) والعلم والقرآن]، ومما جاء فيه قوله: (فما الأسطورة إذن، وقبل كل شيء؟ هي حصيلة الأخيلة الشعبية التي تروى غالبا على شكل قصص وحكايات، ولما كان الإنسان بفطرته الأصيلة يتمتع بخيال يتسع اتساع الطبيعة التي يعيش ويتقلب فيها، مقابل الواقع المحدود الذي يعيش محاصرا في أقطاره، فقد كان من شأن هذا الخيال أن يجمح بصاحبه إلى ما وراء ذلك الواقع المحدود، سابحا في أرجاء الطبيعة كلها دون أن تقيده شروط أو تصده حدود؛ ليكون ذلك عزاء وتعويضا له عن واقعه الضيق الذي حبس في داخله، ولولا إطلالة الإنسان من داخل واقعه الذي يعيش فيه على الطبيعة المحيطة به، من خلال نوافذ الخيال الذي متعه الله به، لتحول الواقع إلى سجن ضيق خانق، لا يورث صاحبه إلا الكمد والشقاء، مهما كان شأنه، ومهما كان نوع الحياة التي يعيشها.. إذن، فالأسطورة نسيج خيال تصاغ في داخله، وتروى على أساسه، ويتلقاها الناس جيلا بعد جيل، على هذا الأصل

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية، ج٧، و٨ محرم وصفر عام ١٣٦٧.

وبهذه الهوية، وما من شعب من الشعوب إلا يحافظ من ثمرات خياله على قسط وافر من الحكايات والقصص الأسطورية المتنوعة، تأخذ لون الحضارة والثقافة اللتين تميز بهما، وقد ظلت هذه الحكايات معروفة محتفظة بطابعها الأسطوري، وتروى بدءا من مصدرها الأول موسومة بهذا الطابع، ولم نسمع قط في تاريخ الأدب الأسطوري، أو ما يسمى بأدب الشعوب أن أسطورة من الأساطير انفصلت عن نسبها الموصول إلى جذور الأخيلة والوهم، ثم تسربت إلى قناة الأحداث والوقائع التاريخية، واتخذت طابع الحقيقة الراسخة)(١)

قال آخر: وبعد أن قدم هذه المقدمة، قال: (لماذا يكون خبر الله الموحى به إلى رسله وأنبيائه عن كيفية نشأة الإنسان وتكاثره، وعن كيفية خلق الله عز وجل لآدم عليه السلام أسطورة من الأساطير، ولا يكون خبر مارك وداروين عن الموضوع نفسه هو الآخر أسطورة من الأساطير؟ لماذا؟ وما الفرق؟.. لماذا يعد خبر الله الموحى به إلى كثير من رسله وأنبيائه عن طوفان نوح وسفينته أسطورة من أساطير التاريخ، ولا يكون خبر علماء التاريخ الطبيعي عن الانفجار العظيم أسطورة من أساطير التاريخ أيضا؟.. إن كان الفرق أن في الناس من لا يصدق الوحي الإلهي ولا يلقي إليه بالا، فإن في الناس كثيرين ممن لا يصدقون تصورات داروين، ولا يقيمون وزنا لقصة [الانفجار العظيم] أو [النظرية السديمية] كتفسير لكيفية تشكل الكون والأرض أو ما يشبههما، ومع ذلك، فإننا لا نسمي ـ من الناحية العلمية ـ شيئا من نظريات التطور أو نظريات الباحثين في التاريخ الطبيعي أسطورة، مهما كانت بعيدة عن المنطق أو العلم؛ لأن مقومات هذه التسمية غير موجودة، ومن أهمها أن تكون موضوعة من قبل أصحابها على أنها أسطورة، فلماذا لا يفقه كثير من أدعياء الثقافة

---

(١) هذه مشكلاتهم، ص ١١٣.

والعلم هذه الحقيقة العلمية الواضحة بصدد نظرتهم إلى أخبار الوحي الإلهي؟)[1]

قال آخر: ثم قال: (إن لهم ولغيرهم أن يصدقوا أو لا يصدقوا شيئا من أخبار الوحي الإلهي، بل لهم أن لا يؤمنوا بحقيقة الوحي ذاته، غير أن عليهم أن يعلموا أن عدم فهمهم أو تصديقهم لذلك ليس هو برهان كونه أسطورة وهمية كاذبة)[2]

قال آخر: ومن الذين ردوا على هذه الشبهة الشيخ محمد الغزالي، وذلك عند بيانه الفرق بين القصص القرآني الواقعي، وبين القصص الروائي الأدبي الفني الخيالي، فقد قال: (إن القصص القرآني سرد واع موجه للتاريخ الإنساني، ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق، بل الغرض منه التربية والتوعية، وتجديد المعاني بعد انتهاء أهلها لتكون عظة دائمة، وقد شاع أدب القصة في عصرنا شيوعا يستحق الدهشة، وامتلأت الأيدي بروايات يقرؤها حاملوها ليقطعوا الوقت أو يتلذذوا بحسن العرض، وجملة هذه الروايات من نسج الخيال، وقد تكون ذات مغزى جيد، وقد تكون إثارة وضيعة، والبون شاسع بين هذه الأقاصيص، وبين التاريخ الذي يجسده القرآن الكريم، ويغزو به الألباب والبصائر؛ ليمحو الغفلة، ويرفع المستوى، ويضيء السبل، البون بعيد بعيد)[3]

قال آخر: ثم ضرب مثالا على ذلك، فقال: (عندما يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، فهو يقول ذلك في أعقاب سرد لواقع لا ريب فيه، فقد ذكر في هذه السورة قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام مع أممهم التي ظهرت في عصور متعاقبة، وانتظمتها أدواء التكذيب والمكابرة، حتى أهلكتهم أمة بعد أخرى، وهو

---

(١) هذه مشكلاتهم، ص ١١٤.

(٢) هذه مشكلاتهم، ص ١١٥.

(٣) مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص ١٥٥.

يحكي ذلك إرهابا للعرب المستكبرين وتسلية للنبي وتسرية له ﷺ وفي موضع آخر يقول له: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، فأين موضع الخيال في هذه الوقائع؟)(١)

قال آخر: ويضرب مثالا آخر على ذلك، فيقول: (بعد أن قص الله عز وجل قصة يوسف عليه السلام، وشرح أطوار حياته منذ اختطف إلى أن صار ملك مصر، قال عنه وعن غيره من المسلمين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فأين موضع الخيال هنا؟)(٢)

قال آخر: ثم عقب على هذه الأمثلة بقوله: (إن اتهام القرآن بأنه يعرض خيالات فنية أو يمزج في سياقه بين الواقع والخيال، اتهام لا مسوغ له، وهو في نظرنا بلاهة نشأت عن اتباع المستشرقين، والمستشرقون يحسون ما في كتبهم من غثاثة وعوج وبعد عن الحق، ويريدون الإيهام بأن القرآن لا يزيد على غيره! وهذا كذب لا يروج عند عاقل)(٣)

ج. محمد أركون:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الثاني.. فحدثونا عن الثالث.

قال أحد المبدلين: الثالث هو محمد أركون، وهو جزائري من مواليد ١٩٢٨، أتم دراسته بباريس ١٩٥٥ وحصل على الدكتوراه من السربون ١٩٦٩ حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية.. ومعظم

(١) مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص ١٥٥.

(٢) مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص ١٥٦.

(٣) مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ص ١٥٦.

مؤلفاته بالفرنسية، وهو حداثي يدعو إلى التعامل مع القرآن الكريم بالمقاييس الغربية، وبالاستفادة من المعطيات التي اتبعها فلاسفة الغرب، وهو يعتبر الدين الذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلفها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة.

قال آخر: وهو من أبرز الحداثيين المهتمين بنزع القداسة عن الوحي الإلهي، وفي كل كتبه، فهو يذكر أن ما يسميه [ظاهرة التقديس] للقرآن الكريم، من ممارسات (الذين يستمتعون في اجترار نفس الكلام بسبب الكسل أو الجهل)، ويرى أن المشروع الأسمى هو أن (نجمد كالأقنوم عامل التقديس الموجود في القرآن والأناجيل والتوراة)، وأنه لابد من (بلورة نظرية مرضية لظاهرة التقديس، أو لانبثاق ظاهرة التقديس ومنشئها ومسارها داخل الوعي، ودعاماتها المتغيرة في الوجود البشري، فإننا عندئذ نكتشف أن مشاكل الصحة والموثوقية أو الاختراع والتحريف الذي لحق بالنصوص المتلقاة على أنها مقدسة، أقول: نكتشف بأن هذه المشاكل ثانوية في الحقيقة، أن منطق الثالث المرفوع [منطق الصحة أو اللاصحة] يبدو عندئذ تافها لا أهمية له لأننا نكتشف قارات أخرى من الحقيقة النفسية واللغوية والتاريخية للإنسان، كانت هذه القارات قد طمرت أو طمست وأزيحت من ساحة البحث والتفكير عن طريق ثيولوجيا من نوع منطقي ـ مركزي)[1]

قال آخر: وقد صرح بأن هدف مشروعه الفكري هو هدم التراث المعرفي الإسلامي، بل حتى المقدس منه، فقال: (كل من يقرأ كتاباتي يعرف أني حريص كل الحرص على نقد التراث المعرفي الإسلامي منذ ثلاثين عاما، وأنا أحاول انتهاك أطره التقليدية الموروثة الجامدة وتحديداته ومفاهيمه ورؤيته للعالم وللوجود.. لكي أفتح له آفاقا لم تكن في الحسبان، ولكي أخرجه من عزلته وإغلاقه الدغمائي المزمن)[2]

---

(١) الإسلام والحداثة: ص ٥٨.

(٢) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص ١٥٠.

قال آخر: وفي محاضرة له في ندوة الإسلام والحداثة اعترض عليه أحد الحاضرين وطلب منه احترام المقدسات وخاصة الوحي والتنزيل، فأجابه بقوله: (بالطبع، معك بعض الحق، وقد نبهت منذ البداية إلى أنه ينبغي أن نسير في موضوع الحداثة بتؤدة وبطء فالأرض مزروعة بالألغام، ولكنك تستخدم كلمات كثيفة جدا ومثقلة بالدلالات التاريخية دون أن تحاول تفكيكها أو تحليلها.. كل هذه التعابير المصطلحية الأساسية التي ورثناها عن الماضي [كمفردات الإيمان والعقيدة بشكل خاص] لم نعد التفكير فيها الآن، ونحن نستخدمها وكأنها مسلمات وبدهيات ونشربها كما نشرب الماء العذب، هذا ما تعودنا عليه منذ الصغر ومنذ الأزل، ولكن إذا صممنا على أن ندخل فعليا في مناخ الحداثة العقلية، فماذا نرى؟ ماذا تقول لنا الحداثة بخصوص هذه المفردات الضخمة الكثيفة التي تملأ علينا أقطار وعينا؟.. ماذا تقول لنا بخصوص هذه المصطلحات الإيمانية المشحونة بالمعاني وظلال المعاني.. عندما يستخدم المرء بشكل عفوي هذا المعجم الإيماني اللاهوتي القديم لا يعي مدى ثقله وكثافته وشحنته التاريخية وإبعاده المخفية، وكل الأخطار المرافقة لاستخدامه، فمثلا عندما يقول المؤمن التقليدي أن هناك أشياء لا تتغير ولا تتبدل، وعندما يقول هناك المقدس [أو الحرم باللغة الإسلامية الكلاسيكية].. وينبغي عدم التساؤل حوله أو مسه، وعندما يقول: هناك الوحي، وكل هذه الأديان انطلقت من النقطة نفسها: الوحي.. عندما يقول كل ذلك فإنه يستخدم لغة كثيفة أكثر مما يجب، هكذا تلاحظون أني استخدم صفة كثيفة أو ثقيلة [بمعنى الوزن] الحيادية لكيلا أطلق أي حكم قيمة، ماذا تعني هذه الكلمة؟ إنها تعني أن كواهلنا تنوء تحت ثقل أكياس هذا المعجم القديم، فهو أثقل من أن نحتمله أو نستطيع حمله بعد الآن.. ففي هذه الأكياس [أكياس المعجم التقليدي] أشياء كثيرة لا شيء واحد، وينبغي أن نفتحها لكي نعرف ما فيها، لم نعد نقبل الآن بحملها على أكتافنا وظهورنا دون أي تساؤل

عن مضمونها كما حصل طوال القرون الماضية، ماذا تقول لنا الحداثة بخصوص كل واحدة من هذه الكلمات والمصطلحات الثيولوجية القديمة؟.. ماذا تقول لنا إذا ما قبلنا أن ندخل فعلا في مناخ الحداثة ونتنفس هواها الطلق؟)[1]

قال آخر: ثم يسترسل في كلامه ليصل إلى قضية [الوحي] فيقول: (أتمنى هنا عندما تلفظ كلمة الوحي أن تشعر بأنها كلمة شديدة الخطورة والأهمية، وأنه لا يمكننا استخدامها بسهولة وبمناسبة ودون مناسبة، بمعنى أننا لا نفهمها جيدا، وإنها بحاجة لأن تخضع لدراسة جديدة دقيقة لا تقدم أي تنازل للتصورات الألفية التي فرضتها العقائد الدوغمائية الراسخة، أتمنى أن ننظف من كل ما علق بها من أوشاب إيديولوجية، وذلك لأن العقائد الدوغمائية الراسخة تحمل في طياتها الكثير من الإيديولوجية.. إن عملنا يتمثل في عزل، وفرز كل ما أضيف إلى كلمة وحي من أشياء تثقلها وتجعل منها أداة إيديولوجية أو آلة إيديولوجية من أجل الهيمنة والسيطرة، وليس فضاء للمعرفة المنفتحة على الكون، وهذا إشكالي، فنحن لا نعرف بالضبط ما هو الوحي، وأستطيع أن أقول الآن ما يلي: لا توجد حتى هذه اللحظة التي أتكلم فيها أمام أي مكتبة في العالم، ولا أي كتاب في أية لغة من لغات العالم يطرح مشكلة الوحي على طريقة العقلانية الحديثة ومنهجيتها)[2]

قال آخر[3]: وقد وصل الأمر به إلى حد التشكيك في القرآن الكريم نفسه، حيث يذكر أنه لا يوجد اليوم على وجه الأرض نص صحيح للقرآن، وأن النص القرآني الموجود اليوم نص محرّف، وأن النص الأصلي شبه مفقود.. ومن أطرف مشروعات أركون لحل هذه المشكلة التي يراها أنه لا يمكن أن نصل للنص الصحيح للقرآن إلا إذا وصلنا إلى

---

(1) الإسلام والحداثة: ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(2) المصدر السابق ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(3) استفدنا المادة العلمية هنا من مقال بعنوان: مصحف البحر الميت، إبراهيم السكران، استعرض فيه صاحبه أقوال أركون المشككة في القرآن الكريم.

مخطوطات موجودة في البحر الميت، هذه المخطوطات اللاهوتية في البحر الميت ستوصلنا إلى النص الصحيح للقرآن.

قال آخر: وقد عبر عن ذلك بقوله: (لنذكر الآن المهام العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القرآني.. أي نقد القصة الرسمية لتشكيل القرآن، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية سواءً كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني، هكذا نتجنب كل حذف تيولوجي لطرف ضد آخر، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضاً محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً)[1]

قال آخر: وهو لا يكتفي بذلك، بل يرى أن جزءاً من القرآن الكريم موجود في خزائن غامضة في الهند واليمن، وإذا استطعنا الوصول لهذه الخزائن فربما أمكننا إعادة كتابة القرآن، وقد قال معبرا عن ذلك: (يفيدنا في ذلك أيضاً سبر المكتبات الخاصة عند دروز سوريا، أو إسماعيلية الهند، أو زيدية اليمن، أو علوية المغرب، يوجد هناك في تلك المكتبات القصية وثائق نائمة متمنعة، مقفل عليها بالرتاج، الشئ الوحيد الذي يعزينا في عدم إمكانية الوصول إليها الآن هو معرفتنا بأنها محروسة جيداً)[2]

قال آخر: بل يضيف إلى ذلك زعمه أن هناك مخطوطات ثمينة تدلنا على النصوص المفقودة للقرآن قد تم تدميرها، فهو يقول: (يبدو لي أنه من الأفضل أن نستخلص الدروس والعبر من الحالة اللامرجوع عنها، والتي نتجت عن التدمير المنتظم لكل الوثائق الثمينة الخاصة بالقرآن، اللهم إلا إذا عثرنا على مخطوطات جديدة توضح لنا تاريخ النص وكيفية

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، أركون، ٢٩٠.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، أركون، ٢٩١.

تشكله بشكل أفضل)[1]

قال آخر: وانطلاقا من ذلك يدعو إلى إنجاز [طبعة محققة] من القرآن تتجاوز أخطاء النسخ الموجودة بين أيدينا اليوم، ويتحسر لأن المستشرقين المعاصرين لم يعودوا يفعلون ذلك كما كان يفعله قدماء المستشرقين، يقول في ذلك: (المعركة التي جرت من أجل تقديم طبعة نقدية محققة عن النص القرآني؛ لم يعد الباحثون يواصلونها اليوم بنفس الجرأة كما كان عليه الحال في زمن نولدكة الألماني وبلاشير الفرنسي)[2]

قال آخر: وهو ينسب ما يطلق عليه [ضياع القرآن] إلى العلماء الذين قاموا بالتلاعب بالقراءات القرآنية لصناعة نص منسجم، يقول في ذلك: (نحن نعلم كيف أنهم راحوا يشذبون [قراءات القرآن] تدريجياً، لكي تصبح متشابهة أو منسجمة مع بعضها بعضاً، لكي يتم التوصل إلى إجماع أرثوذكسي)[3]

قال آخر: وفي أحد كتبه عقد مبحثاً بعنوان (فرضيات الخطاب الإسلامي المعاصر) وذكر منها الفرضية التالية: (الفرضية الأولى: أن الصحة التاريخية للمصحف قد تأكدت منذ الجمع الذي تم في خلافة عثمان، وكل تشكيك بظروف هذا التشكيل يعتبر زندقة)، ثم انتقد هذه التي يسميها فرضية، وقال (إن طراز وجود الإسلام في التاريخ مرتبط بالحفاظ على هذه الفرضيات، على الرغم من التكذيب القاطع الذي تلقاه من جهة الواقع والنقد العلمي الحديث معاً)[4]

قال آخر: ولذلك؛ فهو يرى أن حفظ القرآن وصحة جمعه ليس عقيدة إسلامية، بل [فرضية] يكذبها الواقع والنقد العلمي.. ومن أسباب ضياع نص القرآن ـ كما يتصور ـ أن

---

(١) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون، ٤٥.

(٢) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون، ٤٤.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ١١١.

(٤) الفكر الاسلامي قراءة علمية، أركون، ٦٦.

الصحابة لم يكونوا أمناء في نقل القرآن من قراءة الرسول إلى التدوين، يقول: (الخطاب القرآني ـ وهو ـ البلاغ الشفهي من الرسول في مواقف استدعت الخطاب، ولن تنقل جميعها بأمانة إلى المدونة الرسمية المغلقة)[1]

قال آخر: ويشير أركون دوماً إلى أن جمع القرآن الكريم فيه خلل يجب تصحيحه، يقول: (نحن نجد أنفسنا اليوم عاجزين أكثر من أي وقت مضى عن فتح الإضبارات التي أغلقت منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين والتي تخص المصحف وتشكله)[2]

قال آخر: هذا بالنسبة لموقفه من نقل القرآن، أما بالنسبة لمحتوى القرآن الموجود حالياً، فيرى أركون أن النبي ﷺ اقتبس من الأساطير الموجودة في عصره وأدخلها باعتبارها قرآنا، يقول: (إن أساطير غلغامش، والاسكندر الكبير، والسبعة النائمين في الكهف؛ تجد لها أصداء واضحة في القرآن)[3]

قال آخر: وهو يرى أن هذا هو عامة أسلوب النبي ﷺ في القرآن، وهو أسلوب استعمال الأساطير للتأثير على الأتباع، يقول: (ينبغي القيام بتحليل بنيوي لتبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة)[4]

قال آخر: ويذكر أركون أن القصص التي في القرآن الكريم أخذها النبي ﷺ من التوراة مع شيء من التصرف والتعديل، يقول في ذلك: (مهمة التحليل التاريخي لا تتركز في الكشف عن المؤثرات التي أتت من مصدر موثوق وصحيح وهو التوراة، وبالتالي إدانة الأخطاء والتشويهات والإلغاءات والإضافات التي يمكن أن توجد في النسخة القرآنية

---

(١) نافذة على الإسلام، أركون، ٦٥.

(٢) الفكر الاسلامي قراءة علمية، أركون، ٣٠.

(٣) الفكر الاسلامي قراءة علمية، ٨٤.

(٤) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٢٠٣.

بالقياس إلى النسخة التوراتية)[1]

قال آخر: وأما موقفه من القضايا الأخرى التي تضمنها القرآن الكريم فيرى أركون أننا لو درسنا التاريخ لوجدنا أن القرآن فيه مغالطات تاريخية وأخطاء في تصوير الواقع، يقول في ذلك: (ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط، والحذف، والإضافة، والمغالطات التاريخية؛ التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس)[2]

قال آخر: بل إنه يرى أن القرآن ظلم المشركين وقسا عليهم دون مبرر، حيث أقصاهم ولم يقدم أي مسوغات لهذا الإقصاء، يقول في ذلك: (نلاحظ أن وصف المعارضين يختزل إلى كلمة واحدة هي [المشركون] لقد رُمُوا كلياً ونهائياً وبشكل عنيف، في ساحة الشر والسلب والموت، دون أن يقدم النص القرآني أي تفسير أو تعليل لهذا الرفض والطرد)[3]

قال آخر: وهو يؤكد كل حين عن مسؤولية القرآن الكريم فيما يرى أنه تطرف إسلاموي، يقول في ذلك: (إن الأرثوذكسيات الحالية، أقصد الحركات الاسلاموية الناشطة حالياً، إذ تغلب دكتاتورية الغاية السياسية؛ هي في الواقع مخلصة لسورة التوبة، شكلاً ومضموناً، روحاً ولفظاً)[4]

قال آخر: ويقول: (إن الحركات الإسلاموية المعاصرة، بدأً من الإخوان المسلمين، وانتهاءً بالمحاربين الإيرانيين، مروراً بالتنظيمات الأكثر هيجاناً وعنفاً كالتكفير والهجرة؛ تشهد كلها بشكل ساطع على ديمومة النموذج القرآني وفعاليته، على الأقل من الناحية التعبوية والتجييشية)[5]

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ١٣٠.

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٢٠٣.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٩٦.

(٤) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٩٦.

(٥) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ١٠٦.

قال آخر: ولهذا يعتبر أن القول بأن المشكلة في الاسلاميين المتطرفين، وليست في القرآن، هروبا عن أصل المشكلة، لأن المشكلة عنده في القرآن ذاته، يقول في ذلك: (إنه لشئ أساسي أن نفهم أنه منذ المرحلة القرآنية راحت تتجمع وتتشكل كل عناصر الأرثوذكسية الإسلامية الصارمة)(١)

قال آخر: وهو يعقب على قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥] بقوله: (لقد اخترت الانطلاق من هذه الآية لأنها تشكل بالنسبة لسورة التوبة؛ الذروة القصوى للعنف الموجه لخدمة المطلق، الله المطلق)(٢)

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك يرى أن القرآن الكريم هو السبب في عدم اهتمام المسلمين بالعلوم العقلية، يقول في ذلك: (لقد لعب القرآن الدور الحاسم الذي نعرفه في توسع وانتشار ما لا نزال نمارسه الآن تحت اسم العلوم الدينية بصفتها مضادة للعلوم العقلية)(٣)

قال آخر: ويعبر عن ذلك في محل آخر بقوله: (لكي تحلل وتدرس وضع الإسلام الراهن في مواجهة الحداثة بشكل صحيح، فإنه من الضروري أن نوسع من مجال التحري والبحث لكي يشمل، ليس فقط الفكر الإسلامي الكلاسيكي، وإنما القرآن نفسه أيضا إن المهمة تبدو مرعبة لأسباب معروفة جيدا، سوف نرى، مع ذلك، لماذا هي شيء لابد منه، إذا ما أردنا أن نعالج بشكل دقيق المكان الذي أتيح للتاريخية أن تحتله في الإسلام)(٤)

قال آخر: وهكذا نراه ينتقد أسلوب القرآن، ويصفه بأنه أسلوب متشنج ومكرر،

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٩٦.

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٩٣.

(٣) قضايا في نقد العقل الديني، أركون، ٥٨.

(٤) الفكر الإسلامي: قراءة علمية لمحمد أركون: ص ١١٣ ـ ١١٤.

يقول عن أسلوب سورة التوبة: (يأتي تارةً على هيئة تكرار زائد، أو تبسيطات، أو تشنجات قاسية، تطلبتها طبيعة الظرف التاريخي، كما هو الحال في سورتنا هذه)[١]

قال آخر: ويذكر أن النقد الفيلولوجي استطاع أن يكشف القصور في أسلوب القرآن، فيقول: (لقد ذهب النقد الفيلولوجي إلى حد التقاط وكشف النواقص الأسلوبية في القرآن)[٢]

قال آخر: وانطلاقا من هذا لا يجد أي حرج نفسي في أن يصف القرآن بأنه [فوضوي]، فيقول: (بالنسبة لعقولنا الحديثة المعتادة على منهجية معينة في التأليف والإنشاء والعرض القائم على المحاجّة المنطقية؛ فإن نص المصحف وطريقة ترتيبه تدهشنا بفوضاها)[٣]

قال آخر: ولا يكتفي أركون بكل ذلك، بل يضيف إليه التشكيك في كون القرآن الكريم وحيا إلهيا؛ فيقول: (أصبحوا يقدمون الخطاب القرآني، لكي يُتلى ويُقرأ ويُعاش، وكأنه الكلام الأبدي الموحى به من قبل إله متعالٍ)[٤]..ويقول: (معضلة عويصة مشتركة لدى المسيحية والإسلام، أقصد تاريخية بعث يسوع المسيح، والصحة الإلهية للقرآن)[٥]

قال آخر: ولذلك يعتبر نسبة القرآن إلى الله هي [مزاعم تقليدية] يجب تجاوزها، فيقول: (لكي أفتتح حقلاً جديداً من التفكير تصبح فيه المزاعم التقليدية للمسيحية والإسلام معاً مُتَجاوزة، عن طريق دراسة مشاكل ماقبل البعث، والصحة الإلهية للقرآن)[٦]

قال آخر: وهو يشكك في إعجاز القرآن الكريم ودلالة ذلك على كونه وحيا إلهيا،

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ١٠٣.

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٢٠١.

(٣) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، أركون، ٨٦.

(٤) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، أركون، ١٤٦.

(٥) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٤٥.

(٦) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٤٦.

فيقول: (نلاحظ أن كل نظرية الإعجاز، أو الأصل الإلهي للقرآن؛ تشهد على الانتقال السري الخفي من مشكلة فكرية مثارة في الحالتين، أي حالة البعث وحالة القرآن؛ إلى حلول تبريرية وتبجيلية)[1]

قال آخر: ويندهش أركون كثيرا من أن المسلمين لا يعيرون هذه القضية شأناً، بل يعيشون مع القرآن ويستهدون به ولا يشكّون في نسبته إلى الله، ولايشكل لهم أزمة، وهذا أمر يزعجه، لأنه غير مقتنع بذلك، ويريد أن تكون للمسألة صدى، ويريد أن يعتبر المسلمون أن هذا سؤال ملح فعلاً ولا يوجد فيه يراهين حقيقية، يقول معبرا عن ذلك: (وبسبب أن القرآن قد أصبح حقيقة معاشة من قبل المسلمين، على كل مستويات الوجود الفردي والجماعي، فإن أي تساؤل يتعلق بمدى صحته كوثيقة تاريخية يصبح مسألة ثانوية أوهامشية)[2]

قال آخر: وتبعاً لكون أركون يستغرب من اعتقاد المسلمين بنسبة القرآن إلى الله، فهو ـ أيضاً ـ يستغرب وبنفس الدرجة كون المسلمين يعتقدون أن الشريعة من الله، يقول في ذلك: (السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف حصل أن اقتنع ملايين البشر أن الشريعة ذات أصل إلهي؟)[3]

قال آخر[4]: وهو يستعمل لتمرير هذه الطروحات الكثير من المصطلحات التي ينبهر بها مقلدوه وأتباعه، ويرددونها من غير وعي لمعانيها، كـ[الدوغمائية]، والتي يشرحها بقوله: (إن الدوغمائية تنظيم معرفي مغلق قليلا أو كثيرا من الاعتقادات واللااعتقادات المتعلقة بالواقع، إنها متمركزة حول لعبة مركزية للاعتقادات، ذات مفعول مطلق، وهي

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ٤٧.

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، ١٢٩.

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، أركون، ٢٩٦.

(٤) استفدنا المادة العلمية هنا من مقال بعنوان: القرآن والتاريخية عند محمد أركون، د.أحمد بوعو

.

تولد سلسلة من النماذج للتسامح واللاتسامح فيما يخص الآخر)[1]

قال آخر: ومنها [المرور من مرحلة الفكر الأسطوري إلى مرحلة الفكر التاريخي الإيجابي الواقعي]، والذي يرى أنه لم ينجز بالصفة المطلوبة في أية حضارة من الحضارات، ويكتفي أركون هنا بالقول بأن (إعادة الاعتبار للفكر الأسطوري، في الغرب، تمثل رد فعل على مرحلة الانتصار المتطرف للعقل التكنيكي، المركزي ـ المنطقي، والوضعي)[2]

قال آخر: ويصرح أركون بأن القرآن الكريم [خطاب ذو بنية أسطورية]، ويرى أنه يعتمد الأسطورة من أجل تعليم الحقيقة، ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، حيث يقول: (إن تأثير هذه القصص على وعي سامعي القرآن مختلف بحسب طريقة التلقي؛ أي إنها إما تتلقى عن طريق الوعي الأسطوري الدوغمائي، وإما عن طريق الوعي التاريخي (استدعاء التاريخية). مهما يكن من أمر، فإن مهمة التحليل التاريخي لا تتركز في الكشف عن المؤثرات التي أتت من مصدر موثوق وصحيح هو التوراة، وبالتالي، إدانة الأخطاء والتشويهات والإلغاءات والإضافات التي يمكن أن توجد في النسخة القرآنية بالقياس إلى النسخة التوراتية.. هنا يكمن، كما هو معروف، الهم الأساسي للنقد الفيلولوجي. إنه لينبغي، على العكس، أن نبين فيما إذا كان الإخراج الأدبي (الصياغة الأدبية) للقصص القرآني قد تمكنت من توصيل حقيقة كينونية مؤسسة للوجود، وشكلت نظرة الإنسان، أم أنها اكتفت فقط بالمحاجة الجدالية لرفض المعارضين ـ الجاحدون العرب، اليهود، المسيحيون ـ)[3]

---

(١) محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ١٣.

(٢) محمد أركون، الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص ١٢٦.

(٣) محمد أركون، الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص ١٣٠.

د. عبد الكريم سروش:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الثالث.. فحدثونا عن الرابع.

قال أحد المبدلين[1]: الرابع هو عبدالكريم سروش.. وهو رجل ينطبق عليه تماما قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦]؛ فالرجل بعد أن كان واعيا عاقلا مفكرا إصلاحيا إذا به، وبسبب تعرضه للموجة الحداثية، وتعرضه قبلها لموجة الكشفيين، انقلب انقلابا تاما، فصار لا يختلف عن نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون، وغيرهما من المبدلين الذين دعوا إلى الدخول إلى القرآن الكريم من زاوية تاريخية، بل إنه تفوق على جميع أقرانه، حيث اعتبر القرآن الكريم ليس نتاجاً للظروف التاريخية الخاصة، والتي تكوّن في صلبها فحسب، وإنما هو كذلك منبثق من ذهن رسول الله ﷺ مع كل ما يحيط به من القيود البشرية.

قال آخر: وقد وضح رأيه هذا بتفصيل في مقابلة صحفية أجراها معه مايكل هوبنغ مراسل إذاعة هولندا، وسنذكر لكم ما قاله في ذلك الحوار حتى لا تتهمونا بالتجني عليه.

قال آخر: وكان أول سؤال سأله الصحفي حول رأيه ذلك، هو قوله له: (كيف يمكن النظر إلى شيء مثل الوحي كحقيقة ذات معنى في عصر متطوِّر يدعو إلى التحرر من الوهم والخرافة؟)، فأجابه بقوله: (إن الوحي (إلهام)، وهو التجربة التي يخوضها الشعراء والعرفاء، وإن كان النبي يخوضها بدرجة أرفع وأسمى.. في العصر المتطوِّر يمكننا فهم الوحي من خلال الاستعارة الشعرية، كما قال أحد الفلاسفة المسلمين: الوحي أسمى

---

(١) كلام الله. كلام محمد ﷺ، حوار مع د. عبدالكريم سروش، ترجمة: حسن مطر الهاشمي، مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٢.

درجات الشعر.. إن الشعر أداة معرفية تختلف في وظيفتها عن العلم والفلسفة، فالشاعر يتصور أن مصدراً خارجياً يلهمه، وإن الشاعرية استعداد وقريحة مثل الوحي تماماً، فيمكن للشاعر أن يفتح آفاقاً جديدة أمام الناس، وأن يريهم العالم من زاوية أخرى)[1]

قال آخر: وعندما سأله: (إنك تذهب إلى ضرورة اعتبار القرآن نتاج عصره، فهل يتضمن ذلك أن يكون للنبي دور فعال وحاسم في إبداع هذا النص؟)، أجابه بقوله: (طبقاً للرواية التقليدية لم يكن النبي سوى وسيلة، حيث يؤدي إلى الناس ما يأتيه به جبريل، لكني أرى أن النبي كان له دور محوريّ في خلق القرآن، وإن الاستعارة الشعرية تساعد على توضيح هذه الحقيقة، فالنبي يحسّ ـ مثل الشاعر تماماً ـ أن قوة خارجية تستحوذ عليه، ولكنه في الواقع وفي جميع الأحوال يقوم بكل شيء، وفي الحقيقة كون هذا الإلهام نابعاً من الداخل أو من الخارج لا موضوعية له هنا؛ إذ لا تمايز بين مستويات الوحي على الصعيد الداخلي أو الخارجي، إن هذا الإلهام ينبثق من (نفس) النبي، و(نفس) كل شخص إلهية، إلا أن النبي يختلف عن سائر الأشخاص؛ ذلك انه أدرك إلهية هذه النفس، ويخرج ما بالقوة إلى ما بالفعل، وقد اتحدت نفسه مع الله)[2]

قال آخر: ثم عقب على هذا بقوله: (وأرجو عدم إساءة فهم كلامي هذا، فإن هذا الاتحاد المعنوي مع الله لا يعني صيرورة النبي إلهاً، فهذا الاتحاد محدودٌ بحدود النبي ومحتواه البشري، وليس بما لله من سعة مطلقة في الأبعاد)[3]

قال آخر: ثم اقتبس من جلال الدين الروم بعض الأبيات الموهمة لهذا بحسب زعمه، فقال: (وقد بين جلال الدين مولوي الشاعر العارف هذا المعنى الموهم للتناقض بأبيات

---

(1) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٣.

(2) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٤.

(3) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٥.

شعرية مفادها: (إن اتحاد النبي مع الله مثل صبّ مياه المحيط في الدورق)، إلا أن النبي خالق للوحي بشكل آخر، فالذي يحصل عليه من الله هو مضمون الوحي، ولكن هذا الوحي لا يمكن بيانه للناس بذلك المضمون؛ لأنه يفوق مستوى فهمهم، بل هو فوق مستوى الكلمات، فهذا الوحي فاقد للصورة، وعلى النبي أن يصوغه في إطار صوري؛ ليجعله في متناول فهم الجميع، فيقوم كما يفعل الشاعر بصياغة هذا الإلهام بأدواته اللغوية وأسلوبه الخاص، وما يتوفر له من علم وثقافة، كما أن لشخصيته دوراً مهماً في صياغة هذا النص، وكذلك سيرته وحياته، بما في ذلك: والده، ووالدته، ومرحلة صباه، وحتى حالاته الروحية، ولو قرأتم القرآن تشعرون أن النبي أحياناً يكون في قمة الجذل والفصاحة، بينما يكون في أحيان أخرى مفعماً بالملل، وتجده عادياً في كلامه، وجميع ذلك قد ترك تأثيره على النصّ القرآني، وهذه هي الناحية البشرية التامّة من الوحي)[1]

قال آخر: وعندما سأله: (إذاً للقرآن جنبة إنسانية وبشرية، مما يعني إمكان وقوع الخطأ فيه؟)، أجابه بقوله: (من جهة النظر التقليدية لا مجال لتطرق الخطأ في الوحي، وأما في العصر الحاضر فهناك الكثير من المفسِّرين يذهبون إلى اقتصار عصمة الوحي على المسائل الدينية البحتة، مثل: صفات الله، والحياة بعد الموت، وأسس العبادة، وأما في ما يتعلق بمسائل هذا العالم والمجتمع الإنساني فيمكن للخطأ أن يتطرق إلى الوحي من وجهة نظر هؤلاء المفسرين، فليس من الضروري أن يكون ما ذكره القرآن من الوقائع التاريخية وسائر الأديان والموضوعات العلمية صحيحاً، ودليل هؤلاء المفسرين أن هذا النوع من الأخطاء في القرآن لا يؤثر سلباً على نبوة النبي؛ لأنه إنما نزل منسجماً مع المستوى الفكري السائد في المجتمع آنذاك، وموافقاً للغته، أما أنا فأذهب إلى رأي آخر، حيث لا أتصور أن النبي قد

---

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٥.

تكلم بلغة قومه وهو يتمتع بعلوم ومعارف مختلفة، وإنما كان النبي مؤمناً بما يقول حقيقة، فكانت تلك هي لغته، وكان الفكر فكره، ولا أتصور أن علمه بشأن الأرض والكون وتكوين الإنسان أكثر من المعاصرين له، فان العلم الذي وصلت إليه الإنسانية حالياً لم يكن للنبي علم به، وهذا لا يؤثر على النبوّة سلباً؛ لأنه إنما كان نبياً، ولم يكن عالماً أو مؤرِّخاً)[1]

قال آخر: وعندما سأله قائلا: (تشيرون كثيراً إلى الفلاسفة والعرفاء في القرون الوسيطة، مثل: مولوي، فما هو مدى جذور نظريتكم حول القرآن في التراث الإسلامي؟)، أجابه بقوله: (إن جذور الكثير من أفكاري تعود إلى القرون الإسلامية الوسيطة، وإن القول بأن النبوة عامة، ويمكن العثور عليها بين مختلف أصناف البشر، موجود في الإسلام الشيعي، وعند العرفاء؛ فالشيخ المفيد ـ وهو المتكلم الشيعي الكبير ـ لا يعتبر الأئمة أنبياء، ولكنه يمنحهم جميع خصائص الأنبياء، وكذلك يذهب الكثير من العرفاء إلى أن تجربتهم من نوع تجارب الأنبياء، كما جاء الاعتقاد ببشرية القرآن وأنه في معرض الخطأ بالقوة تلويحاً في كلمات المعتزلة، حيث ذهبوا إلى القول بخلق القرآن، ولم يعمد العلماء في العصور الوسيطة إلى بيان هذه الآراء بشكل واضح ومدوَّن، وفضَّلوا الإشارة إليها ضمن طيات كلماتهم وأقوالهم المتفرقة؛ رغبةً منهم في عدم إثارة البلبلة في أذهان عامة الناس، الذين لم يكن في وسعهم هضم هذه الأفكار واستيعابها، من باب المثال: نجد مولوي يقول: (القرآن مرآة ذهن النبي)، ومعنى ذلك أن شخصية النبي وحالاته المتغيرة، وأوقاته السعيدة والعصيبة، منعكسة في القرآن، أما ابن مولوي فقد ذهب إلى أكثر من ذلك حيث قال في واحد من كتبه: إن تعدد الزوجات إنما أجيز في القرآن لأن النبي كان يحبّ النساء، ولهذا السبب أباح لأتباعه الزواج من أربع نساء!)[2]

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٦.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٧.

قال آخر: وعندما سأله: (ما هي تداعيات نظريتكم على المسلمين المعاصرين في تعاطيهم مع القرآن بوصفه كتاباً ومرشداً أخلاقياً؟)، أجابه بقوله: (إن اعتبار القرآن بشرياً يسهّل عملية التمييز بين جوانبه الذاتية والعرضية، فبعض المسائل الدينية قد تكونت على نحو تاريخي وثقافي، ولم يعد لها موضوعية في العصر الراهن، وهذا الأمر يصدق على العقوبات الجسدية المذكورة في القرآن، فلو كان النبي يعيش في بيئة أخرى لما شغلت هذه العقوبات حيّزاً من رسالته الدينية، وعلى المسلمين المعاصرين أن يعملوا على ترجمة القرآن وفقاً لمقتضيات الزمن، حيث بالامكان العثور على مثلٍ آخر يحمل نفس الروح والمعنى، وهذا شبيهٌ بترجمة الأمثال من لغة إلى أخرى، حيث لا تتم ترجمتها حرفياً، وإنما يبحثون عن مثل آخر يحمل نفس الروح والمعنى والمضمون، فمثلاً: هناك مثل عربي يقول: (كناقل التمر إلى هجر)، فإذا أردنا ترجمته إلى اللغة الانجليزية نقول: (كحامل الفحم الحجري إلى نيوكاسل)، إن الإدراك التاريخي والبشري للقرآن يجيز لنا ذلك، وأما إذا أصررنا على اعتبار القرآن كلاماً غير مخلوق، وأنه كلام الله الخالد، والذي يتعيّن علينا تطبيقه بحرفيته، فإننا سنقع في مشكلة عويصة لا يمكن حلّها)[1]

قال آخر: هذه خلاصة آرائه كما عبر عنها بنفسه، وهي لا تختلف كثيرا عن أطروحات غيره، بل لا تختلف حتى عن أطروحات المشركين الذين اتهموا رسول الله ﷺ بكونه شاعرا، وكل ما زاده سروش، هو ربط ذلك بالعرفان واستناده إلى ما توهمه من أقوال الصوفية، والذين كان عليه أن يناقشهم، لا أن يتبعهم، ثم يدعو إلى الحداثة والعصرنة.

قال آخر: وقد رد عليه، وعلى شبهاته الكثير من العلماء الكبار، والذين يمكن الاستفادة من ردودهم وإجاباتهم، لا في الرد على سروش وحده، وإنما على كل من ادعى

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص١٩.

دعواه، أو سيدعي دعواه.

قال آخر: [1]: وسنكتفي من تلك الردود بما ذكره العلامة جعفر السبحاني.. فبعد نشر عبد الكريم سروش لرؤيته حول القرآن الكريم والنبي ﷺ عبر وسائل الإعلام المكتوبة والإلكترونية بادر عدد من المفكرين في الحوزة والجامعة إلى تقييم هذهِ البحوث وإخضاعها للنقد والتمحيص، وكان أحد هذهِ الأجوبة مقالاً مهما بقلم العلامة السبحاني، وبعد ذلك بعث الدكتور سروش رسالة جوابية على مقال الشيخ السبحاني، فردّ الأخير على هذهِ الرسالة ثانية، وقد تم نشر هذهِ الرسائل الثلاث في الصحف.

قال آخر: وقد بدأ العلامة السبحاني جوابه لسروش بنصيحة يطلب منه فيها مراعاة زمن ومكان طرح مثل هذه الإشكالات التي هي أقرب إلى الفضول منها إلى البحث العلمي، فقال: (لقد بلغت عداوة الغرب للإسلام ذروتها، بعد أن حمل الإعلام الهولندي لواءها بالأمس ليدفعه اليوم إلى الإعلام الدانمركي، فيبلغنا أن البلد الأخير قد نهض بأعباء مناهضة الإسلام من خلال الفن التشكيلي، ويسعى إلى تشويه صورة النبي ﷺ والقرآن أمام الرأي العام من خلال الرسوم الكاريكاتورية وعرض الأفلام، في مثل هذهِ الظروف والأوضاع قرأت حواراً للسيد عبد الكريم سروش قد نُشر على أحد مواقع الإنترنت، ولا أستطيع القول من دون دليل قاطع أن ما قرأته في هذا الحوار يمثل رأي الدكتور سروش، إلا أنني أستطيع أن أعتبر سكوته وصمته إزاء هذا التقرير ذنباً لا يغتفر، ففي الظروف التي شمر فيها ملاحدة الغرب عن سواعدهم لمحاربة الإسلام وتهميش المسلمين يصدح شخص عاش في الأوساط الإسلامية، وترعرع بين العلماء والمفكرين، ولطالما كان كلامه

---

(1) انظر: بنية الوحي وحقيقة القرآن، حوار هام بين د، سروش والشيخ جعفر السبحاني، إعداد وتنظيم: محمد تقي فاضل، ترجمة: السيد حسن علي مطر الهاشمي.مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٤.

زينة الإعلام الإيراني، بكلام مفاده أن القرآن الموجود بين أيدينا هو من صنع النبي، وقد تفتق عنه ذهنه! وإنّ النبي كان له الدور المحوري في إيجاد القرآن!)[1]

قال آخر: ثم ذكر أسفه على عدم استجابة سروش لنصائحه الودية السابقة على هذا الطرح؛ فقال: (لقد أرسلت رسالة مفتوحة للسيد سروش نوهت فيها إلى شطحاته في مسألة الإمامة والخلافة، وطالبته مرة أخرى بالعودة إلى أحضان الأمة الإسلامية، وخاصة العلماء والحوزات العلمية، وليعلم أن هذا النوع من الضوضاء والضجيج سريع الزوال، فهو كزبد الأمواج التي تتكسر على رمال السواحل، ثم تضمحل ولا يبقى منها أثر، ولا يبقى غير الحق والحقيقة، وكنت أتصور أن تلك الرسالة الأبوية ستؤثر فيه ـ إذ أعرب الذين قرأوها عن إعجابهم بها ـ إلا أن حواره الأخير قد زاد من حزني وأسفي، وأخذت أفكر في مدى سعة هوّة الانحراف لدى هذا الشخص، وكونها آخذة في الاتساع يوماً بعد يوم، وطفقت أتساءل عن سبب ذلك، مع أنه ربيب الحوزة والجامعة، وبرغم صباحة وجهه وعذوبة بيانه، وقد كان مدرساً لنهج البلاغة مدة طويلة، وكان يفسر خطبة همام بأسلوب مؤثِّر وأخاذ، فما الذي أصابه يا ترى حتى يبتعد عن هذهِ المجموعة كل هذا البعد!؟.. إلا أنني سأتجاوز هذهِ المقدمة، وأبقي على بوابة الأمل في صلاحه مفتوحة على مصراعيها، من خلال كتابة هذهِ الرسالة، ونقد أفكاره، عسى أن يقرأها، ويعود إلى أحضان الإسلام)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن المنطلقات النفسية التي دفعت سروش إلى القول بذلك، وهي نفس المنطلقات التي انطلق منها جميعا الحداثيين، فقال: (ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان القديمة جماعة تقول بمذهب الشك في كل شيء، حتى في وجودهم، وأخذوا يشيعون أفكارهم وعقائدهم الغريبة، وقد سيطر الفكر السفسطائي على الذهنية

---

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٥.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٦.

اليونانية ردحاً من الزمن، حتى تم القضاء عليه بعد ذلك من قبل الحكماء والعلماء الكبار، كسقراط وأفلاطون وأرسطو، حيث أظهروا المغالطات التي كانت تنطوي عليها أدلتهم، وتمكنوا من القضاء على وباء السفسطة، وتمكن أرسطو من خلال تدوين علم المنطق من تنظيم الفكر على الأسس الواقعية، وبرغم ذلك لم يمض وقت طويل حتى ظهر مذهب آخر باسم (اللاأدرية) على يد (بيرهون، ٢٧٥ ـ ٣٦٥ م)، وتحول مذهب إنكار الواقع إلى مذهب الشك المطلق، إلا أن هذا المذهب لم يكتب له البقاء طويلاً، وسرعان ما دفن في مقابر التاريخ)[1]

قال آخر: ثم تحدث عن تسلل هذا المذهب إلى الغرب في نهضته التنويرية، والتي تتلمذ عليه فيها أعلام الحداثيين من المسلمين، فقال: (وقد ظهر مذهب التشكيك في الانبعاثة الغربية التي حدثت مؤخراً، متخذة هيئة علمية، وقد تجلت همم مجموعة من فلاسفة الغرب ـ بدلاً من رفع بناء الفلسفة الرصين ـ في تقويض هذا البناء ثانية، وكان كلّ ما أبدعوه هو الحديث بشك وترديد، وكما قال السيد فروغي: لم يبلغ إبداع الفلاسفة الإنجليز إلا أن حطموا صرح الفلسفة الرفيع الذي كان قائماً، دون أن يضيفوا شيئاً جديداً)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن محل الشك من البحث العلمي، وأنه ليس مقصودا لذاته، فقال: (لا جدال في كون الشك معبراً إلى اليقين، فما لم يشك الإنسان لا يصل إلى اليقين، إلا أن الشك إنما يكون مرغوباً فيه إذا كان قنطرة موصلة إلى اليقين، وأن يكون ممراً لا مقرّاً، ولكن للأسف الشديد يبدو أن الشك عند هذهِ الجماعة قد أضحى مقراً، ولم ينظروا إليه

---

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٧.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٧.

كممرّ)[1]

قال آخر: وذكر الآفة الثانية التي دعت إلى ذلك الطرح، وهي الآفة التي بسببها كثرت المشاريع الحداثية، وهي (الآفة الناتجة عن النهج التشكيكي.. وتكمن في طرح النظريات دون إقامة أدنى دليل أو برهان عليها، وكلما قيل لهم: ما هو دليلكم على ذلك؟ يقولون: (أنا أفكر)، ولكن سؤالنا هو: لماذا تلجأون إلى مثل هذا التفكير؟ وإذا قيل لهم: هاتوا برهانكم يغدو السؤال محظوراً)[2]

قال آخر: وبعد هذه المقدمات المهمة النافعة بدأ العلامة السبحاني في الرد المفصل على أطروحات سروش بعد تحليلها إلى مجموعة من العناصر والمقدمات.

قال آخر: وأولها اعتبار سروش أن الوحي إلهام يشبه الهام الشعراء والعرفاء، وأن الفرق بينهما لا يعدو درجة ذلك الإلهام، واعتباره أنه يمكن (فهم الوحي في عصرنا المتطور من خلال الاستفادة من الاستعارات الشعرية)، واستناده ـ كما يذكر لبعض فلاسفة المسلمين وادعاؤهم أن الوحي أعلى درجات الشعر.

قال آخر: وقد أجابه العلامة السبحاني على هذا الطرح بقوله: (إن هذهِ النظرية ليست نظرية جديدة، فهي نفس ما كان يقوله المشركون في مكة بشأن تفسيرهم لظاهرة القرآن، حيث كانوا يقولون: كما يخلق امرؤ القيس المعاني والألفاظ في ضوء الإلهام كذلك يصنع محمد، حيث يصوغ الألفاظ والمعاني، ومن المؤكد أن مرادهم من الشعر ليس هو الشعر المنظوم، بل هو ما يتوصل إليه الإنسان ويتخيله عن طريق التفكير، سواء أكان في قالب النظم أو في قالب النثر، والقرآن الكريم ينقل هذهِ النظرية عنهم وينتقدها، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٧.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٨.

بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].. وأحياناً يفسرون القرآن بأحد طرق ثلاثة تنتهي بأجمعها إلى غاية واحدة، وهي أن القرآن من بنات أفكار النبي ﷺ، فيقولون حيناً: إنها أحلام ومنامات، وتارة: إنه متقوّل على الله، وتارة أخرى: إنه شاعر صاغ تصوراته في قالب القرآن، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، وقال تعالى في نقد هذهِ الأقوال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، وفي آية أخرى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩])[١]

قال آخر: ثم عقب على هذه الإجابات القرآنية، بقوله: (إذاً فقد صنف المشركون النبي ﷺ في عداد الشعراء، وإن النظرية التي نناقشها هنا ليست سوى صدىً لما كان يردده المشركون، وإن كان قد عبر عنها بكلمات أسمى، إلا أن منشأ القولين واحد.. ولو أنه قال: إن الشعراء كانوا يستلهمون أفكارهم من أنفسهم، في حين أن النبيﷺ يستلهمها من المقام الربوبي، لكان حمل المتعاطفين في كلامه من باب عطف المتباينين، وقد ثبت في محله أنّ عطف المباين على المباين مُخِلٌّ وقبيح)[٢]

قال آخر: ثم رد على المنهج الذي اعتمده سروش، وهو نفس المنهج الذي يعتمده جميع الحداثيين من إلقاء الكلام على عواهنه، وعدم تكلف البحث عن أي برهان أو حجة، فقال: (وإذا أعرضنا عن ذلك نتساءل عن دليل هذهِ النظرية؟ هل هناك شاهد عليها؟ للأسف فإن هذا الحوار بأجمعه عبارة عن سلسلة من التصورات والمفاهيم غير المدعومة بدليل يثبتها، فلو كان القرآن في حقيقته مجرد خيال شعري، وإن كان على مستوى أعلى، فما معنى تحديه ولو بالإتيان بسورة واحدة مثله؟ فأي شاعر تحدى الآخرين طوال حياته

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٩.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٢٩.

الشعرية وأعجزهم أن يأتوا بمثل قصائده إلى يوم القيامة؟)[1]

قال آخر: ثم دعا سروش إلى معاملة نفسه وأطروحته، بمثل ما عامل به الوحي الإلهي، فقال: (وهنا يمكن القول أيضاً لصاحب هذهِ النظرية: إن التفسير الذي تقدمه عن القرآن لا يعدو في واقعه أن يكون نوع تجربة شعرية ليس إلا، أي إن نفسكم قد تفتقت عن هذهِ النظرية، وألقتها على صفحة الذهن، وأجرتها في مداد القلم وأطراف اللسان، دون أن يكون هناك واقع وراءها.. فلو كان الشعر وما شابهه فاقداً لقيمة الخلود كان كلامك من هذا السنخ أيضاً)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن العنصر الثاني المشكل لأطروحة سروش، وهو ما عبر عنه بقوله: (إن الاستعارة الشعرية تساعد على توضيح هذهِ المسألة، فالنبي يستولي عليه نفس إحساس الشاعر، وإن هناك قوة خارجية تسيطر عليه، ولكن في الحقيقة فإن شخص النبي في تلك الحالة يمثل كل شيء، فهو الخالق والمبدع، ولا موضوعية للحديث في كون هذا الإلهام من الداخل والخارج؛ إذ لا تفاوت ولا تمايز على مستوى الوحي بين الداخل والخارج)[3]

قال آخر: وقد رد على هذا ببيان أن هذا هو نفسه ما يردده المستشرقون، والذي لا يعدو الحداثيون أن يكونوا مجرد تلاميذ تابعين لهم، يقول في ذلك: (إن هذا الكلام يعني أن صاحب هذهِ النظرية يرى أن القرآن تجلٍّ لما يكمن في شخصية النبي الأكرم ﷺ، وهو ما يصطلح عليه بالوحي النفسي، وإن أول من فسر الوحي بشأن الأنبياء من خلال تجليات الشخصية الباطنة هم القساوسة والمستشرقون في بعثاتهم التبشيرية، وأكثر من أثار الغبار

(1) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٠.

(2) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٠.

(3) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٠.

حول هذهِ المسألة مستشرق يدعى (درمنغهام)، حيث سعى من خلال محاولاته الصبيانية إلى التعريف بمصادر القرآن، وأن منها تجليات الشخصية الباطنية، وقد بيّن نظريته على النحو الآتي: لقد أدرك محمد بعقله الباطن ـ أو بعبارة أخرى عصرية: شخصيته الباطنية ـ خواء الشرك، ولكي يبلغ مقام النبوة جرّد نفسه لعبادة الله، وأخذ ينفرد في غار حراء متعّبداً حتى بلغ به الإيمان أعلى درجاته، واتسعت آفاقه الفكرية، وتضاعفت بصيرته، حتى غدا جديراً بتحمل أعباء النبوة وهداية الناس، فكان دائم التفكير حتى أيقن أنه ذلك النبي الذي اختاره الله لهداية الناس، وقد كان هذا الوعي يتراءى له وكأنه وحي من السماء ينزل عليه وأن ذلك الخطاب يبعثه الله إليه عن طريق جبرائيل)[1]

قال آخر: ثم أجاب عن هذا بقوله: (إن الذي يميز إحساس الشعراء عن إحساس الأنبياءعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هو ذلك الأمر الذي لم يعترف الدكتور سروش بموضوعيته، فإن مصدر إلهام الشعراء ينبع من داخلهم، في حين أن مصدر إلهام الأنبياء ينزل عليهم من الخارج.. وإن الذين لا يمتلكون باعاً في المسائل الفلسفية والعرفانية لا يستطيعون التفريق بين هذين النوعين من الإلهام والإحساس، ولذلك كان المشركون في عصر رسول الله ﷺ؛ بسبب عدم قدرتهم على التمييز بين هذين النوعين من الإحساس، يتساءلون عن كيفية إمكان أن يلهم شخص من خارجه ويؤمر بهداية الناس؟ وقد عكس القرآن تفكيرهم هذا على النحو الآتي: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢])[2]

قال آخر: ثم ذكر وحدة المعادين للنبوة وإن اختلفوا في التعبير عن مناهجهم في عداوتها، فقال: (لقد كانت للمناوئين في مواجهة الوحي المحمدي عبر التاريخ توجيهات

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣١.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣١.

وتصورات، إلا أن ماهية هذهِ التوجيهات والتفسيرات الباطلة واحدة في جميع العصور، فالذي نشهده حالياً هو نفس التهم والشتائم والسفاسف التي كان يطلقها أبو جهل وأبو سفيان، ولكن بأسلوب عصري بعد إلباسها ثوب التحقيق العلمي)[1]

قال آخر: ثم تحدث عن العنصر الثالث المشكل لأطروحة سروش، وهو ما زعمه من (الصياغة النبوية للمفاهيم الإلهية)، فقال: (ذهب صاحب هذهِ النظرية في العبارات المتقدمة عن طريق الإجمال والتفصيل إلى أن القرآن من صنع النبي، وأن النبي ﷺ هو خالق القرآن، إلا أنه قال في هذا الحوار نفسه في موضع آخر: كما أن النبي خالق للوحي بنحو آخر، أي إن الذي يتلقاه من الله تعالى هو مضمون الوحي، إلا أنه من غير الممكن نقل هذا المضمون إلى الناس؛ لكونه فوق مستوى فهمهم، بل هو فوق الكلمات، فالوحي لا صورة له، ومسؤولية النبي أن يعمل على تصوير هذا المضمون ليضعه في متناول جميع الناس)[2]، وهو ـ بذلك ـ يعتبر أن المفاهيم والمعاني صادرة من عند الله، إلا أن الشكل والصورة والألفاظ والكلمات من صنع النبي ﷺ، وبذلك ينكر شطراً من إعجاز القرآن المتمثل في جماليه الألفاظ ومتانة التعبير.

قال آخر: وقد رد العلامة السبحاني على هذا العنصر من أطروحة سروش بقوله متهكما: (وعليه يكون القرآن عملاً مشتركاً بين الله والنبي ﷺ، وكأنّ القرآن شركة استثمارية، يكون فيها التمويل على الله، والتسويق على النبي الأكرم ـ والعياذ بالله ـ)، ثم تساءل قائلا: (أليست هذهِ النظرية أدنى من النظرية الأولى؟ ففي تلك النظرية كان كل شيء ينسب إلى رسول الله ﷺ، سوى رابطة ضعيفة مع الله، ولكن هنا توجد مشاركة لا صورة لها من قبل الله، وصياغة وتصوير من قبل النبي ﷺ!.. وكذلك ينبغي أن نسأل: ما هو دليلكم على هذهِ

---

(1) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٢.

(2) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٢.

المشاركة؟ فالله القادر على إنزال المفاهيم، هل يعجز عن تصويرها وصياغة قوالبها اللفظية؟)[1]

قال آخر: ثم ذكر ردود القرآن الكريم على هذا الطرح، فقال: (إن القرآن يشهد على خلاف هذهِ النظرية، حيث أمر النبي مراراً أن يقول: ﴿قُلْ﴾.. ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧].. ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ [الملك: ٢٣].. وغيرها كثير.. أي إن المفاهيم والصور كلاهما من عند الله)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن العنصر الرابع المشكل لأطروحة سروش، وهو ما زعمه من (فرضية التأثير التاريخي في بناء القرآن)، فقال: (يذهب صاحب هذهِ النظرية حيناً إلى أن النبي ﷺ قد أبدع القرآن بشكل مستقل، ويقول: إنه ﷺ تولى كل شيء، وكان له دور محوري؛ وتارة يقول: كان هناك نوع من المشاركة بين الله والنبي؛ ويحاول القول تارة أخرى: إن الظروف التي حكمت حياة النبي أنتجت هذهِ المفاهيم والأفكار والمعاني، وبعبارة أخرى: يرى أن الزمان هو الذي أبدع القرآن الكريم، حيث قال: (لقد كان لتاريخ حياته وحياة أبيه وأمه، وفترة طفولته وصباه، وحتى حالاته الروحية، دور في إبداع القرآن، فإذا تلوتم القرآن تشعرون أن النبي ﷺ كان في بعض الأحيان فرحاً طروباً وفي غاية الفصاحة، في حين تجدونه في أحيان أخرى مفعم بالضجر، ويلجأ إلى بيان مراده بكلمات عادية جداً، مما يعكس جانب الوحي البشري)[3]

قال آخر: وقد رد على هذا الافتراء العظيم بقوله: (إنه يحاول من خلال هذا الكلام تعريف القرآن على أنه كتاب بشري مئة بالمئة، وأن النبي ﷺ شأنه شأن سائر المؤلفين الذين

---

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٢.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٢.

(٣) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٣.

يتأثرون في كتاباتهم بالظروف التي تسود حياتهم، وإذا كان ذلك صحيحاً فلماذا يؤكد الله تعالى على نفي ذلك، ولا يرى تأثيراً لغير عامل الوحي في صنع القرآن، حيث قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٣ ـ ٥])[1]

قال آخر: ثم ذكر معارضة هذا العنصر من أطروحته للقرآن الكريم، فقال: (إنّ الحديث عن بشرية القرآن الكريم يتناقض ومئات الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].. فبعد هذا البيان الصريح كيف نعده كتاباً بشرياً، وأنه من صنع الإنسان، هذا ولم يشك أحد في صدق النبي ﷺ وأمانته.. قال تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣]، تصرح هذهِ الآية بأن تلاوة الآيات إنما هي من قبل الله، وأن كلا من القالب والمحتوى منه تعالى)[2]

قال آخر: وبعد رده على العناصر الأساسية التي تتكون منها أطروحة سروش، رد على ادعائه بأن (أكثر المفسرين المعاصرين يذهبون إلى عصمة القرآن والوحي عن الخطأ في المسائل الدينية البحتة،ويذعنون بإمكان خطأ الوحي في المسائل المتعلقة بهذا العالم والمجتمع الإنساني) بقوله: (إنه يستعمل كلمة (أكثر)، ويتهم بها المفسرين المسلمين، فأيّ مفسر مسلم ذهب إلى إمكان خطأ القرآن في ما يتعلق بمسائل الحياة طوال هذهِ القرون الأربعة عشر؟ لا ينسب هذهِ الفرية إلى القرآن غير المستشرقين وأذنابهم، من قبيل: رئيس الفرقة القاديانية، والمتأثرين بهم، كبعض الكتاب المصريين.. مضافاً إلى أننا نسأل عن معنى التفريق في موارد الخطأ، فيقال بأن النبي في ما يتعلق بما وراء الطبيعة لا يقول غير الحق، ولا يرى سوى

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٣.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٣.

الواقع، وأما في ما يتعلق بالمسائل العينية والملموسة فيمكن أن يجانب الصواب والحقيقة؟ ولو تحدّث مفسر واحد حول آيةٍ له فيها رأي شاذ لا يكون كلامه دليلاً ساري المفعول وقاعدة كلية)[1]

قال آخر: ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، ويعلق عليه بقوله: (يعدّ القرآن الكريم علم النبي ﷺ أعظم الفضائل الإلهية.. فكيف يكون العلم الذي عدّه القرآن عظيماً قابلاً للخطأ في القسم الثاني من أقسام الوحي؟)[2]

قال آخر: ثم رد على ادعائه بأن رسول الله ﷺ لم يكن (علمه يفوق علم المعاصرين له في ما يتعلق بالأرض والكون والجينات الوراثية، ولم يكن لديه العلم الذي نمتلكه حالياً، ولا يضر هذا بنبوته، لأنه إنما كان نبيّاً، ولم يكن عالماً أو مؤرخاً)، بقوله: (ما هو دليلكم على أنه لم يكن على علم بهذهِ الأمور، وأن علمه بشأنها لم يتجاوز علم الجاهليين؟.. لا نريد البحث هنا حول الإعجاز العلمي في القرآن؛ لأننا تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في كتابنا (حدود الإعجاز)، فقد كشف النبي الأكرم ﷺ من طريق الوحي.. النقاب عن سلسلة من الحقائق العلمية التي لم يكن بإمكان الناس في ذلك العصر وما بعده حتى تصورها، فمن عدم الإنصاف أن ننكر جميع تلك الحقائق العلمية الواردة في تلك الكتب، ثم نعتذر بأنه (إنما كان نبيّاً ولم يكن عالماً، وكان رسولاً ولم يكن مطلعاً على الأسرار!)[3]

قال آخر: ثم رد على اتهام المعتزلة بالقول ببشرية القرآن، فقال: (وقد حاول صاحب

---

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٣.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٣.

(٣) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٥.

هذهِ النظرية القائلة بأن القرآن من صنع النبي ﷺ أن يعثر لنفسه على شريك يحمل عنه وزر هذهِ الفرية، فلم يجد غير المعتزلة، فقال: (إن الاعتقاد بأن القرآن نتاج بشري، ويمكن عليه الخطأ بالقوّة قد جاء التلويح به في عقائدهم)، ونقول: إن المعتزلة رغم انقراضهم، وعدم بقاء شخصية علمية بارزة منهم، إلا أن كتبهم بمتناول الجميع، وحاشا هذهِ الفرقة أن تقول بخلق القرآن بمعنى كونه من صنع النبي ﷺ)[1]

قال آخر: ثم بين حقيقة موقف المعتزلة من ذلك، فقال: (لقد تم طرح هذه المسألة أول مرة في القرن الهجري الثاني من قبل النصارى في البلاط العباسي، حيث أثاروا مسألة كون القرآن حديثاً أو قديماً، فذهبت جماعة إلى قدمه، بينما ذهبت جماعة أخرى إلى حدوثه، فقال المحدّثون بقدم القرآن، وقال المعتزلة بحدوثه؛ إذ لا قديم بالذات سوى الله، وجميع ما سواه حادث، ومنها القرآن؛ لأنه فعل الله، وفعله لا يخرج من دائرة الحدوث، وإذا قالوا بكونه مخلوقاً فبمعنى أنه مخلوق لله، لا أنه مختلق، وأنه من صنع بنات أفكار النبي ﷺ، ولذلك أصرّت رواياتنا على عدم وصف القرآن بالقدم أو الحدوث؛ لما في القدم من شائبة الشرك، ولما في وصفه بكونه مخلوقاً من محذور إساءة الاستفادة والذهاب إلى اختلاقه، وأنه من صنع النبي ﷺ، ولذلك كان المشركون في عصر رسول الله ﷺ يستخدمون هذا التعبير ويقولون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٧])[2]

قال آخر: ثم رد على اتهام مولوي والعرفاء بالقول ببشرية القرآن، فقال: (ولكي لا يبقى وحيداً أيضاً لجأ إلى مولوي وقال: إن القرآن مرآة ذهن النبي ﷺ، والدارج في صميم كلام مولوي أن شخصية النبي وتغيّر أحوالها وأوقاته السعيدة والعصيبة منعكسة بأجمعها في القرآن)، وقد رد عليه بقوله: (من السهل أن تنسب شيئاً إلى شخص، ولكن من الصعب

---

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٥.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٦.

إثبات ذلك، ففي أي بيت ورد ما استفاده الدكتور سروش؟ والحال أن لمولوي مئات الأبيات الشعرية التي تتحدث بصراحة عن خلاف ما يقوله سروش، ومنها ما مضمونه: (ما إن نزل القرآن حتى وصفه الكافرون بأنه من الأساطير، في حين أنه كان جارياً على لسان النبي، ولكن من قال: إنه ليس من الحق فهو كافر)[1]

قال آخر: ثم رد على دعوة سروش إلى ترجمة جوهر القرآن الكريم بما يتناسب واختلاف الزمان، فقال: (وسؤالنا: بعد أن ذهبتم إلى كون هذا الكتاب بشرياً وقابلاً للخطأ، فما هي الضرورة إلى ترجمته وتفسيره؟ وما هي ضرورة التستر على هذهِ الأخطاء؟ كما إنكم بتعريف القرآن بوصفه كتاباً بشرياً يحتمل في حقه الخطأ قد انسلختم عن المجتمع الإسلامي، وعليه لا نرى حاجة لنصائحكم، فالذي يجوز له أن ينصح هو الداخل في ربقة المجموعة، وأما الخارج عنها فلا يصلح لقيادتها ونصحها ووعظها)[2]

قال آخر: ثم ختم رسالته بنصيحة يقول فيها: (وفي الختام أكرر القول بأنني قد كتبت هذهِ الرسالة والحزن والألم يعتصرني بشدة، ولكن مع ذلك آمل أن لا يكون هذا الحوار قد جرى مع الدكتور سروش، وأن لا يكون ما ورد فيه قد صدر عنه حقيقة، أو نتمنى في الأقل أن يكون المترجم أو المترجمون قد اخطأوا في ترجمتهم، وفي هذهِ الصورة عليه أن يقوم برفع الشبهات لتعود المياه إلى مجاريها، وأطلب من صاحب النظرية مراجعة كتابنا (نقد بيست وسه سال) حول الوحي النبوي والشبهات التي أثارها المستشرقون وأذنابهم حوله، فقد أثبتنا فيه بوضوح أن جميع هذهِ الشبهات المنمقة تعبير آخر عن الشبهات التي أثارها المجتمع الجاهلي، فالمحتوى واحد والأسلوب مختلف، والفارق بينهما أن العربي الجاهلي في عصر الرسالة لبساطته كان يطلق الشبهة عارية صريحة، في حين أن المتجددين يمنحونها صبغة

---

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٦.

(٢) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٧.

علمية، ويقدّمون السراب بوصفه ماءً)[1]

هـ. محمد شحرور:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الرابع.. فحدثونا عن الخامس.

قال أحد المبدلين: الخامس هو محمد شحرور.. وأحسن ما ينطبق عليه من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].. فهو لإفكه لم يهتم كثيرا بمصدر القرآن الكريم بقدر ما اهتم بتفريغه من محتواه، وتحويله إلى كتاب آخر، لا علاقة له بالشريعة ولا بالقيم التي أجمعت عليها الأمة بمدارسها المختلفة.

قال آخر: وقد طرح ملامح مشروعه في تلك الحصة الخطيرة المسماة [النبأ العظيم]، والتي تذيعها قناة [روتانا خليجية]، وهي قناة من تلك القنوات التي تستهدف تمييع المجتمع المسلم، ونشر الانحرافات الأخلاقية والفكرية، ليخرج المسلمون من إسلامهم وقيمهم بكل سلاسة.. فقد ذكر في الحصة الأولى من ذلك البرنامج منهجه في فهم القرآن، والذي انطلق فيه من مفهوم شرعي متفق عليه، وهو كون القرآن رسالة عالمية، أي أن البشر جميعا مطالبون بالتعرف على القرآن الكريم والالتزام بتعاليمه..

قال آخر: لكن شحرورا لم يفهم هذا، وإنما طالب القرآن الكريم بأن ينزل إلى مستوى العالم بشعوبه المختلفة، أي أنه (يجب أن يلائم كل الشعوب كالياباني والأمريكي).. وبذلك يجب أن يصبح تابعا للقيم العلمانية المعاصرة، حتى ترضى عنه تلك الشعوب، ويصبح تابعا لها، لا تابعة له.

قال آخر: ولأجل هذا راح يلوي أعناق النصوص بالحيل المختلفة، ليستخرج

(١) مجلة نصوص معاصرة، ع١٥، ص٣٧.

المفاهيم التي تتلاءم مع هذه القيم، وهو لم يحتاج لتحقيق ذلك لأي جهد، فقد كان يكتفي بالبحث عن الجذر اللغوي للكلمات القرآنية، ثم يلجأ إلى القواميس يبحث فيها عن معنى يجده أكثر توافقا مع القيم العلمانية المعاصرة ليطبقه عليها.

قال آخر[1]: وقد انطلق في ذلك من أمرين صحيحين متفق عليهما، لكنه فسرهما بهواه، واستعملهما بتعسف: أولهما: الرفض المطلق لفكرة ترادف الألفاظ.. وثانيهما: ترتيل الآيات القرآنية؛ بمعنى تجميع وتحديد الآيات المنوطة بموضوع معين، ثم فهم ذلك الموضوع؛ سواء كانت قصة أو تشريعا أو حدا أو أمرا أو ثناء وفقا لما تظهره هذه الآيات.

قال آخر: أما أولهما.. وهو الرفض المطلق لفكرة ترادف الألفاظ؛ فهو يعني بذلك أن اللفظ الواحد ليس له نظير، بما يفضى إلى إظهار الفروق الدقيقة بين الألفاظ [2].. وقد تابع فى ذلك عددا من كبار علماء العربية، ومنهم ثعلب وابن فارس وأبو على الفارسى[3]، لاسيما الأوسط منهم، وكتابه [معجم مقاييس اللغة] [4].

قال آخر[5]: وهو في هذا الموقف لا يختلف فقط مع من يسلم بوجود الترادف في اللغة العربية من أمثال سيبويه وابن يعيش، بل يختلف أيضا مع من يدعي أنه يوافقهم من منكرى الترادف.. فكل ما قاله هؤلاء هو أن بين المترادفين فروقا فى الصفات.. ولم يقل أحد منهم أن (الحسام والمهند والسيف والصارم) لا تدل على مسمى واحد، وإن كان بينها فروق ففي الصفات فقط.

قال آخر: وقد نفى أبو هلال العسكرى سبعا وخمسين مرة فى كتابه [الفروق اللغوية]

---

(1) التجديد الدينى من منظور محمد شحرور، عرضٌ ونقد، أ. وليد القاضي.

(2) الكتاب والقرآن، ص ٢٤.

(3) الكتاب والقرآن، ص ٢٥.

(4) الكتاب والقرآن، ص ٤٤.

(5) التجديد الدينى من منظور محمد شحرور.

ـ والذى أراد به بيان المعنى الفني لإنكار الترادف، بوصفه أحد الأمة القائلين به ـ أن يكون المراد به شيئا أكثر من أن يكون للشيء الواحد اسم واحد، وما عداه صفات له بينهما فروق دقيقة، من ذلك قوله: (الفروق بين القرآن والفرقان أن القرآن يفيد جمع السور وضم بعضها إلى بعض، والفرقان يفيد أنه يفرق بين الحق والباطل)[1]

قال آخر: وهكذا فإن وصف الله بأنه ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] لا تعني الترادف التام؛ فهذه الأوصاف المتعددة كل منها يفيد معنى خاصاً به، لا يترادف مع معنى الآخر، لكن هذا لا يعني أن الموصوف بها ليس هو نفسه، وهو الله سبحانه، فالله هو غافر الذنب، وهو قابل التوب، وهو شديد العقاب، ولكلٍ من هذه الأوصاف معناه.

قال آخر: ومن هنا دخل الخطأ على شحرور، حيث فهم أن إنكار الترادف في الأوصاف يلزم منه اختلاف الموصوف، فلا يكون الموصوف واحداً.

قال آخر[2]: ولأجل هذا نرى تأويلات شحرور للقرآن الكريم تختلف عن كل التأويلات، ذلك أنه ينطلق من أن القرآن الكريم جاء ليطور اللغة العربية، بحيث ألغى الترادف فى الألفاظ وفي التركيب، وهو ما لم يعرفه العرب فى لسانهم قبله، لأن استعمال الترادف كان موجودا فى اللغة العربية أيام الجاهلية، شعرا وخطابة.

قال آخر[3]: وهو يذكر لذلك أن القرآن الكريم امتاز بإضفاء مصطلحات مستحدثة لم تكن موجودة قبله، لاستحالة اعتبار مفردات الجاهلية كافية بذاتها لفهمه، مع إلغاء الترادف لإزالة التداخل فى معانى مصطلحات التنزيل [4].

قال آخر: وبناء على هذا يؤكد أنه (عند تأويل آيات التنزيل الحكيم، لا بد من

---

(١) بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، ٢/ ٦٤٠.

(٢) التجديد الدينى من منظور شحرور.

(٣) التجديد الدينى من منظور شحرور.

(٤) الكتاب والقرآن، ص ٢٩.

الإمساك بالخيط اللغوى الرفيع الذى لا يجوز تركه، والذى يربط ويصل الشكل بالمضمون، لأنه إذا انقطع هذا الخيط بين البنية والدلالة [أى اللفظ ودلالته] تصبح احتمالات معاني الآيات لانهائية)[1]

قال آخر: ومن هذا المنطلق، رفض شحرور المقولة السائدة التى ترى أن الألفاظ التالية: الذكر والكتاب والفرقان، ترادف [القرآن الكريم]، وكذا عدم ترادف [اللوح المحفوظ] و[الإمام المبين]؛ ؛ وبالمثل، لا تعنى كلمة [الأبوين] في ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] الوالدين [2].. وغيرها من التأويلات الكثيرة التي فرغت القرآن الكريم من محتوياته.

قال آخر: أما الثاني، وهو صحيح أيضا من حيث الظاهر، فهو ترتيل الآيات القرآنية؛ بمعنى تجميع وتحديد الآيات المنوطة بموضوع معين، ثم فهم ذلك الموضوع؛ سواء كانت قصة أو تشريعا أو حدا أو أمرا أو ثناء وفقا لما تظهره هذه الآيات.

قال آخر: وقد صاغ شحرور هذا الركن وفقا لما فهمه من قراءته لقوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]؛ إذ على النقيض من المعنى السائد الذى يذكر أن الترتيل يعنى التأنق فى تلاوة آيات القرآن وتحسين التأليف بين حروفه، استند شحرور إلى الأصل اللغوى للكلمة، أي [رتل]، والذى يعنى تنسيق الشيء وحسن تنظيمه، ومن ثم اعتقد أنه لا يمكن أن يكون المقصود من كلمة الترتيل فى هذه الآية التأنق فى التلاوة، لأن ما جاء فى الآية التالية، أى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، لا يرتبط من قريب أو بعيد بالتأنق فى التلاوة؛ حيث إن وصف القول بالثقيل لا يقصد به الثقل فى التلفظ والنطق، بل وعورة فهم معنى ما يشتمل عليه القرآن من علم.. وعليه، فإن المراد بالترتيل فى الآية

---

(١) الكتاب والقرآن، ص ٢٨.

(٢) دليل القراءة المعاصرة، ص ٢٧.

هو ترتيب وتنظيم الموضوعات الواحدة الواردة فى آيات مختلفة من القرآن فى نسق واحد كي يسهل فهمها [1].

قال آخر: ومن الأمثلة التي ذكرها لذلك، ما فسر به قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فمع كون الآية الكريمة واضحة في دلالتها إلا أن شحرورا حاول أن يرضي بها أهواء معينة، فراح ينكر كون المراد بالنساء في الآية المفهوم المعروف المتداول، وإنما جعل من النساء ـ بحسب القاموس الذي اعتمده ـ مشتقة من [النسيء]، أو هي جمع كلمة [نسيء] التي تعني التأخير، ومن ثمّ يصبح المعنى: الأشياء المؤخّرة، أي الأشياء الجديدة المحبوبة للناس، أي بالتعبير المعاصر [الموضة]، أي أن الآية الكريم تذكر أن الناس حببت إليهم الموضة، لا النساء المعروفات.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلك: (النساء: جاءت في اللسان العربي من [نسأ] والنسيء هو التأخير كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، ونسيء ونسوء جمعها نسوة ونساء.. وهنا يظهر معنى النساء في آية الشهوات والتي تعتبر الشهوة رقم واحد والتي يشتهيها كل الناس وهي المتأخرات منا لمتاع [الأشياء] أي ما نسئ منها أو نقول عنه في المصطلح الحديث [الموضة] فالإنسان يشتهي آخر موضة في اللباس وفي السيارات وفي الأثاث والستائر وفي البيوت، فنرى أن هذه الشهوة الموجودة عند الإنسان في الأرض قاطبة والإنسان يشتهي المتأخر [الجديد] من الأشياء كلها فالأشياء المنتجة عام ١٩٨٦ جاءت متأخرة عن الأشياء المنتجة عام ١٩٨٥ فكل الأشياء المتجددة [أي جاءت متأخرة عن ما

---

(١) الكتاب والقرآن، ص ٢٥.

قبلها] نسئت عما قبلها جملها القرآن بمصطلح واحد هو النساء.. هنا فهم الكثيرون أن النساء هن أزواج الرجال، ولكن النساء هنا هي شهوة التجديد في الأشياء وقد جاءت بمعنى التأخير في سورة النور في قوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]﴾ أي ما تأخر عن المذكورين في الآية من أحفاد وفروع مهما نزلوا)[1]

قال آخر: ثم عقب على ذلك بقوله: (والآن إذا نظرنا إلى هذه الشهوة لوجدناها كامنة وراء التقدم الصناعي في إنتاج الأشياء [المتاع] فلولا هذه الشهوة لانخفض إنتاج معامل الألبسة مثلا وكل شيء يخضع للتجديد)[2]

قال آخر: وقد علل رأيه الغريب هذا بقوله: (إنّ الآية فيها خبر عن جميع الناس، وليس العرب خاصة، ويجب أن يكون خبر الله صادقًا، ومن ثم يجب أن يتطابق قول الله مع حال العالم اليوم، والشيء الجديد محبوبٌ من قبل كل الشعوب، ومن ثم يكون معنى [النساء] جمع نسيء، أي الأشياء المؤَخَّرة، أي الأشياء الجديدة)[3].. ولسنا ندري هل حب النساء خاص بالعرب فقط.. ومن أوحى له بهذا، ونحن نرى أن قصص العشق والغرام مرتبطة بكل الشعوب، بل إن كل الشعوب اليوم لا تستثمر في شيء كما تستثمر في النساء باعتبارهن الوسيلة الأكثر قبولا من لدن البشر جميعا.

قال آخر: ومثل ذلك راح يفسر كلمة ﴿البنون﴾ في الآية الكريمة؛ فقد قال في تأويلها أو تبديلها: (جاءت من الأصل [بنن] وتعني اللزوم والإقامة، وعندما يتزوج الذكر فإنه يبني على الأنثى وكان يبنى له خيمة منفصلة عند العرب، أما لفظة الابن فقد جاءت من [بنو] وجمعها أبناء فنقول ابن فلان وابن المدينة وابن القرية؛ فالمعنى الحقيقي للبنين هو

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٣) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

من اللزوم والإقامة وهذه هي صفة الأبنية والبنيان، وقد جاءت في المعنى الحقيقي في قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٣] هنا ربط البناء بتذليل الأنعام؛ فلولا تذليل الأنعام لما استقر الإنسان وبنى له مسكنا، وقوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، فالبنون هنا هي الأبنية للزوم والإقامة.. فقوله: ﴿والبنون﴾ يعني الأبنية التي هي المواد غير المنقولة)[١]

قال آخر: ثم يعقب على ذلك مؤكدا له بقوله: (هنا لاحظ كيف تطابقت هذه الآية مع آية الشهوات حيث شهوات الإنسان أشياء منقولة وغير منقولة وهذه الأشياء متاع الحياة الدنيا وزينة الحياة الدنيا، وهنا لاحظ كيف تمت وحدة الموضوع في الآيات وكيف أصبح الخبر موضوعا صادقا)[٢]

قال آخر: وهو لأجل هذا لا يتعامل مع القرآن الكريم باعتباره جملة، وإنما باعتباره مفردات متراصة، يمكنه أن يتحكم فيها كما يتحكم المهندس في البنيان، فيزيل ما يشاء من الجدران، ويضيف ما شاء منها.

قال آخر: ولهذا نراه يعزل السياق متى شاء، ويثبته متى شاء، ونراه يعود لأسباب النزول، ثم سرعان ما ينكرها إن لم تتساير مع رغبته.. وهكذا في تعامله مع الأحاديث المطهرة، أو مع أقوال المفسرين أو اللغويين، فهو ينطلق دائما من النتيجة، ثم يبحث بعد ذلك عن الأدلة التي تخدمها.

قال آخر: وهو لا يفعل ذلك فقط في المحال التي لا علاقة كبيرة لها بالعمل مثل الآية التي سبق ذكرها، بل إنه يفعل ذلك في كل أركان الدين الواردة في القرآن الكريم ليحولها عن مسارها تحويلا تاما.

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك تلاعبه بالألفاظ القرآنية، بل بالرسم القرآني ليعتبر أن كل كلمة وردت في المصحف الشريف بالألف [الصلاة]، فالمراد منها مجرد صلة بين العبد وربه، وقالبها الدعاء، ولا تحتاج إلى إقامة وطقوس، ويؤديها كل إنسان له بالله صلة على طريقته الخاصة، أما الواردة بالواو [الصلوة]، فهي صلة بين العبد وربه، ولها طقوس وحركات محددة خاصة بها، كالقيام والركوع والسجود والقراءة، وتحتاج إلى إقامة، أي على الإنسان أن يقوم ليؤديها.. ويعتبر أنها وردت في القرآن الكريم باعتبارها من شعائر الإيمان.

قال آخر: وربما يتوهم المرء بادئ ذي بدء أن هذا الكلام لا غبار عليه، ولا حرج فيه، فالصلاة مثل الركوع والسجود وغيرهما قد يقصد بها تلك الحركات المعروفة، وقد يقصد بها مجرد الصلة المطلقة مع الله، لكن شحرور لا يكتفي بهذا، ولا يقف عند هذا الحد، وإنما يستعمل حيلا كثيرة ليصل من خلالها إلى نتائج خطيرة جدا.

قال آخر: وملخص تلك النتائج ـ باختصار ـ هو أن الصلاة ـ عنده ـ نوعان: الأولى لا يصح الإسلام من دونها، وهو وجود صلة مع الله بأبسط صورها، كأن نقول (يا رب ارحمني) بأي لغة، وبأي وقت وشكل.. ومن يقطع الصلة مع الله فهو وفق التنزيل الحكيم مجرم، وهو عكس مسلم.. فكل إنسان قطع صلته بالله تماماً وكذَّب باليوم الآخر هو من المجرمين وهو ليس من المصلين.

قال آخر: وبناء على هذا يفسر كل الآيات التي وردت في عقوبة تارك الصلاة كقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥]، والتي يعقب عليها بقوله: (فهنا الكلام ليس عن ظهر وعصر ومغرب، بل عمن قطع صلته مع الله، لأن الويل أيضاً للمكذبين بالله واليوم الآخر، وهذا لا يمكن أن يكون لمن فقط تقاعس عن إقامة

صلاته، فنرى أن هناك عقوبة واضحة للمجرم قاطع الصلة)[1]

قال آخر: أما النوع الثاني، وهو ما يسميه [الصلاة الشعائرية]، فيرى شحرور أن الله تعالى لم يذكر أي عقوبة لتارك هذا النوع من الصلاة، ذلك أن الصلاة الأساسية عنده هي الصلاة الأولى، أما الصلاة الثانية، فليست لها تلك الأهمية، ولا يتعلق بها العقاب لا الدنيوي، ولا الأخروي، وقد أجاب عن سر ذلك عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فقال: (رب سائل يسأل: الله أكبر من ماذا؟ السؤال الصحيح: ذكر الله أكبر؟ وذكر الله أكبر ممن ماذا؟ أقول: ذكر الله أكبر من إقامة الصلاة ذاتها، أي أن الإنسان يجب أن يكون من المصلين أولاً، وإذا دخل الإيمان يكون من مقيمي الصلاة، أي في بعض البلدان إن وجد مسجد ولم يوجد من يقيم الصلاة فعلى الأقل نحافظ على الأذان لأنه ذكر الله علناً)[2]

قال آخر: وبهذا فإن الصلاة الحقيقية والتي توعد الله التاركين لها عنده هي الدعاء، والمصلي عنده هو الذي يكتفي بدعاء الله، ولا يهم على أي دين كان.. فالمسلم عنده يشمل كل منتسب لأي دين من الأديان.

قال آخر: وهكذا راح يفعل مع سائر الشعائر التعبدية، مقتديا في ذلك بما فعله بولس في المسيحية عندما حررهم من شريعتها وأحكامها.

قال آخر: وهو لا يكتفي بالشعائر التعبدية، بل راح إلى كل أحكام الشريعة يتلاعب بها وبأحكامها القطعية المجمع عليها، ومن الأمثلة على ذلك احتياله على أحكام المواريث، وخاصة في الجانب القطعي منها، والذي ذكر في القرآن الكريم، حتى لا يتلاعب به

(١) نقلا عن: التنويريون والصراع مع المقدسات، ص ١٩٥.

(٢) نقلا عن: التنويريون والصراع مع المقدسات، ص ١٩٥.

المتلاعبون، أو يحتال عليه المحتالون، وقد ركز بصفة خاصة على ما ورد في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؛ فبدل أن يثبت عدالة إعطاء الأنثى نصف أخيها الذكر لكونه مرتبط بمنظومة تشريعية كاملة، لا يشكل الإرث إلا جزءا بسيطا منها، ولذلك كان العدل فيها ليس هو المساواة، بل العدل أن ينال كل طرف بحسب حاجاته ومسؤولياته.

قال آخر: وكمثال تقريبي على ذلك ما نراه في الواقع من أن بعض المؤسسات أو الكثير منها قد تعطي بعض العمال نصف المرتب الذي تعطيه لعمال آخرين، لكن في نفس الوقت، تعطيهم الكثير من الحوافز والهبات تحت أسماء مختلفة، والتي لو حسبناها لوجدناها تصل إلى نفس المرتب الذي فضل عليهم، بل قد تفوقه.

قال آخر: وهذا ما طبقته الشريعة الإسلامية العادلة والسمحة بالضبط مع المرأة؛ فعندما نتأمل الأحكام المالية المرتبطة بها نجد أنها لم تكلفها بالسعي في طلب رزقها، بل جعلت رزقها مضمونا في كل مراحل حياتها ابتداء من صباها إلى وفاتها، فهي تعيش في كنف والديها، أو قوامة زوجها، أو رعاية أولادها؛ فإذا لم يبق لها واحد من هؤلاء كلفت جماعة المسلمين بالإنفاق عليها.

قال آخر: بالإضافة إلى أن الشريعة التي فضلت الابن في العطاء هي الشريعة التي كلفته بالإنفاق على أخته، وهي التي كلفته بدفع المهر لمن يريد الزواج منها.. فهل تكلفه بكل هذا، ثم لا تجعل له من الحقوق ما يفي بما تتطلبه هذه الواجبات؟

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد أتاحت الشريعة بنص القرآن الكريم، وفي الأحوال الطارئة التي يرى الوالد فيها أن ابنته قد يهضم حقها، أو قد يفرط أبناؤه فيها، أو يرى أن حاجتها للمال أكثر منهم.. في هذه الأحوال جميعا، وفي غيرها أتاحت له أن يوصي

لها بما يسد تلك الحاجة، بحيث يصير نصيبها مساويا للذكور، أو ربما يفوق أنصبة الذكور.

قال آخر: فبدل أن يهتم شحرور وإخوانه من المبدلين بهذا، راحوا يتلاعبون بالنصوص، ويحتالون عليها، وكم فرحوا عندما سمعوا بالتشريع التونسي المرتبط بهذا المجال، وكأن الأمة لا ينقصها إلا سد هذه الثغرة، وقد قال محمد شحرور تعليقا على ما فعلته تونس: (وإذ أهنىء شعب تونس على هذا الإنجاز، أهنىء نفسي ببارقة الأمل هذه، فرغم أن الطريق شائك لكن الشعوب لا بد لها أن تستيقظ لو بعد حين)

قال آخر: وقد كان لشحرور الذي تجرأ على كل أحكام الشريعة، وراح يجدد فيها من غير أن تتوفر له تلك الأدوات قصب السبق في هذا المجال، مع أنه، وفي فترة قريبة، وفي لقاء سجل معه، سئل فيه عن فهمه لآيات المواريث فأجاب بأنه[1] لم يصل لرؤية واضحة فيها، ولكنه بصدد دراستها وفق التغيرات المعاصرة في علم الرياضيات الحديثة التي توصلت لعلوم جديدة من التحليل الرياضي والإحصاء.

قال آخر: لكنه بعد فترة قصيرة، راح يخرج لنا بنظرياته العجيبة في هذا المجال، والتي لا علاقة بالرياضيات الحديثة، ولا بأي شيء حديث.. بل كلها من نوع الهرطقات اللغوية التي يستعملها، ويتصور أنه فهم من النصوص ما لم يفهمه الأوائل والأواخر.

قال آخر: وقد ذكر في بعض حوراته معبرا عن فهمه لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وأنه سئل في الجزائر ومصر والسعودية والعراق عن معناها؛ فقال لهم: (إذا أنا أعطيتك أنت ورفاقك وأنتم خمسة أشخاص كل واحد مائة دولار، وقلت لي: ماذا أعطيتني؟ قلت لك: أعطيتك مثل رفاقك، أليس هذا يعني أنني سويتك تماما برفاقك؟، وهكذا الآية إذا أعطيت أخاً مائة دولار وأختيه لكل

(١) انظر: تخبط محمد شحرور في فهم آيات الميراث، د.خلدون مخلوطة.

واحدة مائة دولار، وسألني كما أعطيتني؟ فقلت له: أعطيتك مثل أختيك، يعني هذا أنني أعطيت الجميع مثل بعضهم البعض)

قال آخر: وبذلك تصور أنه قد حل المشكلة، وأن الآية الكريمة لم تنص أبدا على كون نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى، وإنما أخبرت عن الحكم المرتبط بثلاثة أولاد: ابن وأختيه، حيث ينال الابن مثل نصيب كل واحد من أخواته.. وهو تلاعب واضح بالنص الصريح والواضح والذي يخاطب كل الحالات، لا مجرد الحالة التي افترضها.

قال آخر: فالآية الكريمة ذكرت أن نصيب الذكر حظ الأنثيين معاً، ولم تقل ـ كما توهم ـ أن نصيبه (مثل الأنثيين)، وهاتان الكلمتان [المثل] و[الحظ] تدلان على ذلك.

قال آخر: ثم هو بعد ذلك يناقض نفسه، لأن حالات الميراث لا ترتبط فقط بعائلة مكونة من ثلاثة أولاد، وإنما عدد الأولاد في أكثر العائلات يكون أكثر من ذلك بكثير، وهنا يقع الارتباك والخلط في منظومتة الهشة التي أسسها على الفهم المزاجي للنص، لا على الفهم الصحيح الذي تتطلبه ألفاظه، والذي اتفق عليه جميع اللغويين والمفسرين من جميع المدارس الإسلامية في جميع فترات التاريخ، حيث أن تساوي الذكور مع الإناث عنده لا يتم إلا في حالتين فقط: إذا كان الوارث ابنا وبنتا؛ فيأخذ الابن النصف، والبنت النصف، أو إذا كان هناك ابن واحد وابنتان، فلكل واحد الثلث بالتساوي، ولكن عندما يكون البنات أكثر من اثنتين، أي ابن واحد وأربع بنات فيعطي الابن الثلث، والبنات الأربع الثلثان، وهنا ينتقض التساوي عنده، بل يصبح ما ذكره الفقهاء أكثر عدلا بكثير مما ذكره.

قال آخر: وقد أجاب شحرور عن هذا التناقض الذي حصل في العدالة التي راح يبحث عنها بأن هذا التفسير العلمي واللغوي للآية يحقق العدل للمجموعات لا للأفراد، (فبناءً على ما تم ذكره فإنه في بعض الحالات يحصل الذكر على ربع أو ثلث ما تحصل عليه

الفتاة، ولذلك فإن حدود الميراث في القرآن تعمل على تحقيق العدل بين مجموعة الأولاد من الفتيات ومجموعة الأولاد من الذكور، لا العدل بين الأفراد، فرداً فرداً)

قال آخر: وهو نوع من الخداع والحيل التي تمرن عليها، لأنه وجد من يستجيب لها، ويعجب بها، ولسنا ندري كيف يجيب عن ذلك الارتباك الذي سيحل به لا محالة عندما يرى أن نصيب الزوج في الميراث ضعف نصيب الزوجة، والذي له مبرره الشرعي الممتلئ بالعدالة، والذي نص عليه بصراحة قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]، ولسنا أدري أي حيلة يدبر لهذه الآية الكريمة، حتى يحتال عليها، ويخرجها عن دلالاتها الواضحة والقطعية، والتي اتفق عليها جميع الفقهاء.

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى عند ذكره للأحكام المرتبطة بالإخوة، والتي نص فيها صراحة على كون نصيب الذكر ضعيف نصب الأنثى، كما قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]

قال آخر: وقد كان من حكمة الله تعالى أن يختم هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، ليبين أنه سيأتي من يتلاعبون بالألفاظ، ويحتالون على النصوص ليضلوا الناس عن هدي ربهم وعدالة ربهم إلى الدين المزاجي الذي يؤسسونه بأهوائهم، لا بسلطان من العلم أو الحجة.

قال آخر: وقد كان في إمكان شحرور وإخوانه من المبدلين أن يدرسوا هذه الآيات

الكريمة ضمن المنظومة الإسلامية الشاملة لحقوق المرأة وواجباتها، ليعلموا أن الشريعة التي كلفت المجتمع بالإنفاق على المرأة، وكلفت الزوج بجلب المهر لزوجته، هي نفسها التي فرضت للمرأة نصيب نصف الذكر؛ فإذا ما حصل اختلال في المجتمع؛ فقصر في حق المرأة، ندعو إلى إصلاح الخلل الذي حصل، لا إلى تبديل أحكام الله.. وإلا فإنا لو طبقنا ذلك، فسيصبح الزمان أداة لمحو أحكام الله الصريحة والقطعية واحدا واحدا.

قال آخر: وقد كان في إمكانهم أيضا أن يدعو إلى تفعيل الوصية للأقربين بمفهومها الشرعي لتغطي الحالات الخاصة، مثلما فعل الفقهاء مع الوصية الواجبة المرتبطة بإرث الأحفاد الذين مات والدهم قبل موت جدهم، فأعطوا نصيب والدهم من الميراث بناء على الوصية الواجبة، مع أنها تخالف ما اتفقت عليه المدارس السنية من عدم وصية للورثة.

قال آخر: لكن شحرورا وإخوانه من المبدلين، نتيجة ضغوط الاتصالات الكثيرة، ووسائل الإعلام التي تزاحم أوقات فراغهم لم يجدوا الوقت الكافي للبحث في ذلك، واكتفوا بمزاجهم وأهوائهم وآرائهم المجردة عن كل دليل.

و. حسن حنفي:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن الخامس.. فحدثونا عن السادس.

قال أحد المبدلين: السادس هو حسن حنفي.. وأحسن ما ينطبق عليه من القرآن الكريم قوله تعالى عن المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١ ـ ٢]، فهاتان الآيتان الكريمتان تعبران عن المشروع الذي يحمله حسن حنفي ويدعو إليه أحسن تعبير، فهو في ظاهره وبدايته ومقدماته ينطلق من العقيدة والشريعة الإسلامية، لكنه في باطنه ثورة عليها، ودعوة للتملص منها، والعبرة

عند العقلاء بالنتائج لا بالمقدمات، وبالنهايات لا بالبدايات.

قال آخر: وقصته وقصة أمثاله تبدأ بعد الانتكسات الكثيرة التي مر بها واقعنا الإسلامي، وعند ظهور المدارس الثورية المختلفة، خاصة اليسارية منها، حيث برز في مجتمعاتنا الإسلامية صنفان من الثورة، ومعهما صنفان من الثوار: أولهما رأى أن سبب التخلف هو البعد عن الإسلام وقيمه الحضارية النبيلة، وأننا نحتاج إلى العودة إلى الإسلام الأصيل، بمفهومه الصحيح، ونقيم ثورة على التخلف الذي استثمر بعض مفاهيم الدين ليشوه الدين والدنيا من خلالها.. وثانيهما رأى أن سبب التخلف هو الدين نفسه، فلذلك راح يحمل على الدين، ويدعو إلى البعد عنه، ويتصور أنه أفيون الشعوب، ومن هؤلاء من جاهر بذلك، ومنهم من استعمل التقية والحيلة وأصناف الخدع لتمرير ذلك.

قال آخر: وقد صرح حسن حنفي بانتماءاته الحقيقية حين قال: (إننا في غياب البديل الإسلامي الثوري لجأنا بالضرورة إلى الماركسية لحل قضية العدالة الإجتماعية وإلى الليبرالية ـ الديمقراطية لحل القمع المسلط على شعوبنا، وإلى القومية لإنهاء حال التشرذم، وإلى ديكارت لتأكيد العقلانية، لقد لاحظ اليسار الإسلامي أن في التراث الغربي بعض الجوانب الإنسانية المضيئة لايمكن إهمالها، ولايمكن القيام بنهضة فكرية واجتماعية مالم نستفيد من هذه الجوانب التي يلخصونها في العقلانية والعدالة الإجتماعية والحرية والوحدة القومية)[1]

قال آخر: لكنه كان يملك ذكاء حادا، جعله لا يقع فيما وقع فيه أولئك المغفلون الأغبياء الذين جاهروا بإلحادهم، وصرحوا به، وادعوا صراحة تبنيهم للفكر اليساري بمنظومتة العقدية والاجتماعية، لأنه يعلم أن أولئك سيرمون في النفايات، ولن يلتفت لهم

(١) نقلا عن: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ص٣٣٠.

أحد.

قال آخر: ولذلك راح يستعمل مصطلحات الدين نفسها ليضرب الدين؛ فزعم أنه متكلم وأصولي وفقيه.. وراح يتحدث عن القضايا المختلفة كما يتحدث عنها رجال الدين أنفسهم، ويستعمل نفس تعبيراتهم.. حتى أن الكثير جلس للتلمذة بين يديه كما يجلس بين يدي المشايخ..

قال آخر: ولذلك يمكن تلخيص مشاريعه جميعا في جملة واحدة هي [الثورة على الدين بالدين]، ذلك أن ثورته على الإسلام بدأت من ذلك المنهج البراغماتي الذي اعتمده، ودعا إلى استعماله، واستطاع أن يمرر مشروعه من خلاله.. وهو أن يُنظر إلى الإسلام، لا باعتباره دين الله، وأنه حقيقة مطلقة دلت عليها الأدلة العقلية، وأثبتتها أصناف الحجج، وإنما من كونه مادة يمكن استثمارها والاستفادة منها في تغيير المجتمع وتوجيهه.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلك: (إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم مازالت تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التي نشأت بها هذه العلوم والتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتي تمنع أيضاً إعادة فهمها وتطويرها، يسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الدين، الجنة، النار، الثواب، العقاب (..) هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر نظراً لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منها، ومهما أعطيناها معاني جديدة فإنها لن تؤدي غرضها لسيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الإصطلاحي الجديد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال)[١]

---

(١) التراث والتجديد، ص١١٠.

قال آخر: وليته اكتفى بذلك، بل راح يدعو إلى استثمار التوجه الديني، لا بتعميقه، وتصحيحه، وإنما بتحريفه عن مساره تحريفا كاملا، لتتحول العقيدة إلى ثورة، ويتحول الإله إلى إنسان، ويتحول كل شيء في الدين إلى وسيلة لتحقيق العدل الاجتماعي والرفاه الاقتصادي باعتباره الغاية الكبرى، لا رضوان الله، ولا جنته، ولا تحقيق السعادة الأبدية التي تحن إليها كل النفوس، ولا ترقية الروح لتتصل بالملأ الأعلى، وتتحقق بما يتطلبه ذلك المحل الرفيع من سمو وروحانية.

قال آخر: ولذلك دعا إلى تبديل كل اللغة القرآنية لتتناسب مع طروحاته؛ فيقول: (التخلي عن لغة اللاهوت الخاصة من إله، ورسول، وثواب، وعقاب، وملاك، وشيطان، وهي اللغة المغلقة التي مازالت خاضعة للرمز الديني، واستعمال لغة أكثر عقلانية وانفتاحاً وإنسانية يمكن لأي فرد أن يعقلها مثل الإنسان، والعقل، والنظر، والفضيلة، في حين أن علم الكلام ظل خاصاً، وعبر عن مضمونه بلغة خاصة في مقابل الفلسفة التي استطاعت أن تتجه نحو العالم، ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء، وألغينا التطور، وآثرنا لغة اللاهوت المغلق على لغة الفكر المفتوح)[1]

قال آخر: ولذلك فإن أقرب المفكرين إليه هو [وليم جيمس] ذلك الفيلسوف البراغماتي الأمريكي، صاحب [إرادة الاعتقاد]، والقائل: (إن الاكتشاف الأعظم الذي شهده جيلي والذي يقارن بالثورة الحديثة في الطب كثورة البنسلين هو معرفة البشر أن بمقدورهم تغيير حياتهم عبر تغيير مواقفهم الذهنية)، والذي قال في كتابه [البراغماتية]: (إن الحقيقي فى أوجز عبارة ليس الا النافع الموافق للمطلوب فى سبيل تفكيرنا تماما، كما أن الصواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب فى سبيل مسلكنا، وحيازة الحقيقة بعيدة كل

(١) التراث والتجديد، ص١٥.

البعد على أان تكون غاية فى ذاتها، فهى لاتزيد عن كونها مجرد وسيلة أو إرادة أولية لبلوغ الإشباع والرضا والسرور.. كما أن الحقيقة نفسها فى حالة تغير وتبديل وانتقال)[1]

قال آخر: وهكذا، وبنفس الأسلوب عبر حسن حنفي عن مشروعه التجديدي حين قال: (مهمة التراث والتجديد إذن هي إعادة كل الاحتمالات القديمة، بل ووضع احتمالات جديدة، واختيار أنسبها لحاجات العصر، إذ لا يوجد صواب وخطأ نظري للحكم عليها، بل لا يوجد إلا مقياس عملي، فالاختيار المنتج الفعال المجيب لمطالب العصر هو الاختيار المطلوب، ولا يعنى ذلك أن باقي الاختبارات خاطئة، بل يعنى أنها تظل تفسيرات محتملة لظروف أخرى وعصور أخرى ولت أو مازالت قادمة)[2]

قال آخر: وبناء على هذا راح يعيد تأويل القرآن الكريم ليحول العقيدة والشريعة، وكل الدين لتتناسب مع ما يريده اعتقاده، أو مع هذا العصر الجديد.

قال آخر: وهي بمجموعها ليست سوى تفريغ للقرآن الكريم من محتواه، بحيث لا يبقى منه إلا الأسماء، أما المسميات، فتتغير تغيرا تاما.

قال آخر: ومن الأمثلة على هذا التفريغ، أو على هذه الثورة على حقائق القرآن الكريم قوله: في اختصار الإسلام في السلام: (ولفظ السلام أيضاً يعبر أكثر عن مضمون الإسلام من اللفظ ذاته، لأن السلام هو الذي يحقق السلام الداخلي للإنسان بعد تحرره من كل قيود القهر والإستعباد، ثم هو الذي يحقق المجتمع الواحد الذي لا طبقات فيه ولا استغلال ولا احتكار، ومن ثم ينشأ السلام في المجتمع، وهو أيضاً الذي ينظم علاقات الأمم بعضها مع البعض الآخر على أساس من السيادة المتبادلة وأحلاف السلام)[3]

---

(١) نقلا عن: دراسات في فلسفة التربية الإسلامية، ص٢٠.

(٢) التراث والتجديد، حسن حنفي، عن التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص ٨٣.

(٣) التراث والتجديد، ص ١١٦.

قال آخر: ومثل ذلك قوله في مصطلحات اصول الفقه التي اتفق عليها علماء الأمة جميعا: (الواجب والحرام والمندوب والمكروه والمباح فهي ألفاظ توحي بأن الإنسان ما هو إلا آلة للتطبيق وأنه فاقد حريته، في حين أن التعبير بألفاظ أخرى مثل الطبيعة والإنطلاق والازدهار فيها تأكيدا للذات وإثبات لحريتها وتحقيق وجودها)[1]

قال آخر: وهكذا يعبر عن القرآن الكريم والوحي الإلهي، فهو عنده مجرد افتراض لا يمكن التحقق منه إلا بمدى خدمته للواقع، فيقول: (أما الوحي بالنسبة لي، فإنني آخذه على سبيل الافتراض.. أنا في رأيي؛ الوحي هو افتراض في البحث العلمي، يقوم بدور الافتراض في البحث العلمي؛ فهل يتحقق؟ والتحقق من الصدق، أقصد التحقق تجريبيًا صِرفًا وليس صوريًا، لا اتفاق نتائج مع مقدمات، ولكن التحقق من صحة هذا الفرض في الواقع الاجتماعي.. ومن ثم فأهلًا وسهلًا، أنا أتقبل كل النبوات وكل الوحي وكل الآراء.. وعليّ أن أمتحنها على محك الواقع)[2]

قال آخر: ويؤكد هذا المعنى بقوله: (نصوص الوحي ليست كتابًا أُنزل مرة واحدة مفروضًا من عقل إلهي ليتقبله جميع البشر، بل هو مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة)[3]

قال آخر: وهو بهذه الطريقة من التفكير يردد نفس ما ردده [وليم جيمس] حين قال: (إننا بدلا من أن نتسائل عما يسير الأشياء، وهل هي المادة أم الله؟ يجب أن يكون تساؤلنا كالتالي: ماهو الفرق العملي الذي يمكن أن يحدث الآن إذا قدر للعالم أن تسير دفته بواسطة المادة أو بواسطة الله؟.. إننا في مقدورنا أن نتمتع بإلهنا إذا كان لدينا إله)[4]

---

(١) التراث والتجديد، ص ١١٨.

(٢) الإسلام والحداثة، ص٢١٩، ٢٢٠.

(٣) التراث والتجديد (١٣٥)

(٤) من كتاب البراغماتية، نقلا عن: التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص ٨٥.

قال آخر: ولهذا كانت مشاريعه جميعا مشاريع ثورية تحاول أن تحافظ على الأسماء مع تغيير المسميات، بناء على تصورها أن الدين والتراث ليسا سوى نتيجة للواقع السياسي والاجتماعي الذي مرت به الأمة في مراحلها المختلفة.

قال آخر: ولهذا نجد هذه العناوين في كتبه ومشاريعه: (التراث والتجديد)، و(من العقيدة الى الثورة)، و(من النص الى الابداع)، و(التراث والعصر والحداثة)، وهي كلها مشاريع لا تريد التجديد أو الإبداع بمفهومة المعروف، وإنما تريد إلغاء القديم وإحلال مفاهيم جديدة بدلها لا علاقة لها بها.

قال آخر: فمهمة المفكر في التعامل مع التراث ـ على حسب ما يصور ـ هو (أن يعيد قراءته بحيث يعيد إليه تعدد الاختيار بين بدائله حتى يستقر على وجه آخر أصلح للناس وأنفع لهم)

قال آخر: ولذلك فإن المنطلق عنده في التعامل مع التراث ليس البحث في ذاته، والتحقيق فيه، وفي مدى عقلانيته وعلميته، على أسس علمية وموضوعية بحتة، وإنما في الانطلاق من الواقع والمجتمع، لتخير ما يتناسب معهما، فإن لم نجد نبتدع ما يتناسب مع المجتمع، وهو نفس ما عبر عنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]

قال آخر: فهذا الصنف الذي ذكره القرآن الكريم هو الذي ينظر إلى الدين، لا باعتباره حقائق واقعية، وإنما باعتباره وسائل نفعية، يمكن الاستفادة منها، واستثمارها في الدنيا وللدنيا، فإن تحقق الاستثمار، فبها، وإلا رمي كما يرمى كل شيء لا منفعة فيه.

قال آخر: وهكذا يدعو حسن حنفي إلى تطوير الدين، بحيث يتحول إلى وسيلة

للدنيا، وللرفاه، لا وسيلة للتعرف على الحقائق، والسلوك وفق مقتضياتها.

قال آخر: ولهذا، فإنه بعد بحثه في التراث والتاريخ، وجد أن (المعتزلة أفضل من الأشاعرة بالنسبة للعصر، فحاجتنا إلى العقل والحرية.. والدفاع عن الفلسفة القديمة وحكمتها المنطقية والطبيعة والإلهية أفضل من رفضها)[1]

قال آخر: وهو يذكر ذلك ليوهم القارئ أنه يفضل المعتزلة على الأشاعرة، ولكن الحقيقة غير ذلك، فهو يرفضهما جميعا، لأنه يصور أن الواقع الحالي يحتاج تطورا أكثر، وجرأة أكثر في التعامل مع الحقائق الدينية، ولذلك طرح البديل عن علم الكلام المعروف بما سماه: لاهوت الثورة، ولاهوت التحرير، ولاهوت التنمية، ولاهوت التقدم، والتي يرى أنها جميعا (لا تقل شرعية عن نظرية الذات والصفات عند الاشاعرة، أو عن أصلي التوحيد والعدل عن المعتزلة)

قال آخر: وقد عبر عن ذلك في كتابه [الحداثة والمعاصرة] بقوله: (والحقيقة أن الطبيعات والالهيات علم واحد مرة مقلوبا إلى أسفل فتصبح الطبيعات، ومرة مقلوبا إلى أعلى فتصبح الإلهيات)

قال آخر: ولهذا، فإن الله عنده (هو الثابت فى الكون، والعالم هو الحركة فيه واجهتان لشىء واحد.. لا يوجد إلا العالم، والله هو دوامه وبقاءه واستمراره وقوانينه وسننه الثابتة، وإذا كان الطريق إلى الفوز والنجاة والسعادة الأبدية فى نظرية الخلق هو تطبيق الشريعة وممارسة الشعائر.. فإنه فى نظرية قدم العالم العلم بقوانين الطبيعة من أجل السيطرة عليها وتسخيرها)

قال آخر: وبناء على ذلك، فإن الاعتبار الأساسي عنده ليس لله، ولا لوحيه، ولا

---

(١) نقلا عن: التنويريون والمؤامرة على الإسلام، ص ٨٦.

لشريعة، وإنما للمجتمع، فـ (المجتمع أولاً والوحي ثانياً.. والناس أولاً والقرآن ثانياً)[1]

قال آخر: وقد عبر عن ذلك تحت عنوان [أنساق العقائد والنظم الاجتماعية] بقوله: (يمكن إفراز أنساق عقائدية جديدة تلبى مطالب الظروف الحالية وتطلعات أجيالنا الى التحرر والحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة والتنمية وتأصيل الهوية وحشد الجماهير. هم (القدماء) رجال ونحن رجال نتعلم منهم ولانقتدى بهم. يمكن أن يكون الله هو الأرض حرصاً من على تحرير الأرض وربطها بالألوهية وكما هو وارد بنص القرآن ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ويمكن أن يكون الله هو الخبز والحرية تعبيرا عن حاجتنا إلى الغذاء والأمان طبقا لنص القرآن ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤])[2]

قال آخر: وبناء على هذا كله، فإن الدين عنده ليس سوى منتج حضاري، يمكن تطويره بحسب الظروف المختلفة، بل يمكن هدمه من جذوره، وبناء دين جديد على أساسه، لتتحقق المنفعة التي هي الهدف الأكبر من الدين، وقد قال بصراحة معبرا عن ذلك: (نشأ التصور الواحدى فى مجتمع جاهلى قبلى تتناحر فيه القبائل تعبيرا عن حاجة وتلبية لمطلب لدى مجتمع محدد فى لحظة تاريخية معينة)[3]

قال آخر: وقال في كتابه [دراسات إسلامية]: (علم العقائد إذن اختيارات سياسية محضة، وليس علما مقدسا، وكل ظروف تفرض اختياراتها، وقد تتم تحت ظروفنا الحالية اختيارات أخرى. قد يكون من صالح الأمة الآن الدفاع عن الله وتصوره باعتباره أرضا درءا للاحتلال وتحريرا للأرض)

---

(١) الحداثة والمعاصرة، حسن حنفي.

(٢) الحداثة والمعاصرة، حسن حنفي.

(٣) الحداثة والمعاصرة، حسن حنفي.

قال آخر: وهكذا تحول الدين عنده من دين يبحث عن الله، وإقامة الصلات الروحية به إلى دين يبحث في الإنسان الذي يعتبره صانعا لله، وليس الله هو الصانع للإنسان.

قال آخر: وهو يذكر أن حديثه عن التراث لا يعني به ما أنتجه المسلمون طيلة تاريخهم من أبحاث في الفقه والعقائد والتفسير وغيرها فقط، وإنما يعني به القرآن الكريم والسنة المطهرة أيضا، فهي عنده من التراث الذي يحتاج إلى انتقاء وإعادة قراءة، لا على أسس علمية، وإنما على أسس براغماتية.

قال آخر: وبناء على هذا المنهج البراغماتي، يتحدث عن النبوة قائلا: (وهل تجب النبوة لحاجات عملية أي للتنفيذ والتحقيق وأداء الرسالة مادام الإنسان غير قادر على سن القوانين وتأسيس الشرائع وإقامة الدول أو تجنيد الجماهير وتوجيه الأمم وفتح البلدان، ألا يمكن للعقل قيادة المجتمعات مثل قيادة الإمام لها، هناك أيضا العقل الاجتماعي والعقل السياسي والعقل التاريخي لوضع القوانين وسن الشرائع.. إن العقل ليس بحاجة إلى عون، وليس هناك ما يند عن العقل. هل استطاعت النبوة أن تخفف من نقائص الإنسان وهي أول من يعترف بها؟)

قال آخر: وبناء على ذلك ينكر أن يكون في القرآن أي شريعة، فيقول: (ليس القرآن كتاب تحليل وتحريم، بل كتاب فكر وليس الغرض منه تغليف العالم بقوانين وتقييد السلوك الإنساني بقواعد، بل مساعدة الطبيعة على الازدهار والحياة على النماء)

قال آخر: ويتمادى في ذلك؛ يقول: (البداية بالمحرمات، والتشديد في العقوبات، وإصدار قوائم للممنوعات، وجعل السلوك الإنساني تحقيقاً للنواهي دون ذكر للمباحات التي يمكن أن يتصل من خلالها بالطبيعة، وجعل العالم مواطن للشبهات لا يجوز للإنسان أن يحوم حولها خشية التردي فيها، هذا كله يمنع الثقة بين الإنسان والعالم، ويضع في

الإنسان الخوف بدل الشجاعة، والإحجام بدل الإقدام، ويجعل الإنسان متشككاً في سلوكه، متهماً لنفسه، نادماً على ما فعل مما يرسخ في نفسه الإحساس بالذنب الناتج عن الإقتراب من التابو أو مجرد التفكير فيه، والوعي السياسي يتطلب القضاء على كل هذه المحرمات التي تخضع لتحليل العقل ولوصف الواقع، مما يعيد الثقة للإنسان بينه وبين العالم)[1]

قال آخر: وبناء عليه أيضا يتحدث عن رسول الله ﷺ باعتباره زعيما براغماتيا لا رسولا يحمل الحقائق والقيم المطلقة؛ فيقول: (النبي محمداً كان يحمل هم الوحدة الوطنية للقبائل العربية وتكوين دولة في الجزيرة العربية، وكانت له مشاكل مع اليهود والنصارى ومع المشركين أيضا، فجاء المشركون إليه بعرض جيد، وقالوا له: نعم أيها الأخ، ما المانع أن تذكر اللات والعزى لمدة سنة واحدة، وقل أنهم ليسوا آلهة.. فقال بينه وبين نفسه: إن هذا العرض يشكل بالنسبة لي كزعيم سياسي شيئا جيد، لأنه يحقق لي مصالحة مؤقتة مع العدو، وماذا يعني لو أنني ذكرت اللات والعزى لمدة سنة واحدة ثم أغير بعدئذ؟)

قال آخر: أما أحاديثه عن الله، فهي لا تختلف كثيرا عن مقولات اليساريين، ولو أنه يحاول كل حين تهذيبها حتى لا تصطدم بأولئك الذين يقدسونه دون أن يدركوا أهدافه، فهو يتحدث عن علماء الكلام وحديثهم عن الله قائلا: (مع أن علماء أصول الدين يتحدثون عن الله ذاته وصفاته وأفعاله، فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الإنسان الكامل ؛ فكل ما وصفوه على أنه الله إن هو إلا إنسان مكَبَّر إلى أقصى حدوده)

قال آخر: وبناء على ذلك كله؛ فإن النتيجة التي يرمي إليها من خلال مشاريعه جميعا، هي نفس النتيجة التي ينطلق منها جميع الحداثيين، هي إقصاء الدين إقصاء كليا من الحياة،

---

(١) التراث والتجديد، ص٤٢.

وفي جميع مستوياتها، وقد عبر عن ذلك بقوله: (فإن قيل إن التراث والتجديد سيؤدي حتماً إلى حركة علمانية وفي العلمانية قضاء على تراثنا القديم وموروثاتنا الروحية وآثارنا الدينية، قيل قد نشأت العلمانية في الغرب استجابة لدعوة طبيعية تقوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسمين واستغلال المؤسسات الدينية للجماهير وتوطينها مع السلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة نشأت العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية إذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره.. العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور، وما شأننا بالكهنوت والعلمانية ما هي إلا رفض له؟ العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى)

ز. أحمد القبانجي:

قال أحد الحضور: حدثتمونا عن السادس.. فحدثونا عن السابع.

قال أحد المبدلين: السابع هو أحمد القبانجي.. وهو من أصحاب الأهواء الذين غرتهم المطامع ليلقي عمامته السوداء، أو ليستعملها عمدا ليشوهها أعظم تشويه.

قال آخر: وقد بزغ نجمه في دولة الإمارات عام ٢٠١٠م، حينما استدعي من طرف ولي عهد أبي ظبي ليلقي محاضرة بعنوان [الإسلام الأصولي والإسلام الحداثي]، والتي انتقد فيها الأحزاب والجماعات الإسلامية ذات التوجهات السياسية، حيث اعتبرها مسؤولة عن أفكار الاستبداد والانغلاق المعرفي الذي تعاني منه الشعوب العربية، وقد أعلن عنه حينها

بأنه المفكر والباحث الكبير، وكان ذلك مقدمة لإشهار أفكاره في أبي ظبي وغيرها، مثلما كانت منطلقا لإشهار كل تلك الأفكار التي لا تهدم الجماعات الإسلامية فقط، بل تهدم معها الإسلام أيضا.

قال آخر: لا يحتاج منا هذا المبدل الذي أقر بإلحاده، بل بسخريته من الدين سوى أن ننقل لكم بعض مواقفه، والتي تمثل في حقيقتها النتيجة الطبيعية لكل المشاريع الحداثية[1].

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله عن الجنة والنار: (إن الجنة والنارهي خلاف العقل ولا وجود لها، وإن ورود جهنم في القرآن هو لتخويف الانسان فقط، والوعد بالجنة هو لترغيب الانسان كي ينجذب الى الدين والايمان بالاسلام وبرسوله وكتابه)

قال آخر: وقال: (إن ماجاء به محمد ليس كلاما إلهيا وليس من الله، بل كلام ناتج عن عمق اتصاله مع الله ومع الناس؛ فأخذ يصوغ للناس كلاما نورانيا من ذهنه، وليست نصوصا مبلغا بها من الله)

قال آخر: وقال: (اعتبار الارض مسطحة، وكان يعتقد أن القمر خُلقَ ليكون مواقيت للناس فقط، حيث لايستعمل الآن للتوقيت لوجود التقاويم الحديثة والساعات وغيرها من الأجهزة، وأخطأ القرآن في أسباب خلق الجبال، فاعتبرها رواسي للأرض لاعتقاده أن الأرض تطفو على سطح المياه وبحاجة للرواسي كي لا تميد وتنزلق، وهذا ما ينفيه العلم الحديث)

قال آخر: وقال: (قال النبي محمد: [إن الله هو الضال والهادي]، فكيف يدعو الله الى الخير والشر، وهذا محال أن يناقض الله نفسه)

---

(١) انظر هذه النص وغيره في مقال بعنوان: الاسلام العقلاني والليبرالي عند الشيخ احمد القبانجي، صباح إبراهيم، الحوار المتمدن ـ العدد: ٣٥٦٩ـ ٢٠١١ / ١٢ / ٨ـ ٠٨:٣٥، وهي موجودة في محاضراته على اليوتيوب.

قال آخر: وقال: (إن ثقافة محمد ومعارفه استقاها من القس النصراني ورقة بن نوفل والأحبار اليهود وقسس النصارى الذين كانوا يلتقون به خلال أربعين سنة قبل البدء بدعوته، وأنه تزوج النصرانية خديجة بنت خويلد ابنة عم القس ورقة بن نوفل على الطقوس النصرانية، حيث أنه لم يطلقها ولم يتزوج عليها كما توصي تعاليم الدين المسيحي حيث عقد القس ورقة بن نوفل بنفسه عقد قِران محمد على خديجة بحضور عمه أبي طالب ولي أمر محمد)

قال آخر: وقال: (نحن لانحتاج الى الله خالق السماء والأرض، بل نبحث عن الله الخير نبحث عن الرب)

قال آخر: وقال: (ثبت أن القرآن ليس من الله لوجود الكثير من الأخطاء والتناقضات واللابلاغية واللاأخلاقية واللاعلمية فيه.. ويصف القرآنُ اللهَ بأنه جبار وماكر وغضوب وأن محمد يجسد الله ويجلسه على عرش وكرسي، وأن الله يعذب ويظلم ويستهزئ ويمكر ويأمر بالفسق والقتل وينتقم ويضل من يشاء، وهذه كلها صفات بشرية يتنزه الله عنها، ثم يناقض محمد نفسه ويصف ربه انه ليس كمثله شئ.. لذلك فإن القرآن هو تفسير محمد لكلام الله، وليس هو كلام الله.. فالآيات القرآنية هي صياغة بشرية لما يراه النبي من تفسيرات وجدانية.. والقرآن كتاب خطابي وليس فلسفي.. وهو كلام موجه للهمج من العرب، وأدلته ضعيفة.. وكل ماجاء به من الأحكام والشرائع وقصص الأنبياء مستوحى من التوراة والانجيل والتراث المكتوب ما قبل الاسلام وليس فيه شئ جديد)

قال آخر: وقال: (إن محمدا هو من ابتدع فكرة أن يكون خاتم الانبياء وقد انتظر ١٨ سنة كاملة حتى أتى بسورة الاحزاب ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] لأنه كان يعتقد أنه سيرزق بولد ليكون خليفته ونبيا من

بعده، ولما يئس من أن يرزق بولد ذكر، قال: (لانبي من بعدي) لخوفه من ظهور أنبياء جدد منافسين كمسيلمة وسجاح ويغيروا من دينه وينكروا نبوته من بعده)

قال آخر: وقال: (إن ختم النبوة بمحمد يتنافى مع الحكمة الإلهية.. وأن القرآن ذكر أن الله سيرسل رسلا لهداية البشر بعد محمد.. وهذا يدل على استمرار ارسال رسل آخرين قبل وبعد محمد، حيث لا يعقل أن ينقطع اتصال الله بالبشرية حتى قيام الساعة)

قال آخر: وقال: (كان الاسلام كاملا في زمان محمد، والآن يعتبر الإسلام ناقصا لتطور المجتمعات والحضارة والقوانين التي لا تنطبق عليها أحكام وشريعة الاسلام الغابرة، فلا يجوز أن تُعتبر اليوم المراءة مساوية لنصف الرجل في الارث والشهادة، وهي تدير حكومات ووزارات وأبحاث علمية، وتذهب في رحلات للفضاء الخارجي، ولا يجوز اليوم معاقبة إنسان ما بقطع يده أو عنقه بالسيف)

قال آخر: وقال: (لو كان القرآن هو المحرك للعقل البشري للتطور والتقدم لكان المسلمون أرقى شعوب الأرض حضارة ورقيا، ولكن العكس هو الصحيح؛ فالحضارة ظهرت في أوربا بأبهى أشكالها وأفضل قوانينها، وبقى المسلمون متخلفين لحد الآن بسبب اتباعهم لأوامر القرآن والشريعة)

قال آخر: وقال: (في الجنة لايوجد كرم أو إيثار أو مواساة أو التنافس على العمل ولا إبداع او عمل الخير، فالناس في الجنة لا شغل لهم سوى نكاح الحوريات وشرب الخمر والعسل واللبن من الانهار، حيث لا وجود للصفات الانسانية هناك وهذه حياة حيوانية)

قال آخر: وقال عن الأحكام الشرعية: (إنها كانت صالحة في زمان النبي وبدء ظهور الاسلام، وهي لاتصلح لكل زمان ومكان، فالآيات جاءت لظروف محدودة ولزمن معين)

قال آخر: وغيرها من المقولات الكثيرة التي يرددها، وينشرها على وسائل التواصل

الاجتماعي، وهو يرتدي عمامته السوداء، ليوهم الناس أن هذا هو قول الشيعة، ويزداد بذلك الصراع الطائفي بين المسلمين.

قال آخر: وللأسف؛ فقد انطلت الحيلة على الكثير من المسلمين الذين يعتبرونه بسبب تلك العمامة التي وضعها على رأسه، وبسبب البيئة التي ولد وعاش فيها مفكرا شيعيا.. ولسنا ندري هل يمكن لمتشيع أن ينكر الجنة والنار، وأن يقول بكل تلك الطروحات التي لم يقل بها شيعي في التاريخ جميعا.. ومع ذلك يحمل على الشيعة رغم أنوفهم كما حمل ياسر الحبيب، واللهياري وكل دجال وأفاك، لأن الحاكم ليس العقل ولا المنطق، ولا العدل، وإنما الحقد الذي نهانا الله عنه.

٣. التبديل والحقائق:

بعد أن انتهى المبدلون التائبون من ذكر موقف أساتذتهم من القرآن الكريم، وتشكيكاتهم وتحريفاتهم وتبديلاتهم المرتبطة به، قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن التبديل والتنزيل؛ فحدثونا عن علاقة تلك التبديلات المدنسة بالحقائق القرآنية المقدسة.

قال أحد المبدلين: لقد كان الهدف من كل تلك التبديلات، وقبلها التشكيكات هو الوصول إلى هذه الغاية، والتي تعني استبدال الهداية الإلهية المعصومة المقدسة، بالغواية الشيطانية المنتكسة المدنسة.

قال آخر: ولذلك كان كانت جهودهم منصبة على القرآن الكريم لعلمهم أنه الكتاب الذي يحمل علم الهداية الإلهية، وأنه الشمس التي تشع بها، وحبل الله الممدود لعباده، وسفينة نجاته لهم.

قال آخر: ولذلك ـ بعد أن عجزوا عن تحريف ألفاظه أو التشكيك فيها ـ راحوا يستعملون التحريف والتبديل، ليجعلوا من ألفاظ القرآن الكريم وسيلة لأغراضهم

التضليلية.

قال أحد الحضور: فحدثونا عن مجالات ذلك، وكيفيته.

قال أحد المبدلين: من خلال تلمذتنا الطويلة على أساتذتنا المبدلين، وجدنا أنهم يركزون جهودهم على أربع حقائق كبرى، لا يمكن أن يفهم القرآن الكريم فهما صحيحا بعد تشويهها.

قال آخر: وأولها الإسلام، بتحريف معناه وتمييعه، ليشمل كل من على وجه الأرض، حتى ذلك الذي لا يعتقد في نبوة رسول الله ﷺ، ولا يؤمن بالقرآن الكريم ولا بأحكام الشريعة.

قال آخر: وثانيها [الله]، فهم لا يعتبرونه ركنا أساسيا في الدين.. بل فرعا من فروعه التي لا قيمة لها، لأن هدف الدين عندهم هو الإنسان لا الله.

قال آخر: وثالثها [النبوة]، فهم يحقرونها ويقزمون أدوارها، ويميعون معناها لتشمل من تشاء لهم أهواؤهم.

قال آخر: ورابعها [المعاد]، فهم لا يبالون به، لأن هدفهم هو الحياة الدنيا، ولذلك يؤولون ما شاءوا من شؤون المعاد، بل قد يسخرون منه، ومن المؤمنين البسطاء الذين يبنون حياتهم على أساس الإيمان به.

أ. المبدلون والإسلام:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المبدلين وحقيقة الإسلام.

قال أحد المبدلين: أول تبديلهم لحقيقة الإسلام هو تمييعهم لمفهومه، أو تطبيق معناه العام على معناه الخاص، حتى يفقد حقيقته ولوازمه.

قال آخر: وهم يشبهون في ذلك ما يفعله الكسول الذي تدعوه للتسبيح والذكر

والسجود، فيقول لك: أوليس كل شيء يسبح الله ويذكره ويسجد له؟.. فإن قلت له: أجل.. قال: فأنا من تلك الأشياء، وكل أعضائي وخلاياي وذراتي تذكر الله، وتسبح بحمده، وتسجد له.

قال آخر: وهكذا مفهوم الإسلام عندهم.. فالمفهوم العام للإسلام يتناول كل شيء.. فكل شيء طوع لإرادة الله، وملك لمشيئته، من شاء ذلك، أو من كره، كما قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِّ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]

قال آخر: والذي يزعم أنه مسلم بهذا الاعتبار مع التقصير في حق الله، وفي الإيمان بما يقتضيه الإسلام الخاص، لا يمكن أن نطلق عليه لقب [المسلم]، ولذلك لا يصدق فيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

قال آخر: ذلك أن هذا النوع من الإسلام مرتبط بعقائد وشرائع تضبطه، وتحميه من أن يصبح مجرد دعاوى لا دليل يدل عليها.. فإذا ما جاء أحد من الناس إلى تلك الضوابط التي تحمي حمى الإسلام، فراح يتساهل فيها أو يتلاعب بها؛ فإنه بذلك لن يبقي من الإسلام إلا اسمه، أما حقيقته، والتي تشكلها المعاني التي يتكون منها، فإنها تزول بزوالها.

قال آخر: فهل يمكن أن يكون هناك إسلام من دون أن يكون فيه صلاة ولا صيام ولا حج ولا تلاوة ولا ذكر؟

قال آخر: وهل يمكن أن يكون هناك إسلام لا تحرم فيه الخمر ولا الخنزير ولا القمار ولا الربا، ولا الفواحش، ولا كل ما ورد في الشريعة تحريمه؟

قال آخر: وهل يمكن أن يكون هناك إسلام لمن يعتقد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر خلاف ما ورد في القرآن الكريم من عقائد واضحة صريحة، تثبت الكفر لمن

جحدها وعاندها بعد أن سمع بها؟

قال آخر: هذه أمور واضحة جدا، والنصوص المقدسة كلها من القرآن الكريم والسنة المطهرة المتفق عليها عند المدارس الإسلامية جميعا تدل عليها، لكن مع ذلك يأتي أساتذتنا الحداثيون ليشككوا في ذلك كله.

قال آخر: لقد استطاع أساتذتنا المبدلون الذين يتلاعبون بالألفاظ، وباستخدام القرآن الكريم، وبقواميسهم الذكية، أن يغيروا معنى الإسلام تغييرا تاما ليشمل كل البشر، حتى الذين سمعوا برسول الله ﷺ ثم أصروا على جحوده وإنكار الإيمان به واتباعه.

قال آخر: ومن أحسن الأمثلة على ذلك ما فعله شحرور في كتبه المتعددة، خاصة في كتابه [الإسلام والإيمان ـ منظومة القيم]، والذي استعرض فيه الآيات القرآنية التي تذكر الإيمان والمؤمنين والإسلام والمسلمين، وما ناقضهما من الصفات، ليهدم بها الإسلام كله.

قال آخر: وقد عبر عن ذلك بقوله: (ثمة العديد من آيات التنزيل الحكيم، تجدنا فيها أمام مصطلحات هي: الإسلام/ المسلمون، والإيمان/ المؤمنون، والتقوى/ المتقون، تقابلها في جانب آخر مصطلحات هي: الإجرام/ المجرمون، والكفار/ الكافرون، والشرك/ المشركون، ونفتح المعاجم والتفاسير وكتب الأصول، فتجدنا أمام خلط واضح بين الشرك والكفر والإجرام، وأمام ثنائية غائمة لا تفرق بين المسلم والمؤمن، والإسلام والإيمان، وتجعل المسلمين مؤمنين والمؤمنين مسلمين والجميع أتباع محمد ﷺ)(1)

قال آخر: ثم بدأ بالآيات التي تتحدث عن الآيات التي اجتمع فيها لفظ المسلمين والمؤمنين في محل واحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: 35]، وقوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ

(1) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، ثم علق عليها بقوله: (ونفهم من الآيات أمرين، الأول أن المسلمين والمسلمات شيء، والمؤمنين والمؤمنات شيء آخر، والثاني أن الإسلام يتقدم دائماً على الإيمان ويسبقه)[1]

قال آخر: ثم استعرض آيات أخرى تشمل إسلام وإيمان الأمم السابقة، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقوله حكاية عن دعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله حكاية عن سحرة فرعون: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقوله عن فرعون: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، وقوله في قصة لوط عليه السلام: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (ونفهم من الآيات في تسلسلها أعلاه، أن إبراهيم ويعقوب والأسباط ويوسف وسحرة فرعون والحواريون ونوحاً ولوطاً، كانوا من المسلمين، وأن فرعون حين أدركه الغرق نادى بأنه منهم، وهؤلاء جميعاً لم يكونوا من أتباع محمد ﷺ، فالحواريون من أتباع عيسى عليه السلام وسحرة فرعون من أتباع موسى عليه

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

السلام، ونفهم من هذا كله أن الإسلام شيء والإيمان شيء آخر، وأن الإسلام متقدم على الإيمان سابق له، وأن المسلمين ليسوا أتباع محمد ﷺ حصراً)[1]

قال آخر: ثم يتساءل قائلا: (إن كانت الشهادة برسالة محمد ﷺ، والشعائر من أركان الإسلام، فكيف يصح إسلام فرعون وهو لم يلتق إلا بموسى عليه السلام، وإسلام الحواريين وهم لم يعرفوا سوى المسيح عيسى بن مريم، وإسلام غيرهم ممن أثبت التنزيل الحكيم إسلامهم فيما ذكرنا من آيات، وهم جميعاً لم يسمعوا بالرسول الأعظم، ولم يصوموا رمضان، ولم يحجوا البيت؟)[2]

قال آخر: وقد كان في إمكانه أن يجيب على هذا بما أجابه به كل العلماء وفي كل العصور، من أن إسلامهم كان معتبرا، لأنهم كانوا قبل رسول الله ﷺ، لكن بعد مجيئه؛ فإنه لا يتحقق الإسلام إلا بطاعته واتباعه، وهذا ليس خاصا برسول الله ﷺ، بل هو عام لكل الرسل، فلا يمكن تحقق الإسلام في كل عصر إلا بالإيمان بنبي ذلك العصر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِّ﴾ [النساء: ٦٤]

قال آخر: لكن هذا الفهم لا يخدم مشروعه التدميري والتمييعي للإسلام؛ فلذلك راح يتهجم بشدة على كتب التراث التي ذكرته، يقول في ذلك: (لقد أقامت كتب الأصول والأدبيات الإسلامية أركاناً للإسلام من عندها، حصرتها في خمس، هي التوحيد والتصديق برسالة محمد ﷺ والشعائر، مستبعدة العمل الصالح والإحسان والأخلاق من هذه الأركان، فالتقت، دون أن تقصد، بالعلمانيين والماركسيين من أصحاب مشاريع الحداثة والتجديد، كما أسلفنا، ووقعت دون أن تقصد أيضاً، فيما وقع فيه اليهود والنصارى)[3]

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٣) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

قال آخر: ولسنا ندري من أين له هذا، وكتب التراث كلها، تتحدث عن الأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة، وتربطها بالإسلام، وتعتبرها أركانا له، من غير أن تلغي الأركان الشعائرية الأخرى.

قال آخر: لكن شحرورا لا يهتم بهذا، لأن قصده ليس الاهتمام بالقيم الأخلاقية، وإنما استعمالها وسيلة لضرب الشرائع والشعائر التي تمثل الإسلام المحمدي، والذي هو الإسلام الوحيد الذي يجب اتباعه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهي الآية الواضحة في دلالتها، والتي عقب الله تعالى عليها بقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٦ـ٨٨]

قال آخر: لكن شحرورا لم يرتض هذا، وراح يستدل بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١ـ ١١٢] في تمييع مفهوم الإسلام وأركانه، يقول ـ معلقا على الآية الكريمة ـ: (فاليهود يحصرون الجنة باليهود، وما عداهم في النار، والنصارى يحصرون الجنة بالنصارى وما عداهم في النار، والتنزيل يعتبر ذلك كله أوهاماً منهم لا برهان عليها، ويصحح لهم أوهامهم بصراحة لا لبس فيها، قائلاً أن الجنة يدخلها كل من ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وتأتي أركان الإسلام الموضوعة لتقول: لا يقوم الاسلام إلا على التصديق برسالة محمد ﷺ، وعلى الصلاة والزكاة والصيام

والحج، وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله، في زعمهم، غيره، ولا يدخل الجنة إلا أصحابه، ونسأل نحن: أليس هذا بالضبط ما قالته اليهود والنصارى، فتصدى لهم سبحانه في التنزيل؟)[1]

قال آخر: ثم راح يستعمل المنهج الذي اعتمده، والذي يستعمل التباين في الألفاظ وسيلة للتباين، لا في المعاني فقط، بل في مسمياتها أيضا، فيقول: (لقد تم اعتبار الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيع من أركان الإسلام، فإذا ما فتحنا التنزيل الحكيم، وجدناه يكلف المؤمنين بهذه الشعائر، وليس المسلمين)[2]

قال آخر: ثم استعرض بعض الآيات التي تربط الشعائر والشرائع بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

قال آخر: ثم راح يتساءل: (لماذا تم استبعاد الجهاد، والقتال، والقصاص، والشورى، والوفاء بالعقود والعهود، والعديد العديد من الأوامر والتكاليف، من أركان الإسلام، مع أن حكمها واحد في الآيات كحكم الصلاة والزكاة والصيام والحج؟)[3]

قال آخر: ثم استعرض بعض الآيات التي تتحدث عن صفات المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٣) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].. وغيرها.

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (كما نجد أنفسنا، مع أركان الإسلام المزعومة التي تضم الشعائر فقط، أمام تحريف خطير لما ورد في التنزيل الحكيم، فالدين عند الله الإسلام، لا يقبل ديناً غيره.. ولكن الدين الإسلامي عند الله دين الفطرة الإنسانية التي فطر سبحانه الخلق عليها، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].. ولا بد أن تكون أركان هذا الإسلام، بدليل قوله تعالى، فطرية مقبولة، تتماشى بشكل طبيعي مع ميول الخلق)[١]

قال آخر: وهكذا راح يستعمل مصطلح [الفطرة] ليلغي به الإسلام، وقد قال في ذلك متسائلا: (فهل الشعائر (إقامة الصلاة ـ الصوم ـ حج البيت ـ الزكاة) التي افترضوا أنها من أركان الإسلام، فطرية؟ تتجه إليها النفوس والأرواح والعقول مدفوعة بفطرة الخلق؟)[٢]

قال آخر: ثم راح يبرهن على أنها ليست من الفطرة، ويستدل بذلك على كونها ليست

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

من الإسلام، يقول في الزكاة: (لنأخذ الزكاة مثلاً، لنجدها ضد الفطرة الإنسانية تماماً!!.. فالزكاة إخراج للمال وإنفاق له، بينما جبل الله خلقه على كنز المال وحبه، كجزء من أجزاء غريزة حب البقاء، يقول تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١])(١)

قال آخر: ومثلما أخرج الزكاة من الإسلام بسبب عدم فطريتها كما يزعم، أخرج الصوم، فقال: (ولننظر إلى الصوم كمثل آخر، لنجده يتعارض مع الفطرة، ومع غريزة حب البقاء، تعارضاً عمودياً!!.. فالأصل في الفطرة أن يأكل المرء حين يجوع، ويشرب حين يعطش، ويطلق للسانه العنان سباً وشتماً حين يغضب، أما الصوم فهو تهذيب لهذه الوجوه الوحشية البهيمية من الفطرة، وقمع لهذه الغرائز التي أوجدها الخالق في الخلق لحماية النوع والحفاظ على البقاء)(٢)

قال آخر: وهكذا راح يخرج الجهاد في سبيل الله، ويعتبر عدم انسجامه مع الفطرة، ولذلك هو لا ينسجم عنده مع الإسلام، فقال: (ثمة مثال ثالث، لم يرد عند واضعي أركان الإسلام، رغم أنه تكليف أمر الله به المؤمنين، هو القتال، في هذا المثال يوضح سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، أن القتال كتب على المؤمنين كما كتب على الذين من قبلهم، مما يذكرنا بآية الصوم التي تنص على أن الصيام كتب على المؤمنين كما كتب على الذين من قبلهم، ويذكرنا بأن الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، لكن هذه الآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] تزيد فتوضح

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

بها لا يقبل الشك بأن الله يأمر المؤمنين بالقتال وهو كره لهم، صدق الله العظيم)[1]

قال آخر: ثم عقب على ذلك كله بقوله: (فالقتال ضد الفطرة، والزكاة ضد الفطرة، والصيام ضد الفطرة.. وباختصار، الشعائر كلها ضد الفطرة.. ولو كانت من الفطرة لما أنزلها تعالى في محكم كتابه، وكلف المؤمنين بها تكليفاً، ولترك الخلق يؤدونها بفطرتهم دون أمر منه، تماماً كما تمتنع البقرة عن أكل اللحم، بفطرتها التي فطرها الله عليها)[2]

قال آخر: وبعد أن أخرج تلك الشعائر والشرائع من الإسلام بسبب انسجامها مع الفطرة راح يبحث عن الأركان الحقيقية للإسلام كما يتصور، فقال مقدما لها: (لقد اقتصرنا حتى هذه لسطور، على دحض مزاعم واضعي أركان الإسلام الخمس، وعلى تنبيه القائلين بها إلى مخالفة ذلك للتنزيل الحكيم.. ولكن هل وضع التنزيل أركاناً للإسلام؟.. وما هي؟)[3]

قال آخر: ثم راح يستعرض آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، وقوله: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٣) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (ومن هذه الآيات وغيرها كثير، نفهم أن الإسلام هو التسليم بوجود الله، وباليوم الآخر، فإذا اقترن هذا التسليم بالإحسان والعمل الصالح، كان صاحبه مسلماً، سواء أكان من أتباع محمد ﴿الذين آمنوا﴾ أو من أتباع موسى ﴿الذين هادوا﴾ أو من أنصار عيسى ﴿النصارى﴾ أو من أي ملة أخرى غير هذه الملل الثلاث كالمجوسية والشيفية والبوذية ﴿الصابئين﴾)[1]

قال آخر: وهو لا يقصد من هذا ما اتفق عليه جميع المسلمين من أن المقصود بإسلام هؤلاء أو نجاتهم في القرآن الكريم مرتبط بكونهم في أزمنة سبقت الإسلام، ولم يعرفوا دينا إلا تلك الديانات، فهم غير مكلفين إلا بها، أو لكون بعضهم في أقصى الأرض، ولم يتهيأ لهم أن يسمعوا بالإسلام، فهم غير مؤاخذين بسبب ذلك.

قال آخر: ومثل ذلك ما ورد في قوله تعالى عند الحديث عن بني إسرائيل: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، فهو لا يقصد وجودهم في كل الأزمنة، وإنما يقصد وجودهم في الأزمنة السابقة قبل رسالة رسول الله ﷺ، لأنه بعد إرسال الله له صار على الجميع وجوب اتباعه.

قال آخر: وبعد تأويله لتلك الآيات الكريمة، وتمييع الإسلام من خلال فهمه لها، ليشمل جميع الأديان، وفي كل الأزمان، راح يبحث عن الأركان التي تمثل ذلك الإسلام الذي يشمل الجميع، ومن دون استثناء، ويستدل لها بقوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢ ـ ٣]، ولا ينسى كعادته، وكعادة المبدلين عدم إكمال الآيات مع كونها في سياق واحد؛ لأن إكمالها يعرض نظريته جميعا للسقوط؛ فتتمة تلك الآيات هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤ ـ ٥]، وهي تدل على اعتبار الإيمان برسول الله ﷺ ركنا من الدين، ثم تعقب على ذلك بتكفير من لا يتحقق بذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ ـ ٧]

قال آخر: هو يتجاهل تلك الآيات، ويكتفي بالجزء الأول منها، ويعقب عليه بقوله: (نفهم أن الغيب هنا هو الله واليوم والآخر، وأن العمل الصالح والإحسان هو أركان الإسلام، فإذا فهمنا ذلك كله، رأينا منطقياً وطبيعياً أن يقول سبحانه إن الدين عنده هو الإسلام، وأنه لا يقبل ديناً غيره، إذ كيف يقبل الخالق من عباده ديناً هو غير موجود فيه بالأصل)[1]

قال آخر: وبناء على هذا راح يفرق بين الإسلام والإيمان، فقال: (إذا فهمنا ذلك، ورأينا هذا، انتبهنا إلى أن التنزيل الحكيم حين يتكلم عن الإيمان، وعن الذين آمنوا، فهو يتحدث عن نوعين من الناس، أو لنقل نوعين من الإيمان، أولهما الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو الإسلام، وثانيهما الإيمان بمحمد ﷺ ورسالته)[2]

قال آخر: ثم يستخلص من هذا أركان الإسلام الذي لا يشترط الإيمان برسول الله ﷺ، ولا اتباعه، وهي ـ كما يذكر ـ ثلاثة أركان، هي (الإيمان تسليماً بوجود الله، والإيمان

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

تسليماً باليوم الآخر، ولاحظ معي هنا أن التسليم باليوم الآخر يعني ضمناً التسليم بالبعث، أي أن الإيمان بالله واليوم الآخر هي المسلمة التي لا تقبل النقاش عند المسلم، وهذه هي تذكرة الدخول إلى الإسلام، والعمل الصالح والإحسان.. ونتبين في هذه الأركان الثلاثة جانبين: جانب نظري بحت هو الإيمان بالله واليوم الآخر، وجانب منطقي عملي هو العمل الصالح والإحسان، إذ لا معنى للإيمان النظري دون سلوك عملي ينعكس فيه ويتجلى من خلاله)[1]

قال آخر: وهكذا راح يحلل معنى العمل الصالح المرتبط بالإسلام من خلال تحليله لمعنى الإجرام والمجرمين، فيقول: (فإذا أردنا تعميق فهمنا للإسلام والمسلمين في التنزيل الحكيم، فما علينا إلا أن ننظر في تعريف المصطلح المضاد للإسلام وهو الإجرام، والمصطلح المضاد للمسلمين وهو المجرمين في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦])

قال آخر: ثم راح يتحدث عن هذا المصطلح في القرآن الكريم لا ليحذر من الإجرام، ويذكر خطورته، وإنما ليختزله فقط في نواح معينة، مثلما اختزل مفهوم الإيمان والإسلام، يقول مقدما لذلك: (لقد ورد الأصل [جرم] ومشتقاته ٦٧ مرة في التنزيل الحكيم، وهو أصل واحد في اللسان العربي يعني القطع، ومنه سميت الأجرام السماوية أجراماً لأنها منفصلة مقطوع بعضها عن بعض، ومنه جاء قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩]، أي أن خسارتهم في الآخرة أمر مقطوع مبتوت به، وإذا كان المصطلح القانوني المتداول اليوم، يسمي السارق والقاتل والغاصب مجرماً، فإن الأصل في ذلك أن المجرم هو الذي قطع صلته بالمجتمع وقوانينه وانطلق يجري على هواه،

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

تماماً كالمجرم في التنزيل الحكيم، الذي قطع صلته بالله، فأنكر وجوده، وكفر باليوم الآخر، وكذب بالبعث والحساب، وهو ما نطلق عليه بمصطلحنا المعاصر اسم [الملحد])[1]

قال آخر: ثم استعرض الآيات التي تتحدث عن عاقبة المجرمين، كقوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]، وقوله: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، وقوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩] ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٨ ـ ١٩]، وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (ونحن هنا مع الآيات أمام صور تصف مجرمين ينكرون البعث، ويكفرون بوجود الله، ويكذبون باليوم الآخر، قاموا من أجداثهم بعد نفخة الصور الثانية، فرأوا رأي العين ما كانوا يكذبون بوجوده، فبهتوا دهشة، وبأن ذلك على وجوههم، إلى حد لا يحتاجون معه إلى سؤال وجواب، فهم يؤخذون بدلالة ما ارتسم على وجوههم، ليصلوا النار التي كانوا بها يكذبون، أما لماذا لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم، فسببه واضح تماماً، أولاً لأن المجرم إنسان ملحد لا يؤمن بوجود الله، وهذا وحده كاف لأن يعطيه تذكرة مرور إلى جهنم دونها حاجة إلى ميزان أو حساب، إذ ليس له بالأصل أي حساب مفتوح عند الله بحكم قطعة لصلته به، وثانياً لأن الذنوب مع الله كترك الصلاة وإفطار رمضان وإخسار الكيل وتطفيف الميزان، ذنوب قابلة للأخذ والرد والتكفير

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

والمغفرة، لو أن صاحبها آمن مبدئياً بالله واليوم الآخر، أما مع المجرم فلا حاجة للسؤال عن الذنوب، وقد تحقق الاجرام بالله والتكذيب بيوم الدين، وقطع الصلة مع الله واليوم الآخر)[1]

قال آخر: وهكذا يختصر الإجرام عنده في عدم الإيمان بوجود الله، وعندما يعترضه قوله تعالى في وصف أعمال المجرمين والتي تتضمن بعض الشعائر: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٣٩ ـ ٤٦] راح يؤول ما ورد فيها من الشعائر لتنسجم مع الإسلام الذي توهمه.

قال آخر: وقد قال في ذلك: (الصورة هنا لأصحاب اليمين في الجنة، يسألون المجرمين ماذا أوصلكم إلى النار؟ فيجيب المجرمون: لأننا لم نعتنق الإسلام نظرياً وعملياً، لم نسلّم بوجود الله فقطعنا صلتنا به ﴿لم نك من المصلين﴾ ولم نسلّم باليوم الآخر ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾، ولم نقدم عملاً ينفع الخلق ﴿لم نك نطعم المسكين﴾ بل علمنا ما يسيء ويضر ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾، إلى أن رأينا يقيناً كل ذلك حاضراً، فانتهينا إلى ما ترون)[2]

قال آخر: وهكذا يؤول كلمة الصلاة لتعني عنده عدم التسليم بوجود الله وقطع الصلة به، ويستدل لذلك بقوله: (لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المصلين في الآية هم مقيمو الصلاة، إلا أننا حين رجعنا إلى آيات التنزيل الحكيم، لم نجده يطلق اسم المصلين على القائمين بالصلاة هذا من جهة، من جهة أخرى ترك الصلاة أو الصيام لا علاقة له بالإيمان بالله واليوم الآخر، ومرتكبوها ليسوا مجرمين، بحيث ينطبق عليهم وصف التنزيل

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

الحكيم، نقول هذا ونحن نستذكر قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ ـ ٧]، فالشبه كبير بين سورة المدثر وسورة الماعون، لأن التكذيب بيوم الدين كالكفر بوجود الله، يخرج الإنسان من دائرة الإسلام إلى دائرة الإجرام، ولهذا فنحن أميل إلى أن المقصود في السورتين بالمصلين، هو الصلة وليس الصلاة)[١]

قال آخر: ثم يستدل لذلك بأنه (لا خلاف في أن سورة المدثر وسورة الماعون من السور المكية، بينما نزلت الصلاة في المدينة المنورة، فكيف يعقل أن يعتبر الوليد نفسه تاركاً لأمر لم يعاصر التكليف به، بل والأكثر من ذلك، أن يعتبرها أحد أسباب دخوله النار، علماً أن ذلك الوقت لم يكن الصحابة أنفسهم قد أقاموا الصلاة)[٢]

قال آخر: وهكذا راح يستعمل كل الحيل ليخرج الصلاة من الإسلام، ويخرجها بالتالي من الحساب والعقاب في الآخرة، لأن الله يوم القيامة سيعاقب عباده فقط على إنكارهم لوجوده، وليس عن شيء آخر.. وهو مع ذلك يتساهل في هذا أيضا، حين يعتبر ستيفن هوكينغ الذي كان يدعو إلى الإلحاد في مقام الشهداء والأنبياء.

قال آخر: ثم يختم ذلك كله ببيان تفرد طرحه هذا عن كل الطروحات السابقة، فيقول: (ونعود لنختم قولنا في الإسلام وأركانه، بوقفه لا بد منها، تبين أسباب اختلاف ما وصلنا إليه من أركان للإسلام، عما هي عليه في كتب الأصول والأدبيات الإسلامية التراثية، فلقد انطلقنا من منطلق إنكار الترادف في اللغة، فإذا كان الكتاب عندنا غير القرآن،

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

والبعد غير النأي، والذهاب غير المضي، فالأحرى أن يكون الإسلام غير الإيمان)[1]

قال آخر: ثم راح يستعرض كل الأحاديث التي تعتبر أركان الإيمان هي نفسها أركان الإسلام، ويردها جميعا، كما رد قبلها إجماع المسلمين، لأن أطروحته لا يمكن أن تتم أو تنطلي على أحد يؤمن بهذين المصدرين.

قال آخر: وبعد استعراض للأحاديث الكثيرة التي تقوض أطروحته، عقب عليها بقوله: (التراث البشري الإنساني يبقى تراثاً خاضعاً لما يخضع له التراث من عاديات التلف والضياع، واحتمال الغلط والسهو والنقص، والتأثر بالأهواء السياسية والاجتماعية والثقافية)[2]

قال آخر: وعند التأمل في طرحه هذا، نجد الانتقائية في التعامل مع آيات القرآن الكريم، وتحميلها ما لا تحتمل، ولذلك يمكن بالرجوع للقرآن الكريم وحده الرد عليه، وبيان تهافت أطروحته، وبنفس المنهج الذي يعتبره.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره من الاستدلالات حول إسلام أهل الكتاب، وفي كل العصور، مع أنه لو تدبر القرآن الكريم والآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب، لعرف شرط إسلامهم، ومنها الآيات الداعية لإقامة التوراة والإنجيل، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]، والتي عُقبت مباشرة بما يزيل الفهم السيء الذي قد يفهم منها؛ فالله تعالى عقب ذلك بقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، حيث اعتبرهم كافرين لإعراضهم عما أنزل من القرآن الكريم.

---

(١) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

(٢) الإسلام والإيمان، منظومة القيم، موقعه.

قال آخر: وبذلك فإن الذي يقيم التوراة والإنجيل مضطر معهما لإقامة القرآن الكريم، حتى لا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك، فقد أخبر القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن نوع الإقامة التي طلبها منهم، ومنها ما ورد في الكتاب المقدس من البشارات به ﷺ، ووجوب اتباعه، وهي كثيرة جدا، وقد أشار إليها القرآن الكريم في مواضع منه، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، بل أخبر أنه قد ورد في الكتاب المقدس من التفاصيل المرتبطة به ﷺ ما يجعلهم موقنين به، غير شاكين فيه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]

قال آخر: ومنها ما ورد فيها من الوصايا الأخلاقية كالوصايا العشر، ونحوها، والتي وردت جميعا في القرآن الكريم الذي هو المهيمن على الكتب، والحاوي لكل ما فيها من قيم نبيلة، ومعارف سامية.

قال آخر: بالإضافة إلى هذا، فقد أخبر القرآن الكريم أن هناك تحريفات حصلت في هذه الكتب، وأن أهل الكتاب كانوا يشترون بتحريفها ثمنا قليلا، فهل يعقل أن يأمر الله تعالى أهل الكتاب بأن يقيموا ما حرف من كتابهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]

قال آخر: فإذا كان ذلك حقيقة مقررة، فكيف نجيز لأحد من أهل الكتاب أن يظل على دينه، بل يعتقد بما ورد فيه من تجسيمات وخرافات وأباطيل.. ونعتبره مسلما بسبب ذلك؟

قال آخر: والخلاصة التي ننتهي إليها من مفهوم الآية هي أن هذه الآية الكريمة تدعو أهل الكتاب للعودة لكتابهم المقدس ليتمثلوا القيم النبيلة الموجودة فيه، ويتمثلوا ما ورد فيه من أوامر باتباع الرسول الخاتم الذي تكاد الكثير من الأسفار تصرح به.. وهي لا تعني بذلك اكتفاءهم بما فيها عن اتباع الرسول ﷺ.

قال آخر: ومثل ذلك مثل من يخاطب سياسيا يراه قد انحرف عن مشروعه السياسي الذي طرحه، بالعودة إلى مشروعه والعمل بما فيه، مما كان قد وعد به، وذلك لا يعني أن مشروعه معصوم، أو أنه كاف، وإنما هو نوع من التنزل في مخاطبة الآخر.

قال آخر: وهو منهج قرآني في الحوار، فقد قال تعالى في مخاطبة المشركين: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]، فهل يمكن الاستدلال بهذه الآية الكريمة على أن المسلمين كانوا مجرمين؟

ب. المبدلون والله:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المبدلين، وموقفهم من الله.

قال أحد المبدلين: لم يكتف المبدلون بتبديل معنى الإسلام وتمييعه وإلغاء كل الأركان والقيم التي يقوم عليها، وأولها اتباع رسول الله ﷺ.. بل إنهم أضافوا إليه احتقارهم للإيمان بالله، بل دعوة بعضهم المبطنة إلى الإلحاد شعروا أو لم يشعروا.

المثال الأول:

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما يذكره متكلم المبدلين وأصوليهم حسن حنفي،

الذي بدل كل الألفاظ والاصطلاحات الشرعية لتتناسب مع الفلسفات المادية التي يؤمن بها، ومن تصريحاته في هذا قوله: (إن لفظ (الله) يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود).. ويقول: (فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس الشعبي هو الله).. ويقول: (ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولا هوت الثورة، ولا هوت التنمية، ولا هوت النظام، ولا هوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافات المعاصرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها)[1]

قال آخر: ويشرح حنفي أسباب قصور اللغة القديمة ـ أي لغة القرآن الكريم ـ في التعبير عن هذا، فيقول: (إنها لغة إلهية تدور الألفاظ فيها حول [الله] ولو أنه يأخذ دلالات متعددة حسب كل علم، فهو [الشارع] في علم أصول الفقه.. وهو [الحكيم] في علم أصول الدين، وهو [الواحد] في التصوف.. لفظ [الله] يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفظ إن كان له معنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من استعماله، بل إن لفظ [الله] يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود)[2]

قال آخر: ثم يفصل أكثر في هذا؛ فيقول عن لفظ الجلالة: (يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معين، أي أنه صرخة وجودية، أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة أو بصور في العقل، وهو رد فعل على حالة نفسية أو عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصال لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس

---

(١) انظر هذه النصوص وغيرها في التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، ص٩.

(٢) التراث والتجديد، ١١٢.

الشعبي هو الله، وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضاً في الشعور الجماهيري هو الله، وكلما حصلنا على تجربة جمالية قلنا: الله! الله! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضاً بالله)(١)

قال آخر: ثم يستنتج من ذلك التواصل الدائم لكل المؤمنين مع الله باستنتاج غريب، عبر عنه بقوله: (فالله لفظ نعبر به عن صرخات الألم وصيحات الفرح، أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خبرياً، وما زالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله)(٢)

قال آخر: ولا يكتفي بذلك، بل يضيف إليه ما تعلمه من فلاسفته الماديين الذين يحصرون الحياة في رغيف الخبز، فيقول: (فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وعند المظلوم هو العدل، وعند المحروم عاطفياً هو الحب، وعند المكبوت هو الإشباع، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضطهدين، والله في مجتمع يخرج من الخرافة هو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقدم، فإذا كان الله هو أعز ما لدينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل.. وإذا كان الله هو ما يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز، والرزق، والقوت، والإدارة، والحرية.. وإذا كان الله ما نلجأ إليه حين الضرر، وما نستعيذ به من الشرر فهو القوة والعتاد، والاستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها عليه، ويمكن التعرف على تاريخ احتياجات البشر بتتبع معاني لفظ [الله] على مختلف العصور.. ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولاهوت الثورة، ولا هوت التنمية، ولا هوت النظام، ولا هوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافات المعاصرة في البلاد

(١) التراث والتجديد، ١١٣.

(٢) التراث والتجديد، ١١٣.

النامية التي نحن جزء منها)[1]

قال آخر: وهكذا يتحدث بنوع من التهكم على صفات الله، فيقول: (فالله الواحد الذي ليس كمثله شيء، والذي لايرى ويرى كل شىء، ليس هو بالضرورة التصور الوحيد لله كما نعلم من تاريخ العقائد، فهناك الله الحسي المجسم، محل الحوادث، عند الكرامية والمشبه على اختلاف فرقهم، وليس بالضرورة أن يكون التصور الأول صحيحا والثانى باطلا، إذ يعكس التصوران صراعا قويا، وقوة السلطان الذى ليس كمثله شىء وقوة المعارضة التي تجعل حركة التاريخ جزءا من الألوهية، أما الصفات التى تجعل الله يسمع ويرى ويبصر كل شيء، فقد تمت صياغتها من أجل استخدام سياسى خالص للسلطة، والتى هي بدورها ترى وتسمع وتبصر كل شيء)[2]

المثال الثاني:

قال آخر: ولم يكتف أساتذتنا المبدلون بهذا، بل راحوا إلى كل ما يرتبط بصفات الله وأسمائه الحسنى يفسرونها كما يشتهون.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك تفسيرات محمد شحرور للعلم الإلهي، حيث جعله كالعلم البشري محدودا محصورا مقيدا، ثم ينتقد ويشتم بعد ذلك كل أهل التراث الذين لم يتوصلوا إلى ما توصل إليه.

قال آخر: وقد قال في بعض كتبه فيما أطلق عليه [علم الله بالسلوك الإنساني الواعي وبالاختيار الإنساني]: (لقد حصل لغط كثير وجدل طويل وأخذ ورد والتباس في النوع الثاني من علم الله حول السلوك الإنساني والاختيار، ومرد هذا الالتباس إلى أنهم أدخلوا

---

(١) التراث والتجديد، ص١١٣.

(٢) التراث والتجديد، حسن حنفي.

في علم الله حول الاختيار الإنساني ما لا يدخل فيه، ولم يرد له ذكر في الكتاب)[1]

قال آخر: ثم ذكر بعض الآيات القرآنية التي صنفها تحت علم الله بالاختيار الإنساني، من أمثال قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٧٤]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص: ٦٩]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦].. وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: ثم علق عليها بقوله: (إن الآيات الواردة أعلاه كلها تتحدث عن سلوك إنساني واع، فلنأخذ مثلا قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، فقد جاءت في صيغة المضارع للدلالة على استمرارية المعرفة أولاً، وجاءت المعرفة لأمر مخفي فعلا، فإذا كان زيد في لحظة ما لا يخفي شيئا، فالله يعلم أن زيدا لا يخفي شيئا في هذه اللحظة، وفي لحظة تالية إذا أخفى زيد شيئا فإن الله يعلم أن زيدا قد أخفى شيئا، وكذلك الإعلان والإسرار، وبما أن السر والعلن متغير عند الإنسان بتغير نواياه، فجاء العلم بصيغة المضارع للدلالة على استمرارية المعرفة)[2]

قال آخر: ثم راح يقيس الله على خلقه، ويستشكل عليه ما يستشكل عليهم، ويؤديه استشكاله إلى عدم علم الله بما سيحصل في المستقبل من أفعال عباده الاختيارية، ويعلل ذلك بقوله: (لو كان يدخل في علم الله منذ الأزل ماذا سيفعل زيد في حياته الواعية، وما هي الخيارات التي سيختارها زيد منذ أن يصبح قادرا على الاختيار إلى أن يموت، فالسؤال

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

لماذا تركه إذا كان يعلم ذلك؟)[1]

قال آخر: ثم راح يبسط ذلك، ويضرب له الأمثال، فقال: (هنا من أجل تبرير هذا الأمر ندخل في اللف والدوران فنقول إن الله علم منذ الأزل أن أبا لهب سيكون كافرا، وأن أبا بكر سيكون مؤمنا، ثم نقول إن أبا لهب اختار لنفسه الكفر وأبو بكر اختار لنفسه الإيمان، إن هذا الطرح لا يترك للخيار الإنساني الواعي معنى، وإنما يجعله ضربا من الكوميديا الإلهية مهما حاولنا تبرير ذلك)[2]

قال آخر: ثم راح يفسر الفرق بين علم الله تعالى وعلم عباده، فقال: (إننا نعني أن الله كامل المعرفة بالأشياء وأحداثها [الطبيعة وظواهرها] لأن علمه رياضي ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وعلمه رياضي، لأن الرياضيات اليوم هي أرقى أنواع العلوم، ولو توصل العقل الإنساني [المصوغ من روح الله] إلى علم هو أرقى منا لرياضيات وسميناه العلم س، ثم وجدنا في القرآن إشارة لذلك كانت تخفى علينا أو كنا نؤولها تأويلا آخر لجهلنا بالعلم س لقلنا إن علمه جل وعلا علم سيني.. وما دمنا لا نعرف علما أرقى منا للرياضيات فإننا نذهب ولا نتحرج إلى أن علمه رياضي (دلنا على ذلك العقل المصوغ من روح الله)[3]

قال آخر: ثم ذكر سر تفسيره هذا، فقال: (إن الرياضيات تتصف بالدقة والتنبؤ، فنحن إذا علمنا القانون الرياضي لظاهرة ما في الطبيعة، يصبح من السهل علينا أن نتنبأ سلفا عن سلوك هذه الظاهرة.. وهذا ما نفعله الآن في الاختراعات الكبيرة في الطب والعلوم، إذ يمكننا أن نحكم سلفا عن موعد وصول الصاروخ إلى القمر إذا عرفنا قدرته وسرعته..

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٣) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

وبما أن الوجود هو كلمات الله، فقد أعطانا الله الاطمئنان بأنه لا مبدل لقوانينه: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وإن عين الأشياء هي كلماته، إن ظواهر الأشياء في كلماته لذا قال: ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].. وقال عن ظواهر الطبيعة إنها في كتاب مبين فلا يوجد شيء في الطبيعة صغيرا كان أم كبيرا إلا يعلمه الله ويسيطر عليه.. لذا فإن معرفة الإنسان بكلمات الله هي مفتاح خلافته لله في الوجود وهي مفتاح رقيه)(١)

قال آخر: ثم راح يقزم علم الله مثلما قزم سائر المفاهيم، فقال: (فعلم الله بالطبيعة إما علم مبرمج سلفا في اللوح المحفوظ [القرآن المجيد] والذي يحوي قوانين جدل الطبيعة الأول، والثاني والخلق والتطور والساعة والبعث واليوم الآخر والجنة والنار، أي قوانين الجدل المادي لهذا الكون والكون الذي يليه، وإما علم في كلية الاحتمالات لظواهر الطبيعة الجزئية القائمة على الأضداد واليت نفهمها من خلال الرياضيات والتي سماها [كتاب مبين]، وبما أن سلوك الإنسان سلوك احتمالي فقد سمى القصص أيضا الكتاب المبين لذا قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، أي أن الإمام المبين هو أرشيف الأحداث الجزئية الجارية للأشياء فيا لكون والإنسان لذا جاء القصص من الإمام المبين وهناك معلومات عند الله فقط، غير مؤرشفة وغير مبرمجة سلفا وهي التي قال عنها: ﴿إِنَّ اللهَّ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤])(٢)

قال آخر: وبعد كل هذا الإقحام للعقل في غير مجاله، والذي يذكر بحشو الحشوية، وكشف الصوفية، راح يدافع عن جهل الله بمستقبل عباده المرتبط بأفعالهم الاختيارية، فقال: (أما بالنسبة لسلوك الإنساني الواعي، فحتى نفهم هذا السلوك الواعي يجب علينا أن لا ننسى أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وأنه يوجد في الإنسان وليس في الكائنات الحية

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

الأخرى شيء من ذات الله، وهو الروح وبها أصبح خليفة الله في الأرض، واكتسب المعارف وأصبح قادرا على المعرفة والتشريع، هذه النقطة إذا نسيناها فإن السلوك الإنساني سيتحول إلى مجموعة من الصور المتحركة يديرها الذي صممها [أفلام كرتون]، ولكن إذ قلنا إن هناك أمرا مشتركا بين الله والإنسان وهو الروح، أي إذا قلنا إن الصور المتحركة فيها شيء من ذات المصمم لتغير الأمر)[1]

قال آخر: هل رأيتم كيف يفسر الروح، ويعتبرها جزءا من ذات الله، ويعتبر الإنسان شريكا لله فيها.. وهو نفس قول المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥]؟

قال آخر: وهو يبني على هذه المشاركة للإنسان في الروح، فيقسم السلوك الإنساني الواعي إلى قسمين أولهما ـ كما يذكر ـ (علم الله الكامل بكلية الاحتمالات التي يمكن أن يسلكها الإنسان، فأمام كل إنسان على حدة، ملايين الاحتمالات كل يوم في موعد نومه وفي طعامه وفي لباسه وفي كلامه وفي علاقته مع الآخرين وفي صلاته وفي صومه وإيمانه وكذبه وفي أن يتعلم أو يبقى جاهلا وهكذا دواليك، فلا يمكن لأي إنسان أن يقوم بأي عمل علني أو يخفي أي أمر أو يتبنى أية فكرة سرا أو علنا إلاوتصرفه داخل في هذه الاحتمالات.. وبالتالي فهو داخل في علم الله الكلي، أي لا يمكن لأي إنسان مهما عمل أن يقوم بعمل ما سرا أو علنا ويفاجئ الله به، ولا يدخل في كلية احتمالات علمه، وهذه هي عين كمال المعرفة كسرعة الضوء فإنها تحوي كل احتمالات السرعات الممكنة للأشياء، فأبوبكر لم يفاجئ الله بإيمانه، وأبو لهب لم يفاجئ الله بكفره، لأن الكفر والإيمان كليهما معا يدخل في علم الله.. فالذي لا يشاء الاستقامة ينحرف، فعلم الله ومشيئته أن يكون هناك استقامة وانحراف معا،

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

لذا قال في مجال الكلية وليس في مجال التبعيض: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، ففي علم الله ومشيئته الاستقامة والانحراف معا، وفي مشيئتنا نحن أن نستقيم أو ننحرف، بيد أن من يستقم فإنه لا يفاجئ الله باستقامته، ومن ينحرف لا يفاجئ الله بانحرافه، وفي هذا يصبح الخيار الإنساني الواعي خيارا حرا يستلزم الثواب والعقاب، وتصبح خيارات الإنسان غير مكتوبة عليه سلفا)(١)

قال آخر: ثم رد على الذين يذكرون أن علم الله محقق وشامل لكل شيء، فقال: (إذا قلنا الآن إن الله منذ الأزل علم أن أبا بكر سيؤمن وأن أبا جهل سيكفر فهذا عين نقصان المعرفة وليس كمالها، أي أن علم الله يحمل صفة الاحتمال الواحد، ولو كفر أبو بكر وآمن أبو جهل لكانت هذه مفاجأة كبيرة لله تعالى، علما بأن باب الكفر والإيمان كان مفتوحا أمام الاثنين على حد سواء)(٢)

قال آخر: ولم ينس عند ذكره للنوع الثاني من علم الله، أن يضيف له مزية يختلف بها عن الإنسان، وقد عبر عنها بقوله: (علم الله الكامل بأحداث مسبقة بكلياتها وجزئياتها أو بأحداث جارية بكلياتها وجزئياتها.. وذلك أنه في لحظة أن نوى أبو بكر الإيمان قبل أن يفضي بهذه النية لأحد، وهي مازالت سرا في نفسه علمها الله أولا، وفي نفس اللحظة التي نوى فيها أبو بكر الإيمان، وثانيا هذه المعرفة داخلة في احتمالات علمه الكامل أي لم يفاجأ بها، وهنا تكمن الصفة [الصورة] المشتركة بين الله والناس، فقد خلقنا الله أحرارا في اختيارنا ونحن بالنسبة له لسنا لهوا يلهو بنا، والفرق هو أنه كامل المعرفة [عليم] ونحن ناقصي المعرفة [متعلمين]، لذا فهو حر وله تمام الحرية ونحن متحررون، وقد جاءت صيغ الآيات السابقة في صيغة الماضي وفي صيغة المضارع [الحاضر] للدلالة على علمه بأحداث مسبقة

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

بكلياتها وجزئياتها أو بأحداث جارية بكلياتها وجزئياتها)[1]

قال آخر: هذا مجرد مثال عن جدلهم في هذا الجانب، والذي يتباهون به ويفتخرون، ويتوهمون أن كل الأمة انحرفت وأخطأت لأنها لم تستعمل المناهج التي يستعملونها، والتي يتلاعبون فيها بالألفاظ والمعاني كما يحلو لهم.

قال آخر: وقد كان من عواقب تلك الجرأة على الله، أن صار الأدب الحداثي ممتلئا بالسخرية من الله، والحديث عنه بكل الأساليب التي تخلوا من التعظيم والتقديس.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول بعض شعرائهم: (من بعد موت الله مشنوقا.. على باب المدينة.. لم تبق للصلوات قيمة.. لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة)[2]

قال آخر: وقال آخر: (قلبي بحر لم يعد يمشي عليه الألم.. طارد الإله من بعد، وإما قضى.. احتوى جثمانه ثلاث ليال.. قلبي قبر أفلت منه جثمان الإله)[3]

قال آخر: وقال في قصيدة أخرى ينفي وجود الإله ويقرنه بالغبار رمز العدم والضياع: (لففت العباءة حولي.. تعكزت إلى القفر.. إلى قمتي الجرداء.. حيث الغبار ولا الإله.. نجو بقمتي الجرداء)[4]

قال آخر: ويعبر آخر عن ذلك فيقول: (رأيت الإله على المقصلة.. رأيت الديوك على المزبلة)[5]

قال آخر: وقال آخر: (كان في أرضنا إله نسيناه مذ نأى.. وحرقنا وراءه هيكل الشمع والنذور.. نحن صغنا من القباب.. صنما من تراب.. ورجمناه بالحضور.. بالطريق الذي كان أن يبدأ)[6]

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني ٣/ ٣٤٢.

(٣) المجموعات الشعرية لتوفيق صايغ: ص ٤٠٩.

(٤) المجموعات الشعرية لتوفيق صايغ ص ٣٠٤.

(٥) ديوان البياتي ١/ ٤٩٢.

(٦) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس ١/ ٣٨٦.

قال آخر: وغيرها كثير.. فقد أصبح الشعراء يتنافسون في تزيين أشعارهم بمثل هذه الكلمات، ومن لم يفعل يعتبرونه دوغمائيا وكلاسيكيا ومتخلفا.. ثم لا يؤذن له بعد ذلك في الشهرة، ولا حتى في نشر قصائده.

ج. المبدلون والنبوة:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المبدلين وموقفهم من النبوة.

قال أحد المبدلين: إن الذي لا يعظم الله ولا يقدره حق تقديره، يستحيل عليه أن يعظم النبوة أو يقدرها، أو يعرف مقتضيات الإيمان بها.

قال آخر: وقد عرفتم من خلال أحاديثنا السابقة تشكيكات الحداثيين الأوائل في كل ما ورد في القرآن الكريم من أحاديث الأنبياء وقصصهم باعتبارها مجرد أمثلة سيقت للعبرة، وليس لها أي حظ من الوجود الواقعي، كما فعل ذلك محمد أحمد خلف الله، في بحثه المعنون بـ [الفن القصصي في القرآن الكريم]، والذي استعمل في الاحتيال لبث هذه الشبهة نفس ما يستعمله الحداثيون من التكلف والفضول والتألي على الله.

قال آخر: وذاك ما ذكره الحداثيون القدامى، والذين تأثروا بالمستشرقين في الاعتماد على التشكيك في كل شيء، حتى في الحقائق الواضحة، أما الحداثيون المحدثون، أو الذين يزعمون لأنفسهم أنهم قرآنيون؛ فقد راحوا يستعملون ما تلقنوه من مناهج غربية بغية الالتفاف على النبوة، وتفريغها من مضمونها مثلما فعلوا مع سائر أحكام الدين وقيمه وعقائده.

قال آخر: وسنذكر لكم خمسة أمثلة عن ذلك، لتعرفوا مدى بعدهم عن الحقائق القرآنية، بل مدى تحريفهم وتبديلهم لها.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قال أحد المبدلين: المثال الأول هو استخدام شحرور لنظرية التطور في تفسير تاريخ الأنبياء، وتشويههم إلى درجة لم يصل إليها أحد من قبل ومن بعد.. فقد صور أن النبوة تدرجت في مراحل مختلفة بحسب المراحل التي مر بها الإنسان في سلم التطور الذي هو القاسم المشترك بين الحداثيين جميعا.

قال آخر: ولذلك يذكر أن الأنبياء الأوائل الذين أرسلوا للبشرية لم يكونوا من البشر ـ باعتبار البشر لم يتطوروا بعد ـ وإنما هم من الملائكة، ولذلك فإن أول نبي عنده هو نوح عليه السلام، وأنه لعدم كفايته لأداء هذا الدور كان معه ملائكة، يقومون هم أيضا بالدعوة.

قال آخر: فقد قال تعليقا على قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]: (هذا الهدى جاء بداية على شكل نذر من الملائكة كان الله يبعثهم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقد استمرت النذر مع نوح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ومع هود ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وإلى إبراهيم وإلى لوط وإلى صالح؟.. وكانت النذر تأتي على شكل مشخص يعرفون أنها ليست منهم، وإنما هي مرسلة من السماء، ونحن نرى في الأطروحة القديمة أن الحكام جاءوا من السماء، وأنهم من دم آخر رواية أسطورية، لمفهوم النذر الواردة في التنزيل الحكيم)[1]

قال آخر: ثم يوهم القارئ أنه يعتمد في ذلك على الحقائق والوثائق؛ فيقول: (الطوفان قضى على الجميع، وبعد الطوفان نزل الحكم الملكي من السماء من جديد،

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١١.

وأصبحت مدينة كيش مقر حكم الملوك، وقبل الطوفان كان الحكم الملكي قد هبط من السماء لأول مرة في مدينة أريدو.. ونؤكد هنا أيضاً أنه قبل نوح كانت النذر من الملائكة فقط، وقد تم التعبير عنه بأن الحكم هبط من السماء، ثم صار مشتركاً بشراً وملائكة (نوح حتى إبراهيم)، ثم بشر فقط وهو الرسول محمد)[1]

قال آخر: وهو يتكلم بثقة عجيبة ناسيا أن القرآن الكريم الذي يتصور أنه يعتمد عليه لإثبات هذه الحقائق هو نفسه الذي انتقدها وردها، وبين وجوه ردها، فالله تعالى ذكر في مواضع منه أن كل الرسل الذين أرسلوا للبشرية كانوا من جنسها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال: ﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]

قال آخر: بل إن الله تعالى رد على المشركين الذين طالبوا بنزول الرسول الملك بدل الرسول البشر، بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٨، ٩]، واعتبر قولهم ذلك نوعا من السخرية؛ فقال: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]

قال آخر: وسبب هذا الموقف هو نظرية التطور التي يؤمن بها، والتي جعلته يتوهم أن البشر كانوا من الضعف بحيث لم تكن لهم القدرة على استقبال النبوة البشرية، ولذلك تدرج الله معهم.

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٥١.

قال آخر: وهكذا ينطلق من هذه النظرية ليفسر النبوة، والتي يعتبرها مرحلة ترتبط بالضعف والقصور البشري، وأن البشر في تلك المراحل كانوا ـ مثل الطفل الصغير ـ يحتاجون إلى رعاية خارجية؛ فلما كبروا استغنوا عنها، ولهذا يفسر ختم النبوة، بكون البشر أصبح لهم من الرقي العقلي ما يغنيهم عن النبوة، وبالتالي يمكنهم التخلي عن النبوة الخاتمة نفسها، بتلك الأفكار التي يمكنهم أن يصلوا إليها.

قال آخر: بل إنه ينطلق من هذه النظرية ليفسر الأدوار التي كلف الأنبياء عليهم السلام بالقيام بها، وهي أدوار تخالف تماما ما ورد في القرآن الكريم من شأنها.

قال آخر: فهو عند ذكره لوظيفة نوح عليه السلام مع قومه، يعبر عنها بقوله: (لقد كان نوح أول رسول ونبي من البشر في منطقة الشرق الأوسط كما يعتقد العالم القديم، وقومه هم بداية الإنسان الحديث في هذه المنطقة حيث كان هناك مجموعة من الناس لها علاقات اجتماعية بدائية، ولها لغة مجردة بحيث تسمح لنوع من الوحي المجرد، وكان الوضع الإنتاجي في هذه الحقبة التاريخية بدائيا جدا، لذا فقد كان الشرك الأساسي الذي وقع فيه الإنسان آنذاك هو عبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس والقمر، وقد ذكر هذا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥، ١٦]، وبالتالي فقد اقتصرت رسالة نوح على التوحيد والاستغفار فقط دون أن يكون هناك أي وصايا أخلاقية أو شعائر تعبدية، فعند نوح لا صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا أي شكل من أشكال العبادات التي نعرفها)[١]

قال آخر: ولسنا ندري كيف استنتج كل هذا، مع أن القرآن الكريم اعتبر من أسباب ما وقع لقوم نوح من العقوبة هو خطاياهم، وهي معنى ينتظم الخطايا العقدية والخطايا

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٧.

السلوكية، فقد قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]

قال آخر: بل إن شحرورا يوغل في التطرف حين يزعم أن القتل نفسه، لم يكن في ذلك الحين جريمة، بل كان شيئا عاديا، لم تأت الشرائع لتحريمه، لأن أول تحريم له ـ حسب تصوره ـ كان مرتبطا ببني إسرائيل، فقد قال في معرض ذكره للعبر والعظات المستنبطة من من قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم: (عدم وجود تشريعات من أي نوع، لأن مفهوم التشريع لم يوجد بعد، والمجتمعات ما زالت بدائية لا تجارة فيها ولا بيع ولا شراء، وجريمة القتل الأولى التي حصلت مع ابني آدم لم يشرع تحريمها إلهيا إلا على بني إسرائيل)[1]

قال آخر: وهكذا، فإن الوظيفة الأساسية التي كلف بها نوح عليه السلام ـ على حسب رؤية شحرور ـ هي الترقية الحضارية المادية لقومه، ولذلك كان من البنود الأساسية لرسالة نوح عليه السلام عنده هي [التبشير بالبنيان والاستقرار]، والتي استدل لها بقوله: (لقد عاش الإنسان في عهد نوح في الكهوف حيث كانت المنطقة تحيط بها الجبال، وفيها أنهار؛ فيعتقد أنهم كانوا يعيشون في الكهوف وفي الغابات المحيطة بالأنهار، لذا فقد كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، حيث أن تمييز الآلهة لم يوجد عندهم بعد؛ فكانت من نبوة نوح التبشير بالبنيان والاستقرار، وهذا التبشير في نبوته ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٢].. من هنا نلاحظ كيف بشر نوح الناس بالاستقرار من البناء وهذا الاستقرار فعلا كان حاصلا حتى زمن هود)[2]

قال آخر: وهو ـ كعادته في الإغراب ـ لا يفهم من لفظة [البنين] ما تعودنا أن نفهمه

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٧.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

منها، وإنما يرى أنها مشتقة من (فعل [بنن]، وتعني الثبات واللزوم والإقامة، وهذه هي طبيعة الأبنية والبنيان)(١)

قال آخر: لكنه عندما يواجه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح:٢٨]، والذي ورد فيه لفظ [البيت] ومعناه واضح جلي، يذهب إلى تأويله بكونه ليس المراد منه البيت الذي نعرفه، والمشكل من البنيان المعروف، وإنما هو (اسم جنس، ولها أصل واحد وتعني المأوى والمآب وجمع الشمل، فليس من الضروري أن يكون البيت بنيانا إذ يمكن أن يكون كهفا)(٢)

قال آخر: وهكذا في تأويله للفظة الأموال، فهو يفسرها بقوله: (فهنا المال لا يعني النقد، بل جاء من فعل [مول] وتعني هنا أدوات الإنتاج البدائية، وما يمكن أن يصطاده الإنسان ويجنيه من الطبيعة، وفي القاموس خرج إلى ماله: أي خرج إلى ضياعه وإبله)(٣)

قال آخر: وهكذا انطلق من نظرية التطور ليصور أن اسم [الله] لم يكن موجودا، ويستدل لذلك من القرآن الكريم على طريقته في الاستنباط الممتلئ بالغرابة، فهو يقول ـ عند حديثه عن تطور اسم الإله ـ: (لقد رأينا كيف شاع التشخيص قبل إبراهيم، وانتشرت ظاهرة تعدد الآلهة من كواكب ونجوم وأصنام وتماثيل، وكيف كان مفهوم الإله المجرد غامضاً لا اسم له لعدم اكتمال القدرة العقلية على التجريد عند أهل تلك العصور؛ فقد كان اسمه عند الأسباط (إله إبراهيم)، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكان اسمه عند فرعون: (إله

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٢) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

(٣) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، موقعه.

موسى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، وكان اسمه عند سحرة فرعون: (رب العالمين)، و(رب موسى وهارون)، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]، أو لم يكن له اسم على الإطلاق كما عند فرعون في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠])[1]

قال آخر: وهو يصور أن الاهتداء لله لم يتم إلا في عهد إبراهيم عليه السلام، وذلك (بعد رحلته الطويلة في البحث عن الله من المشخص إلى المجرد، وليولد عنده مفهوم الإسلام والتسليم لهذا الإله المجرد لأول مرة في تاريخ الإنسان بدلالة قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨])[2]

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو تحريف شحرور لما ذكره الله تعالى عن أنبيائه عليهم السلام من قيم نبيلة، وأخلاق عالية، وتسليم مطلق لله؛ ليتحول كل ذلك إلى تصرفات لا معنى لها، بل قد تحمل معان لا تتناسب مع الأنبياء عليهم السلام.

قال آخر: ومن أمثلة ذلك أنه حول من رؤيا إبراهيم عليه السلام ـ والتي ذكرها الله تعالى وأشاد بها ليبين مدى تسليم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لله ـ إلى مجرد أحاديث نفس، لا علاقة لها بالواقع، وقد قال مقدما لهذه الفرية العظيمة: (احتار إبراهيم ماذا يفعل ليتقرب من هذا الإله، فالناس يقدمون قرابين لآلهة مزيفة لا تملك ضراً ولا نفعاً لأحد..

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٠٥.

(٢) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٠٥.

وظلت فكرة تقديم القربان لله تدور في رأس إبراهيم حتى سيطرت عليه، وبدأ يرى في المنام أنه يذبح ابنه، ثم تكررت الرؤيا حتى ترسخت، فقرر إبراهيم أن يحولها إلى فعل على أرض الواقع، بعد أن أيقن أنها ليست مجرد رؤيا بل تكليف وأمر إلهي)[1]

قال آخر: وهكذا يحرف موقف إسماعيل عليه السلام الممتلئ بالحلم والتسليم لله، حيث يعلق عليه بقوله: (إننا نفهم أن جواب إسماعيل لأبيه كان أن يفعل ما يؤمر لا ما يرى في المنام، لأن إسماعيل لا يقبل أن يقتله أحد بمجرد منام حتى لو كان أباه، فإذا كانت المسألة أمراً بالقتل فليفعل، وإن كانت رؤيا فلا)[2]

قال آخر: وهو يشير بذلك إلى أن إسماعيل عليه السلام مع صغر سنه، فهم من الحلم ما لم يفهمه والده، ولذلك أمره أن يلتزم أمر الله، لا ما يراه في منامه.

قال آخر: وهكذا يحرف ذلك النص الصريح الذي أخبر الله تعالى فيه عن تسليم كلا النبيين الكريمين لله تعالى، وهو قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] بقوله: (في هذا إشارة إلى أن معركة المعاناة النفسية قد حُسمت لمصلحة التسليم لله تعالى، وإلى أن نار تنازع الأفكار وتجاذب الوساوس في أعماقهما قد انطفأ لمصلحة الإيمان والإنابة، وإلى أن الحيرة عندهما قد اطمأنت للطف الله)[3]

قال آخر: وعندما يواجه بقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]، يفسرها بأن كل ما حصل لم يحصل؛ فلا إبراهيم هم بذبح ابنه، ولا إسماعيل أذن بذلك.. بل إن الله تعالى اكتفى منه بذلك الموقف الذي تراجع فيه إبراهيم عن رؤياه بعد أن صححها له ابنه إسماعيل.

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٠٩.

(٢) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١١١.

(٣) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١١٢.

قال آخر: ونفس هذا الموقف نجده عند تلميذ حداثي آخر، راح يعبر عن تلك الرؤيا بقوله: (وهذا المنام ليس أمر من الله بذبح النبي إسحاق، فالأوامر الإلهية لا تأتي في المنامات، وإنما كان مناماً يقصد به شيء آخر، ولكن النبي إبراهيم أوله على ظاهره وخاصة بعد تكرار رؤيته له، فأراد أن يذبح ابنه ظناً منه أنه ينفذ أمر الله، وأخطأ في تأويل المنام، فنزل الأمر الإلهي بتوقيف هذا العمل وأعطاه فداء لمنامه وابنه، وأخبره أنه تم تصديق الرؤيا من خلال الخضوع لله وذبح الدنيا وزينتها وإخراجها من قلب النبي إبراهيم، وليس المقصود الصورة المادية للمنام، وأن ذبح الولد في المنام رمز لذبح الدنيا وزينتها)[١]

المثال الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثالث.

قال أحد المبدلين: المثال الثالث يشبه تلك الأحاديث التي سمعتموها من الحشويين الذين شوهوا الأنبياء عليهم السلام، واتهموهم بكل صنوف الانحرافات.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شحرور عند حديثه عن يوسف عليه السلام، وكيف تحلى بالعفة، وواجه الفاحشة بكل قوة، فقد خالف مخالفة قطعية المنهج القرآني في هذا، بل صور أن الفاحشة نفسها لم تكن محرمة، وإنما راعى يوسف عليه السلام فقط ما تعلمه من بيئته البدوية من وفاء ومروءة، فقد قال معلقا على قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]: (ونفهم منه أموراً أولها: أن يوسف كان يعرف الله بدليل أنه استعاذ به[٢]، ثانيها: أنه استكبر واستنكر أن يمتثل لما تدعوه إليه باعتباره

(١) النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل، سامر إسلامبولي، موقع شحرور.

(٢) وذلك بناء على قوله بأن معرفة الله كانت مرحلة من مراحل التطور البشري.

يتعارض أخلاقياً مع ما انفتحت عيناه عليه في بيئته الأولى من مكارم وقيم ومثل عليا كالوفاء والمروءة، وليس باعتباره زناً محرماً لأن تحريم الزنا لم يكن قد نزل به تحريم إلهي)[1]

قال آخر: بل إنه ـ وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] ـ راح يقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها أولئك الذين انتقدهم باعتبارهم خرافيين وظلاميين؛ فقد قال تعقيبا عليها: (هذه الآية لا يمكن فهمها إلا إذا فهمنا لماذا استعاذ يوسف بالله في الآية السابقة، والجواب إنه من موقعه كنبي يعلم أن ميل الرجل للمرأة والمرأة للرجل غريزة فطرية جعلها الله فيهما.. ويعلم أن هذه الغريزة المخلوقة المجعولة فيه قانون رباني قاهر لا فكاك لإنسان منه نبياً كان أم غير نبي إلا بتدخل من الله الخالق البارئ المصور، وهذا ما أشار إليه يوسف نفسه في قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، ومن هنا كان طبيعياً أن يلجأ يوسف إلى ربه مستعيذاً به راجياً منه متوكلاً عليه)[2]

قال آخر: ثم راح يفسر كيف استجاب الله له، فقال: (والسؤال الثاني: كيف حصل ذلك وتم؟ والجواب: كما أن الله سبحانه استجاب لإبراهيم وعطل خاصية الإحراق في نار النمرود فجعلها برداً وسلاماً، وكما استجاب لموسى في مباراته أمام فرعون فحول العصا من خشب إلى لحم ودم فإذا هي حية تسعى، كذلك استجاب الله لنبيه يوسف فجرده من قدرته على الجماع، فإذا بعنوان ذكورته خرقة بالية لا تنفع لا للخل ولا للخردل، وهذا هو البرهان الرباني المادي الذي رآه يوسف رأي العين وهي تهم به ويهم بها، وهكذا أصبح الجماع الجنسي مستحيلاً، وهذا هو برهان الله على الإحصان من الفاحشة، وهو برهان من

---

(١) شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة، ٢/ ٢٣٣.

(٢) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

مقام الربوبية، وإلى يومنا هذا إذا أراد الله منع إنسان من الوقوع في الفاحشة؛ فإنه يفقده القدرة على الجنس إن كان فاحشة، ونحن نؤكد قوله تعالى بأنه لو لم يهم بها لما رأى برهان ربه)[1]

قال آخر: وخطورة هذا الطرح لا تتعلق بقصة يوسف عليه السلام فقط، وإنما بذلك التبرير للفاحشة، واعتبارها ميلا طبيعيا، وأن الإنسان فيها خاضع لغريزته القاهرة، وأنه ليس مسؤولاً عنها ما دامت تلك هي إرادة الله، إلا إذا أراد الله منعه منها، فيعطل قدرته على ممارستها.

قال آخر: ونفس كلامه هذا نجده عند حديثه عن الفواحش التي وقع فيها قوم لوط؛ فهو يبررها، ويسوغها، ويعتبر أنها مرتبطة بالنواحي البيولوجية للإنسان، وليست اختيارات سلوكية يختارها لنفسه، ولذلك يعقب على قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام وخطابه لقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] رادا على أقوال المفسرين التي استنتجت من الآية الكريمة أن أول من فعل تلك الفاحشة هم قوم لوط: (نقول هذا ونحن نعلم أن المثلية، سواء أكانت لواطاً بين ذكر وذكر، أم كانت سحاقاً بين أنثى وأنثى، هي بالأصل شذوذ تكويني في هرمونات الذكورة لدى المفعول به في اللواط، واضطراب تكويني في هرمونات الأنوثة لدى الفاعلة في السحاق، يدفع الأول إلى التماس اللذة عند ذكر مثله، ويدفع الثانية إلى تفريغ شهوانيتها عند أنثى مثلها، وهذا يعني أن اللواط كان موجوداً قبل قوم لوط بشكل غير علني وعلى الصعيد الفردي، إلا أنهم جعلوه ظاهرة عامة اجتماعية تمارس علناً في المجالس والمنتديات)[2]

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٨٨.

قال آخر: ويقول تعقيبا على الآيات الكريمة التي أخبرت أن سبب العقوبة التي حصلت لهم هي تلك الفواحش: (فإننا لا نستطيع أن نقتنع بأن هذه الويلات المخيفة، جاءت عقاباً على سيئة اجتماعية يصعب كثيراً أن نضعها تحت عنوان الفواحش؛ لأنها أقرب إلى الحسن والقبح منها إلى المعروف والمنكر في جانب، وأقرب إلى الأخلاق الاجتماعية المصطلح عليها منها إلى العقائد)[1]

قال آخر: والتعبير بـ [المصطلح عليها]، يعني أنها لست منكرة بذاتها، وإنما هي منكرة باعتبار الأعراف والشرائع؛ فإذا استسيغت في بعض الأعراف، فإنه لا حرج فيها، مثلما تحدث عن الحجاب، واعتبر أن للعرف دورا كبيرا في تحديده، فإذا ما قبل عرف من الأعراف أن تخرج المرأة لا تستر إلا جيوبها؛ فإنها محجبة بحسب ذلك العرف.

قال آخر: هذه مجرد نماذج عن تهديم شحرور للنبوة، وكل القيم النبيلة التي جاءت بها، وخطورته أنه لا يستعمل قصص كعب الأحبار، ولا وهب بن المنبه، وإنما يستعمل خياله الواسع، وقواميسه التي يستعملها كل حين لتبديل الكلم عن مواضعه.. ليستقبل ذلك المنكرون على خرافات السلف، والذين لم يفطنوا إلى أنهم هربوا من تطرف السلف ليقعوا في تطرف الخلف.

المثال الرابع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الرابع.

قال أحد المبدلين: المثال الرابع لا يختلف أيضا عن تلك الأحاديث التي سمعتموها من الحشويين الذين يهتمون بالتكلف والفضول، أكثر من اهتمامهم بالمعاني والعبر.

قال آخر: والحداثيون الذين يفعلون هذا يقعون فيما أنكروه على غيرهم حين

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٨٨.

يرمونهم بالاهتمام بالفضول والتكلف، وعدم الاهتمام بالحقائق التي تؤثر في الواقع الشخصي؛ فتهذبه وترقيه، أو الواقع الاجتماعي؛ فتجعله واقعا حضاريا راقيا متطورا.

قال آخر: وهم يقعون في نفس الخطأ حين يهجمون، ومن دون أثارة من علم، أو سلطان من حجة على معاني كثيرة؛ فيفتون فيها بجزم وتحقيق، وكأن كتاب الغيب قد فتح لهم؛ فراحوا يقرؤونه للناس، وبذلك يقعون في نفس ما أنكروه على غيرهم، بل ربما يقعون فيما هو أخطر منه، ذلك أن خرافات السابقين، تستند لروايات يتفق جميع المسلمين على أنها ليست روايات معتبرة، وأن أصحابها كانوا يهودا، نقلوا معارفهم وثقافتهم للمسلمين الذين تفرقوا، ففيهم من استمع لها، وفيهم من لم يستمع إليها.

قال آخر: لكن خرافات من يدعون الحداثة، لا تستند لتلك الروايات، بل هي تستند لمناهج غريبة في الاستنباط، لا يدل عليها العقل، ولا أي منطق صوري ولا رياضي.. ولا يدل عليها إلا الهوى المجرد، والتحكم الذي لا ضابط له.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما فعله شحرور في سلسلة الكتب التي ألفها حول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي تنبع استنباطاته فيها من نفس المنابع التي نهل منها كعب الأحبار ووهب بن المنبه وغيرهما من التكلف الممقوت، والفضول الذي نهينا عنه.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما فسر به قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، والتي كان يمكن أن يقرأها كما يقرؤها أي مؤمن من أن نوحا عليه السلام مثال للصبر الجميل، وأنه مكث كل تلك المدة مع قومه يؤدي رسالة الله، ويبلغ حججه من غير أن يضيق أو يضجر، ويقرأ منها مدى صبر الله وحلمه على خلقه، وأنه لم ينزل بهم عقوبة الطوفان إلا بعد تلك السنين الطوال.

قال آخر: لكن شحرورا لم يقرأها بهذه الطريقة، بل راح يبحث عن الحيلة التي يحول بها تلك المئات من السنين إلى أربعين سنة، وكأن الله الذي خلق كل شيء يعجز أن يمد في عمر نوح عليه السلام إلى تلك المدة التي ذكرها القرآن الكريم.

قال آخر: لقد قال معبرا عن ذلك: (كانت الأعمار في عهد نوح لا تزيد أبداً عن الأعمار في يومنا هذا، بل لعلها كانت أقل، فلقد أثبتت الوثائق التاريخية أن متوسط الأعمار عند الفراعنة لا يزيد عن ٤٠ عاماً، أما الزعم بأن عمر آدم كان ألف عام، وأن نوحاً لبث في قومه تسعمائة وخمسين عاماً يدعوهم إلى الإسلام فهذا ضرب من العبث والتخريف، لا نلوم عليه أصحاب التراث التوراتي لأن علوم التاريخ كانت مجهولة لديهم، لكننا نلوم المعاصرين الذين ما زالوا يظنون ويفرضون علينا ظنهم، أن الإنسان كان يعيشِ ألف عام وأكثر)[1]

قال آخر: وهذا استدلال عجيب، إذ كيف يستدل بالوثائق التاريخية المرتبطة بالفراعنة على زمن نوح عليه السلام، والذي لا نملك أي آثار تدل عليه؛ فالآثار لم تحفظ لنا كل التاريخ، ولذلك من العجيب أن نستدل على حقائق التاريخ، وخاصة ذلك الموغل منه في القدم بما ليس لدينا أي حجة أو براهين عليه، ثم ننسف بعد ذلك الحقائق القطعية التي حكاها لنا ربنا.

قال آخر: وبعد أن يضع شحرور تلك المقدمة التي لا تملك أي حظ من العلمية، يقدم مقدمة أخرى، يتفق الجميع على صحتها، لكنه يستخدمها بطريقة خاطئة، فيعتمد ـ مثل عادته ـ القواعد الصحيحة، لا للبناء، وإنما للهدم؛ فيقول: (من حيث المبدأ، إذا تعارض ظاهر نص قرآني مع حقيقة علمية ثابتة وجب اللجوء إلى التأويل، وإن تعارض فهمنا لنص

---

(١) شحرور، القصص القرآني، قراءة معاصرة، ٢/ ٤٩.

قرآني مع حقيقة علمية ثابتة حكمنا بأن فهمنا للنص هو الخطأ، وليس النص بذاته، لأن كلام الله تعالى بداهة لا يمكن ولا يجوز أن يتعارض مع كلماته أي مع قوانينه ونواميسه)[1]

قال آخر: وهذه حقيقة، ولكنها تستعمل عندما يتعارض ظاهر النص القرآني مع ما ثبت علميا، وما ذكره عن الفراعنة ليس له علاقة بتاتا بعمر نوح عليه السلام، ولا أعمار قومه؛ فالمسافة بينهما طويلة، ولا يمكن قياس الغائب على الشاهد.

قال آخر: والنتيجة التي وصل إليها بعد لف ودوران طويلين هي ما عبر عنه بقوله: (إن القرآن استعمل التقويم الذي كان سائداً في عهد نوح، وليس في تقويمنا نحن، فمتوسط أعمار البشر في نمو مستمر، وليس العكس)[2]

قال آخر: وبذلك، وبعد اطلاع هواه المجرد على التقويم الذي كان معتمدا في عهد نوح عليه السلام خلص إلى أن الألف سنة التي تحدث عنها القرآن الكريم قد لا تساوي ٤٠ عاما.

قال آخر: وبقوله هذا يصبح ما ذكره القرآن الكريم من مدة مكث نوح عليه السلام مع قومه لا معنى له، ذلك أن الله تعالى لم يذكر مدة مكث نوح عليه السلام في أداء دوره الدعوي إلا بسبب تلك الخاصية التي تميز بها، وهي الطول الشديد الذي يستدعي الصبر الجميل مع الحلم والأناة.

قال آخر: وبذلك، فإن شحرورا بسلوكه هذا ـ والذي تصور أنه يصحح فيه معلومة أخطأ جميع المفسرين في فهمها ـ قضى على حقيقة قرآنية، وقيمة من القيم الجميلة التي جاءت تلك الآية الكريمة لبيانها.

قال آخر: ومثل ذلك حديثه عن سفينة نوح عليها السلام، ومن ركبها، والتي كان

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٥١.

(٢) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٥٣.

يمكن أن يسلم بما ورد في القرآن الكريم عنها من كونها سفينة عجيبة حمل فيها نوح عليه السلام المؤمنين به، وزوجين من الحيوانات كما ذكر القرآن الكريم من غير أن يتكلف في البحث عن طول السفينة، ولا عرضها، ولا فيمن ركبها من الإنس والحيوانات، لأن هدف القرآن الكريم من ذكرها هو بيان نصر الله للمؤمنين، وعقابه للجاحدين، وليس تفاصيل السفينة، ولا من ركبها .

قال آخر: لكن شحرورا لم يفعل ذلك، وإنما راح يقزمها ويحتقرها، ولم يكتف بذلك، بل راح يجادل فيمن ركب فيها من البشر ويشكل عليه، مع كون القرآن الكريم أخبر أنه لم يركب فيها إلا المؤمنون.

قال آخر: لقد قال معبرا عن ذلك: (تحدث المفسرون بالتفصيل الممل عن أن ركاب السفينة ثلاثة أنواع: الأول يشمل الحيوانات والنباتات ويحكمه مبدأ من كل زوجين اثنين أولهما ذكر والثاني أنثى، والثاني يشمل أهل نوح وهم ثمانية: نوح وامرأته وأبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث لكل واحد منهم زوجة، وهذا النوع الثاني يحكمه ما يحكم النوع الأول، أما الثالث فيشمل من آمن بنوح وهم قليل، لكننا لم نسمع أحداً من المفسرين أشار إلى المبدأ الذي يحكمهم أهو مبدأ الإيمان فقط أم هو مبدأ من كل زوجين اثنين الذي حكم النوعين الأول والثاني؟)(١)

قال آخر: وقد طرح هذا الذي توهمه إشكالا ليؤسس عليه بأن نوحا عليه السلام، لم يركب ابنه في السفينة بسبب عدم إيمانه، وإنما بسبب كونه عازبا، وقد قال مقررا هذا: (والسؤال الآن: ماذا يفعل نوح بشاب عازب مؤمن؟ هل يتركه للغرق لأنه عازب؟ أم يحمله معه لأنه مؤمن ليسطو على زوجات الآخرين بعد انحسار الطوفان؟)(٢)

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

قال آخر: ويشكل على زوجة نوح عليه السلام أيضا، مع أن القرآن الكريم لم يتحدث عن ركوبها في السفينة معه، لأن الغرض هو الحقائق والعبر لا تفاصيل من ركب السفينة ومن لم يركبها، فلذلك كان يكفيه أن يقرأ قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]

قال آخر: لكن شحرورا لم يفعل ذلك، وإنما راح يستنبط من القرآن الكريم بطريقته الخاصة أسماء من ركب ومن لم يركب، فقد قال: (وإن كان المعيار في الدخول إلى السفينة هو الإيمان فلماذا حمل نوح امرأته وقد ضربها الله في كتابه مثلاً للذين كفروا ولم يحمل ابنه؟ والأهل هم الزوجة والأولاد، وابنه ممن سبق عليه القول، لأنه ليس ابنه)[١]

قال آخر: وهكذا راح يتكلف في استنباط شكل السفينة وقدراتها، ويتصور أن الإجابة على ذلك تشكل مسألة مهمة، مع كونها ليست كذلك، وحتى لو كانت كذلك، فإنه ليس لدينا من الأدلة ما يمكننا أن نستند إليه.

قال آخر: وقد قال معبرا عن ذلك: (هنا سيظهر سؤال في غاية الأهمية وهو: ما هو المستوى الإنتاجي في الأدوات المستخدمة لصنع الفلك؟ ومن ركب في الفلك؟ لقد أجاب القرآن على هذه الأسئلة كالتالي.. لم يكن في زمن نوح حبال ولا مسامير لربط الخشب بعضه إلى بعض، وإنما تم ربط الخشب على مبدأ الدسر وهي الألياف الطبيعية.. أما الفلك نفسه فقد جاء من فعل [فلك] وهو الاستدارة، وهو بمثابة المعدية المائية، وقد أكد القرآن أنه لم يكن في ذلك الوقت مجاذيف للتجذيف ولا دفة للتوجيه ولا أشرعة.. أي أن الفلك مجرد جسم خشبي له استدارة يعوم على الماء فقط.. فإذا سأل سائل: كيف تم التوجيه والجر في

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

فلك نوح؟ أقول: لقد تم الجر بواسطة التيار المائي حسب اتجاهه الطبيعي.. أما الآن فإن توجيه السفن يجري بواسطة الرادار والبوصلة، والشد يجري بواسطة المحرك والأشرعة)(1)

قال آخر: وهكذا راح يتكلف في كيفية حصول الطوفان، وكان في إمكانه ألا يبحث في ذلك كله، ويركز على المعاني والعبر المرتبطة بذلك، خاصة مع عدم ورود أي دليل.

قال آخر: وقد قال ذلك بصيغة التقرير والجزم، بل والإيجاب: (يجب أن نفهم أن طوفان نوح كان محليا أي عبارة عن عاصفة مطرية كبيرة جدا جرت بشكل محلي، حيث كان قوم نوح يسكنون في مناطق منخفضة قريبة من الأنهار تحيطها الجبال.. ونحن نعلم الآن أنه خلال ساعات من العاصفة المطرية الشديدة يمكن إغراق مدينة بأكملها، وبنفس الوقت نعلم إذا كانت هناك عاصفة مطرية تبعها طوفان في منطقة ما في أستراليا فهذا لا يعني أن الطوفان قد وصل إلى مصر أو الهند، وأن من يفسر بأن الطوفان عم كل الأرض فهذا غير صحيح ولكنه عم لك الأرض التي سكنها قوم نوح وبنفس الوقت لم يغط الجبال.. وبما أن المنطقة التي سكن فيها قوم نوح عبارة عن منطقة محاطة بالجبال، فقد حصل تيار مائي قوي وكان الموج كسلاسل الجبال من حيث الشكل لا من حيث البعد كما نراه الآن في طوفان الأنهار الجبلية ذات الميول الكبيرة)(2)

قال آخر: وهكذا راح يتكلف في تفاصيل كثيرة، بل راح يصور أن قوم نوح عليه السلام لم يهلكوا بسبب كفرهم، وإنما بسبب عدم معرفتهم بالسباحة، فقد قال: (وبما أن كل الذين لم يركبوا في الفلك هلكوا فمن الجائز أن الإنسان في زمن نوح كان لم يتعلم السباحة بعد)(3)

---

(1) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

(2) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

(3) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

قال آخر: وراح يفسر قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، والذي يستدل به العلماء عادة على وقوع العذاب في البرزخ، لكن شحرورا فسرها بغير ذلك؛ فقال ـ ليفر من عذاب البرزخ ـ (لقد جرف السيل جثث قوم نوح ورماها في فوهة البركان حيث يتبين من الآية أن فوهة البركان كانت منخفضة وعلاها الماء، ودخلت الجثث في البركان، وقد بين هذا في قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، هنا استعمل فاء السببية والتعقيب بين الغرق وإدخال النار واستعمل النار نكرة وهنا لا يقصد فيها نار جهنم)[(١)]

قال آخر: ومثل ذلك تكلفه في معرفة تفاصيل كثيرة عن أقوام الأنبياء من غير أي دليل، كقوله عن قوم نوح عليه السلام أنهم كانوا يعبدون الظواهر الطبيعية[(٢)] بدليل قوله تعالى حكاية عن دعوة نوح عليه السلام لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥،١٦] مع أن مثل هذه الآيات واردة في خطاب القرآن الكريم للبشر جميعا بما فيهم قوم النبي ﷺ أنفسهم، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فهل هذه الآية الكريمة وغيرها كثير موجهة لمن يعبد الظواهر الطبيعية، أم أنها خطاب الله لعباده ليستدلوا بالصنعة على الصانع.

المثال الخامس:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثنا عن المثال الخامس.

---

(١) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) شحرور، القصص القرآني، ٢/ ١٦.

قال أحد المبدلين: المثال الخامس، وهو مثل الأحاديث السابقة المرتبطة بالتكلف والفضول المخالف للقرآن الكريم، وهو من أحد تلاميذ شحرور، والذين يتنافسون كل يوم لاستخراج الاستنباطات التي لم يذكرها الأولون والآخرون.

قال آخر: وهو ما كتبه بعضهم تحت عنوان [النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل](1)، وهو منشور في موقع شحرور، والذي تكلف فيه صاحبه تكلفا شديدا ليثبت في الأخير أن محمدا ﷺ من ذرية إسحق، وليس من ذرية إسماعيل.

قال آخر: وقد قال في مقدمة مقاله ذلك ـ كعادة أستاذه ـ: (لدراسة هذا الموضوع وبعيداً عن تأثير اليهود في التاريخ وتحريفه لصالحهم، لابد من إعادة دراسة الموضوع من القرآن ذاته وترتيب النصوص مع بعضها وفق منطق اللسان العربي ومنطق القرآن لتتكامل الصورة، وهذه محاولة لإعادة ترتيب النصوص وفهمها من جديد حسب المحكم منها ورد المتشابه لها، مع الانتباه إلى أن حادث ضيوف إبراهيم هو واحد، والمرأة القائمة على خدمة الضيوف هي ذاتها في النصوص، والبشرى بالولد في النصين متعلقة بواحد)(2)

قال آخر: ثم ذكر أن بكر إبراهيم عليه السلام هو إسحق وليس إسماعيل، وأنه هو الذي أمر بذبحه، ثم علق على ذلك بقوله: (وبهذا العرض القرآني وصلنا إلى أن الولد صاحب البشرى هو إسحاق، وليس قبله أي ولد، ولا يوجد عند النبي إبراهيم غير أم إسحاق بدليل فهمها أنها المقصودة بالحمل والولادة، ولو كان يوجد غيرها لما صكت وجهها وقالت: إنها عجوز عقيم، عقب سماعها البشرى لبعلها، وبعد ذلك توجهت الملائكة بالبشرى لها)(3)

---

(1) النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل، سامر إسلامبولي، موقع شحرور.

(2) النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

(3) النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

قال آخر: بل إنه ذهب إلى أن إسماعيل عليه السلام ليس ابنا لإبراهيم عليه السلام، واستدل لذلك باستدلال عجيب عبر عنه بقوله: (وما يؤكد ما ذهبنا إليه من كون النبي إسماعيل ليس ابناً للنبي إبراهيم هو غياب ذكر النبي إسماعيل من قول النبي يوسف عندما ذكر آباءه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦].. وذكره الله منفصلاً عن النبي إبراهيم وأبنائه في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]، وهذا إشارة إلى أن النبي إسماعيل من ذرية النبي نوح مثله مثل النبيين الذين ذكروا معه، أما النص الذي ذكر النبي إسماعيل كأب لأبناء يعقوب وهو ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فهو لأن النبي إسماعيل من الآباء السلف الذين مضوا بالنسبة لأبناء يعقوب وهو معاصر للنبي إبراهيم)(١)

قال آخر: هذا وجه استدلاله.. والنتيجة التي يخلص إليها في الأخير هي ما عبر عنه بقوله: (وما ذكرناه من أن النبي إسحاق هو ابن النبي إبراهيم فقط، وهو الذبيح، وهو الذي سكن عند البيت المحرم، والنبوة حصراً من ذريته أو من ذرية النبي نوح، أو من كليهما، نصل إلى أن نسب النبي محمد الخاتمي هو من ذرية النبي إسحاق لأنه هو الذي سكن عند البيت المحرم، والأنبياء في هذه المنطقة كلهم من ذريته)(٢)

قال آخر: وهكذا يستنبط من القرآن الكريم أن كل تلك الأحاديث عن بني إسرائيل، ليس هو ما نتوهمه أو نقرؤه في كتب التفسير والحديث والتاريخ، وإنما (الخطاب

---

(١) النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

(٢) النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

في القرآن [يا بني إسرائيل] هو خطاب لمجموعة من القبائل من سكان منطقة شبه الجزيرة العربية، وهم متداخلون مع أهل مكة وذرية النبي إبراهيم عن طريق النبي يعقوب، وبُعث النبيين فيهم على الغالب من ذرية النبي إبراهيم وبعضهم من ذرية النبي نوح مثل النبي موسى أو متداخلة مع ذرية النبي إبراهيم.. وبنو إسرائيل هم أرومة القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية ويحتضنون ذرية النبي إبراهيم، ولا علاقة لليهود بذلك قط)[1]

قال آخر: هذه مجرد أمثلة عن ذلك التكلف المقيت الذي يمارسه هؤلاء المبدلون مع الحقائق القرآنية من غير أن تكون لهم أثارة من علم، ولا سلطان من حجة، اللهم إلا تلك الأوهام التي يخدعون بها العقول التي تأثرت بهم، وتصورت أنها بلجوئهم إليها قد نجت من التطرف، وغفلت عن أنها خرجت من تطرف يلبس عباءة القدماء إلى تطرف يلبس عباءة المحدثين والحداثيين، وكلاهما انحراف.

د. المبدلون والمعاد:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المبدلين وموقفهم من المعاد.

قال أحد المبدلين: أكثر المبدلين من الحداثيين لا يهتمون بالمعاد، ولا يبالون به، بل يسخرون ويحتقرون المؤمنين بسببه، لأنهم يتوهمون أن الدين ـ في حال التسليم به ـ لم يجئ إلا لإصلاح الدنيا، أو تطوريها ورقيها.

قال آخر: ولذلك؛ فإن أحسن لقب لهم ـ بمختلف اتجاهاتهم ومناهجهم ـ هو [الدنيويون]، فهم مستغرقون في حب الحياة الدنيا، والتعلق بها، والدعوة إليها، واعتبارها البداية والنهاية، وأن إليها المنتهى، لا إلى الله، ولا إلى حقائق الوجود المطلقة، التي لا تساوي الدنيا أمامها جناح بعوضة.

---

(١) النبي محمد ليس من ذرية النبي إسماعيل.

قال آخر: ولذلك يتفقون على أن الدين ـ بصورته الموروثة ـ عقبة دون التحقق بما تتطلبه الحياة الدنيا من مقتضيات، ثم يختلفون بعد ذلك، فمنهم من يصرح بإلحاده، مثلما فعل عبد الله القصيمي، ذلك الذي كتب الكتب في نصرة الاتجاه السلفي، وتكفير الصوفية والشيعة وغيرهما، ثم راح يكفر بالدين نفسه، ويكتب الكتب في الرد عليه باعتباره عقبة كبرى دون التطور.. ومنهم من لا تكون له جرأة القصيمي؛ فلذلك ينهج منهجا آخر هو أخطر على الدين من الإلحاد المجرد الواضح، وهو تفصيل الدين على مزاجه، باستعمال مناهج وأساليب مختلفة ليصبح الدين نفسه دنيويا، والغاية منه دنيوية محضة.

قال آخر: وأول علامات هؤلاء هو نفورهم من الغيب، وتركيزهم على عالم الشهادة، واعتبارهم أن الغيب يحول دون الشهادة، فلذلك إذا ما ذكر الغيب بينهم راحوا يسخرون، ويذكرون لازمتهم التي تعودوا ترديدها، وهي أن الغرب يتطور، ويصنعون الصواريخ، ونحن لا زلنا نبحث في عالم الغيب..

قال آخر: وهم يقولون هذا الكلام بتثاؤب وكسل، لأنهم في الواقع لا يقدمون شيئا، وإنما ينتقدون فقط الإيمان بالغيب، ويسخرون من أولئك الطيبين الذين تعيش أجسادهم في عالم الشهادة بينما تحلق أرواحهم في عالم الغيب، وهم الذين مدحهم الله تعالى في أول كتابه، بل اعتبر الهداية قاصرة عليهم؛ فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢، ٣]

قال آخر: بل إن الله تعالى أخبر أن الإنذار الذي كلف به رسول الله ﷺ لا يستفيد منه إلا المؤمنون بالغيب، كما قال تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١٠، ١١]

قال آخر: وهذه الآية الكريمة تعبر بدقة عن ذلك السلوك الذي يمارسه أدعياء

التنوير، ويكادون يتفقون عليه من إزاحة الإنذار من وظائف النبوة والدعوة إلى الله، واعتبار الدعوة فقط تبشيرا لا إنذارا، ولذلك يتصورون أن كل من يتحدث عن عذاب القبر أو عذاب جهنم منحرفا، وبعيدا عن فهم الدين.

قال آخر: ولسنا ندري من أين لهم هذا، والقرآن الكريم كله إنذار وتخويف، ولا يمكن لمن يقرؤه صادقا إلا أن يمتلئ بتلك الخشية من الله، والتي تولد فيه لا محالة حوافز التقوى، وروادعها.

قال آخر: بل إن القرآن الكريم، وفي ذكره للذنوب التي نحتقرها، يشدد ويتوعد ويهدد، ثم يأتي هؤلاء المبدلون بما أوتوا من سماحة لينسخوا كل ذلك، ويعقبوا على الله في حكمه، ليرضوا أهواءهم أو جماهيرهم، ولا يعلمون أن البشر الذين خاطبهم رسول الله ﷺ هم نفسهم البشر الذين يقومون بخطابهم.

قال أحد الحضور: وعينا هذا، ونحسب أن ما ذكرتموه لنا في أحاديثكم السابقة ما يدل عليه، ولهذا نريد منكم نماذج عن موقفهم من المعاد وأحداثه.

قال أحد المبدلين: سنذكر لكم أربعة أمثلة عن تبديلاتهم في هذا الجانب، قد تكون كافية لبيان موقفهم منه.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قال أحد المبدلين: المثال الأول هو موقفهم من البرزخ وأحداثه، والتي ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة وهدي أئمة الهدى ما يدل عليها.

قال آخر: بل ورد في العقل الممتلئ بالحكمة والإيمان، ولذلك قال به كل الحكماء والعلماء الذين لم يستطع أحد منهم وعلى مدى القرون الطويلة أن يتجرأ؛ فيكذب ما دلت

عليه النصوص، أو يحشر أنفه فيما لا طاقة لعقله المحدود في التعرف عليه، أو الإحاطة به.

قال آخر: لكن التفكير الرغبوي والمزاجي لأدعياء الحداثة والتنوير راح يخوض فيه كما خاض في غيره، ولا دليل له إلا الهوى المجرد.. ذلك أنه من الناحية العقلية يمكن لخالق هذا الكون أن يعذب أو ينعم من شاء، متى شاء، كيف شاء، وفي إطار قوانين العدالة التي يضعها، ولا يحجر عليه أحد في ملكه أو تدبيره أو تصريفه.

قال آخر: ومن الناحية الشرعية، والتي هي المخول الوحيد بالحديث في هذا الجانب، نرى النصوص الكثيرة التي تحذر من عذاب القبر، وتبين الرذائل التي يمكن أن تكون سببا في حصوله، بل تعلمنا من الأدعية والتضرعات ما يجعل منه قضية حاضرة في أذهاننا، لنربي أنفسنا من خلالها؛ فنقاوم نزغات الهوى بسياط الرهبة، كما ندفعها إلى العمل الصالح بجوائز الرغبة، ذلك أنه كما ورد في تلك النصوص المقدسة ما يدل على عذاب البرزخ، ورد فيها ما يدل على نعيمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]، وقال: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٦ ـ ٩٠]

قال آخر: لكن الحداثيين، وبسبب ما رأوه من بعض المشايخ والوعاظ من استعمال هذا النوع من القضايا العقدية في محله أو في غير محله، راحوا لا يكتفون بالإغارة عليهم أو نقدهم، وإنما الإغارة على النصوص المقدسة نفسها، ونقدها.

قال آخر: وهذا ما يدل على كون العقل الحداثي عقلا مراهقا؛ فهو لا يفكك القضايا،

ويميز بين المقبول والمرفوض، وبين الحقيقة والاستعمال الخاطئ لها، وإنما يغير على الجميع، وبطريقة استئصالية لا علاقة لها بالعلم، ولا بالحكمة، ولا بالتؤدة، وإنما هي تجسيم للهوى المجرد، والتفكير الرغبوي، والعقل المزاجي.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم في مقال تحت عنوان [عذاب القبر أم عذاب الفقر]: (بالطبع لا يخفي على أحد المنتفعين من تجار الدين بالأزهر الذين يدافعون عن مصالحهم الشخصية باسم الدين والتدين ودفاعهم المستميت عن موضوع عذاب القبر، ندعو الله أن يقبرهم في جهنم إن شاء الله، حقيقة شيء مخزي أن تكرس حياتك للدفاع عن عالم أنت لا تعلم عنه شيئا، هو جزء من عالم الغيب، هو عالم الأموات، فلا أنت ولا أنا ولا أي شخص ولا أي علم في الماضي والحاضر استطاع أن يخترق هذا العالم عالم الموت، ويعلم ما الذي يحدث لأي إنسان بعد الموت، ولكن المنتفعين من تجار الدين بالأزهر ركزوا جلّ اهتمامهم على الإنسان بعد موته فقط، أما نفس الإنسان وهو حي يرزق، وكيف سيعيش سعيدا أم حزينا مثل ملايين البؤساء الذين يعيشون في فقر وبؤس وسط هؤلاء المجرمين من تجار الدين)(١)

قال آخر: وبعد كل هذه المصادرات على المطلوب، والخلط بين القضايا، وردة الفعل التي لا تدل على الحكمة والأناة، راح صاحب المقال يخطب قائلا: (أليس من العار أن تدافع عن الأموات وتترك الأحياء يزدادون بؤسا باسم تمثيلية عذاب القبر.. فيا أستاذ يا إنسان يا من تؤمن أن الله كرمّك.. اشعر بمن حولك من البشر اشعر بهم وهم أحياء يشتركون معك في المكان والزمان.. اشعر بهم وقف معهم وبجانبهم ضد الفاسدين لا تقف ضدهم من أجل مصلحتك الشخصية، فمزبلة التاريخ لا تجامل ولا ترتشي أعد حساباتك، فعذاب

(١) مقال بعنوان: عذاب القبر أم عذاب الفقر، رمضان عبد الرحمن.

الفقر أهم مليار مرة من عذاب القبر، فلا يطلق الفقر والفقراء إلا على الأحياء والعقل يقول أن الذي لا يهتم ويشعر بمعاناة الناس وهم أمامه أحياء، فمن المؤكد أن ما يقوله مدعيا خوفه على نفس الناس وهم أموات يعتبر محض كذب وافتراء وضحك على نفس الناس حتى ينشغلوا عن حقوقهم الطبيعية وهم احياء)[1]

قال آخر: ولسنا ندري ما علاقة عذاب القبر بكل ذلك، وهل في إمكان العالم أو رجل الدين أو الخطيب أن ينقذ الناس من الفقر؟.. وهل هذا دوره، أم دوره أن يبين أحكام الشريعة، ويعظ الناس ويوجههم؟.. أما تكليفه بإغنائهم من الفقر، فهذا ليس من مسؤولياته، والسبب فيما ذكره من السرقات الكبرى ليس رجال الدين الذين يؤمنون بعذاب القبر، ولكن رجال الدنيا الذين ينكرونه، لأنهم لو كانوا يؤمنون به، لما تجرأوا على سرقة دينار واحد.

قال آخر: ولهذا فإن هذا المدعي التنوير في حقيقته لا يعطي حلا لعلاج الفقر، وإنما يريد أن يضم للفقر الذي يعانيه الفقراء كفرا وضلالا وزندقة، ليجمع الفقراء بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، أو ليضموا إلى معاناتهم المادية معاناة أخرى نفسية وروحية، أشد وأخطر.

قال آخر: ومثل ذلك كتب آخر في مقال بعنوان [عذاب القبر بين الحقيقة والخيال]، ومما جاء فيه قوله: (من المؤسف جدا أن تجد في هذه الأيام وبعد نزول القرآن الكريم على خاتم النبين منذ أكثر من ١٢٠٠ سنة عددا كبيرا من أبناء هذه الأمة الإسلامية ما زال يؤمن بمقولة عذاب القبر ضاربا بمقولته هذه بكل الآيات القرآنية عرض الحائط، والتي تنفي هذا الادعاء نفيا قطعيا لا مرية فيه، ويتمسكون ببعض أحاديث الآحاد، والتي يجمع معظم

---

(١) المرجع السابق.

علماء الأمة بأنها أحاديث ظنية الثبوت، وتاركها لا إثم عليه ولا يجوز استنباط او استخراج أسس الدين من هذه الأحاديث)[1]

قال آخر: وهكذا راح هو وأمثاله ينتقون من القرآن الكريم بعض الآيات التي تنص على العذاب الأكبر في القيامة، متجاهلين آيات أخرى، تتحدث عن العذاب الذي قبلها، وبدل أن يحكموا جميع الآيات والنصوص، راحوا يستعملون بعضها لضرب بعض.

قال آخر: وهكذا راح آخرون يصرون ـ كما في كل قضية اتفق فيها الإسلام مع سائر الأديان ـ على اعتبار المسلمين أخذوا تصوراتهم وعقائدهم عن عالم البرزخ من أهل تلك الأديان، وليس من مصادرهم المقدسة، أو ربما يتصورون من حيث لا يشعرون أن المصادر المقدسة للمسلمين استفادتها من أهل تلك الأديان، ولم يوح بها من الله تعالى.. وهم في هذا يطلبون من الله تعالى بأن يختار للمسلمين عقائد ينفردون بها، ولا يزاحمهم فيها غيرهم.

قال آخر: ومن الأمثلة على هذه الشبهة ما كتبه بعضهم تحت عنوان [مصدر خُرافة عذاب القبر]، والذي أعاد فيه هذه العقيدة لمصادر مختلفة عبر عنها بقوله: (بما أن اليهود هم أصل هذه العقيدة عند المسلمين؛ فهذا يعني حدوث واحد من أمرين اثنين: إما أن اليهود ـ حينها ـ كانوا يؤمنون بالحياة في البرزخ، وأن البعث يكون مرتين الأولى في القبر، والثانية يوم القيامة، وبالتالي فهم يؤمنون بثلاثة أنواع من الحيوات، وهذه العقيدة هي نفسها عقيدة من يؤمن بعذاب القبر من المسلمين.. أو أن اليهود لم يكونوا يؤمنون بالبعث يوم القيامة أصلاً.. ولكن يؤمنون بالبعث في القبر، وأن الحساب الأخروي لديهم موجود بداخله، وهذا يعني أن عذاب القبر لديهم هو نفسه عذاب الآخرة)[2]

قال آخر: ثم راح يرجح الاحتمال الثاني، ليبني عليه أن مصدر هذه العقيدة هم

---

(١) عذاب القبر بين الحقيقة والخيال، فتحى احمد ماضى.

(٢) مصدر خُرافة عذاب القبر، سامح عسكر، الحوار المتمدن.

المصريون القدامى، فقال: (وأنا أرجح الثانية.. لأن هذا الاعتقاد هو بعينه اعتقاد المصريون القُدماء، فنشأة اليهود بالأصل كانت مصرية حتى مع الخلاف حول هذه النتيجة، ولكنها كانت رؤية دينية عامة منتشرة في الشرق القديم، فالمعبود المصري يُقابله المعبود الفينيقي أو البابلي..حتى أن عقائد اليونان القدماء لم تَخلُ من هذا الطرح..وعقيدة الحساب والجزاء لديهم كانت في القبور وهذا ما حملهم على دفن متاع الميت معه.. ولأن كُتب وأسفار اليهود الكُبرى خلت من أي إشارة للبعث يوم القيامة، وأن الإيمان بيوم القيامة لدى اليهود لم يأتِ إلا متأخراً وبالتحديد بعد كتابة التلمود بشِقيه.. ولأنه لا يوجد أحد من اليهود الآن يقول بعذاب القبر.. بمعنى أنهم يعتقدون في أن البعث يكون يوم القيامة، وهذا يُثير التساؤل كيف وأن هذه العقيدة كان منشأها لدى اليهود ثم يُنكرونها الآن..والإجابة جاءت في الوجه الثاني بأنهم كانوا يقولون بذلك قبل كتابة التلمود، وبعدما جاء التلمود بعقيدة البعث يوم القيامة متأثراً فيه بالإنجيل.. حينها آمن اليهود بأن البعث واحد يوم القيامة وأن الحياة اثنين في الدنيا والآخرة)[1]

قال آخر: ثم أخذ يبين كيف تطور هذا المفهوم المستورد من المصريين القدامي، فقال: (يكفينا الإشارة بأن فكرة عذاب القبر عند المسلمين كانت فكرة دينية أخذت بُعداً اجتماعيا نتيجة لتطورها على أيدي المتصوفة..أيضاً ومن أثر عُمقها الضارب في أذهان القُدماء الشرقيين، وهي تعني أن عذاب القبر لديهم كان هو العذاب الأخير لأنهم كانوا لا يعتقدون بيوم القيامة الذي يبعث الله فيه العباد ويُحاسبهم على أعمالهم فمن كان صالحاً دخل الجنة ومن كان طالحاً دخل النار، وأن الأساطير المصرية والعراقية واليهودية القديمة كانت متشابهة في البعض ومتطابقة في البعض الآخر..وفي قضية عذاب القبر نكاد نرى تطابقاً

(١) المرجع السابق.

عجيباً بين عقائد اليهود والفراعنة وبلاد العراق ـ خاصة السومريين والبابليين ـ قبيل ظهور التلمود وتأثر اليهود بالأناجيل التي أفصحت عن شكل الحياة بعد الموت وبأن هناك يوماً ستُرد فيه الحياة للأجساد وهو اليوم الأخير للعالم وبعدها يأتي الحساب)(١)

قال آخر: ومثل ذلك كتب آخر في كتاب له بعنوان [أكذوبة عذاب القبر وأكاذيب شيوخ الثعبان الأقرع]، وقد قال في مقدمة الكتاب: (فى الوقت الذى يستعد فيه العالم لارتياد القرن الحادى والعشرين بمزيد من التقدم فى العلوم تقدماً يقترب من الخيال، يحصر المسلمون اهتماماتهم حول قضايا ترجع إلى خرافات تنتمى إلى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد. من نوع عذاب القبر والثعبان الأقرع التى اخترعها أجدادنا المصريون القدماء ثم عادت إلينا منسوبة زوراً إلى النبى، ونحن مشغوفون بهذه الخرافة ونعتبرها من المعلوم من الدين بالضرورة من أنكرها يكون كافراً، وهكذا ينفصل المسلمون عن عصرهم بأكثر من أربع آلاف سنة مع أن الإسلام حين نزل فى القرن السابع الميلادى وقف موقفاً حازماً من الأساطير والخرافات ووضع منهجاً علمياً تجريبياً فى القرآن للبحث والاكتشاف.. لكن الأسلاف ركنوا إلى الخرافة وأهملوا ما جاء فى القرآن الكريم من منهج علمى تجريبى.. وعندما بدأت الصحوة فى العصر الحديث فوجئنا بخرافات العصور الوسطى التى يرفضها القرآن الكريم وقد عادت إلى الظهور والتأثير على عقول الشباب المتدينين ليزدادوا تخلفاً باسم الإسلام وهو دين العلم ودين التعقل والتبصر)(٢)

قال آخر: ثم قال بكل حماسة: (مرة أخرى.. ماذا يراد بنا!؟.. هل يراد بنا أن نكون رقيق القرن الحادى والعشرين نعيش فى زوايا النسيان بينما يتقدم العالم من حولنا.. هل يراد

(١) المرجع السابق.

(٢) أكذوبة عذاب القبر وأكاذيب شيوخ الثعبان الأقرع، أحمد صبحي منصور.

بديننا الحنيف أن يكون عنواناً للإرهاب والعجز والتخلف والخرافة!؟)[1]

قال آخر: وهكذا راح يتصور أنه بمجرد تكذيبه لعذاب القبر يكون قد خلص المسلمين من الخرافة، وأنه بذلك سيؤهلهم لارتياد القرن الواحد والعشرين، وهو لا يعلم أن قوله هذا سيفتح الباب على مصراعيه لإنكار عقائد أخرى من الدين، قد توصف بالخرافة، حتى ندخل القرن الواحد والعشرين ـ كما يزعم ـ ونحن مسلحون بسلاح العلم المجرد.

قال آخر: ونفس الشيء نجده يردد في كتب ومقالات تنويرية كثيرة، تحاول أن تربط هذه العقيدة بعقائد الأمم السالفة، لتقوم بنسفها بعد ذلك، وكأن القاعدة الشرعية هي أن الإسلام لا يقصد سوى مخالفة عقائد الأمم.

قال آخر: ولو أن هؤلاء استمروا في تطبيق هذا المعيار على أحكام الحج، لألغوها جميعا، فقد كان الحج أيضا موجودا في الديانات المختلفة، بل إن القرشيين المشركين كانوا يتفقون مع المسلمين في كثير من أحكام الحج.

قال آخر: وهكذا نجد أكثر الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم هم أنفسهم المذكورون في الكتاب المقدس، بل نفس قصصهم موجودة، والاختلافات بين ما ورد في القرآن الكريم والكتاب المقدس محدودة؛ فهل نعتبر تلك القصص مستمدة من الكتاب المقدس، وأنها إرث من الديانات الأخرى تسلل لكتاب المسلمين ودينهم.

قال آخر: وهكذا الأمر في مسائل كثيرة جدا سواء في باب العقائد أو الشرائع، والتي تدل في الأصل على وحدة الدين، لا على كون المسلمين قد أخذوها من غيرهم.

قال آخر: ولو أن هؤلاء تواضعوا قليلا، وحاولوا أن يتخلصوا من ذلك العقل

---

(١) المرجع السابق.

الرغبوي والمزاجي، وعادوا إلى نصوص القرآن الكريم نفسها، ومثلها إلى السنة المطهرة التي هي بيان للكتاب، وشرح له، لوجدوا الأدلة الكثيرة جدا، والتي تكفي آحادها لكف المؤمن عن التجرأ على مخالفتها.

قال آخر: ولذلك، فإن مجرد اتفاق المسلمين مع أهل الكتاب أو غيرهم من أهل الأديان على هذه العقيدة لا يعني إلغاءها، بل إنه يعني أن هذه العقيدة من العقائد المقررة في الأديان الأخرى، والتي لا زالت تحتفظ بها.

قال آخر: والمشكلة الكبرى التي يقع فيها هؤلاء بعد هذا هي استعمالهم سلاح التبديل والتحريف لإخراج كل الآيات الدالة على عالم البرزخ وأحداثه عن معانيها المقصودة والواضحة التي تدل عليها ظواهر الألفاظ.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك أن بعضهم يأتي ببعض الآيات الكريمة التي تنص على أن العذاب الحقيقي يكون بعد المساءلة والحساب يوم القيامة، ليضربوا بها غيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: وهم يستعملون في هذا كل ما لديهم من أدوات القص والكتمان والحذف التي يستعملها عادة العقل الرغبوي لتقرير ما يريد، ومن أمثلة ذلك اقتباس بعضهم لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، مع حذفه لتتمة الآية، والتي تقول: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، ثم تعقيبه على النص الذي اقتبسه بقوله: (إذاً يقول الحق، هو موت فى البداية، ثم الحياة الدنيا التى نحياها الآن، ثم الموت، ثم الحياة فى الآخرة.. موتتان وحياتان، أي: ٢+٢ = ٤.. إذَا اضفنا [حياة القبر] تصبح هذه المعادلة خاطئة لأننا نضيف حياة أخرى لمشاهدة الفلم المرعب [منكر ونكير والثعبان الأقرع..]، ثم بعد ذلك موتة أخرى.. أي ٣+٣، وهذا لا يساوى ٤ كما قال الحق)

قال آخر: لكنه لو قرأ فقط تتمة الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] لرد على نفسه بنفسه، فالله تعالى ذكر رجوعه إليه، أي يوم القيامة بعد الحياتين والموتتين، وذلك ما يتطلب وجود حياة برزخية.

قال آخر: وهكذا نجدهم يقرؤون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥]، ويتصورون أن العذاب سيؤخر إلى الآخرة، لأن الله تعالى لا يؤاخذ الظالمين قبل ذلك.

قال آخر: لكنهم لو قرأوا مع تلك الآيات آيات أخرى كثيرة جدا، تذكر تعجيل الله تعالى العقوبة لعباده في الدنيا قبل الآخرة، لفهموا تلك الآيات الكريمة فهما صحيحا؛ فهي لا تنفي العذاب المطلق، وإنما تنفي العذاب الأكبر الحقيقي، والذي لا يكون إلا في الآخرة، أما ما عداه؛ فهو هين جدا مقارنة بعذاب الآخرة، ولكن لا يعني أنه ليس عذابا، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧]، والتي فسرها ابن عباسٍ بقوله: (عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة)[١]

قال آخر: ومن الأمثلة التي ذكرها القرآن الكريم لذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ

---

(١) تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٤٨٧.

وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣]، فقد ذكر الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين، كيف أنه عجل العذاب لأهل هذه القرية، ولم يؤجله لهم، وهو لا يتنافى مع الآيات السابقة، وإنما يفهم منه أن العذاب نوعان: عذاب حقيقي كامل، وهو المؤجل إلى الآخرة، وبعد الحساب، وهناك عذاب ناقص وقاصر بالنسبة لعذاب الآخرة، وهو معجل في الدنيا أو في البرزخ.

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى عن ثمود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٧، ١٥٨]

قال آخر: بل إن الله تعالى خصص سورة القمر بأنواع العذاب التي أصابت أهل القرى، بسبب بغيهم وظلمهم، ثم قال بعد ذكره لكل عذاب يصابون به: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦].. وهو يصف شدة العذاب الذي أصابهم؛ فيقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٩ـ ٢١]

قال آخر: وهكذا تدل هذه الآيات الكريمة على أن تأجيل العذاب لا يراد منه العذاب المطلق، وإنما يراد منه العذاب الحقيقي الذي لا يمكن أن يقارن به عذاب الدنيا، ولا عذاب البرزخ.

قال آخر: وهكذا نجد القرآن الكريم نفسه يخبرنا بأن العذاب المرتبط بالكافرين والمنحرفين لا يصيبهم في الآخرة فقط، بل يصيبهم في الدنيا أيضا، وفي حال الاحتضار خصوصا؛ فقد قال تعالى يخبرنا عن فزع الإنسان عند اكتشافه لحقيقة المصير الذي سيصير إليه مباشرة بعد موته؛ فقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

قال آخر: وذكر لنا بعض العذاب الذي يصيبهم في حال الاحتضار بمجرد توفر القابلية لهم للخروج لعالم البرزخ؛ فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١]، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَّ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧، ٢٨]، وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: ولذلك، فإن القرآن الكريم لا يخبرنا فقط عن وجود عذاب القبر، أو عذاب البرزخ، وإنما يخبرنا أيضا، بأن العذاب يبدأ من لحظات الاحتضار نفسها.

قال آخر: وهو نفس ما قرره الحكماء والفلاسفة والروحانيون بناء على تصوراتهم للنفس الناطقة، وعلاقتها بالحقائق، وتأثيرها فيها، وهو ما يدل على أن عذاب القبر ليس قضية نصية فقط، بل يدل عليها العقل المجرد أيضا، ذلك أن القول بعدم البرزخ يعني العدم المطلق، وهو ما لم يرد عليه أي دليل، فالموت حالة من حالات الإنسان، وليس عدما، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]

قال آخر: ولهذا نجد الآيات القرآنية الكثيرة تخبر بأن العذاب يبدأ مباشرة بعد الموت، وذلك باستعمال الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهَّ فَأَخَذَهُمُ اللهَّ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَّ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]

قال آخر: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]؛ فقد أخبر الله تعالى أن قوم نوح عليه السلام، عذبوا عذابين: عذابا في الدنيا بغرقهم، وعذابا في البرزخ بإدخالهم

النار، وذلك باستعمال الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب.

قال آخر: ولم يكتف القرآن الكريم بهذه الشواهد الواضحة، والتي لا تتعارض مع كون العذاب الحقيقي هو عذاب الآخرة، لأن ما دونه لا يساوي شيئا بجانبه، وإنما ذكر هذا العذاب بصيغة صريحة لا يمكن لأحد أن يجادل فيها، فقال عن قوم فرعون: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]

قال آخر: فقد أخبر أنهم وفي الوقت الحالي يعرضون على الناس غدوا وعشيا، وذلك ما يعني حياتهم في البرزخ على عكس ما يصور المنكرون لعذاب القبر، وهي أيضا تؤكد ما ذكرنا من أن العذاب الشديد يكون في الآخرة، لا في البرزخ، وبذلك يجمع بين الآيات التي تخبر عن تأجيل العذاب إلى الآخرة، وبين سائر الآيات.

قال آخر: ولم يملك أحد المدعين أنه من القرآنيين ـ بعد إيراده لهذه الآيات الكريمة ـ إلا أن يسلم بها، لكنه راح يحتال عليها بكون عذاب البرزخ مرتبطا فقط بآل فرعون، ولسنا ندري ما وجه التخصيص، مع أن القرآن الكريم يعتمد الأمثال والنماذج ليقرر الحقائق، والعاقل هو الذي يفهم الحقائق بإطلاقها، لا ذلك الذي يقصرها على شواهدها.

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو موقفهم من الجنة والنعيم الذي أعده الله تعالى فيها لعباده الصالحين، وهو الذي لا يشك أحد في كونه من أعظم الدوافع للعمل الصالح، ولمعظم المؤمنين.

قال آخر: بل إن الجنة هي سلوة المؤمن وعزاؤه، كما أنها المحرك لهمته عندما تضعف

نفسه، وتتخدر إرادته، حينها يتذكر ما هيأه الله للصابرين من عظيم الجزاء؛ فترتد إليه قوته وإرادته، ويصبح كالجبل الأشم الذي لا تحركه أعاصير الأهواء.

قال آخر: وهي فوق ذلك سلوة المريض الذي يعلم أن الجنة دار الصحة الأبدية، وسلوة الفقير الذي يعلم أن الجنة هي دار الغنى الأبدي، وسلوة المحرومين، والذين أرقتهم الحياة الدنيا لأنهم يعلمون أن الجنة هي دار الراحة الأبدية..

قال آخر: ولذلك لم تكن الجنة دار ضيافة إلهية في الآخرة فقط، بل هي أيضا ترياق وبلسم يداوي كل الجروح، ويملأ النفس بالطمأنينة والانشراح وكل أنواع السعادة.. فيعيش المؤمن مصحوبا بذكريات المستقبل الجميل الذي ينتظره عند الله.

قال آخر: لكن كل هذه المعاني التي ساهمت في الطمأنينة النفسية للمؤمنين وفي رقيهم الأخلاقي على الرغم من الظروف الصعبة التي يعيشونها، لم يلاحظها الحداثيون، بل توهموا أنها حجاب دون العمل على الحصول على ذلك الرفاه الذي ينعم فيه الغرب، والذي لا يساوي في نظر المؤمن قطرة من بحار نعيم الجنة.

قال آخر: وكل ذلك نتيجة لغلبة الدنيوية والمادية على الفكر الحداثي، والذي يلح دائما على اعتبار الحياة الدنيا هي المحور والمركز، وهي البداية والنهاية، ولذلك يحتقر الكثير من عوالم الغيب، إما بتجاهلها، وعدم الاهتمام بها، أو بنقد أولئك الذين يعيشون فيها، ويتصورون أن الإيمان لا يكمل إلا بالإيمان بها.

قال آخر: ولهذا نراهم ـ بسبب نظرتهم الدنيوية العوراء القاصرة ـ يذكرون أن الإيمان بالجنة مثلها مثل كل عوالم الغيب هي سبب تخلفنا عن الغرب، وعن كوكب اليابان، وعن الكواكب الكثيرة التي يتصورون أنها الحقيقة الوحيدة المطلقة.

قال آخر: ومن أمثلة ذلك الجحود والاحتقار للجنة، بل السخرية منها تلك

الأشرطة المنتشرة بكثرة، والتي يتحدث فيها أحد زعماء الحداثة في العصر الحديث [أحمد القبانجي]، ذلك الذي يرتدي كذبا وزورا عمامة علماء الشيعة، مع كونه لا ينتسب لا للشيعة، ولا للسنة، بل هو معول لحرب كليهما، بل حرب الإسلام نفسه.

قال آخر: وقد أوهم ذلك بعض المغفلين بأن موقفه من الجنة وعالم الآخرة هو نفس موقف علماء الشيعة، دون أن يكلف نفسه بالبحث في التراث الشيعي، ليعرف حقيقة موقفهم من هذا.. ولكن الأحقاد تعمي وتصم.

قال آخر: وقد نشر القبانجي بعض أفكاره في هذه المجال في مقال[1] حاول فيه أن يبين عدم ضرورة الجنة، وأنها لا تشكل أي دافع للعمل الصاح، بل إنه لا حاجة إليها أصلا.

قال آخر: ولسنا ندري من الذي فوضه بأن يقول هذا الكلام، وهو الذي يسيل لعابه لمتاع الدنيا القليل.. لكن العقل الحداثي المستكبر الذي حرم من ذلك الإيمان الذي ينعم به البسطاء والطيبون يتصور أن بيده كل شيء، ولذلك يتحكم في كل شيء، ابتداء من تحكمه في وظائف الإله نفسها.

قال آخر: وقد عبر عن ذلك الاحتقار للجنة بقوله: (أما الجنة، فليس فيها سوى إشباع للغرائز الحيوانية من أكل وشرب ونكاح، وليس فيها أي إشباع للغرائز الانسانية كالإبداع والإيثار والكرم والشجاعة ونصرة المظلوم وتعليم العلم وحب الرئاسة ووو..)

قال آخر: ولسنا ندري كيف عرف ذلك، وهل زار الجنة حتى يحكم عليها؟.. وهل أحاط بالنصوص المقدسة التي تتحدث عن الجنة، وكونها دار الضيافة الإلهية التي تتحقق فيها كل الرغبات المشروعة، ويتحقق معها كل أنواع السمو الروحي والأخلاقي، حيث يعيش أهل الجنة الحضارة الراقية والذوق الرفيع والأدب الجم، حيث لا لغو هناك ولا

---

(١) انظر: الجنة والنار، أحمد القبانجي، الحوار المتمدن، العدد: ٤٣٦٣.

تأثيم؟

قال آخر: لكنه ـ بسبب العشى الذي أحاط ببصيرته ـ لم يعرف الجنة إلا من خلال ذلك الوعظ البارد الذي يستعمله بعض عوام الوعاظ والدعاة بعيدا عن الحقائق التي وردت في النصوص المقدسة، ولذلك توهم أن الجنة مجرد دار للمتع الجسدية وحدها.

قال آخر: ثم راح ـ مثل سائر الحداثيين ـ يتحدث عن ذلك الكوكب الذي يسمونه كوكب اليابان؛ فيقول: (أما عمليا، فنحن نرى اليابان مثلا وهم لا يعتقدون بالجنة والنار (الديانة السائدة هناك التاوية والبوذية) أحسن من المسلمين أخلاقا وأقل كذبا وسرقة وغشا في تعاملهم وخدماتهم للبشرية معروفة، وفي المقابل نجد المسلمين مع اعتقادهم بالجنة والنار وكثرة منابر الوعظ والارشاد والكتب الدينية وخطب الجمعة أصبحوا أسوأ المجتمعات البشرية أخلاقا)

قال آخر: وهذا التحليل يدل على سطحية العقل الحداثي، فهو لا ينظر إلى المشكلة من زاويتها الحقيقية، وإنما ينظر إليها من الزاوية التي يرغب فيها؛ فالمشكلة في المسلمين ليس كونهم يعتقدون بعالم الغيب، وبالجنة والنار، وإنما المشكلة في ضعف إيمانهم بذلك.. وإلا لو كان الإيمان بالغيب والجنة والنار قائما، لكان المسلمون قمة في الرقي الأخلاقي والحضاري.

قال آخر: فهم في الحقيقة مثل ذلك المريض الذي يملك الدواء، ولكن لا يستعمله؛ فيتوهم من يراه بأن الدواء لم ينفعه، ولم يجد مع مرضه، من غير أن يبحث في كون المريض استعمل الدواء أو لم يستعمله، وهل استعمله بالطريقة الصحيحة، أم استعمله بطريقة خاطئة.

قال آخر: ونفس الشيء يتوجه للقابنجي وأصحابه الذين جعلوا من حديث

الإرهابيين عن الجنة سببا لإلغائها واحتقارها، كما عبر القابنجي عن ذلك بقوله: (أصبح الاعتقاد بالجنة وحور العين سببا للإرهاب الآن.. أي سببا للرذيلة والجريمة لا لمنعها، فلولا الجنة وحور العين لما قام التكفيريون بقتل انفسهم وقتل الأبرياء)

قال آخر: وهذا يشبه أولئك الذين يحرمون الأدوية النافعة بسبب أن بعض الشواذ استعملها بطريقة خاطئة، فقتل نفسه بها.. أو يشبه أولئك الذين يمنعون من بناء الجسور حتى لا تستعمل وسيلة للانتحار.

قال آخر: ولم يكتف القبانجي بكل ذلك، بل راح إلى ذلك الرهان الذي يستعمله المؤمنون بالغيب في حواراتهم مع الجاحدين والملاحدة، والذي عبر الإمام الصادق مع بعض الملاحدة، حيث قال مخاطبا له: (إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون، يعني المؤمنين، فقد سلموا وعطبتم وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم وهم)، فقيل له: وأي شيء نقول وأي شيء يقولون ما قولي وقولهم إلا واحد؟ فقال: (وكيف يكون قولك وقولهم واحدا، وهم يقولون إن لهم معادا وثوابا وعقابا ويدينون بأن في السماء إلها وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد)[1]

قال آخر: لكن القبانجي راح يرد على هذا السلاح القوي، بمقال له بعنوان [القمار مع الله!][2]، قال فيه ساخرا: (في الدنيا نحن غير متساويين أيضا، فالمتدين يتعب نفسه بالتكاليف الشاقة كالصلاة والصوم والحج والزيارات والخمس وغيرها ويترك الملذات كالغناء والرقص والملاهي والصداقة مع الجنس الآخر، بل الزواج مع أتباع الديانات الأخرى مع وجود حب بين الاثنين، بل قد يطلب منه الدين الجهاد أو تفجير نفسه أو

---

(1) الكافي، ج1 ص74.

(2) انظر: القمار مع الله، أحمد القبانجي، الحوار المتمدن، العدد: 4083.

الكراهية لأتباع المذاهب الأخرى، وليس على الوجدانيين شيء من ذلك)

قال آخر: وهذا كله كذب وبهتان، فكل تلك الشعائر التي يقوم بها المؤمن ليس لها علاقة بالتعب، لأن المؤمن يمارسها براحة نفسية كبيرة، بل إنه يشعر بتأثيرها في ترقية أخلاقه، وسمو روحه، وشعوره بالطمأنينة والسعادة، فوق ما لها من دور في حفظ من أهواء نفسه الأمارة بالسوء.

قال آخر: فالمؤمن ـ نتيجة إيمانه باليوم الآخر ـ لن يقع في الفواحش التي تدمر صحته وصحة المجتمع، ولن يدمن على المخدرات ولا على أي شيء يضره.. وفوق ذلك كله يمتلك دوافع أخلاقية عالية بخلاف ذلك الذي لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر، فهو لا يملك شيئا يسليه، كما لا يملك شيئا يدفعه لأي عمل صالح.

قال آخر: ولم يكتف القبانجي بذلك التزوير للحقائق، وإنما راح يفرض على الله ـ خلاف ما ورد في كتابه ـ من يدخله الجنة أو من يدخله النار، فيقول: (ما دام الانسان يسير في حياته الدنيا بوحي وجدانه ويتحلى بالفضائل ويترك الرذائل فهو من أهل الجنة لأن القرآن يقول: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩] أي سليم من الحقد والحسد والأنانية والتكالب على الدنيا وأمثال ذلك. ومعلوم أن التدين لا يهتم لنقاء القلب بقدر اهتمامه بالقشور والطقوس فتكون النتيجة أن خسر الدنيا والآخرة ونكون قد ربحنا الدنيا والآخرة)

قال آخر: وهذه كلها مغالطات، فسلامة القلب لا تقتصر على ما ذكره، بل أول سلامة للقلب هي عدم الاعتراض على الله والتسليم له والإذعان لشريعته والقيم التي جاءت بها.. أما ادعاؤه أن التدين يهتم بالقشور، فهو ناتج عن نظرته السلبية للدين مثله مثل سائر الحداثيين، وإلا فإن الدين هو مجمع الفضائل، بل لا يمكن أن تتحقق الفضائل

من دونه.. ذلك أنه يستحيل أن يجد البشر معايير للأخلاق، أو دوافع تحرك إليها من دون الدين.

قال آخر: ويختم القبانجي حديثه عن ذلك الذي توهمه قمارا بقوله: (إن هذه الفرضية كلها بمثابة لعب القمار مع الله، لأنها تنزل بمستوى العلاقة مع الله الى الحضيض وتجعل من هذه العلاقة تجارة او قمارا، فالمتدين يصلي ويصوم.. بدافع احتمال وجود جنة ونار لا بدافع الايمان بالله والحب له والشكر لنعمائه، اي لو لم يكن هذا الاحتمال موجودا لا صلى ولا صام ولا ترك الرذائل. أما الوجداني فهو يعمل بالفضائل ويترك الرذائل لذاتها ويرتبط مع الله بدافع الحب له لا بدافع الخوف من النار والطمع في الجنة لأنه لا يؤمن بهما أساسا)

قال آخر: ولسنا ندري من الذي أخبره أن الطمع في جنة الله، يتنافى مع حب المؤمن له.. فالمؤمن يحب الله لذاته، ويحبه لصفاته، ويحبه لكرمه وجوده، والذي تجلى في الدنيا فيما وفر لخلقه من أصناف الرعاية.. وفيما سيوفر لهم في المستقبل من أضعافها.

قال آخر: وهل يمكن لعاقل أن يدعي أننا إذ أحببنا كريما لكونه تكرم علينا بأصناف العطاء، ووعدنا بأضعافها أننا لا نحبه إلا لأجل ما يعطينا؟.. هذا كذب وبهتان عظيم لأن محبة المحسن ذاتية حتى لو لم يحصل إحسانه إلى المحب.

قال آخر: بالإضافة إلى أن القبانجي والحداثيين معه يتصورون الجنة بحسب عقولهم البسيطة، وإلا فإن الله تعالى الذي اعتبر كل ما نراه في الدنيا من أصناف الجمال مجرد متاع قليل، واعتبر الحياة التي نعيشها حياة دنيا لا تساوي شيئا، في نفس الوقت اعتبر الحياة الأخرى هي الحياة الحقيقية يجعلنا نقف أمامها مبهوتين منبهرين لا ندري منها شيئا، أو كما قال ابن عباس: (ليس في الجنة شيءٌ يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء)[1]

---

(١) رواه أبو نُعَيْم في صفة الجنة (٢١ / ٢)

قال آخر: ولذلك فإن كل أحاديث الحداثيين عن الجنة وعالم الغيب أحاديث منطلقة من معلومات خاطئة، لأنهم تصوروا أنهم قد أحاطوا بتلك العوالم بينما هم لم يعرفوا منها شيئا، بل لم يذوقوا من شرابها اللذيذ قطرة واحدة، ولذلك استقذروا الشراب، ولو ذاقوه لفنوا عن أنفسهم، وباعوا كل ما لديهم من جاه ومال وسلطان بلحظة واحدة يعيشها المؤمن في صحبة عالم الغيب.

المثال الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثالث.

قال أحد المبدلين: المثال الثالث مرتبط بتفسير الحداثيين ومن يطلقون على أنفسهم لقب القرآنيين على تحريف كلمة [الحور العين]، والتي ذكرها القرآن الكريم كنموذج من نماذج النعيم المقيم الذي وفره الله لعباده في الجنة، ليكون دافعا لهم للعفة والعمل الصالح في الدنيا.

قال آخر: فقد كان في إمكانهم أن يسلموا لله فيما ذكر، فهو أدرى بعباده، وبرغباتهم، ولذلك خاطبهم بما يتناسب معهم.. لكنهم لقسوة قلوبهم، ولتمردهم على الله، وتقديمهم لأهوائهم عليه لم يفعلوا.. بل راحوا يصورون ذلك باعتباره هوسا جنسيا، والعياذ بالله، مع أن القرآن الكريم لم يذكر أي شيء يرتبط بذلك، بل اكتفى باعتباره من نعيم الجنة مثله مثل الولدان المخلدون والقصور التي تجري تحتها الأنهار.

قال آخر: وقد كان في إمكانهم أن يتركوا كيفية التعامل مع ذلك النعيم لله تعالى، لأن الحقائق القرآنية لم تذكر التفاصيل المرتبطة بذلك، وإنما اكتفت بالنماذج التي تملأ النفس بالرغبة، كما اكتفت من ذكر بعض مشاهد النار التي تملأ النفس بالرهبة، ومن خلال هذين الجناحين يهذب المؤمن نفسه، ويرقي روحه، ويصلح سلوكه.

قال آخر: لكن الحداثيين ساءهم أن يذكر الله تعالى ذلك، بل تمنوا لو حذفت أمثال هذه النصوص من القرآن الكريم، لكونها في تصورهم تشويه له، ولسنا ندري ما محل التشويه، وهم أنفسهم يركعون أمام كل غانية، بل يبيعون دينهم ودنياهم من أجل متاع بسيط من الدنيا، في نفس الوقت الذي يحتقرون فيه ذلك النعيم المقيم الذي وعد الله به عباده المؤمنين.

قال آخر: وكل ذلك دليل على قساوة قلوبهم، وإلا فإن القلوب المؤمنة قلوب ورعة تعظم ما عظم الله، وتحقر ما حقر.. فلذلك لا ترى الدنيا بمتاعها جميعا مساويا للحظة واحدة من لحظات النعيم المقيم الذي أعده الله لعباده الصالحين.

قال آخر: وقد كان ألين الحداثيين تعبيرا ذلك الذي ذكر موقفه بقوله: (و[الحور العين] كفكرة مثالية جميلة، ترتبط فى أحد جوانبها بـ (العفة) خصوصا فى المجتمعات الفقيرة وشقيقتها المغلقة، حين يكون الزواج أمرا شاقا مع ارتفاع تكاليف الحياة فليس هناك حصن للراغب فيه إلا التعفف والانتظار، وإن لم يفز بها فإنه سيجد تعويضا مناسبا كلما تذكره حفزه على عدم التورط فى أمور أخرى يرفضها الدين والمجتمع، أو تفرض الثقافة المجتمعية على الراغبين فى الزواج الالتزام بمسار معين للارتباط يقلل من خيارات الشاب فما عليه إلا أن يرضى بما يفرضه عليه العرف حتى وإن كان ظالما، فالصبر أفضل طالما أن جائزته تنتظره فى الجنة)

قال آخر: لكن منهم، وهم الكثرة الكاثرة، من راح يتهكم بهم، ويصور الصور الكاريكاتورية عنهم، لا لشيء، إلا لأن الإرهابيين والمتطرفين جعلوا من الحور العين وسيلة لاصطياد المغفلين، وكان في إمكانهم مواجهة التطرف والعنف، لا الرد على الحقائق الثابتة، لأن ردها رد على الله نفسه.

قال آخر: فمن هؤلاء الحداثيين من راح يتساءل عن سر وجود حور عين للرجال، وعدم وجود حور عين للنساء، ورأى أن ذلك تفريقا بين الذكر والأنثى، وأن النعيم في الجنة خاص بالذكور لا بالإناث.

قال آخر: وهذا كله تحريف للكلم عن مواضعه؛ فالقرآن الكريم ذكر نماذج عن النعيم، ولم يذكر كل النعيم، واكتفى بالمتعارف منه، وأعطى فوق ذلك قاعدة تشمل الجميع، عبر عنها قوله تعالى في خطاب لعباده المؤمنين الذين نجحوا في امتحانات الدنيا: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠، ٧١]

قال آخر: فقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ كاف لترك الخيال يسرح حيث يشاء، ليخترع من النعيم ما يشاء؛ فقدرة الله لا تحدها الحدود.

قال آخر: وفوق ذلك؛ فكل النعيم المذكور في الجنة مما يتعلق بالجنسين، الذكر والأنثى، وقصر الحور العين على الرجال، لاعتبارات خاصة، لا يعني تفضيل الرجال على النساء، ولا يعني أنه لا يوجد نعيم خاص بالنساء في الجنة، لأن الآيات الكريمة لم تفصل لنا كل النعيم، وإنما اكتفت بنماذج عنه.

قال آخر: ولعل من علل ذكر القرآن الكريم للحور العين خصوصا، هو توفير القابلية للرجال لمواجهة الفتن الكثيرة التي تفرزها علاقتهم بالنساء، وهي فتن واقعية لا شك فيها، وليست مرتبطة كما يذكر البعض بالبيئة البدوية، بل هي مرتبطة بكل الجغرافيا وكل التاريخ، ونحن لا نزال نسمع كل حين، بأن فلانا من الناس من ذوي المناصب الراقية اتهم بالتحرش، أو بفضيحة جنسية.

قال آخر: ولذلك لا داعي لأن نكذب على أنفسنا، ونعتبر الفتنة بالنساء خاصة

بالعرب أو بالبدو أو بذلك الجيل الذي نزل القرآن الكريم في عهده، ففي كل الأجيال نجد فتنة التأثر بالنساء، وفي كل الأجيال نجد قيسا وليلى.. ونجد روميو وجوليت.

قال آخر: فلذلك كان الخطاب القرآني المرتبط بالحور العين خطابا واقعيا يخاطب النفس بما أعد الله لها من نعيم مرتبط بهذا الجانب لتستعلي على فتنة النساء في الدنيا، لأن الله سيعوضها بدلها بالنعيم المقيم في الآخرة، والذي يكون من جملته [الحور العين]

قال آخر: ومع وضوح الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة على كون الحور العين من نساء الجنة، إلا أن الحداثيين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه راحوا يفسرونها تفاسير مختلفة، لعل أطرفها بحث مطول زعم فيه صاحبه أن الحور العين ليسوا نساء، وإنما هن فاكهة، ثم راح يستعرض كل الآيات القرآنية المرتبطة بهن، وبنعيم الجنة، ليحول منهن فاكهة رغم كل شيء[1].

قال آخر: وقد ذكر في مقدمة مقاله المواضع التي وردت فيها لفظة الحور بمشتقاتها، ثم راح يتصرف فيها، ويتلاعب بها بطرق مختلفة من ذلك قوله: (يجب أن نتأمل آية مهمة من القرآن تعطينا معنى جيد وحقيقي وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، فالمعنى هنا يقول إن المجرم الذي استلم كتابه خلف ظهره ظن أن العذاب لن يعود عليه ويرجع، اذاً فتطبيق هذا المعنى على حور عين يدلنا على أن هذه النعم من فاكهة ستعود دوما، من حور يعود بشكل عين لا تنضب، ويتفق هذا المعنى بالتالي بالآية التالية، وهى أن أهل الجنة كلما قطفوا من فاكهة الجنة أعيدت لهم على الفور إنشاءها بشكل متماثل رزقا لاينقطع، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، فهذه الثمرات كما في معنى ستحور، وتعود وترجع كلما أخذها أهل الجنة، واذا

(١) انظر مقالا بعنوان: الحور العين، محمد البارودى، موقع أهل القرآن.

تابعنا بهذا المعنى نرى اتصال باقي الآيات بهذا السياق من كونها أي النعم من فاكهة ونعم وخيرات مختلفة، الخيرات الحسان وهذه لهم لاتنقطع عندما يدخل المتقون الجنة من الجنسين (الذكر والانثى) يزوجون بـها بمعنى الاقتران والتلازم، لذلك فهي للذكور والاناث معا بلا تفرقة)[1]

قال آخر: وبمثل هذه الطريقة راح يستعرض ما ورد في شأنهن في سورة الرحمن، ثم يعقب على ذلك بقوله: (فإذا نظرنا الى كلمة فِيهِنَّ في آية ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ نجد أن هذا جمع مؤنث في حرف النون يدل ضمن شيء من أشياء التأنيث، جنتان، عينان، مدهامتان، فيهما.. وهذا بالتالي لايعود على التأنيث، بل يعود على فاكهة الجنة من رمان وخلافه، أي أن في كلتا الجنتين على حدة كثير من الفاكهة القاصرات الطرف التي يسهل الوصول اليها.. وفي السياق نفسه بالاتصال مع آية اخرى، فهذه الحور مقصورة داخل خيمتها التي تحفظها كما تحفظ كل فاكهة قشرتها وتبدو أيضا هذه الثمار (حسب آية اخرى) من أكمامها كاللؤلؤ المكنون)[2]

قال آخر: وهكذا راح يحول من كل أوصاف الحور في العين القرآن الكريم إلى أوصاف للفاكهة، ويستعمل في ذلك كل ألوان الحيل والخدع التي مارسها أهل الكتاب من قبلنا ليحرفوا الكلم عن مواضعه.

قال آخر: وهكذا راح يفعل آخر في مقال به بعنوان [مفهوم الحور العين في القرآن الكريم]، والذي قدم له بقوله: (إن أمنية أصحاب التراث العفن وأصحاب الشهوات الجنسية هي أن تكون الحور العين التي ذكرت في القرآن العظيم، نساء جميلات خارقات هن أقرب للصنف الملائكي من الصنف البشري، وأن تكون تلك الحور بانتظارهم في

---

(١) المرجع السابق. (٢) المرجع السابق.

الجنة، وإن أمنيتهم أيضا هي، أن تكون الكواعب أترابا نساء عارمات الثدي.. إن في تلك الأمنيات تحريف لكتاب الله وكفر به، وتزوير لدين الله، وافتراء الكذب على الله وعلى كتابه ورسوله الأمين، وصد عن سبيل الله، وقبول بالفحشاء والمنكر، وعار على دين الله الحق الإسلام وعلى جناته المطهرة.. إخوتي وأخواتي الكرام المطهرون، تعالوا نتدبر معا المعنى السامي الطاهر العظيم للحور العين من القرآن الكريم الذي هو الكتاب المكنون، والذي لا يمسه إلا المطهرون)

قال آخر: وبعد هذه المقدمة راح يستعرض الآيات الكريمة التي ورد فيها الحديث عن الحور العين، ويستخلص منها النتائج التي يشاء.. وأولها ما عبر عنه بقوله: (من هم الذين زوجهم الله تعالى بحور عين؟.. الجواب واضح جدا وجلي، هم المتقين ذكورا كانوا أم إناثا، ونحن إذا سلمنا بتفاسير أئمة الكفر والضلالة أن الحور العين هن نساء جميلات خارقات أعدهن الله من أجل الشهوات الجنسية، فهذا يعني أن تلك النساء الخارقات هن لسن فقط للمتقين من الرجال، ولكنهن أيضا للمتقين من النساء، لأن المتقين في لغة القرآن ومن خلال تلك الآيات البينات هم ذكور وإناث، فالمتقين هم ليسوا فقط من فئة الذكور (الرجال)، والله تعالى لا يدخل المتقين من فئة الذكور فقط الجنة ويستثني المتقين من فئة النساء فيدخلهم جهنم)

قال آخر: ثم عقب على هذه الاستنتاجات الغريبة بهذه التساؤلات التي لا تقل غرابة عنها، يقول في ذلك: (ونحن لدينا سؤال نرغب في طرحه عليكم: هل تقبلون بأن تكون الحور العين (بمفهوم أئمة الكفر والضلالة) أيضا للنساء المؤمنات في الجنة؟.. بمعنى أصح، هل تقبلون بأن تمارس النساء المؤمنات في الجنة الجنس مع نساء الحور العين؟.. وعلينا أيضا أن نقف هنا ونسأل أنفسنا سؤالا آخر، وهو: كيف زوج الله تعالى المتقين ذكورا

وإناثا بحور عين؟)

قال آخر: وبعد هذه الأسئلة الغريبة، راح يستنتج الاستنتاج الأغرب، فقال سائلا ومجيبا: (ما معنى الحور العين؟.. الجواب أيضا بسيط وواضح وجلي وبين ومفصل نجده في الآية التالية، أي في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥].. إذا لقد زوج الله تعالى المتقين ذكورا وإناثا بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، هذا يعني بأن الله تعالى زوجهم بحور عين، أي جعلهم جزء لا يتجزأ من الجنة ذات الأشجار والثمار والخيرات، وهذا يعني أن الله تعالى زوجهم بالجنة، أي بخيراتها، أي جعلهم يعيشون جنبا إلى جنبها يدعون فيها (أي يرغبون) من خيرات تلك الحور العين (الجنة) آمنين، أي مطمئنين لدوام وجوديتها معهم من دون انقطاع، ولدوام قربهم منها ووجودهم وعيشهم وإقامتهم فيها إلى أبد الآبدين)

قال آخر: وبعد هذه الاستنتاجات وغيرها، والتي تلاعب فيها بالألفاظ والتراكيب كما يشاء، قال: (بعد ربطنا لجميع تلك الآيات البينات من سورة الدخان وتدبرنا لها، نجد الدليل القاطع على أن الحور العين هي جنات فيها من كل الثمرات، ومن جميع أنواع الثمار، أي الفاكهة من نخيل وأعناب وغيرها من أنواع الفاكهة المختلفة)

قال آخر: وهكذا راح آخر يستعمل حيلا أخرى، ليحول من الحور العين إلى ما عبر عنه بقوله: (وحار تعنى رجع أو عاد إلى ربه فى الآخرة.. وعلى ذلك فالحور هن المؤمنات العائدات.. وهؤلاء المؤمنات قد تحوَّرت أشكالهن أيضا، فعدن فى شكل شابات جميلات كواعب ذوات عيون ساحرة فقد أعاد الله إنشائهن إنشاءً.. وعِينٌ تعني: نُجْلُ العُيُونِ حِسَانُهَا، والمفرد للرجل: أَعْيَنُ، وللمرأة: عَيْنَاءُ.. فسوف يتزوج المؤمنون فى الجنة بهؤلاء المؤمنات الراجعات أو العائدات إلى الله، وبالطبع سيعود الرجال إلى شبابهم مثل النساء،

لأن لهم ما اشتهت أنفسهم، وهل لن يشتهي أحد أن يعود إلى شبابه وعُنفوانه؟.. وهذا هو نصيب النساء فسيتمتعن بأزواجهن كما سيتمتع بهن أزواجهن)[1]

قال آخر: وهكذا نجد كل يوم من يجتهد، ليبحث عن معنى جديد للحور العين مما لم يفطن له أحد من المفسرين ولا اللغويين القدامى والمحدثين.

المثال الرابع:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الرابع.

قال أحد المبدلين: المثال الرابع مرتبط بتحريفات خطيرة لما ورد في القرآن الكريم عن درجات الجنة، وتفاضل المؤمنين فيها بحسب أعمالهم؛ فأصحاب تلك المقالات يضربون الآيات الكريمة بعضها ببعض، ليثبتوا في الأخير ـ بحسب زعمهم ـ أن أهل الجنة متساوون في كل نعيمها، وأنهم في درجة واحدة ابتداء من النبي ﷺ وانتهاء بأضعف المؤمنين إيمانا.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه بعضهم في مجموعة مقالات عن هذا قدم لها بقوله: (قالوا وما زالوا يقولون بأن الجنة درجات وطبقات، وأن المؤمنين زمر وأن كل زمرة لها جنة تختلف عن جنة غيرها، وأنَّ كل جنَّة مُختلفة عن غيرها ولها اسم مختلف عن الجنّات الأخرى كجنات عدن والفردوس والروضة والمأوى.. وقد استعانوا بالأباطيل الأحاديث الخبيثة كي يثبتوا هذه المفاهيم في عقول المسلمين.. إنهم لم يكتفوا بصنع الطبقية في الأرض بأشكالها المخيفة، بل تعدّوا حين حسبوا أنهم يستطيعون صنعها في جنات الخالق عز وجل)[2]

---

(١) الحور العين، عز الدين نجيب، موقع أهل القرآن، ١١ نوفمبر ٢٠١١.

(٢) منها مقال بعنوان: هل هناك درجات في الجنة وما مفهومها الحقيقي في القرآن؟، موقع حقيقة الإسلام من القرآن.

قال آخر: واستند في ذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، واعتبرها الآية المحكمة الوحيدة، وفسرها بقوله: (لقد قال الله عز وجل في هذه الآية أنَّ من يُطع الله ورسوله فسوف يكون مع النبيين والصدّقين والشهداء والصالحين.. هذه الآية هي أكبر دليل على أنَّ الإنسان المؤمن سوف يكون في جنة واحدة مع الأنبياء والرُسُل والشُهداء وجميع المؤمنين الصالحين ومن دون أي تفرقة أو طبقية، وسوف ينعم برفقتهم الدائمة والأبدية فيها.. وهذا هو العدل الإلهي المطلق والمُساواة)[1]

قال آخر: وانطلاقا من هذا راح يستعرض كل الآيات التي وردت في ذكر الجنة، ليؤولها بهذا المعنى، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٥ـ٧٦]، والتي علق عليها بقوله: (نجد في هذه الآية ٧٥ أن من يأتي ربه مؤمنا قد عمل الصالحات، فسوف يكون له الدرجات العلى في الجنة في الآخرة.. ما هي هذه الدرجات العلى؟ نجد الجواب في قول الله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ لقد عرف الله عز وجل لنا الدرجات العلى أنها جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وأنا أعجب لعدم استطاعة الذين يسمون أنفسهم بعلماء الدين الإسلامي أن يروا هذا التعريف الواضح الجلي.. إذا الدرجات العلى هي الإقامة في جنات الآخرة والخلود فيها، والذي سوف يكون صاحب هذا الشرف ويصل إلى هذه المنزلة والرتبة العالية الرفيعة ويقيم في الجنة هو كل إنسان يؤمن بالله ويعمل صالحا، أي جميع المؤمنين من دون استثناء (النبيين والصدقين والشهداء والصالحين) ومن دون أي

---

(١) المرجع السابق.

تفرقة أو طبقية)[1]

قال آخر: ثم استعرض الآيات الواردة في أول سورة المؤمنون، والتي تنتهي بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١]، وعقب عليها بقوله: (إذا تدبرنا تلك الآيات البينات نجد أن الذين سوف يفلحون في الآخرة ويرثون الفردوس (الجنة) هم المؤمنون، أي كل إنسان كان مؤمنا في هذه الأرض.. أي هم جميع المؤمنين من دون استثناء (النبيين والصدقين والشهداء والصالحين) ومن دون أي تفرقة أو طبقية)[2]

قال آخر: وهكذا راح يستعرض كل الآيات الواردة في الجنة، ويعقب عليها بمثل ذلك التعقيب.. ثم استعرض الآيات التي تصرح بالتفرقة بين المؤمنين على أساس أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهَّ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهَّ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهَّ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهَّ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦]، وعقب عليها بقوله: (إذا تدبرنا تلك الآيات البينات نجد أن الدرجة التي فضل الله تعالى بها المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على المؤمنين القاعدين غير أولي الضرر والذين لا يريدون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، هي الحسنى أي هي الجنة التي وعد الله تعالى بها المؤمن المجاهد في سبيله والتي وعد تعالى بها أيضا المؤمن القاعد غير المجاهد بماله ونفسه، ولكن فقط في حال استغفر ربه وتاب وأصلح وقام وقبل أن يجاهد بماله ونفسه في سبيله.. ونجد أيضا من خلال هاتين الآيتين أن الدرجة أي المنزلة العالية هي الحسنى أي الجنة، وهي الأجر العظيم الذي سوف يعطيه الله تعالى

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

لكل مؤمن، وهي الدرجات أي المراتب والمنازل العالية الرفيعة من الله عز وجل للمؤمن، أي هي جنات عدن والفردوس والمأوى والروضة التي سوف يقيم فيها المؤمن وينعم بجميع خيراتها، وهي المغفرة والرحمة التي سوف يعطيها الله عز وجل للمؤمن في الآخرة.. إذا هذه الدرجة أو الدرجات الرفيعة سوف تكون لجميع المؤمنين من دون استثناء ومن دون أي تفرقة أو طبقية)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢١]، فقد علق على قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بقوله: (لأن الله عز وجل أعطى فضله وعطاءه للجميع، للكافر الذي أراد العاجلة (الحياة الدنيا) وللمؤمن الذي أراد الآخرة وسعى لها)[2]

قال آخر: وعلق على قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ بقوله: (لأن الآخرة مرتبتها ومنزلتها أي درجتها عالية جدا ورفيعة المستوى، وسوف تكون لجميع المؤمنين من دون استثناء ومن دون أي تفرقة أو طبقية)[3]

قال آخر: وهكذا راح يستعرض الآيات الواردة في سورة الرحمن، والتي تصرح بالتفرقة بين الجنات، وتصف لكل جنة نعيمها الخاص بها، وقد علق عليها بقوله: (إذا تدبرنا تلك الآيات البينات نجد أن قوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] هي جنة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

للإنس وجنة للجن، لذلك قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤]، هذا يعني أن الجنتين هي جنة مادية يأكل ويشرب منها الإنسان، وجنة نفسية وجمالية (معنوية) يتمتع بها الإنسان ويسلم فيها.. وهذا يعني أن الجنتين فيها جنة لحاجات الجسد وجنة لحاجات النفس، وهي في الحقيقة جنة واحدة يجد فيها الإنسان حاجته من المأكل والمشرب (الغذاء الجسدي) وحاجته من الراحة النفسية والسلام الدائم والتمتع بجمال الطبيعة والماء العذب والأنهار والخير والحيواة الدائمة والأبدية (الغذاء النفسي)[1]

قال آخر: ثم عقب على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] بقوله: (نجد أن ﴿جنتان﴾ هي في الحقيقة أماكن فيها جنات أخرى كثيرة ومتعددة موجودة في كل مكان في أرض الجنة.. نستطيع أن نقول بأنها كل مكان من أرض الجنة، فأرض الجنة فيها جنات كثيرة أي خيرات كثيرة وتلك الخيرات موجودة في كل مكان من بقاعها.. إذا فإن قول الله تعالى ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ يدلنا على وجود جنات كثيرة لجميع المؤمنين من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين والمحسنين وغيرهم من المتقين.. وإذا قارنا ﴿الجنتان﴾ التي ذكرتا في آية (٤٦) إلى (٦١) بـ ﴿الجنتان﴾ التي ذكرتا في آية (٦٢) إلى (٧٨) لا نجد أي فارق بينهما، بل على العكس تماما، سوف نجد أنها نفس الخيرات وأنها موجودة في كل مكان من أرض الجنة)[2]

قال آخر: ثم راح يستعرض الآيات الواردة في سورة الواقعة والواضحة في التفريق بين جنات السابقين وجنات أهل اليمين، وقال: (إذا قارنا جنات السابقين من آية (١٢) إلى (٢٦) بجنات أصحاب الميمنة من آية (٢٨) إلى (٣٧) لن نجد فرقا أو اختلاف أو طبقية بينهن، وسوف نجد أن أرض الجنة في الآخرة هي جنة كبيرة فيها جنات كثيرة وواسعة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

لجميع المؤمنين من السابقين ومن أصحاب اليمين من دون أي اختلاف أو تفرقة أو عنصرية)[1]

قال آخر: وفي ختام مقاله قال: (إذا أخذنا جميع تلك الآيات التي ذكرتها لكم أعلاه وضربناها وقارناها ببعضها، سوف نجد أن لا وجود لدرجات وطبقات أو لطبقية في الجنة، وأن جميع الجنات التي وردت في القرآن باختلاف أسمائها هي في الحقيقة جنة واحدة كبيرة للجميع عرضها السماوات والأرض أعدت لجميع المؤمنين المتقين ومن دون استثناء.. وسوف نتوصل إلى أن الجنة هي الجنات، وهي جنات عدن، وهي جنات الفردوس، وهي جنات المأوى، وهي الروضة، وهي الروضات، وهي الدرجة، وهي الدرجات، وهي المغفرة، وهي الرحمة، وهي الرضوان، وهي النعيم المقيم، وهي الأجر العظيم، وهي الفوز الكبير)[2]

قال آخر: وهكذا ورد في مقال آخر عن الأزواج الثلاثة الّذين ذكرهم الله تعالى في سورة الواقعة، فقد قال بعد استعراضه لها: (إخواني الكرام، إذا كنتم تظنون بأن هناك فرق بين جنة السابقين وبين جنة أصحاب الميمنة فهذا خطأ كبير فادح تقعون فيه، وأنتم إذا تدبرتم جيدا الآيات التي وصف الله تعالى لنا فيها جنة السابقين مع الآيات التي وصف الله تعالى فيها جنة أصحاب اليمين، لن تجدوا بينهما أي فرق في مضمون هذا الوصف، ولذلك ذكر الله تعالى لنا زوجين فقط في سورة المطففين وفي سورة البلد، وذكر لنا نوعا واحدا من المؤمنين وصفهم بالأبرار المقربين في سورة المطففين وبأصحاب الميمنة في سورة البلد، إذا فالأبرار المقربون في سورة المطففين هم نفسهم أصحاب الميمنة في سورة البلد، هذا يعطينا الدليل بل يؤكد لنا أن السابقين المقربين هم نفسهم أصحاب اليمين أو الميمنة في سورة

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

الواقعة)[1]

قال آخر: ثم قال: (في سورة المطففين ذكر الله تعالى لنا كتابين فقط: كتاب الأبرار وكتاب الفجار، وأخبرنا أن الأبرار هم المقربون، فأين كتاب أصحاب اليمين؟ ولماذا لم تذكر هذه الفئة (فئة أصحاب اليمين) في هذه السورة؟)[2]

قال آخر: ثم قال: (وفي سورة البلد حدثنا الله تعالى عن أصحاب الميمنة (أصحاب اليمين) ولم يحدثنا عن السابقين المقربين، وأخبرنا بأن أصحاب الميمنة هم الذين يقتحمون العقبة، التي هي فك رقبة، والتي هي إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة، ثم كانوا من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، ولقد وصف الله تعالى جميع هؤلاء بأنهم أصحاب ميمنة، وإذا انطلقنا من مضمون تلك السورة وقارنا فئة السابقين المقربين بما جاء فيها، فهل يصح أن نقول عن السابقين المقربين أنهم ليسوا من الذين يقتحمون العقبة، وأنهم ليسوا من الذين يفكون رقبة، وأنهم ليسوا من الذين يطعمون في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة، وأنهم ليسوا من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة؟ ولماذا لم تذكر هذه الفئة (فئة السابقون المقربون) في هذه السورة؟)[3]

قال آخر: ثم قال: (باختصار مفيد، لقد أراد الله تعالى من خلال ذكره لزوجين من المؤمنين والذين هم زوج (نوع) السابقون وزوج (نوع) أصحاب الميمنة في سورة الواقعة أن يعلمنا عن أمرين: الأمر الأول هو أنه في كل زمن، يكون عدد المؤمنين أكثر في بداية تنزيل الكتاب ولكن بعد مرور الوقت يخف عدد المؤمنين إلى حين انتهاء أجل الكتاب،

---

(١) من هم الأزواج الثلاثة الّذين ذكرهم الله تعالى في سورة الواقعة؟ وهل هناك فرق ما بين السابقين وأصحاب اليمين؟، موقع حقيقة الإسلام من القرآن.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

والأمر الثاني هو أن هناك دائما وفي كل الأزمان والعصور وعلى مر الدهر مجموعات من الناس كانت تدخل في الإيمان، لقد أراد الله تعالى أن يعطينا معلومتان فيهما عبرتين مختلفتين)[1]

قال آخر: ثم قال: (وللتوضيح أكثر، إذا نظرنا في كل زمن ورأينا ما يحدث فيه، نجد أن المؤمنين في كل زمن أتى فيه رسول كانوا ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، ولذلك وصفهم الله تعالى بالسابقين المقربين، وإذا قارنا جميع تلك الأزمان ببعضها، نجد أن السابقين المقربين قد وجدوا في كل زمن لذلك قال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠]، من هنا أستطيع أن أقول لكم أن أصحاب الميمنة الذين هم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين هم جميع السابقين المقربين الذين أتوا عبر الأزمان والعصور من أول خلق الإنسان إلى آخره والذين كانوا ثلة من الأولين وقليل من الآخرين في كل زمن من تلك الأزمان)[2]

٤ . التبديل والقيم:

بعد أن انتهى المبدلون التائبون من ذكر ما قام به أساتذتهم من تحريفات للحقائق القرآنية المقدسة، قام بعض الحضور، وقال: حدثتمونا عن أساتذتكم وتحريفهم لحقائق القرآن الكريم المقدسة؛ فحدثونا عن تحريفهم لقيمه السامية.

قال أحد المبدلين: من تجرأ على الحقائق؛ فإنه قد تجرأ على القيم؛ فالقيم تقوم على الحقائق؛ فإذا ما حرفت الحقائق وبدلت تبدلت معها القيم.

قال آخر: ولذلك كان لهؤلاء الحداثيين والقرآنيين دور كبير في نشر الإرجاء، وإلغاء تأثير كل الزواجر التي تزجر عن المعصية، وكل الدوافع التي تدفع إلى الطاعة.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

قال آخر: وقد رأيتم كيف يسخرون من خوف المؤمنين من عذاب القبر، وكيف يذكرون لهم أن المؤمنين جميعا في درجة واحدة في الجنة، لا فرق بين محسن ومسيء، وسابق ولاحق..

قال أحد الحضور: فهلا ذكرتم لنا نماذج عن ذلك مثلما ذكرتم لنا في تبديلاتهم السابقة.

قال أحد المبدلين: أجل.. سنذكر لكم نماذج عن تبديلاتهم لنوعين من القيم: الروحية، والاجتماعية.

أ. القيم الروحية:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المبدلين وموقفهم من القيم الروحية.

قال أحد المبدلين: سنضرب لكم ثلاثة أمثلة عن موقفهم من القيم الروحية، لعلها تكون كافية لكم للتعرف على موقفهم منها جميعا.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قال أحد المبدلين: المثال الأول هو موقفهم من المقامات العالية التي يتنافس فيها الصالحون، والتي ورد الحديث المفصل عنها في القرآن الكريم والسنة المطهرة وهدي أئمة الهدى.

قال آخر: وقد عرفتم من أحاديثنا السابقة عنهم أن من علامات المبدلين تحقير تلك المعاني والاستهانة بها، لأن الدين عندهم ليس سوى علاقة للإنسان مع الإنسان أو الكون؛ فالإنسان هبط إلى الدنيا في تصورهم ليعمرها، ويملأها بالأبراج والطائرات والصواريخ، ويسيطر على مناخها وتضاريسها، أما ترقية نفسه بممارسة العبادة وكثرة الذكر والرياضات

الروحية، فهي عندهم تشدد وتطرف وبلادة.

قال آخر: وهذا ما جرهم إلى الاستهانة بالشعائر، وتحقيرها، وتأويل كل ما ورد فيها من النصوص تأويلات مختلفة، حتى تصبح الصلاة أحقر الأعمال، لا أشرفها، ويصبح الذكر هو ذكر الدنيا، ولا ذكر الله، ولا الشوق إليه.

قال آخر: ولهذا نراهم يحتقرون الصالحين والأولياء الذين أمرنا الله تعالى بسلوك سبيلهم، وبأن نكون معهم، فالصالحون عندهم هم المخترعون والمكتشفون، لا أولئك الذين أفنوا أعمارهم في ذكر ربهم والدعوة إليه.

قال آخر: وهم لا يتوقفون عند أفراد الصالحين، وإنما يضمون إليهم الأنبياء والمرسلين، وخصوصا سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك يحتقرون سنته، ولا يبالون بها، بل يعقبون عليه بما تمليه أهواؤهم.

قال آخر: ولهذا ينفرون من كل تلك النصوص المقدسة التي تحقر الحياة الدنيا، وتعتبر حبها أم الخطايا، وتعتبر كل ضلالة حصلت في الأرض ناتجة عنها، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]

قال آخر: وهذه الآية الكريمة تحوي وصفا دقيقا لهؤلاء الدنيويين الذين يسمون أنفسهم حداثيين، ذلك أن الدنيا قد زينت في أعينهم، فاستحلوها، ثم راحوا يسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا، مع أنهم فوقهم يوم القيامة، كما أنهم فوقهم في الحياة الدنيا.

قال آخر: ولذلك لا نجد حداثيا إلا وهو يسخر من العلماء والأولياء والعباد والزهاد، ويعتبرهم جميعا متخلفين لم يفهموا الدين كما فهمه..

قال آخر: ولهذا نراهم يحتقرون الوعاظ الذين يمارسون ما كان يمارسه رسول الله ﷺ

من التحذير من الاستغراق والتثاقل إلى الحياة الدنيا، باعتبارهم أخطر ما يهدد حقيقة الإنسان نفسها، والتي قد تتحول إلى كلب يلهث، كما قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]

قال آخر: وبناء على هذا كله، فإن كل النصوص المقدسة التي تحذر من الحياة الدنيا، وتبين حقيقتها هي في الحقيقة رد على الفكر الحداثي، الذي يبالغ فيها، ويعتبرها أصلا وغاية ومقصدا.

قال آخر: وهو عندما يفعل ذلك لا يقدم شيئا جديدا، لأنه عقل يهدم ولا يبني، ولهذا نرى الكثير من الحداثيين يملكون شهادات علمية في الطب والفيزياء والهندسة وغيرها، ثم يتركونها، ولا يقدمون في تخصصاتهم أي شيء جديد، بينما يذهبون إلى القرآن الكريم يتلاعبون بألفاظه ومعانيه، ليحولوها إلى المسار الذي تريده أهواؤهم.

قال آخر: ولهذا ذكرنا أن العقل الحداثي أخطر من العقل الملحد، وأكثر بعدا من الدين عنه، لأن الملحد قد يقتنع في يوم من الأيام، ويعود إلى الله بتواضع، أما الحداثي، فهو يتصور أنه على شيء، بينما هو لا يملك من الدين إلا السراب والأهواء والتقول على الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]

قال آخر: والعقل الملحد يكتفي بنقد الدين من دون أن يتدخل في تحريفه وتبديله والتلاعب به، بينما العقل الحداثي يفعل ذلك، ويفتري على الله الكذب، ويزعم أنه يفهم من الوحي ما لم يفهمه كل العلماء والصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى

اللهِّ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُّ﴾ [الأنعام: ٩٣]

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو تمييعهم لمعنى إقامة الصلاة، وإخراجها من حيز الوجوب والفرضية إلى حيز الاختيار والتطوع.. بل تحويلها من حيث هيئتها إلى مجرد دعاء قد يصدر من أي شخص حتى ولو لم يؤمن بأي دين.. المهم أن يؤمن بالله واليوم الآخر، ولو على سبيل العموم.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ما نشره بعض الحداثيين في موقع شحرور يتحدى كل فقهاء المسلمين بأن يردوا عليه إن استطاعوا[1]، وهو يتعلق بعدد الصلوات، والتي يرى أنها ليست تلك الصلوات الخمسة المعروفة، وإنما هي ثلاثة فقط: صلاة في الصباح الباكر، ووقتها في أول النهار.. ومقدارها من الوقت: هو مقدار طرف النهار، ويبدأ من بداية النهار عند تلاشي الظلام إلى قبل طلوع الشمس.. وصلاة في المساء، ووقتها في آخر النهار، ومقدارها من الوقت: هو مقدار طرف النهار، ويبدأ هذا التوقيت من قبل غروب الشمس إلى آخر النهار عند بداية الظلام، أي عكس ما يقع في الصباح تماما.. وصلاة في الليل، ووقتها في أول الليل، ومقدارها من الوقت: يبدأ توقيتها من أول الليل إلى غسقه أي حتى يشتد الظلام.

قال آخر: ويلخص ذلك بقوله: (وخلاصة القول أن الله فرض علينا ثلاثة أوقات تقام فيها الصلاة، صلاة في أول النهار وتسمى الفجر، وصلاة في آخر النهار وتسمى الوسطى، وصلاة في أول الليل وتسمى العشاء، ولم ينزل الله غير هذا إلا ما كان نافلة في

---

(١) انظر مقالا بعنوان: أنزل الله ثلاث صلوات وليس خمسا، بنور صالح.

الليل، ومن قال غير هذا فقد افترى على الله كذبا وقال على الله ما لم ينزل به سلطانا)[1]

قال آخر: وبعد أن يذكر مجموعة آيات كريمة تتحدث عن الصلاة وأوقاتها بعيدا عما ورد في تفسيرها من السنة المطهرة المتواترة والمجمع عليها، يقف على برجيه العاجي قائلا بكل غرور: (إلى جميع العلماء، رؤساء الأحزاب الإسلامية، رؤساء الأحزاب التالية: السنة، الشيعة، الإباضية، المعتزلة، المالكية، الحنفية، الحنبلية، الشافعية، الزيدية، الجعفرية، الإمامية، المهدوية، الصوفية، الشاذلية، القادرية، التيجانية، العلوية.. القرآنيين، الباطنية، الظاهرية.. إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية.. اذكروا لنا الصلاة التي أنزلها الله ومواقيتها، ومن الآيات العديدة التي أنزلها الله في الصلاة إليكم)[2]

قال آخر: ثم يذكر قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، ثم يسأل تلك الطوائف جميعا قائلا: (هل هذه الآية منسوخة؟.. هل هي فاعلة إلى يومنا هذا؟.. وهل يجب أن نعمل بها أملا؟.. كم صلاة أنزل الله فيها؟ ٣ أم ٥.. وما هي هذه الصلوات؟ اذكر أوقاتها، وأين هي الصلاة الوسطى في هذه الصلوات.. هل قرأ النبي هذه الآية على الناس؟.. هل بلغها؟.. هل تكلم بها بلسانه أم لا؟.. هل عمل بها؟.. وكم صلى حين عمل بها؟.. وهل هو الذي شرع الظهر والعصر؟.. إذا لم يكن هو فمن الذي شرعهما؟.. هل صلاة الظهر والعصر فرض؟.. إذا قلتم فرض فمن فرضهما؟ وأين فرضهما؟.. وما حكم الذي لم يصليهما، هل ارتكب معصية؟ إذا قلتم نعم، فمن عصى؟.. من الذي يشرع للعباد؟.. إذا شرع آخر مع الله هل هذا شرك بالله أم لا؟)[3]

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

قال آخر: وهكذا تحول من صلى الظهر والعصر عنده مبتدعا ومشركا وضالا بمجرد أسئلة يسألها عن آية لم يفهم معناها، ولا معاني غيرها من الآيات، وكيف يفهمها، وقد أبعد من أوكله الله بتأويلها وتوضيحها وتحديد المقصود منها، وهو رسول الله ﷺ الذي ذكر الله دوره العظيم المرتبط بالقرآن الكريم، فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

قال آخر: وقد ختم عجرفته تلك بقوله: (قدموا شهادة على الصلاة التي تصلونها على أن الله هو الذي أنزلها عليكم، وأي شخص يقول بصلاة معينة يقدم شهادة عليها على أن الله هو الذي أنزلها، وإذا لم تجيبوا على هذه الأسئلة، وتقدموا شهادة عليها وعلى صلاتكم، فاعلموا أنكم حكمتم على أنفسكم أنكم مشركون، لست أنا الذي أحكم عليكم، بل تركتكم لتحكموا على أنفسكم، لقد أشركتم بالله في تشريعه ما لم ينزل به سلطانا، ومن فعل ذلك علم أم لم يعلم فهو من المشركين، فلا أحد يكفركم ولا أحد يضللكم بل أنتم الذين ستحكمون على أنفسكم هنا في الدنيا قبل الآخرة، والذي أنزله الله هو الذي كشف شرككم كما كشف شرك الذين من قبلكم، فهو الوحيد الذي يكشف ما قبله وما بعده، والآن أنتم على علم بضلالكم وشرككم، وما يزيدكم هذا الحق والتبيان إلا نفورا وطغيانا، استكبارا في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)[1]

قال آخر: ثم راح يقدم شهادته في كيفية الصلاة قائلا: (أشهد أني صاحب هذه الدعوة، وأشهد أن كل نبي رسول من الله وختمت الرسالة والنبوة بمحمد، وأشهد أمام الله وأمام العباد وأقسم بالله العلي العظيم أن الله أنزل ثلاث صلوات مفروضة، صلاة الفجر والصلاة الوسطى وصلاة العشاء، وصلاة النافلة في الليل فقط، هذه هي الصلاة التي أنزلها

---

(١) المرجع السابق.

الله وختم التنزيل على هذه الصلاة، وأن الله لم ينزل صلاة الظهر ولا صلاة العصر، وأن نبينا محمدا كان يصلي الثلاث صلوات التي ذكرتها وأنه مات على هذه الصلوات الثلاث، وليس هو الذي شرع صلاة الظهر وصلاة العصر، بل الناس هم الذين شرعوا ذلك، وأن كل الأنبياء كانوا يصلون هذه الصلوات الثلاث وفي هذه الأوقات، ولم ينزل الله بصلاة في الظهيرة أبدا على الإطلاق في جميع الكتب المنزلة التي نعرفها والتي لا نعرفها، وأن الصلاة لم تتغير منذ أن أنزل الله الهداية على البشر إلى يوم الدين، وأن الله لم ينزل الصلاة مقدرة بالركعات، بل أنزلها دائما وأبدا مقدرة بالوقت، وأن النبي كان يصلي الصلاة مقدرة بالوقت وليس بعدد الركعات، وأن الصلاة الوسطى تبدأ قبل غروب الشمس، وأن النبي والأنبياء كلهم كانوا يصلون الوسطى قبل غروب الشمس، وأن الركوع ليس الانحناء، وأن الله لم ينزل الانحناء ولم يشرع به في الصلاة، وأن النبي وجميع الأنبياء لم يكونوا يقومون بالانحناء في الصلاة، وأن الله لم ينزل صلاة الجمعة، ولا صلاة الأحد، ولا صلاة السبت، إلا الصلاة المذكورة سابقا، وأن النبي وجميع الأنبياء لم يكونوا يصلون صلاة الجمعة ولا صلاة السبت ولا صلاة الأحد، وأن الله لم ينزل صلاة الأعياد، ولا صلاة في الأعياد أبدا، وأن النبي وجميع الأنبياء لم يكونوا يصلون صلاة الأعياد، وأن الله لم ينزل صلاة الاستسقاء إلا إن أراد الناس أن يتقربوا لله بالصلاة النافلة في الليل، وأن الله لم ينزل صلاة الجنازة إلا أن يدعو الناس لموتاهم كدعاء بعضهم لبعض وهم أحياء، وأن الصلاة على النبي هي الدعاء له بالرحمة والاستغفار، وليس هذا الشكل الذي يقال، وأخيرا إن كنت كذبت على الله في شيء من هذه الشهادة ولو شيء قليل فلعنة الله على الكاذبين.. هذه شهادتي، فقدموا عكسها في ما تخالفونني فيه، واعلموا بإذن الله أنكم لا تفعلون.. لأنكم تعلمون أنكم تكذبون)[1]

---

(١) المرجع السابق.

قال آخر: ثم ختم بملاحظة يقول فيها: (كل من قرأ هذا الموضوع أرجو أن ينقله إلى علمائه وشيوخه للرد عليه إن كانوا صادقين في ما يعبدون.. وليعلم الناس أن علماءهم يعلمون الحق ولكنهم يكتمونه، فهم يفعلون كما فعل الذين من قبلهم، فهم لا يهتدون)[1]

قال آخر: هذا مجرد نموذج عن التلاعب بالصلاة واحتقارها واحتقار كل ما ورد في شأنها، ولو تتبعنا تفاصيل ما ذكره الحداثيون في شأنها لوصلنا إلى نتائج أخطر بكثير من التي ذكرناها، فذلك نكتفي بهذا، لتعرفوا مدى التطرف الذي وقع فيه الحداثيون، وأنهم حاولوا أن يعالجوا التطرف السلفي، فوقعوا في تطرف أشد منه.

المثال الثالث:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثالث.

قال أحد المبدلين: المثال الثالث مرتبط بمفهوم الصوم وأحكامه، والذي راح شحرور يؤول الآيات الواردة فيه كما يشاء، بحيث وصل في الأخير إلى اعتبارها شعيرة اختيارية، الأولى تركها، واستبدالها بإطعام المساكين.. لأن في إطعام المساكين ـ بحسب تصوره ـ خدمة اجتماعية حضارية، بخلاف الصيام الذي يؤثر على الإنتاج والتطور والرقي.

قال آخر: والآية التي اعتمد عليها في ذلك الفهم العجيب هي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، والتي فسرها بقوله: (فالآية الأولى هي الآية المحكمة المتعلقة بالصوم، وكل ما ورد فيما يتعلق بالموضوع هو تفصيل لهذه الآية، وفي التفصيل حدد من يشمله الإعفاء من الصيام، بداية من لا يتحمله (لا طاقة له به) وهما المريض والمسافر فيمكنهما تأجيل الصيام لوقت آخر، ثم من يتحمله (يطيقونه) فيمكنه دفع فدية [إطعام

(١) المرجع السابق.

مسكين]، فإن كنت تستطيع الصيام فالصيام خير لك، وإن كنت لا تريد فعليك بالفدية وهي إطعام مسكين كحدٍ أدنى)[1]

قال آخر: ثم راح يتهم جميع المفسرين في جميع مراحل التاريخ أنهم لم يفهموا معنى الآية الكريمة، فقال: (والمفارقة هنا أن السادة المفسرين وضعوا [لا] قبل [يطيقونه]، فيجد الباحث عن تفسير [يطيقونه]: [لا يطيقونه]، أو [يطيقونه بصعوبة].. وحرموا على الناس الإفطار برمضان مهما كانت الأسباب عدا المرض والسفر، وإلا صيام شهرين متتاليين، وقد يغفر الله وقد لا يغفر، مع أن التنزيل الحكيم لم يقل بذلك)[2]

قال آخر: وهذا افتراء على المفسرين وعلى اللغويين قبلهم، لأن نفس كلمة [يطيقونه] في اللغة العربية تدل على معنى العنت والجهد الشديد الذي يصيب الصائم، والذي يبيح له الإفطار مع الفدية أو القضاء، بحسب حالته العمرية والصحية.. وقد ذكر ذلك جميع علماء اللغة واتفقوا عليه..

قال آخر: ومن ذلك ما قاله الزمخشري، وهو الذي لا يجادل أحد في معرفته باللغة العربية، وتذوقه لبلاغتها، فقد قال في تفسيره للآية الكريمة: (ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه، وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه، على أنهما من فيعل وتفعيل من الطوق، فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم: تدير المكان وما بها ديار.. وفيه وجهان: أحدهما نحو معنى يطيقونه.. والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية)[3]

قال آخر: ومثله قال الراغب الأصفهاني ـ وهو العالم اللغوي صاحب السبق في

---

(١) الصيام وفق الاستطاعة، محمد شحرور.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٢٦)

البحث في مفردات القرآن الكريم ـ في تفسيرها: (وروي عن ابن عباس في أصح الروايتين أن ذلك في الشيخ والشيخة الهرمين والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما، فلفظ (الطاقة) ههنا ينبيء عن ذلك، فإن الطاقة هي التي تبلغ غاية المشقة، ولا يخرج عن القدرة والعجز، فذكر أن هؤلاء الذين يبلغ بهم الصوم غاية المشقة يجوز لهم الإفطار والفدية وقرئ (يُطَوقونه) أي يتكلفونه بجهد، وقرئ (يطوقونه) أي يحملون على أن يتطوقوا)[1]

قال آخر: لكن شحرورا فهم هذه الكلمة على حسب ما يشتهي، مع أنه يعلم أن اللغة العربية واسعة، وأن اللفظة الواحدة لها دلالات متعددة.

قال آخر: ولم يكتف بذلك، بل راح إلى إطعام المسكين نفسه يتساهل فيه، ويلغيه، أي أن الذي يقدر على الصيام، ولكنه لا يرغب فيه، ويرغب في الفدية بدله، يمكنه ألا يقدمها أيضا إن لم يكن قادرا على تقديمها، وقد قال معبرا عن ذلك: (قد يقول البعض، وهل العامل قادر على دفع الفدية؟ وهل هذا الدين للأغنياء فقط؟ أقول لا، فالصيام وفق الاستطاعة ومن لا يملك قوت يومه لا حرج عليه، وكفانا تصوير الله تعالى وكأنه شرطي يتربص بالعباد، فقد قال وجل من قائل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] وأتبعها بقوله ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٤])[2]

قال آخر: ثم راح ـ كسائر الحداثيين ـ يصور الآثار العملية لهذه الفتوى الخطيرة التي تزيل هذه الشعيرة عن الإسلام، وتجعل المسلم مخيرا بين الصيام والفدية، بل تضع عنه الفدية نفسها، وتجعله في حل من إخراجها، فقال: (ولنتخيل حال عالمنا العربي والإسلامي لو كل من لا يريد الصيام أطعم مسكيناً في اليوم، أو لو تم جمع البدل النقدي عن فدية صيام

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٨٩)

(٢) المرجع السابق.

من يعيشون في شمال أوروبا، هل سنجد جائعاً في بلداننا؟)[1]

قال آخر: ثم راح يعلل ذلك بتصوره للحرية الدينية، والتي تتيح للمسلم أن يترك الصلاة والصيام وكل الشعائر التعبدية ما دام غير راغب فيها، من غير أن يخل ذلك بإسلامه ولا إيمانه ولا دينه، فقال: (وأكرر أن الشعائر يأتيها الإنسان طواعية، دون إرغام، وهي أهم تطبيق للآية ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والصيام يفقد معناه إن كان إلزامياً، لذا فإن فرض عقوبة أو غرامة على المفطرين هو أمر غير مقبول، ومراعاة مشاعر الصائمين أمر جميل، لكن ليس أكثر من ذلك.. أيضاً ما نراه من تحميل عباد الله فضلاً بحجة الصيام، أو تعطيل الأعمال والأشغال بهذه الحجة، فهذا أبعد ما يكون عن ديننا)[2]

قال آخر: ولم يكتف شحرور وسائر الشحارير الذين يظهرون كل يوم بهذا، بل راح إلى ميقات شهر رمضان نفسه، والذي حدده القرآن الكريم بدقة، ليحوله إلى شهر شمسي، مرتبط بفصل محدد هو فصل الخريف، حتى يزيل عن أتباعه مشقة الصيام في فصل الصيف، وقد قال معبرا عن ذلك: (يبقى أن نشير إلى أن الأشهر القمرية تحتاج لتصحيح، يقوم به المختصون ويجمعون عليه، بحيث توافق الأشهر القمرية الأشهر الشمسية، أي ما يسمى بالنسيء، وأعتقد أن رمضان يوافق الشهر التاسع الميلادي (أيلول، سبتمبر)، إذ يكون النهار مساوياً لليل في نصفي الكرة الأرضية، علماً أن النسيء المحرم هو ما كان يقوم به العرب من تأخير وتقديم للأشهر بحيث يوافق الحج مواسم التجارة، وليس تصحيحاً وفق قواعد ثابتة)[3]

قال آخر: ولم يكتف شحرور بطرح أفكاره في مقالاته، بل هو يفتي بها باعتباره مفتي

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) التنويريون والصراع مع المقدسات، ص ٢٠٦.

الإسلام الأكبر، وقد سألته امرأة عن بعض أحكام الصيام؛ فأجابها بقوله: (أشكرك على مشاعرك، وقت الصيام يدخل ضمن حدود الله التي نهانا عن الاقتراب منها وهي من الفجر وحتى الليل.. ولكن لك أن تعلمي أن من لا يرغب الصوم يمكن أن يطعم مسكينا.. وعليك أن تعلمي أن هناك ثلاث فئات من الناس: المرضى ـ على سفر ـ القادرين على الصيام.. أي ليسوا مرضى ولا على سفر، هؤلاء رغبة الصوم عندهم مفتوحة على الفدية أو الصوم، والحد الأدنى للفدية هو طعام مسكين حسب إمكانياتك ومستوى البلد الذي تعيشين فيه، وهنا قال: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] هنا يخاطب المستطيع، والذي له الخيار بين الفدية والصوم، قال الصوم خير لكم من باب الترجيح وليس الفرض، لذا فعليك الفدية ولا تستمعي إلى من يقول الصوم حسب مكة أو حسب أقرب بلد إسلامي فهذه إفتاءات ليست أكثر من هراء، وكوني مطمئنة بالفدية، وانصحي الآخرين)[1]

قال آخر: ثم راح يقترح عليها، وعلى المسلمين ـ بحسب الدين الجديد الذي جاء به ـ قائلا: (وأرى إنشاء مؤسسة في بلدان أوربا الشمالية تسمى (مؤسسة إطعام مسكين) توضع فيها أموال فدية رمضان، ويفتح بها مطاعم لإطعام الفقراء والمحتاجين فهذا أفضل)، أي أن هذا أفضل من الصيام.

قال آخر: ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إننا نجد كل يوم من ينادي بمثل هذه الطروحات، بل يحاول أن يغرب فيها، لأن دين الله أصبح سلعة لكل تاجر، وباحث عن الشهرة.

قال آخر: ومن الشخصيات التي كتبت في هذا، ودعت إليه بحماسة لا تقل عن

(١) التنويريون والصراع مع المقدسات، ص ٢٠٧

حماسة شحرور أستاذ جامعي اسمه [يوسف قرنفل] الذي كتب مقالا بعنوان [هل الصيام اختيار؟]، ومما جاء فيه قوله: (المؤمن مخير بين الصيام وبين الإفطار، إن شاء صام وإن شاء أفطر ولا ذنب عليه.. ويفدي عن كل يوم أفطر فيه بإطعام مسكين؛ وإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم أفطر فيه فهو خير)(١)

قال آخر: ومنهم [فوزى فراج] الذي راح يدعي أن له السبق على الفكرة التي طرحها شحرور، فقد قال في مقال له في ذلك: (التفسير الذى جاء به الاستاذ شحرور ليس جديدا، فقد قلت مثله منذ سنوات، والآية من وجهة نظرى واضحة جدا، فقد قسم الله الناس فى موضوع الصيام إلى ثلاثة أنواع: الأول هم المرضى أو من على سفر، وقد صرح لهم بعدم الصيام أى الإفطار على أن يصوموا فى أيام أخرى بعد إنتهاء السفر او المرض.. الثانى وهم الذين يستطيعون الصيام ولكنهم لأسبابهم الخاصة والتى لا يعرفها إلا الله، لا يريدون الصيام، فأحل لهم الإفطار مع إطعام مسكين، أو أكثر من مسكين، ولكنه فى نفس الوقت نصحهم بأن الصيام خير لهم من ذلك.. الثالث وهم الأغلبية من الناس الذين سوف يصومون الشهر كما كتب الله ذلك عليهم)(٢)

قال آخر: ثم راح يردد ما ذكره شحرور وغيره، والجديد الذي أضافه في هذا الباب هو تفسيره لمعنى التقوى الواردة في الآية الكريمة، والتي اعتبرت علة للصوم، لكونه يربي النفس ويهذبها، ويرفع عنها القيود التي تقيدها بها شهواتها، والتي نظر إليها من زاوية تجديدية مادية، فقال: (الصيام ليس من أجل أن يجوع أو يعطش الصائم أو يحرم من معاشرة زوجته أو زوجها، الصيام من أجل التقوى كسبب رئيسى ورغم ذلك فليس من المؤكد إن كل صائم سوف يصل إلى التقوى بصيامه.. والإحصائيات تفيد بأن خلال شهر رمضان

---

(١) هل الصيام اختيار؟، يوسف قرنفل، ٢٩ ماي ٢٠١٦.

(٢) شهر رمضان الذى يأتى كل عام، فوزى فراج، ٠٢ تموز ٢٠١٤.

يقل الإنتاج فى العالم الإسلامى إلى النصف أو أقل، وجميعنا من عاش فى المجتمعات العربية والمصرية يعلم ذلك جيدا، ويعلم التباطؤ والتكاسل والتغيب مما يؤدى إلى تعطيل المصالح وكثرة الإختلافات والشجار بين الناس وزيادة حالات الطلاق، وكل ذلك كما يدعون بسبب الصيام، والصيام الذى أمر الله به بريء من كل ذلك)

قال آخر: ولذلك؛ فإن الحل بالنسبة له هو اعتبار الصيام عبادة تخييرية؛ فمن شاء أن يصوم صام، ومن شاء أن يفطر أفطر من غير حرج، وليس عليه سوى أن يطعم مسكينا واحدا بدل ذلك اليوم.. وإن كان هو المسكين؛ فيمكنه أن يطعم نفسه، ويعتبر بذلك صائما.. بل يؤجر أكثر إن استطاع أن يرفع الإنتاج، ويحقق الرفاه الاجتماعي الذي هو الغاية العظمى التي خلق من أجلها الإنسان، كما يصور الحداثيون.

ب. القيم الاجتماعية:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المبدلين وموقفهم من القيم الاجتماعية.

قال أحد المبدلين: من خلال ما عرضنا لكم سابقا من نماذج يمكنكم أن تستنتجوا بسهولة موقف هؤلاء المبدلين من القيم الاجتماعية؛ ذلك أنهم لم يرتضوا بقيم الإسلام، واعتبروها تخلفا ومرتبطة بزمن معين، ولذلك راحوا إلى كل تلك القيم الجميلة التي وضع الله تعالى أحكامها لحفظ المجتمع وعلاقاته وآدابه وعفافه، ليهدموها رأسا على عقب.

قال آخر: وسنكتفي بذكر مثالين لكم عن ذلك، لتعبروا منهم لغيرهما من المعاني.

المثال الأول:

قال أحد الحضور: فحدثونا عن المثال الأول.

قال أحد المبدلين: المثال الأول موقفهم من الحجاب الشرعي الذي نص على وجوبه القرآن الكريم، وأيدته السنة المطهرة، والروايات الواردة عن أئمة الهدى، ثم أيده بعد ذلك

كله إجماع المسلمين بمدارسهم المختلفة، وإن اختلفوا في بعض تفاصيله البسيطة.

قال آخر: وأيده بعد ذلك ومعه العقل والفطرة والواقع.. فالحجاب رمز للعفة والطهارة والتضحية، ولكل القيم النبيلة، ذلك أن المرأة التي تستر محاسنها وفتنتها، في الوقت الذي تحب بفطرتها أن يظهر ذلك منها، تقوم بتضحية كبيرة، وتؤدي واجبا إنسانيا وأخلاقيا رفيعا، ذلك أنها بهذا السلوك الرفيع ترحم ما أودع الله في شقيقها الآخر من تطلع إليها، وفتنة بها، ولا تكلفه عنتا بأن يغض طرفه عنها، أو يكف نفسه عن التحرش بها.

قال آخر: وهو رمز لطهارة القلب، وسمو الروح، وتجرد العقل وتحكمه في صاحبه، ذلك أن المرأة التي تستر مفاتن جسدها، إنما تقول للمجتمع، ولكل المتطلعين إليها: أنا لست جسدا فقط، وإنما أنا روح وعقل وقلب ولدي من الأشواق والسمو الروحي ما للرجل تماما؛ فلذلك لا ينظر إليها باعتبارها فتنة، وإنما باعتبارها أسوة ونموذجا ومثالا إنسانيا رفيعا.

قال آخر: ولهذا كان الحجاب معنى من المعاني التي اتفقت عليها جميع الديانات، وتوحد على الدعوة إليها كل الأولياء والأنبياء والمصلحين.

قال آخر: لكن الحداثيين القدامى والجدد لم يلاحظوا كل هذه المعاني، وإنما تصوروه مجرد خرقة ولباس لا معنى لها، بل تصوروه نوعا من التدخل الإلهي أو الذكوري في شأن المرأة، وأنه مخالف للحضارة، وأن البشرية لن تتحضر حتى تتحرر المرأة من لباسها، لتصبح مرعى خصيبا لكل ذئاب الدنيا وكلابها.

قال آخر: وقد استعملوا في هذه الحرب كل ما أوتوا من أسلحة.. وهو سلاح التحضر والرقي، وهو سلاح اتفق عليه القدامى منهم والمحدثون، حتى أن بعضهم تصور أن سبب تخلف المسلمين هو الحجاب، وأن رمز رقيهم هو نزعه، ولذلك راح ينادي بخلع

الحجاب حتى تترقى الأمة، وتترفع عن تخلفها.

قال آخر: ولذلك لا يربط الحداثيون التطور العلمي والتقني الأوروبي بتوفر الظروف المناسبة للبحث والإنتاج العلمي، وإنما يربطونه بوجود المرأة التي تتخلى عن حجابها، كما تتخلى عن حيائها وعفتها، وتعمل بنفسها كل ما يرضي نزوات الرجل.

قال آخر: وقد صرح بذلك بعضهم، فقال ـ يمدح الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأوربي ـ: (يضم المجتمع الأوربي الرجال والنساء دائماً، فيسهل الاتصال بينهم، وتنشأ فيما بينهم علاقات آلفة وصداقة وحب، وهذا الاختلاط بين الجنسين في الاجتماعات يُسبغ، عليها عذوبة ورقة، فالسحر الذي تشيعه المرأة في كل مكان توجد فيه شيء ممتع ونفاذ كعطر الزهور، وفي مثل هذه الاجتماعات ينعم المرء دائماً بالمرح، وغالباً ما يتودد للغير، ويخرج في النهاية مفعم القلب بالرضا!)[1]

قال آخر: وبناء على هذا تصور أنه لا يمكن أن تترقى الأمة، ولا أن تتحضر، ولا أن ترفع عنها جلباب التخلف إلا إذا رفعت عن المرأة الجلباب الذي أمرها الله بلباسه، وقد قال معبرا عن ذلك: (ليس من الممكن أن تصل المرأة إلى هذه المنزلة الأدبية ما دامت في الحجاب، ولكن من السهل جداً أن تصل إليها بالحرية، تصل إليها كما وصلت إليها غيرها من النساء الغربيات.. فإنا نرى أنه كلما زيد في حرية المرأة الغربية زاد عندها الشعور بالاحترام لنفسها ولزوجها ولعائلتها)[2]

قال آخر: وهو لا يستدل لهذا بما نراه في واقع المرأة الغربية من تحولها إلى مجرد سلعة للإعلانات التي توضع فيها بجانب الحلويات والمأكولات والملبوسات، وكأنها مجرد متعة من تلك المتع، وإنما يستدل لها بما تعود الحشويون أن يستدلوا به، وهو الرجال، فهو يرى أن

---

(١) المصريون، ضمن الأعمال الكاملة لقاسم أمين، ص ٢٥٨.

(٢) المصريون، ص ٤٥١.

العقل الأوروبي الذي استطاع أن يتقدم في الكثير من المجالات لا يمكن اتهامه في هذا المجال.

قال آخر: وقد عبر عن ذلك بقوله: (هل يظن المصريون أن رجال أوروبا، مع أنهم بلغو من كمال العقل والشعور مبلغاً مكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء واستخدامها على ما نشاهده بأعيننا، وأن تلك النفوس التي تخاطر في كل يوم بحياتها في طلب العلم والمعالي وتفضل الشرف على لذة الحياة، هل يظنون أن تلك العقول وتلك النفوس التي نعجب بآثارها يمكن أن يغيب عنها معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها!؟ هل يظنون أن أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم لو رأوا خيراً فيه؟ كلا!، وإنما الإفراط في الحجاب من الوسائل التي تبادر عقول السذج وتركن إليها نفوسهم ولكنها يمجها كل عقل مهذب وكل شعور رقيق)[1]

قال آخر: وهو ـ هنا ـ يقع في خلط كبير بين الرقي المادي والرقي الأخلاقي، فيتصور أنهما يسيران في خط واحد، مع أن الأمر مختلف تماما، فقد يسير الإنسان إلى أعلى قمم التطور المادي، في نفس الوقت الذي ينهار فيه أخلاقيا إلى أدنى مراتب الإنسانية، بل قد ينزل إلى مراتب البهيمية نفسها.

قال آخر: وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى عندما اعتبر كل التطور المادي، والعلوم المرتبطة به، إنما هو ظاهر الحياة الدنيا، لا حقيقة الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك السلاح التقليدي، والذي فضحه واقع الانحلال

(١) المصريون، ص ٣٧٢.

الغربي نفسه.. جاء المبدلون بسلاح جديد استعملوا فيه القرآن الكريم نفسه، ولذلك هو أخطر من كل الأسلحة التي استعملها السابقون.

قال آخر: وهؤلاء راحوا يكذبون الفقهاء باعتبارهم ذكوريين، وراحوا يكذبون السنة باعتبارها جميعا مكذوبة وموضوعة، فلما خلا لهم الجو مع القرآن الكريم راحوا يعبثون بألفاظه كما تعودوا ليحولوه عن معناه تحويلا تاما.

قال آخر: ومن أمثلة ذلك الدجل الممارس مع القرآن الكريم ما ذكره محمد شحرور في حديثه لبعض القنوات الخليجية[1] التي لا هم لها إلا نشر الفواحش والدعوة للانحراف، حيث راح كعادته يتلاعب بالألفاظ، ويجادل في القطعيات التي اتفقت عليها كل كتب التفسير والحديث والفقه من لدن جميع المدارس الإسلامية، فيذكر أن (أن كلمة الحجاب وردت في التنزيل الحكيم ثماني مرات، ولم تمت في كل استعمالاتها إلى اللباس بأية صلة من قريب ولا من بعيد، فكانت الألفاظ التي تدل على اللباس هي الثياب والجلابيب والخُمر)[2]

قال آخر: وهو نوع من المصادرة على المطلوب، والتي يخدع بها عادة عوام الناس، فالحجاب مصطلح، ولا مشاحة في الاصطلاح، ولا يهم أن يذكر في القرآن الكريم أو لا يذكر، لأن القرآن الكريم ذكر الستر ودعا إليه، واعتبر التعري بمختلف أشكاله ومستوياته دعوة شيطانية لا حداثية، فقال: ﴿يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]

---

(١) وهذه المعاني ذكرها بتفصيل في كتابه: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ـ فقه المرأة.

(٢) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ـ فقه المرأة.

قال آخر: بل إنه صرح بذلك حين قال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]

قال آخر: ولم يكتف بذلك، بل راح يوضح ويبين بدقة كيفة يكون الستر ومحاله؛ فقال ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

قال آخر: وهذه الآية الكريمة وحدها تكفي لمن تأملها في التعرف على مقصد الشرع من الحجاب وأهميته.. حيث أن نرى أن القرآن الكريم الذي لم يذكر عدد ركعات الصلاة، ولا مقادير الزكاة، ولا أركان الحج وكيفيته، ولا أحكاما تفصيلية كثيرة.. لكن مع ذلك يذكر الحجاب، وكيف يكون، ومع من يكون.. وهو يدل على أهميته القصوى في حفظ المرأة والمجتمع على حد سواء.

قال آخر: لكن الحداثيين الذين لم تعجبهم أمثال هذه النصوص، وتمنوا لو استطاعوا حذفها من القرآن الكريم راحوا يحتالون عليها، ويتلاعبون بها.

قال آخر: ومن صور ذلك الاحتيال والتلاعب تلك الفهوم العجيبة التي خرج بها شحرور على القنوات الفضائية ليقنع المؤمنات بأن الحجاب خدعة خدعهم بها الفقهاء، ولا علاقة لها بالدين.

قال آخر: فهو يرى ـ من خلاله فهومه للآيات الكريمة الواضحة التي ذكرناها ـ أن المرأة ليست مكلفة سوى بأن (تستر جيوبها السفلية (الفرج والإليتين) وهو الحد الأدنى للباس وهو ما يسمى بالعورة المغلظة أمام المذكورين في الآية ٣١ من سورة النور بما فيهم بعلها، والمحارم المذكورون في هذه الآية هم نصف المحارم وليس كلهم)[١]

قال آخر: أي أن المرأة ـ بحسب فهمه هذا ـ يمكن أن تسير أمام أبيها وابنها وأخيها وجميع أقاربها المذكورين في الآية الكريمة فقط بلباسها الداخلي الذي يستر العورة المغلظة، وليس عليها أن تستر أي شيء آخر عدا ذلك.

قال آخر: أما عندما تريد أن تخرج خارج بيتها، فليس عليها ـ كما يذكر ـ سوى أن تغطي (الجيوب العلوية (الثديين وتحت الإبطين) بالإضافة إلى الجيوب السفلية (العورة المغلظة)، وبذلك تتحقق باللباس الشرعي، أو بالحجاب الشرعي، كما فهمه من القرآن الكريم.

قال آخر: أما ما عدا ذلك، فهو يرى أنه حرية شخصية يقررها المجتمع، لا الدين، فلذلك يراه ساريا (حسب أعراف المجتمع الذي تعيش فيه، وحسب ظروف الزمان والمكان بحيث لا تتعرض للأذى الاجتماعي)

قال آخر: وبذلك فهو يرى أن كل التبرج الذي نراه في الغرب ليس تبرجا، بل هو حجاب شرعي، لأن المجتمعات الغربية رضيت بذلك، وألفته، وصار شيئا عاديا بالنسبة لها.

المثال الثاني:

قال أحد الحضور: وعينا هذا.. فحدثونا عن المثال الثاني.

(١) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ـ فقه المرأة.

قال أحد المبدلين: المثال الثاني هو موقف أساتذتنا المبدلين من الحكومة الإسلامية.. فقد كانوا ولا يزالون أبرز المعارضين لها، بل صاروا هم السند الذي يلجأ إليه العلمانيون لرفض الحكم الإسلامي، ومن خلال المصادر الإسلامية نفسها.

قال آخر: ولعلكم تعرفون أول كتاب ألف في تأييد العلمانية، ورفض الحكم الإسلامي، والاستناد في ذلك إلى المصادر المقدسة نفسها، والذي لا يختلف كثيرا عن كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين وغيره.

قال آخر: إنه كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، والذي ألفه بعض علماء الأزهر، يذكر فيه أن الإسلام دين لا دولة، ورسالة روحية لا علاقة لها بالحكومة والسياسة الدنيوية وعمارة الكون وتنظيم المجتمعات.. وأن محمدا ﷺ لم يؤسس دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يسس مجتمعا، ولم يدع إلى شيء من ذلك، بل كان رسولا فقط، ما عليه إلا البلاغ.

قال آخر[1]: وقد عمد فيه إلى مغالطات عجيبة، ومجازفات غريبة؛ ليدلل على أن الإسلام كالمسيحية المحرفة علاقة روحية بين العبد والرب، ولا صلة لها بواقع الحياة، وأن نظام الخلافة لا يمت إلى الإسلام بصلة، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية لم ينصا على ذلك، وأن نظام الخلافة في هذا العهد غير ضروري لقيام حكومات إسلامية.

قال آخر[2]: وقد كان لهذا الكتاب ما كان من الآثار البعيدة؛ فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية، وأصبح مرجعا معتمدا للدراسات الإسلامية هناك، وقام بتقريظه والثناء عليه جل المهتمين بهذه الدراسات في الغرب، وظهرت آثاره في كتاباتهم، وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين، وعدوا مؤلفه عالما متحررا متنورا، ووضعه بعضهم على رأس مرحلة فكرية عصرية.

---

(١) العلمانية نشأتها وتطورها، ص٥٨٢.

(٢) العلمانية نشأتها وتطورها، ص٥٨٢.

قال آخر: وهكذا استقبله الأحزاب العلمانية بحفاوة، حيث وجدت فيه ضالتها المنشودة؛ فلم تعد تتحرج من إعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللادينية شرقيها وغربيها، وبراءتها من الدين والمتدينين[1].

قال آخر[2]: وقد قابلت الدوائر الاستعمارية والمراكز التبشيرية المسيحية الكتاب بالترحيب والتصفيق، وذلك لخشيتها من كل فكرة ترمي إلى تكتل العالم الإسلامي، وارتياحها إلى نشر مثل هذه الآراء التي ضمنها علي عبدالرازق كتابه، تلك التي تخدم أهداف الاستعمار، وتحقق آماله في السيطرة على الشعوب الإسلامية، وإذلالها إلى الأبد.

قال آخر[3]: وقد ترجم الكتاب إلى الإنجليزية، وعد أحد المراجع الأساسية لعلم الاجتماع الإسلامي في دراسة الجامعات الأمريكية على الخصوص للإسلام وتعاليمه.

قال آخر[4]: وقد لقي صاحبه من الحفاوة في تلك الدوائر ما جعله يصر على ما كتبه، وقد سأله بعض الصحفيين الأجانب بعد محاكمته من طرف علماء الأزهر: هل يمكن أن نعتبرك زعيما للمدرسة؟.. فأجاب بقوله: (لست أعرف ماذا تعني بالمدرسة؟ فإن كنت تريد بهذا أن لي أنصارا؛ يسرني أن أصرح لك أن الكثيرين يرون رأيي، لا في مصر وحدها، بل في العالم الإسلامي بأسره.. وقد وصلتني رسائل التأييد من جميع أقطار العالم التي نفذ إليها الإسلام، ولا ريب أني ـ رغم الحكم ـ لا أزال مستمرا في آرائي وفي نشرها؛ لأن الحكم لا يعدل طريقة تفكيري، وسأسعى إلى ذلك بكل الوسائل الممكنة كتأليف كتب جديدة، ومقالات في الصحف، ومحاضرات، وأحاديث.

قال آخر[5]: ولم يكد يظهر الكتاب في أول إبريل سنة ١٩٢٥م، ويطلع عليه بعض

---

(١) العلمانية نشأتها وتطورها ص٥٨٣.

(٢) الإسلام وأصول الحكم، ٩.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٠٦.

(٤) الإسلام وأصول الحكم، ١١.

(٥)رد هيئة كبار العلماء على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبدالرازق، تقديم أ.د.السيد تقي الدين، هدية مجلة الأزهر

العلماء والقراء حتى لقي معارضة عنيفة؛ لتعارضه الصارخ مع الثوابت الإسلامية من جانب، وتطابقه كل المطابقة مع أهداف الإنجليز، والسياسة الاستعمارية في العالم الإسلامي من جانب آخر؛ فالإنجليز كانوا يريدون هدم الخلافة والقضاء على كل فكرة من أجل التجمع من جديد حول الوحدة الإسلامية، وهذا هو الغرض الأساسي من الكتاب كله؛ بدليل الدفاع المستميت لحزب الأحرار الدستوريين الذي ينتمي إليه الشيخ علي عبدالرازق وأسرته، وهو الحزب الذي انبثق عن حزب الأمة ربيب الاستعمار الإنجليزي، وذلك في مواجهة موجة الرفض العارمة التي شهدتها البلاد ضد الشيخ علي عبدالرازق وكتابه؛ حيث رمته الصحف الوطنية بالطيش في الرأي، والإلحاد في العقيدة، واندلعت المظاهرات منطلقة من الأزهر تعلن الاحتجاج، وتطالب بوقفة حاسمة؛ للدفاع عن الإسلام، والرد على هذه الدعوات الهدامة التي تعد خروجا على الدين.

قال آخر[1]: وبصدور الكتاب بدأت وقائع الجولة الأولى للمعركة بين العلمانيين وعلماء المسلمين من مختلف المذاهب والمدارس، ومن الذين ردوا عليه حينها السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، والشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقا، والأستاذ أمين الرافعي.. وقد أفتى بعض كبار العلماء من أمثال الشيخ محمد شاكر، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد بخيت، والسيد محمد رشيد رضا بردة الكاتب بسبب مواقفه المتناقضة مع القرآن الكريم.

قال آخر: كما ألف كبار العلماء كتبا في الرد عليه؛ حيث ألف الشيخ محمد الخضر حسين (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)، وهو أعظم تلك الردود، وأهمها، وأخلدها، وأشدها أثراً على الشيخ علي عبدالرازق.

المجانية، ربيع الأول ١٤١٤هـ، ص٤.

(١) الإسلام وأصول الحكم، ١٧.

قال آخر: وألف الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية في وقته (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) كما ألف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كتاب (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم)[١]

قال آخر: لكن موجة العلمانية كانت أكبر من تلك الردود جميعا، وخاصة عندما وجد في الواقع الإسلامي من يسيء إلى الحكم الإسلامي، ويعتبر كل تلك الدول المستبدة الظالمة حكومات إسلامية.

قال آخر: ولهذا أصبح الحديث عن هذه الأمور شيئا عاديا يستغرب خلافه، ومن الأمثلة على ذلك ما نشرته بعض الباحثات بعنوان [العلمانية مع وضدّ الدين الإسلاميّ]، والذي قدمت له بقولها: (لنعلنها من دون مواربة منذ البداية: باتت العلمانية خيارًا ملحًّا لوضع حد للصراعات الطائفية والمذهبية التي يشهدها العالمان العربي والإسلاميّ، وإنّنا بهذه المصارحة سنقف في مواجهة خطرة لمخاوف ومغالطات من قبيل من يدعُ إلى تطبيق العلمانية فهو ملحد، العلمانية اعتداء على الدين الإسلاميّ، الإسلام دين ودولة، والعلمانية إذ تفصل الدين عن الدولة فهي تعتدي على حدوده.. كلّها تُهم جاهزة يقذفها بعضٌ في وجه كلّ من يرى في العلمانية الحلّ لإخماد نيران الحروب الطائفية والدينية التي يشهدها الوطن العربي)[٢]

قال آخر: ثم راحت تدافع عن العلمانية، وتبدد تلك المخاوف بشأنها، فقالت: (إنّ أفضل طريقة لتبديد المخاوف، هي مواجهتها، بأن نلقي عقولنا في يمّ المخاوف التي ترسخت في عقول عموم الشعوب العربية، بل حتى في أوساط المثقفين المحسوبين على

(١) الإسلام وأصول الحكم، ١٨.

(٢) العلمانية مع وضدّ الدين الإسلاميّ، سامية بن عكوش، مجلة الفيصل.

التيار الإسلاميّ حول: تعارض العلمانية مع الدين الإسلاميّ، بل خطورة العلمانية على الإسلام والمسلمين، فما صحة هذه المخاوف؟ وإذا كانت العلمانية تنبني على مبدأ حرية المعتقد وحرية الفرد، فهل الإسلام يعارض هذا المبدأ الأساسيّ؟)

قال آخر: ثم راحت تثني عليها، وتدعو إلى التأسي بالغرب بشأنها، فقالت: (تعدّ العلمانية من أهمّ المفاهيم التي أنتجتها الحداثة الغربية وحركة التنوير الغربيّ، وتعني في معناها المتداول فصل الدين عن الدولة، كما تعني أيضًا عدم إجبار الدولة أو الحكومة لأيّ أحد على معتقد معيّن، دينيّ أو غير دينيّ، فالفرد حر في اعتناق أيّ دين، أما الدولة فلا دين لها، لكنّها تحمي في الوقت نفسه حرية كلّ معتقد ديني أو فلسفيّ أو لا دينيّ، حلّت إذن التشريعات القانونية الوضعية محلّ صكوك الغفران الكنسية، فأصبحت الشرعية دنيوية في هذا الشكل الجديد من الاجتماع البشريّ، بدل الشرعية السماوية السابقة، فانبثقت العلمانية أو الدنيوية كمقابل للدينيّ أو اللاهوتيّ، وقد لّمح فيورباخ إلى هذا المعنى في قوله: (علينا أن نوزّع الكنوز السماوية في الأرض)، وقد ارتبطت العلمانية وظيفيًّا بشبكة مفاهيم، انبثقت من شكل الاجتماع الجديد للغرب الحداثيّ التنويريّ العلمانيّ؛ ألا وهي: الديمقراطية، والمجتمع المدني، والمساواة بين الجنسين، والتداول السلميّ للسلطة، وتعبّر هذه الشبكة المفهومية عن انتقال الغرب من وضعية الدول الدينية إلى وضعية دول مواطنيها، ومع أنّ الدول الغربية علمانية؛ إلا أنّها أكثر الدول التي تنشط فيها الجمعيات الدينية في مجال العمل الخيريّ، وبخاصة المسيحية، فالدول الغربية لا دينية داخل مؤسسات الدولة وأجهزتها المختلفة؛ لكنها تفتح مساحات واسعة لحرية ممارسة الشعائر الدينية والمعتقدات)[١]

قال آخر: وهي في نقدها للحكومة الإسلامية تعرض ـ كما يفعل العلمانيون

---

(١) المرجع السابق.

والحداثيون ـ صورة مشوهة عنها، لأنه لا يمكن أن تزين العلمانية بغير ذلك.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قولها: (إنّ إكراه المسلم على أداء العبادات يؤدي إلى نتيجتين: أولاهما يخلق الإكراه شخصًا منافقًا في كثير من الأحيان، فقد يؤدي كلّ الشعائر للتظاهر أمام الآخرين، ولإبعاد عبء النبذ الاجتماعي؛ لكن الشخص نفسه قد يسرق ويكذب ويحقد وينمّ، ويقذف المحصنات، ويهدر الوقت، ولا يتقن العمل، مع أن الله عز وجلّ فرض الشعائر الدينية كوسيلة لا غاية في حدّ ذاتها، ثانيتهما: يخلق الإكراه ما يسمى بوصاية المسلم على باقي البشر، فما يمارس عليه من إكراه دينيّ، يعيد إنتاجه مع الآخر المسلم أو غير المسلم، وما تفعله داعش في العراق وسوريا مثال للإكراه الذي يعتقد بعضٌ خطأً أنّه جوهر الدين الإسلاميّ، فما الحلّ لكلّ هذه المعضلات التي أغرقت المجتمعات العربية في النفاق الدينيّ والعنف الطائفيّ؟)(١)

قال آخر: وهكذا نجد محمد شحرور يدافع عن العلمانية، ويؤول كل النصوص في سبيل خدمتها، بل إن كل مشروعه قائم عليها، وهو يستخدم القرآن الكريم لفعل ذلك، ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض مقالاته عنها: (يختلط تعريف العلمانية لدى كثير من الناس مع الإلحاد، لدرجة أن إطلاق صفة [علماني] على أحد ما، يسمه تلقائياً بصفة ملحد، وتأييد العلمانية يتعارض في مجتمعاتنا مع صيامك في رمضان مثلاً، أو ذهابك إلى الحج، لاسيما مع اعتيادنا على إطلاق الأحكام القطعية وتقييم الناس وفق أهوائنا، لكن هذا الخلط لم يأت من فراغ، فبالنسبة للغرب وبعد عهود من تحكم الكنيسة بحياة الناس واستفرادها بالسلطة ومحاباتها للملوك باسم الدين، جعل المجتمعات الغربية تتحسس من موضوع تدخل الدين بالمفهوم الكنسي في شؤون السياسة، مما دفع بمفكريها ومنظريها إلى رفض

(١) المرجع السابق.

إقحام الدين في الفلسفة السياسية تماماً، لأن الدين بالنسبة لهم يقابل سلطة الإكراه والحد من الحرية الشخصية وحرمان الإنسان من حقوقه الطبيعية، لذلك نادوا بالعلمانية ليس بكونها فصل الدين عن السلطة السياسية فقط، وإنما بالدعوة للاهتمام بالحياة الحالية عوضاً عن الاهتمام بالحياة الآخرة، إنما خلصت العلمانية فيما بعد لتترك للأفراد حريتهم الدينية، طالما أنها لا تؤثر على حرية الآخرين))(١)

قال آخر: ثم راح يفعل ما فعله علي عبد الرازق نفسه، ولكن بصيغة مطورة، فقال: (ورغم أن الإسلام [الموروث] لا يقل تحكماً برقاب العباد عما كانت عليه الكنيسة في الغرب، إلا أن قراءة التنزيل الحكيم وفق الأرضية المعرفية اليوم، تجد أن الإسلام لا يتعارض إطلاقاً مع مقومات المجتمع المدني ومع الحق الطبيعي للإنسان في الحرية، وعلى رأسها حرية المعتقد، وأنه لم يعط الحق لأحد بالحكم باسم الله على الأرض؛ فالدين هو الانقياد والطاعة، والصفة الأساسية لأي دين هو تدخله بالحياة الشخصية للإنسان، فينقاد له بكل طواعية ودون إكراه، تحميه سلطة الضمير فقط، وأنت مثلاً تؤمن بالله لأنك تريد هذا الإيمان ولست مجبراً عليه، وتتبع تعليماته برغبة منك ومن قناعة شخصية، فالدين لا يملك أداة الإكراه، وهذا ما نقرأه في قوله تعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِّ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ١٥٦] مع ملاحظة أن الإيمان بالله يوافقه الكفر بالطاغوت، أي رفض كل أنواع الإكراه التي تمارس على الإنسان مهما كان نوعها، وبالتالي الحرية هي العروة الوثقى، وعليها قامت خلافة الإنسان على هذه الأرض، وهي الأمانة التي حملناها، فالله ترك لنا التحرك بين الطاعة والمعصية أحراراً في اختيارنا، على أن نتحمل مسؤولية خياراتنا في الآخرة، وكلما

---

(١) مقال بعنوان: العلمانية والإسلام، محمد شحرور، موقعه.

كان حقل حرية الاختيار كبيراً في مجتمع ما، كانت كلمة الله عالية خفاقة فيه)[1]

قال آخر: ثم استدل بهذا، وبعدم الإكراه في الدين على العلمانية، فقال: (وكون الدين لا يملك أداة الإكراه، فهذا يعني حتماً ألّا سلطة فيه، وأنه والسلطة خطان متوازيان مهما امتدا لا يلتقيان، فالسلطة من التسلط والقهر، والدولة لا تقوم لها قائمة من دون سلطة تحافظ على هيكليتها، بعكس الدين تماماً، وسلطة الدولة يجب ألا تتدخل في حياة الإنسان الشخصية ولا العقائدية، وتنحصر مهمتها في السهر على ضبط المجتمع فقط، وليست مهمة الدولة إرسال الناس إلى الجنة وإبعادهم عن النار، وأطروحة الثواب والعقاب هي من اختصاص الله وحده، لا أحد غيره)[2]

قال آخر: وبما أنه يريد أن يفصل مواقفه انطلاقا من القرآن الكريم من خلال عمليات التبديل والتأويل، فقد راح يعرض الآيات التي يستدل بها كل العلماء على وجوب إقامة حكومة إسلامية ليؤولها كما يشاء.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة ٤٥) و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة ٤٧]، فقد قال فيها: (لقد جرى اقتطاع الآيات من سياقها، والله وصف بني إسرائيل بهذه الأوصاف لعدم خضوعهم للأحكام التشريعية التي أتت في شريعة موسى، والشرائع في الإسلام، منذ نوح وحتى محمد خضعت للتطور التدريجي، بحيث ختمت الرسالة المحمدية الرسالات بما هو رحمة للإنسانية، وإعلان جهوزيتها للتشريع لنفسها ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة ٣] وتميز الرسالة المحمدية

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

بالعالمية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧] تمثل في شموليتها لكل جوانب التشريع الإنساني، وحركتها بين حدود دنيا وعليا، مما جعلها تتمتع بمرونة توافق الفطرة الإنسانية، إلا أن الفقه الموروث هو من حولها لرسالة إصر وأغلال لا تمت لما أنزل الله بصلة.

قال آخر: ثم راح يتلاعب بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [المائدة: ٤٨]، ليحول من الآية الكريمة دليلا على العلمانية، وبذلك يصبح الحكم بما أنزل الله، هو الحكم بما جاءت به العلمانية.

قال آخر: وقد قال في ذلك: (لو بحثنا في التنزيل الحكيم من أحكام لنحكم بها بحيث لا ينطبق علينا صفات (الكافرون أو الفاسقون أو الظالمون)، آخذين بالاعتبار أن الحرام شمولي أبدي مغلق، بيد الله وحده، لوجدنا أن أحكام الله تختزل بمحرمات أربعة عشر، ولوجدنا أن أغلب السلطات في العالم، ديمقراطية كانت أو ديكتاتورية، دينية أم علمانية، مستبدة أم غير مستبدة، تحترم هذه المحرمات، فلا يوجد برلمان صوت مثلاً على الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى في الدول الشيوعية التي تبنت عقيدة الإلحاد كان يمكن للمؤمن الاحتفاظ بإيمانه في قلبه، ولا يوجد برلمان عرض وحدانية الله للاستفتاء، أو بر الوالدين، أو منع قتل الأولاد أو السماح بممارسة الجنس علنياً، أو الاقتراب من مال الأيتام أو الغش بالكيل والميزان أو نقض العهد أو شهادة الزور أو نكاح المحارم، أو منع أكل نوع معين من اللحم أو الإجبار عليه، أو غيرها، أما الشعائر فيفترض أنك تقيم الصلاة (خارج أوقات العمل) أينما كنت وتصوم وتنفق كذلك، وحريتك الدينية وحرية غيرك يجب أن تكون مصانة، وهذا ما تحققه الدول العلمانية)[1]

---

(١) المرجع السابق.

قال آخر: ثم ختم مقاله بقوله: (خلاصة القول، إن الإسلام لا يتعارض مع العلمانية، والناس بالنسبة له سواسية، يتميزون بقدر عملهم الصالح ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت ٣٣]، ووضع بند [الإسلام دين الدولة] في أي دستور لا معنى له، بل يحمل مغالطة للتحكم برقاب الناس، والأفضل من هذا التركيز على دولة المؤسسات والقانون، بحيث يحكم فيها أمثال ميركل وترودو من خلال مؤسساتهم لا شخصهم))[1]

قال آخر: وهكذا يتفق جميع الحداثيون والمبدلون على هذه المعاني، والتي تنطلق من تقزيم الإسلام وحصره في الإيمان بالله واليوم الآخر، وبعض الأعمال الشعائرية التي يتلاعبون بها كما يشاءون.

---

(١) المرجع السابق.

النهاية

في نهاية زيارتي لتلك المدينة القرآنية الطيبة، وبعد استماعي لتلك الأحاديث الكثيرة، ومن الأطراف المختلفة، رأيت جموعا كثيرة تجتمع أمام بناء ضخم.

ثم لم نلبت أن سمعنا مكبرات الصوت تدعو الجميع للهدوء، للاستماع إلى قرارات مهمة يريد المجلس الحاكم للمدينة بثها.

ثم لم نلبث أن سمعنا أحدهم يقول: أنتم تعلمون ـ يا أهل هذه المدينة الطيبة ـ أن آباءنا وأجدادنا لم يؤسسوا مدينتنا إلا على تلك التعاليم المقدسة التي وردت في القرآن الكريم، وأيدتها السنة المطهرة، وأكدها وبينها أئمة الهدى.

قال آخر: ولذلك أحاطها الله بعين عنايته؛ فلم نر فيها إلا البركات تلو البركات، والخيرات تلو الخيرات.. كما وعدتنا بذلك النصوص المقدسة.

قال آخر: لكن الأعداء الذين واجهوا الأنبياء عليهم السلام، واحتقروا رسائل الله إليهم، لم يرضهم ذلك؛ فراحوا يستعملون كل الوسائل لتخريب مدينتنا، لا من خلال الجنود والعساكر، والعدد والعدة، وإنما من خلال إزالة ذلك التقديس لكلمات ربنا، والذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا، لعلمهم أن كل بركات مدينتنا من ذلك التقديس والتعظيم والتوقير لكتاب ربنا، وما ورد فيه من هدي.

قال آخر: وقد كان مجلسنا يتابع كل تلك المؤامرات، ويبحث في سبل مواجهتها، وبالمنهج القرآني، بعيدا عن إثارة أي فتنة، حتى لا نعطي الفرصة لأعدائنا ليتسللوا لنا من خلالها.

قال آخر: ولذلك لم نعمد لاعتقال دعاة الحشوية أو الكشفية أو المشككين أو المبدلين، لأننا لو فعلنا ذلك؛ فسننشر من حيث لا نريد تلك الأطروحات التي يطرحونها،

وبذلك نقدم لهم من الخدمات ما لم يحلموا به.

قال آخر: ولهذا، وبعد بحث وتدبر ونظر، وبعد استشارة لمعلم القرآن ومعلم الحقائق التي لم تتدنس بالأهواء، أرسلوا لنا الحكماء السبعة، الذين يمثلون الحكمة القرآنية المتوافقة مع كل العقول السليمة.

قال آخر: وقد استطاعوا من خلال حواراتهم العلنية والسرية، والجماعية والفردية، أن يجعلوا من أولئك المبطلين الذين أرسلهم أهل الباطل لتهديم هذه المدينة، محقين ودعاة للحق.

قال آخر: ولهذا، وبعد أن سمعنا منهم ما سمعنا من العلم والحكمة والتوبة الصادقة؛ قررنا وبإجماع أن نخول لهم تدريس كل ما يحصن مدينتنا من تلك الأهواء، خاصة وهم أكثر الناس معرفة بالواقع الذي كانوا فيه.. والله تعالى أمرنا أن نسأل الخبراء، وأن ننزل الناس منازلهم.

قال آخر: أما الحكماء السبعة؛ فلم ندر كيف نكافئهم على جهودهم، فقد حاولنا أن نسلم لهم ما يشاءون من المناصب والأموال؛ فرفضوا.. وطلبوا منا أن نأذن لهم في المغادرة، لأن هناك مدنا أخرى تنتظر حكمتهم.

قال آخر: ولهذا دعوناكم لتوديعهم.. والتبرك برؤيتهم.. فقد كانوا الجنود الأخفياء الذين حقق الله بهم حماية هذه المدينة من المبطلين وباطلهم.

بعد أن استمعت لهذه الكلمات والقرارات التي اتخذها المجلس الحاكم لتلك المدينة القرآنية الطيبة، وجدت نفسي في بيتي وبين أهلي، ومن غير أن أحظى بتوديع أولئك الحكماء السبعة، ولا بمعلم الحقائق التي لم تدنسها الأهواء.

وقد تأثرت لذلك كثيرا.. لكني عزيت نفسي وسليتها برحلات أخرى قد يتيحها الله

لي، لأراهم من جديد، أو أرى نظراءهم من الحكماء والمعلمين.

بعد أن كتبت كل ما رأيته وسمعته في تلك الرحلة، وحذفت ما لم أر حاجة إليه منها، وضعت نسخة مصورة مما كتبته في مواقع إلكترونية مختلفة للحشوية والكشفية والمشككين والمبدلين.. وقد كنت أتوهم أنها ستحذف بمجرد الاطلاع عليها من طرف المدراء والمسؤولين.

لكني وبعد فترة قصيرة من ذلك، وردتني رسائل كثيرة على بريدي الالكتروني، ومن طرف أولئك المسؤولين أنفسهم، تشكرني على وضع الكتاب في مواقعهم، وتخبرني وتبشرني بتأثيره فيهم، وأنهم قرروا مراجعة أنفسهم وطروحاتهم بعد اطلاعهم عليها.

وكان من جملة تلك الرسائل رسالة تطلب مني أن أطلب من معلم القرآن أن يرسلني إلى رحلة للرد على تأويلات الجاهلين الذين أشار إليهم رسول الله ﷺ في قوله: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين) [1]

وبمجرد أن قرأت الرسالة، رأيت معلمي معلم القرآن، وهو يقول لي: هيئ نفسك لرحلتك الجديدة إلى [القرآن.. وتأويل الجاهلين] [2]

---

(١) الحديث مروي في المصادر السنية والشيعية، ومنها: البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٩، ومعاني الأخبار ص ٣٣.

(٢) هو عنوان الكتاب الخامس من السلسلة.

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو المقدمة الضرورة الرابعة لهذه السلسلة، ويتناول القسم الثاني من أقسام المنحرفين عن القرآن الكريم، وهو القسم الذي سماه رسول الله ﷺ [انتحال المبطلين]

ومن خلال تحليل ذلك التعبير النبوي المقدس، رأينا أن المقصود منه تلك الجهات التي تريد نشر الباطل، وتشويه الحق، لا بالمواجهة المباشرة، وإنما بالانتحال، وأصناف الحيل.

وقد رأينا من خلال استقرائنا للواقع أن ذلك الانتحال قد تم من طرف أربع جهات، أولها وأسبقها من يطلق عليهم لقب [الحشوية]، وهم أولئك الرواة والمدلسين الذين امتلأت بهم كتب الحديث والتفسير، والذين كان لهم دور كبير في نشر الخرافة والدجل والشعوذة وتشويه الحقائق والقيم القرآنية.

وأما الجهة الثانية؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [الكشفية]، وهم أولئك الذين اعتبروا الكشف والإلهام المجرد أداة من أدوات تأويل القرآن الكريم وتفسيره وفهمه، من غير مراعاة لأي ضابط أو قانون.

وأما الجهة الثالثة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المشككين]، ونقصد بهم كل من حاول أن يشكك في القرآن الكريم، ابتداء من السابقين من المعاصرين لرسول الله ﷺ إلى المبشرين والمستشرقين والحداثيين وغيرهم.

وأما الجهة الرابعة؛ فيمثلها من أطلقنا عليهم لقب [المبدلين]، ونقصد بهم كل الذين حاولوا أن ينحرفوا بالقرآن الكريم عن معانيه الظاهرة الواضحة التي فهمها المتقدمون والمتأخرون إلى معاني بديلة، متأثرين في ذلك بموجة الحداثة الغربية ومناهجها المختلفة، ولذلك تعاملوا مع القرآن الكريم، مثلما تعامل حداثيو الغرب مع الكتاب المقدس، من غير أن يراعوا الفوارق بين الكتابين.